

# نَفْسُ النَّسَفِي

للإمام الجليل العلامة أبي البركات  
عبد الرحمن أحمد بن محمود النفس  
عليه صاحب الرحمة  
والرضوان

المجلد الثاني

دار إحياء الكتب العربية  
بيروت - لبنان











# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سورة الكهف مائة وإحدى عشرة آية بصرى وعشر آيات كوفى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى قَبْدِهِ) محمد ﷺ (الْكِتَابَ) القرآن، لقن الله عباده وقهم كيف يشنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الإسلام وما أنزل على محمد ﷺ من الكتاب الذى هوسب نجاتهم (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) أى شيئاً من العرج والموج فى المائى كالعوج فى الأعيان، يقال فى رايه عوج وفى عصاه عوج والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شئ منه من الحكمة (قَيِّمًا) مستقيماً واتصابه بمضمر وتقدير، جملة قيا لأنه إذا نفى عنه الموج فقد أثبت له الاستقامة، وفائدة الجمع بين نفى الموج وإثبات الاستقامة وفى أحدهما غنى عن الآخر التأكيد قرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح أو قيا على سائر الكتب مصداقاً لها شاهداً بصحتها (لِيُنْذِرَ) أنذر متمد إلى مفعولين كقوله : إنا أنذرناكم عذاباً قريباً. فاقصر على أحدهما، وأسله لينذر الذين كفروا (بِأَسَا) عذاباً (شَدِيدًا) وإنما اقصر على أحد مفعولى أنذر لأن النذر به هو السوق إليه فاقصر عليه (مَنْ لُدُنُهُ) سادراً من عنده (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ) أى بأن لهم (أَجْرًا حَسَنًا) أى الجنة ويشتر حمزة وعلى (مَسْكِينٍ) حال من هم فى فلم (فِيهِ) فى الأجر وهو الجنة (أَبَدًا وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) ذكر النذرين دون المنذر به بعكس الأول استغناء بتقديم ذكره (مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ) أى بالولداً واتخاذهم يعنى أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط، فإن قلت: اتخذ الله ولداً فى نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لأنه ليس مما يعلم لاستحاطته وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الوصول إليه أو لأنه فى نفسه محال

(وَلَا لِبَابِ نَعِيمٍ) (كَبُرَتْ كَلِمَةً) نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة والضمير في كبرت يرجع إلى قولهم اتخذ الله ولها وصيت كلمة كما يسمون القصيدة بها (تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) سفة لكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم فإن كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكرات لا يبالكون أن يتفوهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا النكر (إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) ما يقولون ذلك إلا كذبا هو سفة لصدر محذوف أى قولا كذبا (فَلَمَّا كَذَبُوا بِنَجْمِ نَفْسِكَ) قاتل نفسك (عَلَى أَثَرِهِمْ) أى آثار الكفار شبهه وإيما حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به ومات داخله من الأسف على توليهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبيع نفسه وجدا عليهم وتلثمها على فراقهم (إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ) بالقرآن (أَسَفًا) مفعول له أى لفرط الحزن، والأسف المبالغة في الحزن والغضب (إِنَّا جَمَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا) أى ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها (لِنَبْلُوَهُمْ أَهُمْ أَمْ لَا) أحسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الافتتار بها ثم زهد في الليل إليها بقوله (وَإِنَّا لَجَبَلُونَ مَا عَلَيْهَا) من هذه الزينة (سَمِيعًا) أرضا لمساء (جُرْزًا) ياسا لانيات فيها يبدآن كانت خضراء معشبة والمعنى نعيمها يدمجها خرابا بإماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار وغير ذلك ولما ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لاحصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن قال (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ) يعنى أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة، والكهف: النار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلهم أو قريتهم أو اسم كتاب كتب في شأنهم أو اسم الجبل الذى فيه الكهف (كَانُوا مِنْ عَائِلَةٍ عَجَبًا) أى كانوا آية عجيبة من آياتنا وصفا بالمصدر أو على ذات عجب (إِذْ) أى اذكر إذ (أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً) أى رجة من خزائن رحمتك وهى المنفرة والرزق والأمن من الأعداء (وَهَمِيْنَا لَنَّا مِنْ أَمْرِنَا) أى الذى نمن عليه من مفارقة الكفار (رَشَدًا) حتى نكون بسية راشدين مهتدين أو اجمل أمرنا ورشدا كله كقولك رأيت منك أسدا أو برلنا طريق رضاك (فَضَرَبْنَا

تَعَلَّى إِذَا تَوَهَّيْتُمْ فِي الْمَكْعَفِ) أى خبرنا عليها حاجبا من النوم يعنى أعتام إنامة ثقيلة لانتبههم فيها الأصوات تغذف المفعول الذى هو الحجاب (سَيْنَ عَدَدًا) ذات عدد فهو صفة لسنين قال الزجاج أى تمد عددا لكثرة لأن القليل يعلم مقداره من غير عدد فإذا كثر عد فأمدارهم معدودة فعلى على القلة لأنهم كانوا يمدون القليل ويرون الكثير (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ) أيقظناهم من النوم (لِتَعْلَمَ أَى الْحِزْبَيْنِ) المختلفين منهم فى مدة لبثهم لأنهم لما انتبهوا اختلفوا فى ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا بئنا يومًا أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أى الحزبين المختلفين من غيرهم (أَحْصَى لِمَا كَانُوا عَمَدًا) غاية وأحصى فعل ماض وأما ظرف لأحصى أو معمول به والفعل الماضى خبر المبتدأ وهوى والمبتدأ مع خبره سد مسد مفعولى نعلم والمعنى أيهم ضبط أمدًا لأوقات لبثهم وأحاط علما بأمد لبثهم ومن قال أحصى أفعل من الإحصاء وهو المد فقد زل لأن بناء من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس وإنما قال لنعلم مع أنه تعالى لم يزل عالما بذلك لأن المراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيمانًا واعتبارًا وليكون لطفًا لؤمى زمانهم وآية بينة لكفارهم أو المراد لنعلم اختلافهما موجودا كما علمناه قبيل وجوده (حُنَّ نَفْسٌ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ) بالمدق (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ) جمع فتى والفتوة بدل الندى وكف الأذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المسكارم وقيل الفتى من لا يدعى قبل الفعل ولا يركى نفسه بعد الفعل (آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) يقينا وكانوا من خواص دقيانوس قد قذف الله فى قلوبهم الإيمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا ليخل اثنتان اثنتان منا فيظهر كلامها ما يضر صاحبها ففعلوا فحصل اتفاقهم على الإيمان (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) وقربناها بالصبر على هجران الأوطان والفرار بالدين إلى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام (إِذْ قَامُوا) بين يدى الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاقبتهم على ترك عبادة الأصنام (فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مفتخرين (لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا) ولئن سميناهم إلهة (لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا) قولًا ذا شطط وهو الإفراط فى الظلم والإمادة فيه من شط يشط ويشط إذا بمد (هَؤُلَاءِ) مبتدأ (فَرَمْنَا) عطف بيان (اتَّخَذُوا

مِنْ دُونِهِ آيَةً ) خبر وهو إخبار في معنى الإنكار (لَوْلَا بَيِّنَاتٌ عَلَيْهِمْ) هلا يأتون على عبادتهم  
 فحذف المضاف (بِسُلْطَنٍ بَيِّنٍ) بحجة ظاهرة وهو تبكيك لأن الإتيان بالسلطان على عبادة  
 الأوثان حال (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَقْرَأَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بنسبة الشريك إليه (وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ)  
 خطاب من بعضهم لبعض حين سمعت عز عنهم على الفرار بدينهم (وَمَا يَعْبُدُونَ) نصب عطف  
 على الضمير أي وإذا عزلتهم فاعزلتهم بمعبودهم (إِلَّا اللَّهَ) استثناء متصل لأنهم كانوا يعبدون  
 بالخالق ويشركون معه غيره كأهل مكها ومنقطع أي وإذا اعزلتهم السكفار والأصنام التي يعبدونها  
 من دون الله أوهو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتنة أنهم لم يعبدوا غير الله (فَأَوَّاهُ  
 إِلَى الْكَهْفِ) سيروا إليه أو اجعلوا الكهف مأواكم (يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ)  
 من رزقه (وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا) مرفقا مدنى وشاى وهو ما يرتقى به أى ينتفع  
 وإنما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في درجاتهم لتوكلهم عليه ونسوح يقينهم أو أخبرهم به نبى  
 في عصرهم (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَّرُ) تنحفت الزاى كوفى، تزو شامى، تزاور غيرم  
 وأصله تزاور تخفف بإدغام التاء في الزاى أو حذفها والكل من الزور وهو الليل ومنه زاره إذا مال  
 إليه والزور الميل عن الصدق (عَنِ كَهْفِهِمْ) أى تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم (ذَاتَ  
 الْبَيْتَيْنِ) جهة البيتين وحقبتها الجهة المواجهة للبيتين (وَإِذَا غَرَبَتِ تَغْرُبُهُمْ) قطعهم أى تركهم  
 وتعدل عنهم (ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوةٍ مِنْهُ) فى منسج من الكهف والمعنى أنهم فى  
 ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس فى طلوعها ولا غروبها مع أنهم فى مكان واسع مفتوح معرض  
 لإسابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم وقيل منفسج من غارهم بنالهم فيه روح الهواء ويرد  
 النسيم ولا يحسون كرب النار (ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) أى ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس  
 وقرضها طالعة وغاربة آية من آيات الله يعنى أن ما كان فى ذلك السمعت تصيبه الشمس ولا  
 تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبناش نضش فهم فى مقناة  
 أبدا ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله (مَنْ يَرْسُدِ اللَّهُ فَهَوَ الْهَبَدِ)  
 مثل ما مر فى سبحان وهوناء عليهم بأنهم جاهدوا فى الله وأسألوا له وجوههم فأرشدهم إلى  
 نيل تلك الكرامة السنية (وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا) أى من أضله فلا هادى  
 له (وَنَحْسَبُهُمْ) بفتح السين شامى وهزوة ناهم غير الأعشى وهو خطاب لكل أحد (أَقْبَاطًا)

جمع يقظ (وَهُمْ رَقُودٌ) نيام قبل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظاً (وَقَلْبُهُمْ  
 ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ) قيل لهم قلبتان في السنة وقيل قلبه واحدة في يوم عاشوراء  
 (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ) حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضي  
 (بِالْوَسِيدِ) بالفناء أو بالعتبة (لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ) لو أشرفت عليهم فنطرت إليهم (لَوَلَّيْتَ  
 مِنْهُمْ) لأعرضت عنهم وهربت منهم (فِرَاراً) منصوب على المصدر لأن معنى ولت منهم  
 فررت منهم (وَأَمَلَيْتَ مِنْهُمْ) وبتشديد اللام حجازي للمبالغة (رُعْباً) تمييز وبضم المين  
 شامي وعلى وهو الخوف الذي يرعب الصدر أى يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهبة أولطول  
 أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وعن معاوية أنغزا الروم فر بالكهف فقال أريد أن أدخل  
 فقال ابن عباس رضى الله عنهما لقد قيل لمن هو خير منك لوليت منهم فرارا فدخلت جماعة  
 بأمره فأحرقهم ريح (وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ) وكما أماناهم تلك النومة كذلك أيقظناهم إظهارا  
 للقدرة على الإنامة والبعث جميعا (لَيَسْأَلُنَّ عَنْهُمْ) ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم  
 وماصنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به  
 عليهم (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ) رئيسهم (كَمْ لَبِثْتُمْ) كم مدة لبثكم (قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ  
 بَعْضَ يَوْمٍ) جواب مبنى على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب  
 (قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ) بمدة لبثكم إنكار عليهم من بعضهم كأنهم قدعلموا بالأدلة أو  
 بإلهام أن المدة متطاولة وأن مقدارها لا يعلمه إلا الله وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان  
 اقتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك  
 وقد استدلل ابن عباس رضى الله عنهما على أن الصحيح أن عددهم سبعة لأنه قد قال في  
 الآية قال قائل منهم كم لبثتم وهذا واحد وقالوا في جوابه لبثنا يوما أو بعض يوم وهو جمع وأغله  
 ثلاثة ثم قال ربكم أعلم بما لبثتم وهذا قول جمع آخرين فصاروا سبعة (فَابْتِئُوا أَحَدَكُمْ)  
 كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لاطريق لكم إلى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهكم فابتهوا أحدهم  
 أى يملئها (يُؤَيِّرُكُمْ) هى الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ويسكون الراء أبو عمرو  
 وحمة وأبو بكر (هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ) هى طرسوس وحلمهم الورق عند فرارهم دليل على أن  
 حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأى التوكلين على الله دون المتكئين على الاتفاقات وعلى

ما في أوعية القوم من النفقات وعن بعض العلماء أنه كان شديد الحنين إلى بيت الله ويقول  
 ما لهذا السفر إلا شيان شد الهميان والتوكل على الرحمن (فَلْيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ) أي أهلها غنظ  
 كما في واسئل القرية وای مبتدا وخبره (أَزْكَى) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص (طعاماً)  
 تميز (فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ) ولينكف اللطف فيما يياثره من أمر المايمة حتى  
 لا يبين أو في أمر التخفي حتى لا يعرف (وَلَا يُشِيرَنَّ بَكُمْ أَحَدًا) ولا يعلن ما يؤدي إلى  
 الضمور بنا من غير قصد منه فسمى ذلك إشماراً منه بهم لأنه سبب فيه والضمير في (إِنَّهُمْ)  
 راجع إلى أهل القدر في أيها (إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) يطلووا عليكم (يَرْجُوكُمْ) يقتلوكم  
 أخبث القتلة (أَوْ يُرِيدُوا كُمْ فِي مِلَّتِهِمْ) بالإكراه، والعود بمعنى السيرة كثير في كلامهم  
 (وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا) إذا بدل على الشرط أي ولن تفصلوا إن دخلتم في دينهم أبداً  
 (وَكَذَلِكَ أَفْتَرْنَا عَلَيْهِمْ) وكأ أنماهم وبمثانم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم (لِيَمْلِكُوا)  
 أي الذين أطلعناهم على حالمهم (أَنْ وَعَدَ اللَّهُ) وهو البعث (حَقًّا) كائن لأن حالمهم في نومهم  
 واتباهم بعدها كمال من يموت ثم يبعث (وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأَرْبَبَ فِيهَا) فإنهم يستدلون بأمرهم  
 على صحة البعث (إِذْ يَقْتَرَحُونَ) متعلق بأعترنا أي أعترناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان  
 (بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ) أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول ببعث الأرواح  
 دون الأجساد وبعضهم يقول ببعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف وليبين أن الأجساد  
 ببعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت (فَقَالُوا) حين توفي الله أصحاب الكهف  
 (ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا) أي على باب كهفهم لئلا يتطرق إليهم الناس ضناً بترتهم وعافظة  
 عليها كما حفظت تربة رسول الله ﷺ بالحظيرة (رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ) من كلام المتنازعين كأنهم  
 نفاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يمتدوا إلى حقيقة  
 ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو من كلام الله عز وجل ردأ قول الخائضين في حديثهم (قَالَ الَّذِينَ  
 غَلَبُوا عَلَى آَمْرِهُمْ) من المسلمين وملسكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم (لَنَنْخِذَنَّ عَلَيْهِمْ)  
 على باب الكهف (مَسْجِدًا) يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم روى أن أهل الإنجيل  
 عظمت فيهم الخطايا وطلعت ماوكم حتى عبدوا الأصنام وأكروهوا على عبادتها ومن شد في  
 ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على

الإيمان والتعصب فيه ثم هربوا إلى الكهف وهرخوا بكلب قتبهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال ما تريدون مني إني أحب أعباء الله فناموا وأنا أحرسكم وقيل مروا براع معه كلب قتبهم على دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم وقبل أن يمشهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته في البعث معتبرين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحاً وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم مسدبه فم الكهف ليتخذة حظيرة لنعمة ولما دخل المدينة من بشوه لا يتباع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس أنهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعذك به من شر الجن والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفي الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فراح في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجداً (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْنَاهُمْ كَلْبُهُمْ وََيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجَاءً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَنَأْيَهُمْ كَلْبُهُمْ) الضمير في يقولون لمن غاض في قصتهم في زمن رسول الله ﷺ من المؤمنين، وأهل الكتاب سألوا رسول الله ﷺ عنهم فأخبر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجرى بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم ويرى أن السيد والمقاب وأصحابها من أهل مجران كانوا عند النبي ﷺ فجري ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال المقاب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال السلون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم خفي الله قول المسلمين وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله ﷺ وبما ذكرنا من قبل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر أسماءهم عليشا ومكشليشا وهولاء أصحاب عيين الملك وكان عن يساره برونش وديرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي واقفهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير وسين الاستقبال وإن دخل في الأول دون الآخرين فهما داخلان في حكم السين كقولك قد أكرم وأنتم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعاً أو أريد يفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له ثلاثة خبر مستندا



محذوف أى هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة وراهمهم كلهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة  
لثلاثة وكذلك . بادسهم كلهم وثامنهم كلهم رجاء بالتيب رميا بالخبر الخفي وإتيانا به كقولهم  
ويقذفون بالتيب أى يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل قلنا بالتيب لأنهم  
أكثرنا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين البارتين والراو  
الداخل على الجملة الثالثة هى الراو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة النكرة كما تدخل على  
الواقعة حالا عن المعرفة فى قولك جاءنى رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفى يده سيف وفانتهى  
توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن انصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الراو هى  
التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلهم قالوه عن ثبات علم ولم يرجوا بالظن كما رجم  
غيرهم دليله أن الله تعالى أتبع القولين الأولين قوله رجاء بالتيب وأتبع القول الثالث قوله  
( قُلْ رَبِّىَّ أَعْلَمُ بِمَدْيَسِهِمْ ) أى قل ربى أعلم بمدىهم وقد أخبركم بها بقوله سبعة وثامنهم كلهم  
( مَا يَمْلِكُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ) قال ابن عباس رضى الله عنهما أنا من ذلك القليل وقيل إلا قليل  
من أهل الكتاب والضمير فى سيقولون على هذا لأهل الكتاب خاصة أى سيقول أهل  
الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا فى قليل منهم وأكثرهم على ظن وتحمين ( فَلَا  
تُكَايِرُ فِيهِمْ ) فلا تجادل أهل الكتاب فى شأن أصحاب الكهف ( إِلَّا مِرَآءَ ظَهْرٍ ) إلا  
جدا لا ظاهراً غير متمتع فيه وهو أن نقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تريد من  
غير تجهيل لهم أو بمشهد من الناس ليظهر صدقك ( وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ) ولا  
تسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال متمتع له حتى يقول شيئاً فترده عليه وترى ما عنده ولا  
سؤال مسترشد لأن الله تعالى قد أوردك بأن أوحى إليك قصتهم ( وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ )  
لأجل شىء نمزم عليه ( إِنِّى فَاعِلٌ ذَلِكَ ) الشىء ( غَدًا ) أى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد  
الفرد خاصة ( إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ) أن قوله بأن يأذن ذلك لك فيه أو ولاقولته إلا بأن يشاء الله  
أى إلا بمشيئته وهو فى موضع الحال أى إلا ملتبسا بمشيئة الله قائلا إن شاء الله وقال الزجاج  
معناه ولا تقولن لى أفضل ذلك إلا بمشيئة الله تعالى لأن قول القائل أنا أفضل ذلك إن شاء  
الله معناه لا أفضل إلا بمشيئة الله وهذا نهى تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقرين :  
سأله عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال اتنوني غدا أخبركم ولم

يستثنى قابلاً عليه الوحي حتى شق عليه (وَإِذْ كُرِّرْتُ رَبَّكَ) أى مشيئة ربك وقيل إن شاء الله (إِذَا نَسِيتَ) إذا فرط منك سريان لذلك والمعنى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنهت عليها فتداركها بالذكر عن الحسن مادم في مجلس الذكر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ولو بعد سنة وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستثناء فأما الاستثناء الغير حكماً فلا يصح إلا متصلاً وحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة رحمه الله خالف ابن عباس رضى الله عنهما في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له أبو حنيفة هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه وأمر الطامع فيه بإخراجه من عنده أو منعه وإذا ذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديداً في اليمت على الاهتمام بها أوصل صلاة نسيته إذا ذكرتها أو إذا نسيت شيئاً فاذكره ليدركك النسي (وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) يعنى إذا نسيت شيئاً فاذكر ربك، وذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربى أن يهدينى لشيء آخر بدل هذا النسي أقرب منه رشداً وأدنى خيراً ومنفعة. أن يهدين، إن ترن، أن يؤتين، أن تملن، مكى في الحالين وواقعه أبو عمرو ومدنى في الوصل (وَلِكَثِيرٍ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ) يريد لثبهم فيه أحياء مضروباً على آذانهم هذه اللدة وهو بيان لما أجمل في قوله ففربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً وسنين عطف بيان لثلاثمائة. ثلثمائة سنين بالإضافة حمزة وعلى على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالأخسرين أعمالا (وَإِزْدَادُوا تِسْمًا) أى تسع سنين لدلالة ما قبله عليه وتسماع مفعول به لأن زاد تقتضى مفعولين فإزداد يقتضى مفعولاً واحداً (قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) أى هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به أو هو حكاية لكلام أهل الكتاب وقيل الله أعلم رد عليهم والجمهور على أن هذا إخبار من الله سبحانه وتعالى أنهم لبثوا في كهفهم كذا مدة (لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ذكر اختصاصه بلم ما غلب في السموات والأرض وخفى فيها من أحوال أهلها (أَبْصُرْ بِهِ وَأَسْمِعْ) أى وأسمع به والمعنى ما أبصره بكل موجود وما أسمع له لكل مسموع (تَالَهُمْ) لأهل السموات والأرض (مَنْ دُونَهُ مِنْ وَلِيٍّ) من متول لأمرهم (وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ) في قضائه (أَحَدًا) منهم، ولا تشرك على النعى شامى كانوا يقولون له أئمت بقرآن

غير هذا أو بدله قليل له (وَأَنزِلْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ) أى من القرآن ولا تسمع لما يهزون به من طلب التبديل فإنه (لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ) أى لا يقدر أحد على تبديلها أو تغييرها إنما يقدر على ذلك هو وحده (وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا) ملجأ تملد إليه أن هممت بذلك ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله ﷺ نَحْ هَؤُلَاءِ الْوَالِي وَهُمْ صَهِيبٌ وَحِمَارٌ وَخَبَابٌ وسلمان وغيرهم من قراء المسلمين حتى نجالسك نزل (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ) واحبسها معهم وثبتها (بِالنَّدْوَةِ وَالتَّشْيِ) دابنين على النداء فى كل وقت أو بالنداء لطلب التوفيق والتيسير والتشي لطلب عفو التفسير أو بمصلاة الفجر والمصر. بالندوة تشاى (يُرْدُونَ وَجْهَهُ) رضا الله (وَلَا تَمُدُّ عَيْنَكَ عَنْهُمْ) ولا تجاوز عداه إذا حازره وعدى بمن تضمن هذا معنى نبا فى قولك نبت عنه عينه وفائدة التضمن إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ (تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فى موضع الحال (وَلَا تُطْعَمَنَ أَعْغُلَانَا قَلْبُهُ عَن ذِكْرِنَا) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر وهو دليل لنا على أنه تعالى خالق أفعال العباد (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) مجاوزا عن الحق (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ) أى الإسلام أو القرآن، والحق خبر مبتدأ عنذوف أى هو (فَمَن شَاكَ فليُكْفِرْ وَمَن شَاكَ فليُكْفِرْ) أى جاء الحق وزاغت الملل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ فى طريق الحجة أو فى طريق الهلاك وحىء بلفظ الأمر والتخير لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فمكانه غير مأمور بأن يتخير ما شاء من التجدد ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال (إِنَّا أَعْتَدْنَا) هيأنا (لِلْفَاسِقِينَ) للكافرين عقيد بالسياق كما تركت حقيقة الأمر والتخير بالسياق وهو قوله إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْفَالِخِينَ (نَارًا أَحَاطَ بِهُمْ يَوْمَئِذٍهَا) شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهى الحجرة التى تكون حول الفساطط أو هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار أو هو حائط من نار يطيف بهم (وَإِن يَسْتَفِئُوا) من العطش (يُنَادُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) هو ددى الزيت أو ما أذيب من جواهر الأرض وفيه نهكهم بهم (يَشْوَى الْوُجُوهَ) إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته (يَبْسُ الشَّرَابِ) ذلك (وَسَاءَتْ) النار (مُرْتَفَقًا) متكأ من الرفق وهذه لمشكلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا فلا ارتفاق لأهل النار وبين جزاء من اختار الإيمان فقال (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ

جَنَّتْ عَذْنِي ( كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ لِإِيَّانِ الْأَجْرِ لِلْبَهْمِ وَلَكِ أَنْ تَجْمَلَ إِنْ أَلَانِضِعْ وَأُولَئِكَ خَبِرَ مِنْهَا  
وَالرَّامِدُ أَحْسَنُ مِنْهُمْ عَمَلًا كَقَوْلِكَ السَّمَنُ مَتَوَانٌ بَدْرُهُمْ أَوْلَاؤُنْ مِنْ أَحْسَنِ عَمَلٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَنْظُمُهُمَا مَعْنَى وَاحِدٍ فَأَقَامَ مِنْ أَحْسَنِ مَقَامِ الضَّمِيرِ ( تَجَرَّى مِنْ تَحْتِهِمْ  
الْأَشْهُرُ يُحْكَمُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ ) مِنْ اللَّابِتْدَاءِ وَتَنْكِيرِ أَسَاوِرَ وَهِيَ جَمْعُ أَسُودَةٍ الَّتِي هِيَ  
جَمْعُ سَوَارٍ لِإِبْهَامِ أَمْرُهَا فِي الْحَسَنِ ( مِنْ ذَهَبٍ ) مِنَ اللَّتْبِيَيْنِ ( وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ )  
مَارِقٌ مِنَ الدِّيْبَاجِ ( وَإِسْتَبْرَقٍ ) مَا غَلِظَ مِنْهُ أَيْ يَجْمَعُونَ بَيْنَ التَّوَعِينِ ( مُشْكِيْنٍ فِيهَا عَلَى  
الْأَرْزَاقِ ) خَصَّ الْإِسْتِكَاءَ لِأَنَّهُ هَيْئَةُ الْمُتَنَعِّمِينَ وَاللُّدُوكِ عَلَى أَسْرَتِهِمْ ( نِعْمَ الثَّوَابُ ) الْحِنَةِ  
( وَحَسَنَتْ ) الْحِنَةُ وَالْأَرْزَاقُ ( شُرُفَقًا ) مَتَكًا ( وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ) وَمِثْلُ حَالِ الْكَافِرِينَ  
وَالْمُؤْمِنِينَ بِحَالِ رَجُلَيْنِ وَكَانَا أَخَوَيْنِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَحَدُهُمَا كَافِرٌ اسْمُهُ قَطْرُوسُ وَالْآخَرُ مُؤْمِنٌ  
اسْمُهُ يَهُوذَا وَقِيلَ هُمَا الْمَذْكُورَانِ فِي الصَّافَاتِ فِي قَوْلِهِ قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ إِنْ كَانَ لِي قَرْنٌ وَرَمَا مِنْ  
أَيُّهُمَا ثَمَانِيَةَ آلَافٍ دِينَارٍ فَعَمَلَاهَا شَطْرَيْنِ فَاشْتَرَى الْكَافِرُ أَرْضًا بِأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ الْمُؤْمِنُ :  
اللَّهُمَّ إِنْ أَخِي اشْتَرَى أَرْضًا بِأَلْفِ دِينَارٍ وَأَنَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ أَرْضًا فِي الْجَنَّةِ بِأَلْفِ قَتَصْدُقٍ بِهِ  
نَمَّ بَنِي أَخُوهُ دَارًا بِأَلْفِ قَتَصْدُقٍ : اللَّهُمَّ إِنْ اشْتَرَيْتُ مِنْكَ دَارًا فِي الْجَنَّةِ بِأَلْفِ قَتَصْدُقٍ بِهِ ثُمَّ تَزَوَّجَ  
أَخُوهُ امْرَأَةً بِأَلْفِ قَتَصْدُقٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ جِئْتُ أَلْفًا سَدَاقًا لِلْحَوْرِ ثُمَّ اشْتَرَيْتُ أَخُوهُ خَدَمًا وَمَتَاعًا بِأَلْفِ  
دِينَارٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْوَلَدَانِ الْخُلْدَيْنِ بِأَلْفِ قَتَصْدُقٍ بِهِ ثُمَّ أَصَابَتْهُ حَاجَةٌ فَلَيْسَ  
لِأَخِيهِ عَلَى طَرِيقِهِ فَرَّ بِهِ فِي حُشْمِهِ فَتَمَرَّضَ لَهُ فَطَرَدَهُ وَوَبَّخَهُ عَلَى التَّصَدُقِ بِمَا لَهُ ( جَعَلْنَا لِأَخَدِهِمَا  
جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْغَبٍ ) بِسَاتَيْنِ مِنْ كُرُومٍ ( وَحَقَّقْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ) وَجَعَلْنَا النَّخْلَ حَيْطًا لِلْجَنَّتَيْنِ  
رَهْذَا مِمَّا يُوْرُهُ الدِّهَاقِيْنَ فِي كُرُومِهِمْ أَنْ يَجْمَعَهَا مُؤَزَّرَةً بِالْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ بِقَالَ حَقْوُهُ إِذَا أَطَافُوا  
بِهِ وَحَفَفَتْهُ بِهِمْ أَيْ جَمَلَتْهُمْ حَافِيْنَ حَوْلَهُ وَهُوَ مَتَدٌ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ فَتَزِيدُهُ الْبَاءُ مَفْعُولًا ثَانِيًا  
( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ) جَعَلْنَاهَا أَرْضًا جَامِعَةً لِلْأَقْوَاتِ وَالْفَوَاكِهِ وَوَصَفَ الْبَارَةَ بِأَنَّهُمَا تَوَاصَلَتَا  
مُتَشَابِكَةً لَمْ يَتَوَسَّطْهُمَا مَا يَقْطَعُهَا مَعَ الشَّكْلِ الْحَسَنِ وَالتَّرْتِيبِ الْأَنِيقِ ( رَكَّتَا الْجَنَّتَيْنِ عَائَتٌ )  
أَعْطَتْ حَمْلًا عَلَى الْإِفْظِ لِأَنَّ لَفْظَ كَلَّتَا مَقْرُودٌ وَلَوْ قِيلَ آتَيْنَا عَلَى الْمَعْنَى لَجَازَ ( أَكَلَهَا ) ثَمَرَهَا ( وَلَمْ  
تَنْظُرْ مِنْهُ ) وَلَمْ تَنْقُصْ مِنْ أَكْلِهَا ( شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ) نَمَتُهُمَا بِوَفَاءِ الثَّمَارِ وَتَمَامِ  
الْأَكْلِ مِنْ غَيْرِ تَقْصُصٍ ثُمَّ يَأْمُرُ أَوَّلَ الْخَيْرِ وَمَادَتِهِ مِنْ أَمْرِ الشَّرِّ فَجَعَلَهُ أَفْضَلَ مَا يَسْقَى بِهِ وَهُوَ

النهر الجارى فيها (وَكَانَ لَهُ) لصاحب الجنتين (ثَمَرٌ) أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثره  
 أى كانت له إلى الجنتين الموسوفين الأموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرها ثم وأحيط  
 بثمره بفتح الميم والثاء عاصم وبضم الثاء وسكون الميم أبو عمرو وبضمهما غيرها (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ  
 وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع يعنى قطروس أخذ بيد السلم يطوف به  
 في الجنتين ويريه مافيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)  
 أنصاراً وحشماً، أو أولاداً ذكوراً لأنهم ينفرون معه دون الإناث (وَدَخَلَ جَنَّتُهُ) إحدى  
 جنتيه أو سماها جنة لاتحاد الحائط، وجنتين للنهر الجارى بينهما (وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ) ضار  
 لها بالكفر (قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا) أى أن تهلك هذه الجنة شك في بידودة  
 جنته لطول أمه وتمادى غفلته واغتراره بالمهلة وترى أكثر الأغنياء من المسلمين تنطق السنة  
 أحوالهم بذلك (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) كائنة (وَلَيْثِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا  
 مِّنْهَا مُنْقَلَبًا) إقسام منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الغرض كما يزعم صاحبه ليجدن في  
 الآخرة خيراً من جنته في الدنيا إدهاء لكرامته عليه ومكاته عنده منقلبا تميز أى مرجأ وعاقبة  
 (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ) أى خلق أصلك  
 لأن خلق أصله سبب في خلقه وكان خلقه خلقاً له (ثُمَّ مِّنْ تُفْغَةٍ) أى خلقك من نطفة  
 (ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا) عدلك وكنك إنساناً ذكراً بالتمام مبلغ الرجال جملة كافرأ بالله لشكه في  
 البعث (لَكِنَّا) بالأنف في الوصل شأى، الباقون بنير ألف، وبالألف في الوقف اتفاق، وأصله  
 لكن أنا غنفت الممزة وأقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فأدغمت الأولى في  
 الثانية بصد أن سكنت (هُوَ اللَّهُ رَبِّي) هو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبر أنا  
 والراجع منها إليه ياء الضمير وهو استدراك لقوله أكفرت قال لأخيه أنت كافر بالله لكنى  
 مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمراً حاضر وفيه حذف أى أقول هو الله بدليل عطف  
 (وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَوْلَا) وهلا (إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ) ماموصولة  
 مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف، تقديره الأمر ما شاء الله أو شرطية منصوبة الوضع  
 والجزاء محذوف يعنى أى شيء شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك  
 الله منها الأمر ما شاء الله اعتراف بأنها وكل مافيهما إتما حصل بمشيئة الله وأن أمرها بيده لأنه

شاء تركها عامرة وإن شاء خربها (لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) إقراراً بأن ما قويت به على عمارتها  
 وتدمير أمرها هو بموته وتأنيده من قرا (إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا) بنصب أقل قد  
 جعل أنا فصلاً ومن رفع وهو الكسائي حمله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولاً ثانياً لترني وفي  
 قوله (وَوَلَدًا) نصرة لمن فسر النفر بالأولاد في قوله: وأعرضاً (فَسَيَرَىٰ أَنْ يُؤْتِيَنَّهُ خَيْرًا  
 مِّنْ جَنَّتِكَ) في الدنيا أو في المقبي (وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا) عذاباً (مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ  
 صَبِيدًا زَلَقًا) أرضاً يبيضاء يزلق عليها للاستهيا (أَوْ يُصْبِحَ مَاءً وَهًا غَوْرًا) غاراً أى ذاهباً  
 في الأرض (فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا) فلا يتأتى منك طلبه فضلاً عن الوجود والمعنى إن ترن  
 أفتر منك فأنا أتوقع من منعه الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة  
 خيراً من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويحرب بساتينك (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ) هو عبارة عن  
 إهلاكه وأمله من أحاط به المدلول أنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في  
 كل إهلاك (فَأَصْبَحَ) أى الكافر (يُقَلَّبُ كَفِيرًا) يضرب إحداها على الأخرى بسماً  
 ونحسراً وإنما صار قلب الكافرين كناية عن الندم والتعسر لأن النادم يقلب كفيه ظهراً  
 لبعطن كما كنى عن ذلك بمض الكف والسقوط في اليد ولأنه في معنى الندم عدى تمديته بـ  
 كأنه قبل فأصبح يندم (عَلَىٰ مَا أَتَقَرَّبَ فِيهَا) أى في عمارتها (وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرْوَتِهَا)  
 بمعنى أن كرومها المرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم (وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي  
 لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا) تذكر موعظة أخيه فلم أنه أتى من جهة كفره وطفيلانه تمنى  
 لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه التمنى ويجوز أن يكون توبة من الشرك  
 وندماً على ما كان منه ودخولاً في الإيمان (وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ) يقدرون على  
 نصرته (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا  
 أنه لم ينصره لحكمة (وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا) وما كان ممتنماً بقوته عن انتقام الله (هُنَالِكَ  
 آتُوكَ اللَّهُ الْحَقَّ) يكن بالياء والولاية بكسر الواو حمزة وعلى فهي بالفتح النصرة والتولى  
 وبالكسر السلطان والملك والمعنى هنالك أى في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده  
 لا لملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريراً لقوله ولم تكن له فئة ينصره ومنه دون الله وهنالك  
 السلطان والملك لله لا يئلب أوفى مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يئى أن قوله

بالبقي لم أشرك ربى أحداً كلة الجيء إليها قاطها جزءاً مما دعاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها. أو هنالك الولاية لله ينصر فيها أوليائه المؤمنين على الكفرة ويتنقم لهم يسئ أنه نصر فياقل بالكافر أخاه المؤمن وسدق قوله ففسى ربى أن يؤتىنى خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء ويؤيده قوله (هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا) أى لأوليائه أو هنالك إشارة إلى الآخرة أى فى تلك الدار الولاية لله كقوله: لمن الملك اليوم. الحق بالرفع أبو عمرو وعلى صفة للولاية أو خبر مبتدأ محذوف أى هى الحق أو هو الحق غيرهما بالجر صفة لله. عقبا بسكون القاف عاصم وحمة وبضمها غيرهما وفى الشواذ عقبي على وزن فعلى وكلها بمعنى العاقبة (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتَزَلَّهُ مِنَ السَّمَاءِ) أى هى كماء أتزلناه (فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ) قاتلف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضاً أو آثر فى النبات الماء فاختلط به حتى روى (فَأَصْبَحَ حَشِيماً) يابساً متكسراً الواحدة حشيمة (تَذَرُوهُ الرِّيحُ) تنفسه وتطيره. الريح حمة وعلى (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) من الإنشاء والإفناء (مُقَدِّراً) قادراً شبه حال الدنيا فى نصرتها وهيجتها وما يتعقبها من الهلاك والإفناء بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فطهره الريح كأن لم يكن (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) لازاد القبر وعدة المقبي (وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ) أعمال الخير التى تبقى عمرتها ثلاثان أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا) جزاء (وَخَيْرٌ أَمْلاً) لأنه وعد صادق وأكثر الآمال كاذبة معنى أن صاحبها يأمل فى الدنيا ثواب الله ويصيبه فى الآخرة (وَيَوْمَ) واذكر يوم (نُسِيرُ الْجِبَالِ) نُسِيرُ الْجِبَالِ مكي وشامى وأبو عمرو أى تسير فى الجبال أو يذهب بها بأن تجعل هباء منثوراً مثباً (وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) ليس عليها ما يسرها بما كان عليها من الجبال والأشجار (وَحَشَرْنَاهُمْ) أى الموتى (فَلَمْ تَقْدَرِ مِنْهُمْ أَحَدًا) أى فلم تترك. غادره أى تركه ومنه النذر ترك الوفاء والقدير ما غادره السيل (وَعَرَّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا) مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحبب أحد أحداً شبت حالهم بحال الجند المروضين على السلطان (لَقَدْ جِئْتُمُونَا) أى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمير يجوز أن يكون عامل النصب فى يوم نسير (كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أى لقد مبتثناكم كما أنشأناكم أول مرة أو جئتمونا مرة لا شئء ممكم كما خلقناكم أولاً وإنما قال وحشرناهم ماضياً بعد نسير وترى للدلالة على

حشرهم قبل التفسير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأحوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (بَلْ زَعَمْتُمْ  
أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا) وقتاً لإنجاز ما وعدتم على السنة الأنياء من البعث والنشور أو مكان  
ومعد للمحاسبة (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) أى صحف الأعمال (فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُسْتَفِيقِينَ) حائفين  
(رِمَتْ فِيهِ) من الذنوب (وَيَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ إِنَّ هَذَا الِكْتَابُ لَا يَقَادِرُ صَبْرَةَ وَلَا كِبِيرَةَ)  
أى لا يترك شيئاً من المعاصي (إِلَّا أَخْصَاهَا) حصرها وضبطها (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاشِرًا)  
فى الصحف عتيداً أو جزاء ما عملوا (وَلَا يَظِلُّ رُبُّكَ أَحَدًا) فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد  
فى عتابه أو يذهب بغير جرم (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سجود محبة أو سجود  
إعتقاد (نَسْجُدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) وهو مستأنف كأن قائله قال ما له لم يسجد  
قبل كان من الجن (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) خرج عما أمره به من السجود هو إيل  
على أنه كان مأموراً بالسجود مع الملائكة (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ) الهمة للإنكار والتعجب  
كأنه قيل أعقوب ما وجد منه تتخذونه وذريته (أَوَلَيْكَ مِنْ دُونِي) وتستبدلونهم بى ومن  
ذريته لا قيس موسوس الصلاة والأهوار صاحب الزنا وبتر صاحب المصاب ومطوس صاحب  
الأراجيف ودام يدخل ويأكل مع من لم يسم الله تعالى (وَهُمْ لَكُمُ عَدُوٌّ) أعداء (يُنْسِ  
لِلْفَاسِقِينَ بَدَلًا) ينس البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعة الله (مَا أَشْهَدُكُمْ)  
أى إبليس وذريته (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يعنى أنكم اتخذتموهم شركاء فى العبادة  
وإنما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء فى الإلهية فنفى مشاركتهم فى الإلهية بقوله ما أشهدهم  
خلق السموات والأرض لأعترض بهم فى خلقها أو أشاورهم فيه أى تفردت مخلق الأشياء  
فأفردوني فى العبادة (وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ) أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا  
أنفسكم (وَمَا كُنْتُمْ مُتَخِذِينَ) أى وما كنت متخذهم (عُصْدًا) أى أعواناً فوضع  
الضالين موضع الضمير ذماً لهم بالإضلال فإذا لم يكونوا عضداً لى فى الخلق فالسكمت تتخذونهم  
شركاء لى فى العبادة (وَيَوْمَ يَقُولُ) الله للكفار، وبالنون حمزة (نَادُوا) ادعوا بصوت عال  
(شُرَكَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ) أنهم فيكم شركاء ليعتموكم من عذابى وأراد الجن وأصناف  
الشركاء إليه على زعمهم تويخاً لهم (فَدَعَوْهُمْ) فلم يستجيبوا لهم وَجَمَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا  
مهلكاً من وبق يبق وبوقاً إذا هلك أو مصدر كالوعد أى وجملنا بينهم وادياً من أودية جهنم



وهو مكان الهلاك والذاب الشديد مشتركاً يهلكون فيه جميعاً أو الملائكة وعيسى  
واللوق البرزخ البعيد أى وجلنا بينهم أمداً بعيداً لأنهم فى قمر جهنم وهم فى أعلى الجنان  
( وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا ) فأيقنوا ( أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا ) غالطوها واقنوا فيها ( وَلَمْ  
يَجِدُوا عَنْهَا ) عن النار ( مَصْرَفًا ) مدلاً ( وَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ  
مَثَلٍ ) يحتاجون إليه ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ) تميز أى أكثر الأشياء التى  
يتأنى منها الجدل إن فصلتها واحداً بعد واحد خصومة ومارة بالباطل يعنى أن جدل الإنسان  
أكثر من جدل كل شئ ( وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى ) أى سببه  
وهو الكتاب والرسول ( وَيَسْتَفِرُّوهُ رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الذُّبَابُ )  
أن الأولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الإيمان والاستغفار  
إلا انتظار أن تأتيم سنة الأولين وهى الإهلاك أو انتظار أن تأتيم العذاب أى عذاب الآخرة  
( قُبُلًا ) كوفى أى أنواع جمع قبيل. الباقون قبلاً أى عياناً ( وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا الْأَنْبِيَاءَ  
وَالْمُنذِرِينَ ) يوقف عليه ويستأنف بقوله ( وَيُجَدِّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ ) هو قولهم  
للمرسلى ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لآنزل ملائكة ونحو ذلك ( لِيُذْخِرُوا بِهِ الْعَذَابَ )  
ليزيلوا ويطلوا بالجدال النبوة ( وَاتَّخَذُوا آيَاتِنَا ) القرآن ( وَمَا أَنْذَرُوا ) ما موصولة  
والراجع من الصلة محذوف أى وما أنذروه من العقاب أو مصدرة أى وإنذارهم ( هُزُوا ) موضع  
استهزاء بسكون الزاى والهمزة حمزة وبإبدال الهمزة واوا حفص وبضم الزاى والهمزة غيرهما  
( وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ) بالقرآن ولذلك رجع الضمير إليها مذكراً فى قوله  
أَنْ يَفْقَهُوه ( فَأَعْرَضَ عَنْهَا ) فلم يذكّر حين ذكر ولم يتدبر ( وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ) عاقبة  
ماقدمت يده من الكفر والمعاصى غير متفكر فيها ولا ناظر فى أن السوء والمحسن لا بد لها  
من جزاء ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم بقوله ( إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ  
أَكِنَّةً ) أغطية جمع كنان وهو الغطاء ( أَنْ يَفْقَهُوه وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ) قلا من استماع  
الحق وجمع بعد الأفراد حملا على لفظ من ومعناه ( وَإِنْ تَدْعُهُمْ ) إلى الهدى إلى الإيمان

( فَلَنْ يَهْتَدُوا ) فلا يكون منهم اهتداء البتة ( إِذَا ) جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سبباً في انتفائه وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله مالى لأدعوه حرصاً على إسلامهم قليل وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا ( أَبَدًا ) مدة التكليف كلها ( وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ) البليغ للفترة ( ذُو الرَّحْمَةِ ) الموصوف بالرحمة ( لَوْ يُوَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجِلَ لَهُمُ الْعَذَابُ ) أى ومن رحمته ترك مؤاخذته أهل مكة عاجلاً مع فرط عداوتهم لرسول الله ﷺ ( بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ ) وهو يوم بدر ( لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا ) منجى ولا ملجأ يقال وال إذا نجا ووال إليه إذا لجأ إليه ( وَرَبُّكَ ) مبتدأ ( اقْرَأْ ) صفة لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس والخبر ( أَهْلَكْتَهُمْ ) أو تلك القرى نصب بإظهار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وحمود ( لَمَّا ظَلَمُوا ) مثل ظلم أهل مكة ( وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ) وضرينا لإهلاكهم وقتاً معلوما لا يتأخرون عنه كما ضرينا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الإهلاك ووقته . وفتح الميم وكسر اللام فحس وبفتحهما أي بكر أى لوقت هلاكهم أولهلاكم والموعود وقت أو مصدر ( وَإِذْ ) وإذا ذكر إذا ( قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ ) هو يوشع بن نون وإنما قيل فتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم ( لَا أَبْرَحُ ) لا أزال وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه أما الأولى فلائها كانت حال سفر وأما الثانى فلأن قوله ( حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ) غاية مضروبة تستدعى ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين وهو المكان الذى وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملقى ببحر فارس والروم وسعى حضرا لأنه أينما يصلح يخضر ماحوله ( أَوْ أَمِضْ حُبًّا ) أو أسير زمانا طويلا فيل ثمانون سنة . روى أنه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بها بسد هلاك القبط سأل ربه أى عبادك أحب إليك؟ قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى؟ قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك أعلم؟ قال الذى ينتهى علم الناس إلى علمه مى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده من ردى، فقال إن كان فى عبادك من هو أعلم منى فدلى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكثك فحيث قدته فهو هناك فقال لقاءه إذا قدت الحوت فأخبرنى فذهب عيشيان فرقد موسى

فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت النداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقومه في البحر فأثبا الصخرة فإذا رجل مسجى يشوبه قسمل عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام غمره نفسه فقال يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمك الله لا أعلمه أنا ( فَلَمَّا بَلَغْنَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا ) مجمع البحرين ( نَسِيًا حُوتَهُمَا ) أى نسى أحدهما وهو يوشع لأنه كان صاحب الزاد دليله فإني نسيت الحوت وهو كقولهم نسوا زادهم وإنما ينسأ متمهد للزاد قيل كان الحوت سمكة مملوحة فنزلا ليلة على شاطئ عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقفت في الماء ( فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ ) أى اتخذ طريقا له من البر إلى البحر ( مَرَبًّا ) نصب على المصدر أى سرب فيه سريا يعنى دخل فيه واستربه ( فَلَمَّا جَاوَزَا ) مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ماشاء الله ( قَالَ ) موسى ( لِقَتُهُ ) وأتينا غداً أنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً ) تعباً ولم يصب ولا جاع قبل ذلك ( قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ) هى موضع الوعد ( فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ) ثم اعتذر فقال ( وَمَا أَنْسَيْتُهُ ) وبضم الهاء حفص ( إِلَّا الشَّيْطَانُ ) يالقاه الخواطر في القلب ( أَنْ أَذْكُرَهُ ) بدل من الهاء فى أنسانيه أى وما أنساني ذكره إلا الشيطان ( وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ) وهو أن أثره بقى إلى حيث سار ( قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ) نطلب بالياء مكى واقفه أبو عمرو وعلى ومدنى فى الوصل وينيرىاء فيها غير ما اتباعا لخط المصحف وذلك إشارة إلى اتخاذهم سبيلاى ذلك الذى كنا نطلب لأن ذهاب الحوت كان علما على قهات الخضر عليه السلام ( فَأَرَادَا عَلَى آثَارِهِمَا ) فرجعا فى الطريق الذى جاءا فيه ( فَمَتَصَا ) يقصان قصصا أى يقبمان آثارهما اتباعا قال الزجاج: القصص اتباع الأثر ( فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ) أى الخضر واقدا تحت ثوب أو جالسا فى البحر ( هَآتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ) هى الرضى والنبوة أو العلم أو طول الحياة ( وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ) يعنى الإخبار بالغيوب وقيل العلم الدنى ما حصل للعبد بطريق الإلهام ( قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ هَآئِلًا أَنْ تُكَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَنِي رُشْدًا ) أى علما ذا رشد أرشد به فى ديني رُشداً أبو عمرو وما ثقتان كالبيخل والبيخل وفيه دليل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه ( قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ ) وفتتح الياء حفص وكذا ما بعده فى هذه السورة ( مَبْرًا ) أى عن الإنكار والسؤال ( وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ

بِهِ خُبْرًا ) تميز نفي استطاعة الصبر منه على وجه التأكيد وعلى ذلك بأنه يتولى أموراً هي  
 في ظاهرها من أكبر والرجل الصالح لا يتألم أن يجرع إذا رأى ذلك فكيف إذا كان نبياً  
 ( قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ) من الصابرين عن الإنكار والإعراض ( وَلَا أَغْصِي  
 لَكَ أَمْرًا ) في عمل النصب عطف على صابراً أي ستجدني صابراً وغير عاصٍ أو هو عطف على  
 ستجدني ولا عمل له ( قَالَ فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي ) بفتح اللام وتشديد النون مدني وشامي  
 وبسكون اللام وتخفيف النون غيرهما والياء ثابتة فيهما لإجماعا ( عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُخْدِتَ لَكَ  
 مِنْهُ ذِكْرًا ) أي فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئاً وقد علمت أنه صحيح إلا أنه  
 خفي عليك وجه محته فانكرت في نفسك أن لا تفتأخني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون  
 أنا الفاتح عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع ( فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا  
 فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ) فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال أحدهما من  
 اللصوص وقال صاحب السفينة أرى وجوه الأنبياء فملأوها بغير نول فلما لججوا أحد الحضرم  
 الفأس فغرق السفينة بأن قلع لوحين من أواحها مما يلي الماء فجعل يوسى بسد الحرق بثيابه  
 ثم ( قَالَ آخِرُ قَتْلَهَا لَتُغْرَقَ أَهْلُهَا ) لتغرق حمزة وعلى من غرق ( لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ) أي  
 شيئاً عظيماً من أمر الأمر إذا عظم ( قَالَ ) أي الحضرم ( أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ أَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ  
 صَبْرًا ) فلما رأى موسى أن الحرق لا يدخله الماء ولم يفر من السفينة ( قَالَ لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا  
 نَسِيتُ ) بالذي نسيت أو بشيء نسيت أو بنسياني أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذه على النامى  
 أو أراد بالنسيان الترك أي لا تواخذه بما تركت من وصيتك أول مرة ( وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي  
 حُسْرًا ) رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أي ولا تنشني عسراً من أمري وهو اتباعه إياه أي ولا تنسر على  
 متابعتك ويسرها على بالإغضاء وترك المناقشة ( فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا قَتَلَهُ ) قيل ضرب  
 برأسه الحائط وقيل أضججه ثم ذبحه بالسكين وإنما قال قتلته بالفاء وقال خرقها بغير فاء لأن  
 خرقها حمل جزاء للشرط وجعل قتلته من جملة الشرط معطوفاً عليه والجزاء ( قَالَ أَقْتَلْتُ نَفْسًا )  
 وإنما خولف بينهما لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام ( ذِكْيَةً )  
 ذاكية حجازي وأبو عمرو وهي الطاهرة من الذنوب إيمانها طاهرة عنده لأنه لم يرها قد أذنبت  
 أولاًها صغيرة لم تبلغ الحنث ( يَتَبَرَّ نَفْسٍ ) أي لم تقتل نفساً فيقتص منها وعن ابن عباس

رضى الله تعالى عنهم أن نجدة الحرورى كتب إليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل الولدان فكُتِبَ إليه أن علمت من حال الولدان ما علمه موسى فلك أن تقتل (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) وبضم الكاف حيث كان مدنى وأبو بكر وهو النكر وقيل النكر أقل من الإمر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة أو معناه جئت شيئا أنكر من الأول لأن الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تدارك القتل (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) زاد لك هنا لأن التكليف أكثر (قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا) بعد هذه الكرة أو المسئلة (فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا) أعذرت فيما بينى وبينك فى الغراق. ولدنى بتخفيف النون مدنى وأبو بكر (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ) هي انطاكية أو الأيلة وهي أبعد أرض الله من السماء (اسْتَظْمَمَتَا أَهْلَهَا) استضافا (فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا) ضيفه أنزله وجعله ضيفه قال عليه السلام «كانوا أهل قرية لثاماً» وقيل شر القرى التى تبخل بالقرى (فَوَجَدَا فِيهَا) فى القرية (جِدَارًا) طولها مائة ذراع (يُرِيدُ أَنْ يُنْفَضَ) يكاد يسقط استعيرت الإرادة للمداناة والمشاركة كما استعير الهم والمزم لذلك (فَأَقَامَهُ) بيده أو مسحه بيده فقام واستوى أو وقع به وبناء كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى الطعام وقد رُدَّ هُما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدوا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن (قَالَ لَوْ شِئْتُ لَتَخَذْتُ عَلَيْكَ أَجْرًا) أى طلبت على مالك جملا حتى تستدفع به الضرورة. لتخنت بتخفيف التاء وكسر الخاء وإدغام الدال بصرى وإظهارها مكى وبتشديد التاء وفتح الخاء وإظهار الدال حفص وبتشديد التاء وفتح الخاء وإدغام الدال فى التاء غيرهم والتاء فى تخذ أصل كما فى تبع واتخذ اقتل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ فى شيء (قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ) هنا إشارة إلى السؤال الثالث أى هذا الاعتراض سبب الفراق والأصل هذا فراق بينى وبينك وقد قرئ به فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى للقول به (سَأَنبِتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّيْفَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَمْشُونَ فِي الْبَحْرِ) قيل كانت ل عشرة أخوة خمسة منهم زمنى وخسة يملون فى البحر (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) أجعلها ذات عيب (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ) أمامهم أو خلفهم وكان طريقهم فى رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندى (يَأْخُذُ كُلُّ

سَفِينَةٍ غَصْبًا) أى يأخذ كل سفينة سالحة لأعيب فيها غصباً وإن كانت معيبة تركها وهو مصدر أو مفعول له فإن قلت قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب قلت المراد به التأخير وإنما قدم العناية (وَأَمَّا النَّمْلُ) وكان اسمه الحسين (فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) خففنا أن يفسى الوالدان المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لثمتهما بمقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء أو يمديهما بدائه ويضلعهما بضلاله فيرتدا بسببه وهو من كلام الخضر وإنما خشي الخضر منه ذلك لأنه تعالى أعلمه بحاله وأعلمه على سر أمره وإن كان من قول الله تعالى ففنى نخشنا فلمن أن عاش أن يصير سيال الكفر والديه (فَأَرَادْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا) يبدلهم إيمانهم بدينهم وأبو عمرو (خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً) طهارة ونقاء من الذنوب (وَأَقْرَبَ رُحْمًا) رحمة وعطفا وزكاة ورحما تميز روى أنه ولدت لها جارية تزوجها نبي فولدت نبياً أو سبعين نبياً أو أبليها إبنامونا مثلها رُحْمًا شأى وهما لفتان (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ) أصرم وصريم (يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ) هي القرية المذكورة (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا) أى لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا قلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله أو مال مدفون من ذهب وفضة أو مخف فيها علم والأول أظهر وعن قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلنا لنا (وَكَانَ أَبُوهُمَا) قيل جدما السابع (مِّنْ صَالِحِينَ) ممن يصحبني وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله التلاميذ قال بصلاح أبيهما قال فأبى وجدى خير منه (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَنَا أَشَدَّهُمَا) أى الحلم (وَيَسْتَخِرْ بِنَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً) مفعول له أو مصدر منصوب بأراد ربك لأنه فى معنى رَحْمَةً (مِّنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ) وما فعلت ما رأيت (عَنْ أَمْرِي) عن اجتهدى وإنما فعلته بأمر الله والهاء تعود إلى الكل أو إلى الجدار (ذَلِكَ) أى الأجوبة الثلاثة (تَأْوِيلُ مَا كُنْتُمْ تَسْطِعُونَ عَلَيْهِ صَبْرًا) حذف التاء تخفيفاً وقد زل أقدام أقوام من الضلال فى تقصيل الولي على النبي وهو كفر جلي حيث قالوا أمر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولي والجواب أن الخضر نبي وإن لم يكن كما زعم

البعض فهذا ابتلاء في حق موسى عليه السلام على أن أهل الكتاب يقولون إن موسى هذا ليس موسى بن عمران إنما هو موسى بن مانان ومن الحال أن يكون الولي ولياً إلا بإيمانه بالنبي ثم يكون النبي دون الولي ولا غشاشة في طلب موسى العلم لأن الزيادة في العلم مطلوبة وإنما ذكر أولاً فأردت لأنه إفساد في الظاهر وهو فعله ومثالثاً فأراد ربك لأنه إنعام محض وغير مقدور البشر وثانياً فأردنا لأنه إفساد من حيث الفعل إنعام من حيث التبديل وقال الزواج معنى فأردنا فأراد الله عز وجل ومثله في القرآن كثير (وَيَسْأَلُونَكَ) أي اليهود على جهة الامتحان أو أبوجهل وأشياعه (عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ) هو الإسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران غرود ويختصر وكان بعد غرود وقيل كان عبداً صالحاً ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة فإذا سرى بهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن علي رضي الله عنه أنه قال ليس بمك ولا نبي ولكن كان عبداً صالحاً ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فأتى ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فأتى فبعثه الله فسمى ذا القرنين وفيكم مثله أراد نفسه قيل كان يدهوم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وقال عليه السلام «سمى ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا» يعني جانبها شرقاً وغرباً وقيل كان له قرنان أي صغيرتان أو انقرض في وقته قرنان من الناس أو لأنه ملك الروم وفارس أو الترك والروم أو كان لتاجه قرنان أو على رأسه ما يشبه القرنين أو كان كريم الطرفين أبا وأما وكان من الروم (قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ) من ذي القرنين (ذِكْرًا إِنَّا مَكْنُالُهُ فِي الْأَرْضِ) جعلناه فيها مكانة واعتلاء (وَأَتَيْنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) أرادته من أغراضه ومقاصده في ملكه (سَبِيًّا) طريقاً موصلاً إليه (فَأَتْبَعَ سَبِيًّا) والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة فأراد بلوغ المغرب فأتبع سبياً. يوصله إليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع سبياً وأراد بلوغ السدين فأتبع سبياً. فأتبع سبياً ثم أتبع كوفي وشامي الباقون يوصل الألف وتشديد التاء عن الأسمي أتبع الحق واتبع اتقى وإن لم يلحق (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ) أي انتهى المهارة نحو المغرب وكذا المطلع قال عليه السلام «بدء أمره أنه وجد في الكتب أن أحداً أولاد سام يشرب من عين الحياة فيخلد فجعل يسير في طلبها وانحصر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين» (وَجَدَهَا تَرْبُ فِي عَيْنٍ

حَمِيَّةً) ذات حماة من حثت البئر إذا صارت فيها الحماة حامية شامى وكوفى غير حفص بمعنى حارة وعن أبي ذر كنت رديف رسول الله ﷺ على جبل فرأى الشمس حين غابت فقال «أندرى بأبازر أين تغرب هذه» قلت الله ورسوله أعلم قال «فإنها تغرب في عين حامية» وكان ابن عباس رضى الله عنهما عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله ابن عمرو كيف تقرأها فقال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأحبار كيف تجدد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة فوافق قول ابن عباس رضى الله عنهما ولا تنافي فجاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا (وَوَجَدَ عِنْدَهَا) عند تلك العين (قَوْمًا) هرة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم مالط البحر وكانوا كفارا (قُلْنَا يَا الْقَارِئِينَ إِنَّمَا أَنْتُمْ مُعَذِّبُونَ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ تُنْزِلُونَ فِيهِمْ حُسْنًا) إن كان نبياً فقد أوحى الله إليه بهذا وإلا فقد أوحى إلى نبي فأمره النبي به أو كان إلهاماً خير بين أن يمنهم بالقتل إن أصروا على أمرهم وبين أن يتخذ فيهم حسناً يا كرامهم وتعلم الشرائع إن آمنوا أو التعذيب القتل واتخاذ الحسن الأمر لأنه بالنظر إلى القتل إحسان (قَالَ) ذو القرنين (أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ) بالقتل (ثُمَّ يَرْدُّهُ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًّا) في القيامة معنى أما من دعوته إلى الإسلام فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم وهو الشرك فذاك هو العذب في الدارين (وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) أى عمل ما يقتضيه الإيمان (فَلَهُ جَزَاءٌ أَحْسَنُ) فله جزاء القلة الحسنى لى هى كلمة الشهادة. جزاء الحسنى كوفى غير أبى بكرأى فله القلة الحسنى جزاء (وَسَنَقُولُ لَهُ سِنًا أَمْرًا يُسْرًا) أى ذا يسر أى لأنأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل التيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ) هم الزنج (لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا) من دون الشمس (سِتْرًا) أى أبنية عن كعب أرضهم لاتمسك الأبنية ربها أمربا فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معاشهم أو للستر اللباس عن مجاهد من لايلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض (كَذَٰلِكَ) أى أمر ذى القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيماً لأمره (وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ) من الجنود والآلات وأسباب الملك (خُبْرًا) نصب على المصدر لأن فى أحطنا معنى خبرنا أو بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أى كما بلغ مغربها أو تطلع على قوم مثل



ذلك القبيل الذي تقرب عليهم بمعنى أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيًّا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) بين الجبلين وهما جبلان سندوا للقرنين ما بينهما السدين وسداً مكي وأبو عمرو وحفص السدين وسداً حمزة وعلى وبضمهما غيرهم قيل ما كان مسدوداً خلقه فهو مضموم وما كان من عمل المباد فهو مفتوح واتصّب بين على أنه مفعول به لبلغ كما أنجز بالإضافة في هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في لقد تقطع بينكم لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفاً وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق (وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا) من ورأيهما (قَوْمًا) هم الترك (لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا) أي لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها. يُفْقَهُونَ حمزة وعلى أن لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لأن لفهم غريبة محمولة (قَالُوا يَذَّا الْقَرْنَيْنِ) (إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ) هما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وهما من ولد يافث أو يأجوج من الترك وماجوج من الجبل والديلم (مُسَدَّدُونَ فِي الْأَرْضِ) قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الريح فلا يتركون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه ولا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفروطو الطول وقصار مفروطو القصر (فَقُلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا) خراجاً حمزة وعلى أي جملاً نخرجه من أموالنا ونظيرها النول والنوال (عَلَى أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي) بالإدغام وبفكه مكي (فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ) أي ما جعلني فيه مكيثاً من كثرة المال واليسار خير مما يثقلون لي من الخراج فلا حاجة لي إليه (فَأَعِزُّونِي بِقُوَّةٍ) بفعلة وصناع محسنون البناء والعمل والآلات (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) جداراً وحاجزاً أحصينا موتها والردم أكبر من السد (ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ) قطع الحديد والذرة القطعة الكبيرة قيل حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنتحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سدما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع النار فيه حتى إذا سارت كالنار صب النتحاس المذاب على الحديد المحي فأخلط والتصق ببعضه ببعض وصار جليداً وصلداً وقيل بسدما بين السدين مائة فرسخ (حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ السَّدَّيْنِ) يفتحتان جانبي الجبلين لأنها تصادفان أي يتقابلان. السدّين مكي وبصري وشامي. السدّين أبو بكر

(قَالَ انْفُخُوا) أَيْ قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ لِلْمَلِكَةِ انْفُخُوا فِي الْحَدِيدِ (حَتَّى إِذَا جَمَعَهُ) أَيْ الْمَنْفُوخُ فِيهِ وَهُوَ الْحَدِيدُ (فَارَأَ) كَالنَّارِ (قَالَ أَتَوْنِي) أَعْطُونِي (أَفْرِغْ) أَسْبِ (عَلَيْهِ قَطْرًا) نَحَاسًا مَذَابًا لِأَنَّهُ يَقَطِرُ وَهُوَ مَقْصُوبٌ بِأَفْرِغْ وَتَقْدِيرُهُ أَتَوْنِي قَطِرًا أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطِرًا خِزْفَ الْأَوَّلِ لِدَلَالَةِ الثَّانِي عَلَيْهِ قَالَ أَتَوْنِي بِوَسْلِ الْأَلْفِ حَمَزًا وَإِذَا ابْتَدَأَ كَسَرَ الْأَلْفَ أَيْ جِئْتُونِي (فَمَا اسْتَطَلُّوا) بِخِزْفِ النَّاءِ لِلخَفَةِ لِأَنَّ النَّاءَ قَرِيبَةُ الْخُرْجِ مِنَ الطَّاءِ (أَنْ يَظْهَرُوا) أَنْ يَمْلُوا السَّدَّ (وَمَا اسْتَطَلُّوا لَهُ نَقَبًا) أَيْ لَا حِيلَةَ لَهُمْ فِيهِ مِنْ سَمُودَ لارتفاعه وَلَا نَقَبَ لصلابته (قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي) أَيْ هَذَا السَّدُّ نَمَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ عَلَى عِبَادِهِ أَوْ هَذَا الْإِقْدَارُ وَالْحَكِيمُ مِنَ نَسِيتِهِ (فَإِذَا جَاءَ وَعُدُّ رَبِّي) فَإِذَا دُنِيَ عَمِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشَارَفَ أَنْ يَأْتِيَ (جَمَعَهُ) أَيْ السَّدَّ (دَكَّاءَ) أَيْ مَدْكُوكًا مَبْسُوطًا مَسْوًى بِالْأَرْضِ وَكُلُّ مَا يَنْسَبُ بَعْدَ ارْتِفَاعٍ فَقَدْ اذْدَكَّ دَكَاهُ كَوْنِ أَيْ أَرْضًا مُسْتَوِيَةً (وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) آخِرُ قَوْلِ ذِي الْقَرْنَيْنِ (وَتَرَكْنَا) وَجَمَلْنَا (بَعْضَهُمْ) بَعْضُ الْخَلْقِ (يَوْمَئِذٍ يَمْوجُ) يَخْتَلِطُ (فِي بَعْضٍ) أَيْ يَطْرِبُونَ وَيَخْتَلِطُونَ بِالسَّهْمِ وَجَنَهِمْ حَيَارَى وَيَمْجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِأَجْوَجٍ وَمَأْجُوجٍ وَأَنَّهُمْ يَمْجُورُونَ حِينَ يَخْرُجُونَ مِمَّا وَرَاءَ السَّدِّ مُزْدَحَجِينَ فِي الْبِلَادِ وَرَوَى أَنَّهُمْ يَأْتُونَ الْبَحْرَ فَيَشْرِبُونَ مَاءَهُ وَيَأْكُلُونَ دَوَابَّهُ ثُمَّ يَأْكُلُونَ الشَّجَرَ وَمِنْ ظَفَرُوهُ بِهِ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَأْتُوا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَبَيْتَ الْقُدْسِ ثُمَّ يَمُوتُ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَقْبَاتِهِمْ فَيَسْخَلُ فِي أَذَانِهِمْ فَيَمُوتُونَ (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) لِقِيَامِ السَّاعَةِ (فَجَمَعْنَاهُمْ) أَيْ جَمَعَ الْخَلْقَ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ (جَمَعًا) تَأْكِيدَ (وَعَرَضْنَاهُمْ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا) وَأَظْهَرْنَا لَهُمْ فِرَاقَهُمَا وَشَاهَدَهُمَا (الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي) عَنْ آيَاتِي الَّتِي يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَوْ عَنِ الْقُرْآنِ فَأَذْكُرُهُ بِالْمَعْظِمِ أَوْ عَنِ الْقُرْآنِ وَتَأْمُلُ مَعَانِيهِ (وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) أَيْ وَكَانُوا صَامِعِينَ إِلَّا أَنَّهُ أَبْلَغَ إِذْ الْأَصْمُ قَدِ اسْتَطَاعَ السَّمْعَ إِذَا سَمِعَ بِهِ وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ أَسْمِيتُ أَسْمَاعَهُمْ فَلَا اسْتَطَاعَةَ لَهُمْ السَّمْعَ (أَفَحَصِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ) أَيْ أَقْضَى الْكَفَّارِ اتِّخَاذَهُمْ عِبَادِي يَمْنَى الْمَلَائِكَةِ وَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَوْلِيَاءَهُمْ نَافِثُهُمْ بِشَيْءٍ مَاضٍ وَقِيلَ أَنْ يَصِلَتْهَا سِدٌّ مَسْدٌ مَقْصُولٌ الْحَسْبُ وَعِبَادِي أَوْلِيَاءَهُمْ مَقْصُولًا أَنْ يَتَّخِذُوا هَذَا أَوْجَهَ يَمْنَى أَنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ (إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا) هُوَ مَا يَقَامُ لِلنَّزِيلِ وَهُوَ الضَّمِيمُ وَنَحْوُهُ فَمَشَرَهُمْ بِمَذَابِ الْإِلْمِ (فَلَنْ نَنْبَسُكُمْ إِلَّا أَخْسَرِينَ

أَعْمَلًا) أعمالا تميز وإنما جمع والقياس أن يكون مفردا لتنوع الأهواء وم أهل الكتاب  
أو الرهبان (الَّذِينَ مَلَ سَمِيَهُمْ) ضاع وبطل وهو في محل الرفع أى هم الذين (فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَاءِهِ  
فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا) فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار (ذَلِكَ  
جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمُ) هى عطف بيان لجزاؤهم (بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا)  
أى جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزاءهم بآيات الله ورسله (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا) حال (لَا يَبْغُونَ فِيهَا حَوْلًا) تحولا  
إلى غيرها رضا بما أعطوا يقال حال من مكانه حولا أى لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم  
إلى أجمع لأغراضهم وأمانهم وهذه غاية الوصف لأن الإنسان فى الدنيا فى أى نعيم كان فهو  
طامع مائل الطرف إلى أرفع منه أو المراد فى التحول وتأكيده الخلود (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ  
أى ماء البحر (مِدَادًا لِّكَلِمَتِ رَبِّي) قال أبو حبيبة اللداد ما يكتب به أى لو كتبت كلمات  
هلم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس (لَفَتَدَّ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ  
كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِثًّا بِمِثْلِهِ) بمثل البحر (مددًا) لنفد أيضا والكلمات غير نافذة ومددا  
تميز نحولى مثله رجال والدد مثل اللداد وهو ما عده. ينفد حزة على، وقيل قال حى بن أخطب  
فى كتابكم ومن يؤث الحكمة قد أدنى خيرا كثيرا ثم تقرأون وما أدبهم من العلم إلا قليلا  
فنزلت يبنى أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ  
يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَمَن كَانَ يَأْمُلْ حَسَنَ  
لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول أو فمَن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد باللقاء التذوم عليه  
وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا جرى على حقيقته (فَلْيَسْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا)  
خالسا لا يريد به إلا وجه ربه ولا يخلط به غيره وعن يحيى بن معاذ هو ما لا يستحى منه (وَلَا  
يُشْرِكْ بِمَبَادِي رَبِّهِ أَحَدًا) هو نعى عن الشرك وعن الرياء قال عليه السلام «اتقوا الشرك الأسمغر»  
قالوا وما الشرك الأسمغر قال «الرياء» قال عليه السلام «من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام  
من كل فتنة تكون فإن يخرج الجبال فى تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال، ومن قرأ قل  
إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يوحى إلى الله آخرها عند مضجعه كان له نور يتلأل من مضجعه إلى

مكة حشو ذلك النور ملائكة يملأون عليه حتى يقوم من مضجعه وإن كان مضجعه بمكة فتلاها  
كان له نور يثلاً من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يملأون عليه ويستغفرون  
له حتى يستيقظ .

( سورة مريم عليها السلام مكية، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية مدني وشامي )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( كَسَمِّمْسَ ) قال السدي هو اسم الله الأعظم وقيل هو اسم للسورة قرا على ويحيى بكسر  
الماء والياء ونافع بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب وأبو عمرو بكسر الماء وفتح الياء وحمزة  
بمكسه وغيرهم بفتحهما ( ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ ) خبر مبتدأ أى هذا ذكر ( عَبْدُهُ ) فاعول  
الرحمة ( زَكْرِيَّا ) بالقصر حمزة وعلى وحفص وهوبدل من عبده ( إِذْ ) ظرف للرحمة ( نَادَى  
رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ) دعاء دعاء سرا كما هو المأمور به وهو أبعد عن الزيادة وأقرب إلى الصفاء  
أو أخفاء لئلا يلام على طلب الولد في أو ان الكبر لأنه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة  
( قَالَ رَبِّ ) هذا تفسير الدعاء وأصله ياربي تخفف حرف النداء والمضاف إليه اختصاوا ( إِنْ )  
وَهَنَ الظُّنْمُ مِنِّي ) ضيف وخص العظيم لأنه مود البدن وبه قوامه فإذا وهن ندامى وتساقت  
قوته ولأنه أشد مافيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ووحده لأن الواحد هو الدال على  
معنى الجنسية والبراد أن هذا الجنس الذى هو الممود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد تدأصابه  
الوهن ( وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا ) تميز أى فشا فى رأسى الشيب واشتملت النار إذا تفرقت  
فى التهاجها وصارت شعلا فتشبه الشيب بشواظ النار فى يابسه واقتشاره فى الشعر وأخذ منه  
كل مأخذ باشتعال النار ولا ترى كلاما أفصح من هذا الا ترى أن أصل الكلام يارب قد شغفت  
إذا الشيوخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس التمرض لهما وأقوى منه ضعف بدنى  
وشاب رأسى فقيه مزيد التقرير للتفصيل، وأقوى منه وهنت عظام بدنى فقيه عدول عن التصريح  
إلى الكناية فعلى أبلغ منه وأقوى منه أنا وهنت عظام بدنى وأقوى منه إني وهنت عظام بدنى  
وأقوى منه إني وهنت العظام من بدنى فقيه ساوكت طريق الإجمال والتفصيل وأقوى منه إني  
وهنت العظام منى فقيه ترك توسيط البدن وأقوى منه إني وهنت العظام منى لشمول الوهن

العظام فرداً فرداً باعتبار ترك جمع العظم إلى الأفراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد ولهذا تركت الحقيقة في شاب رأسى إلى أبلغ وهي الاستعادة فحصل اشتعل شيب رأسى وأبلغ منه اشتعل رأسى شيلاً الإسناد الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس لإفادة شمول الاشتعال الرأس إذ وزان اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيلاً وزان اشتعل النار في بيتى واشتعل بيتى نارا والفرق نير ولأن فيه الإجمال والتفصيل كما عرف في طريق التمييز وأبلغ منه واشتعل الرأس منى شيلاً لامر وأبلغ منه واشتعل الرأس شيلاً فقيه اكتفاء بلم المخاطب إنه رأس ذكرها بقرينة المطف على وهن العظم (وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ) مصدر مضاف إلى المفعول أى بدعائى إياك (رَبِّ شَقِيًّا) أى كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سميداً به غير شقى فيه يقال سمد فلان بحاجته إذا ظفر بها وشقى إذا خاب ولم ينلها وعن بعضهم أن محتاجاً سألوه وقال أنا الذى أحسنت إلى وقت كذا فقال مرحباً بمن توسل بنا إليها وقت حاجته وقضى حاجته (وَأِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ) هم عصبة اخوته وبنوهم وكانوا شرار بنى إسرائيل فخافهم أن يثيروا الدين وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدى به فى إحياء الدين (مِنْ وَرَائِي) بدموى وبالقرى وفتح الباء كهدى مكى وهذا الظرف لا يتعلق بمنعت لأن وجود خوفه بعد موته لا يتصور ولكن محذوف أو بمعنى الولاية فى الموالى أى خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورأى، أو خفت الذين يكون الأمر من ورأى (وَكَانَتْ أُمْرَاتِي عَاقِرًا) عقيلاً لا تلد (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ) اختراعاً منك بلا سبب لأن امرأتى لاتصلح الولادة (وَلِيًّا) إبتنا على أمرك بحدى (يَرْثِي وَيُتِ) برغمها سفة لوليا أى هب لى ولداً وارثاً منى العلم ومن آل يعقوب النبوة ومعنى وراثه النبوة أنه يصلح لأن يوحى إليه ولم يرد أن نفس النبوة تورث ويجزمها أبو عمرو وعلى على أنه جواب للدعاء يقال ورثته وورثت منه (مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) يعقوب بن إسحق (وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) مرضياً رضاء أو راضياً عنك وبحكمك فأجاب الله تعالى دعاءه وقال (يَزَكِّيْنَا إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى) تولى الله تسميته تشرىفاله. نبشرك بالتخفيف حمزة (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) لم يسم أحد يعحى قبله وهذا دليل على أن الاسم الغريب جدير بالآخرة وقيل مثلاً وشبهها ولم

يكن له مثل في أنه لم يمس ولم يمسهم بمصيبة قط وأنه ولد بين شيخ وعجوز وأنه كان حصورا فلما بشرته الملائكة به ( قَالَ رَبِّ أُنِّي ) كيف ( يَكُونُ لِي غُلَمٌ ) وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف أنه بأي طريق يكون أيوب له وهو وامرأته بتلك الحال أم يحولان شابين ( وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ) أى بلغت عتيا وهو اليبس والجسوة في الفاصل والعظام كالود اليابس من أجل الكبر والطمع في السن المالية عتيا وسليا وجفيا وبكيا بكسر الأوائل حمزة وعلى وحقق إلا في بكيا ( قَالَ كَذَلِكَ ) السكاف رفع أى الأمر كذلك تصديق له ثم ابتداء ( قَالَ رَبِّكَ ) أو نصب بقال وذلك إشارة إلى مذهب يفسره ( هُوَ عَلَى هَيْنٌ ) أى خلقى يحى من كبيرين سهل ( وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ ) أو جدتك من قبل يحى. خلقناك حمزة وعلى ( وَلَمْ نَكُ شَيْئًا ) لأن المدموم ليس بشيء ( قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً ) علامة أعرف بها جيل امرأتى ( قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ) حال من ضمير تكلم أى حال كونك سوى الأعضاء واللسان يعنى علامتك أن تمنع الكلام فلا تطلقه وأنت سليم الجوارح مابك خرس ولا يكلم ودل ذكر الليالى هنا الأيام فى آل عمران على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن إذ ذكر الأيام يتناول مايزاها من الليالى وكذا ذكر الليالى يتناول مايزاها من الأيام عرفا ( فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ) من موضع صلاته وكانوا ينتظرونه ولم يقدر أن يتكلم ( فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ ) أشار بإصبعه ( أَنْ سَبِّحُوا ) سلوا وأن هى المفسرة ( بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) صلاة الفجر والمصر ( يَبْحَثُ ) أى وهبنا له يحى وقلنا له بمد ولادته وأوان الخطاب بإحى ( خُذِ الْكِتَابَ ) التوراة ( يَقُوَّةً ) حال أى يجد واستظهار بالتوفيق والتأييد ( وَءَاتَيْنَاهُ الْكِتَابَ ) الحكمة وهو فهم التوراة والفتة فى الدين ( سَيِّئًا ) حال قيل دعاه الصبيان إلى اللعب وهو سبى فقال: ما لعب خلقنا ( وَحَنَانًا ) شفقة ورحمة لأبويه وغيرهما عطفا على الحكم ( مِّنْ لَّدُنَّا ) من عندنا ( وَزَكَاةً ) أى طهارة وسلاحة فخر يمد بذنوب ( وَكَانَ نَبِيًّا ) مسلما مطيعا ( وَبَرًّا يَؤْتِيهِ ) وبارا بهما لا يصيبهما ( وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا ) متكبرا ( عَصِيًّا ) عاصيا لربه ( وَسَلَّمْهُ عَلَيْهِ ) أمان من الله له ( يَوْمَ وُلِدَ ) من أن يناله الشيطان ( وَيَوْمَ يَمُوتُ ) من فتانى القبر ( وَيَوْمَ يُنْفَخُ الصُّورُ ) من الفزع الأكبر قال ابن عيينة: إنها أوحى الواطن ( وَادَّكُرُ ) يعمد ( فِي الْكِتَابِ ) القرآن ( مَرَّتَيْنِ ) أى

اقرأ عليهم في القرآن قصة مريم ليقتفوا عليها ويمثلوا ما جرى عليها (إذ) بدل من مريم بدل  
استبدال إذ الأحياء مشتقة على ما فيها وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع  
هذه القصة العجيبة فيه (انْبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا) أى اعتزلت (مَسْكَنًا) ظرف (شَرِيفًا)  
أى تخلت للعبادة في مكان عمالي شرق بيت المقدس أو من دارها مستتر من الناس وقيل قدمت  
في مشرقه للاغتسال من الحيض (فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا) جعلت بينها وبين أهلها  
حجاباً يسترها لتغتسل وراه (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا) جبريل عليه السلام والإضافة  
للتشريف وإنما سمى روحاً لأن الدين يحيا به وروحه (فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا) أى تمثل لها  
جبريل في صورة آدمى شاب أمد وضئ الوجه جمد الشعر (سَوِيًّا) مستوى الخلق  
وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملائكة  
لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَذِيرًا)  
أى إن كان يرعى منك أن تنقذ الله فإني عاتلة به منك (قَالَ) جبريل عليه السلام  
(إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ) أمنها عما خافت وأخبر أنه ليس بأذى بل هو  
رسول من استعانذ به (لِيَأْتِيَكَ) ياذن الله تعالى أو لا يكون سبباً في هبة الغلام بالنفع  
في الدرع . ليهب لك أى الله أبو عمرو وناعم (عُلِّمًا زَكِيًّا) طاهرًا من الذنوب أو ناعياً على  
الخير والبركة (قَالَتْ أَنَّى) كيف (يَكُونُ لِي غُلَامٌ) ابن (وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ) زوج  
بالنكاح (وَلَمْ أَكُ يَنِيًّا) فاجرة تبني الرجال أى تطلب الشهوة من أى رجل كان ولا يكون  
الولد مادة لإمن أحد هذين، والبنى فعلول عند البرد بنوى قلبت الراوياء وأدغمت وكسرت  
المين إتباطاً ولذا لم تلحق تاء التأنيث كما لم تلحق في امرأة صبور وشكور وعند غيره هي فصيل  
ولم تلحقها الهاء لأنها بمعنى مفعولة وإن كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبهه به مثل إن رحمة الله  
قريب (قَالَ) جبريل (كَذَلِكَ) أى الأمر كما قلت لم يمسه رجل نكاحاً أو سفاحاً (قَالَ)  
(وَبِكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ) أى إعطاء الولد بلا أب على سهل (وَلَنَجْهَلُهُ عَايَةً لِلنَّاسِ) تمثيل  
معله محذوف أى ولنجمله آية للناس فلما ذلك أو هو معطوف على تمثيل مضر أى لنبين به  
قدرتنا ولنجمله آية للناس أى عبرة وبرهاناً على قدرتنا (وَرَحْمَةً مِّنَّا) لمن آمن به (وَكَانَ)  
خلق عيسى (أَمْرًا مُّضِيًّا) مقدراً مسطوراً في اللوح فلما اطمانت إلى قوله دفا منها فنفخ

في جيب دوعها فوصلت النفخة إلى بطنها (فَحَمَلَتْهُ) أي الوهوب وكانت سنها ثلاث عشرة سنة أو عشرين أو عشرين (فَانْقَبَذَتْ يَدَ) اعتزلت وهو في بطنها والجوار والمجرور في موضع الحال، عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كحملته نبذته وقيل ستة أشهر وقيل سبعة وقيل ثمانية ولم يمش مولود وضع لثمانية إلا عيسى. وقيل حملته في ساعة ووضعت في ساعة (مَكَانًا قَصِيًّا) بعيداً من أهلها وراء الجبل وذلك لأنها لما أحست بالحمل مررت من قومها خافة اللامة (فَأَجَاكَهَا) جاء بها. وقيل ألقاها وهو منقول من جاء إلا أن استعمله قد تقرر بعد النقل إلى معنى الإلقاء ألا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءني زيد (الْمَخَاضُ) وجع الولادة (إِلَى جَذْعِ النَّخْلَةِ) أصلها وكانت يابسة وكان الوقت شتاء وتعريفها مشعر بأنها كانت نخلة معروفة وراز أن يكون التعريف للجنس أي جذع هذه الشجرة كأنه تعالى أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب لأنه خرسة النفساء أي طامها ثم (قَالَتْ) جزماء أصابها (يَلَيْسَ لِي مِنْهُ قَبْلَ هَذَا) اليوم ميت معدني وكوفي غير أبي بكر وغيرهم بالضم يقال مات يموت ومات يمات (وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا) شيئاً متروكاً لا يعرف ولا يذكر. ففتح النون حمزة وحذف بالكسر غيرهما ومعناها واحد وهو الشيء الذي حقه أن يطرح وينسى لحقارته (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) من أي الذي تحتها فن فاعل وهو جبريل عليه السلام لأنه كان بمكان منخفض عنها أو عيسى عليه السلام لأنه خاطبها من تحت ذيلها. من تحتها مدني وكوفي سوى أبي بكر والفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام أو جبريل والماء في تحتها للنخلة ولشدة ما لقيت سليت بقوله (أَلَا تَحْزَنِي) لا تهمني بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس وأن بمعنى أي (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ) بقربك أو تحت أمرك إن أمرته أن يجرى جرى وإب أمرته أن يقف وقف (سَرِيًّا) نهراً صغيراً عند الجمهور وسئل النبي ﷺ عن السرى فقال هو الجدول وعن الحسن سيداً كريماً يعني عيسى عليه السلام وروى أن خالد بن مفلان قال له إن العرب تسمى الجدول سرياً فقال الحسن صدقت ورجع إلى قوله وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضرب عيسى أو جبريل عليهما السلام بمقبة الأرض فظهرت عين ماء عذب فجرى النهر إليابس فاخضرت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها فقبل لها (وَهَزَيْ) حركي (إِلَيْكِ)



إلى نفسك (بِجَذْعِ النَّخْلَةِ) قال أبو علي الباء زائدة أى هزى جذع النخلة (تَسْقُطُ عَلَيْكَ) إذا غام التاء الأولى فى الثانية مكى ومدنى وشاى وأبو عمرو وعلى وأبو بكر والأصل تساقط بإظهار التاءين وتساقط بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حمزة وتساقط بفتح الياء والقاف وتشديد السين يعقوب وسهل وحماد ونصير وتساقط خفض من المفاعلة وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع فهذه تسع قراآت (رُطْبًا) تميز أو مفعول به على حسب القراءة (جَنِيًّا) طريا وقالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض من العسل (فَكُلِّي) من الجنى (وَأَشْرَبِي) من السرى (وَقَرَّيْ عَيْنًا) بالولد الرضى وعينا تميز أى طيبى نفسا بيمسى وارفضى عنك ما أحرزك (فَأَمَّا) أصله إن ما فغضمت إن الشرطية إلى ما وأدغمت فيها (تَرَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا قَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْتًا) أى فإن رأيت آدمياً يسألك عن حالك فقولى إني نذرت للرحمن سمناً وإمسكاً عن الكلام وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الأكل والشرب وقيل صياما حقيقة وكان صيامهم فيه الصمت فكان التزامه التزامه وقد نهى رسول الله ﷺ عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخاً فينا وإنما أمرت أن تنذر السكوت لأن عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرىء به ساحتها ولثلاثين جادال السفهاء وفيه دليل على أن السكوت من السفهاء واجب وما قدح سفيه بمثل الإعراض ولا أطلق عنانه بمثل العراض وإنما أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة وقد تسمى الإشارة كلاماً وقولا ألا ترى إلى قول الشاعر فى وصف القبور \* وتكلمت عن أوجه تيل \* وقيل كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام أو سوغ لها هذا القدر بالنطق (فَلَنْ أَكَلَّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) آدمياً (فَأَتَتْ بِرٍ) بيمسى (قَوْمَهَا) بعدما طهرت من نقاسها (تَحْمِلُهُ) حال منها أى أقبلت نحووم حاملة إياه فلما راوه معها (قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ رَجَعْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) بديماً عجيباً والفري القطع كأنه يقطع البادة (بِأَخْتِ هَارُونَ) وكان أخاها من أبيها ومن أفضل بنى إسرائيل أو هو أخو موسى عليه السلام وكانت من أعقابها وبينهما ألف سنة وهذا كما يقال يا أخا ممدان أى واحدًا منهم

أو رجل صالح أو طالع في زمانها شبهوها به في الصلاح أو شتموها به (مَا كَانَ أَبُوكَ) همران (امراً سَوْءاً) زانيا (وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ) حنة (نَبِيًّا) زانية (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ) إلى عيسى أن يجيبهم وذلك أن عيسى عليه السلام قال لها لا تحزني وأحلي بالجواب على وقيل أمرها جبريل بذلك ولما أشارت إليه غضبوا وتمجبوا و (قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ) حدث ووجد (فِي الْأَمْهِدِ) اليهود (سَبِيًّا) حال (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ) ولما أسكتت بأمر الله لسانها الناطق أنطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن أرمين ليلة أو ابن يوم روى أنه أشار بسباجته وقال بصوت رفيع إني عبد الله وفيه رد لقول النصارى (هَاتِنِي الْكِتَابَ) الإنجيل (وَجَمَّلَنِي نَبِيًّا) روى عن الحسن أنه كان في المهد نبياً وكلامه معجزته وقيل معناه أن ذلك سبق في قضائه أو جعل الآتي لاعالته كأنه وجد (وَجَمَّلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ) فها حيث كنت أو معلماً للخير (وَأَوْصَانِي) وأمرني (بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ) إن ملكك مالا وقيل صدقة الفطر أو تطهير البدن ويحتمل وأوصاني بأن آمركم بالصلاة والزكاة (مَا مِثْتُ حَيًّا) نصب على الظرف أي مدة حياتي (وَبِرًّا بِوَالِدَيْ) عطفاً على مباركا أي بارأ بها أكرمها وأعظمها (وَلَمْ يَجْمَلْنِي جَبَّارًا) متكبراً (شَقِيًّا) عاقاً (وَالسَّلَامَ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ) يوم ظرف والمامل فيه الخبر وهو على (وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُهْبَتُ حَيًّا) أي ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إلى إن كان حرف التعريف للمهد وإن كان للجسس فالمعنى وجنس السلام على وفيه ترميز باللعنة على أعداء مريم وابنها لأنه إذا قال وجنس السلام على فقد عرض بأن ضده عليكم إذ المقام مقام تنافرة وعناد فكان مثله لمثل هذا الترميز (ذَلِكَ) مبتدأ (عِيسَى) خبره (ابْنُ مَرْيَمَ) نعمته أو خبر ثان أي ذلك الذي قال إني كذا وكذا عيسى بن مريم لا كما قالت النصارى إنه إله أو ابن الله (قَوْلَ الْحَقِّ) كلمة الله فالقول الكلمة والحق الله وقيل له كلمة الله لأنه ولد بقوله كن بلا واسطة أب وارتقاه على أنه خبر بمد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أو يدل من عيسى ونصبه شأى وعاصم على المدح أو على الصدراى أقول قول الحق هو ابن مريم وليس بإله كما يدعونه (الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) يشكون من الرية الثالث أو يختلفون من الرءاء، قتالت اليهود: ساحر كذاب وقالت النصارى: ابن الله قال ثلاثة (مَا كَانَ لَهُ) مايسنى له (أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ)

سعى بمن لتأكيد التقي (سُبْحَتُهُ) زه ذاته عن اتخاذ الولد (إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) بالنسب شامى أى كما قال لميسى كن فكان من غير أب ومن كان متصفا بهذا كان منزها أن يشبه الحيوان الوالد (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ) بالكسر شامى وكوفى على الابتداء وهو من كلام ميسى يعنى كما أنا عبده فأنتم عبيده على وعليكم أن نعبده ومن فتح عطف على الصلاة أى وأوصافى بالصلاة وبالزكاة وبأن الله ربى وربكم أو علقه بما عبده أى ولأن الله ربى وربكم فأعبدوه (هَذَا) ذكرت (صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) فأعبدوه ولا تشركوا به شيئا (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ) الحزب الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها وهم ثلاث فرق نسطورية وبقوية وملكانية (مِنْ بَيْنِهِمْ) من بين أصحابه أو من بين قومه أو من بين الناس وذلك أن النصارى اختلفوا فى عيسى حين رفع ثم اتفقوا على أن يرجعوا إلى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكان فقال يعقوب هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء وقال نسطور كان ابن الله أظهره ماشاء ثم رفعه إليه وقال الثالث كذبوا كان عبدا مخلوقا نبييا فجمع كل واحد منهم قوم (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) من الأحزاب إذ الواحد منهم على الحق (مِنْ مُّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ) هو يوم القيامة أو من شهودهم هول الحساب والجزاء فى يوم القيامة أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وجوارحهم بالكفر أو من مكان الشهادة أو وقتها أو المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجمعه عظيما لفضاعة ما شهدوا به فى عيسى (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُرُنَا) الجمهور على أن لفظه أمر ومعناه التمعج والله تعالى لا يوصف بالتمعج ولكن المراد أن إسماعهم وإبصارهم جدير بأن يتمعج منهما بعدما كانوا صما وعميا فى الدنيا قال قتادة: إنهما وسبوا عن الحق فى الدنيا فما أسسمهم وما أبصرهم بالهدى يوم لا يتفهمهم، وبهم مرفوع المل على التفاعلية كأكرم يزيد فعناه كرم زيد جدا (لَكِنَّ الْظَّالِمُونَ الْيَوْمَ) أقيم الظاهر مقام المضمر أى لكنهم اليوم فى الدنيا بظلمهم أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجمدى عليهم ووضعوا العبادة فى غير موضعها (فِي ضَلَالٍ) عن الحق (مُبينٍ) ظاهر وهو اعتقادهم عيسى إلهاً محبوباً مع ظهور آثار الحث في إشماراً بأن لا ظلم أشد من ظلمهم (وَأَنْذَرْتَهُمْ) خوفهم (يَوْمَ الْحَشْرِ) يوم القيامة لأنه يقع فيه الندم على ما قلت، وفى الحديث «إذا رأوا منازلهم

في الجنة أن لو آمنوا» (إِذْ) نزل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة وهو مصدر (فَقُضِيَ الْأَمْرُ) خرج من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) هنا عن الاهتمام لتلك المقام (وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) لا يصدقون به وهم وهم حالان أى وأنذرهم على هذا الحال غافلين غير مؤمنين (إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا) أى تتفرد بالملك والبقاء عند تعميم الملك والفناء وذكر من لتليب العقلاء (وَالَّذِينَ يُرْجَمُونَ) بضم الياء وفتح الجيم وفتح الياء يعقوب أى يردون فيجازون جزاءً وفاً (وَإِذْ كُرُ) لقومك (فِي السِّكِّبِ) القرآن (إِبْرَاهِيمَ) قصته مع أبيه (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) بغير همز وهمزة نافع قيل الصادق المستقيم في الأعمال والصديق المستقيم في الأحوال فالصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحك والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله أى كان مصداقاً لجميع الأنبياء وكتبهم وكان نبياً في نفسه وهذه الجملة وقعت اعتراضاً بين إبراهيم وبين ما هو يدل منه وهو (إِذْ قَالَ) جاز أن يتعلق إذ بكان أو بصديقاً نبياً أى كان جامعاً لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه بتلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول إياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إبراهيم كقوله واتل عليهم نبأ إبراهيم وإلّا فلا عذر وعلا هذا كرهه ومورده في تنزيهه (لَأَنَّهُ يَأْتِي) بكسر التاء وفتحها ابن عامر والتاء عوض من ياء الإضافة ولا يقال يأتى لثلاث يجمع بين الموضع والموضع منه (لَمْ تَعْبُدُوا مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ) المفعول فيهما منسى غير مسمى ويجوز أن يقدر أى لا يسمع شيئاً ولا يبصر شيئاً (وَلَا يُنْصَى عَنْكَ شَيْئاً) يحتمل أن يكون شيئاً في موضع المصدر أى شيئاً من الإغناء وأن يكون مفعولاً به من قولك أغنى عنى وجهك أى بعد (يَأْتِيْ إِيَّيْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْغَيْبِ) الوحي أو معرفة الرب (مَا لَمْ يَأْتِكِ) ما فى ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة (فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ) أرشدك (صِرَاطًا سَوِيًّا) مستقيماً (يَأْتِي لَتَعْبُدَ الشَّيْطَانَ) لا تطعه فيما سول من عبادة الصم (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ الرَّحْمَنَ عَصِيًّا) عاصياً (يَأْتِي إِيَّيْ أَخَافُ) قيل أعمل (أَنْ يَسْكَنَ عَذَابَ مَنْ الرَّحْمَنُ فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) قرينا في النار تليه ويليك فانظر في نصيحته كيف راعى الجمالة والرفق والخلق الحسن كما أمر في الحديث «أوحى إلى إبراهيم أنك خليلي فمن خلقك ولومع الكفار تدخل مداخل الأبرار» فطلب منه أولاً الملة في خطئه طلب منه على تعديه موقف لإفراطه وتناهيه لأن من يعبد أشرف الخلق منزلة ومم الأنبياء كان محكوماً على

عليه بالنى المبين فكيف بمن يعبد حجرا أو شجرا لا يسمع ذكر عابده ولا يرى هيات عبادته ولا يدفع عنه بلاء ولا يقضى له حاجة ثم نبي يدعوته إلى الحق مترقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال إن مى شيئا من العلم ليس مذك ذلك علم الدلالة على الطريق السوى فهب أنى وإياك فى مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فاتمنى أنجك من أن تضل وتبني ثم قلت بنهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذى عصى الرحمن الذى جميع النعم منه أوقفك فى عبادة العنم وزينها لك فأنت عابده فى الحقيقة ثم ربح بتخوفه ٥٠٠ الماقبة وما يجره ماهوفيه من التبعة والوبال مع مراعاة الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لآخر به وأن المذاب لاسق به بل قال أخاف أن عسك عذاب بالتتكبر المشعر بالتقليل كأنه قال إني أخاف أن يصيبك نفيان من عذاب الرحمن وجمل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب فى نفسه ومصدر كل نصيحة بقوله يا أبت توسلا إليه واستمطافا وإشمارا بوجوب احترام الأب وإن كان كافرا ثم ( قَالَ ) آزر توبيخا ( أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰأَبْرَاهِيمَ ) أى أرغب عن عبادتها فتداه باسمه ولم يقابل يا أبت يابنى وقسم الخبر على المبتدأ لأنه كان أم عنده ( لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ ) عن شتم الأصنام ( لَأَرْجُمَنَّكَ ) لأقتلنك بالرجام أو لأضربك بها حتى تتباعد أو لأشتمنك ( وَاهْجُرْنِي ) عطف على عذوف يدل عليه لأرجنك تهديره فأخبرنى واهجرنى ( مَلِيًّا ) ظرف أى زمانا طويلا من السلاوة ( قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ ) سلام توديع ومتاركة أو تحريب وملاطفة ولذا وعده بالاستغفار بقوله ( سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ) سأسأل الله أن يملك من أهل المغفرة بأن يهديك للإسلام ( إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ) ملطفا بعموم النعم أو رحيا أو مكروما والحفاوة الرافة والرحمة والكرامة ( وَأَعْتَزِلُكُمْ ) أراد بالاعتزال المهاجرة من أرض بابل إلى الشام ( وَمَا تَدْعُونِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) أى ما تعبدون من أصنامكم ( وَأَدْعُوا ) وأعبد ( رَبِّي ) ثم قال تواضعا وهضما للنفس ومعرضا بشقاوتهم ببداء آلهتهم ( عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ) أى كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام ( فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) فلما اعتزل الكفار ومعبودهم ( وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ) ولذا ( وَيُتَّقُونَ ) نافلة ليستأنس بهما ( وَكُلًّا ) كل واحد منهما ( جَعَلْنَا نَبِيًّا ) أى لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه أولاداموتين أنبياء ( وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا

هي المال والولد (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ) ثناء وهو الصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم  
 السماوات وعبر باللسان عما يوجد باللسان كعبر باليد عما يطلق باليد وهي العلية (عَلِيًّا) ريفيا  
 مشهورا (وَإِذْ كُرِّ فِي السِّكِّبِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا) كوفي غير المفضل أى أخلصه الله  
 واسطفاه وغخلصا بالكسر غيرهم أى أخلص هو العبادة لله تعالى فهو غخلص بماله من السعادة بأصل  
 الفطرة وغخلص فيها عليه من العبادة بصدق الهمة (وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا) الرسول الذى معه  
 كتاب من الأنبياء والنبي الذى ينهى عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيوشع (وَنَذَيْنَهُ)  
 دعونا وكلمناه ليلة الجمعة (مِنْ جَانِبِ الطُّورِ) هو جبل بين مصر ومدين (الْأَيْمَنَ) من  
 اليمين أى من ناحية اليمين والجمهور على أن المراد أيمن موسى عليه السلام لأن الجبل لا يمين  
 له والمعنى أنه حين أقبل من مدين يريد مصر نودى من الشجرة وكانت في جانب الجبل على  
 يمين موسى عليه السلام (وَقَرَّبْنَاهُ) قُرب منزلة ومكانة لا منزل ومكان (نَجِيًّا) حال أى  
 مناجيا كنديم بمعنى منادم (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا) من أجل رحمتنا له وترفعا عليه (أَخَاهُ  
 مَفْعُول (هَارُونَ) بدل منه (نَبِيًّا) حال أى وهبنا له نبوة أخيه وإلا فهو ركن كان أكبر  
 ستامته (وَإِذْ كُرِّ فِي السِّكِّبِ إِسْمَاعِيلَ) هو ابن إبراهيم فى الأصح (إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ)  
 وافيهِ وعد رجلا أن يقيم مكانه حتى يعود إليه فانتطره سنة في مكانه حتى عاد وناهيك أنه وعد  
 من نفسه الصبر على الذبح فوق وقيل لم يعد ربه موعدا إلا أنجزه وإنما خصه بصدق الوعد وإن  
 كان موجودا في غيره من الأنبياء تشريفا له ولأنه المشهور من خصاله (وَكَانَ رَسُولًا)  
 إلى جبرم (نَبِيًّا) خبيرا منذوا (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ) أمته لأن النبي أبوامته وأهل بيته وفيه  
 دليل على أنه لم يدا من غيره (بِالسَّلَوةِ وَالزَّكَاةِ) يحتمل أنه إنما خصت هاتان العبادتان  
 لأنهما أما العبادات البدنية والمالية (وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) قرئ مرضوا على الأصل  
 (وَإِذْ كُرِّ فِي السِّكِّبِ إِدْرِيسَ) هو اختوخ أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط  
 بالقلم وخاط الباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والأسلحة فقاتل  
 بين قابيل وقولهم سعى به لكثرة دراسته كتب الله لا يصح لأنه لو كان أفعيلا من الدرس لم يكن  
 فيه إلا سبب واحد وهو الملية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل المجمة (إِنَّهُ كَانَ  
 صِدْقًا نَبِيًّا) أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) هو شرف النبوة والزنى

عند الله وقيل معناه رفعت الملائكة إلى السماء الرابعة وقد رآه النبي ﷺ ليلة المراج فيها ومن  
 الحسن إلى الجنة لاشيء أمل من الجنة وذلك انه حجب لكثرة عبادته إلى الملائكة فقال لك  
 الموت أذق الموت يهن على فعل ذلك ياخذ الله غي وقال أدخلني النار أزدد رغبة فعل  
 ثم قال أدخلني الجنة أزدد رغبة ثم قال له اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج  
 من الجنة فقال الله عز وجل ياذا فعل وياذا دخل فدمه (أُولَئِكَ) إشارة إلى المذكورين  
 في السورة من ذكرى إلى إدريس (الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ) من البيان لأن جميع  
 الأنبياء منهم عليهم (مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ) من تقبيض وكان إدريس من ذرية آدم قربه منه  
 لأنه جد أبي نوح (وَيَمْنَحُ حَمَلَتَا نُوحَ) إبراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه وله سالم  
 ابن نوح (وَيَنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ) إسماعيل وإسحق ويعقوب (وَأِسْرَئِيلَ) أي ومن ذرية  
 إسرائيل أي يعقوب وهم موسى وهارون وذكرا ويحيى وعيسى لأن مريم من ذريته (وَيَمْنَحُ)  
 يحتمل المعطف على من الأول والثانية (هَذَيْنَا) لحسن الإسلام (وَاحْتَبَيْنَا) من الأنام  
 أو لشرح الشريعة وكشف الحقيقة (إِذَا تَنَالَى عَلَيْهِمْ عَائِيَةُ الرَّحْمَنِ) أي إذا طبت عليهم  
 كتب الله النعمة وهو كلام مستأنف ان جلت الذين خبراً لأولئك وان حملته سفة له كان  
 خبراً. بطل بالباء تقية لوجود الفاصل مع أن التأنيث غير حقيق (خَرُّوا سُجَّدًا) سقطوا على  
 وجوههم رغبة (وَبُكْيَا) باكين رغبة جمع بك كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد في الحديث  
 «اتلوا القرآن وابكوا وإن لم تبكوا فبأكوا» وعن صالح المري قرأت القرآن على رسول الله  
 ﷺ في المنام فقال لي يا صالح «هذه القراءة فأين البكاء» ويقول في سجود التلاوة سبحانه  
 رب الأملئ ثلاثاً (فَخَلَفَ مِنْ بَنِيهِمْ) فجاء من بعد هؤلاء الفضيلين (خَلْفٌ) أولاد سوء  
 وفتح اللام القب الخير عن ابن عباس هم اليهود (أَصَاغُوا الصَّوْءَ) تركوا الصلاة للفروضة  
 (وَأَتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ) ملاذ النفوس وعن علي رضي الله عنه من بني الشديد وركب المنظور  
 ولبس المشهور وعن قتادة رضي الله عنه هو في هذه الأمة (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا) جزاء غي  
 وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وعن ابن عباس وابن مسعود هو واد في جهنم أحد  
 للمصريين على الزنا وشارب الخمر وآكل الربا والماق وشاهد الزور (إِلَّا مَنْ تَابَ) رجع عن  
 كفره (وَأَمِنْ) شرطه (وَعَمِلَ سَلَامًا) سدا لمانه (فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) يضم

الياء وفتح الخاء مكي وبصري وأبو بكر (وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) أى لا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم ولا يعمونه بل يضاعف لهم أو لا يظلمون شيئاً من الظلم (جَنَّاتٍ) بدل من الجنة لأن الجنة تشتمل على جنات عدن لأنها جنس أو نصب على المدح (عَذْنٍ) معرفة لأنها علم لعنى عدن وهو الإقامة أو علم لأرض الجنة لكونها مقام إقامة (الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ) أى عباده التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولأنه أضافهم إليه وهو للاختصاص وهؤلاء أهل الاختصاص (بِالنَّبِيِّ) أى وعددها وهى غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها (إِنَّهُ) ضمير الشأن أو ضمير الرحمن (كَانَ وَعْدُهُ) أى موعوده وهو الجنة (مَأْتِيًا) أى هم يأتونها (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا) فى الجنة (لَنُورًا) خفياً أو كذباً أو مالا طائل تحته من الكلام وهو المطروح منه وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه داره التى لا تكليف فيها (إِلَّا سَكَنًا) أى لكن يسمعون سلاماً من الملائكة أو من بعضهم على بعض أو لا يسمعون فيها إلا قولاً يسلون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء متفعل عند الجمهور وقيل معنى السلام هو الدماء بالسلامة ولما كان أهل دارالسلام أغنياء عن الدماء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) أى يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفى لهار من الدنيا إذ لا ليل ولا نهار ثم لأنهم فى النور أبداً وإنما يرفقون مقدار النهار برفع الحب ومقدار الليل بإرخائها والرزق بالبكرة والعشى أفضل العيش عند العرب فوصف الله جنته بذلك وقيل أراد دوام الرزق كما تقول أنا عند فلان بكرة وعشيا تريد الدوام (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا) أى نجعلها ميراث أعمالهم يعنى ثمرتها وعاقبتها وقيل يرثون المساكن التى كانت لأهل النار أو آمنوا لأن الكفر موت حكماً (مَنْ كَانَ تَقِيًّا) عن الشرك \* عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي عليه السلام قال «يا جبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزل (وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّيكَ) والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الإطلاق والأول أليق هنا يعنى أن نزولنا فى الأحيان وقتا غيب وقت ليس إلا بأمر الله (لَهُ مَا يَشَاءُ أَيْدِينَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا يَنْ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) أى له ما قدما وما خلفنا من الأماكن وما نحن فيها فلا نقال أن نتنقل من مكان إلى مكان إلا بأمر الملك ومشيئته وهو الحافظ العالم



بكل حركة وسكون وما يحدث من الأحوال لا تجوز عليه الغفلة والنسيان فأنى لنا أن نتغلب  
 في ملكوته إلا إذا أذن لنا فيه (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) بدل من ربك أو خبر  
 مبتدأ محذوف أى هو رب السموات والأرض ثم قال لرسوله لما عرفت أنه متصف بهذه الصفات  
 (فَأَعْبُدْهُ) فاقبض على عبادته (وَاصْطَبِرْ لِمَعْبَدَتِهِ) أى اصبر على مكافأة الحسود، لعبادة  
 المعبود، واصبر على المشاق، لأجل عبادة الخلاق، أى لتتمكن من الإتيان بها (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)  
 شبيها ومثلا أو هل يسمى أحد باسم الله غيره لأنه مخصوص بالمعبود بالحق أى إذا صح أن  
 لا مبدوء توجه إليه العباد العباد إلا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها  
 فتهاقت أبى بن خلف عظمًا وقال أبعت بمد ما صرنا كذا فنزل (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَهَذَا مَا مَنِيْتُ  
 لَسَوْفَ أَخْرِجُ حَيًّا) والعامل فى إذا ما دل عليه الكلام وهو أبعت أى إذا ماتت أبعت  
 وانتصابه بأخرج ممتنع لأن ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيها قبلها فلا تقول اليوم زيد قائم ولا م  
 الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة فلما جمعت حرف الاستقبال  
 خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال وما فى إذا ما للتوكيد أيضاً فكانه قال أحقاً إننا نخرج  
 من القبور أحياء حين يتمكن فينا الموت والمهلك على وجه الاستنكار والاستبعاد وتقديم الظرف  
 وإيلاؤه حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكورة ومنه جاء إنكارهم  
 (أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ) خفيف شامى ونافع وعاصم من الذكر والسائر بتشديد الدال والكاف  
 وأصله يتذكر كقراءة أبى فادغمت التاء فى الدال أى أو لا يتدبر والواو عطفت لا يذكر على يقول  
 ووسطت همزة الإنكار بين المطفوف عليه وحرف المطف أى يقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة  
 الأولى حتى لا ينكر النشأة الأخرى فإن تلك أدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض  
 من العدم إلى الوجود وأما الثانية فليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة وردها إلى ما كانت  
 عليه مجموعة بمد التفريق (أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ) من قبل الحالة التى هو فيها وهى حالة  
 بقائه (وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) هو دليل على ما بينا وعلى أن المدوم ليس بشيء خلافا للممترلة (فَوَرَبَّكَ  
 لَنَحْضُرَنَّهُمْ) أى الكفار المنكرين للبعث (وَالشَّيْطَانِ) الواو للمطف ويعنى مع أوقع  
 أى يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغوهم بقرن كل كافر مع شيطان فى سلسلة وفى  
 اقسام الله باسمه مضافا إلى رسوله تغضيم لشأن رسوله (ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّاهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جَنِيًّا)

حال جمع جاث أى يركب على الركب ووزنه فعول لأن أصله جثو وكسجود وساجد أى يمتثلون من الحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حاتم التى كانوا عليها فى الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم ( ثُمَّ لَنُزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ) طائفة شاعت أى تبعت غاويا من النواة ( أَيْهِمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ) جراءة أو فجوراً أى لتخرجن من كل طائفة من طوائف التى أعتاهن فأعتاهن فإذا اجتمعوا طرحنهم فى النار على الترتيب تقدم أولام بالمذاب فأولام وقيل المراد بأشدهم عتياً الرؤساء لتضائف جرمهم لكونهم ضلالاً ومضلين قال سيبويه : أيهم مبقى على الضم لسقوط صدر الجملة التى هى صلتته وهو هو من هو أشد حتى لوجىء به لأهرب بالنصب، وقيل أيهم هو أشد وهذا لأن الصلة توضح الموصول وتبينه كما أن المضاف إليه يوضح المضاف ويخصمه فكما أن حذف المضاف إليه فى من قبل يوجب بناء المضاف وجب أن يكون حذف الصلة أو شئ منها موجبا للبناء وموضعا لنصب بنزع، وقال الخليل هى معرفة وهى مبتدأ وأشد خبره وهو رفع على الحكاية تقديره لنزعهن الذين يقال فيهم أيهم أشد على الرحمن عتياً ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعمة كقوله وهبنا لهم من رحمتنا أى لنزعهن بعض كل شيعمة فكأن قائله من م قليل أيهم أشد عتياً وعلى يتعلق بأفعل أى عتوم أشد على الرحمن ( ثُمَّ لَنُزِعَنَّ أَعْوَجُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْ أَقْرَبُ ) أى أحق بالنار ( سِيلِيًّا ) تمييز أى دخولاً والباء تتعلق بأولى ( وَإِنْ مِّنْكُمْ ) أحد ( إِلَّا وَارِدُهَا ) داخلها والمراد النار والورود: الدخول عند على وابن عباس رضى الله عنهم وعليه جمهور أهل السنة لقوله تعالى فأوردكم النار وقوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وقوله ثم تجى الذين اتقوا إذ النجاة إنما تكون بعد الدخول وقوله عليه السلام «الورود الدخول لا يبقى بر ولا قاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برأً وسلاماً كما كانت على إبراهيم وتقول النار للمؤمن جز يأموئن فإن نورك أطلقاً لمي » وقيل الورد بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وإن منهم وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله الورد المحصور لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وقوله أولئك عنها مبعدون وأجيب عنه بأن المراد عن مذابها وعن الحسن وقادة الورد المرور على الصراط لأن الصراط محدود عليها فيسلم أهل الجنة ويتقاذف أهل النار وعن مجاهد ورود المؤمنين النار هو من الحى جسده فى الدنيا لقوله عليه السلام «الحى حظ كل مؤمن

من النار » وقال رجل من الصحابة لآخر أيقنت بالورود قال نعم قال وأيقنت بالصدر قال لا قال فقيم الضحك وقيم التناقل ( كَأَنَّ عَلَى رَبِّكَ حَتَاً مُّغْفِيَةً ) أى كان ورودهم واجبا كائنا محتوما والحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمى به الموجب كقولهم ضرب الأمير ( ثُمَّ نُنَجِّيْ ) وعلى بالتخفيف ( الَّذِينَ آمَنُوا ) عن الشرك وهم المؤمنون ( وَنُذِرُ الظَّالِمِينَ ) فيها حثيا ) فيه دليل على دخول الكل لأنه قال ونذر ولم يقل وندخل والمذهب أن صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لآعاله وقالت الرجئة الخبيثة لا يعاقب لأن المعصية لا تضر مع الإسلام عندهم وقالت الممتزلة بخلافه ( وَإِذَا تَوَلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا ) أى القرآن ( يَنْسَوْنَ ) ظاهرات الإعجاز أو حجبوا إبراهيم حين حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا إذ آيات الله لا تكون إلا واضحة وحججا ( قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ) أى مشركو قريش وقد رجلوا شعورهم وتكلفوا في زيهم ( الَّذِينَ ءَامَنُوا ) للفقراء ورسمهم شعثة وثيابهم خشنه ( أَيْ الْفَرِيقَيْنِ ) نحن أم أنتم ( خَيْرٌ مَّقَامًا ) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والسكن وبالضم مكى وهو موضع الإقامة والمنزل ( وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ) مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى الآية أن الله تعالى يقول إذا أنزلنا آية فيها دلائل وبراهين أهرضوا عن التدبر فيها إلى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى ( وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ ) فكم مفعول أهلكنا ومن تبين لإيهامها أى كثيراً من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم ( هُمْ أَحْسَنُ ) فى عمل والنصب صفة لكم ألا ترى أنك لو تركت هم كان أحسن نصبا على الوصفية ( أَكْثَرًا ) هو متاع البيت أو ما جدد من الفرش ( وَرَبِّهَا ) منظرا وهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت ورأيت بنير همز مشددا نافع وابن عامر على قلب الهزمة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الإدغام أو من الرى الذى هو النعمة ( قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ ) الكفر ( فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ) جواب عن لأنها شرطية وهذا الأمر بمعنى انظر أى من كفر مد له الرحمن يعنى أمهله وأملى له في العمر نبرداد طغيانا وضلالا كقوله تعالى إنما على لهم ليزدادوا إنما وإنا أخرج على لفظ الأمر إنيانا بوجود ذلك وإنه مفعول لا محالة كالأمر به الممثل ليقطع مآذير الضلال ( حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ) هى متصلة بقوله خير مقاماً وأحسن ندياً وما بينهما اعتراض أى لا يزالون يقولون هذا القول إلى أن يشاهدوا الموعود رأى عين ( إِنَّمَا الْعَذَابُ ) فى الدنيا وهو تمذيب

المسلمين إياهم بالقتل والأسر ( وَإِنَّمَا السَّاعَةُ ) أى القيامة وما ينالهم من الخزي والفتكال فهمه بدلان مما يوعدون ( فَيَسْمِعُ مَوْلَاهُ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا ) منزلا ( وَأَضْعَفُ جُنْدًا ) أعوانا وأنصارا أى حينئذ يعلمون أن الأمر على عكس ماقدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لاخير مقاما وأحسن نديا وأن المؤمنين على خلاف صفتهم وجاز أن تتصل بما يليها والمعنى إن الذين فى الضلالة محدود لهم فى ضلالتهم لا ينفكون عن ضلالتهم إلى أن يماينوا نصرته الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة وحتى هى التى يحكى بعدها الجبل ألا ترى أن الجلة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله إذارأوا ما يوعدون. فسيملمون ( وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ) معطوف على موضع فليمدد لوقوعه موضع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أى يزيد فى ضلال الضال بخلافه ويزيد المهتدين أى المؤمنين هدى ثباتا على الاهتداء أو يعينا وبصيرة بتوفيقه ( وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ ) أعمال الآخرة كلها أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ( خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا ) مما يفتخر به الكفار ( وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ) أى مرجعا وعاقبة تهكم بالكفار لأنهم قالوا للمؤمنين أى الفريقين خير قاما وأحسن نديا ( أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآبَائِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا ) ثم. وبضم الواو وسكون اللام فى أربعة مواضع مهنا وفى الزخرف ونوح حمزة وعلى جمع ولد كأسد فى أسد أو بمعنى الولد كالعرب فى العرب ولما كانت رؤية الأشياء طريقا إلى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا أراأت فى معنى اخبر والفاء أفادت التعميق كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك وقوله لأوتين جواب قسم مضمرة ( أَطَّلَعَ الْغَيْبَ ) من قولهم اطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه، الهمزة للاستفهام وهزمة الوصل محذوفة أى أنظر فى اللوح المحفوظ فرأى منيته ( أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ) موقفا أن يؤتیه ذلك أو العهد كلمة الشهادة وعن الحسن زلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور أنها فى الماص بن وائل فقد روى أن خباب بن الأرت صاغ للماص ابن وائل حلبا فاقترضه الأجر فقال إنكم ترمعون أنكم تبعثون وأن فى الجنة ذهبا وفضة فأنا أقضيك ثم فانى أوقى مالا ولدا حينئذ ( كَلَّا ) ردع وتنبیه على الخطأ أى هو مخطىء فيما تصوره لنفسه فلا يرتد عنه ( سَتَكْتُبُ مَا يَقُولُ ) أى قوله والمراد سنظهر له ونملئه أنا كتبنا قوله لأنه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد. وهو كقول

• إذا ما اقتسبنا لم تلدنى لثيمة • أى علم وتبين بالانتساب أى لست بأبن لثيمة (وَتَخَذَ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ) زبده من المذاب كما يزيد فى الافتراء والاجتراء من اللد، يقال مده وأمه (مَدًّا) أكد بالمصدر لفرط غضبه تعالى (وَنَزِيَّتُهُ مَا يَقُولُ) أى نزوى عنه مازهم أنه يناله فى الآخرة رالمنى مسمى ما يقول وهو المال والولد (وَيَأْتِينَا فَرْدًا) حال أى بلا مال ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى فما يجدى عليه تخيه وتألبه (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً) أى اتخذ هؤلاء المشركون أصناما يعبدها (لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) أى ليعتزوا بآلهتهم ويكفروا لهم شفعاء وأنصارا ينقذونهم من المذاب (كَلَّا) ردع لهم عما ظنوا (سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ) الضمير للآلهة أى سيجعلون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون أو للمشركين أى ينكرون أن يكونوا قد عبدوها كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (وَيَكُونُونَ) أى المبدودون (عَلَيْهِمْ) على المشركين (مِثْلًا) خسرًا لأن الله تعالى ينطقهم فتقول يارب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك والصديق على الواحد والجمع وهو فى مقابلة لهم عزا والمراد ضد المز وهو الل والهان أى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه أى يكونون عليهم ذلالا لهم عزوا وإن رجح الضمير فى سيكفرون ويكونون إلى المشركين فالمنى ويكونون عليهم أى أعداءهم ضدا أى كفره بهم بعد أن كانوا يعبدها ثم عجب نبيه عليه السلام بقوله (أَأَمَّ نَرَأْنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَى الْكَافِرِينَ) أى خلبناهم ولناهم من أرسلت البعير أطلقته أوسلطانهم عليهم بالإغواء (تَوَزَّهُمْ أَزًّا) تفرهم على العاصى إغراء والأز والهز إخوان ومناها التهييج وشدة الإزهاج (فَلَا تَجْعَلْ عَلَيْهِمْ) بالمذاب (إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا) أى أعمالهم للجزاء وأنفاسهم للفناء وقرأها ابن السكك عند المأمون فقال إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفذ (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) ركبانا على نوى وحالها ذهب وعلى فجائب سروجها ياقوت (وَتَسْوَقُ الْمُجْرِمِينَ) الكافرين سوق الأنعام لأنهم كانوا أضل من الأنعام (إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا) عطاشا لأن من يرد الماء لا يرد إلا لمطشى وحقيقة الورد المسير إلى الماء فيسمى به الواردون، فالوفد جمع وافد كركب وراكب والورد جمع وارد ونصب يوم بمضمر أى يوم نحشر ونسوق فعمل بالفريقين مالا يوصف أى اذكر يوم محشر. ذكر المتقون بأنهم يجمعون إلى دبرهم الذى غمرهم برحمته كلفه الوفود على المارك تبجيلا

فهم والكافرون بأنهم يساقون إلى النار كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء استغفافا بهم (لَا يَخْتَصِمُونَ الشَّقَصَةَ) حال والواو إن جمل ضميرا فهو للمباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لأنهم على هذه القسمة ويجوز أن يكون علامة للجمع كالتي في أكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لأنه في معنى الجمع وعمل من اتخذ رفع على البدل من واو يملكون أو على الفاعلية أو نصب على تقدير حذف المضاف أى إلا شناعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم (إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) بَأَنْ آمَنَ - في الحديث «من قال لا إله إلا الله كان له عند الله عهد» وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال لأصحابه ذات يوم «أيمنجز أهدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا» قالوا وكيف ذلك قال «يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبداك ورسولك وإنك إن تكلمت إلى نفسي تقربني من الشر وتبعدني من الخير وإنى لا أثق إلا برحمتك فأجعل لي عهدا توفينيهِ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عهد الله عهد فيدخلون الجنة» أو يكون من عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به أى لا يشفع إلا الأمور بالشفاعة المأذون له فيها (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) أى النصارى واليهود ومن زعم أن الملائكة بنات الله (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا) خاطبهم بهذا الكلام بعد النسيئة وهو التفات أو أمر نبيه عليه السلام بأن يقول لهم ذلك، والإدعاء المعبى أو العظيم المنكر والإدعة الشدة وأدنى الأمر أمثلى وعظم على آذا (تَكَادُ السَّمَوَاتُ تَهْرَبُ) وبالياء نافع وعلى (يَنْفَطِرْنَ) وبالنون بصرى وشاى وحزمة وخلف وأبو بكر. الانفطار من فطره إذا شقه والتفطر من فطره إذا شقه (مِنْهُ) من عظم هذا القول (وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ) تنخسف وتنفصل أجزاؤها (وَتَخِرُّ الْجِبَالُ) تسقط (هَذَا) كسرا أو قطعا أو هدماء والمدة صوت الصاعقة من السماء وهو مصدر أى تهد هذا من سماع قولهم أو مفعوله أو حال أى مهدودة (أَنْ دَعَوْا) لأن سموا وعمله جر بدل من الهاء فمنه أو نصب مفعول له علل الخرورج بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن أو رفع فاعل هذا أى هدها دهاؤهم (لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ابني مطاوع بنى إذ طلب أى ما يتأتى له اتخاذ الولد وما يتطلب لو طلب مثلا لأنه محال غير داخل تحت الصيغة وهذا لأن اتخاذ الولد

لحاجة ومجانسة وهو منزّه عنهما وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات بيان له الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره لأن أصول النعم وفروعها منه فلينكشف عن بصرك غطاؤه، فأنت وجميع ما عندك عطائوه فمن أضاف إليه ولداً فقد جعله كمص خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن (إِنْ كُلُّ مَنْ) نكرة موصوفة صفاتها (فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وخبر كل (إِلَّا) تأتي الرحمن (وَوَحْدَ آتَى) وآتيه جملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من آتى وهو مستقبل أى يأتيه (عَبْدًا) حال أى خاضعاً ذليلاً متقاداً والمعنى ما كل من فى السموات والأرض من الملائكة والناس إلهو يأتى الله يوم القيامة مقراً بالعبودية والعبودية والبنوة تتنافيان حتى لو ملك الأب ابنه يمتق عليه ونسبة الجميع إليه نسبة العبد إلى المولى فكيف يكون البعض ولداً والبعض عبداً وقرأ ابن مسعود آت الرحمن على أصله قبل الإضافة (لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا) أى حصرهم بعلمه وأحاط بهم (وَكَلَّمَهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْيَمِينَةِ قَرَارًا) أى كل واحد منهم يأتيه يوم القيامة مفرداً بلا مال ولا ولد أو بلا معين ولا ناصر (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) مودة فى قلوب المباد قال الربيع يحبهم ويحبهم إلى الناس وفى الحديث يعطى المؤمن مودة فى قلوب الأبرار ومهابة فى قلوب الفجار وعن قتادة وهم ما قبل العبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المباد إليهم من كمب ما يستقر لعبدئاه فى الأرض حتى يستقر له فى السماء (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ) سهلنا القرآن (لِيَلْسَانَكَ) بلسنتك حال (لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ) المؤمنين (وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَدُنَا) شداداً فى الخصومة بالباطل أى الذين يأخذون فى كل ليدى شق من المراء والجدال جمع الذ يراد به أهل مكة (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ) تخويف لهم وإنذار (هَلْ تُحِصُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ) أى هل تجد أوترى أو تعلم والإحساس الإدراك بالحاسة (أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) صوتاً خفياً ومنه الركاز أى لما أقام عذابنا لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعنى هل سلكوا كلامهم فكذا هؤلاء إن أهرضوا عن تدبر ما أنزل عليك فاعقبهم الهلاك فليهن عليك أسرهم والله أعلم .

## ﴿سورة طه مكية، وهي مائة وخمس وثلاثون آية كوفي﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طه) نغم الطاء لاستعلائها وأمالهااء، أبومرو وأمالها حزة وعلى وخلف وأبوبكر ونغمها  
عنى الأصل غيرهم وما روى عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم أن معناه يارجل فإن  
صح فظاهر وإلا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) إن جعلت  
طه تعديداً لأسماء الحروف فهو ابتداء كلام وإن جعلتها اسماً للسورة احتملت أن تكون خبراً  
عنها وهي في موضع الابتداء والقرآن ظاهر أوقع موقع المضمرة لأنها قرآن وإن يكون جواباً لما  
وهي قسم (نَنْشَقُّ) لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا أو  
بقيام الليل فإنه روى أنه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل أبق على  
نفسك فإن لها عليك حقا أى ما أنزلناه لنهلك نفسك بالعبادة وما بحث إلا بالحنيفية السمحة  
(إِلَّا تَذَكَّرَ) استثناء منقطع أى لكن أنزلناه تذكرة أحوال (لَمَنْ يَخْشَى) لمن يخاف  
الله ولمن يقول أمره إلى الخشية (تَنزِيلًا) بدل من تذكرة إذا جعل حالاً ويجوز أن ينتصب  
ينزل منمراً أو على المدح أو يبخشى مفعولاً أى أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله (مَنْ  
خَافَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ) من يتلقى بتزيلا صلة له (الْمَلِكِ) جمع العلية تأنيث الأعلى ووصف  
السموات بالملى دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها (الرَّحْمَنِ) رفع على المدح أى هو الرحمن  
(عَلَى الْعَرْشِ) خبر مبتدأ محذوف (اسْتَوَى) استولى. عن الزجاج، ونبه بذكر العرش  
وهو أعظم المخلوقات على غيره وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما  
يردب الملك جماله كناية عن الملك فقال استوى فلان على العرش أى ملك وإن لم يقعد  
على السرير البتة وهذا كقولك يد فلان مبسوطة أى جواد وإن لم يكن له يد رأساً، والمذهب  
قول على رضى الله عنه: الاستواء غير مجهول والتكليف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال  
عنه بدعة لأنه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق السكان لم يتغير عما كان (لَهُ  
مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَمَلَكُ الْأَرْضِ) خبر ومبتدأ ومعطوف (وَمَا يَتَّبِعُهُمَا) أى ذلك كله ملكه  
(وَمَا تَحْتِ التَّرْسَى) ماتحت سبع الأراضين أو هو الصخرة التى تحت الأرض السابعة (وَإِنْ



تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ) ترفع صوتك (فَإِنَّهُ يَسْمَعُ السِّرَّ) ما أسررت إلى غيرك (وَأَخْفَى) منه وهو ما أخطرت بهالك أو ما أسررت في نفسك وما ستره فيها (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) أى هو واحد بذاته وإن اختلفت عبارات صفاته ردقولهم إنك تدعو آلهة حين سمعوا أسماءه تعالى والحسنى تأنيث الأحسن (وَهَلْ) أى وقد (أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى) خبره قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به في تحمل أعباء النبوة بالصبر على المكروه ولينال المدرجة العليا كما نالها موسى (إِذْ رَا) ظرف لمضمر أى حين رأى (نَارًا) كان كيت وكيت أو مفعول به لا ذكر روى أن موسى عليه السلام استأذن شعييا في الخروج إلى أمه وخرج بأهله فوالد له ابن في الطريق في ليلة مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماعنده وقدح فصلد زنده فرأى عند ذلك نارا في زمعه وكان نورا (فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا) أقيموا في مكانكم (إِنِّي ءَالَسْتُ) أبصرت (نَارًا) والابن اس رؤيته شئ يؤنس به (لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا) بنى الأمر على الرجاء مثلا يمد ما ليس يستيقن الوفاء به (بِقَبَسٍ) نار مقتبسة في رأس عود أو فتيلة (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) ذوى هدى أو قوما يهدونى الطريق ومعنى الاستعلاء فى على النار أن أهل النار يستعملون المكان القريب منها (فَلَمَّا أَتَاهَا) أى النار وجد نارا بيضاء تتوقد فى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها وكانت شجرة العناب أو الموسج ولم يجد عندها أحداً وروى أنه كلما طلبها بعدت عنه فإذا تركها قربت منه فم (نُودِيَ) موسى (يَمُوسَى إِنِّي) بكسر الهمزة أى نودى قبيل ياموسى إلى أولأن النداء ضرب من القول فمومل ماملته، وبالفتح مكى وأبو عمرو أى نودى بأنى (أَنَا رَبُّكَ) أنا مبتدا أو تأكيد أو فصل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة وإمالة الشبهة روى أنه لما نودى ياموسى قال من التكلم قال الله عز وجل: أنار بك. فعرف أنه كلام الله عز وجل بأنه سمعه من جميع جهاته الست وسمعه بجميع أعضائه (فَاخْلَعْ ثَمَلِيكَ) أزعهما لتعصب قديميك بركة الوادى المقدس أو لأنها كانت من جلد حار ميت غير مدبوغ أولأن الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتمظيم لها فغلبهما وأقامهما من وراء الوادى (إِنَّكَ بِالْوَادِىِ الْمُقَدَّسِ) للظهر أو للبارك (طَوًى) حث كان منون شامى وكوفى لأنه

اسم علم الوادى وهو بدل منه وغيره بغير تنوين بتأويل البقرة وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بلا تنوين (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ) اصطفتيك للنبوة، وإنا اخترناك حجة (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ) إليك لهدى يوحى أولوحي واللام يتعلق باستمع أو باخترتك (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي) وحدنى وأطعن (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) لتذكرنى فيها لاشتهال الصلاة على الأذكار أو لأنى ذكرتها فى الكتب وأمرت بها أو لأن أذكرك بالدح والثناء أو لذكرى خاصة لانتشوبه بذكر غيرى أو لتكون لى ذاكرة غير غاس أو لأوقلت ذكرى وهى مواقيت الصلاة لقوله: إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها وذايصيح بتقدير حذف المضاف أى لذكر صلاتى وهذا دليل على أنه لا فريضة بعد التوحيد أعظم منها (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ) لا محالة (أَكَاذُ) أريد عن الأخفش وقيل صلة (أَخْفِيَا) قيل هو من الأنداد أى أظهرها أو أسرها عن المباد فلا أقول هى آتية لإرادتى إخفاءها ولولا ما فى الأخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من الحكمة وهو أنهم إذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها فى كل وقت لما أخبرت به (لِيُخْزَىٰ) متعلق بآتية (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ) بسمها من خير أو شر (فَلَا يَمْدَنَّكَ عَنْهَا) فلا يصرفنك عن العمل للساعة أو عن إقامة الصلاة أو عن الإيمان بالقيامة فالخطاب لموسى والراد به أمته (مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا) لا يصدق بها (وَأَنْبَحَ هَوَاءٌ) فى مخالفة أمره (فَرَدَىٰ) قهلك (وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَىٰ) مامبتدا وتلك خبره وهى بمعنى هذه وبيمينك حال عمل فيها معنى الإشارة أى قارة أو مأخوذة بيمينك أو تلك موصول صلتها بيمينك والسؤال للتنبيه لتقع المجزأة بها بعد التثبت أو للتوطين لثلاث يهوله انقلابها حية أو للإنسان ورفع الهية للكاملة (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا) اعتمد عليها إذا أميت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة (وَأَهْشَىٰ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي) أخطط ورق الشجر على غنمى لتأكل (وَلِي فِيهَا مَسَارِبٌ) سورتى - حفص جمع مأربة بالحركات الثلاث وهى الحاجة (أُخْرَى) والقياس أخر وإنما قال أخرى ردا إلى الجماعة أو لنسق الآتى وكذا الكبرى ولما ذكر بعضها شكرا أجل الباقى حياء من التوطين أو ليسأل عنها الملك العلام فيزيد فى الإكرام والمساكب الأخر أنها كانت تماشيه وتحمله وتحارب المدود والسباع وتصير رشاء فتطول بطول العجم وتصير شبتاها دلوا وتكونان شمتين بالليل وعمل زاده ويركها فتشتره بشتها ويركزه

فينبع الماء فإذا رفعها نصب وكانت فيه الموام والزيادة على الجواب لتعمد النعم شكراً أولاً  
 جواب سؤال آخر لأنه لما قال هي عصا قيل له ما تصنع بها فأخذ يمدد منافعها ( قَالَ أَتَمَّهَا  
 يَمُومِي ) اطرح عصاك تفزع مما تنكئ عليه فلا تسكن إلا بنا وترى فيها كنه ما فيها  
 من المكرب فتعتمد علينا في الطالب ( فَأَلْقَاهَا ) فطرحها ( فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْمَى ) تسمى  
 مريمًا قيل ألقبت ثمانًا يتلع الصخر والشجر فلما رآها يتلع كل شيء خاف وإنما وصفت بالحية  
 هنا بالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو النقيق في غيرها لأن الحية اسم جنس يقع  
 على الذكر والأنثى والصغير والكبير وإجاز أن تنقلب حية صفراء دقيقة ثم يتراد جرمها  
 حتى تصير ثمانًا فأريد بالجان أول حالها والثعبان ما لها أولاً أنها كانت في عظم الثعبان وسرعة  
 الجان وقيل كان بين لحياها أدبوعن ذواها ( قَالَ ) له ربه ( خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ) بلغ من  
 ذهاب خوفه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلعبيها ( سَمِعِدْهَا ) سردها ( سِيرَهَا الْأُولَى )  
 تأنيث الأولى، والسيرة: الحالة التي يكون عليها الإنسان فرزية كانت أو مكتسبة وهي في الأصل  
 فحلة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة واتصبت على الظرف  
 أي سميدها في طريقها الأولى أي في حال ما كانت عصا والمعنى زدها عصا كما كانت وأرى  
 ذلك موسى عند المخاطبة لثلاث يفرع منها إذا اقلبت حية عند فرعون ثم نبه على آية أخرى  
 فقال ( وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ ) إلى جنبك تحت العضد وجناح الإنسان جنبه والأصل  
 المستعار منه جناح الطائر سمياً جناحين لانه يجنحهما أي يعيلهما عند الطيران والمعنى أدخلها  
 تحت عضدك ( تَخْرُجُ بَيْضَاءُ ) لها شمع كشمع الشمس ينشئ البصر ( مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ )  
 برص ( آيَةٌ أُخْرَى ) لنبوتك ببيضاء وآية حالان مما ومن غير سوء صلة ببيضاء كقولك  
 ابيضت من غير سوء وإجاز أن يمتصب آية بفعل محذوف يملق به الأمر ( لَنُرِيَنَّكَ  
 الْكِبْرَى ) أي خذ هذه الآية أيضاً بعد قلب المصاحبة لربك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى  
 المظلى أو نريك بهما الكبرى من آياتنا أو المعنى فعلنا ذلك لربك من آياتنا الكبرى ( اذْهَبْ  
 إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ) جاوز حد المبودية إلى دعوى الربوبية ولما أمره بالذهاب إلى فرعون  
 الطاغى وعرف أنه كلف أمراً عظيماً يحتاج إلى مسد فصيح ( قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي )  
 وسعه ليحتمل الوحي والشاق وردى الأخلاق من فرعون وجنوده ( وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ) وسهل

على ما أمرني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون وأشرح لي صدرى أكد من أشرح صدرى  
لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريق الإجمال والتفصيل لأنه يقول أشرح لي ويسرلى علم أن  
ثمة مشروحا وميسراً ثم رفع الإيهام بذكر الصدر والأمر (وَإِخْلُ) افتتح (عُقْدَةً مِّن لَّسَانِي)  
وكان في لسانه رة للجمرة التي وضعها على لسانه في صباه وذلك أن موسى أخذ لحية فرعون  
ولطمه لطمعة شديدة في صفره فأراد قتله فقالت آسية أيها الملك إنه صغير لا يعقل فجعلت في  
طشت ناراً وفي طشت يواقيت ووضعتهما لدى موسى فقصده اليواقيت فأمال الملك يده إلى النار  
فرفع حمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار لكنته منها وروى أن يده احترقت واجتهد  
فرعون في علاجها فلم تبرا ولما دعاه قال إلى أي رب تدعوني قال إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت  
عنها ومن لسانى صفة لعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانى وهذا يشمر بأنه لم تزل العقدة  
بكلها واكثرهم على ذهاب جميعها (يَقْفَهُوا قَوْلِي) عند تبليغ الرسالة (وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا)  
ظهيراً اعتمد عليه من الوزر الثقيل لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنته أو من الوزر الملقب لأن  
الملك يعتمد برأيه ويلتجئ إليه في أموره أو معينا من الموازنة وهي الماونة فوزيراً مفعول  
أول لاجعل والثاني (مِّنْ أَهْلِي) أولى أوزيراً مفعولاه وقوله (هَرُونَ) عطف بيان لوزيراً  
وقوله (أَخِي) بدل أو عطف بيان آخر ووزيراً وهرون مفعولاه وقدم ثانيهما على أولهما عنابة  
بأمر الوزارة (أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي) قو به ظهري وقيل الأزر القوة (وَأَشْرِكْهُ فِي أُمْرِي)  
اجعله شريكى في النبوة والرسالة. اشدد وأشركه على حكاية النفس شامى على الجواب والباقون  
على الدماء والسؤال (كَيْ تَسْبِغَكَ) نصلى لك ونزدهك تسبيحاً (كَثِيرًا وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا)  
في الصلوات وخارجها (إِنَّكَ كُنْتَ بِنًا بَصِيرًا) علماً بأحوالنا فأجابه الله تعالى حيث (قَالَ)  
قَدْ أَوْثَيْتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى (أَعْطَيْتَ مَسْئُولَكَ فَالسُّؤْلُ الطَّلِبَةُ فَمَعْنَى مَفْعُولُ كَتَبْتَ بِمَعْنَى  
مُجْبُوز. سؤلك بلا همز أبو عمرو (وَلَقَدْ مَنَنَّا) أَنْعَمْنَا (عَلَيْكَ مَرَّةً) كَرَّةً (أُخْرَى) (قِيلَ)  
هذه ثم فسرهما فقال (إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ) إلهاما أو مناما حين ولدت وكان  
فرعون يقتل أمثالك وإذ ظرف لمنا ثم فسر ما يوحى بقوله (أَنْ أَقْدِرَ فِيهِ) أَلْقِيهِ (فِي النَّبُوتِ)  
وإن مفسرة لأن الوحي بمعنى القول (فَأَقْدِرَ فِيهِ فِي الْيَمِّ) النِيل (فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ)  
الجانب ومضى ساحلا لأن الماء يسحله أى يمشهه والصنعة أمر ليتناسب ما تقدم ومنه الإخبار

أى بلقىه اليم بالساحل (يَأْخُذُهُ عَدُوُّهُ لِي وَعَدُوُّ لَهُ) يعنى فرعون والفتائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبمضها إلى التابوت يفضى إلى تناثر النظم والقنوط في البحر والملقى إلى الساحل وإن كان هو التابوت لكن موسى في جوف التابوت روى أنها جمعت في التابوت قطنا ملحوجاً فوضعت فيه وقبرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير فبينما هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فإذا بمسي أصبح الناس وجها فأجبه فرعون جبا شديداً فذلك قوله (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) يتعلق منى بألقيت يعنى إني أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب فما رآه أحد إلا أحبه قال قتادة كان في عيني موسى ملاحه ما رآه أحد إلا أحبه (وَلِتُصْنَعَ) معطوف على محذوف تقديره وألقيت عليك محبة لتحب ولتصنع (عَلَى عَيْنِي) أى لترى بمراى منى وأصله من صنع الفرس أى أحسن القيام عليه يعنى أنا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به ولتصنع بسكون اللام والجزم يزيد على أنه أمر منه (إِذْ تَمْشِي) بدل من إذ أوحينا لأن مشى أخته كان منة عليه (أَخْتُكَ تَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ) روى أن أخته مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدى امرأة فقالت هل أدلكم على من يضمه إلى نفسه فيريه وأرادت بذلك المرضعة الأم وتذكر الفعل اللفظ من فقالوا نعم فجاءت بالأم فقيل ثديها وذلك قوله (فَرَجَعْنَاكَ) فرددناك (إِلَىٰ أُمِّكَ) كما وعدناها بقولنا إن أرادوه إليك (كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بلفائك (وَلَا تَحْزَنَ) على فراقك (وَقَتَلْتَ نَفْسًا) قبطياً كافراً (فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) من القود. قيل الغم: القتل بلغة قريش وقيل اغتم بسبب القتل خوفاً من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون ففقر الله له باستغفاره قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون بأن ذهب به من مصر إلى مدين (وَقَتَلْنَاكَ فَأَنَّا) ابتليناك ابتلاءً يأتياك في الحن وتخليصك منها، والفتون مصدر كالقود أو جمع فتنة أى قتلك ضرباً من الفتن، والفتنة الحنة وكل ما يتبلى الله به عباده فتنة ونبلوكم بالشر والخير فتنة (فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) هى بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر قال وهب لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهر لصفوراء وأقام عنده ثمان عشرة سنة بعدها حتى ولد له أولاد (ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَوْمَئِذٍ) أى موعده ومقدار الرسالة وهو أربعون سنة (وَأَسْمَأُكُمَا)

لِنَفْسِي) اخترتك واسطيفتك لوجي ورسالتى لتصرف على إرادتى وعجبتى قال الزجاج اخترتك  
لأمرى وجعلتك القائم بحجتي والخاص بى وبين خلقى كأنى أقت عليهم الحجة وخاصيتهم  
(اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِمَا يَكُونُ بَيْنَهُمَا فِي مَجْزَايَ) (وَلَا تَنِيَا) ففترنا من الونى وهو القنور والتقصير (فِي  
فِرْعَوْنَ) أى اتخذاذ كرى جناحا تطيران به أو أريد بالذ كر تبليغ الرسالة فالذ كر يقع على سائر العبادات  
وتبليغ الرسالة من أعظمها (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ) كرر لأن الأول مطلق والثانى مقيد (إِنَّهُ  
طَغَى) جاوز الحد بإدعائه الربوبية (قُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا) الطفاله فى القول لما له من حق تربية  
موسى أو كنياه وهو من ذوى الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة أو عدها شباباً  
لا يهرم بعده وملكا لا يترع عنه إلا بالموت أو هو قوله هل لك إلى أن تركى وأهديك إلى ربك  
فخشى فظاهره الاستفهام والمشورة (لَمَكُهُ يَتَذَكَّرُ) أى يتمظ ويتأمل فيذعن للحق (أَوْ  
يَخْشَى) أى يخاف أن يكون الأمر كما تصفان فيجهره إنكاره إلى الملكة وإنما قال لعله يتذكر  
مع علمه أنه لا يتذكر لأن الترجى لها أى اذهبى على رجائكها وطعمكما وباشرا الأمر مباشرة  
من يطعم أن يهرم عمله وجدوى إرسالها إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع العفوة  
وقيل معناه لعله يتذكر متذكراً أو يخشى خاش وقد كان ذلك من كثير من الناس وقبل  
لعل من الله تعالى واجب وقد تذكر ولكن حين لم يفهمه التذكر وقبل تذكر فرعون  
وخشى وأراد اتباع موسى فنهه هانم وكان لا يقطع أمراً دونه وتليت عند يحيى بن معاذ  
فبكى وقال هذا رفقت بمن يقول أنا إله فكيف بمن قال أنت الإله وهذا رفقت بمن قال أنا  
ربكم الأهل فكيف بمن قال سبحان ربى الأهل (قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا)  
يسجل علينا بالقوية ومنه الفارط يقال فرط عليه أى هيجل (أَوْ أَنْ يَطْغَى) يجاوز الحد فى  
الإساءة إلينا (قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا) أى حافظكما وناصركما (أَسْمِعْ) أقوالكما (وَأَرَى)  
أفصالكما قال ابن عباس رضى الله عنهما أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يرد بكما فأنمعت لست بغافل  
عنكما فأتياه (أَيُّ فِرْعَوْنَ) (قُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ) إليك (فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ)  
أى أطلقهم عن الاستبداد والاسترقاق (وَلَا تُضَيِّقْهُمْ) بكليف الشاق (قَدْ جِئْتُكَ بِتَابِعَةٍ مِّنْ  
رَّبِّكَ) بحجة على صدق ما ادعيتها وهذه الجملة جارية من الجملة الأولى وهى إنا رسولا ربك

جرى البيان والتفسير والتفصيل لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا بينتها وهي الهبة بالآي قال  
 فرعون وما هي فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس (وَالسَّكْمُ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهَدَىٰ)  
 أي سلم من العذاب من أسلم وليس بتحية وقيل وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين  
 (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ) في الدنيا والمقبي (عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ) بالرسول (وَتَوَكَّرَ)  
 أعرض عن الإيمان وهي أرحى آي القرآن لأنه جعل جنس السلام للؤمن وجنس العذاب على  
 المكذب وليس وراء الجنس شيء فأتياه وأديا الرسالة وقال له ما أمرا به (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا  
 يَمُوسَىٰ) خاطبهما ثم نادى أحدهما لأن موسى هو الأصل في النبوة وهارون تابعه (قَالَ رَبُّنَا  
 الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) خلقه أول مفعول أعطى أي أعطى خلقه كل شيء يحتاجون  
 إليه ويرتفعون به أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق النعمة المنوطة  
 به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذا الأنف  
 والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة بها وقرأ نصير خلقه سفة للمضاف أو  
 للمضاف إليه أي أعطى كل شيء مخلوق عطاء (ثُمَّ هَدَىٰ) هرف كيف يرتفق بما أعطى للمشيئة  
 في الدنيا والسعادة في المقبي (قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ) فما حال الأمم الخالية والرم البالية  
 سألهم عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شق منهم وسعادة من سعد (قَالَ) موسى  
 عجيبا (عِلْمُهُمَا عِنْدَ رَبِّي) مبتدأ وخبر (فِي كِتَابٍ) أي اللوح خبر ثان أي هذا سؤال  
 عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لأعلم منه إلا ما أخبرني به  
 علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ (لَا يَنْبُلُ رَبِّي) أي لا  
 يخطيء شيئا يقال ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له أي لا يخطيء في سعادة الناس  
 وشقاوتهم (وَلَا يَفْسُقُ) ثوابهم وعقابهم وقيل لا يفسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن يعلم  
 الملائكة أن معمول الخلق يوافق معلومه (الَّذِي) مرفوع سفة لربي أو خبر مبتدأ محذوف  
 أو منصوب على اللوح (جَمَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا) كوفي وغيرم مهادا وهما لنتان لما يسط  
 ويغرش (وَسَلَكَ) أي جعل (لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) طرقا (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) أي  
 مطرا (فَأَخْرَجْنَا بِهِ) بالماء قل الكلام من النية إلى لفظ التكلم الطالع للالتئان وقيل تم  
 كلام موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله فأخرجنا به وقيل هذا كلام موسى أي فأخرجنا

نَحْنُ بِالْحَرَامَةِ وَالْفَرَسِ (أَزْوَاجًا) أَصْنَافًا (مِّنْ نَّبَاتٍ) هو مصدر مسمى به النبات فاستوى فيه الواحد والجمع (شَتَّى) صفة للأزواج أول النباتات جمع شتيت كريض ومرضى أى إنها مختلفة النفع واللون والزائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم ومن نعمة الله تعالى أن أرزاقنا يحصل بعمل الأنعام وقد جمل الله علفها مما يفضل عن حاجتنا مما لا تقدر على أكله قائلين (كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَمَكُمْ) حال من الضمير فى فأخرجنا والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين فى الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها (إِنَّ فِي ذَلِكَ) فى الذى ذكرت (لَايَتٍ) لدلالات (لِّأُولِي النُّهَى) لنوى العقول واحدها نهيبة لأنها تنهى عن المخطئ أو ينتهى إليها فى الأمور (مِنْهَا) من الأرض (خَلَقْنَكُمْ) أى أباكم آدم عليه السلام وقيل يمجّن كل نطفة بشيء من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معا أو لأن النطفة من الأغذية وهى من الأرض (وَفِيهَا يُبَدِّلُكُمْ) إذا تم دفنكم (وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ) عند البعث (تَارَةً أُخْرَى) مرة أخرى والمراد بإخراجهم أنه يؤلف أجزأهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر عدد الله عليهم ما علق بالأرض من مراقبهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاءوا وأثبت فيها أصناف النبات التى منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهى أصلهم الذى منه تفرعوا وأمهم التى منها ولدوا وهى كفاتهم إذا ماتوا (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ) أى فرعون (ءَايَاتِنَا كُلَّهَا) وهى تسع آيات السما والبس وخلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم وتلق الجبل (فَكَذَّبَ) الآيات (وَأَبَى) قبول الحق (قَالَ) فرعون (أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا) مصر (بِسِحْرِكَ يَوْمُئِذٍ) فيه دليل على أنه خاف منه خوفا شديدا وقوله بسحرك تمل وإلا فأى ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه (فَلَمَّا بَيَّنَّنَا لَبِئْسَ لَكَ سِحْرٌ مُّثْلِهِ) فلنعارضك بسحر مثل سحرك (فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا) هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف أى مكان موعده والضمير فى (لَا نُخْلِفُهُ) للموعود قرأ يزيد بالجزم على جواب الأمر وغيره بالرفع على الوصف للموعود (نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا) هو بدل من المكان المحذوف ويجوز أن لا يقدر مضاف ويكون المني اجمل بيننا وبينك وعدا لا تخلفه وانتصب مكانا بالمصدر أو بفعل بدل عليه المصدر (سُوءٍ) بالسكسر حجازى وأبو عمرو وعلى وغيرهم بالضم وهو نعت



لما كنا أى منصفاً بيننا وبينك وهو من الاستواء لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية ( قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ) مبتدأ وخبر وهو يوم عيد كان لهم أو يوم النيروز أو يوم عاشوراء وإنما استقام الجواب بالزمان وإن كان السؤال عن المكان على التأويل الأول لأن اجتماعهم يوم الزينة يكون في مكان لا محالة فيذكر الزمان علم المكان وعلى الثاني تقديره موعدكم يوم الزينة ( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ) أى تجمع في موضع رفع أو جر عطفاً على يوم أو الزينة ( حُجِّي ) أى وقت الضحوة لتكون أبعد عن الزينة وأبين لكشف الحق وليشيع في جميع أهل الدير والمد ( فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ ) أدبر عن موسى معرضاً ( فَجَمَعَ كَيْدَهُ ) مكره وسعته وكانوا اثنين وسبعين أو أربعائة أو سبعين ألفاً ( ثُمَّ أَتَى ) للوعد ( قَالَ لَهُمْ مُوسَى ) أى للسحرة ( وَبِكُفِّكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ) لا تدعوا آياته ومعجزاته سحراً ( فَيُصْحِتْكُمْ ) كوفي غير أبى بكر يهلككم ويفتح الياء والحاء غيرهم، والسحت والإسحات بمعنى الإعدام وانصب على جواب النهي ( بِعَذَابٍ عَظِيمٍ ) وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ) من كذب على الله ( فَتَنَزَّغُوا ) اختلّفوا أى السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة أى لا تقترؤا على الله كذباً الآية ( أَمَرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ) أى تشاوروا في السر وقالوا إن كان ساحراً فسنقلبه وإن كان من السماء فله أمر والنجوى يكون مصدراً وإمّا ثم لفقوا هذا الكلام بمعنى ( قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ) يعنى موسى وهرون قرأ أبو عمرو إن هذين لساحران وهو ظاهر ولكنه مخالف للإمام وابن كثير وحفص والخليل وهو أعرف بالنحو واللغة إن هذان لساحران بتخفيف إن مثل قولك إن زيد لمنطلق واللام هى الفارقة بين إن النافية والمخففة من الثقيلة وقيل هى بمعنى ما واللام بمعنى إلا أى ماهذان إلا ساحران دليله قراءة أبى إن هذان إلا ساحران وغيرهم إن هذان لساحران قيل هى لغة بلخارت بن كعب وخشم ومراد وكتانة فالتثنية فى لنتهم بالألف أبداً فلم يلقبوها ياء فى الجر والنصب كمما وسعدى قال :

إِنْ أَبَاهَا وَأَيَا أَبَاهَا      قد بلغنا فى المجد فاجتاهَا

وقال الزجاج: إن بمعنى نم، قال الشاعر:

ويقلن شيب قد علا      لك وقد كبرت ثقلت إته

أى نم والماء للوقف وهذان مبتدأ وساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على المبتدأ  
المحذوف تقديره هذان لما ساحران فيكون دخولها في موضعها الموضوع لها وهو الابتداء  
وقد بدخل اللام في الخبر كما يدخل في المبتدأ قال : \* خالى لأنت ومن جرير خاله \* قال  
فرضته على البرد فرضيه وقد زيفه أبو علي ( يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ) مصر  
( يَسْخِرُهُمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمْ ) بدينكم وشريعتكم ( الْمَثَلِي ) الفضلى تأنيث الأمثل وهو  
الأفضل ( فَأَجِيبُوا ) فأحكموا أى اجملوه مجما عليه حتى لا تختلفوا فاجموا أبو عمرو ويعصده  
جمع كيده ( كَيْدُكُمْ ) هو ما يكد به ( ثُمَّ أَتَتْهُمَا صَفَا ) مصطفين حال أمرها بأن يأتوا صفا  
لأنه أعيب في صدور الرائي ( وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَمْلَى ) وقد فاز من قلب وهو اعترض  
( قَالُوا ) أى السحرة ( يَمْوَسَىٰ إِمَّا أَنْ تُتْلَىٰ ) عصاك أولا ( وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَقَمَى )  
مامعا وموضع أن مع ما بعده فيها نصب بفعل مضمر أو رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف معناه  
اختر أحد الأمرين أو الأمر إقاؤك أو إقاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه  
، كأنه تعالى المهيم ذلك وقد وصلت إليهم بركته وعلم موسى اختيار إقامتهم أولا حتى ( قَالَ  
بَلْ أَتَوْا ) أنتم أولا ليرزوا ما معهم من مكاييد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق  
على الباطل فيدمنه ويسلط المعجزة على السحر فتصحقه فيصير آية نيرة للناظرين وعبرة بينة  
للمستبرين فآلقوا ( فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ ) يقال في إذهابه: إذا المفاجأة والتعقيد أنها إذا  
السكينة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف إليها وخصت في بعض المواضع بأن يكون  
ناصبها فعلا خصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير والتقدير ففاجأ موسى وقت  
تحليل سعى جبالهم وعصيمهم والمعنى على مفاجأة جبالهم وعصيمهم غيلة إليه السعى ( يُخَيَّلُ )  
وبالتاء ابن ذكوان ( إِلَيْهِ ) إلى موسى ( مِنْ سِحْرِهِمْ ) أنها تسمى ( رفع بدل احتمال من  
الضمير في يخيل أى يخيل الملقى روى أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت  
واهترت ففعلت ذلك ( فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ) أضمر في نفسه خوفا عظيما منه أنها  
تصده للعبة البشرية أو خاف أن يخالج الناس شك فلا يقبوه ( فَلَمَّا لَا تَخَفْ ) إِنَّكَ أَنْتَ  
الْأَعْلَى ) الثالب القاهر وفي ذكر إن وأنت وحرف التعريف ولفظ الملو وهو الغلة الظاهرة  
سالمة بينة ( وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ ) بسكون اللام والفاء وتخصف القاف حفص وتلقف

ابن ذكوان، الباقون تَلَقَّتْ (مَاصَنَمُوا) زوراً واقتلوا أى اطرح عصاك يتطلع عصيمهم وحبالمهم ولم يقل عصاك تعظيماً لها أى لا تحتفل بما صنعوا فإن ما في يمينك أعظم منها أو تحقيراً أى لا تبال بكثرة حبالمهم وعصيمهم وألق العويد الفرد الذى في يمينك فإنه بقدرتنا يتلقفها على وحدته وكثرتها (إِنَّمَا سَنَعُوا كَيْدٌ سَحِيرٌ) كوفي غير حاصم سحر بمعنى ذى سحر أو ذوى سحر أو هم لتوغلهم في السحر كأنهم السحر وكيد بالرفع على القراءتين وما موصولة أو مصدرية وإنما واحد ساحر ولم يجمع لأن القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد فلو جمع لخليل أن المقصود هو العدد ألا ترى إلى قوله (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ) أى هذا الجنس (حَيْثُ أَتَى) أيما كان فأتى موسى عصاه فتلقفت ماسنموا فلمعظم مارأوا من الآية وقوا إلى السجود فذلك قوله (فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجُودًا) قال الأخفش من سرعة ماسجدوا كأنهم أقوا فما أعجب أمرهم قد أتوا حبالمهم وعصيمهم للكفر والجحود ثم أقوا ردوسهم بمد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقاءين روى أنهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها في السجود فرففوا ردوسهم ثم (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) وإنما قدم هرون هنا وآخر في الشراء محافظة للفاصلة ولأن الواو لا توجب ترتيباً (قَالَ آمَنْتُمْ) بشير مد حفص وبهمزة ممدودة بصرى وشامى وحجازى وبهمزتين غيرهم (لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْخَلَ لَكُمْ) أى لموسى يقال آمن له وآمن به (إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ) لعظيمكم أو لمعلمكم، قول أهل مكة للمعلم أمرى كبيرى (فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ) القطع من خلاف أن قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من المعنوين يخالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لا ابتداء النابة لأن القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة المعنوي وعمل الجار والمجرور النصب على الحال يبنى لأقطعتها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضاً قد انتسفت بالاختلاف شبه تمكن الصلابة في الجذع بتمكن الظروف في الطرف فلها قال (وَلَا سَلَبْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ) وخس النخل لطول جنوعها (وَلَتَمَنَّيَنَّ أَيُّنَا أَشَدَّ عَذَابًا) أنا على ترك الإيمانكم في أو رب موسى على ترك الإيمان به وقيل يريد نفسه لئله الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بديل قوله آمنتم له واللام مع الإيمان في كتاب الله لئير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن المؤمنين (وَأَقْبَى) آدم (فَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ) لن نختارك (عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ) القاطمة

البالة على صدق موسى (وَالَّذِي فَطَرَنَا) عطف على ما جاءنا أى لن نختاركَ على الذى جاءنا  
ولا على الذى خلقنا أو قسم وجوابه لن نؤثرك مقدم على القسم (فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ)  
فاضع ما أنت صانع من القتل والعطب قال : \* وعليهما مسرودتان قضاهما \*  
أى صنعهما أو احكم ما أنت حاكم (إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) أى فى هذه الحياة الدنيا  
فانتصب على الظرف أى إنما تحكم فىنا مدة حياتنا (إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا  
أَكْرَهْتَنَا عَلَيْه) ما موصولة منصوبة بالمطف على خطايانا (مِنَ السَّحَرِ) (حال من ما، روى  
أنهم قالوا لفرعون أرتا موسى ناعما فقل فوجدوه تمعره عصاه فقالوا : ما هذا يسحر الساهر  
إنانام بطل سحره فكروه ما مرضته خوف الفضيحة فأكرههم فرعون على الإتيان بالسحر  
وضر فرعون جهله به ونفعهم علمهم بالسحر فكيف بعلم الشرع (وَأَفْهَى خَيْرٌ) ثوابا لمن أطاعه  
(وَأَبْقَى) عقابا لمن عصاه وهو رد قول فرعون وتعلمن أبنا أشد عذابا وأبق (إِنَّهُ) هو  
ضمير الشأن (مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا) كافرا (فَإِنَّ لَهُ) للمجرم (جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا)  
فيستريح بالموت (وَلَا يَحْيَى) حياة يتنفع بها (وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْتًا) مات على الإيمان (قَدْ  
قِيلَ السَّالِحِينَ) بعد الإيمان (فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْأَعْلَى) جمع العليا (جَنَّاتُ عَدْنٍ)  
بدل من الدرجات (تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا) دائمين (وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ  
تَزَكَّى) تطهر من الشرك بقول لا إله إلا الله قبل هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم  
وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو أظهر (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ  
بِعِبَادِي) لما أراد الله تعالى إهلاك فرعون وقومه أمر موسى أن يخرج بهم من مصر ليلا وأخذ  
بهم طريق البحر (فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ) اجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله  
سهما (يَبَسًا) أى يابسا وهو مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا (لَا تَخَفْ) حال من  
الضمير فى فاضرب أى اضرب لهم طريقا غير خائف . لا تخف حزة على الجواب (دَرَكَاءَ)  
هو اسم من الإدراك أى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك (وَلَا تَخْشَى) الفرق  
وعلى قراءة حزة ولا تخشى اسينثاف أى وأنت لا تخشى أو يكون الألف للإطلاق كما فى وتظنون  
بالله الظنونوا فخرج بهم موسى من أول الليل وكانوا سبعين ألفا وقد استماروا حلهم فركب  
فرعون فى سبائة ألف من القبط قصص أترم فذلك قوله (فَأَنْبَاهَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ) هو

حال أى خرج خلفهم ومعه جنوده (فَقَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ) أصابهم من البحر (مَا غَشِيَهُمْ) هو من جوامع الكلم التى تستقل مع قلتها بالعانى الكثيرة أى غشيمه ما لا يعلم كنهه إلا الله عز وجل (وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمُهُ) عن سبيل الرشد (وَمَا هَذَى) وما أوشدتم إلى الحق والسداد وهذا رد لقوله وما أهدبكم إلا سبيل الرشاد ثم ذكر منته على بنى إسرائيل بعد ما أنجاهم من البحر وأهلك فرعون وقومه بقوله (يَبْنِي إِسْرَافِيلَ) أى أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى وقلنا يابنى إسرائيل (قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَمُ) أى فرعون (وَوَاعَدْنَاكَ) بإتاء الكتاب (جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ) وذلك أن الله عز وجل وعد موسى أن يأتى هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التوراة وإعناجب إليهم المواعدة لأنها كانت لنبيهم وقبائهم وإليهم رجعت منافها التى قام بها شرعهم ودينهم والأيمان لنسب لأنه صفة جانب قرى بالجر على الجوار (وَوَزَّيْنَا عَلَيْكُمْ آلَمْنَ وَالسَّلَوى) فى التيه وقلنا لكم (كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ) حلالات (مَا رَزَقْنَاكُمْ) أنجيتكم وواعدتكم ورزقكم كوفى غير ماصم (وَلَا تَطْنُوا فِيهِ) ولا تتمدوا حدود الله فيه بأن تكفروا النعم وتنفقوها فى الماصى أولا يظلم بعضكم بعضا (فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي) عقوبتى (وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى) هلك أو سقط سقوطا لا نهوض بমে وأسله أن يسقط من جبل فهلك وتحقيقه سقط من شرف الإيمان إلى حفرة من حفر النيران. قرأ على فيحل ويحلل والباقون بكسرهما فالكسور فى معنى الوجوب من حل الدين يحل إذا وجب أدائه والمضموم فى معنى النزول (وَلِإِنِّي لَنَفَارٌ لِّمَن تَابَ) من الشرك (وَوَآمَنَ) وحد الله تعالى وصدقه فيا أنزل (وَعَمِلَ صَالِحًا) أذى الفرائض (ثُمَّ اهْتَدَى) ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح (وَمَا أَعْجَلَكَ) أى وأى شيء عجل بك (عَن قَوْمِكَ يَهُودَى) أى عن السبعين الذين اختارهم وذلك أنه مضى معهم إلى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا إلى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى وما أعجلك أى أى شيء أوجب عجلتك استغفام إنكار وما مبتدأ وأعجلك الخبر (قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي) أى هم خلقى يلحقون بى وليس بينى وبينهم إلا مسافة يسيرة ثم ذكر موجب المعجزة فقال (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ)

أى إلى الموعد الذى وعدت (لِتَرَوْهُ) لزداد عني رضا هذا دليل على جواز الاجتهاد (قَالَ)  
 فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ (الْقَيْنَانِ فِي فَتْنَةٍ) مِنْ بَعْدِكَ (من بعد خروجك من بينهم والوارد  
 بالقوم الذين خلفهم مع هارون (وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ) بدعائه لإيادهم إلى عبادة المجل وإجابتهم  
 له وهو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجاً من كرمان فاتخذ  
 مجلاً واسمه موسى بن ظفر وكان منافقاً (فَرَجَعَ مُوسَى) من مناجات ربه (إِلَى قَوْمِهِ غَضِبَ  
 أَسِيفًا) شديد الغضب أو حزينا (قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا) وعدم الله  
 أن يطمئنه التوراة التي فيها هدى ونور وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها  
 سبعون حملاً ولا وعد أحسن من ذلك (أَفُطِّلَ عَلَيْكُمْ الْوَعْدُ) أى مدة مفارقتي إيادكم، والحمد  
 الزمان، يقال طال عهدى بك أى طال زمانى بسبب مفارقتك (أَمْ أُرِدْتُمْ أَنْ يُجِلَّ عَلَيْكُمْ  
 قَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ) أى أردتم أن تفعلوا فعلاً يجب به عليكم الغضب من ربكم (فَأَخْلَفْتُمُ  
 مُوعِدِي) وعدوه أن يقيموا على أمره وماتركهم عليه من الآيات فأخلفوا مواعده بانحياز المجل  
 (قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا) بفتح الميم مدنى وواهم ويضمها حمزة وعلى وبكسرهما  
 غيرم أى ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أى لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما  
 أخلفنا موعدك ولكننا غلبنا من جهة السامرى وكيدته (وَلَكِنَّا حُمِلْنَا) بالضم والتشديد  
 حجازى وشامى وحفص، وفتح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم (أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ)  
 أثقالاً من حلل القبط أو أوزادوا بالأوزار أنها آثام وتبعات لأنهم قد استعاروها ليلة الخروج  
 من مصر بلة أن لنا غدا عيداً فقال السامرى إنما حبس موسى لشؤم حرمها لأنهم كانوا  
 معهم فى حكم المستأمنين فى دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى على أن للنائم  
 لم تكن تحمل حينئذ فأحرقوها نخباً فى حفرة النار قالب عجل فانصاعت عجلاً بمجوناً غداً  
 بدخول الريح فى مجار منه أشباه المروق وقيل نفخ فيه تراباً من موضع قوائم فرس جبريل  
 عليه السلام يوم الفرق وهو فرس حياة غيى تغار ومات طبايعهم إلى الذهب فبيدوه (فَقَذَّ قَنَمًا)  
 فى نار السامرى التى أوقدها فى الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلى (فَكَذَّبَكَ الْقَى السَّامِرِيُّ)  
 ما ممة من الحلى فى النار أو ما ممة من التراب الذى أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه

السلام ( فَأَخْرَجَ لَهُمْ ) السامرى من الحفرة (عجلاً) خلقه الله تعالى من الحلى الى سبكنها النار ابتلاء (جَسَدًا) مجسداً (لَهُ خُورًا) صوت وكان يخوض كما تخوض المجاجيل (فَقَالُوا) أى السامرى واتباعه ( هَذَا آ إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ) فأجلب عامتهم إلا انى عشر ألفا ( فَسَيِّئَ ) أى ففسى موسى ربه هنا وذهب يطلبه عند الطور أو هو ابتداء كلام من الله تعالى أى نسي السامرى ربه وترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر أو نسي السامرى الاستدلال على أن المعجل لا يكون إلهاً بدليل قوله ( أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ ) أى أنه لا يرجع فإن حكمة من الثقيلة ( إِلَيْهِمْ قَوْلًا ) أى لا يبعثهم ( وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ شَرًّا وَلَا نَفْعًا ) أى هو عايز من الخطاب والضر والنفع فكيف تتخذونه إلهاً وقيل إنه ماخار الإمرة (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ ) لمن عبدوا المعجل ( هَرُؤُونَ مِنْ قَبْلِ ) من قبل رجوع موسى إليهم ( يَقُومُونَ إِنَّمَا فَتَنَّاهُ ) اجتليتم بالمعجل فلا تمسده ( وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ ) لا المعجل ( فَأَتَيْنَاهُ ) كونوا على دينى الذى هو الحق ( وَأَطِيعُوا أَمْرِي ) فى ترك عبادة المعجل ( قَالُوا لَنْ نَجُزَّ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ ) أى لن زال مقيمين على المعجل وعبادته ( حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ) فننظره هل يصيده كما عبدهناه وهل صدق السامرى أم لا فلما رجع موسى ( قَالَ يَهْرُؤُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ) بعبادة المعجل ( أَلَّا تَتَّبِعَنِ ) بإلقاء فى الوصل والوقف مكي واقفه أبو عمرو ونافع فى الوصل وغيرهم بلا ياء أى مادحك إلى ألا تقيمى لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعي إلى تركه وقيل لأمزجة والمضى أى شيء منك أن تقيمى حين لم يقبلوا قولك وتعلق بى وتخبرنى أو ما منعك أن تقيمى فى النضب لله وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الأمر كما كنت أبشره أنا لو كنت شاهداً ( أَفَصَبَيْتَ أَمْرِي ) أى التى أمرتك به من القيام بمصالحهم ثم أخذ بشعر رأسه يمينه وحيته بشماله غضبا وإنكاراً عليه لأن الفيرة فى الله ملكته ( قَالَ يَبْنَؤُمْ ) ويخفض اليم شامى وكوفى غير حفص وكان لأبيه وأمه عند الجمهور ولكنك ذكر الأم استطلافاً وترقيقاً ( لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ) ثم ذكر عنده فقال ( إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ ) إن قاتلت بعضهم بعض ( فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ) أو خفت أن تقول إن فارقتهم واتبعتك ولحق بى فريق وتبع السامرى فريق: فرقت بين بنى إسرائيل ( وَلَمْ تَرْقُبْ ) ولم تحفظ ( قَوْلِي ) اخلفنى فى قوى وأسلح وفيه دليل على جواز

الاجتهاد ثم أقبل موسى على السامري متكرراً عليه حيث ( قَالَ فَمَا خَطْبُكَ ) يا أمرك الذي  
تخاطب عليه ( يَسْمِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُ بِهِ ) وابتلاء حزة وبلي، وقال الزجاج بصر  
علم أو بصير نظراً، علمت ما لم يعلمه بنوا إسرائيل قال موسى وماذا قال رأيت جبريل على فرس الحياة  
فأتاني في نفسي أن أقبض من أثره فما ألقيته على شيء إلا صار له روح ولحم ودم ( فَتَبَيَّنْتُ قُبْحَ )  
القبضة المرة من القبض وإطلاقها على القبض من تسمية الفعل بالمصدر كضرب الأمير وقرىء  
قبضت قبضة فإضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الأصابع ( مَنْ أَثَرُ الرَّسُولِ ) أى  
من أثر فرس الرسول وقرىء بها ( فَتَبَيَّنْتُهَا ) فطرحتها في جوف المجل ( وَكَذَلِكَ سَوَّاتِ )  
زينت ( لِي نَفْسِي ) أن أفعله ففعلته اتباعاً لهواى وهو اعتراف بالخطأ واعتذار ( قَالَ ) له موسى  
( فَأَذْهَبْ ) من بيننا طريداً ( فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ ) ماعشت ( أَنْ تَقُولَ ) لمن أراد مخالطتك  
جاهلاً بحالك ( لَا مِسَاسَ ) أى لا عسى أحد ولا أمسه فنع من مخالطة الناس منكم كلياً  
وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته وإذا اتفق أن يماس أحداً حم الماس والممسوس وكان  
يهم في البرية يصيح لامساس ويقال إن ذلك موجود في أولاده إلى الآن وقيل أراد موسى  
عليه السلام أن يقتله ففعله الله تعالى منه لسخائه ( وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ ) أى لن تخلفك  
الله موعده الذى وعده على الشرك والفساد فى الأرض ينتجزه لك فى الآخرة بعدما عاقبك  
بذلك فى الدنيا لن تخلفه مكى وأبو عمر وهذا من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفاً ( وَانْظُرْ إِلَى  
إِلَهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ ) وأصله ظلت تخفى اللام الأولى تخفيفاً ( عَكِيفًا ) مقياً ( لَنُفَجِّرَنَّ )  
بالنار ( ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ ) لنذرينه ( فِي أَيْمٍ نَّسْفًا ) غرقه وذراه فى البحر فشرّب بعضهم من  
مائه حياً له فظهرت على شفاههم سفرة الذهب ( إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ) تميز أى وسع علمه كل شيء وعمل الكاف فى ( كَذَلِكَ ) نسب  
أى مثل ما اقتصدنا عليك قصة موسى وفرعون ( نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ )  
من أخبار الأمم الماضية كثيراً لبياناتك وزيادة فى معجزاتك ( وَقَدْ آتَيْنَاكَ ) أى أعطيناك  
( مِنْ لَدُنَّا ) من عندنا ( ذِكْرًا ) قرآناً فهو ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن أقبل عليه  
وهو مشتمل على الأقاصيص والأخبار الحقيقية بالتفكر والاعتبار ( مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ) من



هذا الذكر وهو القرآن ولم يؤمن به ( فَأَنَّهُ بِحِمْلِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَزْرًا ) عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشبها في ثقلها على المقاب وسعوبة احتمالها بالحل الثقيل الذى ينقض ظهره ويلقى عليه بهره أو لأنها جزء الوزر وهو الإثم ( خَلْدَيْنِ ) حال من الضمير في يحمل وإنما جمع على المسمى ووحده في فإنه حملا على لفظ من ( فِيهِ ) في الوزر أى في جزء الوزر وهو العذاب ( وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ) ساء في حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام في لهم للبيان كما في هيت لك والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الحمل حملا وزرم ( يَوْمَ يَنْفَخُ ) بدل من يوم القيامة، تنفخ أبو عمرو ( فِي السُّورِ ) القرن أو هو جمع صورة أى نفخ الأرواح فيها دليله قراءة قتادة الصور بفتح الواو جمع صورة ( وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ) حال أى عميا كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهذا لأن حذقة من يذهب نور بصره ترقق ( يَتَخَفَتُونَ ) يتسارون ( يَذَّهَبُ ) أى يقول بعضهم لبعض مرا لهول ذلك اليوم ( إِنْ لَيْسَ لَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا ( إِلَّا عَشْرًا ) أى عشر ليال يستقصرون مدة لبثهم في القبور أو في الدنيا لما يباينون من الشدائد التى تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لأن أيام السرور قصار أو لأنها ذهبت عنهم والذاهب وإن طالت مدته قصير بالانتهاء أو لاستطاعتهم الآخرة لأنها أبدا يستقصرونها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة وقد رجح الله قول من يكون أشد نقالا منهم بقوله ( نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ) أعد لهم قولا ( إِنْ لَيْسَ لَكُمْ إِلَّا يَوْمًا ) وهو كفوفه قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فأسأل العادين ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ) سألوها النبي ﷺ ما يصنع بالجبال يوم القيامة وقبل لم يسئل وتهديره إن سألك ( فَقُلْ ) ولما قرن بالقاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله ويسئلك عن الحيف قل هو أذى وقوله ويسئلك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير. يسئلك عن الخمر والميسر قل فهما إثم كبير. يسئلك عن الساعة أيا منمراسها قل إنما علمها عند ربى . ويسئلك عن الروح قل الروح. ويسئلك عن ذى القرنين قل سأتلو لأنها سؤالات قدمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر القاء.

﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ أى يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى العظام وقال  
 الخليل يلقها ﴿يَقْدِرُهَا﴾ فينذر مقارها أو يجعل الضمير للأرض للعلم بها كقولها ما ترك على  
 ظهرها (فَاعَا صَفْصَفًا) مستوية لمساء (لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا) انحناء (وَلَا أَمْتًا) ارتفاعا  
 والموج بالكسر إن كان فى المائى كما أن المفتوح فى الأعيان والأرض عين ولكن لا  
 استوت الأرض استواء لا يمكن أن يوجد فيها اعوجاج بوجه ما وإن دقت الحيلة ولطف  
 حوت مجرى المائى (يَوْمَئِذٍ) أضاف اليوم إلى وقت نصف الجبال أى يوم إذ نسفت وجاز  
 أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة (يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ) إلى المحشر أى صوت الداعى  
 وهو إسرائيل حين ينادى على صخرة بيت المقدس أبنا المظالم البالية والجلود المتعزقة واللحم  
 المتفرقة هلى إلى عرض الرحمن فيقبلون من كل أوب إلى سوبه لا يعدلون عنه (لَا هِوَجَ  
 لَهُ) أى لا يدوج له مدعو بل يستودون إليه من غير انحراف: من لموته (وَوُخْشِعَتِ) وسكنت  
 (الْأَنْوَاتِ لِلرَّحْمَنِ) هبة وإجلالا (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) سونا خفيفا لتحريك الشفاه  
 وقيل هومن همس الإبل وهو صوت أخفافها إذا مشت أى لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها  
 إلى المحشر (يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) محل من رفع على البدل  
 من الشفاعة بتقدير حذف المضاف أى لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمن أى أذن  
 للشافع فى الشفاعة (وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) أى رضى قولاً لأجله بأن يكون المشفوع له مسلماً  
 أو نصب على أنه مفعول تنفع (يَسْمَعُ مَا يَبَيِّنُ أَيْدِيَهُمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أى يعلم ما تقدمهم  
 من الأحوال وما يستقبلونه (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) أى بما أحاط به علم الله فيرجع الصمير إلى  
 ما أوجع الضمير إلى الله لأنه تعالى ليس بمحاطبه (وَعَنَتِ) خضعت وذلت ومنه قيل للأسير: عان  
 (الْوُجُوهُ) أى أصحابها (لِلْحَيِّ) الذى لا يموت وكل حياة يتعقبها الموت فهى كأن لم تكن  
 (التَّيُّومِ) الدائم القائم على كل نفس بما كسبت أو القائم بتدبير الخلق (وَقَدْ خَابَ) بئس  
 من رحمة الله (مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) من حمل إلى موقف القيامة شركاً لأن الظلم وضع الشيء  
 فى غير موضعه ولا ظلم أشد من حمل المخلوق شريك من خلقه (وَمَنْ يَمْعَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ)  
 الصالحات الطاعات (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) مصدق بما جاء به محمد عليه السلام وفيه دليل أنه يستحق  
 اسم الإيمان بدون الأعمال الصالحة وأن الإيمان شرط قبولها (فَلَا تَخَافُ) أى فهو لا يخاف

فلا يخف على النعمى مكى (ظُلماً) أن يزداد في سيئاته (وَلَا هَضْباً) ولا ينقص من حسناته  
وأصل الهضم النقص والكسر (وَكَذَلِكَ) عطف على كذلك نقص أى ومثل ذلك الإنزال  
(أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) بلسان العرب (وَصَرَّفْنَا) كررنا (فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)؛  
يجتنبون الشرك (أَوْ يُخَدِّثُ لَهُمْ) الوعيد أو القرآن (ذِكْرًا) عظة أو شرفاً بإيمانهم به  
وقيل أومعنى الواو (فَتَمَلَّى اللَّهُ) ارتفع عن فنون الفنون وأوهام الأوهام وتزه عن مضاهاته  
للأنام ومشابهة الأجسام (الْمَلِكُ) الذى يحتاج إليه الملوك (الْحَقُّ) الحق فى الأهوية ولما  
ذكر القرآن وإزاله قال استطرادا وإذا لقنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأن عليك ربنا  
بسمعك ويفهمك (وَلَا تَجْعَلْ بِالْقُرْآنِ) بقرائه (مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْصَلَ إِلَيْكَ وَحْيُهُ)؛  
من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) بالقرآن ومعانيه وقيل ما أمر  
الله رسوله بطلب الزيادة فى شئ إلا فى العلم (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ) أى أوحينا إليه أن  
لا يأكل من الشجرة يقال فى أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان وأوصى إليه وعزم  
عليه وعهد إليه فعطف قصة آدم على وصرفنا فيه من الوعيد، والمعنى وأقسم قسماً لقد أمرنا إياهم آدم  
ووصيناه أن لا يقرب الشجرة (مِنْ قَبْلِ) من قبل وجودهم يخالف إلى ما نهى عنه كما أنهم  
بخالفون يعنى أن أساس أمر بنى آدم على ذلك وهرقمه راسخ فيه (فَنَسِيَ) العهد أى النعمى  
والأنبياء عليهم السلام يؤاخذون بالنسيان الذى لو تكلفوا لحفظوه (وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً)  
قصدا إلى الخلاف لأمره أولم يكن آدم من أولى المزم. والوجود بمعنى العلم ومفعولاه له عزما  
أو معنى تقيض المدم أى وعد مثاله عزما وله متعلق بنجد (وَلِذَٰلِكَ) منصوب بإذكر (لِلْمَلَائِكَةِ  
اسْجُدُوا لِآدَمَ) قيل هو السجود اللغوى الذى هو الخضوع والتذلل أو كان آدم كالمبة  
لضرب تعظيم له فيه (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) عن ابن عباس وعصى الله عنهما أن إبليس كلن  
ملكاً من جنس المستقى منهم وقال الحسن: الملائكة أبواب الخليفة من الأرواح ولا يتناسلون  
وإبليس من نار السموم وإنما صرح استثناءه منهم لأنه كان يصحبهم ويسمى الله معهم (أَبْنَى)؛  
جملة مستأنفة كأنه جواب لن قال لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول  
عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الإياء وتوقف (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ

هَوَازُوجَكَ ) حيث لم يسجد لك ولم يرضك ( فَلَا يُخْرِجُكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ ) فلا يكون سببا  
 لإخراجكما ( فَتَتَّقِي ) تَحْتَبِى في طلب القوت ولم يقل فتشقى مراعاة لرؤس الآى أو دخلت  
 تبعا أو لأن الرجل هو الكافل لنفقة المرأة وروى أنه أهبط إلى آدم نور أحر وكان يحمرث  
 عليه ويمسح العرق من جبينه ( إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا ) في الجنة ( وَلَا تَمْرَى ) عن الملابس  
 لأنها معدة أبدا فيها ( وَأَنَّكَ ) بالكسر نافع وأبو بكر عطفًا على إن الأولى وغيرها بالفتح  
 عطفًا على ألا تجوع وعله نصب بأن وجاز للفصل كما تقول إن في على أنك جالس ( لَا  
 تَطْمَؤُنَّ فِيهَا ) لا تملأ لوجود الأثرية فيها ( وَلَا تَضْحَكُنَّ ) لا يصيبك حر الشمس إذ ليس  
 فيها شمس فأهلها في ظل محدود ( فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ) أى أنهى إليه الوسوسة كأمر  
 إليه ( قَالَ يَأْدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ) أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن  
 من أكل منها خلد بزعمه ولا يموت ( وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ) لا يفنى ( فَأَكَلَا ) أى آدم وحواء  
 ( مِنْهَا فَهَبَتْ لَهُمَا سُوءَهُمَا ) هوراتهما ( وَطَفِقَا ) طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو  
 ككاد في وقوع الخبر فلا مضارعا إلا أنه للشروع في أول الأمر وكاد للدنو منه ( يَخْصِفَانِ  
 عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ) أى يزقان الورق بسوءاتهما للتستر وهو ورق التين ( وَعَصَى آدَمُ  
 رَبَّهُ فَغَوَى ) ضل عن الرأى وعن ابن عيسى خلب، والحاصل أن العصيان وقوع الفعل على  
 خلاف الامر والنهى وقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد لا يكون عمدا فيكون زلة ولما وصف  
 فعله بالعصيان خرج فعله من أن يكون رشدا فكان غيا لأن النى خلاف الرشد وفي التصريح  
 بقوله وعصى آدم ربه فغوى والدول عن قوله وزل آدم مزجرة بليفة وموعظة كافة للمكافين كأنه  
 قيل لهم انظروا واضربوا كيف نعت على النبي المصوم حبيب الله زلته بهذه الفلظة فلاتهاونوا  
 بما يفرط منكم من الصفات فضلا عن الكبائر ( ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ ) قربه إليه واصطفاه وقرىء  
 به وأصل الكلمة الجمع يقال جبي إلى كذا فاجتبيته ( فَتَابَ عَلَيْهِ ) قبل توبته ( وَهَدَى )  
 وهداه إلى الاعتذار والاستغفار ( قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ) يعنى آدم وحواء ( إِنَّمَا يَذَرُ  
 آدَمُ ) ( لِبَعْضِ عَادُوِّ ) بالتعاسد في الدنيا والاختلاف في الدين ( فَلَمَّا يَأْتِيَ بُنِىَّكُمْ مِّنْى هَدًى )  
 كتاب وشريعة ( فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلَّ ) في الدنيا ( وَلَا يَشْقَى ) في المقبى قال ابن  
 عباس رضى الله عنهما : ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة

يعني أن الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامثل أوامره واتقى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي) من القرآن (فَإِنَّ لَهُ مِيشَةً ضَنْكًا) ضيقاً وهو مصدر يستوي في الوصف به الذكر والمؤنث من ابن جبير يسلبه القناعة حتى لا يشبع فع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة ومع الإعراض الحرص والشح فميشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يمرض أحدكم عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه (وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى) من الحجة عن ابن عباس أمي البصر وهو كقولهم: ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً. وهو الوجه (قَالَ رَبُّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) في الدنيا (قَالَ كَذَلِكَ) أي مثل ذلك قلت أنت ثم فسر فقال (أَنْتَ كَمَا يَبْغُوا فَنَفْسِيهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى) أي أنتك آياتنا واضحة فلم تنظر إليها بين المتبر وتركها ومحيت عنها فكذلك اليوم تركك على محاك ولا تزيل غطاءه عن عينيك (وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) لا نؤعد المرض عن ذكره بمقوبتين: الميشة الضنك في الدنيا وحشره أمي في المقبي ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أي للحشر على المعنى الذي لا يزول أبداً أشد من ضيق الميش النفقي (أَفَلَمْ يَهْتَدِ لَهُمْ) أي الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون (كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ) حال من الضمير المجرور في لم (فِي مَسْكِنِهِمْ) يريد أن قريشا يمشون في مساكن عاد وعمود وقوم لوط ويما يبنون آثارها لهم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى) لدوى العقول إذا تفكروا علموا أن استنصاهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا (وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سِبْطٍ مِنْ رَبِّكَ) أي الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد ﷺ (لَكَانَ زَآئِمًا) لازماً فاللزام مصدر لزم فوصف به (وَأَجَلٌ مُّسَمًّى) القيامة وهو معطوف على كلمة والمعنى وأولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازماً لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فَأَنبِئْهُمْ بِمَا هُمْ قَائِلُونَ) فيك (وَسَبِّحْ) وصل (يَحْمَدُ رَبَّكَ) في موضع الحال وأنت حامد لربك على أن وقتك للتسبيح وأعانك عليه (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) يعني صلاة النجبر (وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) يعني الظهر والمصر لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس

وغروبها (وَمِنْ هَاسِكِي الْيَلِّ فَسَبَّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ) أى وتعمد أثناء الليل أى ساعاته وأطراف النهار مختصا لما بصلاتك وقد تناول التيسيح فى أثناء الليل صلاة العتمة وفى أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصت فى قوله والصلاة الوسطى عند البعض وإنما جمع أطراف النهار وهما طرفان لأن الإلباس وهو عطف على قبل (لَمَّا كَ تَرَضَى) لعل للمخاطب أى اذكر الله فى هذه الأوقات رجاء أن تنال عند الله ما به رضى نفسك ويسر قلبك. وترضى على وأبو بكر أى يرضيك ربك (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ) أى نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يردده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به وفيه أن النظر غير المدود معفو عنه وذلك أن يياده الشيء بالنظر ثم ينض الطرف ولقد شدد المتقون فى وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة فى ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لا تنظروا إلى دققة هاليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لميوز النظارة فالناظر إليها يحصل لفرضهم ومفر لهم على اتخاذها (إِلَى مَا مَتَعْنَاهُ أَرْزُوجًا مِّمَّهُمْ) أصنافا من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال إلى الذى متعنا به وهو أصناف بمضمهم وناسا منهم (زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) زينتها وبهجتها وانتصب على التم أو على إبداله من محل به أو على إبداله من أزواجها على تقدير ذوى زهرة (لِنُفْتِنَهُمْ فِيهِ) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنمذنبهم فى الآخرة بسببه (وَرَزَقُ رَبِّكَ) ثوابه وهو الجنة أو الحلال الكافى (خَيْرٌ وَأَبْقَى) مما رزقوا (وَأْمُرْ أَهْلَكَ) أمتك أو أهل بيتك (بِالصَّوَاةِ وَاصْطَبِرْ) أنت داوم (عَلَيْهَا لَا نَسْتَكْ رِزْقًا) أى لا نسالك أن ترزق نفسك ولا أهلك (نَحْنُ نَرْزُقُكَ) وإياهم فلا تهتم لأمر الرزق وفرغ بك لأمر الآخرة لأن من كان فى عمل الله كان الله فى عمله وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ: ولا تمدن عينيك. الآية ثم ينادى الصلاة، الصلاة رحكم الله. وكان بكر بن عبد الله المزنى إذا أصاب أهله خصاصة قال: قوموا فصلوا بهذا أمر الله ورسوله، وعن مالك بن دينار مثله وفى بعض السانيد أنه عليه السلام كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (وَالنَّسِيَةُ لِلتَّقْوَى) أى وحسن المابقة لأهل التقوى بحذف المضانين (وَقَالُوا) أى الكافرون (لَوْ لَا يَأْتِيُنَا بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّهِ) هلا يأتينا محمد بآية من ربه تدل على صحة نبوته

(أَوَلَمْ تَأْتِيهِمْ) أو لم تأتئهم مدني وحفص وبصري (يَبْتِنُهُ مَا فِي السُّحُفِ الْأَوَّلَى) أي الكتب المتقدمة يعني أنهم اقترحوا على عاديهم في التمنت آية على النبوة قليل لم أو لم تأتئكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل محته لأنه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِمَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ) من قبل الرسول أو القرآن (لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا (هَلَا (أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ) بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء (ءَايَتِكَ مِن قَبْلُ) أن نَدِلْ) بنزول المذاب (وَنَخْزِي) في المعنى (قُلْ كُلُّ) أي كل واحد منا ومنكم (مُتَرَبِّصٌ) منتظر للمقابلة وما يؤول إليه أمرنا وأمركم (قَرَبُوا) أنتم (فَسَتَعْلَمُونَ) إذا جاءت القيامة (مَنْ أُمْتَحَبٌ) مبتدأ وخبر وعملها نصب (الصَّرَاطِ السَّوْيِ) السقيم (وَمَنْ اخْتَدَى) إلى النعيم القيم. قال رسول الله ﷺ «لا يقرأ أهل الجنة إلا سورة طه ويس» والله أعلم بالصواب

(سورة الأنبياء مكية ، وهي مائة واثننا عشرة آية كوفي

وإحدى عشرة آية مدني وبصري)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اٰتَرَبَّ) دنا (لِلنَّاسِ) اللام صلة لا تقرب من ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بالناس الشركون لأن ما يتولون صفات المشركين (حِسَابُهُمْ) وقت محاسبة الله إياهم بمجازاته على أعمالهم بمعنى يوم القيامة وإنما وصفه بالاقتراب قلة ما بقي بالإضافة إلى ماضى ولأن كل آت قريب (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) عن حسابهم وعما يفعل بهم ثم (مُعْرِضُونَ) عن التأهب لتلك اليوم بالاقتراب طم والغفلة والإعراض يتفاوتان بتفاوت الكلفين قرب غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه وإعراضه عن مولاه ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه وإعراضه عن دنياه فهو لا يفيق إلا برؤية الولي والأول إنما يفيق في عسكر الموتى فالواجب عليك أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب وتنبه للعرض قبل أن تنبه وتعرض عن المنافين وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين لتفوز ببقاء رب المالين (مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ) شئ من القرآن (مِّنْ رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ) في التنزيل إتيانه مبتدأة تلاوته قرب عهدهم باستماعهم والراد به الحروف المنظومة ولا خلاف

في حدوثها (إِلَّا اسْتَمَوْهُ) من النبي عليه السلام أو غيره ممن يتلوه (وَهُمْ يَلْمُونَ) يستهزئون به (لَاهِيَةً) حال من ضمير يلعبون أو وهم يلعبون ولا هية حالان من الضمير في استمعه ومن قرأ لاهية بالرفع يكون خيراً بعد خبر لقوله: وهم. وارتفعت (قُلُوبُهُمْ) بلاهية وهي من لها عنه إذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد بها، ومنها قال أبو بكر الوارق القلب اللاهي المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهوالها (وَأَسْرُوا) وبالفوا في إخفاء (النَجْوَى) وهي اسم من التناجي ثم أبدل (الَّذِينَ ظَلَمُوا) من واو وأسرُوا إيذاناً بأنهم الموسومون بالظلم فيما أسروا به أوجاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو مجرور المحل لكونه صفة أو بدلا من الناس أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى فقدم عليه أى والذين ظلموا أسروا النجوى (هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ) هذا الكلام كله في محل النصب بدل من النجوى أى وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرأ والمعنى أنهم اعتقدوا أن الرسول لا يكون إلا ملكا وإن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر، فلذلك قالوا على سبيل الإنكار: أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتمايئون أنه سحر (قُلْ رَبِّيَ) حمزة وعلى وحفص أى قال محمد وغيرهم قل ربى أى قل يا محمد للذين أسروا النجوى (يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) أى يعلم قول كل قائل هو فى السماء أو الأرض سراً كان أو جهراً (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْعَلِيمُ) بما فى ضمائرهم (بَلْ قَالُوا أَضَلَّتْ أَعْيُنُنَا أَوْ سَمِعْنَا بَلْ افْتَرَيْنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ) أضربوا عن قلوبهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام رآها فى نومه فتوهمها وحيا من الله إليه ثم إلى أنه كلام مقترى من عنده ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا الباطل للجلج والباطل رجاء غير ثابت على قول واحد ثم قالوا إن كان صادقا فى دعواه وليس الأمر كما يظن (فَلْيَأْتِنَا بِنَايَةٍ) بمعجزة (كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ) كما أرسل من قبله باليد البيضاء والوصا وإبراء الأكف وإحياء الموتى، وحمّة التشبيه فى قوله كما أرسل الأولون من حيث إنه فى معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين قولك أرسل محمد وبين قولك أتى عمد بالمعجزة فرد الله عليهم قلوبهم بقوله (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ



مِنْ قَرِيَّةٍ ( أَهْلَكْنَاهَا ) صفة قرية عند مجيء الآيات للقرحة لأنهم طلبوها  
 تعنتاً ( أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ) أى أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفئدة من هؤلاء القترحون لأنهم  
 بما اقترحوا مع أنهم أعمى منهم والمعنى أن أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم  
 يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلما أعطينا هؤلاء ما اقترحوا لنكثوا  
 أيضاً ( وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا ) هذا جواب قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم ( نُوحِي إِلَيْهِمْ )  
 نوحى حفص ( فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ) العلماء بالكتابين فإنهم يعرفون أن الرسل الموحى إليهم  
 كانوا بشراً ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة يمتدنون على قولهم ( إِنْ كُنْتُمْ لَا تَمْلِكُونَ )  
 ذلك ثم بين أنه كفى تقدمه من الأنبياء بقوله ( وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً ) وحد الجسد لإرادة الجنس  
 ( لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ) صفة لجسد أى وما جعلنا الأنبياء قبله ذوى جسد غير طامعين ( وَمَا  
 كَانُوا خَالِدِينَ ) كأنهم قالوا هلا كان ملكاً لا يعلم ويمخلد، إمام معتقدين أن الملائكة لا يموتون  
 أو مسمين بقاءهم المتدوحياتهم التطاوله خلوداً ( ثُمَّ صَدَقْتَهُمُ الْوَعْدَ ) بإنجائهم والأسفل  
 الوعد مثل واختار موسى قومه أى من قومه ( فَأَنْجَيْنَاهُمْ ) مما حل بقومهم ( وَمَنْ نَسَاكَ )  
 هم المؤمنون ( وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ) المجاوزين الحد بالكفر ودل الإخبار بإهلاك السرفين  
 على أن من نشاء غيرهم ( لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ) بامشقر يش ( كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ) شرفكم  
 إن علمتم به أو لأنه بلسانكم أو فيه موعظتكم أو فيه ذكر دينكم ودنياكم والجملة أى فيه  
 ذكركم صفة لكتابتها ( أَفَلَا تَتَّقُونَ ) ما فعلتكم به على غيركم فتؤمنوا ( وَكَمْ ) نصب بقوله  
 ( قَصَمْنَا ) أى أهلكنا ( مِنْ قَرِيَةٍ ) أى أهلها بدليل قوله ( كَانَتْ ظَالِمَةً ) كافرة وهى  
 واردة عن غضب شديد وسخط عظيم لأن القصم أظفع الكسر وهو الكسر الذى يبين تلازم  
 الأجزاء بخلاف القصم فإنه كسر بلا إيانة ( وَأَنْشَأْنَا ) خلقنا ( بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ) فسكنوا  
 مساكنهم ( فَلَمَّا أَحْسَوْا ) أى المهلكون ( بَأْسَنَا ) عذابنا أى علموا علم حس ومشاهدة  
 ( إِذَا هُمْ مِنْهَا ) من القرية وإذا للمفاجأة وهم مبتدأ والخبر ( يَرَكُونُ ) يهربون مسرعين  
 والركض ضرب الدابة بالرجل فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين من قريتهم لما  
 أدركتهم مقدمة العذاب أو شبهوا فى سرعة عدوم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم  
 قهيل لهم ( لَا تَرْكُضُوا ) والقائل بعض الملائكة ( وَارْجِعُوا إِلَى مَا أَنْزَلْنَاهُ فِيهِ ) نصمى

فيه من الدنيا ولين الميث. قال الخليل: الترف الموسع عليه عيشه القليل فيه هم (وَبَسَّكِنُكُمْ لَمَكُكُمْ تُسْأَلُونَ) أى يقال لهم استهزأ بهم: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم فى مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن يتفد فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وكيف نأق ونذر كمادة النعمين المحضين أو يسألكم الناس فى أنديتكم المعاون فى نوازل الخطوب أو يسألكم الوافدون عليكم والطاع ويستمطرون سحاب أ كفكم أو قال بعضهم لبعض لا تركضوا وارجعوا إلى منازلكم وأموالكم لعلكم تسألون مالا وخراجا ملا تقتلون فنودى من السماء بالقارات الأنبياء وأخذتهم السيوف فم (قَالُوا بَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَلَمِينَ) اهترأهم بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ) هى إشارة إلى ياولنا (دَعَوْهُمْ) دعاءهم وتلك مرفوع على أنه اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز العكس (حَتَّى جَمَلْنَهُمْ حَصِيدًا) مثل الحصيد أى الزرع المحصود ولم يجمع كما لم يجمع القدر (خَمِيدِينَ) مبتعين غود النار وحصيدا خامدين مفعول ثان لجمل أى جملناهم جامعين لمائة الحصد والخود كقولك جملة حاوا حامضا أى جملة جامعا للطعمين (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَمَعِينَ) اللب فليلروق أوله ولايات له، ولاعين حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سويها هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلق للهو واللعب وإنما سويهاها ليستدل بها على قدرة مدبرها ولنجازى الحسن والسيء على ما تقتضيه حكمتنا ثم زه ذاته عن سمات الحدوث بقوله (لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا) أى ولدا أو امرأة كأنه رد على من قال: عيسى ابنه ومريم صاحبه (لَا تَخَذْنَهُ مِنْ لَدُنَّا) من الولدان أو الحور (إِنْ كُنَّا مُعْلِينَ) أى إن كنا ممن يفعل ذلك ولنا ممن يفعله لاستحالاته فى حقا وقيل هو نفى كقوله وإن أدرى أى ما كنا فاعلين (بَلْ نَقْذِفُ) بل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيهه منه لذاته كأنه قال سبحانه أن نتخذ اللهو بل من سننا أن نقذف أى نرى ونسلط (بِالْحَقِّ) بالقرآن (عَلَى الْبَاطِلِ) الشيطان أو بالإسلام على الشرك أو بالجد على اللب (فَيَذَرُوهُ) فيكسره ويدحض الحق الباطل وهذه استمارة لطيفة لأن أصل استعمال القذف والذم فى الأجسام ثم استعير القذف لإيراد الحق على الباطل والذم لإذهاب الباطل فالاستمرار منه حسي والاستمرار

له عقل فكانه قيل بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوى على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيطله إبطال الجسم القوى الضعيف (فَإِذَا هُوَ) أى الباطل (زَاهِقٌ) هالك ذاهب (وَلَكُمُ الْوَيْلُ يَوْمَ يُصْفَوْنَ) الله بهمن الولد ونحوه (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خلقاً وملاكاً فأنى يكون شيء منه ولداً له وبينهما تناف ويوقف على الأرض لأن (وَمَنْ عِنْدَهُ) منزلة ومكانة لا منزلاً ولا مكاناً يعنى اللاتسكة مبتدأ خبره (لَا يَسْتَكْبِرُونَ) لا يتعظمون (عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) ولا يسيون (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) حامل من فاعل يسبحون أى تسبيحهم متصل دائم فى جميع أوقاتهم لا تتخلله فترة بفرار أو بشغل آخر فتسبيحهم جار مجرى التنفس من أنم أشرب عن الشركين منكراً عليهم وموبخاً فجاء بأم التى بمعنى بل والمهزة فقال (أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنْ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ) يحيون الموتى ومن الأرض صفة لآلهة لأن آلهتهم كانت متخذة من جواهر الأرض كالذهب والفضة والحجر أو تعبد فى الأرض فنسبت إليها كقولك فلان من المدينة أى مدنى أو متعلق باتخذوا ويكون فيه بيان غاية الانخاذ وفى قوله هم ينشرون زيادة توبيخ وإن لم يدعوا أن أصنامهم تحيي الموتى وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات لأنه يلزم من دعوى الأنووية لها دعوى الإنشار لأن الماجز عنه لا يصح أن يكون إليها إذ لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشار من جهة المقدرات وقرأ الحسن ينشرون بفتح الباء وهما لفتان أنشأ الله الموتى وفشرها أى أحيأها (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ) أى غير الله وصفت آلهة بالآ كما وصفت بغير لوقيل آلهة غير الله ولا يجوز رفقه على البذل لأن لو بمنزلة إن فى أن الكلام معه موجب والبذل لا يسوغ إلا فى الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك ولا يجوز نصبه استثناء لأن الجمع إذا كان منكراً لا يجوز أن يستثنى منه عند المحققين لأنه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء والمعنى لو كان يدبر أمر السموات والأرض آلهة شتى غير الواحد الذى هو فاطرها (لَفَسَدَتَا) لخربتا الوجود المتانق وقد قرنا فى أصول الكلام ثم زعمه ذاته فقال (فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) من الولد والشرىك (لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ) لأنه المالك على الحقيقة ولو اعترض على السلطان بعض عباده مع وجود التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم الملك الحقيقى لاستعجب ذلك وعد سفاها فن هو مالك الملوك ورب الأبواب وفله صواب كله أولى

بأن لا يترض عليه (وَهُمْ يُسْتَلَوْنَ) لأنهم مما يكونون خطاءون فما أخلقهم بأن يقال لهم لم  
فعلتم في كل شيء فعلاوه وقيل وهم يستلون يرجع إلى المسيح والملائكة أى هم مسئولون فكيف  
يكونون آلهة والألوهية تنافي الجنسية والسلوية (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً) الإعادة  
زيادة الإفادة فالأول للإنكار من حيث العقل والثاني من حيث النقل أى وصفتم الله تعالى بأن  
يكون له شريك فقيل لمحمد (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) حججتكم على ذلك وذاعلى وهو ياباه  
كما مر أو قلى وهو الروحى وهو أيضا ياباه فإنكم لا تجدون كتابا من الكتب السماوية إلا  
وفيه توحيدة وتزبيحه عن الإنداد (هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَّيِّ) يعنى امته (وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي)  
يعنى أمم الأنبياء من قبلى وهو وارد في توحيد الله ونفى الشركاء عنه. معى حفص فلما لم يمتنعوا  
من كفرهم أضرب عنهم فقال (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ) أى القرآن وهو نصب  
يعلمون وقرئ الحق أى هو الحق (فَهُمْ) لأجل ذلك (مُعْرِضُونَ) عن النظر فيما يجب عليهم  
(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ) إلا نوحى كوفى غير أبى بكر وحامد  
(أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) وحدون فهذه الآية مقررة لما سبقها من آى التوحيد (وَقَالُوا  
اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ) نزلت في خراعة حيث قالوا : الملائكة بنات الله فزده داته عن  
ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد بقوله (بَلْ عِبَادٌ مُشْكُرُونَ) أى بل هم عباد مكرمون مشرفون  
مقربون وليسوا بأولاد إذ البودية تنافي الولادة (لَا يَسْتَفْتُونَهُ بِالْقَوْلِ) أى بقولهم فأنيت  
اللام مناب الإضافة والمعنى أنهم يقيمون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم  
(وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَتَمَكَّنُونَ) أى كما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا مبنى على أمره لا يعملون  
علاما بأمره (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أى ما قدموا وأخروا من أعمالهم (وَلَا يَشْفَعُونَ  
إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ نَفْسُ) أى لمن رضى الله عنه وقال لا إله إلا الله (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ)  
خائفون (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ) من الملائكة (إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ) من دون الله (إِنِّي مَدْفَى  
وَأَبُو عَمْرٍو) (فَذَلِكَ) مبتدا أى فذلك القائل خبره (نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ) وهو جواب الشرط  
(كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) الكافرين الذين وضعوا الإلهية في غير موضعها وهذا على سبيل  
النقض والتتمثيل لتحقق عصمتهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما وقادة الضحاك قد تحقق

الوعيد في إبليس فإنه ادعى الألوهية لنفسه ودعا إلى طاعة نفسه وعبادته (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا)؛  
 ألم ير مكي (أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا) أى جماعة السماوات وجماعة الأرض فلذا لم يقل  
 كن (رَقَّتَا) بمعنى الفعول أى كانتا مرتوقيتين وهو مصدر فلذا صلح أن يقع موقع مرتوقيتين  
 (فَفَتَقْنَهُمَا) فشققناهما والفتق الفصل بين الشئين والرتق ضد الفتق فإن قيل متى رأوها  
 رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلنا إنه وارد في القرآن الذى هو معجزة فقام مقام المرئى الشاهد  
 ولأن الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الأرض والسما وتباينهما جائزان في العقل فلا اختصاص بالتباين  
 دون التلاصق لا يد له من خصص وهو القديم جل جلاله ثم قيل إن السماء كانت لاصقة بالأرض  
 لانفصاء بينهما ففتقناهما أى فصلنا بينهما بالهواء وقيل كانت السماوات مرتقة طبقة واحدة ففتقها  
 الله تعالى وجعلها سبع سماوات وكذلك الأرض كانت مرتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها  
 سبع أرضين وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض  
 بالنبات (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا) أى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق  
 كل دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه وجهه له وقلة صبره عنه كقوله  
 خلق الإنسان من عجل (أَفَلَا يَوْمِنُونَ) يصدقون بما يشاهدون (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ  
 رَوَاسِيًّا) جبالا ثوابت من رسا إذا ثبت (أَنْ تَحِيدَ بِهِمْ) لتلا تضطرب بهم خذف لا واللام  
 وإنما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزداد ذلك في ثلثا يعلم أهل الكتاب (وَجَعَلْنَا فِيهَا  
 فِجَاجًا) أى طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع ونصب على الحال من (سُبُلًا) متقدمة  
 فإن قلت أى فرق بين قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا وبين هذه قلت الأول للإعلام  
 بأنه جبل فيها طرقا واسعة والثاني لبيان أنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان له  
 أنهم ثم (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) ليهتدوا بها إلى البلاد المقصودة (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَافًا مَّحْفُوظًا)  
 في موضعه عن السقوط كما قال ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه أو محفوظا بالشهب  
 عن الشياطين كما قال وحفظناها من كل شيطان رجيم (وَهُمْ) أى الكفار (عَنْ عَابَتِهِمْ)  
 عن الأكلة التي فيها كالشمس والتمر والنجوم (مُعْرِضُونَ) غير متفكرين فيها فيؤمنون  
 (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ) لتسكنوا فيه (وَالنَّهَارَ) لتتصرفوا فيه (وَالشَّمْسَ) لتكون

حراج النهار (وَالْقَمَرَ) ليكون سراج الليل (كُلُّ) التنوين فيه عوض عن الضاف إليه  
 أى كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد بهما حسن الطوالع وجمع جمع التلاء للوصف بفعلهم  
 وهو السباحة (فِي فَلَكٍ) عن ابن عباس رضى الله عنهما الفلك السماء والمجهور على أن الفلك  
 مروج مكفوف تحت السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم وكل مبتدأ خبره (يَسْبَحُونَ)  
 يسيرون أى يدورون والجملة في محل النصب على الحال من الشمس والقمر (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ  
 نَّبِيِّكَ الْخُلْدَ) البقاء الدائم (أَفَلَا يَنفَكُّ) بكسر الهم مدنى وكوفي غير أبى بكر (فَهُمُ الْخَالِدُونَ)  
 والفاء الأولى لمطف جملة على جملة والثانى لجزاء الشرط كانوا بقدره أنه سيموت فنفي الله  
 عنه الثمالة بهذا أى قضى الله أن لا يخلد فى الدنيا بشر أفان مت أنت أبقي هؤلاء (كُلُّ نَفْسٍ  
 ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُواكُمْ) ونختبركم سعى ابتلاء وإن كان عالما بما سيكون من أعمال الماملين  
 قبل وجودهم لأنه فى سورة الاختبار (بِالنَّارِ) بالقمر والضر (وَالْخَيْرِ) النقى والنفع (فَتَنَّةٌ)  
 مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه (وَالْيَنَّا تُرْجَمُونَ) فتجازيكم على حسب ما يوجد منكم  
 من الصبر والشكر وعن ابن ذكوان ترجمون (وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا) إِن يَتَّخِذُوا نَكَاتًا  
 ما يتخذونك (إِلَّا هُزُواً) مفعول ثان ليتخذونك نزلت فى أبى جهل مر به النبي ﷺ  
 فضحك وقال هذا نبي بنى عبد مناف (أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ) يعيب (أَلَيْسَ كُنتُمْ) والدكر  
 يكون بخير وبخلافه فإن كان الذاك صديقا فهو ثناء وإن كان عدوا فذم (وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ)  
 أى يذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية (هُمْ كَفَرُونَ) لا يصدقون به أصلا  
 فهم أحق أن يتخذوا هزوا منك فإنك محق وهم مبطلون وقيل يذكر الرحمن أى بما أنزل عليك  
 من القرآن هم كافرون جاحدون والجملة فى موضع الحال أى يتخذونك هزوا وهم على حال هى  
 أصل الهز والسخرية وهى الكفر بالله تعالى وكرهم للتأكيد أو لأن الصلة حالت بينه وبين  
 الظير فأعيد المبتدأ (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ) فسر بالجنس وقيل نزلت حين كان النضر  
 ابن الحارث يستمجل بالعذاب والمجل والمجلة مصدران وهو تقديم الشيء على وقته والظاهر  
 أن المراد الجنس وأنه ركب فيه المجلة فكأنه خلق من العجل ولأنه يكثر منه والعرب تقول  
 لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم أولا ذم الإنسان على إفراط المجلة وأنه مطبوع  
 عليها ثم منعه وزجره كأنه قال ليس يبدع منه أن يستمجل فإنه مجبول على ذلك وهو طبعه وسجيته

فقد ركب فيه وقيل المجمل الطين بلنة حير قال شاعرهم \* والنخل يلبث بين الماء والمجل \*  
وإنما منع عن الاستمجال وهو مطبوع عليه كما أمره بفتح الشهوة وقد ركبها فيه لأنه أعطاه  
القوة التي يستطيع بها فتح الشهوة وترك المجلة ومن عجل حال أي عجلاً (سَأُورِيكُمْ ءَابِييَ)  
مقاني (فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ) بالإتيان بها وهو بالياء عند يعقوب واقعه سهل وعياش في الوصل  
(وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) إتيان العذاب أو القيامة (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) قيل هو أحد  
وجهي استمجالهم (لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ هُنَّ وَجُوهُهُمُ النَّارَ وَلَا عَنْ  
ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) جواب لو محذوف وحسن مفعول به ليعلم أي لو يعلمون الوقت  
الذي يستمجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدم فلا  
يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يحدون ناصراً ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من  
الكفر والاستهزاء والاستمجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم (بَلْ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ  
بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ) فتحيرهم أي لا يكفونها بل تفجأهم فتغلبهم (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا)  
فلا يقدرون على دفعها (وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) يمهلون (وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْءَ يَرُسُلَهُ مِنْ قَبْلِكَ  
فَحَقَّاقٌ) غل وزل (بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ) جزاء (مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) سلى رسول  
الله ﷺ عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء أسوة وأن ما يفعلونه به ينجيهم كما حاق  
بالستهزئين بالأنبياء ما فعلوا (قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ) يحفظكم (بِالْيَلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ).  
أي من عذابه إن أتاكم ليلاً أو نهاراً (بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ) أي بل هم معرضون  
عن ذكره ولا يخطر ببالهم فضلاً أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلاء منه عرفوا من  
الكلاء وصلحوا للسؤال عنه والمضى أنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكلاء ثم بين أنهم لا  
يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكأؤهم ثم أضرب عن ذلك قوله (أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ  
نُتِمُّهُمْ مِنْ دُونِنَا) لما في أم من معنى بل فقال لهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا  
وحفظنا ثم استأنف بقوله (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْنَا يُسَجِّبُونَ) فيبين أن  
ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمسحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره  
وينصره ثم قال (بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءَ وَءَابَاؤَهُمْ حَتَّى طَالَ حَالُكُمُ الْيُسْرَى) أي ما هم فيه من

نَحْفُظُ وَالْكَلاَءَةَ إِنَّمَا هُوَ مَثَلًا مِنْ مَنَاعٍ يَمْنَعُهُمْ مِنْ إِهْلَاكِهَا وَمَا كَلَّاهُمْ وَأَبَاهُمْ الْوَاسِينَ  
إِلَّا تَتَّبِعُوا لَهُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَإِمَالًا كَمَا مَتَعْنَا بِهِمْ مِنْ الْكُفَّارِ وَأَمَلْنَاهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ  
الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ دَائِمُونَ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ أَمَلُ كَاذِبٍ (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي  
الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) أَيْ نَقُصُّ أَرْضَ الْكُفْرِ وَنَحْذِفُ أَطْرَافَهَا بِتَسْلِيْطِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهَا  
وَنُظَاهِرُهُمْ عَلَى أَهْلِهَا وَرُدَّهَا دَارَ إِسْلَامٍ، وَذَكَرْنَا نَأْتِي بِشَرْحِ أَنَّ اللَّهَ يُجْرِيهِ عَلَى أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ  
عَسَا كَرِهَهُمْ كَانَتْ تَغْزُوا أَرْضَ الْمُشْرِكِينَ وَتَأْتِيهَا غَالِبَةً عَلَيْهَا نَاقِصَةً مِنْ أَطْرَافِهَا (أَفَعِمُ الْقَائِلُونَ)  
أَفْكَارَ مَكَّةَ يَنْبَلُونَ بِمَدِّ أَنْ قَصَمْنَا مِنْ أَطْرَافِ أَرْضِهِمْ أَيْ لَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ يَنْبَلُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ  
ﷺ وَأَصْحَابُهُ بِنَصْرِنَا (قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ) أَخَوْفَكُمْ مِنَ الْمَذَابِ بِالْقُرْآنِ (وَلَا  
يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ) بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْمِيمِ وَرَفْعِ الصِّمِّ، وَلَا تَسْمَعُ الصِّمُّ شَيْءً عَلَى خُطَابِ النَّبِيِّ  
ﷺ (إِذَا مَا يُنْذِرُونَ) يَخَوْفُونَ وَاللَّامُ فِي الصِّمِّ وَالْمُهْدِ وَهُوَ إِيْشَارَةٌ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمُنْذَرِينَ وَالْأَصْلُ  
وَلَا يَسْمَعُونَ إِذَا مَا يَنْذِرُونَ فَوْضِعَ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَصَامُمِهِمْ وَسُدِّهِمْ أَسْبَابَهُمْ  
إِذَا مَا أُنْذِرُوا (وَلَكِنَّ مَسْمُومَهُمْ نَفْحَةً) دَفْعَةً يَسِيرَةً (مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ) مَفْعَةٌ لِنَفْحَةٍ  
(لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) أَيْ وَلَكِنْ مَسْمُومٌ مِنْ هَذَا الَّذِي يَنْذِرُونَ بِهِ أَدْنَى شَيْءٍ  
قِيلُوا وَدَعُوا بِالْوَيْلِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَاقْرَأُوا أَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ حِينَ تَصَامَمُوا وَأَهْرَضُوا وَقَدْ بَوْلَغَ  
حَيْثُ ذَكَرَ الْمُسَّ وَالنَّفْحَةَ لِأَنَّ النَّفْحَ يَدُلُّ عَلَى الْقِلَّةِ يُقَالُ نَفْحَةٌ بِمِطْيَةٍ: رِضْخَةٌ بِهَا مَعَ أَنْ يَنْبَاءَهَا  
الْمِرَّةُ فِي الْمُسِّ وَالنَّفْحَةُ ثَلَاثُ مِثَالَاتٍ لِأَنَّ النَّفْحَ فِي مَعْنَى الْقِلَّةِ وَالزَّرَاةُ يُقَالُ نَفْحَتُهُ الدَّابَّةُ  
وَهُوَ رِمَحٌ لِيْنٌ وَنَفْعُهُ بِمِطْيَةٍ رِضْخَةٌ وَالبِنَاءُ لِلْمِرَّةِ (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ) جَمْعُ مِيزَانٍ وَهُوَ مِيزَانُ  
بِهِ الشَّيْءُ تَعْرَفُ كَيْفَتُهُ وَعَنْ الْحَسَنِ هُوَ مِيزَانُ لَهُ كِفْتَانٌ وَلِسَانٌ وَإِنَّمَا جَمْعُ الْمَوَازِينِ لِتَعْظِيمِ شَأْنِهَا  
كَأَنَّ قَوْلَهُ يَأْتِيهَا الرِّسْلُ وَالزُّوْنُ لِمَصْحَافِ الْأَعْمَالِ فِي قَوْلِ (الْقِسْطِ) وَصِفَتِ الْمَوَازِينَ بِالْقِسْطِ  
وَهُوَ الْمَدْلُ مِثَالَةٌ كَأَنَّهَا فِي نَفْسِهَا قِسْطٌ أَوْ عَلَى حَذْفِ الْمِضَافِ أَيْ ذَوَاتِ الْقِسْطِ (لَيَوْمِ  
الْقِيَامَةِ) لِأَهْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَيْ لِأَجْلِهِمْ (فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا) مِنَ الظُّلْمِ (وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ  
حَبَّةٍ) وَإِنْ كَانَ الشَّيْءُ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِثْقَالُ بِالرَّفْعِ مَدْنَى وَكَذَلِكَ قِيلَ عَلَى أَنَّ التَّامَةَ (مِنْ خَرَدَلٍ)  
حَبَّةُ حَبَّةٍ (أَتَبَيَّنَّا لَكُمُ) أَحْضَرْنَا هَا وَأَنْتَ ضَمِيرُ التَّمَالُ لِإِضَافَتِهِ إِلَى الْحَبَّةِ كَقَوْلِهِمْ ذَهَبَتْ بَعْضُ



أصابه (وَكَفَىٰ بِنَا حَسِبِينَ) فالذين حافظين من ابن عباس رضى الله عنهما لأن من حفظ شيئاً حسبته وعلمه (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ ذِكْرًا) قيل هذه الثلاثة هى التوراة فعنى فرقان بين الحق والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به إلى سبيل النجاة وذكر أى شرف أو وعظ وتنبية أو ذكر ما يحتاج الناس إليه فى مصالح دينهم ودخلت الواو على الصفات كما فى قوله وسيدا وحصورا ونبيا وتقول مررت بزيد الكريم والعالم والصالح ولا انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله (لِّلْمُتَّقِينَ) وعمل (الَّذِينَ) جر على الوصفية أو نصب على المدح أودفع عليه (يَتَخَشَّعُونَ رَبَّهُمْ) يخافونه (بِالْغَيْبِ) حال أى يخافونه فى الخلاء (وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ) القيامة وأحوالها (مُشْفِقُونَ) خائفون (وَهَذَا) القرآن (ذِكْرٌ مِّبْرَأَتِكَ) كثير الخير غزير النفع (أَنزَلْنَاهُ) على محمد (أَقَاتِمُ لَهُ مُنْكَرُونَ) استفهام توبيخ أى جاحدون أنه منزل من عند الله (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ) هداة (مِّن قَبْلُ) من قبل موسى وهرون أو من قبل محمد عليه السلام (وَكُنَّا بِهِ) بإبراهيم أو برشده (عَلَمِينَ) أى علمنا أنه أهل لما آتيناه (إِذْ) إما أن تملق بآتيناه أو برشده (قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ تَأْتِيهِ التَّائِيلُ) أى الأستنام المصورة على صورة السباع والطيور والإنسان وفيه مجاهر لهم ليحقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها (الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَكِفُونَ) أى لأجل عبادتها مقيمون فلما عجزوا عن الإتيان بالدليل على ذلك (قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبِيدِينَ) فقلدناهم (قَالَ) لإبراهيم (لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) أراد أن المقلدين والمقلدون منخرطون فى سلك ضلال ظاهر لا ينفى على عاقل وأكده بأنتم ليصح العطف لأن العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل ممتنع (قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ) بالجد (أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ) أى أجاد أنت فى قول أم لآعب استظلام منهم إنكاره عليهم واستيمادا لأن يكون مامم عليه ضلالا فم أضرب عنهم خبراً بأنه جاد فيما قال غير لآعب مثبتا لربوبية الملك الملام وحدوث الأستنام بقوله (قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ) أى التماثيل فأتى بعبد الخلق ويرث الخلق (وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ) المذكور من التوحيد شاهد (مِّنَ الشَّاهِدِينَ وَتَأْتِيهِ) أمه والله وفى ثلثاء معنى التعجب من تسهيل الكيد على يده مع سمويته وتمرد ما قوة سلطة نمرود (لَأَكِيدَنَّ

أَصْنَعَكُمْ) لَا كَسْرُهَا (يَعْنِي أَنَّ تَوَلَّوْا مُذَرِّينَ) بِمَدِّ ذَهَابِكُمْ عَنْهَا إِلَى عَيْدِكُمْ قَالَ ذَلِكَ سِرًّا مِنْ قَوْمِهِ فَسَمِعَهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَمَرَضَ بِقَوْلِهِ إِلَى سَقِيمٍ أَيْ سَأْسَقِمَ لِيَتَخَلَّفَ فَرَجِعَ إِلَى بَيْتِ الْأَعْمَامِ (فَجَعَلَهُمْ جُدًّا) قِطْعًا مِنَ الْجَدِّ وَهُوَ الْقِطْعُ جَمْعُ جَذَاةٍ مَكْرُجَةٍ وَرَجَاجٌ جَذَاذًا بِالْكَسْرِ عَلَى، جَمْعُ جَذِيذٍ أَيْ عَجْذُودٍ كَتَخْفِيفٍ وَخَفَافٍ (إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ) (لِلْأَسْنَامِ) أَوْ لِلْكَفَّارِ أَيْ فَكَّرَهَا كُلُّهَا بِقَاسٍ فِي يَدِهِ إِلَّا كَبِيرَهَا فَفُلُقُ الْقَاسِ فِي عَفْهِ (لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ) إِلَى الْكَبِيرِ (يَرْجِعُونَ) فَيَسْأَلُونَهُ عَنْ كَسْرِهَا فَيَتَبَيَّنُ لَهُمْ عَجْزُهُ أَوْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَحْتِجُ عَلَيْهِمْ أَوْ إِلَى اللَّهِ لَمَّا رَأَوْا عَجْزَ آلِهِمْ (قَالُوا) أَيْ الْكَفَّارُ مَسِينٌ رَجَعُوا مِنْ عَيْدِهِمْ وَرَأَوْا ذَلِكَ (مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهِتِكَ إِنَّهُ أَيْمَنَ الظَّالِمِينَ) أَيْ إِنْ مِنْ فَعَلَ هَذَا الْكَسْرُ شَدِيدُ الظُّلْمِ لِمُرَادِهِ عَلَى الْآلِهَةِ الْحَقِيقَةِ عِنْدَهُم بِالتَّوْقِيرِ وَالتَّعْظِيمِ (قَالُوا سَمِعْنَا نَقَى بَذَرَ كُرْهُمُ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) الْجَلَّتَانِ صِفَتَانِ لَنَقَى إِلَّا أَنَّ الْأَوَّلَ وَهُوَ يَذْكُرُهُمْ أَيْ يَمِيهِمْ لَا يَذِمُّهُ لَلْسَمْعِ لِأَنَّكَ لَا تَهْوُلُ سَمِعْتَ زَيْدًا وَتَسْكُتُ حَتَّى تَذْكُرَ شَيْئًا مِمَّا يَسْمَعُ بِخِلَافِ الثَّانِي وَارْتِفَاعِ إِبْرَاهِيمَ بِأَنَّهُ قَاعِلٌ يُقَالُ قَاعِلًا الْأَسْمُ لِأَلْسَمَى أَيْ لَقِيَ يُقَالُ لَهُ هَذَا الْأَسْمُ (قَالُوا) أَيْ نَحْنُ وَنُشْرَفُ قَوْمَهُ (قَاتُوا بِهِ) أَحْضَرُوا إِبْرَاهِيمَ (عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ) فِي مَحَلِّ الْحَالِ بِمَعْنَى مَا بَيْنَا مَشَاهِدًا أَيْ بِمَرَايِ مِنْهُمْ وَمَنْظَرٍ (لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) عَلَيْهِ بِمَا سَمِعَ مِنْهُ أَوْ بِمَا فَعَلَ كَأَنَّهُمْ كَرُمُوا عَقَابَهُ بِالْبَيِّنَةِ أَوْ بِحُضُورِ عَقُوبَتِهِ فَلَمَّا أَحْضَرُوهُ (قَالُوا أَنْتَ نَعَمْتَ هَذَا بِمَا هَيْتَا بُرْأَيْمِمْ قَالَ) إِبْرَاهِيمُ (بَلْ فَعَلَهُ) عَنْ الْكِسَائِيِّ إِنَّهُ يَقِفُ عَلَيْهِ أَيْ فَعَلَ مِنْ فَعَلَ وَنَبِيَهُ حَذَفَ لِقَاعِلٍ وَرَأَيْهِ لَا يَجُوزُ وَجَازٌ أَنْ يَكُونَ الْفَاعِلُ مُسْتَدًّا إِلَى الْفَتَى الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ مِمَّا نَقَى يَذْكُرُهُمْ أَوْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ يَا إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ قَالَ (كَبِيرُهُمْ هَذَا) وَهُوَ بَشَرًا وَخَبَرٌ وَالْأَكْبَرُ أَنَّهُ لَا يَقِفُ وَالْفَاعِلُ كَبِيرُهُمْ وَهَذَا وَصَفٌ أَوْ يَدُلُّ وَنَسَبُ الْفِعْلِ إِلَى كَبِيرِهِمْ وَقَصْدُهُ تَقْرِيرُهُ نَفْسَهُ وَإِثْبَاتُهُ لَهَا عَلَى أَسْلُوبِ تَعْرِيفِي تَبْكِيئًا لَهُمْ وَإِثْرًا لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ إِذَا نَظَرُوا لِلنَّظَرِ الصَّحِيحِ عَلِمُوا عَجْزَ كَبِيرِهِمْ وَرَأَيْهِ لَا يَصْلُحُ إِلَّا هَذَا وَهَذَا كَمَا لَوْ قَالَ لَكَ صَاحِبُكَ وَقَدْ كَتَبْتَ كِتَابًا بِخَطِّ رَشِيقٍ أُنِيقَ أَنْتَ كَتَبْتَ هَذَا وَصَاحِبُكَ أَيْ قُلْتُ لَهُ بَلْ كَتَبْتَهُ أَنْتَ كَانَ قَصْدُكَ بِهَذَا الْجَوَابِ تَقْرِيرُهُ لَكُمُ الْاسْتِهْزَاءَ بِهِ لَا تَقِيهِ عَنْكَ وَإِثْبَاتُهُ لِلْأَمْرِ لِأَنَّ إِثْبَاتَهُ لِلْمَاجِزِ مِنْكَ وَالْأَمْرُ كَأَنَّ بَيْنَكُمَا اسْتِهْزَاءً بِهِ وَإِثْبَاتَ

القادر ويمكن أن يقال غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها أشدلاً رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه لأن الفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ماتنكرون أن يفعله كبيركم فإن من حق من يعبد ويدعى إلهاً أن يقدر على هذا ويحكى أنه قال غضب أن تعبّد هذه الصنارمه وهو أكبر منها فكسرهن أو هو متعلق بشرط لا يكون وهونطق الأصنام فيكون نفياً للمخبر عنه أى بل يفعله كبيركم إن كانوا ينطقون، وقوله فاستلوهم اعتراض وقيل عرض بالكبير لنفسه وإنما أضاف نفسه إليهم لاشتراكهم في الحضور ( فَسْتَلَوْهُمْ ) عن حالهم ( إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ) وأنتم تعلمون عجزهم عنه ( فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ ) فرجعوا إلى عقولهم وتفكروا بقلوبهم لما أخذ بمخاطبتهم ( فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ) على الحقيقة بعبادة ما لا ينطق لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بلأهتنا إنه لمن الظالمين فإن من لا يدفع عن رأسه الفاس، كيف يدفع عن عابديه الباس ( ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ ) قال أهل التفسير أجرى الله تعالى الحق على لسانهم في القول الأول ثم أدركتهم الشقاوة أى ردوا إلى الكفر ببدان أقروا على أنفسهم بالظلم، يقال نكسته قلبته فحملت أسفله أعلاه أى استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم اقبلوا عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة بالباطل والكأبة وقالوا ( لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَاهُؤْلاءَ يَنْطِقُونَ ) فكيف تأمرنا بسؤالها والجملة سدت مشد مفعولى علمت والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم ( قَالَ ) محتجاً عليهم ( أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً ) هو في موضع المصدر أى نعماً ( وَلَا يَضُرُّكُمْ ) إن لم تعبدوه ( أَفَرَأَيْتُمْ لَكُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) أف صوت لذا صوت به علم أن صاحبه متضجر، ضجر ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عندهم وبعد وضوح الحق فتأفف بهم واللام لبيان التأفف به أى لكم ولأهلتكم هذا التأفف، أف مدنى وحفص، أف مكى وشامى أف غيرهم ( أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) أن من هذا وصفه لا يجوز أن يكون إلهاً فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب ( قَالُوا حَرِّقُوهُ ) بالنار لأنها أهول ما يهاب به وأفظع ( وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ ) بالانتقام منه ( إِنْ كُنْتُمْ قَمِيلِينَ ) أى إن كنتم ناصرين آلهتكم نصرتم مؤزراً فاختاروا له أهول الماقيات وهو الإحراق بالنار والإفراط في نصرتها والذى أشار بإحراقه نمرود أودجلاً

من أكراد فارس وقيل إنهم حين هموا بإحراقه حبسوه ثم بنوا بيتاً بكوني وجمعوا شهراً أصناف الخشب ثم أشعلوا ناراً عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقبداً مغلولاً فرموا به فيها وهو يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، وقال له جبريل هل لك حاجة فقال أما إليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وما أحرقت النار إلا بإقائه وعن ابن عباس إنما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل (قُلْنَا يَبْنَؤُكَ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا) أي ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام (عَلَى إِبْرَاهِيمَ) أراد ابردى نيلك منك إبراهيم وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها والمعنى أن الله تعالى رزع عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحرو والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق كما كانت وهو على كل شيء قدير (وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) إحراقاً (فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ) نأرسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضه في دماغ نمرود فأهلكته (وَنَجَّيْنَاهُ) أى إبراهيم (وَلُوطًا) ابن أخيه هاران من العراق (إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) أى أرض الشام وبركتها أن أكثر الأنبياء منها فانتشرت في العالمين آثارهم الدينية وهى أرض خصب يطيب فيها عيش النقي والفقير وقيل سامن ماء عنب في الأرض إلا وينبع أصله من سخرة بيت المقدس، روى أنه نزل بفلسطين لوطاً بالموثقة وبينهما مسيرة يوم و ليلة. وقال عليه السلام «إنها ستكون هجرة بمدحجرة فغار الناس إلى مهاجر إبراهيم» (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً) قيل هو مصدر كالمافية من غير لفظ الفعل السابق أى وهبنا له هبة وقيل هو ولد الولد وقد سأل ولداً فأعطيه وأعطى يعقوب نافلة أى زيادة وفضلاً من غير سؤال وهى حال من يعقوب (وَكُلًّا) أى إبراهيم وإسحق ويعقوب وهو المفعول الأول لقوله (جَعَلْنَا) والثاني (صَالِحِينَ) في الدين والنسب (وَجَعَلْنَاهُمْ أُرْسُلَةً) بفتدى بهم في الدين (يَهْدُونَ) الناس (بِأَمْرِنَا) بوحينا (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ) وهى جميع الأعمال الصالحة وأسله أن تفعل الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله (وَأَقَامَ الْمَلَكُوتَ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ) والأصل وإقامة الصلاة إلا أن الصاف إليه جعل بدلاً من الماء (وَكَانُوا لَنَا عِبِيدِينَ) لا لإلإسناهم فأنتم يامعشر العرب أولاد إبراهيم فاتبموه في ذلك (وَلُوطًا) اتعصب بفعل يفسره (عَايَنْتَهُ حُكْمًا) وهى ما يجب فعله من العمل أو فصلاً بين الخصوم

أو نبوة (وَعِلْمًا) فقها (وَنَجِيَّةً مِنَ الْقَرِيَةِ) من أهلها وهي سدوم (الَّتِي كَانَتْ تَمْلُكُ  
 الْخَبِيثَاتِ) اللواتي والضرط وحذف المارة بالحصى وغيرها (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَيَقِينُ) خارجين  
 عن طاعة الله (وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا) في أهل رحمتنا أو في الجنة (إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)  
 أى جزاء له على صلاحه كما أهلكنا قومه عقابا على فسادهم (وَنُوحًا) أى واذكرونا (إِذْ نَادَى)  
 أى دعا على قومه بالهلاك (مِنْ قَبْلُ) من قبل هؤلاء المذكورين (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) أى دعاه (فَنَجَّيْنَاهُ  
 وَأَهْلَهُ) أى المؤمنين من ولده وقومه (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) من الطوفان ونكذيب أهل  
 الطغيان (وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا) منعناه منهم أى من أذاهم (إِنَّهُمْ  
 كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمِينَ) صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم (وَدَاوُدَ  
 وَسُلَيْمَانَ) أى واذكروهما (إِذْ) بدل منهما (يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ) في الزرع أو الكرم  
 (إِذْ) ظرف ليحكمان (نَفَسَتْ) دخلت (فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ) ليلاً فأكلته وأفسدته والنفس  
 انتشار النعم ليلاً بلا راع (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ) أرادهما والمتحاكين إليهما (شَهِيدَيْنِ) أى  
 كان ذلك بعلينا ومرأى منا (فَفَهَّمْنَاهَا) أى الحكومة أو الفتوى (سُلَيْمَانَ) وفيه دليل  
 على أن الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه وقصته أن النعم رعت الحرث وأفسدته بلا  
 راع ليلاً فصحا كما إلى داود فحكم بالنعم لأهل الحرث وقد استوت قيمتاها أى قيمة النعم  
 كانت على قدر التقصان من الحرث قال سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة غير هذا أرفق  
 بالفرقيين فعزم عليه ليحكم قال أرى أن تدفع النعم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها  
 وأموالها والحرث إلى رب النعم حتى يصلح الحرث ويعود كهينته يوم أفسد ثم يترادان فقال  
 القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان في شريعتهم فأما  
 في شريعتنا فلا ضمان عند أبي حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم بالليل أو بالنهار إلا أن يكون  
 مع البهيمة سائق أو قائد، وعند الشافعي رحمه الله يجب الضمان بالليل وقال الجصاص إنما ضمنوا  
 لأنهم أرسلوها ونسخ الضمان بقوله عليه السلام «الجماء جبار» وقال مجاهد كان هذا صلحا  
 وما فعله داود كان حكما والصلح خير (وَكُلًّا) من داود وسليمان (عَاثَيْنَا حُكْمًا) نبوة  
 (وَعِلْمًا) معرفة بموجب الحكم (وَسَخَّرْنَا) وذلنا (مَعَ دَاوُدَ الْغِيَالِ يَسْبَحْنَ) وهو حال  
 بمعنى مسبحات أو استغاثف كأن قال قال كيف سخرهن فقال يسبحن (وَالطَّبَرُ) مطوف

على الجبال أو مفعول معه وقدمت الجبال على الطير لأن تسخيرها وتسييحها أعجب وأغرب وأدخل في الإيجاز لأنها جاد روى أنه كان يمر بالجبال مسبعا وهي تتجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار ( وَكُنَّا قَمِيلِينَ ) بالأنبياء مثل ذلك وإن كان عجبا عندكم ( وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ ) أى عمل اللبوس والدروع واللباس والمراد الدرع ( لِيُخَصِّنَكُمْ ) شأى وحفظ أى العنفة، وبالنون أبو بكر وحامد أى الله عز وجل، وبالياء غيرهم أى اللبوس أو الله عز وجل ( مَنِ بَأْسَكُمْ ) من حرب عدوكم ( فَقُلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ) استفهام بمعنى الأسراى فاشكروا الله على ذلك ( وَلَسْتُمْ مِنَ الرَّاغِبِينَ ) أى وسخرنا له الريح ( عَصِيفَةً ) حال أى شديدة المهبوب ووصفت في موضع آخر بالرخاء لأنها تجرى باختياره فكانت في وقت رخاء وفي رقت عاصفه لمحبوبها على حكم إرادته ( تَجْرِي بِأَمْرِهِ ) بأمر سليمان ( إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ) بكثرة الأنهار والأشجار والنار والمراد الشام وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحي الأرض إليها ( وَكُنَّا يَكُلُ كُلُّ شَيْءٍ عَمَلِينَ ) وقد أحاط علمنا بكل شيء فتجربى الأشياء كلها على ما يقدر به من ( وَمِنَ الشَّيْطَانِ ) أى وسخرنا منهم ( مَنْ يَفْثُونَ لَهُ ) في البعار بأمر لاستخراج الدرر ما يكون فيها ( وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ) أى دون النوص وهو بناء الحارث والتماثيل والقصور والقصور والجفان ( وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ) أن يزنوا عن أمره أو يبدلوا أو يوجد منهم فسادا فهم مستخرون فيه ( وَأَيُّوبَ ) أى واذا كرايوب ( إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنِىْ ) أى دعا باني ( مَسْنِي الضَّرِّ ) الضرب بالفتح الضر في كل شيء وبالضم الضر في النفس من مرض أو هزال ( وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ) ألتف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر به بناية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فكانه قال أنت أهل أن ترحم وأيوب أهل أن يرحم فأرحه واكشف عنه الضر الذى مسه عن أنس رضى الله عنه أخبر عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض إلى الصلاة ولم يشتك وكيف يشكو من قيل له إنا وجدناه صابرا نعم العبد وقيل إنا شكاكنا إليه تلذذا بالنجوى لأمته نصرنا بالشكوى والشكاية إليه غاية القرب كما أن الشكاية منه غاية البعد ( فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ) أحبنا دعاه ( فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ ) فكشفنا ضره إنصافا عليه ( وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) روى أن أيوب عليه السلام كان روميا من ولد إسحق بن إبراهيم عليه السلام وله سبعة بنين وسبع بنات وثلاثة آلاف بعير وسبعة آلاف شاة وخمسة فدان يتيمها خمسة

عبد لسلك عبد امرأة وولد ونحبل فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرض في بدنه ثمانى عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله عز وجل فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة ثلاثين سنة فلما كشف الله عنه أحواله بأعيانهم ورزقه مثلهم معهم (رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا) هو مفعول له (وَذِكْرُى لِلْمَسِيْدِيْنَ) يعنى رحمة لأيوب ونذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه (وَإِسْمَاعِيلَ) بن إبراهيم (وَإِدْرِيسَ) بن شيث بن آدم (وَذَا الْكُفْلِ) أى اذكرهم وهو الياس أو زكريا أو يوشع بن نون وسعى به لأنه ذو الحظ من الله والكفل الحظ (كُلُّ مِّنَ الصَّابِرِيْنَ) أى هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر (وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا) نبوتنا أو النعمة فى الآخرة (إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِيْنَ) أى لا يشوب صلاحهم كدر الفساد (وَذَا النُّونِ) أى اذكر صاحب الحوت والنون الحوت فأضيف إليه (إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا) حال أى مراغها لقومه ومعنى مغضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها روى أنه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يتمظوا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضبا لله وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر ويتنظر الإذن من الله تعالى فى المهاجرة عنهم فابتلى بطن الحوت (فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ) نفيق (عَلَيْهِ) رعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه دخل يوما على معاوية فقال لقد ضربتقى أمواج القرآن البارحة ففرقت فيها فلم أجِدْ لنفسى خلاصا إلا بك قال وما هى يا معاوية فقرأ الآية فقال أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة (فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ) أى فى الظلمة الشديدة المتكاثفة بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات أو ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت (أَن) أى بأنه (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) أو يعنى أى (سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ) لنفسى فى خروجى من قوى قبل أن تأذن لى فى الحديث ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له وعن الحسن ما نجاه الله إلا إقراره على نفسه بالظلم (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) غم الزلة والوحشة والوحدة (وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِيْنَ) إذا دعونا واستأثموا بنا. نجى شامى وأيوبكر بادغام النون فى الجيم عند البعض لأن النون لا تدغم فى الجيم وقيل تقديره نجى النجاء المؤمنين فسكن الياء تخفيفا وأسند الفعل إلى المصدر

ونصب المؤمنين بالتجاء لسن في إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لا يجوز وفيه تسكين الياء وبابه الضرورات وقيل أصله ننجى من التنجية. فحذفت النون الثانية لاجتماع التوفين كما حذفت إحدى التامين في نزل الملائكة (وَزَكْرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا) سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم ردا أمره إلى الله مستسلما فقال (وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) أي فلان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث أي باق (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ) ولدا (وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) جعلناها سالحة للولادة بعد العقار أي بعد عقمها أو حسنة وكانت سيئة الخلق (إِنَّهُمْ) أي الأنبياء المذكورين (كَانُوا يُسْرِغُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) أي أنهم إنما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم لمبادرتهم أبواب الخير ومساعدتهم في تحصيلها (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) أي طمعا وخوفا كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران في موضع الحال أو المفعول له أي للرغبة فينا والرهبة منا (وَكَانُوا لَنَا خُشِعِينَ) متواضعين خائفين (وَالَّتِي) أي واذكر التي (أَحْصَيْتَ فَرَجَهَا) حفظته من الحلال والحرام (فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا) أجرينا فيها روح المسيح أو أمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها فأحدثنا بذلك النفخ عيسى في بطنها وإضافة الروح إليه تعالى لتشريف عيسى عليه السلام (وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَةً آيَةً) مفعول ثان (لِّلْمُكَلِّمِينَ) وإنما لم يقل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها ليل من غير فل أو التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك فآية مفعول المعلوم المطوف عليه ويدل عليه تراءة من رَأَى آيتين (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) الأمة الملة وهذه إشارة إلى ملة الإسلام هي ملة جميع الأنبياء وأمة واحدة حال أي متوحدة غير متفرقة والعامل مادل عليه اسم الإشارة أي أن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنصرفون عنها بإشار إليها ملة واحدة خبر مختلفة (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) أي ربيتكم اختيارا فاعبدوني شكرا واقتضارا والخطاب للناس كافة (وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) أصل الكلام وقطعتم إلا أن الكلام صرف إلى النبوة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا وصاروا فرقا وأحزابا ثم **فروعه** بأن هؤلاء الفرق المختلفة (كُلٌّ إِلَيْنَا رَاغِبُونَ) فنجازيهم على أعمالهم (فَمَنْ



يَقْتُلُ مِنَ الصَّالِحِينَ) شَيْثًا (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ (فَلَا كُفْرَانَ لِسَمِيهِ) أَيْ  
 فَإِنْ سَمِعَهُ مَشْكُورًا مَقْبُولًا وَالْكَفْرَانُ مِثْلُ فِي حُرْمَانِ الثَّوَابِ كَمَا أَنَّ الشُّكْرَ مِثْلُ فِي إِعْطَائِهِ وَقَدْ  
 نَفَى فِي الْجَنَسِ لِيَكُونَ أَبْلَغُ (وَأِنَّا لَهُ) لَلْسَمَى أَيْ الْحَفْظَةُ بِأَمْرِنَا (كَثِيرُونَ) فِي صَحِيفَةِ  
 حِلَّةٍ فَتَثْبِيهِ بِهِ (وَحَرَامٌ) وَحَرَمٌ كَقَوْلِي غَيْرِ حَفْصٍ وَخَلْفٍ وَهَذَا لَتَانِ كَحَلٍّ وَحَلَالٍ  
 وَزَنَا وَضَدَهُ مَعْنَى وَالْمَرَادُ بِالْحَرَامِ الْمَمْنَعُ وَجُودُهُ (عَلَى قَرِيَّةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)  
 وَالْمَعْنَى وَمَمْنَعٌ عَلَى مَهْلِكٍ غَيْرِ مُمْكِنٍ أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ بِالْبُيُوتِ أَوْ حَرَامٍ عَلَى قَرِيَّةٍ أَهْلَكْنَاهَا  
 أَيْ قَدَرْنَا إِهْلَاكَهُمْ أَوْ حَكَمْنَا بِإِهْلَاكِهِمْ ذَلِكَ وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ التَّقْدِيمَةُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ  
 وَالسَّمَى الْمَشْكُورُ غَيْرُ الْكَافِرِ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِسْلَامِ (حَتَّى) هِيَ الَّتِي  
 يَحْكِي بِمَدَّهَا الْكَلَامُ وَالْكَلَامُ الْحَكْمُ الْجَمْعُ مِنَ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ أَعْنَى (إِذَا) وَمَا فِي حِزْبِهَا  
 (فَتَنَحَّيْتُ يَأْجُوجُ وَيَأْجُوجُ) أَيْ قَطَعَ سَدَّهَا فَحَذَفَ الْمُنَافَ كَمَا حَذَفَ الْمُنَافَ إِلَى قَرِيَّةٍ فَتَنَحَّيْتُ  
 شَأْنِي وَهِيَ قَبِيلَتَانِ مِنْ جِنْسِ الْإِنْسِ يُقَالُ الْإِنْسُ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ نُسْعَةٌ مِنْهَا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ  
 (وَهُمْ) رَاجِعٌ إِلَى النَّاسِ السَّوْقِينَ إِلَى الْخَشَرِ وَقِيلَ هُمُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ يَخْرُجُونَ حِينَ  
 يَفْتَحُ السَّدُّ (مَنْ كُلُّ حَدَبٍ) نَزَلَ مِنَ الْأَرْضِ أَيْ ارْتَفَاعٍ (يَفْسِيُونَ) يَسْرِعُونَ (وَأَقْرَبَ  
 الْوَعْدُ الْحَقُّ) أَيْ الْقِيَامَةُ وَجَوَابُ إِذَا (فَإِذَا هِيَ) وَهِيَ إِذَا الْمَفْاجَأَةُ وَهِيَ تَقَعُ فِي الْمَجَازَةِ  
 سَادَةٌ مَسْدُ الْفَاءِ كَقَوْلِهِ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ فَإِذَا جَاءَتْ الْقَامِعَةُ تَمَازُتًا عَلَى وَصَلِ الْجَزَاءِ بِالشَّرْطِ  
 فَيُنَاقِذُ وَلَوْ قِيلَ نَفْعِي شَاخِصَةٌ أَوْ إِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ كَانَ سَدِيدًا وَهِيَ ضَمِيرٌ بِهِمْ يَوْضَحُهُ  
 الْأَبْصَارُ وَيُفْسِرُهُ (شَخِصَةً أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أَيْ مَرْتَقَةً الْأَجْفَانِ لِانْتِكَادِ تَطَرُّفٍ مِنْ  
 هَوْلٍ مَا هُمْ فِيهِ (يُؤْيَلِكُنَا) مَتَمَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ تَهْدِيرُهُ يَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا وَيَقُولُونَ حَالُ مَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 (قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا) الْيَوْمِ (بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) بَوْضَعْنَا الْعِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا  
 (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يَعْنِي الْأَصْنَامَ وَالْإِبِلِيسَ وَأَعْوَانَهُ لِأَنَّهُمْ بِطَاعَتِهِمْ لَهَا  
 وَاتِّبَاعِهِمْ خَطَاؤَهُمْ فِي حُكْمِ عِبَادَتِهِمْ (حَصْبٌ) حَطَبٌ وَقَرِئَ حَطَبٌ (جَهَنَّمَ) أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ  
 فِيهَا دَاخِلُونَ (لَوْ كَانَ هُوَ آلَاءَ إِلَهِةٍ) كَلَامُهُمْ (مَا وَرَدُوهَا) مَا دَخَلُوا النَّارَ (وَكُلٌّ) أَيْ  
 أَيْ الْعَابِدُ وَالْمُعْبُودُ (فِيهَا) فِي النَّارِ (خَلِدُونَ لَهُمْ) لِلْكَفَرِ (فِيهَا زَفِيرٌ) أَنْيْنٌ وَبَكَاءٌ

وعويل (وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ) شيئاً مالاَئهم صاروا صبا وفي السماع نوع أنس فلم يطموه  
 (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ) (الحصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن وهي السعادة  
 أو البشرى بالثواب أو التوفيق للطاعة فنزلت جواباً لقول ابن الزبيري عند تلاوته عليه السلام  
 على صناديد قريش إنكم وماتبدون من دون الله إلى قوله خالدون أليس اليهود عبد واعريراً  
 والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة على إن قوله وماتبدون لا يتناولهم لأن ما لن لا يعقل إلا  
 أنهم أهل عناد فزيد في البيان (أُولَئِكَ) يعني عزيراً والمسيح والملائكة (عَنَّا) عن جهنم (مُيَعَّدُونَ)  
 لأنهم لم يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى جميع المؤمنين لما روي  
 إن علياً رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال: أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد  
 وعبد الرحمن بن عوف، وقال الجليد رحمه الله: سبقت لهم منا العناية في البداية فظهرت لهم الولاية  
 في النهاية (لَا يَسْمَعُونَ حَاسِسًا) صوتها الذي يحس وحركة تلهمها وهذه مبالغة في الإيحاء  
 عنها أي لا يقرّبونها حتى لا يسمعوا صوتها وصوت من فيها (وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ) من  
 النعيم (خَلِدُونَ) مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة (لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ)  
 النفخة الأخيرة (وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ) أي تستقبلهم الملائكة مهتئين على أبواب الجنة  
 يقولون (هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) أي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم بكم في  
 الدنيا، المامل في (يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ) لا يحزنهم أو تتلقاهم. تطوى السماء يزيد، وطها نكبر  
 نجومها وعو رسوما أو هو ضد النشر نجمها وتطويها (كَطَيَّ السَّجِلَ) أي تاهية  
 (لِلْكِتَابِ) حزمة وعلى وحفص أي للمكتوب أي لا يكتب فيه من الماني الكثير: رغبر، رم  
 للكتاب أي كما يطوى الطومار للكتابة أو لا يكتب فيه لأن الكتاب أصله لمصدر كالسواء  
 ثم يوقع على الكتاب وقيل السجل: ملك يطوى كتب بني آدم إذا رفعت إليه تبل كاتب ثان  
 لرسول الله ﷺ والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والطي خفاف إلى انفعال  
 وعلى الأول إلى المفعول (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ ثُمَّ نَعِيدُهُ) انتصب الكاف فعل مضمر  
 يفسره نعيده وماموسولة أي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده، وأول خلق ظرف لبداً أي أول  
 ما خلق أحوال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وأول الخلق إيجاد أي  
 فكما أوجده أولاً يعيده ثانياً تشبيهاً للإعادة بالإبداء في تناول القدر لها على السواء والتذكير

في خلق مثله في قولك هو أول رجل جاء في تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونسكته إرادة تفصيلهم  
رجل رجل فلا فذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى أول الخلائق لأن الخلق مصدر لا يجمع (وَعَدًا)  
مصدر مؤكّد لأن قوله نبيده عدة للإعادة (عَلَيْنَا) أي وعدنا كأثنا لإعالة (إِنَّا كُنَّا قَبِيلِينَ)  
ذلك أي محققين هذا الوعد فاستمدوا له وقدموا صالح الأعمال للتخلص من هذه الأحوال (وَلَقَدْ  
كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ) كتاب داود عليه السلام (مَنْ يَمْدِدْ الذِّكْرِي) التوراة (أَنَّ الْأَرْضَ)  
أي الشأم (يَرْفَعَا عِبَادِي) ساكنة الباء حمزة غيره بفتح الباء (الصَّالِحُونَ) أي أمة محمد  
عليه السلام أو الزبور بمعنى المزبور أي المكتوب يعني ما أنزل على الأنبياء من الكتب، والذي  
أم الكتاب يعني اللوح لأن الكل أخذوا منه. دليله قراءة حمزة وخلف بضم الزاي على جمع  
الزبور بمعنى المزبور والأرض أرض الجنة (إِنَّ فِي هَذَا) أي القرآن أو في المذكور في هذه  
السورة من الأخبار والوعد والوعيد والواعظ (لَبَكَّنَا) لكفاية وأصله ما تبلغ به البنية  
(لَقَوْمٍ عِبِيدِينَ) موحدين وهم أمة محمد عليه السلام (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً) قال  
عليه السلام (إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَهْدَاةٌ) (لِّلْمَلَكِينَ) لأنه جاء بما يسددهم إن اتبعوه ومن لم يتبع فإتعا  
أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها. وقيل هو رحمة للمؤمنين في الدارين وللكافرين في  
الدنيا بتأخير العقوبة فيها. وقيل هو رحمة للمؤمنين والكافرين في الدنيا بتأخير عذاب  
الاستئصال والسخف والخسف. ورحمة مفعول له أو حال أي ذا رحمة (قُلْ إِنَّمَا) إنما لقصر  
الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم نحو إنما زيد قائم وإنما يقوم زيد. وقاعل (يُوحَىٰ)  
إِلَىٰ أُنْمَا إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ) والتقدير يوحى إلى وحدانية إلهي ويجوز أن يكون المعنى أن  
الذي يوحى إلى فتكون ما موصولة (فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ) استفهام بمعنى الأمر أي أسلموا  
(فَإِنْ تَوَلَّوْا) عن الإسلام (قُلْ ءَاذَنْتُكُمْ) أهلككم ما أمرت به (عَلَىٰ سَوَاءٍ) حال أي  
مستويين في الإعلام به ولم أخصص بعضكم وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية (وَلِنْ أَدْرِي  
أَقْرَبَ أَمْ يُبَيِّدُ مَا تُوعَدُونَ) أي لا أدري متى يكون يوم القيامة لأن الله تعالى لم يطلعني  
عليه ولكني أعلم بأنه كائن لإعالة أو لا أدري متى يحل بكم العذاب إن لم تؤمنوا (إِنَّهُ يَمْلِكُ  
الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَمْلِكُ مَا تَكْتُمُونَ) إنه عالم بكل شيء يعلم ما تباهاهروني به من الظن في  
الإسلام وما تكتُمونه في صدوركم من الأحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه (وَإِنْ أَدْرِي

لَيْكَلَهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ) وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم في الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون (وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ) وتمتع لكم إلى الموت ليكون ذلك حجة عليكم (قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ) اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل أو بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدد عليهم كما قال واشدد وطأتك على مضر. قال رب حفص على حكاية قول رسول الله ﷺ : رب احكم يزيد بنى أحكم زيد عن يعقوب (وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ) العاطف على خلقه (الْمُسْتَعْنَى) المطلوب منه العونة (عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ) وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطعمون أن تكون الشوكة لهم والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمانهم ونصر رسول الله ﷺ والمؤمنين وخذلهم أى الكفار وهو السمعان على ما يصفون .

### ( سورة الحج مكية وهي ثمان وسبعون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ) أمر بى آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهل صفه بقوله ( إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ) لينظروا إلى تلك الصفة يصبرون ويتصوروها بقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ورجوها من شدائد ذلك اليوم بامثال ما أمرهم به ربهم من التردى لباس التقوى الذى يؤمنهم من تلك الأفزاع. والزلزلة شدة لتحرك والإزجاج وإضافة الزلزلة إلى الساعة إضافة المصدر إلى فاعله كأنها هى التى تزلزل الأرض على الجواز الحكى أولى الظرف لأنها تكون فيها كقوله بل مكر الليل والنهار ووقتها يكون يوم القيامة أو عند طلوع الشمس من مغربها ولا حجة فيها للمتمثلة فى تسمية المدحوم شيئاً فإن هذا اسم لها حال وجودها وانتصب ( يَوْمَ تَرَوْهَا ) أى الزلزلة أو الساعة بقوله ( نَذْهَلُ ) نفعل. والنهول: النقلة ( كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ) عن إرضاعها أو عن الذى أرضعته وهو الطفل وقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا حدث وقد أقمت الرضيع ثديها ترعته عن فيه لما يلحقها من النهشة إذ المرضعة هى التى فى حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التى تشأها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع فى حال وصفها به ( وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ ) أى حبل ( حَمْلَهَا ) ولها قبل تمامه عن الحسن نذهل المرضعة عن ولدها لتغير فطام وتضع

الحامل مافي بطنها لغير تمام (وَتَرَى النَّاسَ) أيها الناظر (سُكَّرَى) على التشبيه لما شاهدوا بساط المزة وسلطنة الجبروت وسراق الكبرياء حتى قال كل نبى: نفسى نفسى (وَمَا هُمْ بِسُكَّرَى) على التحقيق (وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) خوف عذاب الله هو الذى أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتميزه. ومن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب. سكرى فيهما بالإمالة حمزة وعلى وهو كمطشى في عطشان. روى أنه تلت الآيات ليلًا في غزوة بنى المصطلق فقرأها النبي عليه السلام فلم ير أكثر باكميا من تلك الليلة (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ) في دين الله (يَتَّبِعِ عِلْمُ) حال تلت في النصر بن الحرث وكان جدلا يقول للملائكة: بنات الله. والقرآن: أساطير الأولين. والله غير قادر على إحياء من بلى أو هى عامة في كل من يخاصم في الدين بالهوى (وَيَتَّبِعُ) في ذلك (كُلَّ شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ) عات مستمر في الشر ولا وقف على مرید لأن ما بعده صفته (كُتِبَ عَلَيْهِ) قضى على الشيطان (أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ) تبعه أى تبع الشيطان (فَأَنَّهُ) فأن الشيطان (يُسَلِّهُ) عن سواء السبيل (وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) النار. قال الزجاج: الفاء في فأنه للمطف وأن مكررة للتأكيد ورد عليه أبو على وقال إن من إن كان للشرط فالفاء دخل الجزاء الشرط وإن كان بمعنى الذى فالفاء دخل على خبر المبتدأ والتقدير فالأمر أنه يضله قال والمطف والتأكيد يكون بعد تمام الأول والمعنى كتب على الشيطان إضلال من تولاها وهدايته إلى النار ثم أؤم الحجة على منكرى البعث فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ) يعنى إن اوتيتم في البعث فزبل ريسكم أن تنظروا في بدء خلقكم وقد كنتم في الابتداء ترابا وماء وليس سبب إنكاركم البعث إلا هذا وهو مبرورة الخلق ترابا وماء (فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ) أى أباكم (مِّن تَرَابٍ ثُمَّ خَلَقْنَا خَلْقًا مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) أى نطفة دم جامدة (ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ) أى لجة صغيرة قدر ما يعضغ (مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) المخلقة المسواة للساء من نقصان واليب كأن الله عز وجل يخلق المصفة متفاوتة منها ما هو كامل المخلقة أساس من الديوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وسورهم وطولهم وقصرهم وتماهم وقصائهم وإغا تقلناكم من حال إلى حال ومن خلقه إلى خلقه (لِتَبَيَّنَ لَكُمْ) بهذا التدرج كمال قدرتنا وسكنتنا وأن من قدر على خلق

البشر من تراب أولاً ثم من نطفة ثانياً ولا مناسبة بين التراب والماء وقدّر أن يجعل النطفة علقه والعلقه مضنفة والمضنفة عظماً قادراً على إعادة ما يبداه (وَقُرْ) بالرفع عند غير المفضل مستأنف بعد وقف. أى نحن تثبت (فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ) ثبوته (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) أى وقت الولادة وما لم نشأ ثبوته أسقطته الأرحام (ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ) من الرحم (طِفْلاً) حال وأريد به الجلس فلذا لم يجمع أو أريد به ثم نخرج كل واحد منكم طفلاً (ثُمَّ لَتَبْلُغُنَّ) ثم نربيهن لتبلغن (أَشُدَّكُمْ) كمال عقلكم وقوتكم وهومن أفاض الجوع التي لا يستعمل لها واحد (وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتَوَقَّى) عند بلوغ الأشد أو قبله أو بعده (وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْفُتُورِ) أخسه معنى الهرم والخرف (لِكَيْلَا يَتَلَمَّ مِنْ بَعْدِ عِلْمِهِ شَيْئاً) أى لكيلا يعلم شيئاً من بعد ما كان يعلمه أو لكيلا يستفيد علماً وينسى ما كان عالماً به ثم ذكر دليلاً آخر على البعث فقال (وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِئَةً) ميتة يابسة (فَلِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) تحركت بالنبات (وَرَبَّتْ) وانتفضت. وربأت حيث كان يزيد ارتفعت (وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ) صنف (يُوهِجُ) يحسن مادل للناظرين إليه (ذَلِكَ) مبتدأ خبره (بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) أى ذلك الذى ذكرنا أن خلق بنى آدم وإحياء الأرض مع ما فى تضاعيف ذلك من أصناف الحكم حاصل بهذا وهو أن الله هو الحق أى الثابت الوجود (وَأَنَّهُ يُخَيِّرُ الْمَوْتَى) كأحيا الأرض (وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ نَّزِيرٌ) قادر (وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا) وَأَنَّ اللَّهَ يَبَيِّنُ مَن فِي الْقُبُورِ) أى انه حكيم لا يخلف اليماد وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَجِدُلُ فِي اللَّهِ) فى صفاته فيصفه بفسير ما هو له . نزلت فى أبى جهل (يَتَّبِعُ عِلْمَهُ) ضرورى (وَلَا هُدًى) أى استدلال لأنه يهذى إلى المعرفة (وَلَا كِتَابٌ مُّبِينٌ) أى دعى والمسلم للإنسان من أحد هذه الوجوه الثلاثة (ثَانِي عِطْفِهِ) حال أى لا ويا عنقه من طاعة الله كبراً وخيلاء وعن الحسن ثانى عطفه بفتح العين أى مانع تعطفه إلى غيره (لِيُضِلَّ) تمليل للمجادلة. ليضل مكي وأبو عمرو (عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) أى القتل يوم بدر (وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ) أى جمع له عذاب الدارين (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ) أى السبب فى عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكفى منها باليد لأن اليد آلة الكسب (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ يَظْلِمُ لِمَنْ شَاءَ شَيْئاً) فلا يأخذ أحداً بهين

جذب ولا بذنب غيره وهو عطف على بما أى وبأن الله . وذكر الظلام بلفظ البالغة لاقرانه  
 بلفظ الجمع وهو العبيد ولأن قليل الظلم منه مع علمه بقبحه واستنائه كالكثير منا (وَمِنَ  
 النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) على طرف من الدين لافى وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم  
 على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكون وطمانينة وهو حال أى مضطربا (فَإِنْ أَصَابَهُ  
 خَيْرٌ) حصة فى جسمه وسعة فى معيشته (اطْمَأَنَّ) سكن واستقر (بِهِ) بالخير الذى أصابه  
 أو بالدين فعبد الله (وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ) شر وبلاء فى جسده وضيق فى معيشته (انْقَلَبَ  
 عَلَى وَجْهِهِ) جهته أى ارتد ورجع إلى الكفر كالذى يكون على طرف من المسكر فإن  
 أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن وإلا فروطار على وجهه. قالوا نزلت فى أارب قدموا المدينة  
 مهاجرين وكان أحدهم إذ أصبح بدنه وتحت فرسه مهرا سويا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر  
 ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت فى دينى هذا إلا خيرا واطمأن وإن كان الأمر بخلافه  
 قال ما أصبت إلا شرا وانقلب عن دينه (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ) حال وقد مقدرة دليله  
 قراءة روح وزيد خاسر الدنيا والآخرة والخسران فى الدنيا بالقتل فيها وفى الآخرة بالخلود فى  
 النار (ذَلِكَ) أى خسران الدارين (هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) الظاهر الذى لا يخفى على أحد  
 (يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) يعنى المصنم فإنه بعد الردة بفعل كذلك (مَا لَا يَنْفَعُهُ) إن لم  
 يعبده (وَمَا لَا يَنْفَعُهُ) إن عبده (ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَاسِدُ) من الصواب (يَدْعُوا لِمَنْ  
 ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ) والإشكال أنه تعالى نفى الضر والنفع عن الأصنام قبل هذه الآية  
 وأثبتهما لها هنا والجواب أن المعنى إذا فهم ذهب هذا الوم وذلك أن الله تعالى سفه الكافر  
 بأنه يعبد مجادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه أنه ينفعه ثم قال يوم القيامة يقول هذا  
 الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ولا يرى لها أثر الشفاعة لمن ضره أقرب  
 من نفعه (لَيْسَ الْمَوْئِلُ) أى الناصر صاحب (وَلَيْسَ الشَّيْءُ) للمصاحب وكرر بدعوا  
 كأنه قال يدعو يدعو من دون الله وما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه مبدودا أقرب  
 من نفعه بكونه شغيفا (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ  
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبد الله على  
 حرف (مَنْ كَانَ يَتْلُوكَ) أن لن ينفعه الله فى الدنيا والآخرة) المعنى أن الله ناصر رسوله

في الدنيا والآخرة فمن غلب من أعاديه غير ذلك ( فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ) بجمل ( إِلَى السَّمَاءِ ) إلى  
 ماء يته ( ثُمَّ لِيَقْطَعْ ) ثم ليختنق به وسعى الاحتناق قطعا لأن المختنق يقطع نفسه بحبس  
 مجاربه. وبكسر اللام بصري وشاى ( فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبْنَ كَيْدُهُ مَا يَنْظُرُ ) أى الذى يفيظه  
 أو ماصدرية أى غيظه والمعنى فليصودى نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذى  
 يفيظه وسعى فعله كيدا على سبيل الاستهزله لأنه لم يكديه محسوده إنما كادبه نفسه والمراد ليس  
 في يده إلا ما ليس بمذهب لما يفيظ ( وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ ) ومثل ذلك الإنزال أنزل القرآن  
 كله ( آيَاتٍ يَتَشَتَّى ) واضحات ( وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ) أى ولأن الله يهدي به الدين  
 يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا  
 وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ) قيل لأديان خمسة  
 أربعة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى فلا تكون ستة ( إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ  
 بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) في الأحوال والأماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا ولا يجمعهم في موطن  
 واحد وخبران الذين آمنوا إن الله يفصل بينهم كما يقول إن زيدا إن أباه قائم ( إِنَّ اللَّهَ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ) عالم به حافظ له فلينظر كل امرئ معتده وقوله وفعله وهو أبلغ  
 وعيد ( أَلَمْ تَرَ ) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام الميان ( أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي  
 الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ) قيل إن الكل يسجد  
 له ولكننا لا نقف عليه كما لا نقف على تسبيحها قال الله تعالى: وإن من شيء إلا يسبح بحمده  
 ولكن لا تفقهون تسبيحهم. وقيل معنى مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث فيه من أفعاله  
 وتسخير له سجودا له تشبيها لمطاوعته بسجود المكلف الذى كل خضوع دونه ( وَكَثِيرٌ  
 مِّنَ النَّاسِ ) أى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة أو هو مرفوع على  
 الابتداء ومن الناس صفة له والخبر محذوف وهو مثاب ويدل عليه قوله ( وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ  
 الْعَذَابُ ) أى وكثير منهم حق عليه المذاب بكفره وإيائه السجود ( وَمَن يُوْنِرِ اللَّهَ )  
 بالشفاعة ( فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ ) بالسعادة ( إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ ) من الإكرام والإهانة  
 وغير ذلك وظاهر هذه الآية والتي قبلها ينقض على المعتزلة قولهم لأنهم يقولون شاء أشياء ولم  
 يفعل وهو بقول يفعل ما يشاء ( هَذَانِ خَصْمَانِ ) أى فريقان مختصمان فالحصم صفة وصف



بها الفريق وقوله ( اِخْتَصَمُوا ) للمعنى وهذا للفظ والزاد المؤمنون والكافرون وقال ابن عباس رضى الله عنهما رجعا إلى أهل الأديان المذكورة فالؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم ( في ربهم ) في دينه وصفاته ثم بين جزاء كل خصم بقوله ( فَأَلْدَيْنَ كَافِرًا ) وهو فصل الخصومة المعنى بقوله إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ( قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ ) كأن الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة واختير لفظ الماضي لأنه كائن لاحالة فهو كالثابت المتحقق ( يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ ) بكسر الميم والميم بصرى وبضمهم حمزة وعلى وخلف وبكسر الميم وضم الميم غيرهم ( الْحَمِيمِ ) الماء الحار عن ابن عباس رضى الله عنهما لو سقطت منه قطرة على جبال الدنيا لأذابها ( يُصَهَرُ ) يذاب ( بِهِ ) بالحميم ( مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْعِائُودُ ) أى يذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر في الظاهر والباطن ( وَلَهُمْ مَقْمِعٌ ) سباط غنضة بهم ( مِنْ حَدِيدٍ ) تضرىون بها ( كَلِمَاتٌ أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا ) من النار ( مِنْ غَمٍّ ) بدل الاشتغال منها بإعادة الجار أو الأولى لابتداء الفاعلية والثانية بمعنى من أجل معنى كلما أرادوا الخروج من النار من أجل غم يلحقهم فخرجوا ( أَعِيدُوا فِيهَا ) بالقامع ومعنى الخروج عند الحسن أن النار تضر بهم بلهبها فتلقمهم إلى أعلاها فضرىوا بالقامع فهو فيها سبعين خريفاً والمراد بإعادتهم إلى معظم النار لأنهم ينفصلون عنها بالكلية ثم يمددون إليها ( وَذُوقُوا ) أى وقيل لهم ذوقوا ( عَذَابَ الْحَرِيقِ ) هو الفليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك ثم ذكر جزاء الخصم الآخر فقال ( إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ ) جمع أسورة جمع سوار ( مِنْ ذَهَبٍ وَكُلُوفًا ) بالنصب مدنى وعاصم وعلى ويؤتون لؤلؤا والجر غيرهم عطفاً على من ذهب وبترك الهزمة الأولى فى كل القرآن أبو بكر وعاد ( وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ) إبريسم ( وَهَدُوءٌ إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوءٌ إِلَى صِرَاطِ الْحَيِّدِ ) أى أرشد هؤلاء فى الدنيا إلى كلمة التوحيد وإلى صراط الحميد أى الإسلام أو هداهم الله فى الآخرة وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وهداهم إلى طريق الجنة والحيد الله المحمود بكل لسان

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى يمنعون عن الدخول في الإسلام  
ويصدون حال من فاعل كفروا أى وهم يصدون أى الصدود منهم مستمر دائم كما يقال فلان  
يحسن إلى الفقراء فإنه يراد به إستمرا وجود الإحسان منه في الحال والاستقبال (وَالْمَسْجِدِ  
الْحَرَامِ) أى ويصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه (الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ) مطلقا  
من غير فرق بين حاضر وباد فإن أريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على أنه لا تباع دور مكة  
وإن أريد به البيت فالمعنى أنه قبله لجميع الناس (سَوَاءٌ) بالنصب خفض مفعول ثانٍ لجعلناه أى  
جعلناه مستويا (الْمَكِيفُ فِيهِ وَالْبَادِ) وغير المقيم بالياء مكى واقفه أبو عمرو في الوصل وغيره  
بالرفع على أنه خبر والمبتدأ مؤخر أى الماكف فيه والباد سواء والجملة مفعول ثانٍ للثناس  
حال (وَمَنْ يُؤْذِ فِيهِ) في المسجد الحرام (يَلْعَادِ يُنْظَمِرُ) حالان مترادفان بمنمول يرد  
متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مراداً عادلا عن التقصظالما غالا لحادالمبول  
عن التقصد (نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) في الآخرة وخبران محذوف لدلالة جواب اشتر له عليه  
تقديره إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب  
فيه ذنباً فهو كذلك (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) واذكريا محمد بن جعفر للإبراهيم  
مكان البيت مبادة أى مرجعاً يرجع إليه للمادة والعبادة وقد رفع البيت إلى السماء أيام لوطوفان  
وكان من ياقوته هواء فأعلم الله إبراهيم مكانه بريح أرسلها فكُنست مكان البيت ببناء على أمه  
القديم (أَنْ) هي المفسرة للقول القدر أى قائلين له (لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ) من  
الأسنام والأقدار: وبفتح الياء مدنى وحفص (الطَّائِفِينَ) لمن يطوف به (وَالْقَائِمِينَ)  
والقيمين بمكة (وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ) المصلين جمع ركع وساجد (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ)  
فاد فيهم والحج هو القصد البليغ إلى مقصد متبع وروى أنه صعد أبا قبيس فقال بأيتها الناس  
حجوا بيت ربكم فأجاب من قدر له أن يحج من الأصلاب والأرحام بلييك اللهم بلييك وعن  
الحسن أنه خطب لرسول الله ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع والأول أظهر وجواب الأمر  
(يَأْتُونَكَ رِجَالاً) مشاة جمع راجل كقائم وقيام (وَعَلَى كُلِّ سَامِرٍ) حال مطوفة على رجال  
كأنه قال رجالاً وركبانا والسامر البعير المهزول وقدم الرجال على الركبان إظهاراً للفضيلة  
للمشاة كما ورد في الحديث (يَأْتِينَ) صفة لكل سامر لأنه في معنى الجمع وقرأ عبدالله يأتون

صفة للرجال والركبان ( مِنْ كُلِّ فَجٍّ ) طريق ( عَمِيقٍ ) بعيد قال محمد بن ياسين قال في شيخ في الطواف من أين أنت قلت من خراسان قال كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة قال فأنتم حيران البيت قلت أنت من أين جئت قال من مسيرة خمس سنوات وخرجت وأنا شاب فاكتهلت قلت والله هذه الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فقال :

زمر من هويت وإن شطت بك الدار      وحال من دونه حجب وأستل  
لا يمنعك بمد عن زيارته      إن الحب لمن يهواه زوار  
واللام في ( لَيْسَ هَذَا ) ليحضروا متعلق بأذن أو يأتوك ( مَتَّعَ لَهُمْ ) نكحها لأنه  
أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادة وهذا لأن العبادة  
شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم أو بالمال كزكاة وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه  
من تحمل الأثقال وركوب الأهوال وخلع الأسباب وقطعة الأنحباب وهجر البلاد والأوطان  
وفرقه الأولاد والخلان والتنبيه على ما يستمر عليه إذا انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء فالحاج  
إذا دخل البادية لا يتكلم فيها إلا على عتاده، ولا يأكل إلا من زاده فكذا المرء إذا خرج من  
شاطئ الحياة وركب بحر الوفا لا ينفع وحده إلا ماسي في معاشه لماده ولا يؤنس وحشته  
إلا ما كان يأنس به من أوراده وغسل من محرم وتأهبه وليس غير المحيط وتطيه امرأة لماسي  
عليه من وضعه على سرير له لنسله وتجهيزه مطياً بالحنوط ملففاً في كفن غير مخيط ثم المحرم  
يكون أشعث حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف الحجيح برقات آملين  
رغبا ورهباً سائلين خوفاً وطعماً وهم من بين مقبول ومغذول كوقوف المرصات لا تكلم نفس  
إلا بإذنه فمنهم شق وسعيد والإفاضة إلى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء ومي هو  
موقف النبي للذنبين إلى شفاعته الشافعين وحلق الرأس والتنظيف كالخروج من السيئات بالرحمة  
والتخفيف والبيت الحرام الذي من دخله كان آمناً من الإيذاء والقتال أعوذج لدار السلام التي  
هي من زلها بقي سالماً من الفناء والذوال غير أن الجنة حفت بمكاره النفس المادية كما أن  
السكبة حفت بمتالف البادية فرجاً بمن جاوز مهالك البوادي شوقاً إلى اللقاء يوم التنادي  
( وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ) عند الذبح ( فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ ) هي عشر ذي الحجة عند أبي حنيفة  
رحمه الله وآخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين رحمهم الله

وهذا صاحبه هي أيام النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما (عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ يَوْمِهِ  
 الْأُنْتُمْ) أي على ذبحه وهو يؤيد قولها والبهيمة مهمة في كل ذات أربع في البر والبحر  
 غيبت بالأنعام وهي الإبل والبقر والغنم والتمز (فَكُلُوا مِنْهَا) من لحومها والأمر بالإباحة  
 ويجوز الأكل من هدى التطوع والتمتع والقران لأنه دم نكس فأشبهه الأضحية ولا يجوز الأكل  
 من بقية الهدايا (وَأَطِيعُوا أَلْبَانَسَ) الذي أسابه يؤس أي شدة (الْفَقِيرَ) الذي أضعفه الإعسار  
 (ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقْتَهُمْ) ثم ليذبلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نفلويه قيل قضاء التفت قص الشارب  
 والأطفار وتنف الإبط والاستعداد، والتفت: الوسخ والمراد قضاء إزالة التفت وقال ابن عمر  
 وابن عباس رضي الله عنهما قضاء التفت مناسك الحج كلها (وَلْيُؤْفُوا نُدُورَهُمْ) مواجب  
 حجهم والعرب تقول لكل من خرج مما وجب عليه: وفي يندره وإن لم يندر أو ما يندرونه  
 من أعمال البر في حجهم، وليؤفوا بسكون اللام والتشديد أبو بكر (وَلْيَطُوفُوا) طواف الزيارة  
 الذي هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل. اللامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عباس وأبي عمرو  
 (بِالْبَيْتِ الْمَقْبُورِ) القديم لأنه أول بيت وضع للناس بناء آدم ثم جده إبراهيم أو الكريم  
 ومنه عتاق الخليل لكرائمه وعتاق الرقيق لخروجه من ذل العبودية إلى كرم الحرية أو لأنه  
 أعتق من الفرق لأنه رفع زمن الطوفان أو من أيدي الجبابرة كم من جبار سار إليه ليهدمه  
 غنمه الله أو من أيدي الملاك فلم يملك قط وهو مطاف أهل النبء كما أن العرش مطاف أهل  
 السماء فإن الطالب إذا حاجته مية الطرب وجذبه جواذب الطلب جعل يقطع مناكب الأرض  
 صهاحل ويتخذ مسالك المهالك منازل فإذا ماين البيت لم يزد التسلية إلا اشتياقاً ولم يفده  
 التفتي باستلام الحجر إلا احتراقاً فيرده الأسف لهفان ويردده اللف حول في الدوران طواف  
 الزيارة آخر فرائض الحج الثلاث وأولها الإحرام وهو عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة الإسلام  
 حتى لا يرتفض بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عقده مع ما يفسده وينافيه كما أن عقد الإسلام  
 لا ينحل بازدياد الآثام وترتفع أفحوبة تجوبة وثانها الوقوف بعرفات بسملة الإتيال في صفة  
 الإتيال وصدق الاعتزال عن دفع الاتكال على مراتب الأعمال وشواهد الأحوال (ذَلِكَ)  
 خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك أو تهيده ليقطوا ذلك (وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ) الجريمة  
 حالاً يحل هتكه وجيب ما كلفه الله عز وجل هذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل

أن يكون ماما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خامسا بما يتعلق بالحج وقيل حرمت الله البيت الحرام والشعر الحرام والشجر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ أَن يُضَاعَفَ لَهُمْ وَلَدُهُمْ خَبَرٌ لَّهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراقبة والحفظ والقيام بمراقبتها (وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ) أى كلها (إِلَّا مَا يَتْلُو عَلَيْكُمْ) آية تحريمه وذلك قوله حرمت عليكم الميتة الآية والمعنى أن الله تعالى أحل لكم الأنعام كلها إلا ما بين في كتابه تحفظوا على حدوده ولا تحرموا شيئا مما أحل كتحرير البعض البحيرة ونحوها ولا تحلوا مما حرم كإحلالهم أكل اللقوذة والميتة وغيرها ولاحث على تعظيم حرمانه أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور بقوله (فَاجْتَنِبُوا الرُّجُسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) لأن ذلك من أعظم الحرمات وأسبغها حظراً ومن الأوثان بيان للرجس لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذى هو الأوثان وسعى الأوثان رجسا على طريقة التشبيه يعنى أنكم كما تنفرون بطباعكم من الرجس فمليكم أن تنفروا عنها وجمع بين الشرك وقول الزور أى الكذب والبهتان أو شهادة الزور وهو من الزور وهو الانحراف لأن الشرك من باب الزور إذ الشرك زاعم أن الوثن يحق له العبادة (حُنُفَاءَ لِلَّهِ) مسلمين (غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ) حال كنفاء (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ سَقَطًا مِّنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَتَنَظُّفُهُ الطَّيْرُ) أى تسلبه بسرعة فتخطفه أى تخطفه مدى (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ) أى تسقطه والهوى السقوط (فِي مَكَانٍ سَحِينٍ) بعيد يجوز أن يكون هذا تشبيها مركبا ويجوز أن يكون مفرقا فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختلفته الطير فتفرق قطعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض الهالك البعيدة وإن كان مفرقا فتشبه الإيمان في علوه بالسما والذى أشرق بالله بالساقط من السماء والأهواء المردية بالطير المتخطفة والشیطان الذى هو يوقه في الضلال بالريح التى تهوى بما عصفت به في بعض الهاوى المتلفة (ذَلِكَ) أى الأمر ذلك (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعِيرَتَهُ) الله تعظيم الشماثر وهى الهدايا لأنها من معالم الحج أن يختارها عظام الأجرام حسانا تامنا غالية الأثمان (فَإِنَّهَا مِنَ تَقْوَى الْقُلُوبِ) أى فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه الإضافات وإنما ذكرت القلوب لأنها مراکز التقوى (لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) من الركوب

عند الحاجة وشرب ألبنائها عند الضرورة (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى أن تنحر (نُحْرَ مَحِلِّهَا) أي وقت وجوب نحرها منتهية (إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت إذا الحرم حريم البيت ومثله في الاتساع قولك بلغت البلد وإنما اتصل مسيرك بمحوده وقيل الشعائر المناسك كلها وتعظيمها إتمامها ومحلها إلى البيت العتيق بآياه (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَمَاعَةٌ مُّؤَمَّنَةٌ قَبْلَكُمْ) (جَمَلْنَا مَنْسَكًا) حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع على وحمة أي موضع قربان وغيرها بالفتح على المصدر أي إراقة الدماء وذبح القرابين (لَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ) دون غيره (عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) أي عند نحرها وذبحها (فَالْحُكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ) أي اذكروا على الذبح اسم الله وحده فإن إلهمك إله واحد وفيه دليل على أن ذكر اسم الله شرط الذبح يعني أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا له على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه قدست أسماءه على النسانك وقوله (فَلَهُ أَسْمَاؤُا) أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالما أي خالصا لا تشوبه بإشراك (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) الصَّابِرِينَ يذكُر الله أول التواضعين الحاشمين من الخبت وهو الطمئن من الأرض وعن ابن عباس رضي الله عنهما الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا وقيل تفسيره ما بهد أي (الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِاللَّهِ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) خافت منه هيبة (وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ) من المحن والمصائب (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ الصَّلَاةَ فِي أَوْقَاتِهَا) (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) يتصدقون (وَالَّذِينَ) جمع بدنة سميت لعظم بنسبها وفي الشريعة يتناول الأبل والبقر وقرى برفها وهو كقوله والقمر قدرناه (جَمَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَمْسٍ اللَّهِ) أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله وإضافتها إلى اسمه تعظيم لها ومن شعائر الله ثاني مفعولى جملنا (لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ) النفع في الدنيا والأجر في المقبي (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَالِيَهَا) عند نحرها (صَوَّافٍ) حال من الماء أي قائمات قدصفن أيديهن وأرجلهن (فَإِذَا وَجِيتُمْ جُؤُوبَهَا) وجوب الجنوب وقوعها على الأرض من وجب الحائط وجبة إذا سقط أي إذا سقطت جنوبها على الأرض بعد نحرها وسكنت حركتها (فَكُلُّوا مِنْهَا) إن شئتم (وَأَطِيعُوا أَمْرَ السَّائِلِ) السائل من قنعت إليه إذا خضعت له وسألته فتوا (وَالْمُعْتَرِ) الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع الراضى بما عنده وما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعر للتعرض للسؤال (كَذَلِكَ سَخَّرْنَاَهَا لَكُمْ) أي كما أمرناكم

بنصرها سخرناها لكم أو هو كقوله ذلك ومن يعظم ثم استأنف فقال سخرناها لكم أى  
 دللناها لكم مع قوتها وعظم أجرامها لتتمكنوا من نحرها (لَمَكُم تَشْكُرُونَ) لى  
 تشكروا إن شاء الله عليكم (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالَهُ التَّقْوَى  
 مِنكُمْ) أى لن يتقبل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبل التقوى أولن يصيب رضا الله اللحوم  
 المتصدق بها ولا الدماء المرافقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضنون  
 والمقربون بهم إلا بمراعاة النية والإخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان أهل الجاهلية  
 إذا نحروا الإبل نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك  
 فنزلت (كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ) أى البدن (لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ) لتسموا الله عند الذبح أو  
 لتعظموا الله (عَلَى مَا هَدَى لَكُمْ) على ما أرشدكم إليه (وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ) الممثلين أوامره  
 بالثواب (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ) يدفع مكي وبصرى وغيرهما يدافع أى يبالغ في الدفع عنهم (عَنِ الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا) أى يدفع فائذة الشركين عن المؤمنين ونحوه إنا لننصر رسلنا ولذين آمنوا ثم علل  
 ذلك بقوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ) فى أمانة الله (كَقُورٍ) لنعمة الله أى لأنه لا  
 يحب أضدادهم وهم الخوثة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون  
 نعم الله وينمطونها (أَذِنَ) مدنى وبصرى وعاصم (لِلَّذِينَ يُفْتَلُونَ) بفتح التاء مدنى  
 وشأى وحفص والمعنى أخذ لهم فى القتال غنم المأذون فيه لئلا يقاتلون عليه (بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا)  
 بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله ﷺ كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا  
 وكانوا يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اسبروا  
 فإنى لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فأزلت هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بدمانعى  
 عنه فى نيف وسبعمائة (وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ) على نصر المؤمنين (لَقَدِيرٌ) قادر  
 وهو بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله إن الله يدافع عن الذين آمنوا (الَّذِينَ) فى عمل  
 جر بدل من الذين أو نصب بأعنى أو رفع بإضمارهم (أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ) بمكة (بَنِي حَقٍّ)  
 إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبى أن يكون موجب التمسك  
 لا موجب الإخراج ومثله هل تقعون منا إلا أن آمنا بالله وحل أن يقولوا جر بدل من حق

واللعن ما أخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ) دفاع مدني وبمقوب (النَّاسَ  
بَنَفْسِهِمْ يَبْعُضُ لِبَعْضٍ لَهْذِمَتْ) وبالتخفيف حجازي (صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَالَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ) أى  
لولا إظهاره وتسلطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة  
في أزمئتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى فيما ولا لارهبانهم صوامع ولا لليهود  
صلوات أى كنائس وسميت الكنيسة صلاة لأنها يصلى فيها ولا للمسلمين مساجد أو لثلب  
للمشركون فى أمة محمد ﷺ على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات  
الفرقيين وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجوداً وأقربها من الهديم (يُذَكِّرُ فِيهَا اللَّهُ) أى  
كثيراً (فى المساجد أو فى جميع ما تقدم) (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ) أى ينصر دينه  
وأوليائه (إِنَّ اللَّهَ تَقْوَى) على نصر أوليائه (عَزِيزٌ) على انتقام أعدائه (الَّذِينَ) عمله  
نصب بدل من من ينصره أو جر تابع للذين أخرجوا (إِنْ مَكَتَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا  
الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ) هو إخبار من الله عما  
ستكون عليه سيرة المهاجرين إن مكثهم فى الأرض وبسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بأمر  
الدين وفيه دليل حجة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله عز وجل أعطاهم التمكن ونفاذ الأمر مع  
السيرة العادلة وعن الحسن م أمة محمد ﷺ (وَقَدْ عَفِيتُ الْأُمُورَ) أى مرجعها إلى حكمه  
وتقديره وفيه تأكيد لما وعدته من إظهار أوليائه وإعلاء كلمته (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ) هذه تسلية  
لمحمد ﷺ من تكذيب أهل مكة لأنه أى لست بأوحدى فى التكذيب (قَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ)  
قبل قومك (قَوْمُ نُوحٍ) نوحاً (وَعَادٌ) هوداً (وَقَوْمُ هُودٍ) صالحاً (وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ) إبراهيم  
(وَقَوْمُ لُوطٍ) لوطاً (وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ) شمعياً (وَكَذَّبَ مُوسَى) كذبه فرعون والقبط  
ولم يقل وقوم موسى لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه أو كأنه قيل  
بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسوله وكذب موسى أيضاً مع وضوح آياته وظهور معجزاته  
فاظنك بنيره (فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ) أمهلهم وأخرت عقوبتهم (ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ) عاقبتهم  
على كفرهم (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) إنكارى وتغييرى حيث أبدلتهم بالنعم تقوا بالحياة هلاكاً  
وبالمهارة خراباً. نكيرى بإياله فى الوصل والوقف يعقوب (فَسَاءَ لِمَن قَرِئَةُ أَهْلِكَدْهَا)



أهلكها بصرى ( وَهِيَ ظَالِمَةٌ ) حال أى وأهلها مشركون ( فَهِيَ خَاوِيَةٌ ) ساقطة من خوى النجم إذا سقط ( عَلَى غُرُوشِهَا ) يتعلق بخاوية والمعنى أنها ساقطة على سقوطها أى خرت سقوطها على الأرض ثم هدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ولا عمل لقوى خاوية من الاعراب لأنها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وهذا إذا جعلنا كائن منصوب المحل على تقدير كثيرا من القرى أهلكناها ( وَبِئْسَ مُعْطَلَةٌ ) أى متروكة لفقد دولها ورشائها وفقد نفقدها أو هى عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عطلت أى تركت لا يستقى منها لملاك أهلها ( وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ ) محصن من الشيد الجص أو مرفوع البنيان من شاد البناء رفعة والمعنى كم قرية أهلكناها وكه بثرعطنائها عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه أى أهلكنا البادية والحاضرة جميعا نخلت القصور عن أربابها والآبار عن واردها والأطهران البئر والقصر على المموم ( أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ) هذا حث على السفر ليرى مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا ( فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ) أى يقولون ما يجب أن يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي ( فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ) للضمير فى فإنها ضمير القصة أو ضمير مبهم يفسره الأبصار أى فاعلمت أبصارهم عن الإبصار بل قلوبهم عن الاعتبار ولكل إنسان أربع أعين عينان فى رأسه وعينان فى قلبه فإذا أبصر ما فى القلب وعى ما فى الرأس لم يضره وإن أبصر ما فى الرأس وعى ما فى القلب لم ينفعه وذكر الصدور لبيان أن عمل العلم القلب ولثلا يقال إن القلب يعنى به غير هذا المضو كما يقال القلب لب كل شيء ( وَيَسْتَعِجُّونَكَ بِالْأَذَابِ ) الآجل استهزاء ( وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ) كأنه قال: ولم يستعجلونك به كأنهم يجوزون الفتور وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف ولن يخلف الله وعده وما وعده ليصيبهم ولو بعد حين ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ) يعدون مكي وكوفى غير عاصم أى كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه فى طول ألف سنة من سفكم لأن أيام الشدائد طوال ( وَكَأَنَّ مِنْ قَرْنٍ أَنْكَبَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ) أى وكه من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حيناً ( ثُمَّ أَخَذْنَاهَا )

بالمذاب (وَإِلَى الْمَصِيرِ) أى المرجع إلى فلا يفوتنى شيء وإنما كانت الأولى أى فكأن  
 معطوفة بالفاء وهذه أى يكأين بالواو لأن الأولى وقت بدلا عن فكيف كان نكير وأما هذه  
 فتحكمها حكم ما تقدمها من الجلتين المعطوفتين بالواو وهما ولن يخلف الله وعده وإن يوما  
 عند ربك (قَلَّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) وإنما لم يقل بشير ونذير لذكر  
 الفريقين بعده لأن الحديث مسوق إلى المشركين وإياها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فهم  
 أظلم يسبروا ووصفوا بالاستعجال وإنما أقبح المؤمنون وثوابهم ليناطوا أو تقديره نذير مبين  
 وبشير فبشر أولا فقال (قَالُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) لذنوبهم (وَرِزْقٌ  
 كَرِيمٌ) أى حسن ثم أنذر فقال (وَالَّذِينَ سَمَوْا) سمى فى أمر فلان إذا أفسده بسعيه (فِي  
 آيَاتِنَا) أى القرآن (مُعْجِزِينَ) حال. معجزين حيث كان مكى وأبوعمر. وعاجزه سابقه كأن  
 كل واحد منهما فى طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى  
 سموا فى معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا وأساطير مسابقين فى زعمهم  
 وتقديرهم طامعين أن يكيدهم للإسلام يتم لهم (أَوَلَيْكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) أى النار الموقدة  
 (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ) من ابتداء الناية (مِنْ رَسُولٍ) من زائدة لتأكيد النفي (وَلَا نَبِيٍّ)  
 هذا دليل بين على ثبوت التنافير بين الرسول والنبي بخلاف ما يقول البعض إنهما واحد وسئل  
 النبي ﷺ عن الأنبياء فقال «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا» فقيل فكم الرسل منهم فقال «ثلثمائة  
 وثلثة عشر» والفرق بينهما أن الرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي من  
 لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله وقيل الرسول واضح شرع والنبي  
 حافظ شرع غيره (إِلَّا إِذَا تَمَنَّى) قرأ، قال :

تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الزبور على رسل

(أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) تلاوته قالوا إنه عليه السلام كان فى نادى قومه يقرأ والنجم  
 فلما بلغ قوله ومائة الثلاثة الأخرى جرى على لسانه تلك الترانيق الملى وإن شفاعتهن لترجى  
 ولم يظن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل تنبه جبريل عليه السلام فأخبرهم أن ذلك  
 كان من الشيطان وهذا القول غير مرضى لأنه لا يخلوا إما أن يتكلم النبي عليه السلام بها

عمدا وإنه لا يجوز لأنه كفر ولأنه يمت طاعتنا للأصنام لا مادحا لها أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبي عليه السلام جبرا بحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممتنع لأن الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره لقوله تعالى: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان. في حقه أولى، أو جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة وهو مردود أيضا لأنه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله ولأنه تعالى قال في صفة المنزل عليه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال: إنا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون. فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق إلا دوجه واحد وهو أنه عليه السلام سكت عند قوله ومناة الثالثة الأخرى فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متمسلا بقراءة النبي ﷺ فوقه عند بعضهم أنه عليه السلام هو الذي تكلم بها فيكون هذا إلقاء في قراءة النبي عليه السلام وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي عليه السلام ويسمع كلامه فقد روى أنه نادى يوم أحد ألا إن عمدا قد قتل وقال يوم بدر: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم (فَيَسْخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ) أي يذهب به ويبطله ويغيره أنه من الشيطان (ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ) أي يثبتها ويحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بما أوحى إلى نبيه وقصد الشيطان (حَكِيمٌ) لا يبدعه حتى يكشفه ويزيله ثم ذكر أن ذلك ليقن الله تعالى به قوما بقوله (لِيَجْزَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً) محنة وابتلاء، (لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) شك ونفاق (وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) هم المشركون المكذوبون فيزدادوا به شكوا وظلما (وَالِإِنَّ الظَّالِمِينَ) أي المنافقين والمشركين وأسله وإنهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالنظم (لَنِي شِقَاقِي) خلاف (يَمِيد) عن الحق (وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) بالله وبدينه وبآياته (أَنَّهُ) أي القرآن (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ) بالقرآن (فَتُخْفِتُ) فتطمئن (لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) فيتأولون ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبون لما أشكل منه المحمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تترتبهم شبهة (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ) شك (مِنْهُ) من القرآن أو من الصراط المستقيم (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً) فجأة (أَوْ بَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) يعني يوم بدر فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج أو

راحة كالريح المقيم لا تأتي بخير. أو شديد لا رحمة فيه أو لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته (أَمَلُكَ يَوْمَئِذٍ) أى يوم القيامة والتنوين عوض عن الجملة أى يوم يؤمنون أو يوم تزل مرتبهم (قُلْ) فلا منازع له فيه (يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) أى يقضى ثم بين حكمه فيهم بقوله (قَالَدِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي حَسَنَةٍ النَّبِيِّمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) ثم خص قومان الطريق الأول بفضل قال (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) خرجوا من أوطانهم مجاهدين (ثُمَّ قُتِلُوا) في الجهاد قتلوا شام (أو ماتوا) حُتِفَ أَنْفَهُمْ (لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا) قيل الرزق الحسن الذى لا ينقطع أبدا (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) لأنه المختار للخلق بالامثال، التكفل للرزق بلا ملال (لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا) يفتح اليهم مدنى والراد الجنة (يَرْضَوْنَهُ) لأن فيها ما تشهى الأنفس وتلد الأعين (وَإِنَّ اللَّهَ لَكَلِيمٌ) بأحوال من تضى نجه مجاهداً، وآمال من مات وهو ينتظر معاهداً (حَلِيمٌ) يمهال من قاتلهم معانداً روى أن طوائف من أصحاب النبي ﷺ قالوا يا نبي الله: هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فإنا إن متنا معك فأرسل الله هاتين الآيتين (ذَلِكَ) أى الأمر ذلك وما بعده مستأنف (وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ) سعى الابتداء بالجزاء عقوبة المسته له من حيث أنه سبب وذلك مسبب عنه (ثُمَّ يُنْفِ عَنكِهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ) أى من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك غنى على الله أن ينصره (إِنَّ اللَّهَ لَكَفُوءٌ) يحو آثار الذنوب (غَفُورٌ) يستر أنواع العيوب وتقريب الوصفين بسياق الآية أن العقاب مبعوث من عند الله على الغفوة وترك العقوبة بقوله: فن عفا وأصلح فأجره على الله. وأن تغفوا أقرب للتقوى. بحيث لم يؤثر ذلك واتصر فهو تارك للأفضل وهو ضامن لنصره في الكرة الثانية إذا رك الغفو وانتقم من الباغي، وعرف مع ذلك بما كان أولى به من الغفو بذكر هاتين الصفتين أو دل بذكر الغفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالغفو إلا القادر على ضده كما قيل الغفو عند القدرة (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ النُّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي النُّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) أى ذلك النصر للمظلوم بسبب أنه قادر على ما يشاء، ومن آيات قدرته

أَنَّهُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ أَيْ يَزِيدُ مِنْ هَذَا فِي ذَلِكَ وَمِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا أَوْ  
بِسَبَبِ أَنَّهُ خَالِقُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَصْرِفُهُمَا فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا يَجْرِي فِيهِمَا عَلَى أَيْدِي عِبَادِهِ مِنَ الْخَيْرِ  
وَالشَّرِّ وَالْبُخْلِ وَالْإِنْسَافِ وَأَنَّهُ سَمِيعٌ لَا يَقُولُونَ وَلَا يَشْفَعُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ فِي النَّهَارِ  
الْأَصْوَاتُ بِغِنَى اللُّغَاتِ بِصِيرٍ مَا يَفْعَلُونَ وَلَا يَسْتَرِ عَنْهُ شَيْءٌ فِي اللَّيَالِي وَإِنْ تَوَالَتْ الظُّلُمَاتُ  
(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ) عِرَاقٍ غَيْرِ أَبِي بَكْرٍ (مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ  
وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْكَبِيرُ) أَيْ ذَلِكَ الْوَسْفُ بِخَلْقِهِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارَ وَإِحَاطَتِهِ بِمَا يَجْرِي فِيهِمَا  
وإِدْرَاكَهُ قَوْلُهُمْ وَفَعْلُهُمْ بِسَبَبِ أَنَّ اللَّهَ الْحَقَّ الثَّابِتَ الْهَيْتَةَ وَأَنْ كُلَّ مَا يَدْعَى إِلَهَادُونَهُ بِاطِلِ الدَّعْوَةِ  
وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَهْلَى مِنْهُ شَأْنًا وَأَكْبَرَ سُلْطَانًا (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مَطَرًا  
(فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً) بِالْأَنْبَاتِ بِمَدْمَا كَانَتْ مَسْوُودَةً يَابِسَةً وَإِنَّمَا صَرَفَ إِلَى لَفْظِ الْمَضَارِعِ  
وَلَمْ يَقُلْ فَاصْبَحَتْ لِغَيْدٍ بَقَاءِ أَثَرِ الْمَطَرِ زَمَانًا بَعْدَ زَمَانٍ كَمَا قَوْلُ أَتَمُّ عَلَى فَلَانٍ فَارُوحٌ وَأَعْدُو  
شَاكَرًا لَهُ وَلَوْ قُلْتَ فَرَحَتْ وَغَدَوْتَ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ لِلْوَقْعِ وَإِنَّمَا رَفَعَ فَتُصْبِحُ وَلَمْ يَنْصَبْ جَوَابًا لِلِاسْتِفْهَامِ  
لأنه لو نصب لبطل الفرض وهذا لأن معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب إلى نفى الاخضرار  
كَأَقْوَلِ لِصَاحِبِكَ أَلَمْ تَرَانِي أَنْعَمْتَ عَلَيْكَ فَتَشْكُرُ، إِنْ نَصَبْتَهُ نَفَيْتَ شُكْرَهُ وَشَكَوْتَ مِنْ تَقْرِيبِهِ  
فِيهِ وَإِنْ رَفَعْتَهُ أَثَبْتَ شُكْرَهُ (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ) وَاسِلٌ مَعْلَهُ أَوْ فَضْلُهُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ (خَيْرٌ)  
بِمَصَالِحِ الْخَلْقِ وَمَنَافِعِهِمْ أَوْ الْعَلِيفُ الْمُخْتَصُّ بِدَقِيقِ التَّنْذِيرِ وَالْخَبِيرُ الْحَاطِ بِكُلِّ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ (لَهُ  
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) مُلْكًا وَمُلْكًا (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ) الْمُسْتَفْنَى بِكُلِّ قُدْرَتِهِ  
بَعْدَ فَنَاءِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ (الْحَمِيدُ) الْحَمُودُ بِنِعْمَتِهِ قَبْلَ ثَنَاءِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ  
فِي الْأَرْضِ (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ) مِنَ الْبَهَائِمِ مَذَلَّةً لِلرُّكُوبِ فِي الْبَرِّ  
(وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ) أَيْ وَمِنْ الْمَرَاكِبِ جَارِيَةٍ فِي الْبَحْرِ، وَنَصَبَ الْفُلْكَ عَطْفًا  
عَلَى مَا وَتَجْرِي حَالُهَا أَيْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ فِي حَالِ جَرِيهَا (وَوَيْسُكَ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى  
الْأَرْضِ) أَيْ بِحِفْظِهَا مِنْ أَنْ تَقَعَ (إِلَّا بِإِذْنِهِ) بِأَمْرِهِ أَوْ بِمَشِئَتِهِ (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَكُوفٌ)  
بِتَسْخِيرِ مَا فِي الْأَرْضِ (رَحِيمٌ) بِإِمْسَاكِ السَّمَاءِ لِتَلَاقِعِهَا عَلَى الْأَرْضِ عِدَدَ آلَاءٍ مَقْرُونَةٍ بِأَسْمَائِهِ  
لِيُشْكِرُوهُ عَلَى آلَائِهِ وَيَذْكُرُوهُ بِأَسْمَائِهِ وَعَنْ أَيْ حَنِيفَةً رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي الْآيَاتِ

الثمانية يستجاب لقرائها البتة (وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ) في أرحام أمهاتكم (ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ) عند اقضاء آجالكم (ثُمَّ يُخْيِيكُمُ) لإيصال جزائكم (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ) لجحود لا أقض عليه من ضروب النعم ودفع عنه من صنوف النقم أولا يعرف نعمة الإنشاء المبدي للوجود ولا الإقناء القرب إلى الوعود ولا الإحياء الموصل إلى المقصود (لَكُلُّ أُمَّةٍ) أهل دين (جَعَلْنَا مَنَسَكًا) مر بيانه وهو رد قول من يقول إن الذبح ليس بشريمة الله إذ هو شريعة كل أمة (هُمْ نَاسِكُوهُ) عاملون به (فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ) فلا يجادلنك والمعنى فلا تلتفت إلى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك (في الأُمِّي) أمر الدبايح أو الدين. نزلت حين قال المشركون للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قاتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعني الميتة (وَأَذِغْ) الناس (إِلَى رَبِّكَ) إلى عبادة ربك (إِنَّكَ لَمَكِيٌّ هُدًى مُسْتَقِيمٌ) طريق قويم ولم يذكر الواو في لكل أمة بخلاف ما تقدم لأن تلك وقتت مع ما يناسبها من الآي الواردة في أمر النساءك فغطت على أخواتها وهذه وقتت مع أباعد عن معناها فلم تجسد ممطفا (وَإِنْ جَدُّكَ) براء وتعتنا كما يفعله السفهاء بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال (فَقُلْ) الله أعلم بما تَتَمَلَّوْنَ) أي فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول والمعنى أن الله أعلم بأعمالكم وما تستحقون حلها من الجزاء فهو مجازيتكم به وهذا وعيد وإنذار ولكن برفق ولين وتأديب يحاج به كل منعت (اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) هذا خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله ﷺ مما كان يلقى منهم (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) أي كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السموات والأرض (إِنَّ ذَلِكَ) لوجود فيها (فِي كِتَابٍ) في اللوح المحفوظ (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) أي علمه بجميع ذلك عليه يسير ثم أشار إلى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَهُمْ يَنْزِلُ بِهِ) ينزل مكي وبصرى (سُلْطَنَا) حجة وبرهانا (وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ) أي لم يتمسكوا في عبادتهم لها ببرهان سماوي من جهة الوحي ولا حملهم عليها دليل عقلي (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم

(وَإِذَا تَنَالَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ) يعنى القرآن (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ) الإنكار بالبوس والكرهه والمنكر مصدر (يُكَادُونَ يَسْطُونَ) يبطشون والسطو الوثب والبطش (بِالَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا) هم النبي ﷺ وأصحابه (قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَٰلِكُمْ) من غيظكم على التالين و سطوكم عليهم او بما اسابكم من الكراهه والنفجر بسبب ماتلى عليكم (النَّارُ) خبر مبتدا محذوف كأن قائلًا قال ماهو فقيل النار أى هو النار (وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا) استئناف كلام (وَرَيْسَ الْمَصِيرُ) النار ولما كانت دعواهم بأن لله تعالى شريكا جارية فى الترابه والنشرة جبرى الأمثال المسيرة قال الله تعالى (يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبًا) بين (مَثَلًا فَاسْتَعْمُوا لَهُ) لضرب هذا المثل (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ) يدعون سهل ويعقوب (مِنْ دُونِ اللَّهِ) آلهة باطلة (لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا) لن تأكيد نفى المستقبل وتأكيد هنا للدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل كأنه قال حال أن يخلقوا ونحصر الذباب لهاته وضعفه واستقداره وسمى ذبابا لأنه كاذب لاستقداره آب لاستكباره (وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ) لخلق الذباب وعله النصب على الحال كأنه قيل مستحيل منهم أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا خلقه وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزل على تجهيل قريش حيث وصفوا بالإلهية التى تنفى الاقتدار على القدرات كلها والإحاطة بالمومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها أن تدر على أقل سا خلقه الله تعالى وأذله ولو اجتمعوا لذلك (وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا) شيئا ثانى مفعولى يسلبهم (لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ) أى هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم كانوا يطولونها بالزعران وردها بها بالسل فإذا سلبه الذباب عجز الأمتام عن أخذه (مَنْفَعُ الطَّالِبِ) أى الصنم يطلب ما سلب منه (وَالْمَطْلُوبُ) الذباب بما سلب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب فى الضعف ولو حقت وجدت الطالب أضعف وأضعف فإن الذباب حيوان وهو جهاد وهو غالب وذالك مغلوب (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) ما عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضيف شريكا له (إِنَّ اللَّهَ أَقْوَىٰ عَزِيزٌ) أى إن الله قادر وغالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شيئا به أو لقوى بنصر أوليائه عزز ينتقم من أعدائه (اللَّهُ يُصْطَفَىٰ) يختار (مِنَ الْمَلَكِيَّةِ رَسُولًا) كجبريل وميكائيل وإسرافيل وغيرهم (وَمِنَ النَّاسِ) رسلا كإبراهيم وموسى وعيسى وعمره

وفغيرهم عليهم السلام هذا رد لما أنكره. من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسل الله  
على ضربين ملك وبشر وقيل نزلت حين قالوا أنزل عليه الذكر من بيننا (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ)  
فهولهم (بَصِيرٌ) بمن يختاره لرسالته أو مميح لأقوال الرسل فيما يقبله العقول بصير بأحوال  
الأمم في الرد والقبول (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) ماضى (وَمَا خَلْفَهُمْ) مانم يأت أو ما عملوه  
وما سيعملوه أو أمر الدنيا وأمر الآخرة (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) أى إليه مرجع الأمور  
كلها والذي هو بهذه الصفات لا يستل عما يفعل وليس لأحد أن يعترض عليه فى حكمه وندايره  
واختيار رسله ترجع شامى وحزمة وعلى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا) فى صلاتكم  
وكان أول ما أسلموا يصلون بلا ركوع وسجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود  
وفيه دليل على أن الأعمال ليست من الإيمان وأن هذه السجدة للصلاة للثلاثاء (وَاعْبُدُوا  
رَبَّكُمْ) واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لا الصنم (وَاقْفُلُوا الْخَيْرَ) قيل لنا كان  
لذكر مزية على غيره من الطاعات دعا المؤمنين أولا إلى الصلاة التى هى ذكر خالص لقوله  
ثمالى وأنتم الصلاة لذكرى ثم إلى العبادة بنير الصلاة كالصوم والحج وغيرهما ثم هم بالحث على  
سائر الخيرات وقيل أريد به صلة الأرحام ومكارم الأخلاق (لَمَّا كُنْتُمْ تَفْلِحُونَ) أى كى تفوزوا  
أو اقموا هذا كله وأنتم راجون للفلاح غير مستيقنين ولا تتكلموا على أعمالكم (وَجَاهِدُوا)  
أمر بالنزوى أو مجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر أو هو كلمة حق عند أمير جائز  
(فِي اللَّهِ) أى فى ذات الله ومن أجله (حَقَّ جِهَادُهُ) وهو أن لا يخاف فى الله لومة لائم يقال  
هو حق عالم وجد عالم أى عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده وكان القياس حق الجهاد فيه أو  
حق جهادكم فيه لكن الإضافة تكون بأدنى ملايسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله  
من حيث إنه مفعول لوجهه ومن أجله صحت إضافته إليه ويجوز أن يتسع فى الظرف كقوله  
\* ريوم شهدناه سليما وعاصرا \* (هُوَ اجْتَبَاكُمْ) اختاركم لدينه وفصرته (وَمَا جَمَلَ  
(عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) ضيق بل رخص لكم فى جميع ما كلفكم من الطهارة والصلاة  
والصوم والحج بالتيتم وبالإيحاء وبالقصير والإفطار لمنذر السفر والمرض وعدم الزاد والراحة  
(مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) أى اتبعوا ملة أبيكم أو نصب على الاختصاص أى أعنى بالدين ملة  
أبيكم وسماه أباً وإن لم يكن أباً للأمة كلها لأنه أبو رسول الله ﷺ فكان أباً لأمته لأن



أمة الرسول في حكم أولاده قال عليه السلام «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ» (هُوَ سَمَّيْنَاهُ الْمُسْلِمِينَ) أي الله بدليل قراءة أبي: الله سبحانه كالمسلمين (مِنْ قَبْلُ) في الكتب المتقدمة (وَفِي هَذَا) أي في القرآن أي فضلكم على سائر الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم (لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ) أنه قد بلغكم رسالة ربكم (وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) بتبليغ الرسل ورسالات الله إليهم وإذا خصكم بهذه الكرامة والأثرة (فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ) بواجبها (وَأَتُوا الزَّكَاةَ) بشرائها (وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ) وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلاة والزكاة (هُوَ مَوْلَاكُمْ) أي مالكم وناصركم ومتولى أموركم (فَنِعْمَ الْمَوْلَى) حيث لم يمنكم رزقكم بمصيبتكم (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) أي الناصر هو حيث أمانكم على طاعتكم وقد أفلح من هو مولاه وناصره والله موفق للصواب .

### (سورة المؤمنون مكية وهي مائة وثمان عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) قد نقيضه لما هي تثبت للتوقع ولا تنفيه وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة وهي الإخبار بقبول الفلاح لهم فخطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالطلوب والنجاة من المهروب أي فازوا بما طلبوا ونجوا مما هربوا والإيمان في اللغة التصديق والمؤمن الصدق لئنه وفي الشرع كل من نطق بالشهادتين موافقاً لقلبه لسانه فهو مؤمن قال عليه السلام «خلق الله الجنة فقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثاً أنا حرام على كل بخيل مراء» لأنه بالرياء أبطل المبادات البدنية وليس له عبادة مالية (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح وقيل الخشوع في الصلاة جمع الهمة لها والإعراض عما سواها وأن لا يجاوز بصره مصلاه وأن لا يلتفت ولا يعبث ولا يسدل ولا يفرق أصابعه ولا قلب الحصى ونحو ذلك وعن أبي الدرداء هو إخلاص القلب وإعظام المقام واليقين التام بجمع الاهتمام. وأضيفت الصلاة إلى الصلوات لا إلى الصلوة لا لتفان الصلوة بها .

وحده وهي عدته وذخيرته وأما الصلوى له فنفى عنها (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّفْوِ مُعْرِضُونَ) اللفو كل كلام ساقط حقه أن يلغى كالكنب والشم والهزل بمعنى أن لهم من الجد ما تعلمهم عن الهزل ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على النفس الذين هم قاعدات بناء التكليف (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) مؤدون ولفظ فاعلون يدل على الداومة بخلاف مؤدون وقيل الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرج الزكاة من النصاب إلى الفقير وعلى المعنى وهو فعل المزكي الذي هو لزكاة وهو المراد هنا فجعل المزيكين فاعلين له لأن لفظ الفعل يعم جميع الأعمال كالضرب والقتل ونحوهما حول المضارب والقاتل والمزكي فعل الضرب والقتل والزكاة ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الأداء ودخل اللام لتقدم المفعول وضمف اسم الفاعل في العمل فإنك تقول هذا ضارب زيد ولا تقول ضرب زيد (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) الفرج يشمل سوء الرجل والمرأة (إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ) في موضع الحال أي الا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان زياد على البصرة أي واليا عليها والمعنى أنهم لفروجهم حافظون في جميع الأحوال إلا في حال زوجهم أو تسريحهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون إلا على أزواجهم أي يلامون على كل مباشرة إلا على ما أطلق أهم فإنهم غير ملومين عليه وقال الفراء إلا من أزواجهم أي زوجاتهم (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أي امثالهم ولم يقل من لأن المملوك جرى مجرى غير المتلاء ولهذا يباع كما يباع البهائم (فَلَهُمْ غَيْرُ مَأْمُونِينَ) أي لا لهم عليهم إن لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم وامثالهم (فَمَنْ ابْتَدَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ) طلب قضاء شهوة من غير هذين (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) الكافرون في العدوان وفيه دليل تحريم التمتع والاستمتاع بالكف لإرادة الشهوة (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ يَتَّقُونَ) لأنما نهم مكي وسهل سمى الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ لَآتِيكُمْ أَن تَدْخُلُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِنَّمَا تَدْخُلُونَ فِيهَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَئِنَّكُمْ كُنتُمْ عَنْهَا غَافِلِينَ (رَاعُونَ) حافظون والرابع القائم على الشيء بحفظ وإصلاح كراعى الغنم (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ كَاهِفُونَ) كوفي غير أبي بكر (يَتَحَفَّظُونَ) يداومون في أوقاتها وإعادة ذكر الصلاة لأنها أهم ولأن الخشوع

فيها غير المحافظة عليها أو لأنها وجدت أولاً ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أية صلاة كانت  
وجعت آخراً ليفاد المحافظة على أنواعها من الفرائض والواجبات والسنن والتوافل (أُولَئِكَ)  
الجامعون لهذه الأوصاف (هُمْ الْوَارِثُونَ) الأخفاء بأن يسما وراثاً دون من عدام ثم  
ترجم الوارثون بقوله (الَّذِينَ يَرِثُونَ) من الكفار في الحديث «مامنكم من أحد إلا وله  
منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فإن مات ودخل الجنة وورث أهل النار منزله وإن مات  
ودخل النار وورث أهل الجنة منزله» (الْفِرْدَوْسُ) هو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر  
وقال قطرب هو أعلى الجنان (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) أنت الفردوس بتأويل الجنة (وَلَقَدْ خَلَقْنَا  
الْإِنْسَانَ) أى آدم (مِنْ سُكَّاتٍ) من للابتداء والسلالة الخلاصة لأنها تسلم من بين السكر  
وقيل إنما سمى التراب الذى خلق آدم منه سلالة لأنه سل من كل تربة (مِّنْ طِينٍ) من اللبان  
كقوله من الأوثان (هُمْ جَمَلُهُ) أى نسله خفف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه لأن  
آدم عليه السلام لم يصير نطفة وهو كقوله وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من  
سلالة من ماء مهين وقيل الإنسان بنو آدم والسلالة النطفة والعرب تسمى النطفة سلالة أى  
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة يعنى من نطفة مسالوة من طين أى من مخلوق من طين وهو  
آدم عليه السلام (نُطْفَةً) ماء قليلاً (فِي قَرَارٍ) مستقر يعنى الرحم (مَكِينٍ) حصين  
(هُمْ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ) أى صيرناها بدلالة تمديه إلى مفعولين والخلق يتمدى إلى مفعول واحد  
(عَلَقَةً) قطعة دم والمعنى أحلنا النطفة البيضاء علقه حمراء (فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً) لمخاض  
ما يبيض (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْماً) فصيرناها عظماً (فَكَسَوْنَا الْعِظَمَ لَحْمًا) فأثبتنا عليها  
اللحم فصار لها كاللباس عظماً العظيم شامى وأبو بكر عظماً العظيم زيد عن يعقوب عظماً  
العظيم عن أبي زيد وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس إذ الإنسان ذو عظام كثيرة  
(هُمْ أَنْشَأْنَاهُ) الضمير يعود إلى الإنسان أو إلى المذكور (خَلَقًا آخَرَ) أى خلقاً مباحيناً  
للمخلوق الأول حيث جملة حيواناً وكان جاداً وناطقاً وسمياً وبصيراً وكان بشد هذه الصفات  
ولهذا قلنا إذا غصب بيضة فأفرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لأنه خلق آخر سوى  
البيضة (فَتَبَارَكَ اللَّهُ) فتعالى أمره في قدرته وعظمه (أَحْسَنُ) بدل أو خير مبتدأ محذوف  
وليس بصفة لأنه نكرة وإن أضيف لأن المضاف إليه عوض من من (الْمَخْلُوقِينَ) المخلوقين

أى أحسن القدرين هديراً فترك ذكر الميز لدلالة الخالقين عليه وقيل إن عبد الله بن مسعود ابن أبي صرح كان يكتب للنبي عليه السلام فتطرق بذلك قبل إمامته فقال له رسول الله ﷺ «اكتب هكذا زلت» قال عبد الله إن كان محمد نبياً يوحى إليه فأنا نبي يوحى إلى قارته ولحق بمكة ثم أسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لأن ارتداده كان بالمدينة وهذه سورة مكية وقيل القائل عمر أو معاذ رضى الله عنهما (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ) بعد ما ذكرنا من أمركم (لَمَيِّتُونَ) عند انقضاء آجالكم (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ) تميون للجزاء (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ) جمع طريقة وهى السموات لأنها طرق للأنسكة ومتقلبهم (وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ) أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها أو أراد به الناس وأنه إنما خلقها فوقهم لفتح عليهم الأرزاق والبركات منها وما كان غافلاً عنهم ومما يصلحهم (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطراً (يَقْدِرُ) بتقدير يسلمون معه من الضررة ويصلون إلى النعمة أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم (فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ) كقوله فسلكه ينابيع في الأرض وقيل جعلناه ثابتاً في لأرض فشاء الأرض كله من السماء ثم استأدى شكرهم بقوله (وَلِإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) أى كما قدروا على إزاله هدر على إذعابه فقيدوا هذه النعمة بالشكر (فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ) بالما (جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْتَبِي لَكُمْ فِيهَا) فى الجنات (فَوَاكِهَ كَثِيرَةٍ) سوى النخيل الأعناب (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) أى من الجنات أى من عارها ويجوز أن غذا من قومهم فلان يأكل من حرة يحترفها ومن سعة يقتلها أى أنها طعمته وجهته التى منها يحصل رزقه كأنه قال هذه الجنات وجوه أرزاقكم ومما يشكم منها ترزقون وتعيشون (وَشَجَرَةٍ) عطف على حنات وهى شجرة الزيتون (تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ) طور سيناء وطور سينين لا يخلو إما أن يضاف الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون وإما أن يكون اسمها للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه كأمريء القيس وهو جبل فلسطين وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الجبازى وأبى عمرو للتعريف والمجمة أو مفتوحها كقراءة غيرهم لأن الألف للتأنيث كسمجاء (تَنْتَبِهُ بِالذُّهْنِ) قال الزجاج الباء للحال أى تنبت ومما الدهن تنبت مكي وأبو عمرو إما لأن أنبت بمعنى نبت كقوله حتى إذا أنبت البقل أو لأن مفعوله محذوف أى تنبت زيتونها

وفيه العهن (وَصِينَحٌ لِّلْأَكِلِينَ) أى إدام لهم قال مقاتل جعل الله تعالى في هذه إداما ودهنا فالإدام الزيتون والهن الزيت وقيل هى أول شجرة نبتت بعد الطوفان وخص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجملها للمنافع (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْشُمِ) جمع نم وهى الإبل والبقر والغنم (لَبِيزَةً نُّسْفِكُكُمْ) وبفتح النون شامى ونافع وأبو بكر وسقى وأسقى لنتان (مِمَّا فِي بُطُونِهَا) أى يخرج لكم من بطونها لبنا سائما (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ) سوى الألبان وهى منافع الأصواف والأوبار والأشعار (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) أى لحومها (وَعَلَيْهَا) وعلى الأنعام فى البر (وَعَلَى الْفُلْكِ) فى البحر (تُحْمَلُونَ) فى أسفاركم وهذا يشير إلى أن المراد بالأنعام الإبل لأنها هى المحمول عليها فى المادة فلما قرنها بالفلك التى هى السفائن لأنها سفائن البر قال ذوا الرمة \* سفينة بر تحت خدى زمامها \* يريد ناقته (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ) وحده (مَالَكُمْ مِنْ لَدُنِّهِ) معبود (غَيْرُهُ) بالرفع على المحل والجمل والجر على اللفظ والجملة استئناف مجرى التعليل للأمر بالمعبادة (أَفَلَا تَتَّقُونَ) أفلا تتخافون عقوبة الله الذى هو ربكم وخالقكم إذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة فى شيء (فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) أى أشراهم لئولاهم (مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) يا كل ويشرب (يُرِيدُ أَنْ يَمُنَّ بِكُمْ) أى يطلب الفضل عليكم ويتأمن (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ) لإرسال رسول (لَأَنْزَلْنَا مَلَكًا) لأرسل ملائكة (مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا) أى بإرسال بشر رسولا أو بما يأمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا والمحب منهم أنهم رضوا بالأنوهمية للعجز ولم يرضوا بالنبوة للبشر (فِي عَابَثْنَا الْأُولَئِينَ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ) جنون (فَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ) فانتظروا واسبروا عليه إلى زمان حتى يتجلى أمره فإن أفاق من جنونه وإلا قتلتموه (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ) فلما أبس من إيمانهم دعا الله بالانتقام منهم والمعنى أهلكهم بسبب تكذيبهم إياى إذ فى نصرته إهلاكهم أو انصرتنى ببل ما كذبون كقولك هذا بذاك أى بدل ذاك والمعنى أبدلنى من غم تكذيبهم سلوة النصر عليهم (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ) أى أجبنا دعاءه فأوحينا إليه (أَنْ أَمْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) أى تصنمه وأنت واثق بحفظ الله لك ورؤيته إياك أو بحفظنا وكلاءنا كأن محك من الله حفاظا يكثر ثوك بميوهم لئلا يمرض لك ولا يفسد عليك مفسد عمك ومنه قولهم

عليه من الله عين كائلة ( وَوَحَيْنَا ) أمرنا وتعليمنا اياك منمنها روى أنه أوحى إليه أن يصنمها على مثال جوجو الطائر ( فَلَمَّا جَاءَهُ أَمْرُنَا ) أى عذابنا بأمرنا ( وَفَارَّ التَّنُورُ ) أى فار الماء من تنور الخبز أى أخرج سبب الفرق من موضع الحرق ليكون أبلغ في الانذار والاعتبار روى أنه قيل لنوح إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة فما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وكان تنور آدم فصار إلى نوح وكان من حجارة واختلف في مكانه فقيل في مسجد السكوفة وقيل بالشام وقيل بالهند ( فَاسْلُكْ فِيهَا ) فادخل في السفينة ( مِنْ كُلِّ زَوْجٍ ) من كل أمتى زوجين وهما أمة الذكر وأمة الأنثى كالجلج والقوق والحسن والملك ( اثْنَيْنِ ) واحدین مزدوجین كالجلج والناقة والحسان والرمكة روى أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض من كل حفص والمفضل أى من كل أمة زوجين اثنين واثنين تأكيد وزيادة بيان ( وَأَهْلَكَ ) ونساءك وأولادك ( إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ) من الله بإهلاكه وهو ابنة وإحدى زوجتيه فجيء بهلى مع سبق الضار كما جىء باللام مع سبق النافع في قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ( مِنْهُمْ ) وَلَا تُخْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ) ولتسألني نجاة الذين كفروا فإني أغرقهم ( فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ ) فإذا استعصمتم عليها راكبين ( قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا وإن كان فإذا استويت أنت ومن معك في معنى إذا استويت لأنه نبيهم وإمامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الإشمار بفضل النبوة ( وَقُلْ ) حين ركبت على السفينة أو حين خرجت منها ( رَبِّ أَنْزِلْنِي مُزْلًا ) أى أنزالا أو موضع إنزال منزلا أبو بكر أى مكانا ( مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ) والبركة في السفينة النجاة فيها وبمد الخروج منها كثرة النسل وتتابع الخيرات ( إِنْ فِي ذَلِكَ ) فيم فعل بنوح وقومه ( لَآيَاتٍ ) لعبرا ومواعظ ( وَإِنْ هِيَ إِلَّا حِفْظٌ مِنَ الْمُتْلَفَةِ ) واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وإن الشأن والقصة ( كُنَّا كَمُبْتَلِينَ ) مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يمتدح ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر ( ثُمَّ أَنْشَأْنَا ) خلقنا ( مِنْ بَعْدِهِمْ ) من بعد

قوم نوح (قَرْنَاَ الْآخَرِينَ) هم عاد قوم هود ويشهد له قول هود واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وجيء قصة هود على أثر قصة نوح في الأعراف وهود والشمراء (فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ) الإرسال يعدى يال ولم يمد بغير هنا وفي قوله كذلك أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قرية ولكن الأمة والقرية جعلت موضعا للإرسال كقول رؤية :

\* أرسلت فيها مصعبا ذا إصحام \* (رَسُولًا) هو هود (مِنْهُمْ) من قومهم (أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) أن مفسرة لأرسلنا أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ) ذكر مقالة قوم هود في جوابه في الأعراف وهود بنبر وأولاه على تقدير سؤال سائل قال فاقال قومه قهيل له قالوا كيت وكيت وهما مع الأولاه ضلف لما قالوه على ما قاله الرسول ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبي ﷺ متصل بكلامه ولم يكن بالقاء وجيء بالقاء في قصة نوح لأنه جواب لقوله واقع عتيه (الَّذِينَ كَفَرُوا) صفة للملأ أو قومه (وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ) أى بقاء ما فيها من الحساب والثواب والمقاب وغير ذلك (وَأَتَرَفْنَهُمْ) ونعمناهم (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بكثرة الأموال والأولاد (مَا هَذَا) أى النبي (إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) بَأْ كُلُّ مِثْلٍ تَأْ كَوْنٌ مِثْلُهُ وَبَشَرٌ مِثْلُ تَشْرَبُونَ) أى منه خذف لدلالة ما قبله عليه أى من أين يدعى رسالة الله من بينكم وهو مثلكم (وَلَيْقِنْ أَطْعَمْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ) فيما يأمركم به وبينكم عنه (إِنَّكُمْ إِذَا) واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قالوهم من قومهم (لَخَسِرُونَ) بالانقياد للظلم ومن حقهم أنهم أبو اتباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُمْ) بالكسر نافع وحزة وعلى وحفص وغيرهم بالضم (وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنَّكُمْ تُخْرَجُونَ) بميمون للسؤال والحساب والثواب والمقاب وثنى أنكم لتأ كيد وحسن ذلك للفصل بين الأول والثاني بالظرف ومخرجون خير من الأول والتقدير أيعدكم أنكم تخرجون إذا متم وكنتم ترابا وعظاما (هَيَّاتَ هَيَّاتَ) وبكسر التاء يزيد وروى عنه بالكسر والتثنية فيهما والكسائي يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للفعل واقع موقع بمفاعله مضمير أى بعد التصديق أو الوقوع (لِمَا تُوْعَدُونَ) من العذاب أو فاعلهما ما توعدون واللام زائدة أى بعد ما توعدون من البعث (إِنْ هِيَ) هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه وأصله إن الحياة (إِلَّا حَيَاتُنَا

الدُّنْيَا) ثم وضع هي موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها وبينها والمعنى لا حياة إلا هذه الحياة التي نحن فيها وندنت منا وهذا لأن إن النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس ففتها فوازنت لا التي لنفي الجنس (نَمُوتُ وَنَحْيَا) أى يموت بعض ويولد بعض يقتصر قرن فبأى قرن آخر أو فيه تقديم وتأخير أى نحيا ونموت وهو قراءة أبى وابن مسعود رضى الله عنهما (وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) بصد الموت (إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ أَقْرَأَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) أى ما هو إلا مفتر على الله فيما يديه من استنبائه وفيما يمدنا من البعث (وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ) بمصدقين (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ) فأجاب الله دعاء الرسول بقوله (قَالَ مِمَّا تَلِيلٌ) قليل سفة للزمان كقديم وحديث فى قولك مارأيت قديما ولا حديثا وفى حناه عن قريب وما زائدة أو بمعنى شيء أو زمن وقليل بدل منها وجواب القسم المحذوف (لِيُضْمِحْنَ) يَدِينُ إِذَا طَانُوا مَا يَحِلُّ بِهِمْ (فَأَخَذَهُمُ الْمَوْتُ) أى صبيحة جبريل صاح عليهم دسرم (الْحَقُّ) بالعدل من الله يقال فلان يقضى بالحق أى بالعدل (فَجَمَلْنَهُمْ غُشَاةً) شبههم فى مارم الغشاء وهو حيل السيل مما لى واسود من الورق والميدان (فَبَعَدًا) فهلا كما يقال بعد بعدا أو بعدا أى هلاك وهو من المصادر النسوبة بأفعال لا يستعمل إظهارها (لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) بيان لمن دعى عليه بالبعد نحو هبت لك (ثُمَّ أُنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قُرُونًا) آخرين قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ) من صلة أى ما تسبق أمة (أَجَلًا) المكتوب لها الوقت الذى حد هلاكها وكتب (وَمَا يَسْتَشْخِرُونَ) لا يتأخرون عنه (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا) فعل والألف للتأنيث كسكرى لأن الرسل جماعة ولذا لا ينون لأنه غير منصرف. ترى بالتأنيث مكى وأبو عمرو ويزيد على أن الألف للإلحاق كأرطى وهو نصب على الحال فى لقراءتين أى يتتابعين واحدا بعد واحد وتأوها فيها بدل من الواو والأصل وترى من الوتر وهو الفرد قلت لواو تاء كثرات (كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ رُسُلُهَا كَذَّبُوهُ) الرسول يلبس الرسل والمرسل إليه والإضافة تكون باللابسة فتصح إضافته إليهما (فَأَتَيْنَا) الأمم والقرون (بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) فى الهلاك (وَجَمَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) أخبارا يسمع بها ويتمجب منها والأحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام وتكون جمعا للأحداث وهو ما يتحدث به الناس



تلها وتمجبا وهو المراد هنا (فَبِمَدَا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ  
بَدَلًا مِنْ أَخَاهُ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) التسع (وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) وحجة ظاهرة (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ  
فَاسْتَكْبَرُوا) امتنعوا عن قبول الإيمان ترقا وتكبيرا (وَكُنَّا قَوْمًا عَلِيلِينَ) متكبرين  
مترفعين (فَقَالُوا أَأَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا) البشر يكون واحدا وجما ومثل وغير يوصف  
بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث (وَقَوْمُهُمَا) أى بنو إسرائيل (لَنَا عِبْدُونَ) خاضعون  
مطيعون وكل من دان لملك فهو عابد له عند العرب (فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ)  
بالتفرق (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ) أى قوم موسى (الْكِتَابَ) التوراة (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) يعملون  
بشرائعها ومواعظها (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً) تدل على قدرتنا على ما نشاء لأنه خلق  
من غير نطفة ووحيد . لأن الأعجوبة فيهما واحدة أو المراد وجعلنا ابن مريم وأمه آية فحذفت  
الأولى لدلالة الثانية عليها (وَأَوَيْنَاهُمَا) جعلنا مأواهما أى منزلها (إِلَىٰ رَبْوَةٍ) شامى وعاصم  
رُبُوءٍ غيرها أى أرض مرتفعة وهى بيت المقدس أو دمشق أو الرملة أو مصر (ذَاتِ قَرَآرٍ)  
مستقر من أرض مستوية منبسطة أو ذات ثمار وماء يعنى أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها  
(وَمَعِينٍ) وماء ظاهر جار على وجه الأرض وهو مفعول أى مدرك بالعين بظهوره من  
مانه إذا أدركه بعينه أو فصيل لأنه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة (يَأْتِيهَا الرُّسُلُ  
كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ) هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لأنهم أرسلوا متفرقين فى أزمة  
مختلفة وإعالم المعنى الإعلام بأن كل رسول فى زمانه نودى بذلك ونوصى به ليمتد السامع أن أمرا  
نودى له جميع الرسل ووصوا به تحقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه أو هو خطاب لحمد عليه  
الصلاة والسلام لغضله وقيامه مقام الكل فى زمانه وكان يأكل من الفنائم أوليسى عليه السلام  
لاتصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل أمه وهو أطيب الطيبات والمراد بالطيبات ما حل  
والأمر للتكليف أو ما يستطاب ويستلذ والأمر للترفية والإباحة (وَأَعْمَلُوا مَنَاجِلًا) مواقع  
للشريعة (إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) فأجازيكم على أعمالكم (وَإِنَّ هَذِهِ) كوفى على الاستئناف  
وأن حجازى وبصرى بمعنى ولأن أى فاتمرون لأن هذه . أو معطوف على ما قبله أى بما تملكون  
عليهم وبأن هذه . أو تقديره واعلموا أن هذه (أَتَيْتُكُمْ) أى ملتكم وشريعتكم التى أنتم عليها

(أُمَّةً وَاحِدَةً) ملة واحدة وهي شريعة الاسلام واتصاف أمة على الحال والمعنى وإن الدين دين واحد وهو الاسلام ومثله إن الدين عند الله الاسلام (وَأَنَا رَبُّكُمْ) وحدي (فَاتَّقُونِ) تخافوا عقابي في مخالفتكم أمرى (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) قطع بمعنى قطع أى قطعوا أمر دينهم (زُبُرًا) جمع زبور أى كتباً مختلفة يعنى جعلوا دينهم أدياناً وقيل تفرقوا في دينهم فربما كل فرقة تنتحل كتاباً وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعاً وحرفوه وقرئ زُبُرًا جمع زبره أى نظاماً (كُلُّ حِزْبٍ) كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم (بِمَا لَدَيْهِمْ) من الكتاب والدين أو من الهوى والرأى (فَرُحُونَ) مسرورون معتقدون أنهم على الحق (فَدَرُّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ) جهالتهم وغفلتهم (حَتَّى حِينٍ) أى إلى أن يقتلون أو يموتوا (أَيَّحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدَّهُمْ بِهِ مِنْ مَّائِلٍ وَبَيْنَيْنِ) ما بمعنى الذى وخبر أن (نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ) نلأخذ من خبر أن إلى اسمها عنذوف أى نسارع لهم به والمعنى أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجاً لهم إلى المصاعى وهم يحسبونهم مسارعة لهم في الخيرات ومعالجة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم ومنه الآية حجة على المعتزلة في مسألة الأصلح لأنهم يقولون إن الله لا يفعل بأحد من الخلق إلا ما هو أصلح له في الدين وقد أخبر أن ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا أصلح (بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) بل استدرأك قوله أي يحسبون أي أنهم أشباه البهائم لاشمورهم حتى يتأملوا في ذلك أنه استدراج أو مسارعة في الخير ثم بين ذكر أوليائه فقال (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) أي خائفون (وَالَّذِينَ هُمْ يُرَائِبُونَ) أى يكتب الله كلها لا يفرقون بين كتبه كالذين قطعوا أمرهم بينهم وهم أهل الكتاب (وَالَّذِينَ هُمْ يُرْيَهُمْ لَا يُشْرِكُونَ) كشركي العرب (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا) أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقرئ يأتون ما أتوا بالتقصير أى يضلون ما فطسوا (وَقَالُوا بِهِمْ وَجَعَلَهُ) خائفة أن لا تقبل منهم لتقصيرهم (أَنَّهُمْ يُؤَيِّنُونَ رَّبَّهُمْ رَاجُونَ) الجمهور على أن التقدير لأنهم وخبر إن الذين (أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) يرفعون في الطاعات فيبادرونها (وَهُمْ لَهَا سَبِقُونَ) أى لأجل الخيرات ساقفون إلى الجنات أو لاجلها سبقوا الناس (وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) أى طاقتها يعنى أن الذى وصف به الصالحون غير خارج عن حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وهو رد على من

جواز تكليف مالا يطاق (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ) أى اللوح أو صحيفة الأعمال (يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) لا يقرءون منه يوم القيامة إلا ما هو صدق وعدل لازادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد بزيادة عقاب أو نقصان ثواب أو بتكليف مالا وسع له به (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي قَمَرَةٍ مِنْ هَذَا) بل قلوب الكفرة فى غفلة فامرة لما مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين (وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ) أى ولهم أعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك أى لما وصف به المؤمنون (هُمْ لَهَا عَمَلُونَ) وعليها مقيمون لا يقطعون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ) متنعيمهم (بِالْعَذَابِ) عذاب الدنيا وهو القحط سبع سنين حين دعاء عليهم النبي عليه الصلاة والسلام أوقتلهم يوم بدر وحتى هى التى يبتدأ بمدها الكلام والكلام الجلة الشريطية (إِذَا هُمْ يَنْجُرُونَ) يدرخون استغاثة والجوار الصراخ باستغاثة فيقال لهم (لَا تَجْرُوا الْيَوْمَ) فإن الجوار غير نافع لكم (إِنَّكُمْ مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ) أى من جهنم لا يخلصكم نصر أو مونة (قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنْفَلِّىٰ عَلَيْكُمْ) أى القرآن (فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَفْقَائِكُمْ تُنْكِبُونَ) ترجعون القهقرى والتكوص أن يرجع القهقرى وهو أقبح مشية لأنه لا يرى ماوراءه (مُسْتَكْبِرِينَ) متكبرين على السالدين حال من تنكسون (بِهِ) بالبيت أو بالحرم لأنهم يقولون لا يظهر علينا أحد لأننا أهل الحرم والنسب سوخ هذا الإضمال شهرتهم بالاستكبار بالبيت أو بأياى لأنها فى معنى كتابى ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا. ضمن مستكبرين معنى مكذبين فمدى تعديته أو يتعلق الباء بقوله (سَمِيراً) تسمرون بذكر القرآن وبالظن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة مسموم ذكر القرآن وتسميته شعرا وسعرا والسامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقرئ سمارا. أو بقوله (تَنْجُرُونَ) وهو من الهجر الهذيان تهجرون. نافع من أهجرج فى منطقه إذا الخس (أَفَلَا يَذَرُّوا الْقَوْلَ) أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به (أَمْ جَاءَهُمْ مَّالٌ يَّاتٍ آتَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ) بل آجاءهم مالم يأت آباءهم الأولين فذلك أنكروه واستبدعوه (أَمْ لَمْ يَنْفَرُوا رَسُولَهُمْ) محمدا بالصدق والأمانة ووفور العقل وحمية النسب وحسن الأخلاق

أى عرفوه بهذه الصمات (فَهَمَ لَهُ مُنْكَرُونَ) بنيا وحسدا (أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ) جنون وليس كذلك لأنهم يعلمون أنه أرجحهم عقلا وأتقهم ذهنا (بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ) الأبلغ والصراط المستقيم وبما خالف شهواتهم وأهواءهم وهو التوحيد والإسلام ولم يجدوا له مردا ولا مدفا فلذلك نسبوه إلى الجنون (وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ) وفيه دليل على أن آفتهم : كان كارها للحق بل كان تاركا للإيمان به ألفة واستنكافا من موبخ قومه وأن يقولوا سبأ وترك دين آباءه كأبى طالب (وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ) أى الله (أَغْوَاهُمْ) فإيا يعتقدون من الآلة (لَقَدْ سَدَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ) كما قال لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا (وَمَنْ فِيهِنَّ خِصَمُ لَوْلَاهُ) بالذكر لأن غيرهم تبع (بَلْ أَتَيْنَهُم بِذِكْرِهِمْ) بالكتاب الذى هو ذكرهم أى نظمهم أو شرفهم لأن الرسول منهم والقرآن بلغتهم أو بالذكر الذى كانوا يتمنونه ويقولون إن عندنا ذكرا من الأولين الآية (فَهَمَ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُتْرَضُونَ) بسوا اختيارهم (أَمْ تَسْأَلُهُمْ فِرَّةً فَغَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ) حجازى وبصرى وعاصم، خرجانفرج شامى، خراجا فراج على مر، وهو ماخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل من أجرته وحمله وتخرج أصغر من الخراج تقول خراج القرية وخرج الكوفة فزيادة اللفظ زيادة المعنى ولذا حسفت قمره الأولى يعنى أم نساءهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق الكثير من الخالق خير وهو خير الرزقين) أفضل المطيعين (وَلِئَلَّا تَقْدَعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) وهو صراط الإسلام حقيقة أن يستجيبوا لك (وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُنَ) لعادون من هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم (وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ) لا أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا الملعز جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال له: أنشدك الله والرحم ألسنتهم أنك بمثت رحمة للمالين قال «بلى» فقال قتل الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت الآية، والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذى أصابهم برحمته لهم ووجدوا الخصب (لَلْجُودِ) أى لتماموا (فِي طَلَبِهِمْ يَتَمَهَّوْنَ) يترددون يعنى لتماموا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله ﷺ والمؤمنين ولذهب عنهم هذا التملق بين

بديه (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) استشهد على  
 ذلك بأننا أخذناهم أولا بالسيف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل سناديدهم وأسرههم فإ  
 وجدت بمد ذلك منهم استكانة أى خضوع ولا تضرع وقوله وما يتضرعون عبارة عن دوام  
 حالهم أى وهم على ذلك بعد ولنا لم يقل وما تضرعوا ووزن استكان استغفل من الكون  
 أى انتقل من كون إلى كون كما قيل استحال إذا انتقل من حال إلى حال (حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا  
 لَكَ فَتْحَنَا بِزَيْدٍ عَلَيْهِمْ يَا أَبَا ذَا الْعَذَابِ شَدِيدٍ) أى باب الجوع الذى هو أشد من الأسر والقتل  
 (إِذَا هُمْ فِيهِ مُبَسِلُونَ) متعبرون آيسون من كل خير وجاء أعتاهم وأشدهم شكية فى  
 المناد ليستغفلك أومحناهم بكل عنة من القتل والجوع فإ روى فيهم لينمادة وهم كذلك  
 حتى إذا عذبوا بنار جهنم حينئذ يلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يلس الجرمون (وَهُوَ الَّذِى  
 أَنْشَأَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ) خصهما بالذكر لأنها يتعلق بهما المنافع الدينية  
 والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) أى تشكرون شكرا قليلا وما  
 مزينة للتأكيد بمعنى حقا والمعنى إنكم لم تعرفوا عظم هذه النعم ووضعتوها غير مواضعها  
 فلم تعلموا أبصاركم وأسماعكم فى آيات الله وأفعاله ولم تستدلوا بقلوبكم تعرفوا النعم ولم تشكروا  
 له شيئا (وَهُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ) خلقكم وبشكم بالتناسل (فِى الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُخْشَرُونَ)  
 يجمعون يوم القيامة بمد تفرقكم (وَهُوَ الَّذِى يُخْسِى وَيُخْسِى) أى يحى النسم بالإنشاء  
 ويميتها بالإفناء (وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) أى يحى أحدهما عقيب الآخر واختلافهما  
 فى الظلمة والنور أو فى الزيادة والنقصان وهو مختص به فلا يقدر على تصرفهما غيره (أَفَلَا  
 تَتَّقُونَ) تضرعوا قدرتنا على البعث أو قسستدوا بالصنع على المانع فتؤمنوا (بَلْ قَالُوا) أى  
 أى أهل مكة (مِثْلَ مَا قَالُوا الْأَوَّلُونَ) أى الكفار قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله (قَالُوا أَإِذَا  
 مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنْتَا لَمَبْسُوتُونَ) متنا نافع وحمة وعلى وحفص (لَقَدْ وَعدنا نَحْنُ  
 وَعَاءُ آبَاؤُنَا هَذَا) أى البعث (مِنْ قَبْلُ) عجب محمد (إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ) جمع  
 أسطار جمع سطر وهى ما كتبه الأولون مما لاقية له وجمع أسطور أوفق ثم أمر نبيه عليه  
 بالصلاة والسلام بإقامة الحجة على المشركين بقوله (قُلْ لِّلرَّسُولِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ) فإنهم سَيَقُولُونَ (لَهُ) لأنهم مقرون بأنه الخالق فإذا قالوا (قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) فاعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية. أفلا تذكرون بالتخفيف حمزة وعلى وحفص، وبالتشديد غيرهم (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) أفلا تخافونه فلا تشركوا به أو أفلا تتقون في جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدره على خلق هذه الأشياء (قُلْ مَنْ يَبْدَأُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ) للملكوت الملك والواو ولناء للمبالغة فتنبئ عن عظم الملك (وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أجرت بلانا على فلان إذا أغثته منه ومنمته يعنى وهو يفيث من يشاء ممن يشاء ولا يفيث أحدهم أحد (سَيَقُولُونَ يُؤَيُّدُ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) تسحرون عن الحق أو عن توحيد وطاعته، والخادع هو الشيطان والهمى الأول لله بالإجماع إذ السؤال لمن وكذا الثانى والثالث عند غير أهل البصرة على معنى لأنك إذا قلت من رب هذا فعنا لمن هذا فيجيب لفلان كقول الشاعر :

إذا قيل من رب المزلف والقرى ورب الجياد الجرد قيل لخالق

أى لمن المزلف ومن قرأ بحذفه فعل الظاهر لأنك إذا قلت من رب هذا فاجوابه فلان (بَلْ أَنْبَأَهُمُ بِالْحَقِّ) بأن نسبة الولد إليه محال والشرك باطل (وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ) فى قولهم اتخذ الله ولدا ودهانهم الشريك ثم أكد كذبهم بقوله (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ) لأنه ينزه عن النوع والجنس وولد الرجل من جنسه (وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ) وليس معه شريك فى الألوهية (إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ) لا نفرد كل واحد من الآلهة بالذى خلقه فاستبد به وتميز ملك كل واحد منهم عن الآخر (وَكَلَّمَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) ولتلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متقابلون وحين لم تروا أثر التمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه إله واحد يبدئ ملكوت كل شيء، ولا يقال إذا لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب وهما وقع لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لأن الشرط محذوف وتقديره ولو كان معه آلهة لدلالة وما كان معه من إله عليه وهو جواب لمن حاجه من المشركين (سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ) من الأنداد والأولاد (عَلِيمٍ) بالجر صفة لله، وبالرفع مدنى وكوفى

غير حفص خبر مبتدأ محذوف (الغيبِ وَالشَّهَادَةِ) السر والملاينة (فَتَمَلَّيْ عَمَّا يُشْرِكُونَ) من الأسنام وغيرها (قُلْ رَبِّ إِمَّا تُورِيتُنِي مَا يُوعَدُونَ) ما والنون مؤكدان أى إن كان لابد من أن ترينى ما تعدهم من العذاب فى الدنيا أوفى الآخرة (رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أى فلا تجعلنى قريباً لهم ولا تعذبنى بمنابهم، عن الحسن رضى الله عنه أخبره الله أن له فى أمته همة ولم يخبره متى وقتها فأمر أن يدعو هذا الدعاء ويجوز أن يسأل النبي المصوم ﷺ ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعذ به مما علم أنه لا يفعله إظهاراً للعبودية وتواضعاً لربه، واستغفاره عليه الصلاة والسلام إذ قام من مجلسه سبعين مرة لذلك والقاء فى فلا لجواب الشرط ورب اعتراض بينهما للتأكيد (وَإِنَّا عَلَى أَنْ تَرْيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ) كانوا يتكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقبل لهم إن الله قادر على إنجاز ما وعد إن تأملتم فإوجه هذا الانكار (ادْفَعْ بِالَّتِي) بالخصلة التى (هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ) هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى اصفع عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان، وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى شهادة أن لا إله إلا الله والسيئة: الشرك أو الفحش بالسلام أو النكر بالموهظة وقيل هى منسوخة بآية السيف وقيل بحكمة إذ الداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى علم دين (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) من الشرك أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم فنجازيهم عليه (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ) من وساوسهم ونحساتهم، والهمزة: النخس، والهمزات جمع الهمزة ومنه هماز الرائض والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصى كما همز الراضة الدواب حثا لها على الشئ (وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَخَفِرُونَ) أمر بالتعوذ من نحساتهم بلفظ المبتهل إلى يديه المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضروه أصلاً أو عند تلاوة القرآن أو عند النزح (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ) حتى تتملق يصفون أى لا يزالون يشركون إلى وقت مجئ الموت أو لا يزالون على سوء الله كره إلى هذا الوقت وما بينهما مذكور على وجه الاعتراض والتأكيد للإغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم (قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) أى ودونى إلى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب الملوك (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) فى الموضع الذى تركت وهو الدنيا لأنه ترك الدنيا وصار إلى المقبي، قال قتادة ماتمى أن يرجع

إلى أهل ولا إلى مشيرة ولكن ليتدارك ما فرط. لعل ساكنة الباء كوفي وسهل ويعقوب (كَلَّا)  
 ردع عن طلب الرحمة وإنكار واستبعاد (إِنَّهَا كَلِمَةٌ) المراد بالكلمة الطائفة من الكلام  
 للتعظيم بعضها مع بعض وهو قوله: رب ارجعون لعل أعمل صالحا فإني تركت (هُوَ قَاتِلُهَا) لا  
 عمالة لا يخلها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندم عليه (وَمِنْ وَرَائِهِمْ) أي أمامهم  
 والضمير للجماعة (بَرَزَخُ) حائل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا (إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ) لم  
 يردأنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط كلّي للمعلم أن لا رجوع بعد البعث إلا إلى الآخرة  
 (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ) قيل إنها النفخة الثانية (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ) وبالإدغام  
 أبو عمرو لاجتماع المثلين وإن كانا من كلمتين يعني يقع التقاطع بينهم حيث ينفرون مثابين  
 ومماقين ولا يكون التواصل بينهم بالأنساب إذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه  
 وإنما يكون بالأعمال (وَلَا يَنْسَأُ لَوْنٌ) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا لأن كمالا  
 مشغول عن سؤال صاحبه بحال ولا تناقض بين هذا وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون  
 فلقيامه مواطن في موطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون وفي موطن يفيقون فيتساءلون  
 (فَمَنْ قُلْتُ مَوَازِينُهُ) جمع موزون وهي الموزونات من الأعمال الصالحة التي لها وزن. تنذر  
 عند الله تعالى من قوله: فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَتْ  
 مَوَازِينُهُ) بالسيئات والبراد الكفار (فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) غبنوها (ي  
 جَهَنَّمَ خَالِدِينَ) بدل من خسروا أنفسهم ولا عمل للبدل والبدل منه لأن الصلة لا عمل لها أو غير بد  
 خبر لا أولئك أو خبر مبتدأ محذوف (تُلْفَعُ) أي تحرق (وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْعِخْلُونَ) عابسون  
 فيقال لهم (أَلَمْ تَكُنْ عَابِتِي) أي القرآن (تَتْلَى عَلَيْكُمْ) في الدنيا (فَكُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ)  
 وترجمون أنها ليست من الله تعالى (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا مَلَكُنَا) شَقُونَا (شَقَاوُنَا حمزوة على  
 وكلاهما مصدر أي شقينا بأعمالنا السيئة التي عملناها وقول أهل التأويل غلب علينا ما كتب  
 علينا من الشقاوة لا يصح لأنه إنما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم أنه يختاره ولا يكتب غير  
 الذي علم أنه يختاره فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل وهذا لأنهم إنما يقولون ذلك القول



اعتذارا لما كان منهم من التفریط في أمره فلا يحمل أن يطلبوا لأنفسهم عذرا فيما كان منهم  
(وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ) عن الحق والصواب (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا) أى من النار (فَإِن عُدْنَا)  
إلى الكفر والتكذيب (فَإِنَّا ظَلِمُونَ) لأنفسنا (قَالَ اخْسَوْا فِيهَا) اسكتوا سكوت ذلة  
وهوان (وَلَا تُكَلِّمُونِ) في رفع المذاب عنكم فإنه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام  
يتكلمون به ثم ولا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير أن يحضروني. ارجعوني ولا تكلموني  
بالياء في الوصل والوقف يعقوب وغيره بلا ياء (إِنَّهُ) إن الأمر والشأن (كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ  
عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) فَاتَّخَذُوا مَوَدَّةَ  
سَيِّئِينَ (مفعول ثان وبالضم مدنى وحزة وعلى وكلاهما مصدر سخر كالسخر إلا أن في ياء  
النسبة مبالغة قيل هم الصحابة رضى الله عنهم وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذوهم هزوا  
وتشاغلتم بهم ساخرين (حَتَّىٰ آنَسُواكُمْ) بتشاكلهم بهم على تلك الصفة (ذَكَرُوا) فتركتموه  
أى كان التشاغل بهم سببا لنسيانكم ذكرى (وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَفْصَحُونَ) استهزاء بهم  
(إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَرَوْا) بصبرهم (أَنْهُمْ) أى لأنهم (هُمْ الْفَائِزُونَ) وبجور  
أن يكون مفعولا ثانيا أى جزيتهم اليوم فوزهم لأن جزى يتعدى إلى اثنين وجزاهم بما صبروا  
جنة. لأنهم حرة وعلى على الاستئناف أى لأنهم هم الفائزون لأنتم (قَالَ) أى الله أو الأمور  
بسؤالهم من الملائكة. قل مكى وحزة وعلى أمر لما لك أن يسألهم (كَمْ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ)  
في الدنيا (عَدَدٌ سِينِينَ) أى كم عدد سنين لبقم فكم نصب بليثم وعدد تمييز (قَالُوا لَيْسَ  
يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من  
عذابها لأن المتعفن يستطيل أيام عنته ويستقصر مامر عليه من أيام الدعة (فَسَتَلَرُ النَّكَادِينَ)  
أى الحساب أو الملائكة الذين يمدون أعمار العباد وأعمالهم قبل بلا هم مكى وعلى (قَالَ لَئِنْ  
لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا) أى ما لبقتم إلا زمنا قليلا أو لبثا قليلا (لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) صدقهم الله  
نعالى في عالمهم لسنى لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التى كانوا عليها. قل إن حزة وعلى (أَفَحَسِبْتُمْ  
أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) حال أى ما بين أو مفعول له أى للبعث (وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَوْنَ).

«يُفْتَحُ الثَّأْنُ وَكُسر الجيم حمزة وعلى ويمقوب وهو مطوف على أنما خلقناكم أو على عبثا أى  
 للعبث ولترككم غير مرجوعين بل خلقناكم للتكليف ثم للرجوع من دار التكليف إلى دار  
 الجزاء فتثيب المحسن ونعاقب المسيء (فَتَمَلَى اللَّهُ) عن أن يخلق عبثاً (الْمَلِكُ الْحَقُّ) الذى  
 يحق له الملك لأن كل شيء منه وإليه أو الثابت الذى لا يزول ولا يزول ملكه (لَا إِلَهَ إِلَّا  
 هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) وصف العرش بالكرم لأن الرحمة تنزل منه أولسبته إلى أكرم  
 الأكرمين وقرئ شاذاً برفع الكريم صفة للرب تعالى (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ  
 لَا بُرْهَانَ) أى لاحجة (لَهُ بِهِ) اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن إلى زيد  
 - لا أحق بالإحسان منه - فإن الله مثليه أو صفة لازمة جىء بها للتوكيد كقولك يطير بيجناحية لأن  
 يكون فى الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان (فَأَنَّمَا حِسَابُهُ) أى جزاؤه وهذا جزاء الشرع  
 (عِنْدَ رَبِّهِ) أى فهو يميزه بالمال (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) جعل فاعلة السورة قد  
 أفلح المؤمنون وخاتمتها إنه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاعلة والخاتمة ثم هلنا سؤال المغفرة  
 والرحمة بقوله (وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ) ثم قال (وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) لأن رحمته إذا  
 أدركت أحداً أغتته عن دعة غيره ودعة غيره لا تنفيه عن رحمته .

### (سورة النور مدنية وهى ستون وأربع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سُورَةٌ) خبر مبتدأ محذوف أى هذه سورة (أَنزَلْنَاهَا) صفة لها وقرأ طلحة سورة  
 هى زينا ضربته أو هل سورة والسورة الجامعة لجل آيات بغائمة لها وخاتمة واشتقاقها من  
 سور المدينة (وَفَرَّغْنَاهَا) أى فرضنا أحكامها التى فيها . وأصل الفرض القطع أى جعلها  
 مقطوعاً بها . وبالتشديد مكى وأبو عمرو للمبالغة فى الإيجاب وتوكيده أولأن فيها فرائض شتى  
 أو لكثرة الفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) أى  
 دلائل واضحات (لِّمَن لَّمْ يَكُن مِّنْكُمْ تَدَكَّرُونُ) لى تنظروا . وبخفيف الذال حمزة وعلى وخلف  
 وحفص ثم فصل أحكامها فقال (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي) رفسهما على الابتداء والخبر محذوف أى  
 فيها فرض عليكم الزانية والزانى أى جلدهما أو الخبر فاجلدا ودخلت الفاء لكون الألف واللام

بمعنى الذى وتضمنينه معنى الشرط وتقديره التى زنت والذى زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى: فاجلدوه. وكقوله: والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم. وقرأ عيسى ابن عمر بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أزلناها لأجل الأمر (فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) الجلد ضرب الجلد وفيه إشارة إلى أنه لا يباح لبصل الألم إلى اللحم والخطاب للأمة لأن إقامة الحد من الدين وهى على الكل إلا أنهم لا يحكمهم الاجتماع فينوب الإمام مناهم وهذا حكم حر ليس بمحصن إذ حكم المحصن الرجم وشرائط إحسان الرجم الحرية والعقل والبلوغ والإسلام والزواج بنكاح صحيح والدخول وهذا دليل على أن التعزيب غير مشروع لأن الفاء إنما يدخل على الجزاء وهو اسم للکافي والتعزيب الروى منسوخ بالآية كما نسخ الحبس والأذى فى قوله فأمسكوهن فى البيوت وقوله فأذوهما بهذه الآية (وَلَا تَأْخُذْ كُـمَ بِهِمَا رَأْفَةٌ) أى رحمة والفتح لئنه وهى قراءة مكى وقيل الزينة فى دفع المكروه والرحمة فى إيصال المحبوب والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا فى دين الله ولا يأخذهم اللين فى استيفاء حدوده فيمطلوا الحدود أو يخففوا الضرب (فِي زِينَةٍ لَهُ) أى فى طاعة الله أو حكمه (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) من باب التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمير أى فاجلدوا ولا تمطلوا الحد (وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا) وليحضر موضع حدما وتضمنينه عذابا دليل على أنه عقوبة (طَائِفَةٌ) فرقة يمكن أن تكون حلقة ليمتدوا وينزجر هو وأقلا ثلاثة أو أربعة وهى صفة غالبية كسبها الجماعة الخافة حول شئ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أربعة إلى أربعين رجلا (مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّادِقِينَ بِاللَّهِ) (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) أى الخبيث الذى من شأنه الزنا لا يرغب فى نكاح الصالح من النساء وإنما يرغب فى خبيثة من شكله أو فى مشركة والخبيثة للمساخفة كذلك لا يرغب فى نكاحها الصالحاء من الرجال وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو الشركين فالآية ترهيد فى نكاح البنات إذ الزنا عديل الشرك فى القبح والإيمان قرين العفاف والتحصن وهو نظير نسوة الخبيثات للخبيثين وقيل: كان نكاح الزانية محرما فى أول الإسلام ثم نسخ بقوله: وأنكحوا الأيامى منكم وقيل المراد بالنكاح الوطء لأن غير الزانى يستغفر الزانية ولا يشبهها وهو صحيح

مكنه يؤدى إلى قولك الزانى لا يزنى إلا بزانية والزانية لا يزنى بها إلا زان وسئل عليه السلام عن زنى امرأة ثم تزوجها فقال «أوله سفاح وآخره نكاح» ومعنى الجملة الأولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى المفاتىء ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للإعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان وقدمت الزانية على الزانى أولاً ثم قدم عليها ثانياً لأن تلك الآية سبقت لقوليهما على ماجئنا والمرأة هى المادة التى منها نشأت تلك الجنابة لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلاً فى ذلك بدى بذلكها وأما الثانية فسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لأنه الخاطب ومنه بدء الطلب وقرئ لا ينكح بالجزم على النعى وفى الرفوع أيضاً معنى النعى ولكن أبلغ وأكد ويجوز أن يكون خبراً محضاً على معنى أن عادتاهما جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه المادة ويتصون فيها (وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) أى الزنا أو نكاح البنائى قصد التكسب بالزنا أو لما فيه من التشبيه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والنية ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقراف الآثام فكيف بمزاوجة الزوانى والقعاب (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) وبكسر الصاد على أى يقذفون بالزنا الحرائر والمفاتىء السلطات المكلفات والقذف يكون بالزنا وبغيره والمراد هنا قذفهن بالزنا بأن يقولن أزانية لذكر المحصنات عقيب الزوانى ولا شرط أربعة شهداء بقوله (ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) أى ثم لم يأتوا بأربعة شهود يشهدون على الزنا لأن القذف بغير الزنا بأن يقول يافاسق يا آكل الربا يكفى فيه شاهدان وعليه التميز وشروط إحصان القذف الحرمة والعقل والبلوغ والإسلام والمنة عن الزنا والمحسن كالمحسنة فى وجوب حد القذف (فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً) إن كان القاذف حراً ونسب ثمانين نصب المصادر كأنصب مائة جلدة. وجلدة نصب على التميز (وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا) نكر شهادة فى موضع النفى فتم كل شهادة ورد الشهادة من المحمدين وتعلق باستيفاء الحد أو بعبثه على ما عرف وعند الشافعى رحمه الله تعالى يتعلق رد شهادته بنفس القذف فمتدا جزاء الشرط الذى هو الرى الجلد ورد الشهادة على التأييد وهو معة حياتهم (وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) كلام مستأنف غير جائل فى حيز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بمد اهتضاء الجملة الشرطية

وقوله (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أى القذف (وَأَسْلَحُوا) أحوالهم استثناء من الفاسقون ويدل عليه (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أى ينفر ذنوبهم ويرحمهم وحق الاستثناء أن يكون منصوباً عندنا لأنه من موجب وعند من جمل الاستثناء متملقاً بالجملة الثانية أن يكون مجروراً بدلا من هم فى لهم ولما ذكر حكم كف الأجنبيات بين حكم كف الزوجات فقال (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ) أى يقذفون زوجاتهم بالزنا (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ) أى لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به (إِلَّا أَنْفُسُهُمْ) يرتفع على البذل من شهداء (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ) بالرفع كوفى غير أبى بكر على أنه خبر والمبتدأ فشهادة أحدهم وغيرهم بالنصب لأنه فى حكم المصدر بالإضافة إلى المصدر والمعامل فيه المصدر الذى هو فشهادة أحدهم وعلى هذا خبره محذوف تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع (شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فيما رماها به الزنا (وَالْخَمْسَةُ) لاختلاف فى رفع الخامسة هنا فى المشهور والتقدير والشهادة الخامسة (أَنَّ لَمَنْتَ اللَّهُ عَلَيْهِ) هى مبتدأ وخبر (إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذَّابِينَ) فيما رماها به من الزنا (وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْقَذَابَ) ويدفع عنها الحبس وقاعل يذرا (أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذَّابِينَ) فيما رماها به من الزنا (وَالْخَمْسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ) أى الزوج (مِنَ الصَّادِقِينَ) فيما رماها به من الزنا، ونصب خفض الخامسة عطفاً على أربع شهادات وغيره رفضاً بالابتداء وأن غضب الله خبره وخفف نافع أن لمنة الله وأن غضب الله بكسر الضاد وهما فى حكم المثقلة وأن غضب الله سهل ويقوب وخفض وجعل المصب فى جانبها لأن النساء يستعملن اللمن كثيراً كما ورد به الحديث فرما يجترئن على الإقدام لكثرة جرى اللمن على التسنن وسقوط وقوعه من قلوبهن فذكر النصب فى جانبهن ليكون رادعا لمن والأسل أن اللمان عندنا شهادات مؤكدات بالإيمان مقرونة باللحن فأعامة مقام حد القذف فى حقه ومقام حد الزنا فى حقها لأن الله تعالى سماه شهادة فإذا قذف للزوج زوجته بالزنا وهما من أهل الشهادة سح اللمان بينهما وإذا التعننا كايين فى الهر لاهم الفرقة حتى يفرق القاضى بينهما، وعند زفر رحمه الله تعالى تقع تلاعنهما والفرقة تطليقة بآئنة وعند أبى يوسف وزفر والشافعى تحريم مؤبد ونزلت آية اللمان فى هلال بن أمية أو هو عمر حيث قال وجدت على بطن امرأتى خولة شريك بن سحماء فكذبته فلا عن النبى ﷺ بينهما

(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ) تفضله (عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) نعمته (وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ) جواب لولا عذوف أى لفضحك أو لاجلحكم بالمقوبة (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ) هو أبغ ما يكون من الكذب والافتراء، وأسله الإفك وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد مأفك به على عائشة رضى الله عنها قالت عائشة: فقدت عقدا في غزوة بنى المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلو اليهودج تلغفتي فلما ارتحلوا أناخ لي صفوان بن المطلب ببيره وساقه حتى أتاهم بمد ما نزلوا فملك في من هلك فاعتلت شهرا وكان عليه الصلاة والسلام يسأل «كيف أنت» ولا أرى منه لطفا كنت أراهم حتى عثرت خالة أبى أم مسطح فقالت نرس مسطح فأنكرت عليها فأخبرتني بالإفك فلما سمعت ازدادت مرضا وبت عند أبوى لا يرقأ لى دمع وما أكتحل بنوم وهما يظنان أن الدمع فالتى كبدى حتى قال عليه الصلاة والسلام «إبشرى يا حميرة قد أنزل الله براءتك» فقلت بحمد الله لا بحمدك (عَصَبَةٌ) جماعة من المشرة إلى الأربين واعصوبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبى راس النفاق وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحننة بنت جحش ومن ساعدهم (مَكْتُمٌ) من جماعة المسلمين وهم ظنوا أن الإفك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين (لَا تَحْسَبُوهُ) أى الإفك (شَرًّا لَّكُمْ) عند الله (بَلْ هُوَ خَبَرٌ لَّكُمْ) لأن الله أثابكم عليه وأنزل في البراءة منه ثمانى عشرة آية والخطاب لرسول الله ﷺ وأبى بكر وعائشة وصفوان ومن ساءه ذلك من المؤمنين (لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ) أى على كل امرئ من المصيبة جزاء إثمه على مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت (وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ) أى عظمه عبد الله بن أبى (مِنْهُمْ) أى من المصيبة (لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) أى جهنم يحكى أن صفوان مر بهودجها عليه وهو فى ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها ثم وىخ الخائضين فقال (لَوْلَا) هلا (إِذْ سَمِعْتُمُوهُ) أى الإفك (ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ يَأْتِيهِمْ) بالذين منهم فالؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله ولا تلزوا أنفسكم (خَيْرًا) عفاة وصلاحا وذلك نحو ما يروى أن عمر رضى الله عنه قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام: أنا قاطع بكذب المناقين لأن الله عصمك من وقوع التباب على جلدك لأنه يقع على النجاسات فيتلطخ بها فلما عصمك الله من ذلك القدر من القدر فكيف لا يعصمك عن محبة من تكون متلطخة

بمثل هذه الفاحشة وقال عثمان: إن الله ما وقع ظلك على الأرض مثلاً يضع لإنسان قدمه على ذلك  
الظل فلما لم يمكن أحداً من وضع القدم على ظلك كيف يمكن أحداً من تلويث عرض زوجتك  
وكذا قال على رضى الله عنه: إن جبريل أخبرك أن على نعليك قدراً وأمرك بإخراج النعل  
عن رجلك بسبب ما التصق به من القذر فكيف لا يأمرك بإخراجها بتقدير أن تكون متلطيخة  
بشيء من الفواحش وروى أن أبا أيوب الأنصاري قال لامرأته ألا ترين ما يقال فقالت لو كنت  
يدل صفوان أ كنت تظن بحرم رسول الله سواء فقال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما  
خنت رسول الله فمأثشة خير مني وصفوان خير منك وإنما عدل من الخطاب إلى النية وعن  
الضمير إلى الظاهر ولم يقل ظننهم بأنفسكم خيراً وقلتم ليسألن في التوبيخ بطريق الالتفات ولبدل  
التمريح بلفظ الإيمان على أن الاشتراك فيه يقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة  
على أختها قول عائب ولا طاعن وهذا من الأدب الحسن الذى قل القائم به والحافظ له ولينك  
محمد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بإخوانه (وَقَالُوا هَذَا إِنَّكَ بَشِيرٌ) كذب ظاهر  
لا يليق بهما (وَلَوْلَا جَاءَهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) هلا جاءوا على القذف لو كانوا صادقين  
بأربعة شهداء (فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ) الأربعة (فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ) أى فى حكم  
وعصيته (هُمْ الْكَذِبُونَ) أى القاذفون لأن الله تعالى جعل التفصيلة بين الرى الصادق والكاذب  
فيجوز الشهادة بالشهود الأربعة وانتفاؤها والذين رموا عائشة رضى الله عنها لم يكن لهم بينة على  
قولهم فكانوا كاذبين (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ  
فِي مَا أَقْسَمْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره بخلاف ما تقدم أى  
ولولا أى قضيت أن أفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من أجلها الإهمال للتوبة  
وأن أرحم عليكم فى الآخرة فى المعفو والمغفرة لما جلتكم بالقباب على ما خضتم فيه من حديث  
الإنك، يقال أقاض فى الحديث وخاض وانفزع (إِذْ) ظرف لمسكم أولاً قضتم (تَلْقَوْنَهُ) يأخذه  
بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقفه وتلقفه (بِالسِّنِّكُمْ) أى أن بعضكم كان يقول  
لبعض هل بلغت حديث عائشة حتى شاع فيها بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طارفيه (وَقَوْلُوهُ  
يَأْتُوا هَآؤُا هَآؤُا لَسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) إنما قيد بالأفواه مع أن القول لا يكون إلا بالفم لأن

الشيء المعلوم يكون حله في القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الإفاك ليس إلا قولاً يدور في  
 في أفواهكم من غير ترجمة من علم به في القلب كقوله يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم  
 (وَتَحْسَبُونَهُ) أى خوضكم في عائشة رضى الله عنها (هَيْئًا) صغيرة (وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ)  
 كبيرة. جزع بعضهم عند الموت قليل له في ذلك فقال أخاف ذنباً لم يكن منى على بال وهو  
 عند الله عظيم (وَلَوْلَا) وهلا (إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا) فصل  
 بين لولا وقلم بالظرف لأن للظرف شأنًا وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها  
 وأنها لا تنفك عنها فلما يتسع فيها مالا يتسع في غيرها وقائدة تقديم الظرف أنه كان الواجب  
 عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفاك من التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم قدم والمعنى  
 هلا قلم إذ سمعتم الإفاك ما يصح لنا أن نتكلم بهذا (سُبْحَنَكَ) للتعجب من عظم الأمر  
 ومعنى التعجب في كلمة التسييح أن الأصل أن يسبح الله عند رؤية المجيب من صنائه ثم  
 كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو لتزويه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة وإنما جاز  
 أن تكون امرأة النبي كافرة كأمراء نوح ولوط ولم يميز أن تكون فاجرة لأن النبي مبعوث إلى  
 الكفار ليدعوهم فيجب ألا يكون معه ما يفرم عنه والكفر غير منفرد عندهم وأما الكشخنة  
 فمن أعظم المنفرات (هَذَا بُهْتَنٌ) زور بهت من يسمع (عَظِيمٌ) وذكر فيها تقدم هذا إفاك  
 مبين ويجوز أن يكونوا أمروا بهما مبالغة في التبرى (يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا) في أن تعودوا  
 (لِئَلَّا) لئلا هذا الحديث من التقذف أو استماع حديثه (أَبَدًا) مادام أحياء مكلفين (إِنْ  
 كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فيه تهيج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك المود وهو الإيمان الصادق من  
 كل قبيل (وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ) الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والآداب  
 الجميلة (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بكم وبأعمالكم (حَكِيمٌ) يجرى على وفق أعمالكم أو علم صدق زاهنها  
 وحكم براءتها (إِنَّ الَّذِينَ يُعِثُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا) أى ما تبسج جنا  
 وللمنى يشيعون الفاحشة عن قصد الإشاعة ومجة لها (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا) بالحدوقد  
 ضرب النبي ﷺ ابن أبي وحسانا ومسطحا الحد (وَالْآخِرَةُ) بالنار وعدها إن لم يتوبوا  
 (وَاللَّهُ يَنْصُرُ) بواطن الأمور وسرائر الصدور (وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) أى أنه قد علم عجة من  
 أحب الإشاعة وهو مابقه عليها (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) لسجل لكم المذاب



وكرر للنة بترك المجادلة بالمقاب مع حذف الجواب بمبالغة في اللنة عليهم والتوبيخ لهم (وَأَنَّ  
اللهَ رَءُوفٌ) حيث أظهر برادة القذوف وأتاب (رَحِيمٌ) بفقرانه جنابة القاذف إذا تاب  
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) أى آثاره وسواسه بالإسفاف إلى الافك  
والقول فيه (وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ فِي الشَّيْطَانِ) (يَأْمُرُ بِالْعَشْوَكَ) ما أفرط  
فبحه (وَالْمُنْكَرِ) مانسكوه النفوس فتتفرعنه ولا ترضيه (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ  
مَا زَكَّيْنَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا) ولولا أن الله تفضل عليكم بالتوبة المحصنة لما طهر منكم  
أحد آخر الدهر من دنس إثم الافك (وَإِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ) يظهر التائبين بقبول  
توبتهم إذا محضوها (وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) بغمائرهم وإخلاصهم (وَلَا يَأْتِلِ)  
ولا يحلف من أثملى إذا حلف افتتال، من الآية أولا يقصر من الألو (أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ)  
و الدين (وَالسَّعَةِ) في الدنيا (أَنْ يُؤْتُوا) أى لا يؤتوا إن كان من الآية (أُولَى الْقُرْبَى  
وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى المستحقين  
للإحسان أولا يقصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شعناء لجناية اقترفوها  
(وَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَصِفُوا) القفو الستر والصفح الاعراض أى وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا  
عن العقوبة (أَلَا تَحْشُرُونَ أَنَّ يَتَغَيَّرَ اللَّهُ لَكُمْ) فليغفلوا بهم ما يرجون أن يفعل بهم ربههم مع  
كثرة خطاياهم (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) فتأدبوا بأدب الله واغفروا وارحوا، نزلت في شأن أبي  
بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح ابن خاتمه لغوصه في عائشة  
رضى الله عنها وكان مسكينا بدوا مهاجرا ولما قرأها النبي ﷺ على أبي بكر قال بلى أحب أن  
ينفر الله لى ورد إلى مسطح نفقته (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) (النِّفَالِ) (الْمُحْصَنَاتِ)  
السليات المسدور النقيات القلوب اللات ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجرن الأمور  
(أَلَمْؤُمْنَتِ) بما يجب الإيمان به عن ابن عباس رضى الله عنهما من أزواجه عليه الصلاة  
والسلام وقيل هن جميع المؤمنات إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل أريدت  
هائشترضى الله عنها وحدها وإجماع لأن من قذف واحدة من نساء النبي عليه الصلاة والسلام  
فكما أنه قذفهن (لَمِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) جمل القذفة ملعونين في الدارين  
وتوعدم بالمذاب العظيم في الآخرة إن لم يتوبوا والمائل في (يَوْمَ تَقُفُّ عَلَيْهِمُ) يذبون

وبالياء حزة وعلى (أَلَسِنْتُهُمْ وَأَيَّدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ) يَمَا كَانُوا يَمْلِكُونَ (أى بما أقفوا أو بهتوا  
والعامل فى (يَوْمَئِذٍ يُرْفِعُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق  
الثابت الذى هم أهله وقرا مجاهد بالرفع صفة كقراءة أبى يوفهم الله الحق دينهم وعلى قراءة  
النصب يجوز أن يكون الحق وصفا لله بأن يقتصب على المدح (وَيَمْلِكُونَ) عند ذلك (أَنَّ  
اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضرورى ولم ينفذ الله تعالى فى  
القرآن فى شيء من العاصى تفضيظه فى إنك عاتشة رضى الله عنها فأوجز فى ذلك وأشبع وفصل  
وأجل وأكد وكرر وما ذاك إلا لأمر ومن ابن عباس رضى الله عنه من أذنب ذنبا ثم تاب  
منه قبلت توبته إلا من خاض فى أمر عاتشة وهذا منه تعظيم ومبالغة فى أمر الانك ولقد برأ  
الله تعالى أربة بأرصة: برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه السلام من قول  
اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بشوبه ومريم رضى الله عنها بإنتاق ولدها وعاتشة رضى الله عنها  
بهذه الأى الظلم فى كتابه المعجز التلو على وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تربة  
أولئك وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسوله والتنبيه على إنافة عمله عليه السلام وعلى آله (الْخَبِيثَاتُ)  
من القول قال (الْخَبِيثَاتُ) من الرجال والنساء (وَالْخَبِيثُونَ) منهم يمشون (الْخَبِيثَاتُ)  
من القول وكذلك (وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ)  
أى فهم وأولئك إشارة إلى الطيبين وأنهم مبرءون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلام  
وهو كلام جار مجرى المثل لعاتشة رضى الله عنها ومارميت به من قول لا يطابق حالها فى الزناه  
والطيب ويجوز أن يكون إشارة إلى أهل البيت وأنهم مبرءون مما يقول أهل الإفك وأن  
يراد بالخبيثات والطيبات النساء الخبيثات يتزوجن الخبيثات والخبيثات تتزوج الخبيثات وكذا أهل  
الطيب (كَمْ مَفْجَرَةٍ) مستأنف وأخبر بمسخر (وَرَزَقُ كَرِيمٍ) فى الجنة ودخل ابن عباس  
رضى الله عنها على عاتشة رضى الله عنها فى مرضها وهى خائفة من القدوم على الله تعالى فقال  
لا تخافى لأنك لا تقدمين إلا على مفجرة ورزق كريم وتلا الآية ففضى عليها فرحا بما تلاوا قالت  
عاتشة رضى الله تعالى عنها: لقد أعطيت تسما ما أعطيتن امرأة، نزل جبريل بمسورق فى راحته  
حين أمر عليه الصلاة والسلام إن يتزوجنى وتزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى وتوفى عليه  
الصلاة والسلام ورأسه فى حجرى وقبر فى بيتى <sup>(١)</sup> وينزل عليه الوحي وأنا فى لحافه وأنا ابنة

(١) فى بعض النسخ زيادة « ولقد حفته الملائكة فى بيتى » وهى زائدة من التسع .

خليفته وسديقه ونزل عذرى من السماء وخلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما  
وقال حسان معتذرا في حقها :

حصانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُ بريئة      وتسبح غرثى من لحوم النوافل  
حليّة خير الناس ديننا ومنصبا      نبي الهدى والمكرمت الفوائل  
عقيلة حتى من لؤى بن غالب      كرام المساعي مجددا غير زائل  
مهذبة قد طيب الله خيمها      وطهرها من كل شين وباطل

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ) أى بيوتا لستم تملكونها ولا  
تسكنونها (حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا) أى تستأذنوا عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد قرأه والاسكتشاف  
فى الأصل الاستعلام والاستكشاف استعمال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهرا مكشوفاً أى  
حتى تستملعوا أ يطلق لكم الدخول أم لا وذلك بتسبيحة أو بتكبيرة أو بتحميدة أو بتتحنج  
(وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) والتسليم أن يقول السلام عليكم أ دخل ثلاث مرات فإن أذن به  
والارجع وقيل إن تلاقيا يقدم التسليم وإلا فلا استئذان (ذَلِكُمْ) أى الاستئذان والتسليم (خَيْرٌ  
لَّكُمْ) من نحية الجاهلية والعمور وهو الدخول بغير إذن فكان الرجل من أهل الجاهلية  
إذا دخل بيت غيره يقول حينئذ صباحا وحينئذ مساء ثم يدخل فرمما أصاب الرجل مع امرأته  
فى لحاف واحد (لَمَلَّكُمْ تَذَكُّرُونَ) أى قيل لكم هذا لئى تذكروا وتنتظروا وتملأوا ما  
أمرتم به فى باب الاستئذان (فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا) فى البيوت (أَحَدًا) من الآذنين (فَلَا  
تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ) حتى تجدوا من يأذن لكم أو فإن لم تجدوا فيها أحدا من أهلها  
ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها لأن التصرف فى ملك الغير لاد من أن يكون  
برضاه (وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا) أى إذا كان فيها قوم فقالوا ارجعوا (فَارْجِعُوا) ولا  
تلحوا فى إطلاق الإذن ولا تلجوا فى تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الأبواب لأن هذا مما يجلب  
الكرهة فإذا نعى عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدى إليها من  
فرع الباب بمنف والتصحيح بصاحب المراء وغير ذلك وعن أبى عبيد مآقرعت بابا على عالم قط  
(هُوَ أَزْكَى لَكُمْ) أى الرجوع أطيب وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد عن الرية

أوانفع وأتعى خيرا (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) وعبد المخططين بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فوف جزاء عليه (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا) في أن تدخلوا (يُؤْتَا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ) استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على دخولها ما ليس بمسكون منها كالحانات والربط وحوانيت التجار (فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ) أي متعة كالاستئذان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع وقيل الخربات يبرز فيها والتاع التبرز (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) وعبد للذين يدخلون الخربات والودور الخالية من أهل الريبة (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) من للتبويض والمراد غض البصر مما يحرم والاقتصار به على ما يحل (وَيَحْفَظُوا أَرْوَاجَهُمْ) من الزنا ولم يدخل من هنا لأن الزنا لا رخصة فيه بوجهه ويمحوز النظر إلى وجه الأجنبية وكفها وقدميها وقرواية وإلى رأس المحارم والصدر والساقين والمضندين (ذَلِكَ) أي غض البصر وحفظ الفرج (أَزْكَى لَهُمْ) أي أظهر من دنس الانهم (إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) فيه ترغيب وترهيب يعني أنه خير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيئون أبصارهم يعلم خاتنة الأعين وما تخفي الصدور فليعلم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على قوى وحذر في كل حركة وسكون (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ أَرْوَاجَهُنَّ) أمرن بغض الأبصار فلا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سترته إلى ركبته وإن اشتهت فضت بصرها رأسا ولا تنظر إلى المرأة إلا إلى مثل ذلك وغض بصرها من الأجانب أصلا أولى بها وإنما قدم غض الأبصار على حفظ الفروج لأن النظر يريد الزنا ورائد الفجور فبذر الهوى طموح العين (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) الزينة ما تزيّن به المرأة من حل أو كحل أو خضاب والمعنى ولا يظهرون مواضع الزينة إذ إظهار عين الزينة وهي الحلى ونحوها مباح فالمراد بها مواضعها أو إظهارها وهي في مواضعها لإظهار مواضعها لا لإظهار أعيانها ومواضعها الرأس والأذن والعنق والصدر والمضنن والبراع والساق فهي للإكليل والقرط والقلادة والوشاح والتمليح والسوار والخلخال (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) إلا ما جرت العادة والجلبة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان ففي سترها حرج بين فإن المرأة لا تجب بدا من مزاوله الأشياء يديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحكمة والنكاح

وتغضنر إلى النشى فى الطرقات وظهور قعمها وخاصة الفقيرات منهن (وَلْيَضْرِبْنَ) وليضعن  
من قولك ضربت يدي على الحائط إذا وضعتها عليه (يَضْرِبْنَ) جمع خمار (عَلَى جَبُورَيْنِ)  
بضم الجيم مدنى وبصرى وطامم كانت جيبوهن واسعة تبدو منها صدورهن وما حوالها وكن  
يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قداسهن حتى تغطيها (وَلَا  
يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) أى مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والرأس ونحوها (إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ)  
لأزواجهن جمع بعل (أَوْ آبَائِهِنَّ) ويدخل فيهم الأجداد (أَوْ آبَاءُ بُعُولَتِهِنَّ) قد صاروا  
عازم (أَوْ أَبْنَاءُ هُنَّ) ويدخل فيهم النوافل (أَوْ أَبْنَاءُ بُعُولَتِهِنَّ) قد صاروا عازم أيضاً (أَوْ  
إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى أَخَوَاتِهِنَّ) ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالأعمام  
والأخوال وغيرهم دلالة (أَوْ نِسَائِهِنَّ) أى الحرائر لأن مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر (أَوْ مَا مَلَكَتْ  
أَيْمَانُهُنَّ) أى إمائهن ولا يحل لبعدها أن ينظر إلى هذه المواضع منها خصياً كان أو عنيماً  
أو غلاماً وقال سميد بن السبب لا تفرنكم سورة النور فلنهن فى الإمام دون الذكور وعن عائشة  
رضى الله عنها أنها أباحت النظر إليها لبعدها (أَوْ التَّيَمُّنِ غَيْرِ) بالنصب شأى ويزيد  
وأبو بكر على الاستثناء أو الحال وغيرهم بالجزم على البسول أو على الوصفية (أُولَى الْأَرْبَةِ)  
الحاجة إلى النساء قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء  
لأنهم به لا يعرفون شيئاً من أمرهن أو شيوخ صلحاء أو المنين أو الخصى أو الخنثى وفى  
الأثر أنه المجهوب والأول الوجه (مِنَ الرَّجَالِ) حال (أَوْ الْعُقُلِ الَّذِينَ) هو جنس  
فصلح أن يراد به الجمع (لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ) أى لم يظلموا لعدم الشهوة من  
ظهر على النشى إذا أطلع عليه أو لم يظلموا أو أن القدرة على الوطء من ظهر على فلان إذا قوى  
عليه (وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفَيْنَ مِنَ زِينَتِهِنَّ) كانت المرأة تضرب الأرض  
برجليها إذا مشت لتسمع قعقة خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فنهى عن ذلك إذ سماع  
صوت الزينة كإظهارها ومنه سمى صوت الحلى وسواسا (وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَهْلَ  
الْكُفْرَانِ) أى شأى إتباعاً للعنة قبلها بعد حذف الألف لانتفاء الساكنين وغيره على  
فتح الماء لأن بعدها ألفاً فى التقدير (لَمَّا كُنتُمْ تُفْلِحُونَ) البذل لا يخلو عن سهو وتقصير  
فى أوامره ونواهيه وإن اجتهد فلما وصى المؤمنين جميعاً بالتوبة وتأميل الفلاح إذا تابوا

وقيل أحوج الناس إلى التوبة من قوم أنه ليس له حاجة إلى التوبة وظاهر الآية يدل على أن المصيان لا ينافي الإيمان (وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ) (الأيى جمع أيم وهو من لا زوج له رجلا كان أو امرأة بكرة كان أو ثيبا وأصله أياهم فقلت) (وَالْمُضِلِّينَ) أى الخيرين أو المؤمنين والمعنى زوجوا من تأيم منكم من الأحرار والمحارر ومن كان فيه صلاح (مِنْ عِبَادِكُمْ ذِي إِمَامٍ مِّنْكُمْ) أى من غلمانكم وجواربكم والأمر للندب إذ النكاح مندوب إليه (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ) من المال (يُفْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) بالكفاية والقناعة أو باجتماع الرزقين وفى الحديث «التسوا الرزق بالنكاح» وعن عمر رضى الله عنه روى مثله (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) غنى ذو سعة لا يرزقه اغناء الخلائق (عَلِيمٌ) ييسط الرزق لمن يشاء وقدر وقيل فى الآية دليل على أن تزويج النساء والأيتام إلى الأولياء كما أن تزويج العبيد والإماء إلى الموالى قلنا الرجل لا يلى على الرجل الأيم إلا بإذنه فكذا لا يلى على المرأة إلا بإذنها لأن الأيم ينتظمها (وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ) وليجهدوا فى العفة كأن الستعف طالب من نفسه العفاف (لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا) استطاعة تزويج من المهر والنفقة (حَتَّىٰ يُفْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) حتى يقدم على المهر والنفقة قال عليه الصلاة والسلام «يامشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» فانظر كيف رتب هذه الأوامر فأمر أولا بما يصم من الفتنة ويبعد عن مواقفه الممسية وهو غض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين المنقى عن الحرام ثم بمزة النفس الأمارة بالسوء عن الطموح إلى الشهوة عند المعجز عن النكاح إلى أن تقدر عليه (وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) أى الممالك الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء أو مقصوب بفعل يفسره (فَكَاتِبُوهُمْ) وهو للندب ودخلت الفاء لتضمنته معنى الشرط والكتاب والكتابة كالتاب والماتية وهو أن يقول لملوكه كاتبتك على ألف درهم فإن أداها عتق ومعتاه كتبت لك على نفسى أن تمتن حتى إذا وغيت بالمال وكتبت لى على نفسك أن تبنى بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على المتق ويحوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لإطلاق الأمر (إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) خيرة على الكسب أو أمانة وديانة والندية معلقة بهذا الشرط (وَمَا تَوْهَمُ مِنْ مَّالٍ اللَّهُ الَّذِي لَا تَسْأَلُهُ عَشْرَةٌ) أمر المسلمين على وجه الوجوب بإمانة الكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة

تقوله تعالى: وفي الزقاق وعند الشافعي رحمه الله معناه: حطوا من بدل الكتابة رباً وهذا  
 هندنا على وجه القذب والأول الوجه لأن الإتياء هو التملك فلا جمع على الخط سأل صبيح  
 مولاه حويطاً أن يكاتبه فأبى فزلت واعلم أن العبيد أربعة قن مقتنى للخدمة ومأذون في  
 التجارة ومكاتب وآبى فشال الأول ولي العزلة الذي حصل العزلة بإيثار الخلوة وترك المشرة:  
 والثاني ولي العشرة فهو نجي الحضرة يخالط الناس للخبرة وينظر إليهم بالعبرة ويأمرهم بالعبر،  
 فهو خليفة رسول الله ﷺ يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطي في الله ويفهم عن الله ويشكلم  
 مع الله فالله في سوق تجارته والعقل رأس بضاعته والمعدل في النضب والرضا ميزانه والقصد  
 في الفقر والغنى عنوانه والعزم مفرغه ومنحاه القرآن كتاب الإذن من مولاه هو كائن في  
 الناس بظواهره بائن منهم بسريره قد هجرهم فيما له عليهم في الله بائناً ثم وصلهم فيما لهم  
 عليه لله ظاهراً:

وما هو منهمو بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الزغام  
 يأكل ما بأكلون ويشرب ما يشربون وما يدريهم أنه ضيف الله يرى السموات والأرض  
 قائمات بأمره وكأنه قيل فيه.

فان تفق الأنام وأنت منهم فإن السك بعض دم النزال  
 خال ولي العزلة أسفى وأحلى وحال ولي العشرة أو في وأعلى ونزل الأول من الثاني في  
 حضرة الرحمن منزلة النديم من الوزير عند السلطان. أما النبي عليه الصلاة والسلام فهو كريم  
 الطرفين ومعدن الشذرين وجمع الحالين ومنبع الزلايين فباطن أحواله مهتدى ولي العزلة  
 يظهر أعماله مهتدى ولي العشرة والثالث المجاهد المحاسب العامل الطالب بالضرائب كنجوم  
 المكاتب عليه في اليوم واليلة خمس وفي المائتي درهم خمسة وفي السنة شهر وفي العمر  
 زورة فكأنه اشترى نفسه من ربه بهذه النجوم المرتبة فيسمى في فكاك رقبته خوفاً  
 من البقاء في ربة العبودية وطمعاً في فتح باب الحرية ليسر ح في رياض الجنة فيجتمع بمبىء  
 ويفعل ما يشاء وبهواه والرابع الإباق فما أكثرهم فهم القاضى الجائر والعالم غير المسامح  
 والمامل المرائى والراعظ الذي لا يفعل ما يقول ويكون أكثر أقواله الفضول وعلى كل مالا  
 ينفعه بصول فضلاً عن السارق والزاني والناسب فمنهم أخبر النبي عليه الصلاة والسلام: «إن  
 الله لينصر هذا الدين يقوم لاختلاق لهم في الآخرة» (وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبَيْسَاءِ)

كان لابن أبي ست جوار مائة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البناء وضرب عليهن الضرائب فشكت اثنتان منهن إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فزلت ويكنى بالقي والفتاة من البعد والأمة والبناء الزنا للنساء خاصة وهو مصدر لبنت (إِنْ أُرْدُنَ تَحَصُّنًا) تنفقا من الزنا وإنما قيده بهذا الشرط لأن الإكراه لا يكون إلا مع إرادة التحصن فأمر الطليعة للبناء لا يسمى مكراها ولا أمره إكراها ولأنها نزلت على سبب فوق النهي على تلك المصلحة وفيه توبيخ للموالى أى إذا رغب في التحصن فأنتم أحق بذلك (لَتَبْتَغُوا حَرَضَ الصَّيَوةِ الدُّنْيَا) أى لتبتغوا إكراههن على الزنا أجورهن وأولادهن (وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أى لمن وفى مصعب ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول لمن والله لمن والله ولمل الإكراه كآب دون ما اعتبرته الشريعة وهو الذى يخاف منه التلف فكانت آتمة أو لهم إذا تابوا (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ) بفتح الياء حجازى وبصرى وأبو بكر ومجاد والمراد الآيات التى بينت فى هذه السورة وأوضحت فى معانى الأحكام والحدود وجاز أن يكون الأصل مبينا فيها فالتعقيد فى الطرف أى أجرى مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه وبكسرها غيرم أى بينت هى الأحكام والحدود جمل الفعل لها مجازاً أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل \* قد بين المصباح لى عينين \* (وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ) ومثلا من أمثال من قبلكم أى قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يبنى قصة عائشة رضى الله عنها (وَمَوْعِظَةً) ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى: ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله. لولا إذ سمعتموه. ولولا إذ سمعتموه ينظركم الله أن تمودوا لمثله أبداً (لَلْمُتَّقِينَ) أى هم المنتقمون بها وإن كانت موعظة للكل فظير قوله (اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مع قوله مثل نوره ويهدى الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تحول يمتش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات ونور السموات والأرض المحق شبهه بالنور فى ظهوره وبيانه كقوله: الله ولى الدين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور أى من الباطل إلى الحق وأضاف النور إليهما للدلالة على سمة إشرافه وفشو إضاءته حتى تضيء له السموات والأرض وجاز أن المراد أهل السموات والأرض وأنهم يستضيئون



به (مَثَلُ نُورِهِ) أى صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة (كَيْشْكُورَةٍ) كصفة مشكاة  
وهي الكسوة في الجدار غير النافذة (فِيهَا مِصْبَاحٌ) أى سراج ضخم ثاقب (الْمِصْبَاحُ فِي  
زُجَاجَةٍ) في قنديل من زجاج شامى بكسر الزاى (الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ)  
مضى بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه وبالكسر والهمزة ممر  
وصلى كأنه يدرأ الظلام بضيائه وبالضم والهمزة أبوبكر وحمزة شبه في زهرته بأحد الكواكب  
الدرارى كالشترى والزهرة ونحوهما (يُوقَدُ) -توقد- بالتخفيف حمزة وعلى وأبوبكر الزجاجة ويوقد  
بالتخفيف شامى ونافع وحفص وتوقد بالتشديد مكى وبصرى أى هذا المصباح (مِنْ شَجَرَةٍ)  
أى ابتداء ثوبه من زيت شجرة الزيتون يعنى رويت زبائنه بزيتها (مُبْرَكَةٍ) كثيرة المنافع  
أو لأنها نبتت في الأرض التي بورك فيها للمالين وقيل بارك فيها سبعون نبياً منهم إبراهيم عليه  
السلام (زَيْتُونَةٍ) بدل من شجرة نمتها (لَأَثَرُ قِيَّةٍ وَلَا غَرْبٍ) أى منتهى الشام يعنى  
ليست من المشرق ولا من المغرب بل في الوسط منهما وهو الشام وأجود الزيتون زيتون الشام  
وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل يصيبها بالغداة والشمس  
جميعاً فهي شرقية وغربية (يَكَادُ زَيْتُهَا) دهنها (يُضِيءُ) وَلَوْ لَمْ تَسْسُهُ نَارٌ) وصف  
الزيت بالصفاء والوميض وأنه لتلاثه يكاد يضيء من غير نار (نُورٌ عَلَى نُورٍ) أى هذا  
النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناصرت فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى  
لم يبق بقية مما يقوى النور وهذا لأن المصباح إذا كان في مكان متضائق كالشكاة كان أجمع  
لنوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينتشر فيه والقنديل أعون شيء على زيادة الإضاءة  
وكذلك الزيت وصفاقوه وضرب المثل يكون بدنى محسوس مبهود لا بلى غير مماين ولا  
مشهود فأبو تمام لما قال في المأمون .

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحف في ذكاء إياس

خيل له إن الخليفة فوق من مثله بهم فقال مرتجلاً :

لا تنكروا ضررى له من دونه مغللاً غروداً في الندى والباس

فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَ لِلنَّوْرِ      مثلاً من المشكاة والنبراس

(يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ) أى لهذا النور الثاقب (مَنْ يَشَآءْ) من عباده أى يوفق لإصابة الحق من يشاء من عباده بإلهام من الله أو بنظرة في الدليل (وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ) تقريباً إلى أفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) فيبين كل شيء بما يمكن أن يعلم به وقال ابن عباس رضى الله عنه مثل نوره أى نور الله الذى هدى به المؤمن وقرأ ابن مسعود رحمه الله مثل نوره فى قلب المؤمن كشكاة وقرأ أبى مثل نور المؤمن (فِي بُيُوتٍ) يتعلق بمشكاة أى كشكاة فى بعض بيوت الله وهى المساجد كأنه قيل مثل نوره كما يرى فى المسجد نور المشكاة التى من صفتها كبت وكيت أو بتوقد أى توقد فى بيوت أو يسبح أى يسبح له رجال فى بيوت وفيها تكرر فيه تأكيد نحو زيد فى الدار جالس فيها أو محذوف أى سبحوها فى بيوت (أَذِنَ اللهُ) أى أمر (أَنْ تُرْفَعَ) تبقى كقوله بناها رفع سمكها فسواها وإذا رفع إبراهيم القواعد أو نظم من الرفعة وعن الحسن ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالنظيم (وَيُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُهُ) يتلى فيها كتابه وهو علم فى كل ذكر (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْأَنْدَادِ وَالْأَسْمَاءِ) أى يصلى له فيها بالنداء صلاة النحر وبالأصنام صلاة الظهر والعصر والمشايد وإنما وحد الندو لأن صلاته واحدة وفى الأصنام صلوات والأصنام جمع أصل جمع أصيل وهو العشى (رِجَالٌ) فاعل يسبح يسبح شامى وأبو بكر ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة أعنى له فيها بالندو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح أى يسبح له (لَا تُلْهِيهِمْ) لاتشغلهم (نِجْرَةٌ) فى السفر (وَلَا بَيْعٌ) فى الحضر وقيل التجارة الشراء إطلاقاً لاسم الجنس على النوع أو خص البيع بعد ما هم لأنه أوغل فى الإلهاء من الشراء لأن الريح فى البيعة الرابحة متيقن وفى الشراء مظنون (عَنْ ذِكْرِ اللهِ) باللسان والقلب (وِإِقَامِ الصَّلَاةِ) أى وعن إقامة الصلاة التناء فى إقامة عوض من الدين الساقطة للإعلال والأصل إقوام فلما قلبت الواو ألفاً اجتمع ألفان فحذف إحداهما لالتقاء الساكنين فأدخلت التاء عوضاً عن المحذوف فلما أصيبت أقيمت الإضافة مقام التاء فأسقطت (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) أى وعن إيتاء الزكاة والمعنى لاتجارة لهم حتى تلبيهم كأولياء الملة أو يبيعون ويشتررون ويذكرون الله مع ذلك وإذا حضرت الصلاة قدموا إليها غير متقاتلين كأولياء الملة (يَخَافُونَ يَوْمًا) أى يوم القيامة ويخافون حال من

الضعيف في تلبيهم أوصفة أخرى لرجال (تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ) يلوغها إلى الحناجر (وَأَلْبَسُوا) بالشخص والزرقة أو تتقلب القلوب إلى الإيمان بعد الكفران والأبصار إلى العيان بعد إنكاره للعلميان كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (لِيَخْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ) أى يسبحون ويخافون ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم أى ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلا (وَاللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ يَتَّخِذُ حِسَابًا) أى يثيب من يشاء ثوابا لا يدخل في حساب الخلق هذه صفات المهتدين بنور الله فأما الذين ضلوا عنه فالذكورون في قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ) هو ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجرى (رَقِيمَةً) بقاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الأرض كجيرة في جار (يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ) يظنه المطشان (مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ) أى جاء إلى ما توهم أنه ماء (لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) كما ظنه (وَوَجَدَ اللَّهَ) أى جزاء الله كقوله يمد الله غفورا رحيا أى يمد مغفرته ورحمته (عِنْدَهُ) عند الكافر (فَوْقَهُ حِسَابُهُ) أى أعطاه جزاء عمله وافيا كاملا وحدد بعد تقديم الجمع حلا على كل واحد من الكفار (وَاللَّهُ مَرِيعُ الْحِسَابِ) لأنه لا يحتاج إلى عد وقد ولا يشغله حساب من حساب أو قريب حسابه لأن ما هو آت قريب شبه ما يسمه من لا يمتدح الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجي من عذابه ثم يحجب في المآقبه أمه ويطي خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيعصبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويمجد زبانية الله عنده يأخذونه فيقتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والنساق وهم الذين قال الله فيهم: عاملة ناصية. وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. قبل زلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يترهب ملتصا للدين في الجاهلية فلما جاء الإسلام كفر (أَوْ كُتِّلُمَتْ فِي بَحْرٍ) أو هنا كأوفى أو كصيب (تُجَيَّرُ) عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو منظم ماء البحر (يَنْشَأُ) ينشئ البحر أو من فيه أى يملؤه وينظمه (مَوْجٌ) هو ما ارتفع من الماء (مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ) أى من فوق الموج موح آخر (مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ) من فوق الموج الأعلى سحاب (ظُلُمَتْ) أى هذه ظلمات ظلة السحاب وظلمة الوجود وظلمة

البحر (بَمَنْهَافُوقَ بَعْضُ) ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة  
 للسحاب على الموج (إِذَا أُخْرِجَ يَدَهُ) أى الواقع فيه (لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا) مبالغة فى لم يراها  
 أى لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها شبه أعمالهم أولا فى فوات نعمها وحضور ضررها  
 سراب لم يحمده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكدا أن لم يجد شيئا كثيرا من السراب  
 حتى وجد عنده الزبانية تمتلئ إلى النار وشبهها ثانيا فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفى  
 خلوها من نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب (وَمَنْ لَمْ يَجْمَلِ  
 اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) من لم يهده الله لم يهتد من الزجاج فى الحديث «خلق الله الخلق  
 فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فن أسابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضل» (أَلَمْ تَرَ)  
 ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام البيان فى الإيقان (أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَالطَّيْرِ) عطف على من (سَفَّيْتُ) حال من الطير أى يصفن أجنحتهن فى الهواء (كُلُّ  
 قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ) الضمير فى علم لكل أو لله وكذا فى صلاته وتسبيحه والصلاة  
 الحمد ولم يمد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر الموم الدقيقة التى لا يكاد  
 العقلاء يهتدون إليها (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْكُلُونَ) لا يعزب عن علمه شيء (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ) لأنه خالقها ومن ملك شيئا فتعلمه لياها (وَالِلَّهِ الْقَصِيرُ) مرجع الكل  
 (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقِ) يسوق إلى حيث يريد (سَحَابًا) جمع سحابة دليله (نُفُوءُ  
 يَنْفَعُهُ) وتذكيره للفظ أى يضم بعضه إلى بعض (نُفُوءُ يَجْمَلُهُ رُكَّامًا) متراكما بعضه فوق  
 بعض (فَرَأَى الْوَدْقَ) المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) من فتوقه وغارجه جمع خلل كجبال  
 فى جبل (وَيُنَزَّلُ) وينزل مكي ومدنى وبصرى (مِنْ السَّمَاءِ) لاجتماع النابتة لأن ابتداء  
 الإنزال من السماء (مِنْ جِبَالٍ) من للتبويض لأن ما ينزله الله بعض تلك الجبال التى (فيها)  
 فى السماء (مِنْ بَرَدٍ) للبيان أو الأوليان للاجتماع والآخرة للتبويض ومعناه أنه ينزل البرد  
 من السماء من جبال فيها وعلى الأول مفعول ينزل من جبال أى بعض جبال فيها ومعنى من  
 جبال فيها من برد أن يخلق الله فى السماء جبال برد كما خلق فى الأرض جبال حجر أو يريد  
 السكرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب (فَيَمِيبُ بِهِ) بالبرد (مَنْ يَشَاءُ)

أى يصيب الانسان وزرعه (وَيَصْرِفُهُ عَنْ يَشَاءَ) فلا يصيبه أو يمنب به من يشاء ويصرفه  
 ممن يشاء فلا يعذبه (يَكَادُ سَنًا بَرْقِيهِ) ضوئه (يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ) يطفئها به يذهب يزيد  
 على زيادة الباء (يُغَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) يصرفهما في الاختلاف طولا وقصرا والتعاقب  
 (إِنَّ فِي ذَلِكَ) في إزجاء السحاب وإزال الودق والبرد وتقلب الليل والنهار (لَمِيزَةً  
 لِلْأُولَى الْأَبْصَرِ) لدوى العقول وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من  
 في السماوات والأرض وما يطير بينهما ودعاهم له وتسخير السحاب إلى آخر ما ذكر فعلى  
 يراهم لناحية على وجوده ودلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر ثم بين دليلا آخر فقال تعالى  
 (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ خَالِقٌ كُلِّ حَزْوةٍ) على (دَآبِّيَّةٍ) كل حيوان يدب على وجه الأرض  
 (مِنْ مَّاءٍ) أى من نوع من الماء تختص بتلك الدابة أو من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف  
 بين النحوقات من النطفة فيها هوام ومنها بهائم ومنها أناسى وهو كقوله يسقى بماء واحد ونفضل  
 بعضها على بعض فى الأكل وهذا دليل على أن لها خالقا ومدبرا وإلا لم تختلف لانفاق الأصل  
 وإتمام حرف الماء فى قوله: وجعلنا من الماء كل شىء حى. لأن القصور ثم أن أجناس الحيوان  
 مخلوقة من حنس الماء وأنه هو الأصل وإن تخطت بينه وبينها وسائل. قالوا إن أول ما خلق  
 الله الماء فخلق منه النار والريح والطين فخلق من النار الجن ومن الريح الملائكة ومن الطين آدم  
 ودواب الأرض ولما كانت الدابة تشمل المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى ما وراه حكمه  
 كأن الدواب كلهم مميّزون فمن ثم قيل (فَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِ عَلَىٰ بَطْنٍ) كالحية والحوث وبمى  
 الوحف على البطن مشيا استعارة كما يقال فى الأمر المستمر قد مشى هذا الأمر أو على طرائق  
 المشاكلة لذكر الزاحف مع المشين (وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِ عَلَىٰ رِجْلَيْنِ) كالانسان  
 والطير (وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِ عَلَىٰ أَرْبَعٍ) كالبهائم وقدم ما هو أعرق فى القدرة وهو الماشى  
 بغير آلة مشى من أرجل أو غيرها ثم الماشى على رجلين ثم الماشى على أربع (يَخْلُقُ اللَّهُ  
 مَا يَشَاءُ) كيف يشاء (إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) لا يتعذر عليه شىء (لَقَدْ أُنزِلَتْ  
 آيَاتُهُ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ) بلطفه ومشيقته (إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) إلى دين

الإسلام الذي يوصل إلى جنته والآيات لإثزام حجة لما ذكر إزال الآيات ذكر بعدها افتراق الناس إلى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهراً وكذبت باطناً وهم المناقون وفرقة صدقت ظاهراً وباطناً وهم الخالصون وفرقة كذبت ظاهراً وباطناً وهم الكافرون على هذا الترتيب وبدأ بالنافقين فقال (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ) بالسنتهم (وَأَطَعْنَا) الله والرسول (ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ) يمرض عن الاقياد لحكم الله ورسوله (فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أى من بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول وأطعنا (وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) أى الخلفين وهو إشارة إلى القائلين آمنا وأطعنا لا إلى الفريقين التولى وحده وفيه إعلام من الله بأن جميعهم مستنف عنهم الإيمان لاعتمادهم مايقتد هؤلاء والاعراض وإن كان من بعضهم قارضا بالاعراض من كلامهم (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ) أى إلى رسول الله كقولك أعجبني زيد وكرمه زيد كرم زيد (لِيَحْكُمَ) الرسول (بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّثْرَشُونَ) أى قاجاً من فريق منهم الاعراض نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودى حين اختصما في أرض فجعل اليهودى يجره إلى رسول الله ﷺ والنافق إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمداً يخيف علينا (وَإِنْ يَسْكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ) أى إذا كان الحق لهم على غيرهم (يَأْتُوا إِلَيْهِ) إلى الرسول (مُذْعِرِينَ) حال أى مسرعين في الطاعة طلباً لحقهم لاوضاً بحكم رسولهم قال الزجاج الإذعان الإسراع مع الطاعة والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس ملك إلا الحق المر والعدل البحت يمتنعون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق ثلاثا تنزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما وجب لهم في ضمة الخضم (أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَخِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ) قسم الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بأن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الخيف في قضائه ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله (بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) أى لا يخافون أن يخيف عليهم لعرفتهم بحاله وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فمن ثم يأبون المحاكمة إليه (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ) وعن الحسن قول بالرفع والنسب أقوى لأن أولى الاممين بكونه اسماً لكان أوغلبها في التعريف وأن يقولوا أو غل بخلاف

قول المؤمنين ( إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ ) النبي عليه الصلاة والسلام ليحكم  
 أى ليفعل الحكم ( بَيْنَهُمْ ) يحكم الله الذى أنزل عليه ( أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا ) قوله ( وَأَطَعْنَا )  
 أمره ( وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) الفائزون ( وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ ) فى فرائضه ( وَرَسُولَهُ )  
 فى سنته ( وَيَخْشَ اللَّهَ ) على مامضى من نوبه ( وَيَتَّقْهُ ) فيما يستقبل ( فَأُولَئِكَ هُمُ  
 الْمُفْلِحُونَ ) وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فقلت له هذه الآية وهى جامعة لأسباب  
 الفوز ويتق به يسكون الماء أبو عمرو وأبو بكر بنية الوقف ويسكون القاف وبكسر الماء غتلة  
 حفص وبكسر القاف والماء غيرهم ( وَأَنْفُسُوهَا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْسَنِهِمْ ) أى حلف المناقون  
 بالله جهد اليمين لأنهم بذلوا فيها مجهودهم وجهد يمينه مستمر من جهد نفسه إذا بلغ أقصى  
 وسما وذلك إذا بالغ فى اليمين وبلغ غاية شئها وكادتها وعن ابن عباس رضى الله عنهما  
 من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهداً خذف الفعل  
 وقدم المصدر فوضع موضعه مضافاً إلى المفعول كقوله فضرب الركب وحكم هذا المنصوب  
 حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم ( لَنْ أَمُرَهُمْ بِتَعْزُجٍ ) أى لن أمرنا محمد بالخروج  
 إلى النزول لغزو أو بالخروج من ديارنا لخرجنا ( قُلْ لَا تَقْسِمُوا ) لا تحلفوا كاذبين لأنه ممعية  
 ( طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ) أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة مبتدا محذوف الخبر أو خبر  
 مبتدا محذوف أى الذى يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا رتاب كطاعة  
 الخالص من المؤمنين لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها ( إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ  
 بِمَا تَعْمَلُونَ ) يعلم ما فى ضمائركم ولا يخفى عليه شئ من سرائركم وإنه فاضحكم للاحالة  
 ومجازيكم على نفاقكم ( قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ) صرف الكلام عن النية  
 إلى الخطاب على طريق الالتفات وهو أبلغ فى تبيكتهم ( فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكُمْ مَآخِذُ  
 وَهْلِكُمْ مَآخِذُهُمْ ) يريد فإن تولوا فما ضررتهم وإنما ضررتهم أنفسهم فإن الرسول ليس  
 عليه إلا ما حله الله تعالى وكلفه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه وأما  
 أنهم فعليكم ما كلمتم من التلقى بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتهم فقد عرستم نفوسكم لسخط  
 الله وعذابه ( وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ) أى وإن أطعتموه فيما يأمركم وبها كم فقد أحرزتم  
 نصيبكم من الهدى فالفرر فى توليكم والنفع عائدان إليكم ( وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ )

الْمُيْنُ) وما على الرسول إلا أن يبلغ ماله نفع في قلوبكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالإداء بمعنى التأدية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات ثم ذكر المؤمنين فقال (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولن معه ومنكم للبيان وقيل المراد به المهاجرون ومن للتبعض (لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ) أي أرض الكفار وقيل أرض المدينة والصحيح أنه عام لقوله عليه الصلاة والسلام «ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل» (كَمَا اسْتَخْلَفْتَ) استخلف أبو بكر (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيَسْكَنَنَّ لَهُمْ فِيهِمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ) وليبدلهم بالتخفيف مكي وأبو بكر (مَنْ بَعْدَ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) وعدم الله أن ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويمجلمهم فيها خلفاء كافل بني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبارة وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيتته وتعظيمه وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك أن رسول الله ﷺ وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما احاروا كانوا بالمدينة يسمعون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فزلت فقال عليه الصلاة والسلام «لاتنبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة» فأعجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا أبعد بلاد الشرق والغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خرائثهم واستولوا على الدنيا والقسم التلقى بالام والنون في يستخلفنهم محذوف تهديره وعدم الله وأقسم ليستخلفنهم أوزنل وعد الله في تحققة منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه قيل أقسم الله ليستخلفنهم (يَمْبُدُونِي) إن جملته استثناء فلا محل له كأنه قيل ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يمدونني موحدين ويمجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الأولى وإن جملته حالا عن وعدم أي وعدم الله ذلك في حال عبادتهم فحله التمسب (لَا يُفْرَكُونَ بِي شَيْئًا) حال من فاعل يمدون أي يمدونني موحدين ويمجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الأولى (وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ) أي بعد الوعد والمراد كفران النعمة كقوله تعالى: فكفرت بأنعم الله (فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غططها قالوا أول من كفر هذه



النعمة قتلة عثمان رضى الله عنه فاقتلوا بعدما كانوا إخوانا وزال عنهم الخوف، والآية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وَأَطِيعُوا الصَّوْأَةَ) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا يضر الفصل وإن طال (وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) فيما يدعوكم إليه وكررت طاعة الرسول تأكيداً لوجوبها (لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ) أى لئلا ترحموا فإنها من مستجابات الرحمة ثم ذكر الكافرين فقال (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ) أى فائتين الله بأن لا يقدر عليهم فيها فالتاء خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا ومعجزين. وبالياء شأى وحجة والفاعل النبي ﷺ لتقدم ذكره والمفعولان الذين كفروا ومعجزين (وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ) معطوف على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار (وَلَيْسَ الْمَصِيرُ) أى المرجع النار (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا يَسْتَغْفِرُونَكَ) الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) أمر بأن يستأذن المبيد والإمام (وَالَّذِينَ لَمْ يَمْلِكُوا الْحُكْمَ مِنْكُمْ) أى الأطفال الذين لم يحتلوا من الأحرار، وقرئ بسكون اللام تخفيفاً (تِلْكَ مَرَاتِي) فى اليوم واليلة وهى (مَنْ قَبِلَ صَلَاةَ الْفَجْرِ) لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة (وَجِينَ تَعْمُونَ رِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ) وهى نصف النهار فى القبط لأنها وقت وضع الثياب للقبولة (وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ) لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والاتحاف بثياب النوم (تِلْكَ عَوْرَتِي لَكُمْ) أى هى أوقات ثلاث عورات غُذِفَ المبتدأ والمضاف. وبالنصب كوفى غير حفص بدلا من ثلاث مرات أى أوقات ثلاث عورات ومضى كل واحد من هذه الأحوال عودة لأن الإنسان يحتل نستره فيها، والعودة: الخلل ومنها الأعور الخلل العين. دخل غلام من الأنصار يقال له مدحج بن عمرو على عمر رضى الله عنه وقت الظهيرة وهو قائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضى الله عنه وددت أن الله نعى من الدخول فى هذه الساعات إلا بالإذن فانطلق إلى النبي ﷺ وقد نزلت عليه الآية ثم عذروهم فى ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله (لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ) أى لا إثم عليكم ولا على المذكورين فى الدخول بغير استئذان بعدهن ثم بين الملة فى ترك الاستئذان

في هذه الأوقات بقوله (طَوَّفُونْ عَلَيْكُمْ) أى هم طوافون بمحارج البيت (بَتَضُكُّمُ) مبتدأ خبره (عَلَى بَتَضُكُّمُ) تقديره بمضكم طائف على بعض غنظ طائف لدلالة طوافون عليه ويجوز أن تكون الجلة بدلا من التي قبلها وأن تكون مبنية مؤكدة يعنى أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لأفضى إلى الحرج وهو مدفوع في الشرع بالنص (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ) أى كما بين حكم الاستئذان بين لكم غيره من الآيات التي احتجتم الله ببيانها (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بمصالح عباده (حَكِيمٌ) في بيان مراده (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ) أى الأحرار دون المالك (الْحُلُمَ) أى الاحتلام أى إذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم (فَلْيَسْتَأْذِنُوا) في جميع الأوقات (كََمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أى الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله: يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأمنوا وتسلموا الآية والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بنفي إذن إلا في المورثات الثلاث فإذا اتحد الأطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالنسب وجب أن يغطوا عن تلك المادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين لم يمتدوا الدخول عليكم إلا بإذن والناس عن هذا غافلون، وعن ابن عباس رضى الله عنه ثلاث آيات جعلهن الناس الإذن كله وقوله: إن أكرمكم عند الله أتقاكم. وإذا حضر القسمة. وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة والله ما هي منسوخة وقوله (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بمصالح الأنام (حَكِيمٌ) فيما بين من الأحكام (وَالْقَوَاعِدُ) جمع قاعد لأنها من الصفات المختصة بالنساء كالطلاق والحائض أى اللاتي قدمن من الحيض والولد للكبر (مِنَ النَّسَاءِ) حال (الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا) لا يطمئن فيه وهي في محل الرفع صفة للمبتدأ وهي القواعد والخبر (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) إثم ودخلت القاء لما في المبتدأ من معنى الشرط بسبب الألف واللام (أَنْ يَضَعْنَ) في أن يضعن (رِيَابَهُنَّ) أى الظاهرة كاللحفة والجلباب الذي فوق الخمار (غَيْرَ) حال (مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ) أى غير مظاهر زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك أى لا يقصدن بوضعها التبرج ولكن التخفيف وحقيقة التبرج يكلف اظهار ما يجب إخفاؤه (وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ)

أبى يطلبن المنة عن وضع الثياب فيستترن وهو مبتدأ خبره (خَيْرَ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لما  
يعلن (عَلِيمٌ) بما يقصدن (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى  
الْمَرْيُضِ حَرَجٌ) قال سعيد بن المسيب كان المسلمون إذا خرجوا إلى النزول مع النبي ﷺ  
وضموا مغاتيح بيوتهم عند الأعمى والمرضى والأعرج وعند أقربهم ويأذنونهم أن يأكلوا  
من بيوتهم وكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت  
الآية رخصة لهم (وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) أي حرج (أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ) أي بيوت  
أولادكم لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا لم يذكر الأولاد في الآية وقد قال عليه  
السلام والصلاة والسلام «أنت وما لك لأبيك» أو بيوت أزواجكم لأن الزوجين صاروا كنفس واحدة  
فصار بيت المرأة كبيت الزوج (أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ  
أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ  
أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ) لأن الإذن من هؤلاء ثابت دلالة (أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمَانِيَهُ) جمع مفتح  
وهو ما يفتح به الفلق، قال ابن عباس رضى الله عنه: هو وكيل الرجل وقيمته في ضيعته وماشيئته  
له أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وأريد بملك المفتح كونها في يده وحفظه  
وقيل أريد به بيت عبده لأن العبد وما في يده لمولاه (أَوْ عَدِيقِكُمْ) يعني أوبيوت أصدقاءكم  
والصديق يكون واحدا وجمعا وهو من يصدقك في مودته وتصدق به في مودتك وكان الرجل  
من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيفه فيأخذ ما شاء فإذا حضر مولاه  
فأخبرته أعتقها سرورا بذلك فأما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يؤكل إلا بإذن (لَيْسَ  
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا حَيْثُمْ) مجتمعين (أَوْ أَشْتَاتًا) متفرقين جمع شت نزلت في بني  
ليث بن عمرو وكانوا يتخرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره إلى الليل فإن  
لم يجد من يؤاكله أكل غرورة أو في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا  
مع ضيفهم أو تخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل وزيادة بعضهم على  
بعض (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا) من هذه البيوت لتأكلوا (فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) أي فابدؤوا  
بالسلام على أهلها الذين هم منكم ديننا وقرابة أو بيوتا فارغة أو مسجدا فنزلوا السلام علينا  
وعلى عباد الله الصالحين (تَحِيَّةٌ) نصب بسلاموا لأنها في معنى تسليم نحو قدمت جلوساً (مَنْ

عند الله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه أولاً لتسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والحيا من عند الله (مُبَرَكَةً طَيِّبَةً) وصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) لكي تفعلوا وتفهموا (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ) أى الذى يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير فى الحرب وكل اجتماع فى الله حتى الجمعة والميدين (لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ) أى ويأذن لهم ولما أراد الله عز وجل أن يريهم عظم الجناية فى ذهاب الذهاب عن مجلس رسول الله ﷺ بغير إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنه فالتأذنه بالإيمان بالله والإيمان برسوله وجعلها كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بإنما وإيقاع المؤمنين مبتدأ خبر عنه بموصول أحاطت صلتها بذكر الإيمان ثم عقبه بمازيده توكيدا وتشديدا حيث أحاده على أسلوب آخر وهو قوله (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) وضمنته شيئا آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالصدقات لصحة الإيمان وعرض بحال المناقدين وتسلهم لو إذا فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ) فى الانصراف (لَيَبْسُضْ شَأْنَهُمْ) أرمم (فَأَذِنَ لَمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام (وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأفضل أن لا يستأذنوا قالوا وينبى أن يكون الناس كذلك مع أئمتهم ومفتيهم فى الدين والعلم يظهر ونهم ولا يفرقون عنهم إلا بإذن، قيل قلت يوم الخندق كان المناقرون يرجعون إلى منازلهم من غير استئذان (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) أى إذا احتاج رسول الله ﷺ إلى اجتماعكم عنده لأمر فداكم فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه لياكم على دعاء بعضكم بعضا ووجوهكم عن الجمع بغير إذن الدامى أولا تجعلوا تسميته ودعائه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويقاديه باسمه الذى سماه به أيواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت الخفوض (قَدْ يَسْأَلُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ) يخرجون قليلا قليلا (مِنْكُمْ لَوْ أَذًا) حال أى ملاوذين القوا والملاوذة هو أن يلوذ هذا بذلك وذلك بهذا أى ينساون عن الجماعة فى الخفية على سبيل

للاوذة واستنار بعضهم ببعض ( فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ) أى الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون. يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه. وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه والضمير فى أمره لله سبحانه أو للرسول عليه الصلاة والسلام والمضى من طاعته ودينه ومفعول يحذر ( أَنْ يُصِيبَهُمْ رُفْقَةٌ ) محنة فى الدنيا أو قتل أو زلازل وأحوال أو تسليط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو إسباغ النعم استدراجا ( أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) فى الآخرة والآية تدل على أن الأمر للإيجاب ( أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَافِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) ألا تنبيه على أن لا يخالفوا أمر من له ما فى السماوات والأرض ( قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ) أدخل قد ليؤكد عليه بماهم عليه من المخالفة عن الدين ويرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد والمضى أن جميع ما فى السماوات والأرض مختص به خلقا وملكا وعلماء فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجهدون فى سترها ( وَيَوْمَ يُرْجَمُونَ إِلَيْهِ ) ويفتح الباب وكسر الجيم بمقتوب أى ويعلم يوم يردون إلى جزائه وهو يوم القيامة والمطلب والنية فى قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه يحوز أن يكونا جميعا للمناققين على طريق الالتفات ويحوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمناققين ( قَبِيسُهُمْ ) يوم القيامة ( بِمَا كَانُوا ) بما أبغضوا من سوء أعمالهم وبما جازيهم حق جزائهم ( وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عَالِمٌ ) فلا يخفى عليه خافية وروى أن ابن عباس رضى الله عنهما قرأ سورة النور على المنبر فى الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم به لأسلمت والله أعلم .

### ( سورة الفرقان مكية وهى سبع وسبعون آية )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( تَبَارَكَ ) تفاعل من البركة وهى كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله ترايد خيره وتكاثر أو ترايد عن كل شئ وتعالى عنه فى صفاته وأفعاله وهى كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده والمستعمل منه الماضى نحسب ( الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ) هو مصدر فرق بين الشيتين إذا فصل بينهما وسمى به القرآن لقضله بين الحق والباطل والحلال والحرام أو لأنه لم ينزل جملة ولكن مفرقا مفصولا بين بعضه وبعض فى الإنزال ألا ترى إلى قوله: وقرأنا فرقناه لتعلم على الناس

على مكث ونزلناه تنزيلا (عَلَى عَبْدِهِ) محمد عليه الصلاة والسلام (لِيَكُونَ) العبد أو الفرقان (لِلْمُسْلِمِينَ) للجن والإنس وعموم الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام (نَدِيرًا) مفردا أى غفورا أو إنذارا كالتكثير بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابى ونذر (الَّذِى) رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو على الإبدال من الذى نزل وجوز الفصل بين البديل والمبدل منه بقوله ليكون لأن البديل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكأن المبدل منه لم يتم إلا به أو نصب على المدح (لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) على الخلوص (وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا) كما زعم اليهود والنصارى في عزر والمسيح عليهما السلام (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الثَّنَا) كما زعمت الثنوية (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) أى أحدث كل شيء وحده لا كما يقوله الجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان واهرم ولا شبهة فيه لمن يقول إن الله شيء ويقول بخلق القرآن لأن الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولا له على أن لفظ شيء اختص بما يصح أن يخلق بقرينة وخلق وهذا أوضح دليل لنا على المتعذر في خلق أفعال العباد (فَقَدَرَهُ قَدِيرًا) مهيأ لما يصلح له بلاخلل فيه كأنه خلق الإنسان على هذا الشكل الذى تراه قدره للتكاليف والمصالح النوظة به في الدين والدنيا أوقدره للبقاء إلى أمد معلوم (وَاتَّخَذُوا) الضمير للكافرين لانذارهم تحت المالين أولدلالة نذيرا عليهم لأنهم النذرون (مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةٌ) أى الأصنام (لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) أى أنهم آثروا على عبادة من هو مفرد بالألوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزه لا يقدره على خلق شيء وهم يخلقون (وَلَا يَمْلِكُونَ لَأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا) ولا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع إليها (وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا) إماتة (وَلَا حَيَاةً) أى إحياء (وَلَا نُشُورًا) إحياء بعد الموت وجعلها كالغلاء زعم عابديها (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا مَا هَذَا الْقُرْآنُ (إِلَّا إِفْكٌ) كذب (افترأه) اختلقه واخترعه محمد من عند نفسه (وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ) أى اليهود وعداس ويسار وأبو فكهة الروى قاله النضر بن الحارث (فَقَدْ جَاءَ مُزْجَأًا مُزْجَأًا) هذا إخبار من الله رد للكفرة فيرجع الضمير إلى الكفار وجاء يستعمل في معنى فعل فيمدى تمديتها أو حذف الجار وأوصل الفعل أى بظلم وزور وظلمهم إن جملوا العربى يتلقن من المعجمى الروى كلاما مرييا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور أن يهتوه بنسبة ما هو برى منه إليه

(وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أى هو أحاديث المتقدمين وما سطروه كرسّم وغيره جمع أسطار  
 وأسطورة كأحدثة (اِكتَتَبَهَا) كتبها لنفسه (فَقَبِي تُمَلَّى عَلَيْهِ) أى تلقى عليه من كتابه  
 (بُكْرَةً) أول النهار (وَأَصِيلًا) آخره فيحفظ ما يلقى عليه ثم يتلوها علينا (قُلْ) يا محمد  
 (أَنزَلَهُ) أى القرآن (الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى يعلم كل سر خفي في  
 السماوات والأرض يعنى أن القرآن لما اشتمل على علم النيوب التى يستحيل عادة أن يعلمها  
 محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم دل ذلك على أنه من عند علام النيوب (إِنَّهُ كَانَ  
 غَفُورًا رَحِيمًا) فيعلمهم ولا يماجلهم بالقوية وإن استوجبوها بكمابرهم (وَقَالُوا مَالِ هَذَا  
 الرَّسُولِ) وقمت اللام فى الصحف مفصولة عن الماء وخط الصحف سنة لاتنير وتسميهم  
 إياه بالرسول سخريتهم منهم كأنهم قالوا أى شيء لهذا الزاعم إنه رسول (يَأْكُلُ الطَّامَةَ وَيَمْشِي  
 فِي الْأَسْوَاقِ) حال والعامل فيها هذا (لَوْلَا أَنزَلْ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى  
 إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا) أى إن صح أنه رسول الله فإياه يأكل الطعام  
 كأنه كل ويتردد فى الأسواق لطلب الماش كأنه يمشى أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا  
 عن الأكل والتعيش ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح إلى أن يكون إنسانا معه ملك حتى يتساندا  
 فى الإنذار والتخويف ثم نزلوا إلى أن يكون مرفودا بكثر يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا  
 يحتاج إلى تحصيل الماش ثم نزلوا إلى أن يكون رجلا له بستان يأكل هو منه كالإيسير أو  
 يأكل نحن كقراءة على وحشة. وحسن عطف المضارع وهو يلقى وتكون على أنزل وهو ماض  
 لمخول المضارع وهو فيكون بينهما وانتصب فيكون على القراءة الشهورة لأنه جواب لولا  
 بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام وأراد بالظالمين فى قوله (وَقَالَ الظَّالِمُونَ) إياهم بأعيانهم  
 فغير أنه وضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش (إِنْ  
 تَنبِئُونَنَا إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا) سحر فجى أو ذا سحر وهو الرثة عنوا أنه بشر لا ملك  
 (انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا) يبنوا (لَكَ الْأَمْثَلَ) الأشباه أى قالوا انيك تلك الأقوال واختاروا  
 لك تلك الصفات والأحوال من المفتري والمبلى عليه والمسحور (فَنَلُّوا) عن الحق (فَلَا  
 يَسْتَعِيبُونَ سَبِيلًا) فلا يمدون طريقا إليه (تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ  
 ذَلِكَ جَسَدًا نَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا) أى تكثر خبر الذى إن شاء

ذهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور  
وجنات بدل من خيرا، ويجعل بالرفع مكي وشامى وأبو بكر لأن الشرط إذا وقع ما ضيا جاز في  
جزائه الجزم والرفع (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب  
من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة أو متصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف  
يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون  
بها (وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا) وهيانا للمكذبين بها نارا شديدة في الاستمرار  
(إِذَا رَأَوْهُمْ) أى النار أى قابلتهم (مَنْ مَّكَانٍ يَسِيرٍ) أى إذا كانت منهم مجرى الناظرين  
في البعد (سَمِعُوا لَهَا تَفَيطًا وَزَفِيرًا) أى سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت التنفيط  
والزفر أو إذا رأوهم زياتها تفيظوا وزفروا غضبا على الكفار (وَإِذَا أُنْفُثَتْ مِنَ النَّارِ  
(مَكَانًا ضَيِّقًا) ضيقا مكي فإن الكرب مع الضيق كأن الروح مع السمة ولذا وصفت الجنة  
بأن مرضها السماوات والأرض وعن ابن عباس رضى الله عنها أنه يضيق عليهم كما يضيق الرج  
في الرمح (مُتَرَجِّينَ) أى وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم  
إلى أعناقهم في الأغلال أو يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأسفاد (دَعُوا  
هَٰذَا لَكَ) حينئذ (فُيُورًا) هلاكا أى قالوا واثبورا أى تعال يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم  
(لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) أى انكم وقستم فيا ثبور كم فيه واحدا  
إعما هو ثبور كثير (قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ) أى المذكور من صفة النار خير (أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي  
وَعِدَ الْمُتَّقُونَ) أى وعدها فالراجع إلى اللوصول عذوف وإنما قال: أذلك خير، ولا خير في  
النار توييخا للكفار (كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً) ثوابا (وَمَصِيرًا) مرجعا وإنما قيل كانت لأن ما  
وعده الله كأنه كان لتحققه أو كان ذلك مكتوبا في اللوح قبل أن خلقهم (لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ)  
أى ما يشاءونه (خَالِدِينَ) حال من الضمير في يشاءون والضمير في (كَانَ) لا يشاءون (عَلِمَ  
رَبُّكَ وَغَدَا) أى موعودا (مُسْتَوَلَا) مطلوبا أو حقيقا أن يستل أو قد سأله المؤمنون والملائكة في  
دعواتهم ربنا وأتينا ما وعدتنا على رسلك ربنا أننا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ربنا وأدخلهم  
جنت عدن التي وعدتهم (وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ) يوم نحشرهم لبعث عند الجمهور وبالياء مكي ويزيد



ويمقوب وحفص (وَمَا يَتَّبِدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) يريد المعبودين من الملائكة والسيح وهن.  
وعن الكلبي يعنى الأستام ينطقها الله وقيل هام وما يتناول الملاء وغيرهم لأنه أريد به  
الوصف كأنه قيل ومعبودهم (فَيَقُولُ) وبالنون شأى (عَأْتُمْ أَضَلَّتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ  
هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ) والقياس ضلوا عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هدها الطريق  
والأصل إلى الطريق أو للطريق وضل مطاوع أضله والمعنى أنتم أوقمتموهم في الضلال عن  
طريق الحق يادخال الشبه أمهم ضلوا عنه بأنفسهم وإنما لم يقل أضللتهم عبادى هؤلاء أم ضلوا  
السبيل وزيد أنتم وهم لأن السؤال ليس عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده لما توجه هنا  
الكتاب وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام ليعلم أنه المسئول عنه.  
وقائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسئول عنه أن يجيبوا بما أجابوا به حتى ييكت عبتهم بتكذيبهم  
لإهم فزيد حسرتهم (قَالُوا سُبْحَنَكَ) تعجب منهم مما قيل لهم وقصدوا به تنزيهه عن  
الأنداد وأن يكون له نبى أو ملك أو غير هاندا ثم قالوا (مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ  
مِنْ أَوْلِيَاءَ) أى ما كان يصح لنا ولا يستقيم أن نقول أحدا دونك فكيف يصح لنا أن  
نحمل غيرنا على أن يقولوا دونك. نتخذ يزيد واتخذ يتمدى إلى مفعول واحد نحو اتخذت فلانا  
والى مفعولين نحو اتخذ فلانا ولينا قال الله تعالى: أم اتخذوا آلهة من الأرض. وقال: واتخذ الله  
إبراهيم خليلا فالقراءة الأولى من التمدى لواحده وهو من أولياء والأصل أن نتخذ أولياء  
وزيدت من لتأكيد معنى النفى والقراءة الثانية من التمدى إلى المفعولين فالفعل الأول ما بنى  
له الفعل والثانى من أولياء ومن التبعيض أى لا نتخذ بعض أولياء لأن من لا تزاد إلى المفعول  
الثانى بل فى الأول نقول ما اتخذت من أحد ولنا ولا نقول ما اتخذت أحدا من ولى (وَلَكِن  
مَتَّبَعْنَاهُمُ) (وَأَبَاءَهُمْ) بالأموال والأولاد وطول العمر والسلامة من العذاب (حَتَّى نَسُوا  
الذِّكْرَ) أى ذكر الله والإيمان به والقرآن والشرائع (وَكَاْنُوا) عند الله (تَوَّابُونَ) أى  
هلكى جمع بائر كما نذوهو ذمهم قال للسكفار بطريق الخطاب عدولاً عن النية (فَقَدْ كَذَّبُوا كُفْرًا)  
وهذه المفاجأة بالاحتجاج والإثام حسنة رائمة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول.

﴿فَقُلْ هَآءِ السِّكِّتُ الَّتِي كُنْتُمْ تُسَمِّرُونَ بَيْنَ يَدَيْكُمْ﴾ رسولنا بين لكم على فترة من الرسل إلى قوله فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القول فقد جئنا خراسانا

(يَا قَوْمُ لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ) والباء على هذا كقوله: بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل قد كذبوا بما تقولون وعن قبيل بالياء وممناء فقد كذبواكم بقولهم: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونه من أولياء. والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم (فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا) فإيا يستطيعون أي فإيا يستطيع آهنتكم أن يصرفوا عنكم المذاب أو ينصروكم. وبإثاء خفض أي فإيا يستطيعون أن يكفوا صرف المذاب عنكم ولا نصر أنفسكم ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله (وَمَنْ يَظْلِمِ مَثْرًا) أي يشرك لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن جعل الخلق شرك خالفه فقد ظلم يؤيده قوله تعالى: إن الشرك لظلم عظيم (فَذَرْنَاهُ غَدَابًا كَثِيرًا) غمر بالخلود في النار وهو يليق بالشرك دون الفاسق إلا على قول المنزلة والخروج (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنْهُمْ لِيَا كُفُلُونَ الْعِلْمَ وَيُحْمِلُونَ فِي الْأَسْوَاقِ) كسرت لإن لأجل اللام في الخبر والجمة بعد إلا صفة لموصوف محذوف والمعى وما أرسلنا قبلك أحداً من الرسلين إلا آكلين وماشين وإنما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أي من الرسلين ونحوه وما لنا إلا المقام معلوم أي وما لنا أحد قيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وتسليية لثبي عليه الصلاة والسلام (وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْفَقْرِ مِشْيَةً فِي الْأَسْوَاقِ) أي حنة وإبتلاء وهذا تبصير لرسول الله ﷺ مما عيروه به من الفقر ومشية في الأسواق يعني أنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء فينبى من يشاء ويفقر من يشاء (أَتَنْصِيرُونَ) على هذه الفتنة فتؤجروا أم لا تنصرون فيزداد عنكم وحكى أن بعض الصالحين تبرم بفسادك عيشه فخرج ضبراً فرأى خصياً في مواكب ومراكب تغطر بياله شيء فإذا بمن يقرأ هذه الآية فقال لي فصبراً ربنا أو جعلتلك فتنة لهم لأنك لو كنت غنياً صاحب كنوز وحتان لكأت طاعتهم لك الدنيا أو ممزوجة بالدنيا فإنما بشتاك فقيراً لتكون طاعة من يطيعك

خالصة لنا (وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) علما بالصواب فيما يتلى به أو بمن يصبر ويمزج (وَتَالَةَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ) لَا يَأْمَلُونَ (لِقَاءَنَا) بائغير لأنهم كفره لَا يؤمنون بالبث أو لَا يتخافون عقابنا إما لأن الرأجي قلق فيما يرجوه كالتخاف أو لأن الرجاء في لغة تهامة الخوف (تَوَلَّى) هلا (أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلْئِكَةَ) رسلا دون البشر أو شهوداً على نبوته ودعوى رسالته (أَوْ تَرَى رَبَّنَا) جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه (لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ) أي اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والتمناد في قلوبهم (وَعَتَوْا) وتجاوزوا الحد في الظلم (عُتُوا كَبِيرًا) وصف المتو بالكبر فيالغ في إفراطه أي أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلا أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى المتو واللام في لقد جواب قسم محذوف (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلْئِكَةَ) أي يوم الموت أو يوم البث ويوم منصوب بما حل عليه (لَا بُشْرَى) أي يوم يرون الملائكة ينعمون البشرى وقوله (يَوْمَئِذٍ) مؤكد ليوم يرون أو بإضمار اذكر أي اذكر يوم يرون الملائكة ثم أخبر فقال لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب يرون لأن المصاب إليه لا يعمل في المضاف ولا يبشرى لأنها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولأن النسق بلا لا يعمل فيما قبل لا (لَلْمُجْرِمِينَ) ظاهر في موضع ضمير أو عام يتناولهم بمعومه وهم الذين اجتمروا الذنوب والراد الكافرون لأن مطلق الأسماء يتناول أكل السميات (وَيَقُولُونَ) أي الملائكة (حِجْرًا مَّحْجُورًا) حراماً محرماً عليكم البشرى أي جعل الله ذلك حراماً عليكم إنما البشرى للمؤمنين والحجر مصدر والكسر والفتح لفتان وقرئ بهما وهو بين حجره إذا منعه وهو من المصادر المنصوبة بأفعال متروك إظهارها وعجوراً لتأكيد معنى الحجر كما قالوا موت مائت (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا) هو صفة ولا قدوم هنا ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من سلة رحم وإفاته ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعماء قنم إلى أشياءه وفسد إلى ماتحت يديه فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرًا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيها بالغبار والشتور الفرق وهو استعارة عن جملة بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع ثم بين فضل أهل الجنة على أهل النار فقال (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ) مُسْتَقَرٌّ) تميز والمستقر السكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحاذنون.

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ مكانا يأتون إليه للاسترواح إلى أزواجهم ولا نوم في الجنة ولكنه سمي مكان استراحتهم إلى الحور مقبلا على طريق التشبيه وروى أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي لفظ الأحسن تهكم بهم ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يوم ﴿تَشَقَّقُ السَّمَاءُ﴾ والأصل تشقق فحذف التاء كوفي وأبو عمرو وغيرهم ادغمها في الشين ﴿بِالْقَمَرِ﴾ لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع النمام منها جعل النمام كأنه الذي تشقق به السماء كما تقول شقت النمام بالشفرة فانشق بها ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ ونزل الملائكة مكي، وتنزيلا على هذا مصدر من غير لفظ الفعل والمعنى أن السماء تفتتح بنمام أبيض يخرج منها وفي النمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ مبتدأ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفه ﴿الْحَقُّ﴾ نته وممناه الثابت لأن كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى إلا ملكه ﴿لِلرَّحْمَنِ﴾ خبره ﴿وَكَانَ﴾ ذلك اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ شديدا يقال عسر عليه فهو عسير وعسر ويفهم منه يسره على المؤمنين ففي الحديث «يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صاوها في الدنيا» ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ عض اليدين كناية عن النفيظ والحسرة لأنه من روادفها فنذكر الرادفة ويدل بها على الردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة مالا يحده عند لفظ المكفى عنه، واللام في الظالم للمهد وأريد به عقبة لا تبين أو للجنس فيتناول عقبة وغيره من الكفار ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ﴾ في الدنيا ﴿مَعَ الرَّسُولِ﴾ عهد عليه الصلاة والسلام ﴿سَبِيلًا﴾ طريقا إلى النجاة والجنة وهو الإيمان ﴿يَوَيْتَنِي﴾ وقرئ يا ويلى بالياء وهو الأسفل لأن الرجل ينادى ويلىته وهي هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك وإنا قلبت الياء ألفا كما في محاربي ومداري ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ فلان كناية عن الأعلام فإن أريد بالظالم عقبة لما روى أنه اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله عليه الصلاة والسلام فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له أبا بن خلف وهو خليله وجهي من وجهك حرام إلا أن ترجع فارتد فالمنى باليتنى لم اتخذ أيا خليلي فكفى عن اسمه وإن أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلًا كان خليله اسم علم لعمالة فجعل كناية عنه وقيل هو كناية عن الشيطان ﴿قَدْ أَصْلَنِي﴾

عَنِ الذِّكْرِ) أى عن ذكر الله أو القرآن أو الإيمان (بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي) من الله (وَكَانَ الشَّيْطَانُ) أى خليفه سماه شيطاناً لأنه أضله كما يضله الشيطان أو إبليس لأنه الذى حمله على محالة المضل وخالفه الرسول (بِالْإِنْسَانِ) المطيع له (حَذُولًا) هو مبالغة من الخذلان أى من عادة الشيطان ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الله أو كلام الظالم (وَقَالَ الرَّسُولُ) أى محمد عليه الصلاة والسلام فى الدنيا (يَرْبُّ إِنَّا قَوْمِي) قريشاً (اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) متروكا أى تركوه ولم يؤمنوا به من المهاجران وهو مفعول ثان لاتخذوا فى هذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لأن الأنبياء إذا شكوا إليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم أقبل عليه مسلياً ووعده النصر عليهم قال (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ رِبًّاكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) أى كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بمداوة قوميه وكفاه فى هادياً إلى طريق قهرهم والانتصار منهم وناسراً لك عليهم والهدى يجوز أن يكون واحداً وجما والباء زائدة أى وكفى ربك هادياً وهو تمييز (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى قريش أو اليهود (لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً) حال من القرآن أى مجتمعا (وَاحِدَةً) يعنى هلا أنزل عليه دفعة واحدة فى وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفريق وهو فضول من القول ومماراة بما لا طائل نفعه لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو متفرقة ونزل هنا بمعنى أنزل وإلا لكان متداغماً بدليل جملة واحدة وهذا اعتراض فاسد لأنهم تحدوا بالإتيان بسورة واحدة من أسفر السور فأبرزوا صفحة عجزهم حتى لا ذوا بالناسبة وفزهوا إلى الحامية وبذلوا المهج وما مالوا إلى الحجج (كَذَلِكَ) جواب لهم أى كذلك أنزل مغرقة فى عشرين سنة أوفى ثلاث وعشرين وذلك فى كذلك إشارة إلى مدلول قوله لولا نزل عليه القرآن جملة لأن معناه لم أنزل عليك القرآن مغرقة فاعلم أن ذلك (لِنُنَبِّئَ بِهِ) بتفريقه (فَوَادِكَ) حتى تبيه وتحفظه لأن المتلقين إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئاً بمد شئٍ وجزأ عقيب جزء ولو أتى عليه جملة واحدة لميجز عن حفظه، أو لنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الرسول وتتابع الرسول لأن قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) معطوف على الفعل الذى تعلق به كذلك كأنه قال كذلك فرقناه ورتلناه أى قدرناه آية بمد آية ووقفه بمد وقفه أو أمرنا به بتل قراءته وذلك قوله تعالى: ورتل القرآن ترتيلاً. أى اقراءه بترسل وتثبت

أو بيناه تبييناً، والترتيل التبيين في ترسل وتثبت (وَلَا يَأْتُوكَ بِمَثَلٍ) بسؤال عجيب من سؤالهم الباطلة كأنه مثل في البطلان (إِلَّا يَجْنُفُكَ بِالْحَقِّ) إلا أتيناك بالجواب الحق الذي لا يحيد عنه (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) وبما هو أحسن معنى ومؤدى من مثلهم أى من سؤالهم وإنما حذف من مثلهم لأن في الكلام دليلاً عليه كما لو قلت رأيت زيداً وعمراً وإن عمراً أحسن وجهاً كان فيه دليل على أنك تريد من زيد ولما كان التفسير هو التفسير مما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أولاً يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا أنزل عليك القرآن جملة إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا أن تطأه وما هو أحسن تكشيفاً لما بثت عليه ودلالة على صحته يبنى أن تنزله مفروقا وتحديدهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها أدخل في الإعجاز من أن ينزل كله جملة (الَّذِينَ يُخْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مِنَ الْبَدَأِ وَأُولَٰئِكَ مَبْدَأُ ثَانٍ وَشَرُّ خَيْرِ أُولَٰئِكَ وَأُولَٰئِكَ مَعَ شَرِّ خَيْرِ الَّذِينَ أَوْ التَّقْدِيرِ مِنَ الَّذِينَ أَوْ أَمْنِي الَّذِينَ وَأُولَٰئِكَ مُسْتَأْنَفٌ (مَسْكَانًا) أى مكانة ومنزلة أو مسكناً ومنزلاً (وَأَنْزَلُ سَبِيلًا) أى وأخطأ طريقاً وهو من الإسناد المجازى والمعنى إن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضيئون سبيله وتحترقون مكانه ومنزله ولو نظرتهم بين الإنصاف وأنتم من المسحوقين على وجوههم إلى جهنم لعلتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أشل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضبه عليه الآية وهن النبي ﷺ «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ صَنَفٌ عَلَى الدُّوَابِّ وَصَنَفٌ عَلَى أَرْجُلِهِمْ وَصَنَفٌ عَلَى وَجُوهِهِمْ» قيل يا رسول الله كيف يحشرون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام «الَّذِي أَمْسَأَكُمْ عَلَى أقدامكم يحشرون على وجوههم» (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة كما آتيناك القرآن (وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ) بدل أو عطف بيان (وَنَزِيرًا) هو في اللغة من يرجع إليه من الوزر وهو الملجأ والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يمشي في الزمن الواحد أنبياء ويؤمنون بأن يوازر بعضهم بعضاً (فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا) إلى فرعون وقومه وتقديره فذهبا إليهم وأنذرا فكذبوا (فَدَمَّرْنَا نَهُمْ تَدْمِيرًا) التدمير الإهلاك بأمر عجيب

أراد اختصار القصة فذكر أولها وآخرها لأنها القصود من القصة أعنى إثم الحجة يمتنع  
 الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (وَقَوْمُ نُوحٍ) أى ودمرنا قوم نوح (لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ)  
 يعنى نوحا وإدريس وشيثا أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذبا للجميع (أَفَرَأَيْتُمْ) بالطوفان  
 (وَجَمَلْنَهُمْ) وجعلنا لإغراقهم أو قصتهم (لِلنَّاسِ آيَةً) عبرة يعتبرون بها (وَأَعْتَدْنَا) وهبنا  
 (لِلظَّالِمِينَ) لقوم نوح وأسله وأعتدنا لهم إلا أنه أراد تنظييمهم فأظهر أوهو عالم لكل من ظلم ظلم  
 شرك ويقتناولهم بعمومه (عَذَابًا أَلِيمًا) أى النار (وَعَادًا) دمرنا عادا (وَنُوحًا) حزمة وحفص  
 على تأويل القبطة وغيرهما، ونوحا على تأويل الحى أو لأنه اسم الأب الأكبر (وَأَضْحَبَ الرُّسُلَ)  
 هم قوم شعيب كانوا يعبدون الأصنام فكذبوا شعيبا فينأى حول الرس وهى البئر غير مطوية  
 انهارت بهم نفسهم وبديارهم، وقيل الرس قرية قتالوا نبيهم فهلكوا أو هم أصحاب الأخدود  
 والرس الأخدود (وَقُرُونًا) وأهلكنا أما (يُنْ ذَٰلِكَ) الذكور (كَثِيرًا) لا يملها إلا  
 الله أرسل إليهم فكذبوهم فأهلكوا (وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ) يينا له القصص العجيبة  
 من قصص الأولين (وَكُلًّا تَبَرَّأْنَا فَتَيَّارًا) أى أهلكنا إهلاكاً، وكلا الأول منصوب بما  
 دل عليه ضربنا له الأمثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثانى تبرأنا لأنه فارغ له (وَقَدَّأْتُمَا)  
 يعنى أهل مكة (عَلَى الْقَرْيَةِ) سدوم وهى أعظم قرى قوم لوط وكانت خسا أهلك الله أربعا  
 مع أهلها وبيت واحدة (الَّتِي أَنْطَرَتْ مَطَرَ السَّوءِ) أى أمطر الله عليها الحجارة يعنى أن  
 قريشا صرنا صهارا كثيرة فى متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التى أهلكك بالحجارة من  
 السماء، ومطر السوء مفعول ثان والأصل أمطرت القرية مطرا أو مصدر عنذوف الزوائد أى  
 إبطار السوء (أَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْهَا) أما شاهدوا ذلك بأبصارهم عند سفهم الشام فيفتكروا  
 فيؤمنوا (بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا) بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يخافون بشا فلا  
 يؤمنون أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمهم فى الوصول إلى ثواب أعمالهم (وَإِذَا  
 رَأَوْكَ أَنْ يَنْخَذُوا نَكَ) إن نافية (إِلَّا هَزُوءًا) اتخذه هزوا فى معنى استهزا به والأسل اتخذه  
 موضع هزؤ أو مهزوداً به (أَهْذَا الَّذِي) عكى بعد القول للضمير وهذا استمطار واستهزاء  
 أى قائلين أهنا الذى (بَتَّ اللَّهُ رَسُولًا) والمحدوف حال والمائد إلى القى عدوف أى بته

(إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا) أَنْ مَخْفَقَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاللَّامِ قَارِقَةً وَهُوَ دَنِيْلٌ عَلَى فِرْعَوْنَ عِبَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي دَعْوَتِهِمْ وَهَرَضَ الْمَجْزَاتِ عَلَيْهِمْ حَتَّى شَارَفُوا بِزَعْمِهِمْ أَنْ يَتْرَكُوا دِينَهُمْ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ لَوْلَا فِرْعَوْنُ لَجَاحُهُمْ وَاسْتِمْسَاكُهُمْ بِعِبَادَةِ آلِهَتِهِمْ (وَسَوْفَ يَأْتِيكَمْ يَوْمَئِذٍ يَرَوْنَ الْعَذَابَ) هُوَ وَعِيدٌ وَدَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَهُ وَإِنْ طَالَتْ مَدَّةُ الْإِهْمَالِ (مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا) هُوَ كَالْجَوَابِ عَنْ قَوْلِهِمْ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا لِأَنَّهُ نَسَبَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الضَّلَالِ إِذْ لَا يَضِلُّ غَيْرُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ ضَالٌّ فِي نَفْسِهِ (أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) أَيْ مَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ فَيَأْتِي وَيَذَرُ فَهُوَ عَابِدُ هَوَاهُ وَجَاعِلُهُ إِلَهَهُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ هَذَا الَّذِي لَا يَرَى مَبْعُودًا إِلَّا هَوَاهُ كَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَدْعُوهُ إِلَى الْهُدَى يَرَوِي أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ يَسْبُدُ الْحَجَرَ فَذَا صَرَ بِحَجَرٍ أَحْسَنَ مِنْهُ تَرَكَ الْأَوَّلَ وَعَبَدَ الثَّانِيَّ وَعَنِ الْحَسَنِ هُوَ فِي كُلِّ مَتَبِعٍ هَوَاهُ (أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) أَيْ حَفِظًا تَحْفَظُهُ مِنْ مَتَابَعَةِ هَوَاهُ وَعِبَادَةِ مَا يَهْوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ مُوَكَّلًا فَتَصْرِفُهُ عَنِ الْهُدَى إِلَى الْهُدَى عَرَفَهُ أَنَّ إِلَهَهُ التَّلْبِيخُ فَقَطُّ (أَمْ نَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَفْقَهُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) أَمْ مُنْقَطِعَةٌ مَعْنَاهُ بَلْ نَحْسَبُ أَنَّ هَذِهِ اللَّذَمَةُ أَشَدُّ مِنَ الَّتِي تَقْدِمُهَا حَتَّى حَقَّتْ بِالْإِصْرَابِ عَنْهَا إِلَيْهَا وَهِيَ كَوْنُهُمْ مُسَلَوِي الْأَسْمَاعِ وَالْقَوْلِ لِأَنَّهُمْ لَا يَقْرُونُ إِلَى اسْتِيعَابِ الْحَقِّ أَذْنًا وَلَا إِلَى تَدْرِيسِ عَقْلًا وَمُشَبَّهِينَ بِالْأَنْعَامِ الَّتِي هِيَ مِثْلُ فِي النَفْلَةِ وَالضَّلَالَةِ فَقَدْ رَكِبَهُمُ الشَّيْطَانُ بِالْإِسْتِزْلالِ لَتَرْكِهِمُ الْإِسْتِزْلالَ ثُمَّ أَرْجَحَ ضَلَالَتَهُمْ لِأَنَّ الْأَنْعَامَ تَسْبِيحُ رَبِّهَا وَتَسْجُدُ لَهُ وَتَطِيعُ مِنْ بِلْفِهَا وَتَرْفُ مِنْ يَحْسَنُ إِلَيْهَا مِنْ نَصِيءٍ إِلَيْهَا وَتَطْلُبُ مَا يَنْفَعُهَا وَتَجْتَنِبُ مَا يَضُرُّهَا وَتَهْتَدِي لِرَاعِيهَا وَمُشَارِبَهَا وَهَؤُلَاءِ لَا يَنْقَادُونَ لِرَبِّهِمْ وَلَا يَمْرُقُونَ لِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ إِسَاءَةِ الشَّيْطَانِ الَّذِي هُوَ عَدُوُّهُمْ وَلَا يَطْلُبُونَ الثَّوَابَ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ النَّافِعِ وَلَا يَقْتُونُ الْعِقَابَ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ اللَّضَارِ وَالْمَهَالِكِ وَلَا يَهْتَدُونَ لِلْحَقِّ الَّذِي هُوَ الشَّرْعُ وَالْحَقُّ وَالْعَذَابُ الرَّوِي، وَقَالُوا لِلْمَلَائِكَةِ: رُوحٌ وَعَقْلٌ وَلِبَاسٌ نَفْسٌ وَهُوَ وَالْأَدَى يَجْمَعُ الْكُلَّ ابْتِلَاءً فَإِنْ غَلِبَتْهُ النَّفْسُ وَالْهُوَى فَضَلَّتْهُ الْأَنْعَامُ وَإِنْ غَلِبَتْهُ الرُّوحُ وَالْعَقْلُ فَضَلَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْأَكْثَرَ لِأَنَّ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يَصِدْ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا حُبُّ الرِّيَاسَةِ وَكُفَى بِهِ هَاءَ عَضَالًا وَلَأَنَّ فِيهِمْ مَنْ آمَنَ (أَلَمْ تَرَ إِلَى



وَبَيْكَ) ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته (كَثِيفَ مَدِّ الظِّلِّ) أى بسطه فعم الأرض وذلك من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور لأنه ظل ممدود لاثمس معه ولا ظلمة وهو كما قال في ظل الجنة وظل ممدود إذ لاثمس معه ولا ظلمة (وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً) أى دائماً لا يزول ولا تذهب الشمس (ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ) على الظل (دَلِيلًا) لأنه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالأشياء تعرف بأضدادها (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ) أى أخذنا ذلك الظل الممدود (إِلَيْنَا) إلى حيث أردنا (قَبْضًا بَسِيرًا) سهلاً غير عسير أو قليلاً قليلاً أى جزءاً جزءاً بالشمس التي تأتي عليه وجاء ثم لتفاضل ما بين الأمور فكان الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم من الثاني شبه تباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا) جعل الظلام الساتر كاللباس (وَالنَّوْمَ سُبَاتًا) راحةً لأبدانكم وقعمالاً لأعمالكم والسبت القطع والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته وقيل السبات الموت والسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويمضد ذكر النشور في مقابلته (وَجَعَلَ النَّهَارَ نَشُورًا) إذ النشور انبعثات من النوم كنشور الميت أى ينشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن في الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية وفي النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنش (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ) الريح مكي والمراد به الجنس (بُشْرًا) تخفيف بشر جمع بشور (بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) أى قدام المطر لأنه ريح ثم سحب ثم مطر وهذه استعارة مليحة (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطراً. (طَهُورًا) بليغاً في طهارته والطهور صفة كقولك ماء طهور أى طاهر واسم كقولك لما يطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار ومصدر بمعنى التطهر كقولك تطهرت طهوراً حسناً ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «لا سلاة إلا بطهور» أى بطهارة وما حكي عن ثعلب هو ما كان طاهراً في نفسه مطهراً لنيره وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى إن كان هذا بيان زيادة الطهارة فحسن ويمضد قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وإلا فليس فنول من التفعيل في شيء وقياسه على ما هو مشتق من الأفعال

المتدبة كتطوع ومنوع غير شديد لأن بناء الفعول للمبالغة فإن كان الفعل متعديا فالفعول متعد وإن كان لازما فلازم (لَنُحْيِيَهُ) بالمطر (بِلَدَّةٍ مَّيْنًا) ذكر ميتا على إرادة البلاد أو السكان (وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًّا كَثِيرًا) أى ونسقى الماء البهايم والناس ومما خلقنا حال من أنعاما وأناسى أى أنعاما وأناسى مما خلقنا وسقى أو أسقى لثنان وقرأ المفضل والبرجى ونسقيه والأناسى جمع إنسى على القياس ككرسى وكرامى أو إنسان وأصله أناسين كسر حان وسراحين فأبدلت التون ياء وأدغمت وقدم إحياء الأرض على سقى الأنعام والأناسى لأن حياتها سبب لحياتهما وتخصيص الأنعام من الحيوان الشارب لأن عامة منافع الأناسى متعلقة بها فكان الإنعام عليهم بسقى الإنعام بسقيهم وتنكير الأنعام والأناسى ووصفها بالكثرة لأن أكثر الناس منيخون بالقرب من الأودية والأنهار فيهم غنية عن سقى السماء وأعقابهم وبقايهم وم كثير يعيشون بما ينزل الله من رحمته وتنكير البلدة لأنه يريد بعض بلاد هؤلاء التبعدين عن مظان الماء ولما كان سقى الأناسى من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالظهور إكراما لهم وبيان أن من حقهم أن يؤثروا الطهارة فى بواطنهم وظواهرهم لأن الطهورية شرط الإحياء (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) ليذكروا حجة وعلى يريد وقد صرنا هذا القول بين الناس فى القرآن وفى سائر الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليتفكروا ويمتدروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتران لها أو صرنا المطر بينهم فى البلدان المختلفة والأوقات المتنايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وظل وجود ورذاذ ودجعة فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية وروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره فى كل عام لأنه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد ويترع من هنا جواب فى تنكير البلدة والأنعام والأناسى ومن نسب الأمطار إلى الأنواء وجد أن تكون هى والأنواء من خلق الله تعالى كفر وإن رأى أن الله تعالى خلقها وقد نصب الأنواء أمارات ودلالات عليها لم يكفر (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ) أى لو شئنا لحففنا عنك أهباء نذارة بجميع القرى ولبعثنا

في كل قرية نبيا يبندها ولكن شئنا أن نجعل لك فضائل جميع الرسلين بالرسالة إلى كافة  
المالين فقصرنا الأمر عليك وعظمتاك به فتكون وحدك ككلمهم ولذا خولب بالجمع يا أيها  
الرسول فقابل ذلك بالشكر والصبر والتشدد فلا تلعب الكافرين فيا يدعونك إليه من موافقتهم  
ومداهنتهم وكما آرتك على جميع الأنبياء فأثر رضائي على جميع الأهواء وأريد بهذا تهيبجه  
وتهيبج المؤمنين وتحريكهم (وَجَهِّدْهُمْ بِهِ) أي بالله يعني بمونه وتوفيقه أو بالقرآن أي جادلهم  
به وقرعهم بالمعجز عنه (رَجْمًا كَبِيرًا) عظيمًا موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق ويجوز  
أن يرجع الضمير في به إلى مادل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة  
القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول  
الله تلك المجاهدات فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له وجاهدكم بسبب كونك نذير  
كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ الْبَحْرَيْنِ) خلاهما متجاورين  
متلاصقين قول مرجت الدابة إذا خليتها رعى سمي الماءين الكثيرين الواسعين بحرین (هَذَا)  
أي أحدهما (عَذْبٌ فُرَاتٌ) صفة لعذب أي شديد المنوبة حتى يقرب إلى الحلاوة (وَهَذَا)  
مِلْحٌ أجاجٌ) صفة للملح أي شديد الملوحة (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) حائلا من قدرته يفصل  
بينهما ويعنهما التمازج فهما في الظاهر مختلطان وفي الحقيقة منفصلان (وَجَجْرًا مَخْجُورًا)  
وسترا ممنوعا عن الأهين كقوله حجابا مستورا (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ) أي النطفة  
(بَشَرًا) إنسانا (فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا) أراد تقسيم البشر قسمين ذوى نسب أي ذكورا  
ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أي إناثا يصاهر بهن كقوله  
تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) حيث خلق من النطفة الواحدة  
بشرا نوعين ذكرا وأنثى وقيل فجعله نسبا أي قرابة وصهرا مصاهرة يعني الوصلة بالشكاح  
من باب الأنساب لأن التواصل يقع بها وبالمصاهرة لأن التوالد يكون بهما (وَيَبْذُرُونَ  
دُونَ اللَّهِ مَالًا يَنْفَعُهُمْ) إن عبوده (وَلَا يَضُرُّهُمْ) إن تركوه (وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّكَ)  
على معصية ربه (ظَهِيرًا) معينا ومظاهرا وفصيل بمعنى مفاعل غير عزيز والظهير والمظاهر  
كالموين والماون والمظاهرة المعاونة والمعنى أن الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان ويماونه على

معصية الرحمن (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا) (وَتَذِيرًا) منذوا للكافرين (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على التبليغ (مِنْ أَجْرٍ) جمل (إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) (والراد إلا قل من شاء واستغناؤه من الأجر قول ذى شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سميت إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره بصورة الثواب كأنه يقول إن حفظت مالك اعتدت حفظك بمنزلة الثواب في ورثاتي به كرضا المئاب بالثواب ولعمري إنه عليه الصلاة والسلام مع أمته بهذا الصدق ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلا تفرهم إليه بالإيمان والطاعة أو بالصدقة والتفقه وقيل الراد لكن من شاء أن يتخذ بالإففاق إلى رضاه وبه سبيلا فيعمل وقيل تقديره لا أسألكم على ما أَدْعُوكُمْ إليه أجرا إلا اتخاذ الدعو سبيلا إلى ربه بطاعته فذلك أجرى لأن الله يأجرني عليه (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ) اتخذ من لا يموت وكيفا لا يهلك إلى من يموت ذابلا يمتى ثق به وأسند أمرك إليه في استكفاء ضرورهم ولا تتكل على حى يموت وقرأها بعض الصالحين فقال لا يصح لدى عقل أن يثق بمدها بخلاف والتوكل الاعتماد عليه في كل أمر (وَسَبِّحْ) من لا يكل إلى غيره من توكل عليه (يَحْمَدُهُ) بتوفيقه الذى يوجب الحمد أو قل سبحان الله وبحمده أو زمه عن كل الميوب مالتنا عليه (وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا) أى كفى الله خيرا بذنوب عبادهم يعنى انه خير بأحوالهم كافى في جزاء أعمالهم (الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أى في مدة مقدار هذه المدة لأنه لم يكن حينئذ ليل ونهار روى عن مجاهد أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة وإنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعلميا فخلقها الرفق والتثبت (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ) أى هو الرحمن فالرحمن خير مبتدا محذوف أو بدل من الضمير فى استوى أو الذى خلق مبتدا والرحمن خبره (فَسَأَلَ) بلا همزة مكى وعلى (به) صلة سل كقوله سأل سائل بمذاب واقع كما تكون عن ملته في قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك أهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وقش عنه أو صلة (خَيْرًا) ويكون خيرا مفعول سل أى فاسأل عنه رجلا عارفا بخبرك

برحمته أو فاسأل رجلاً خبيراً به وبرحمته أو الرحمن اسم من أسماء الله تعالى المذكور في الكتب  
 المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه قتيلاً فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتب حتى يعرف  
 من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن إلا الذي باليامة يمنون مسيلة وكان يقال  
 له رحمان اليامة (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) أى إذا قال محمد عليه الصلاة والسلام للمشركين (اسْجُدُوا  
 لِلرَّحْمَنِ) صلوا لله واخضعوا له (قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ) أى لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا  
 سؤال عن السمع به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما أو عن معناه  
 لأنه لم يكن مستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم (أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا)  
 لقدى تأمرنا بالسجود له أو لأمرك بالسجود بالحمد من غير علم منابه. يأمرنا على وحشة كأن  
 بعضهم قال لبعض اسجد لما يأمرنا محمد أو يأمرنا السمع بالرحمن ولا نعرف ما هو فقد عاندوا  
 لأن معناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة لأن فلان من أبنية المبالغة  
 تقول رجل عطشان إذا كان في نهاية العطش (وَرَأَوْهُمْ) قوله اسجدوا للرحمن (نُفُوراً)  
 تباعداً عن الإيمان (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً) هي منازل الكواكب السيارة لكل  
 كوكب بيتان يقوى حاله فيهما. وللشمس بيت وللقمر بيت. فالجمل والمقرب بيتا المريخ، والثور  
 والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر، والأسديت الشمس،  
 والقوس والحوث بيتا المشتري، والجدي والذئب بيتا زحل. وهذه البروج مقسومة على الطبائع  
 الأربع فيصيب كل واحد منها ثلاثة بروج: فالجمل والأسد والقوس مثلثة نارية، والثور والسنبلة  
 والجدي مثلثة أرضية، والجوزاء والميزان والذئب مثلثة هوائية، والسرطان والمقرب والحوث  
 مثلثة مائية. سميت المنازل بالبروج التي هي القصور العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل  
 لسكانها واشتقاق البروج من التبرج لظهوره، وقال الحسن وقادة وبعاهد: البروج هي النجوم  
 الكبار لظهورها (وَجَعَلَ فِيهَا) في السماء (مِيزَاجاً) يعنى الشمس تنوقدها. سراجاً زهرة  
 وعلى أى نجومها (وَقَمَراً مُنِيراً) مضيئاً بالليل (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ أَلِيلٌ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) فقه  
 من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر  
 والمعنى جعلهما ذوى خلفه يخلف أحدهما الآخر هند مضيئ أو يخلفه في قضاء ما قامه من الورود

( نُنْزِلُ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ ) يتدبر في تسخيرها واختلافهما فيعرف مدرجها. يذكُرُ حِزَّةً وخلف  
أى يذكر الله أو للنسب فيقضى ( أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ) أى يشكر نعمة ربه عليه فيها  
( وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ) مبتدأ خبره ( الَّذِينَ يَمَشُونَ ) أو أولئك يمشون والذين يمشون وما بعدهما  
صفة والإضافة إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل . وصف أوليائه بعدما وصف أعداءه ( عَلَى  
الْأَرْضِ هَوْنًا ) حال أو صفة للمشي أى هينين أو مشيا هينا والهون الرفق واللين أى يمشون  
يسكنينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر فلا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم  
أشرا وبطرا ولذا كره بعض العلماء الركوب فى الأسواق وقوله: ويمشون فى الأسواق ( وَإِذَا  
خَابَتْ لَهُمُ الْجِبَالُ ) أى السفهاء بما يكرهون ( قَالُوا سَلَامًا ) سدا من القول يسلمون  
فيه من الإيذاء والإفك أو تسلموا منكم تارككم ولا يجاهلكم فأقيم السلام مقام التسلم وقيل  
نسختها آية القتال ولا حاجة إلى ذلك فالإغضاء عن السفهاء مستحسن شرعا ومروءة هذا وصف  
نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله ( وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا ) جمع ساجد ( وَقِيَمًا ) جمع  
قائم والبيتوتة خلاف الغلول وهى أن يدركك الليل نمت أو لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن فى صلاة  
وإن نل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هال الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد المشاء والظاهر أنه وصف  
لهم بإحياء الليل أو أكثره ( وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا  
كَآَنَ غَرَامًا ) هلاكاً لازماً ومنه التريم . للآزمته . وصفهم بإحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه  
بذكر دعوتهم هذه إذ نادى بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون منتضعون إلى الله فى صرف  
العذاب عنهم ( إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ) أى إن جهنم . وساءت فى حكم بئست وفيها  
ضجر مبهم يفسره مستقراً والمخصوص بالقم عذوف منناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا  
الضمير هو الذى ربط الجملة باسم إن وجعلها خبرا لها أو بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم إن  
ومستقرا حال أو تمييز ويمصح أن يكون التمليلان متداخلين ومترافين وأن يكونا من كلام  
الله تعالى وحكاية لقولهم ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ) لم يجاوزوا الحد فى النفقة أولم  
يأكلوا للتنم ولم يلبسوا للتصلف وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم ينفقوا فى المأسأ فالإسراف  
مجاوزه القدر وسمع رجل يقول لآخر فى الإسراف فقال لا إسراف فى الخير ، وقال عليه  
السلام « من منع حقا فقد قتر ومن أعطى فى غير حق فقد أسرف » ( وَلَمْ يَفْتَرُوا )

بضم التاء كوفي وبضم الياء وكسر التاء مدني وشامى وفتح الياء وكسر التاء مكى وبصريه  
والقتر والإقتر والتقتير التضييق الذي هو هيبس الإصراف (وَكَانَ) إيقافهم (يِنَّ ذَلِكَ)  
أى الإصراف والإقتر (قَوَامًا) أى عدلا بينهما قالقوام المدل بين الشيتين والنصوبان أى  
بين ذلك قواما خبران وصفهم بالقصد الذى هو بين الثاوى والتقصير وبمثله أمر عليه الصلاة والسلام  
ولا تجعل يدك مقلوبة إلى عنقك الآية. وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقته  
حين زوجه ابنته فقال الحسنة بين السيتين فصرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية وقيل أولئك  
أصحاب محمد عليه السلام والسلام كانوا لا يأكلون طعاما للتعتم واللذة ولا يلبسون ثيابهم  
للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وسد العوزة ودفع الحر والقر وقال عمر رضى الله عنه كفى  
سرقا أن لا يشتعى الرجل شيئا إلا أكله (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) أى لا  
يشركون (وَلَا يَمْتَلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) أى حرماها بمعنى حرم قتلها (إِلَّا بِالْحَقِّ)  
بقود أو رجم أو رمه أو شرك أو سعى فى الأرض بالفساد وهو متملق بالقتل المحذوف أو بلا  
يقتلون (وَلَا يَزْنُونَ) ونفى هذه الكبائر عن عباده الصالحين ترميض لما كان عليه أعداؤهم  
من فريش وغيرهم كأنه قيل والذين طهرهم الله بما أنتم عليه (وَمَنْ يَقُلْ ذَلِكَ) أى المذكور  
(يَلْقَ أَثَامًا) جزاء الإثم (يُضَاعَفُ) بدل من يلق لأنهما فى معنى واحد إذ مضاعفة العذاب  
هى قاء الأثام كقوله .

مضى تأتينا تلمم بشا فى ديارنا نجد خطبا جزلا ونارا تأججا.

فجزم تلمم لأنه بمعنى تأتينا إذ الإتيان هو الإلزام. يَضَعُ مكى وزيد ويعقوب. يَضَعُ شامى  
يضاعف أبو بكر على الاستئناف أو على الحال ومعنى يضاعف (لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ)  
أى يعذب على مرور الأيام فى الآخرة عذابا على عذاب وقيل إذا ارتكب المشرك معاصى مع  
الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه (وَيَخْلُدُ)  
جزمه جازم يضاعف ورفعه رافعه لأنه معطوف عليه (فِيهِ) فى العذاب. فيهى مكى وحفص بالإشباع  
وإنما خص حفص الإشباع بهذه الكلمة مبالغة فى الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع أن الأصل  
فى هاء الكناية الإشباع (مُهِانًا) حال أى ذليلا (إِلَّا مَنْ تَابَ) من الشرك وهو استقام

من الجنس في موضع النسب (وَأَمِنْ) بمحمد عليه الصلاة والسلام (وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) بعد توبته (فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) أى يوقعهم للمحسن بسد القبائح أو يعحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة ولم يرد به أن السيئة بينها حسنة ولكن المراد ما ذكرنا. يسدل غفقا البرجى (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) يكفر السيئات (رَحِيمًا) يبدلها بالحسنات (وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا) أى ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فإنه يتوب بذلك إلى الله تعالى متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) أى الكذب يعنى ينفرون عن عاصر الكذابين ومجالس الخاطئين فلا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله إذ مشاهدة الباطل شركة فيه وكذلك، النظارة إلى مالم تسوغه الشريعة ثم شركاء فاعليه في الآثام لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا وسبب وجود الزيادة فيه وفي مواضع عيسى عليه السلام: إياكم ومجالسة الخاطئين. أولا يشهدون شهادة الزور على حذف المضاف وعن قتادة المراد مجالس الباطل وعن ابن الحنفية لا يشهدون اللهو والنساء (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ) بالغفص وكل ما ينفى أن يلغى وي طرح والمغنى وإذا مروا بأهل اللغو والمستغنيين به (مَرُّوا كِرَامًا) ممرضين مكرمين أنفسهم عن التلوث به كقوله: وإذا سمعوا أنشؤا أهرضوا عنه. وعن الباقر رضى الله عنه إذا ذكروا الفروج كنوا عنها (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) أى قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن (لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) هذا ليس بنفى الخرورج بل هو إثبات له ونفى الصمم والعمى ونحوه لا يلقانى زيد مسلما هو نفى للسلام لا اللقاء يعنى أنهم إذا ذكروا بها خروا سجدا وبكيا سامعين بأذان واعية مبصرين ببيون واعية لما مروا به ونهوا عنه لا كاللناقين وأشباههم دليله قوله تعالى: ومن هدينا واجتبتينا إذ أتتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا) من البيان كأنه قيل هب لنا قرّة عين ثم بينت القرّة وفسرت بقوله من أزواجنا (وَوَدَّعَيْنَا) ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرّة عين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أى أنت أسد أو لا ابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ما تحبه عيوننا من طاعة وصلاح وفريقنا. أبو عمر وكوفي وغير حصص لإرادة الجنس وغيرهم ذرياتنا (قُرّةُ أعينٍ) وإنما نكر لأجل تنكير القرّة لأن المضاف



لا سبيل إلى تفكيره إلا بتفكير الضاف إليه كأنه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وإنما قيل  
أعين على القلة دون عيون لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال الله  
تعالى: وقليل من عبادى الشكور. ويجوز أن يقال فى تفكير أعين إنما أعين خاصة وهى أعين  
المتقين والمعنى أنهم سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأعباء عمالا لله تعالى يسرون بمكانهم وقرى بهم  
عيونهم وقيل ليس شئ أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى ومن  
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو الولد إذا رآه يكتب الفقه (وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)  
أى أئمة يقتدون بنا فى الدين فاكفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس أو واجمل كل  
واحد منا إماما قيسل فى الآية ما يدل على أن الرئاسة فى الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها  
(أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ) أى الغرقات وهى المال فى الجنة فوجد اقتصارا على الواحد  
الهدال على الجنس دليله قوله: وهم فى الغرقات آمنون. (يَا صَبْرُوا) أى بسبرهم على الطاعات  
وهى الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك (وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا) ويلقون  
كوفى غير حفص (نَجِيَّةً) دعاء بالتميم (وَسَلَامًا) ودعاء بالسلامة يعنى أن اللاتكة  
يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه (خَلْدِينَ فِيهَا) حال (حَسَنَتْ)  
أى الرفقة (مُسْتَقَرًّا وَمَقَامًا) موضع قرار وإقامة وهى فى مقابلة سات مستقرا ومقاما (قُلْ  
مَا يَتَّبِعُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) ما متضمنة لمعنى الاستغفار وهى فى محل النصب ومعناه  
ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه إياكم إلى الاسلام أو لولا عبادتكم له أى أنه خلقكم لعبادته كقوله:  
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. أى الاختيار عند ربكم لعبادتكم أو ما يصنع بعبادكم  
لولا دعاؤكم معه آلهة، وهو كقوله تعالى: ما يغفل الله بعبادكم إن شكرتم (قَدْ كَذَّبْتُمْ)  
رسولوا يا أهل مكة (فَسَوْفَ يَكُونُ) العذاب (إِزَامًا) أى خالزام أو ملازما وضع مصدر  
لازم موضع اسم الفاعل، وقال الضحاك ما يبالي بمنفرككم لولا دعاؤكم معه إله آخر.

## ﴿ سورة الشعراء مكية وهي مائتان وعشرون وسبع آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم) طس ويس وحى مائة كوفى غير الأعشى والبرجى وحفص ويظهر النون عند اليم يزيد وحزة. وغيرها يدغمها (تلك آيت الكتاب المبين) الظاهر إيجازه، وصحة أنه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين (لَمَّا كَفَتْ بَيْحُ) قاتل ولعل للإشفاق (نَفْسِكَ) من الحزن يبنى أشق على نفسك إن جعلتها حرة وحزنا على ما فاتك من إسلام قومك (أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) ثلاثا يؤمنوا أو لا امتناع لإيمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا (إِنْ نَشَأْ) لإيمانهم (نُنَزِّلْ فِيهِمُ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً) دلالة واضحة (فَنظَلَتْ) أى فتطل لأن الجزء يقع فيه لفظ الماضى فى معنى المستقبل حصول إن زرتنى أكرمك أى أكرمك كذا قاله الزجاج (أَعْتَقْتُمُ) رؤسائهم ومقدمهم أوجاعهم يقال: جاءنا عنق من الناس نفوج منهم (لَهَا خَضِيمِينَ) متقادين وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فينا وفى بنى أمية فتكون لنا عليهم الدولة فتدل لنا أعناقهم بدمصوبة ويلحقهم هوان بدمهزة (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُنْفِرِينَ) أى وما يجدد لهم الله بوجه موعظة وتذكير إلا جددوا إعراضا عنه وكفرا به (قَدْ كَذَّبُوا) عمدا وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ فبأنهم به (فَسَيَأْتِيهِمْ) فسيطعون (أَنْبِيَاءُ) أخبار (مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) وهذا وعيد لهم وإنذار بأنهم سيطعون إذ أساءهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة ما الشئ الذى كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسيأتيتهم أنبياء وأحواله التى كانت خافية عليهم (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ أَنْبَتْنَا) كم نصب بأنبتنا (فيها من كل زوج) سنن من النبات (كريم) محمود كثير النعمة يأكل منه الناس والأنعام كالرجل الكريم الذى نفعه علم وقائمة الجمع بين كلمتى الكثرة والإحاطة أن كلمة كل تدل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم تدل على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة وبه نبه على كمال قدرته (إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) أى إن فى إنبات تلك الأسنن آية على أن مبدئها قادر على إحياء الموتى وقدم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجى

لِعَانِهِمْ) (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) في انتقامه من الكفرة (الرَّحِيمُ) لمن آمن منهم ووحده آية مع الإخبار بكبرتها لأن ذلك مشار به إلى مصدر أنبتنا أو المراد لمن في كل واحد من تلك الأزواج لآية أى آية (وَإِذْ) مفعول به أى اذكر إذ (نَادَى) دعا (رَبَّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ) إن بمعنى أى (الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) أنفسهم بالكفر وبني إسرائيل بالاستعباد وذبح الأولاد سجل عليهم بالنظم ثم عطف (قَوْمَ فِرْعَوْنَ) عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكلّهما عبارتان تمثبان على مؤدى واحد (أَلَا يَتَّقُونَ) أى اتهم زاجرا فقد ألمّهم أن يتقوا وهى كلمة حث وإغراء ويحتمل أنه حال من الضمير في الظالمين أى يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الإنكار على الحال (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ) الخوف غم يلحق الإنسان لأمر سيّئ (أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي) بتكذيبهم لى مستأنف أو عطف على أخاف (وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَايَ) بأن تطلق اللحية على ما أرى من الحال وأسمع من الجدل وبنصبهما يعقوب عطفًا على يكذبون فالحرف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير وبالتكذيب وحده بتقدير الرفع (فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ) أى أرسل إليه جبريل واجعله نبيًا يمينى على الرسالة وكان هارون بمصر حين بعث موسى نبيًا بالشام ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام توقفا في الامتثال بل التماس عون في تبليغ الرسالة وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الأمر ليس بتوقف في امتثال الأمر وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لاعلى التمثل (وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ) أى تبعة ذنب يقتل القبطى فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة (فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) أى يقتلوني به قصاصا وليس هذا تمللا أيضا بل استدفاع لبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة ولذا وعده بالكلافة والنفخ بكلمة الردع وجمعه الاستجابتين مما في قوله (قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا) لأنه استدفعه بلاءم فوعده الله بالنفخ برده عن الخوف والتمس منه رسالة أخيه فأجابه بقوله اذهبا أى جمعا رسولا منك فاذهبا وعطف فاذهبا على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما نظن فاذهب أنت وهارون (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) مع آياتنا وهى اليد والمصا وغير ذلك (إِنَّا مَعَكُمْ) أى مسكنا بالون والنصرة ومع من أرسلنا إليه بالمع والقدرة (مُسْتَمِعُونَ) خبر لإن

ومعكم لنو أو ما خبران أى سامعون والاستماع فى غير هذا الاصناء السماع يقال استمع فلان إلى حديثه أى أسنى إليه ولا يجوز حمله ههنا على ذلك فجعل على السماع ( فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ الْمَلَكَيْنِ ) لم يكن الرسول كما نفى فى قوله إنا رسولاً ربك لأن الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثمة بمعنى المرسل فلم يكن يد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوى فى الوصف به الواحد والثنتية والجمع أولاً لأنها لاتحادها واتفاقهما على شريعة واحدة كأنهما رسول واحد أو أريد إن كل واحد منا ( أَنْ أُرْسِلَ ) بمعنى أى أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال وفيه معنى القول ( مَعَنَا يَسَى إِسْرَ هَيْلَ ) يريد خلمهم يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما فأتيا به فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب إن ههنا إنساناً يزعم أنه رسول رب الملائين فقال ائذن له لعلنا نضجك منه فأدبا إليه الرسالة ففر فرعون موسى فعند ذلك ( قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ) وإنما حذف فأتيا فرعون فقال اختصاراً والولد الصبي لقرب ههده من الولادة أى ألم تكن صغيراً فربيناك ( وَكَيْتَ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سَيْنِ ) قيل ثلاثين سنة ( وَفَعَلْتَكَ أَلَيْسَ فَعَلْتَ ) يعنى قتل القبطى فرض إذ كان ملكاً ( وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) بنعمى حيث قتلت خبازى أو كنت على ديننا الذى تسميه كفراً وهذا افتراء منه عليه لأنه معصوم من الكفر وكان يماشيهم بالتيق ( قَالَ فَعَلْتُمْ إِذَا ) أى إذ ذاك ( وَأَنْتَا مِنَ الْمُسْلِكِينَ ) الجاهلين بأنها تبلغ القتل والفضال عن الشيء هو الذهاب عن معرفته أو الناسين من قوله أن تفضل إحداها فتذكر إحداها الأخرى فدفعت وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالين موضع الكافرين وإذا جواب وجزاء مما وهذا الكلام وقع جواباً لفرعون وجزاء له لأن قول فرعون وفعلت فعلتك معناه أنك جازيت نعمى بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازياً لك تسلياً لقوله لأن نعمته كانت جدية بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء ( فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ ) إلى مدين ( لَمَّا خِفْتُكُمْ ) أن تقتلوه وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون إن الملائة يأمرون بك ليقتلوك فاخرج الآية ( فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ) نبوة وهلمنا فزال عن الجهل والضلالة ( وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ) من جملة رسله ( وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا ) ( عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَ هَيْلَ ) كر على امتنانه عليه بالتربة فأبطله من أصله وأبى أن تسمى قسمة لأنها ثمة حيث بين أن حقيقة إمامه عليه تمبيد بنى إسرائيل لأن تمبيد وقصدم بذبح

أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته ولوتركم لياه أبواه فكان فرعون امتن على موسى  
بتمبيد قومه وإخراجه من حجر أبويه إذا حققت وتمبيد قتلهم وأخذهم عبيدا ووجد الضمير  
في عنها وعبدت وجمع في منكم وخفتكم لأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه  
ومن ملئه المؤمن بقتله بدليل قوله إن الملأ يأمرون بك لقتلوك. وأما الامتنان فنه وحده وكنا  
التمبيد وتلك إشارة إلى خسة شفاء مبهمة لا يدري ما هي إلا بفسيرها وعمل أن عبدت الرض  
عطف بيان لتلك أى تمبيدك بنى إسرائيل نعمة عنها على ( قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْمَلَمِينَ )  
أى إنك تدعى أنك رسول رب المالمين فاصفته لأنك إذا أردت السؤال من صفة زيد تقول ما زيد  
نمى أطويل أم قصير أقبه أم طيب نص عليه صاحب الكشف وغيره ( قَالَ ) موسى عجبا  
له على وفق سؤاله ( رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ) أى وما بين الجنسين ( إِنْ كُنْتُمْ  
مُؤَقِّنِينَ ) أى إن كنتم تعرفون الأشياء بالدليل فكفى خلق هذه الأشياء دليلا أو إن كان يرجى  
منكم الإيقان الذى يؤدى إليه النظر الصحيح فعمكم هذا الجواب وإلا لم ينفع والإيقان العلم  
الذى يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله مؤقن ( قَالَ ) أى فرعون ( لِمَنْ حَوْلَهُ ) من أشراف  
قومه وهم خمسة رجل عليهم الأساور وكانت للولك خاصة ( أَلَا تَسْتَعْمُونَ ) معجبا قومه  
من جوابه لأنهم يزعمون قدمهما وينكرون حدوثهما وأن لهما ربا فاحتاج موسى إلى أن يستدل  
بما شاهدوا حدوثه وفناءه فاستدل حيث ( قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ) أى هو  
خالقكم وخالق آبائكم فإن لم تستدلوا بفسيركم فبأنفسكم وإنما قال رب آبائكم لأن فرعون  
كان يدعى الربوبية على أهل عصره دون من قدمهم ( قَالَ ) أى فرعون ( إِنْ رَسُوكُمْ الَّذِي  
أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ) حيث يزعم أن في الوجود إلها غيرى وكان فرعون ينكر الإلهية  
غيره ( قَالَ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) فتستدلون بما أقول فتعرفون  
ربكم وهذا غاية الارشاد حيث هم أولا بمخلق السماوات والأرض وما بينهما ثم خصص من  
العام للبيان أنفسهم وآباءهم لأن أقرب للنظور فيه من الماقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد  
من أحواله من وقت ميلاده إلى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس  
من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من

أظهر ما استدل به وظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالأحياء  
والامانة على غرور بن كتمان وقيل سأله فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله فلما أجاب  
موسى بحقيقة الجواب وقع عنده أن موسى حاد عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو يجيب  
عن ديويته وآثار صنعه فقال معجبا لهم من جواب موسى ألا تستمعون فماد موسى إلى مثل  
قوله الأول فجنه فرعون زاعما أنه حائد عن الجواب فماد ثانيا إلى مثل كلامه الأول مبينا  
أن الفرد الحقيقي إنما يعرف بالصفات وأن السؤال عن الماهية محال وإليه الإشارة في قوله  
تعالى إن كنتم تعلمون أى إن كان لكم عقل علمكم أنه لا يمكن معرفته إلا بهذا الطريق  
فلما تحير فرعون ولم ينهأ له أن يدفع ظهور آثار صنعه ( قَالَ لَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرِي )  
أى غيرى إلهاً ( لَا أَجْمَلَنَّكَ مِنَ السَّجُورَيْنِ ) أى لأجملتك واحدا من عرفت حالهم في  
سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق  
فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل ولو قيل لأسجننك لم يؤد هذا المعنى  
وإن كان أخصر ( قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ ) الواو للحال دخلت عليها هزة الاستفهام أى أتقبل بى  
ذلك ولو جئتكم ( يَشَىءُ مَبِينٌ ) أى جاثيا بالمعجزة ( قَالَ فَأَتَيْهِ ) بالذى يبين صدقك  
( إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) أن لك بينة وجواب الشرط مقدر أى فأحضره ( فَأَتَى عَصَاهُ  
فَإِذَا هِيَ ثَمْبَانٌ شَبِيحٌ ) ظاهر الثعبانية لاشيء يشبه الثعبان كما تكون الأشياء المزورة بالشموعة  
والسحر روى أن العصا ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول  
يا موسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذى أرسلك إلا أخذتها فأخذها فمادت عصا  
( وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ) فيه دليل على أن يياضها كان شيئا يجمع النظر  
على النظر إليه لخروجه من المادة وكان يياضها نوريا روى أن فرعون لما أبصر الآية الأولى  
قال فهل غيرها فأخرج يده فقال لفرعون ما هذه؟ قال فرعون: بذلك فأدخلها في إبطه ثم زهها  
ولما شامع بكاد ينفث الأبخار ويسد الأفق ( قَالَ ) أى فرعون ( لِلْمَسَكِرِ حَوْلَهُ ) هو منصوب  
نصبين نصب في اللفظ والعامل فيه ما يقدر في الظرف ونصب في المثل وهو النصب على الحال  
من اللا أى كائنين حوله والعامل فيه قال ( إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ) بالسحر ثم أغوى قومه على

موسى بقوله (يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَ حُكْمُ مَنْ أَرْضَكُمْ بِسِحْرِهِ فَعَذَابًا) منصوب لأنه مفعول به من قولك أمرتك الخير (تَأْمُرُونَ) تشيرون في أمره من حبس أو قتل من الزائرة وهي الشاورة أو من الأمر الذى هو ضد النهى لا تحير فرعون برؤية الآيتين وزل عنه ذكر دعوى الألوهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتدت فرائضه خوفا طفق يؤامر قومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم أو جعلهم آمرين ونفسه مأمورا (قَالُوا أُرْجِهْ وَأَخَاهُ) أخر أمرها ولا تبأغ قتلها خوفا من الفتنة (وَأَبْنَتْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قول فرعون إن هذا لساحر عليم بقولهم (يَا تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ سَعَارَ عَلِيمٍ) فجاءوا بكلمة الاحاطة وصينة المبالغة ليسكنوا بمضى قلعه (فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) أى يوم الزينة وميقات وقت الضحى لأنه الوقت الذى وقته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله تعالى: موعدكم يوم الزينة وأن يحشرون الناس ضحى. والميقات ما وقته أى حدد من زمان أو مكان ومنه مراقبت الاحرام (وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ) أى اجتمعوا وهو استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منهم استجماعهم (لَمَلَكْنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ) في ذنبهم (إِنْ كَانُوا هُمْ التَّالِفِينَ) أى غلبوا موسى في دينه وليس فرضهم اتباع السحرة وإنما الفرص الكلى أن لا يقيموا موسى فساخوا الكلام مساقا الكناية لأنهم إذا انبموم لم يكونوا متبينين لموسى (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنْ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ النَّالِفِينَ قَالَ نَعَمْ) وبكسر العين على وهما لنتان (وَأَنْتُمْ) إذا لمين المَقَرَّيْنِ (أى قال فرعون نعم لكم أجر عندى وتكونون مع ذلك من القريين عندى في الرتبة والجاه فتكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج ولما كان قولهم: أئن لتألأجرا فى معنى جزاء الشرط لعلالاته عليه وكان قوله: وإنيكم إذا من القريين معطوفا عليه دخلت إذا قارة في مكانها الذى تقضيه من الجواب والجزاء (قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَقْبُوا مَا أَنْتُمْ مَلْعُونُونَ) من السحر فسوف ترون عاقبته (فَأَقْبُوا جِبَالَهُمْ) سبعين ألف جبل (وَعَصِيَهُمْ) سبعين ألف عصا وقيل كانت الجبال اثنتين وسبعين ألفا وكذا العصا (وَقَالُوا بَيمزة فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ) أقسموا بزمته وقوته وهو من أيمان الجاهلية (فَأَقْبَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَلَمَّا هِيَ تَلَقَفُ تَلَقَفُ) تلتطم (مَا يَأْكُفُونَ) ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته

بسرهم ويزورونه ويخيلون في جالهم وعصبيهم أنها حياة تسمى (فَالْقِيَّ السَّحْرَةُ سَاجِدِينَ) هير من الخرور بالإلقاء بطريق المشاكلة لأنه ذكر مع الإلقاء ولأنهم لسرعة ما سجدوا صاروا كأنهم ألقوا (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْمَلَكِينَ) من هكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء (رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) عطف بيان لرب المالين لأن فرعون كان يدعى الربوبية فأرادوا أن يمزلوه وقيل لأن فرعون لما سمع منهم آمنا برب المالين قال إياي عنيتم قالوا رب موسى وهارون (قَالَ آمَنَتمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ) بذلك (إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ) وقد توطأتم على أمر ومكر (فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) وبإل ما فعلتم ثم صرح فقال (لَا أَقْطَعَنَّ أُبْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ) من أجل خلاف ظهر منكم (وَلَا صَلَّيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ) كأنه أراد به تريب العامة لئلا يقيموم في الإيمان (قَالُوا لَا نَبِيَّ) لا ضرر وخبر لا عذوف أى في ذلك أو علينا (إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا) لأن كنا (أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ) من أهل الشهد أو من رعية فرعون . أراد والاضرر علينا في ذلك بل لنا أعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا أولا ضمير علينا فيما نتوعدنا به إنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أولا ضمير علينا في تلك إنك إن قتلنا اقلبنا إلى ربنا إنقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ) وبوصل الهزة حجازى (بِمِبَادَى) بنى إسرائيل سامم عباده لإيمانهم بنبية أى سر بهم ليلا وهذا بعد سنين من إيمان السحرة (إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ) يتبعكم فرعون وقومه علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم يبنى إلى ببيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فأهلكهم وروى أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشغلوا بموتهم حتى خرج موسى بقومه وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن اجمع بنى اسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبح الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فإني سأمر الملائكة أن لا يدخلوا بيوتا على بابهم وسأمرهم بقتل أبنكار القبط واخبروا خبزا فطيرا فإنه أسرع لكم ثم أمر بمبَادَى حتى تنتهى إلى البحر فأتيتكم أمرى (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) أى جامعين للناس بمنف فلما اجتمعوا قال (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) والشر ذمة الطائفة



القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجمع كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذى هو للقلة أو أراد بالقلة القلة لا قلة العدد أى أنهم قتلهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وإنما استقل قوم موسى وكانوا سبائة ألف وسبعين ألفا لكثرة من معه فمن الضحك كانوا سبعة آلاف ألف (وَأَنَّهُمْ لَفَاءٌ لِّفَأِظُونِ) أى أنهم يفعلون أفعالا تفيظنا وتضييق صدورنا وهى خروجهم من مصرنا وحملهم علينا وقتلهم أبكارنا (وَأَنَّا لَجَمِيعٌ حٰذِرُونَ) شامى وكوفى وغيرهم حذرون فالحذر التيقظ والحذر الذى يجمد حفوه وقيل المؤدى فى السلاح وإنما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه يمينى ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الأمور فإذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فسادة وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لثلاث يظن به المعجز والقنور (فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّتِ) بساتين (وَعُيُونِ) وأنهار جارية (وَكُنُوزِ) وأموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لأنهم لا ينفقون منها فى طاعة الله تعالى (وَمَقَامِ) ومنزل (كريم) بهى بهيج وهى ابن عباس رضى الله عنهما النابى (كَذَلِكَ) يحتمل النصب على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذى وصفنا والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى الامر كذلك (وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ) عن الحسن لما عبروا النهر رجوا وأخذوا ديارهم وأموالهم (فَاتَّبَعُوهُمْ) فلتحقوهم فاتبعوهم يزيد (مُتَّبِعِينَ) حال أى داخلين فى وقت شروق الشمس وهو طلوعها أدرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس (فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ) أى تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه والمراد بنو اسرائيل والقبط (قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ) أى قرب أن يلحقنا عدونا وأماننا البحر (قَالَ) موسى عليه السلام فمة يوعد الله لياه (كَلَّا) ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوكم (إِنَّ مَعِيَ) معى حفص (رَبِّ سَيِّدَيْنِ) أى سيدينى طريق النجاة من إدراكهم وإدراكهم سيدينى بالياء يعقوب (فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِب بِمَصَّكَ الْكَهْرَ) أى القلزم أو النيل (فَانفَلَقَ) أى فضرب فانفلق وانشق فصار اثني عشر فرقا على عدد الأسباط (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ) أى جزء تفرق منه (كَأَنَّهُمْ وَفِرْقَانِ) كالجبل المتطاد فى السماء (وَأَوْرَثْنَا نَحْمَهُ) حيث انفلق البحر (الْآخِرِينَ) قوم فرعون

أى قربانهم من بنى إسرائيل أو من البحر (وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمِينَ) من الفرق  
(يَمْ أَفْرَقْنَا الْآخَرِينَ) فرعون وقومه وفيه إبطال القول بتأثير الكواكب في الآجال  
وغيرها من الحوادث فإنهم اجتمعوا في الملاك مع اختلاف طولهم روى أن جبريل عليه  
السلام كان بين بنى إسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبنى إسرائيل ليلحق آخركم بأولكم  
ويستقبل التبطيقولريدكم يلحق آخركم بأولكم فلما اتهم موسى إلى البحر قال يوشع لموسى  
أين أمرت فهذا البحر أمامك وغشيك آل فرعون قال موسى ههنا غقاض يوشع الماء وضرب  
موسى بمصاه البحر فدخلوا وروى أن موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك يامن كان  
قبل كل شيء والكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أى فيها فعلنا بموسى  
وفرعون (لآيَةً) لبرة عجبية لا توصف (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ) أى المرفقين (مُؤْمِنِينَ)  
قالوا لم يؤمن منهم إلا آسية وحزقييل مؤمن آل فرعون ومريم التى دلت موسى على قبر يوسف  
(وَأَنَّ رَيْكَ لَمَوْ التَّزِيذُ) بالانتقام من أعدائه (الرَّحِيمُ) بالإينام على أوليائه (وَأَنزَلُ  
عَلَيْهِمْ) على مشركى قريش (نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ) خبره (إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ) قوم لإبراهيم  
أو قوم الأب (مَا تَعْبُدُونَ) أى أى شيء تعبدون وإبراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة الأصنام  
ولكنه سألهم ليعيهم أن ما يسجدونه ليس يستحق للعبادة (قَالُوا تَعْبُدُ أَصْنَامًا) وجواب  
ما تعبدون أصناما كيستلثونك ماذا ينفقون قل الفرو ماذا قل ربكم قالوا الحق لأنه سؤال من  
العبود لا عن العبادة وإنما زادوا نبيد في الجواب اقتضوا ومباهاة بعبادتها ولما عطفوا على  
نبيد (فَنَظَّلُوهُمَا عَسْكَرَيْنِ) فنقيم على عبادتها طول النهار وإنما قالوا فتنظّل لأنهم كانوا يعبدون  
بالنهار دون الليل أو معناه الدوام (قَالَ) أى إبراهيم (هَلْ يَسْمَعُونَ نَكْمَ) هل يسمعون  
دعائكم على حذف المضاف دلالة (إِذْ تَدْعُونَهُ) عليه (أَوْ يَنْفَعُونَ نَكْمَ) إن عبدتموها  
(أَوْ يَضُرُّونَ) إن تركتم عبادتها (قَالُوا بَلَى) اضرب أى لا تسمع ولا تنفع ولا تضر  
ولا تنبدها لشيء من ذلك ولكن (وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) قتلناهم (قَالَ  
أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنَّهُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ) الأولون (فَلَيْسَ لَهُمُ) أى الأصنام  
(حُدُودٌ) المدو والصديق يميحان في معنى الوحدة والجماعة معنى لو عبدتهم لكانوا أعداء



(إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِّينَ) الكافرين (وَلَا تُخْزِي) الاخزاء من الخزي وهو الهوان أو من الخزاية وهو الحياء وهذا نحو الاستغفار كما بينا (يَوْمَ يُبْعَثُونَ) الضمير فيه للبياد لأنه معلوم أو للضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لأبيه أى ولا تخزى فى يوم يبعث الضالون وأبى فيهم (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ) هو بدل من يوم الأول (وَلَا بَنُونَ) أحدا (إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) عن الكفر والنفاق قلب الكافر والنفاق مريض لقوله تعالى: فى قلوبهم مرض أى إن المال إذا صرف فى وجوه البر وبهوه ساحلون فإنه ينفع به وبهم سليم القلب أو جعل المال والبون فى معنى النقي كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الأغنى من آتى الله بقلب سليم لأن غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما أن غناه فى دنياه بماله وبنيه وقد جعل من مفعولا لينفع أى لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفق فى طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا إلا من آتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبين وقد صوب الجليل استثناء الخليل إكراما له ثم جملة صفة له فى قوله: وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء به بقلب سليم وما أحسن ما رتب عليه السلام كلامه مع الشركين حيث سألمهم أولا مما يبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أقبل على آلتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليد آباءم الأقدمين فأخرجه من أن يكون شبهة فضلا من أن يكون حجة ثم سور المسئلة فى نفسه دونهم حتى تختص منها إلى ذكر الله تعالى فمظم شأنه وعدد نعمته من حين إنشائه إلى وقت وفاته مع ما يرحى فى الآخرة من رحته ثم أتبع ذلك أن دعا بدعوات الخلفين وابتدل إليه ابتهال الأوابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وغواب الله وعقابه وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتغى الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا (وَأَرْسَلَتْ الْجَنَّةُ لِمُتَمِّتِينَ) أى قريت عطف جملة على جملة أى ترف من موقف السعداء فينظرون إليها (وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ) أى أظهرت حتى يكاد يأخذهم لها (لِلنَّارِ) الكافرين (وَقِيلَ لَهُمْ أَنَّى مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ) ويجوز على إشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينصرونكم بنصرتهم لكم أو هل ينصرون أنفسهم باتصارم لاهم وآلهتهم وقود النار (فَكُفُّوا) أنكسوا وطرح

بعضهم على بعض ( فيها ) في الجحيم ( هُم ) أى الآلهة ( وَالتَّائِبُونَ ) وعبدتهم الذين برزت لهم  
والكيبكة تكرير الكعب جمل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كأنه إذا التفتى  
جهنم ينكب مرة إثر مرة حتى يستقر في قعرها نمود بالله منها ( وَجَنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ )  
شياطينه أو متبعوه من عمالة الإنس والجن ( قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ) يجوز أن ينطق  
الله الأصنام حتى يصح التناول والتخاصم ويجوز أن يجرى ذلك بين السماء والشياطين ( تَأْتِيهِمْ  
إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ ) نمدلكم أيها الأصنام ( يَرْبُّ السَّمَكِينَ ) في  
العبادة ( وَمَا أَسْلَمْنَا إِلَّا الْاِتِّجَارِ مُنُونَ ) أى رؤساؤهم الذين أضلواهم أو إبليس وجنوده ومن  
سنى الشرك ( فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ) كالللمؤمنين من الأنبياء والأولياء والملائكة ( وَلَا صَدِيقٍ  
حَمِيمٍ ) كإزرى لهم أصدقاء إذ لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فيبينهم التعادى:  
الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين أوفى لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين  
كننا نندم شفعا وأصدقاء لأنهم كانوا ينتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم  
الأصدقاء من شياطين الإنس. والحجيم ممن الاحتمام وهو الاهتمام الذى يهيمه ما يهيمك أو من  
الحاماة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص وجمع الشافع ووجد الصديق لكثرة الشفعا في  
المادة وأما الصديق وهو الصادق في ووداك الذى يهيمه ما يهيمك فقليل وسئل حكيم عن الصديق  
فقال اسم لامعى له وجاز أن يراد بالصديق الجمع ( فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ) رجعة إلى الدنيا ( فَتَكُونُ  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) وجواب لو محذوف وهو فعلنا كيت وكيت أو لو في مثل هنا بمعنى اتفق  
كأنه قيل فليت لنا كربة لما بين معنى لو وليت من التلاقي ( إِنَّ فِي ذَلِكَ ) فيها ذكر من الأنبياء  
( لآيَةً ) أى لعبرة لمن اعتبر ( وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ) فيه أن فريقا منهم آمنوا ( وَإِنَّ  
رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ) للنتقم ممن كذب إبراهيم بنار الجحيم ( الرَّحِيمُ ) السلم كل ذى قلب  
سليم إلى جنة النعيم ( كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ) القوم يذكرو ويؤثرون فيل ولد نوح في  
زمن آدم عليه السلام ونظير قوله المرسلين والراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب  
ويطيس البرود وماله إلا دابة أو يرد أو كانوا يفكرون بث الرسل أصلا فلما جمع أولان من  
كذب واحدا منهم فقد كذب الكل لأن كل رسول يدعو الناس إلى الإيمان بجميع الرسل

وكذا جميع ما في هذه السورة (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ) نسباً لادبنا (نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ) خالق  
الأنام فتركو عبادة الأصنام (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) كان مشهوراً بالأمانة فيهم كمحمد  
عليه الصلاة والسلام في قريش (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) فيما أمركم به وأدعواكم إليه من الحق  
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على هذا الأمر (مِنْ أَجْرٍ) جزاء (إِنْ أَجْرِي) بالفتح مدنى وشأى  
وأبو عمرو وحفص (إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَلَمِينَ) فلذلك أريد (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) كرهه  
ليقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بملة فملة الأول كونه أميناً فيهما بينهم وعله الثانى  
حسم طمعه منهم كأنه قال إذا عرفتم رسالتى وأمانتى فاتقوا الله ثم إذا عرفتم احترازى من  
الأجر فاتقوا الله (قَالُوا أُنُوفُ مِنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ) الواو للعال وقد مضى بمدها دليله قراءة  
يعقوب وأتبعك جمع تابع كشاهد وأشهد أوتبع كبطل وأبطال (الْأَرْدُؤُونَ) السُّقَّةُ والردالة  
الخسة والدناءة وإنما استردوهم لاتضاع نسبهم وقلة نسبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل  
الصناعات الدنيئة والصناعة لا ترى بالديانة فالنبي نعى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز  
أن يسمى المؤمن رذلاً وإن كان أفقر الناس وأوضحهم نسباً وما زالت أتباع الأنبياء كذلك  
(قَالَ وَمَا عَلِمَى) أى شيء أعلم (يَمَّا كَانُوا يَمْعَمُونَ) من الصناعات إنما أطلب منهم  
الايمان وقيل إنهم طعنوا مع استردالهم في إيمانهم وقالوا إن الذين آمنوا بك ليس في قلوبهم  
ما يظهرونه فقال ماعلى إلا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن السرائر (إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى  
رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ) أن الله يحاسبهم على ما في قلوبهم (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ) أى ليس  
من شأنى أن أتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعا في إيمانكم (إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) ماعلى  
إلا أن أندركم إنذاراً بينا بالبرهان الصحيح الذى يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم  
(قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحٌ) ما تحول (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) من القتولين بالحجارة  
(قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذِبُونَ) ليس هذا اخباراً بالتكذيب لعله أن عالم النيب والشهادة  
أعلم ولكنه أراد أنهم كذوبون في حيك ورسالتك (فَأَفْتَحْ بَيْتِي وَيُخْرِجْنِي) أى  
أى فاحكم بينى وبينهم حكماً والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق كما سمي  
فيملا لأنه يفصل بين الخصومات (وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ) معى حفص (مِنْ الْمُؤْمِنِينَ)

من مَذَابِ مُلَهُمْ ( فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ ) الفلك السفينة وجمه فلك قارواحد بوزن  
غسل والجمع بوزن أسد ( الْمَشْحُونِ ) المملوء ومنه شحنة البلد أى الذى يملؤه كفاية ( ثُمَّ  
أَفْرَقْنَا بَعْدُ ) أى بعد إنجاء نوح ومن آمن ( الْبَالِقِينَ ) من قومه ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا  
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ) التمتع بإهانة من جعد واصر ( الرَّحِيمُ )  
اللطيف بإهانة من وحد وأقر ( كَذَّبَتْ عَادُ الْأُمَرَاءِ ) هى قبيلة وفى الأصل اسم رجل هو  
أبو القبيلة ( إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ )  
فى تكذيب الرسول الأمين ( وَأَطِيعُوا ) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى  
رَبِّ الْمَلِئِينَ أَتَبْتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ) مكان مرتفع ( عَائِيَةً ) برج حمام أو بناء يكون لارتفاعه  
كالملامة يسفرون بمن مريهم ( تَتَّبِعُونَ ) تلمعون ( وَتَتَّخِذُونَ مَصَالِحَ ) مآخذ الماء وقصورا  
مشيدة أو حصونا ( لَكُمْ ) تَخْلُدُونَ ) ترجون الخلود فى الدنيا ( وَإِذَا بَلَغْتَ ) أخذتم  
أحدا بقوبة ( بَلَغْتُمْ جِبَارِينَ ) قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذى يقتل ويضرب  
على النصب ( فَاتَّقُوا اللَّهَ ) فى البطش ( وَأَطِيعُوا ) فيا أدموكم إليه ( وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ  
بِمَا تَعْمَلُونَ ) من النعم ثم عددها عليهم فقال ( أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ ) قرن البنين بالأنعام  
لأنهم يمينونهم على حفظها والقيام عليها ( وَجَنَّاتٍ وَنُحُورٍ ) إِلَى أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَذَابَ  
يَوْمٍ عَظِيمٍ ) إن مصيتمونى ( قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَوْ عَصَلْتَ أَمْ لَمْ تُكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ) أى  
لا قبل كلامك ودعوتك وعظت أم سكت ولم يقل أم لم تنظر لهوس الآى ( إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ  
الْأَوَّلِينَ ) ماهذا الذى نحن عليه من الحياة واللوت وأنحاء الاقتناء إلا عادة الأولين أو ما نحن  
عليه دين الأولين. إلا خلق الأولين مكي وبصرى وزيد وعلى أى ماجئت به اختلاق الأولين  
وكعب التثنية تلك كقولهم أساطير الأولين أو خلقنا كخلق الأولين غوت ونميا كاحياء  
( وَمَا نَحْنُ بِمُحَذِّرِينَ ) فى الدنيا ولا بئ ولا حسب ( فَكَذَّبُوهُ ) أى هودا ( فَأَمْلَكْنَاهُمْ )  
بربع مصر مراتية ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ  
الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْأُمَرَاءِ ) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ  
أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَلِئِينَ

أَتَرَكُونَ) إنكار لأن يتركوا خالدين في نعيمهم لا يزالون عنه (فِي مَا هُمْ بِهَا) في الذي استقيم  
 في هذا المكان من النعيم (ءَامِنِينَ) من العذاب والذوال والموت ثم فسره بقوله (فِي جَنَّاتٍ  
 وَعُيُونٍ) وهذا أيضا إجمال ثم تفصيل (وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ) وعطف نخل على جنات مع أن  
 الجنة تتناول النخل أول شيء تفضيلا للنخل على سائر الشجر (طَلَمًا) هو ما يخرج من  
 النخل كنصل السيف (هَمِيمٌ) لين نضيج كأنه قال ونخل قد أربط ثمره (وَتَنَحُّونَ)  
 تنقبون (مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا فَرِهِينَ) شامى وكوفى حاذقين حال وغيرهم فريهين أشرين والفراهة  
 الكيس والنشاط (فَأَقْهُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ) الكافرين أو التسمفة  
 الذين عقروا الناقة جعل الأمر مطاعا على الجواز الحكى والمراد الأمر وهو كل جملة أخرجت  
 الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من التأول كقولهم أنبت الربيع البقل (الَّذِينَ  
 يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالظلم والكفر (وَلَا يُصْلِحُونَ) بالإيمان والعدل والمعنى أن فسادهم  
 صامت ليس معه شيء من الإصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح  
 (قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) السحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو  
 من السحر الرثة وأنه بشر (مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)  
 في دعوى الرسالة (قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ) نصيب من الماء فلا تراجوها فيه (وَلَكُمْ  
 شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ) لا تراحمكم هي فيه، روى أنهم قالوا: نريد ناقة عشراء تخرج من هذه  
 الصخرة فتلد سقبا فجعل صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين واسأل ربك الناقة ففضل  
 فخرجت الناقة وتجت سقبا مثلا في العظم وصدرها ستون ذراعا وإذا كان يوم شربها شربت  
 ماءم كله وإذا كان يوم شربهم لا تشرب فيه الماء وهذا دليل على جواز الهايأة لأن قوله: لها  
 شرب ولكم شرب يوم معلوم، من الهايأة (وَلَا تَحْمُوهَا بِسُوءٍ) بضرب أو عقر أو غير ذلك  
 (فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من  
 وصف العذاب لأن الوقت إذا عظم بسبه كان موقعه من العظم أشد (فَمَعْرُوهَا) عقرها قدار  
 ولكنهم راضون به فأضيف إليهم، روى أن عاقرها قال لا أعقرها حتى رضوا أجمعين فكانوا  
 يدخلون على المرأة فيخدرها فيقولون آرضين فتقول نعم وكذلك سببناهم (فَأَصْبَحُوا نَادِينَ)



على عقربها خوفا من نزول العذاب بهم لا ندم توبة أو ندموا حين لا ينفع الندم وذلك عند  
 صيانة العذاب أو على ترك الولد (فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ) المقدم ذكره (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا  
 كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَكَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ  
 إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا مَا  
 أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَلَكِينَ أَلَا تَتَّقُونَ الذِّكْرَانِ مِنَ الْمَلَكِينَ  
 أراد بالمالين الناس أنطشون الذكور من الناس مع كثرة الإناث أو أنطشون أنتم من بين من  
 عداكم من المالين الذكران أى أنتم محتصون بهذه الفاحشة والمالين على هذا كل ما ينسج  
 من الحيوان (وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) من تبين لما خلق أو تبعض  
 والمراد بما خلق المعضو الباح منهم وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل على تحريم  
 أديار الزوجات والملوكات ومن أبجازه قد أخطأ خطأ عظيما (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ)  
 المادى التمدى فى ظلمه المتجاوز فيه الحد أى بل أنتم قوم أحق بأن توسفوا بالعدوان حيث  
 لوتكم مثل هذه العظيمة (قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ) عن إنكارك علينا وتبيح أمرنا  
 (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردهنا من بلدنا وللمهم  
 كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال (قَالَ إِنِّي لِمَلِكٌ مِّنْ السَّالِطِينَ) هو أبلغ من  
 أن يقول قال قولك فلان من الملأ أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد بأنه مسام لهم فى  
 العلم . واقتل البنض يقتل الفؤاد والكبد وفيه دليل على عظم المصيبة لأن فلاء من حيث الدين  
 (رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَمْعَلُونَ) من عقوبة علمهم (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ) يمس  
 بآدم من آمن معه (إِلَّا عَجُوزًا) هى امرأة لوط وكانت راضية بذلك والراضى بالمصية فى حكم  
 العاصى واستثناء الكافرة من الأهل وهم مؤمنون للاشتراك فى هذا الاسم وإن لم تشاركهم  
 فى الإيمان (فِي الْآخِرِينَ) صفة لما أى فى الباقيين فى العذاب فلم تنج منه والتاير فى اللغة الباقي  
 كأنه قيل إلا عجزوا فآخرة أى مقدرا فبورها إذ النبور لم يكن صفها وقت تنجيتهم (ثُمَّ  
 دَمَرْنَا الْآخَرِينَ) والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) من قتادة أمطر  
 الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم الله وقيل لم يرض بالائتفاك حتى أتته مطرا  
 (١٣ - نسف - ك)

من حجارة ( فسآه ) فاعله ( مَطَرُ الْمُتَذَرِّينَ ) والمخصوص بالتم وهو مطرهم عذوف ولم يرد  
 بالمندرين قوما بأعيانهم بل المراد جنس الكافرين ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ  
 مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْسَةَ بِالْهَمْزَةِ وَالْجُرْهُ غِيْضَةً  
 تَبَت نَافِهُ الشَّجَرِ عَنِ الْخَلِيلِ لَيْكَةِ حِجَازِي وَشَاى وَكَذَا فِي مِ عِلْمِ لَيْلَةِ قِيلِ أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ  
 مِ أَهْلِ مَدِينِ التَّجَبُّوْا إِلَى غِيْضَةٍ إِذْ أَلِمَ عَلَيْهِمُ الْوُحْيُ وَالْأَصْحَحُ أَنَّهُمْ غَيْرُ مِ نَزَلُوا غِيْضَةً بَعِيْنَهَا  
 بِالْبَادِيَةِ وَأَكْثَرُ شَجَرِ مِ الْقُلْ بِدَلِيلِ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ هُنَا أَخُوهُمْ شَعِيْبُ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ نَسَبِهِمْ بَلْ  
 كَانَ مِنْ نَسَبِ أَهْلِ مَدِينِ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ شَعِيْبًا أَخَا مَدِيْنِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ  
 ( الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي كُنْتُ رَسُولَ رَبِّكُمْ فَأَتَقُوا وَأَطِيعُوا وَمَا  
 أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمُسْلِمِينَ أَوْفُوا الْكَيْلَ ) أَعْوَهُ ( وَلَا  
 تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ) وَلَا تَقْصُوا النَّاسَ حَقُّوْقَهُمْ فَالْكَيْلُ وَافٍ وَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ وَطَقِيْفٌ  
 وَهُوَ مَعْنَى عَنْهُ وَزَائِدٌ وَهُوَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ فَتَرَكَ دَلِيلَ عَلَى أَنَّهُ إِنْ فَعَلَهُ قَدْ أَحْسَنَ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ  
 فَلَا مَنَى عَلَيْهِ ( وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ) وَبَكْسَرِ الْقَافِ كُوفِيْ غَيْرِ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ الْمِيزَانُ  
 أَوْ الْقَبَانُ فَإِنْ كَانَ مِنَ الْقِسْطِ وَهُوَ الْعَدْلُ وَجُمِلَتِ الْمِيزَانُ مَكْرُودَةً فُوزْنَهُ فَمِلَاسٌ وَإِلَّا فَهُوَ رِيَايُ  
 ( وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ ) بِقَالَ بِخَسَتْهُ حَقَّهُ إِذَا خَسَتْهُ إِيَّاهُ ( أَشْيَاءَهُمْ ) دَرَاهِمُهُمْ وَدَنَانِيرُهُمْ  
 قَطَعَ أَرْفَافَهُمَا ( وَلَا تَمْشُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ ) وَلَا تَبَالُغُوا فِيهَا فِي الْإِنْسَادِ نَحْوِ قَطْعِ  
 الطَّرِيقِ وَالتَّائِدَةِ وَإِهْلَاكِ الرُّدُوعِ وَكَانُوا يَفْسُدُونَ ذَلِكَ فَهِيَ عَنْهُ يُقَالُ مَتَا فِي الْأَرْضِ إِذَا أَفْسَدَ  
 وَمَعْنَى فِي الْأَرْضِ لَنَفَةٍ فِي مَتَا ( وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَأَلْبَسَكُمْ ) الْجَبَلَةَ عَطَفَ عَلَى كَمِ  
 أَمَى اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ الْجَبَلَةَ ( الْأَوَّلِينَ ) الْمَاضِينَ ( قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ  
 وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ) إِدْخَالَ الْوَاوِ هُنَا لِتُفِيدَ مَعْنِيْنِ كَلَامًا مُتَافٍ الرِّسَالَةِ عَنْهُمْ : التَّسْجِيرُ  
 وَالْبَشَرِيَّةُ وَتَرْكُهَا فِي قِصَّةِ ثَمُودَ لِيُفِيدَ مَعْنَى وَاحِدًا وَهُوَ كَوْنُهُ مَسْحَرًا ثُمَّ كَرَّرَ بِكَوْنِهِ بَشَرًا مِثْلَهُمْ  
 ( وَإِنْ نَظُنُّكَ لَئِنْ الْكَذَّابِينَ ) إِنْ خَفَفَتْ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاللَّامُ دَخَلَتْ لِّلْفَرْقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّافِيَةِ  
 وَإِنَّمَا تَهَرَّقَتْ عَلَى قَوْلِ الظَّنِّ وَثَانِي مَفْعُولُهُ لِأَنَّهُ أَسْلَمَهُمَا أَنْ يَفْرَقَا عَلَى الْبِتْدَاءِ وَالْخَبَرِ كَقَوْلِكَ  
 إِنْ زَيْدًا لَنْتَلُوقَ فَلَا كَانَ بَابًا كَانَ وَظَنَنْتُ مِنْ جَسِيبِ الْبِتْدَاءِ وَالْخَبَرِ فَفَسَلْ ذَلِكَ فِي الْبَابَيْنِ

فَقِيلَ إِنْ كَانَ زَيْدٌ لِنَطْلِقَا وَإِنْ ظَنَنْتَهُ لِنَطْلِقَا ( فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا ) كِسْفًا حَفِصٌ وَمَا حَمَلَهُ كِسْفَةٌ هِيَ الْقَطْعَةُ وَكِسْفُهُ قَطْعُهُ ( مَنْ السَّمَاءُ ) أَيْ السَّحَابُ أَوْ الظَّلَّةُ ( إِنْ كُنْتَ مِنْهُ الْمُسْدِرِينَ ) أَيْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَنْتَ نَبِيٌّ فَادْعِ اللَّهَ أَنْ يَسْقِطَ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ أَيْ قَطْعًا مِنَ السَّمَاءِ عَقُوبَةً ( قَالَ رَبِّي ) يَفْتَحُ الْيَأْسَ حِجَازِي وَأَبُو عَمْرٍو وَبِسُكُونِهَا غَيْرُهُمْ ( أَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ ) أَيْ إِنْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْمَالِكُمْ وَمَا تَسْتَحِقُّونَ عَلَيْهَا مِنَ الْعَذَابِ فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَمَاقِبَكُمْ بِإِسْقَاطِ كِسْفٍ مِنَ السَّمَاءِ فَلَوْ أَنَّ أَرَادَ عِقَابًا آخَرَ فَلِإِلَهِ الْحُكْمِ وَالْمُشِيئَةِ ( فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ ) هِيَ سَحَابَةٌ أَظْلَمَتْهُمْ بِعَدَمِا حَسِبَتْ عَنْهُمْ الرِّيحُ وَعَذَبُوا بِالْحَرِّ سَيْمَةً أَلَمَ فَاجْتَمَعُوا بِهَا مُسْتَجِيرِينَ بِهَا مِمَّا نَالَهُمْ مِنَ الْحَرِّ فَامْطَرَتْ عَلَيْهِمْ نَارًا فَاحْتَرَقُوا ( إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ) إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ) وَقَدْ كُرِّرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ فِي أَوَّلِ كُلِّ قِصَّةٍ وَآخِرِهَا مَا كُرِّرَ قَرَرًا لِمَعَانِيهَا فِي الْمُسْدُورِ لِيَكُونَ ابْلَغُ فِي الْوَعظِ وَالزَّجْرِ وَلَأَنَّ كُلَّ قِصَّةٍ مِنْهَا كَثُرَ زَيْلُ بَرَأْسِهِ وَفِيهَا مِنَ الْإِعْتِبَارِ مِثْلُ مَا فِي غَيْرِهَا فَكَانَتْ جَدِيدَةً بَأَنَّ تَفْتِيحَ بِمَا افْتَتَحَتْ بِهِ صَاحِبَتِهَا وَأَنَّ خَتَمَ بِمَا اخْتَتَمَتْ بِهِ ( وَإِنَّهُ ) أَيْ الْقُرْآنُ ( لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْمَلَكِينَ ) نَزَلَ مِنْهُ ( نَزَلَ بِهِ ) غَخَفَ وَالْفَاعِلُ ( الرُّوحُ الْأَمِينُ ) أَيْ جِبْرِيلُ لِأَنَّهُ أَمِينٌ عَلَى الْوَحْيِ الَّتِي فِيهِ الْحَيَاةُ حِجَازِي وَأَبُو عَمْرٍو وَزَيْدٌ وَحَفِصٌ وَغَيْرُهُمْ بِالتَّشْدِيدِ وَنَصَبَ الرُّوحُ وَالْفَاعِلُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى أَيْ جَعَلَ اللَّهُ الرُّوحَ نَازِلًا بِهِ وَالبَاءُ عَلَى الْقِرَاءَتَيْنِ لِلتَّعْمِيدَةِ ( عَلَى قَلْبِكَ ) أَيْ حَفَظَكَ وَفَهَمَكَ إِيَّاهُ وَأَمْنَهُ فِي قَلْبِكَ إِثْبَاتٌ مَا لَا يَنْسَى كَقَوْلِهِ: سَفَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى ( لِيَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ ) بِلُغَةٍ قَرِيشٍ وَجَرَهُمْ ( مُبِينٍ ) فَصِيحٍ وَمُصَحَّحٍ مَا مَحْفَتُهُ الْعَامَّةُ وَالبَاءُ إِمَّا أَنْ يَتَّصِلَ بِالنَّوْنِ أَيْ لِيَتَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ أَنْذَرُوا بِهَذَا الْبَلَاءِ وَمِنْ هُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَوْ يَنْزِلُ أَيْ يَنْزِلُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ لِيَنْفَعَهُمْ بِهِ لِأَنَّهُ لَوْ نَزَلَ بِلِسَانٍ أُعْجَمِي لَتَجَافَوْا عَنْهُ أَصْلًا وَقَالُوا مَا نَصْنَعُ بِمَا لَا نَفْقَهُهُ فَيَتَعَذَّرُ الْإِنْذَارُ بِهِ وَفِي هَذَا الرَّجَاءِ أَنْ تَنْزِيلُهُ بِالْعَرَبِيَّةِ الَّتِي هِيَ لِسَانُكَ وَلِسَانُ قَوْمِكَ تَنْزِيلٌ لَهُ عَلَى قَلْبِكَ لِأَنَّكَ تَفْهَمُهُ وَتَفْقَهُهُ قَوْمُكَ وَلَوْ كَانَ أُعْجَمِيًّا لَكَانَ نَازِلًا عَلَى صَمَمِكَ دُونَ قَلْبِكَ لِأَنَّكَ تَسْمَعُ أَجْرَاسَ حُرُوفِ لَا تَفْقَهُ مَعَانِيهَا وَلَا تَمَيِّزُهَا وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ حَارِقًا بِعِدَّةٍ لَمَاتٍ فَإِذَا كَلَّمَ بِلُغَتِهِ الَّتِي نَشَأَ عَلَيْهَا لَمْ

يكن قلبه ناظرا إلا إلى معاني الكلام وإن كلم بغيرها كان نظره أولا في ألفاظها ثم في معانيها وإن كان ماهرا بمعرفتها فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين ( وَإِنَّهُ ) وإن القرآن ( لَقَدْ زُيِّرَ الْأَوَّلِينَ ) يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السبابة وقيل إن معانيه فيها وفيه دليل على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة ( أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ ) ولم تكن لهم آية شأى جعلت آية اسم كان وخبره ( أَنْ يَتْلُوهُ ) أى القرآن لوجود ذكره في التوراة وقيل في تكن ضمير القصة وآية خبر مقدم والمبتدأ أن يعلمه والجملة خبر كان وقيل كان تامة والفاعل آية وأن يعلمه بدل منها أو خبر مبتدأ محذوف أى أول تحصل لهم آية وغيره يكن بالتذكير وآية بالنصب على أنها خبره وأن يعلمه هو الاسم وتقديره أولم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل آية ( عَلَّمُوا يَسَى إِسْرَائِيلَ ) كعبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى: وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين وخطفى المصحف علماء يابوا وقبل الألف ( وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ) جمع أعجم وهو الذى لا يفصح وكذلك الأعجمى إلا أن فيه زيادة ياء النسبة زيادة تأكيد ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمى شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين والسجى الذى من جنس المعجم أفصح أولم يفصح قرأ الحسن الأعجميين وقيل الأعجميين تخفيف الأعجميين كما قالوا الأشعرون أى الأشعريون بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجوز أن يجمع جمع السلامة لأن مؤثته عجباء ( قَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ) والمعنى أنا أنزلنا القرآن على رجل عربى مبين فقهوه وعرفوا فصاحته وأنه معجز وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتاب قبله على أن البشارة بإزالته وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وسموه شعرا تارة وسعرا أخرى وقالوا هذا من افتراء محمد عليه الصلاة والسلام ولو أنزلناه على بعض الأعاجم للقى بإحسن العرية فضلا أن يقدر على نظم مثله قراء عليهم هكذا معجزا لكفروا به كما كفروا ولتمحوا لجعودهم عنرا وسموه شعرا ثم قال ( كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ ) أى أدخلنا التكذيب أو الكفر وهو مدلول قوله ما كفوا به مؤمنين ( فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ ) الكافرين

الذين علمناهم اختيار الكفر والإصرار عليه يمتثل هذا السلك سلكتنا في قلوبهم وقرئنا فيها فكيفما فعل بهم وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من الكفر به والتكذيب له كما قال: ولو زلنا عليك كتابا في قرطاس ففسوه بأيديهم فقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين. وهو حجتنا على المعتزلة في خلق أعمال العباد خيرها وشرها وموقع قوله (لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ) بالقرآن من قوله سلكتنا في قلوب المجرمين موقع الموضع والمخصص لأنه مسوق لثبات كونه مكذبا محسودا في قلوبهم فاتباع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجعوده حتى يمانوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أي سلكتنا فيها غير مؤمن به (حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) المراد معاناة العذاب عند الموت ويكون ذلك إيمان بأس فلا يتفهم (فَيَأْتِيَهُمْ بَشْتَةٌ جَاءَةً) (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) إيتائه (فَيَقُولُوا) وقيامهم مطوفان على يروا (هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ) يسألون النظرة والإمهال طرفة عين فلا يجابون إليها (أَفَبِمَا إِنَّا يَسْتَعْجِلُونَ) توبيخ لهم وإنكار عليهم قولهم: فأمطر علينا حجارة من السماء أو اتقنا بعذاب أليم. ونحو ذلك (أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ) قيل هي سنة مدة الدنيا (ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ) من العذاب (مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتِّتُونَ) به في تلك السنين والمعنى أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم يمتنون بأعمار طوال في سلامة وأمن فقال الله تعالى: أعبدا لنا يستعجلون. أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل، ثم قال هب أن الأمر كما يستجدون من تخفيفهم وتعميرهم فلما لحقهم الوعيد بمددك ما يتفهم حيثئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معاشهم \* قال يحيى بن معاذ: أشد الناس غفلة من اغتر بحياته والتذميراتاته وسكن إلى ما لواقه والله تعالى يقول: أفرأيت إن متناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما غنى عنهم ما كانوا يمتنون، وعن ميمون بن مهران أنه قال الحسن في الطواف وكان يمشي قتاده فقال غنى فخره على تلاوة هذه الآية فقال ميمون قد غفلت فأبليت وعن حمزة بن عبد المزي أنه كان يقرأها عند جلوسه للحكم (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذَرُونَ) رسل ينذرونهم ولم تدخل الواو على الجملة بعد إلا كما في: وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم. لأن الأصل عدم الواو إذ الجملة صفة قرية وإذا زعمت قلنا كيد وعل الصفة بالموصوف (فِرْكَزَى) منصوبة بمعنى تذكرة

لأن أنذر وأذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة أو حال من الضمير في منذرون أى يندرونهم ذوى تذكرة أو مفعول له أى يندرون لأجل التذكرة والموعظة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجله اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو تكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعدما أزمناهم الحجة بإرسال النذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لنبرهم فلا يصحوا مثل عصيانهم (وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) فهلك قوما غير ظالمين، ولما قال الشركون إن الشياطين تلقى القرآن على عهد أنزل (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ) أى القرآن (الشَّيْطَانُ وَمَا يَتَّبِعُنِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَفِيعُونَ) وما يتسهل لهم ولا يقدرون عليه (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ) لمنوعون بالشبه (فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الثَّمَدَاتِ) مورد النعى لغيره على التبريض والتحريك له على زيادة الإخلاص (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) خصهم لنفى التهمة إذ الإنسان يساهل قراته أو ليعلموا أنه لا ينفى عنهم من الله شيئا وأن النجاة فى اتباعه دون قربه ولما نزلت صمد الصفا ونادى الأقرب فالأقرب وقال «يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف يا عباس هم النبى يا صفة عمه رسول الله إني لأملك لكم من الله شيئا» (وَإِخْوَنُ جَنَاحِكَ) وألن جانبك وتواضع وأمله أن الطائر إذا أراد أن يتعطف للوقوع كسر جناحه وخففضه وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثالا فى التواضع ولين الجانب (لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) من عشيرتك وغيرهم (فَإِنْ قَسَّوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ) يعنى أنذر قومك فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض جناحك لهم وإن عصوك ولم يتبعوك فبئرا منهم ومن أمثالهم من الشرك بالله وغيره (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَزِينُ الرَّحِيمِ) على الذى يقهر أعداءك بمزته ويفسررك عليهم برحمته يكفك شر من يمسبك منهم ومن غيرهم، والتوكل تقويض: الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدّر على نعمه وضره، وقالوا التوكل من إذا دمه أمر لم يحاول دفعه من نفسه بما هو ممصية لله وقال الجنيّد رضى الله عنه التوكل أن قبل بالكلية على ربك وتعرض بالكلية عما دونه فإن حاجتك إليه فى الدارين. فتوكل مدنى وشاى عطف على قل أو فلا تدع (الَّذِى يَرَىٰ لَكَ حِينَ قَوْمٌ مَّهْجِدًا) (وَوَقَّابِكَ)

أى ويرى قلبك (فى السَّجِدِينَ) فى المصلين. أتبع كونهم حيا على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعل فى جوف الليل من قيامه للتهجد وقلبه فى تصفح أحوال التهجد من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون وليعلم أنهم كيف يبدون الله ويمثلون لآخرتهم، وقيل مناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وقلبه فى الساجدين نصره فبا بينهم قيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمهم وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة هل تجد الصلاة بالجماعة فى القرآن فقال لا يحضر فى ذلك هذه الآية (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لما قوله (الْعَلِيمُ) بما تنويه وتملحه هو أن عليه معاناة مشاق العبادات حيث أخبر برؤيته له إذ لا مشقة على من يعلم أنه يعمل بمرأى مولاه وهو كفولك \* بسنى ما يتحمل المتحمسون من أجلى \* نزل جوابا لقول المشركين إن الشياطين تلقى السمع على محمد ﷺ (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ) أى هل أخبركم أيها المشركون (عَلَى مَنْ نَزَّلُ الشَّيْطَانُ) ثم نأقوال (نَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) مرتكب للآثام وهم الكهنة والتبثثة كسطيح وطيحة ومسيلة ومحمد ﷺ يشتم الأفَّاكين وبمنهم فكيف نزل الشياطين عليه (يُلْقُونَ السَّمْعَ) هم الشياطين كانوا قبل أن يجيبوا بالرحم يستمعون إلى اللأ الأعلى فيحفظون بعض ما يتكلمون به مما اطمعوا عليه من السيوف ثم يوحون به إلى أوليائهم. ويلقون حال، أى نزل ملقين السمع أوسفة لكل أفَّاكٍ لأنه فى معنى الجمع فيكون فى عمل الجزاء أو استئناف فلا يكون له عمل كأنه قبل لم نزل على الأفَّاكين فقبل يضلون كيت وكيت (وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ) فبا يوحون به إليهم لأنهم يسمعونهم مالم يسموا وقيل يلقون إلى أوليائهم السمع أى السموع من الملائكة وقيل الأفَّاك كون يلقون السمع إلى الشياطين ويلقون وحيم إليهم أو يلقون السموع من الشياطين إلى الناس وأكثر الأفَّاكين كاذبون يقترون على الشياطين مالم يوحوا إليهم والأفَّاك الذى يكثر الإفَّاك، ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفَّاك فأراد أن هؤلاء الأفَّاكين قل من يصدق منهم فبا يحكى من الجنى وأكثرم مقتر عليه ومن الحسن وكلمهم وإنما فرق بين وإنه لتزليل رب السالين وماتزلت به الشياطين، وهل أنبشكم على من نزل الشياطين، وهن أخوات لأنه إذا فرق بينهن بآيات ليست مهن ثم رجع إليهن مرة بعد مرة دل ذلك على شدة العناية بهن كما إذا حدثت

حديثاً وفي صدرك اهتمام بشيء فتמיד ذكره ولا تنفك عن الرجوع إليه \* وتزل فيمن كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد ﷺ واتبعهم غواة من قومهم يستمعون أشمارهم (وَالشُّعْرَاءُ) مبتدأ خبره (يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوُونَ) أى لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الأعراض والقذح فى الأنساب ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم إلا الفاوون أى السفهاء أو الراوون أو الشياطين أو المشركون قال الزجاج إذا مدح أو هجا شاعر بما لا يكون وأحب ذلك قوم وتابوه فهم الفاوون يتبعهم نافع (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ) من الكلام (يَهَيِّمُونَ) خبر أن أى فى كل فن من الكذب يتحدثون أو فى كل لغو وباطل يخوضون والمهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له وهو تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضلوا أجبن الناس على عترة وأبخلمهم على حاتم. عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله .

فبتن يجهاني مصراعات وبت أفض أغلاق الختام

قال وجب عليك الحد يقال قد درأ الله على الحد بقوله (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) حيث وصفهم بالكذب والخلف فى الوعد \* ثم استثنى الشراء المؤمنين الصالحين بقوله (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) كبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك رضى الله عنهم (وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) أى كان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله تعالى والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والأدب ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الأمة ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب وقال أبو يزيد الله كثر الكثير ليس بالمدد والنفلة لكنه بالحضور (وَانْتَصَرُوا) وهجوا (مِنْ بَدَمًا عَلِمُوا) هجوا أى ردوا هجاء من هجا رسول الله ﷺ والمسلمين وأحق الخلق بالهجاء من كذب رسول الله ﷺ وهجاء وعن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال له «اهجم فوالذى نفسى بيده لهما أشد عليهم من النبل» وكان يقول لحسان «قل وروح القدس منك» \* ختم السورة بما يقطع أكباد التدبرين وهو قوله (وَسَيَلَمُ) وما فيه من الوعيد البليغ



وقوله (الَّذِينَ ظَلَمُوا) وإطلاقه، وقوله (أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) وإيهامه، وقد تلاها أبو بكر لعمر رضى الله تعالى عنه حين عهد إليه وكان السلف يتواظفون بها قال ابن عطاء وسيم المرض عنا ما الذى فاته منا وأى منسوب ينتقلون على المصدر لا يعلم لأن أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها أى ينتقلون أى انقلاب .

### ﴿ سورة النمل مكية وهى ثلاث وتسعون آية ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( طس ت لك ء ا ي ت ا ق ر ء ا ن و ك ت ا ب م ي ي ن ) أى وآيات كتاب مبين وتلك إشارة إلى آيات السورة، والكتاب المبين : اللوح، وآياته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو مبين للناظرين فيه آياته أو القرآن وآياته إنه يبين ما أودع فيه من العلوم والحكم وعلى هذا عطفه على القرآن كمطف لإحدى الصفتين على الأخرى نحو هذا فعل السخى والجواد ونكر الكتاب ليكون أنعم له وقيل إنما نكر الكتاب هنا وعرفه في الحجر وعرف القرآن هنا ونكره ثم لأن القرآن والكتاب إيمان علمان للمزول على محمد عليه الصلاة والسلام ووصفان له لأنه يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو الملم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف (هُدًى وَبُشْرَى) فى عمل النصب على الحال من آيات أى هداية وبشارة فالعامل فيها مافى تلك من معنى الإشارة أبو الجبر على أنه بدل من كتاب أو صفة له أو الرفع على هدى وبشرى أو على البذل من آيات أو على أن يكون خبرا بعد خبر لتلك أى تلك آيات وهداية من الضلالة ومبشرة بالجنة وقبل هدى لجميع الخلق وبشرى (لِلْمُؤْمِنِينَ) خاصة (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ) يديون على فرائضها وسننها (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) يؤدون ذكاتها أموالهم (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) عن جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده وهو استئناف كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة ويدل عليه أنه هقد جملة اسمية وكرر فيها البتداء الذى هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الإيمان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل الشاق (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ) يخلق الشهوة حتى رأوا ذلك حسنا

كما قال: أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فَهُمْ يَمَعمُونَ) يترددون في ضلالهم كما يكون حال الضال عن الطريق (أَوَلَيْكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ) القتل والأسر يوم بدر بما كان منهم من سوء الأعمال (وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخِصِرُونَ) أشد الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم تخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ) لتؤاه وتلقنه (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) من عند أى حكيم وأى عليم وهذا معنى تنكيها وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (إِذْ) منصوب بذكر كأنه قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام (قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ) لزوجته ومن معه عند سيره من مدين إلى مصر (إِنِّي أَنَا نَسْتُ) أبصرت (نَارًا سَاءَتِ كُفْمُهَا يُخْبِرُ) عن حال الطريق لأنه كان قد ضل (أَوَلَيْتُكُمْ بِشَهَابٍ) بالتثنية كوفى أى شملة مضية (قَبَسَ) نار مقبوسة بدل أو صفة. وغيره بشهاب قبس على الإضافة لأنه يكون قبسا وغير قبس ولا تدافع بين قوله سأتبكم هنا وللمى أتيتكم فى القصص مع أن أحدهما ترج والآخر يتقن لأن الراجى إذا قوى رجاؤه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخفية ومجيبته بسين التسوية عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطا أو كانت المسافة بعيدة وبأو لأنه بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بمحاجتيه جيما لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار ولم يدرك أنه ظافر على النار بمحاجتيه الكلبيين وما عز الدنيا والآخرة واختلاف الألفاظ فى هاتين السورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز النكاح بغير لفظ الزوج (لَمَلَكُكُمْ تَمَطُّوْنَ) تستدفنون بالنار من البرد الذى أصابكم والطاء بدل من تاء اتمتل لأجل المصاد (فَلَمَّا جَاءَهَا) أى النار التى أبصرها (نُودِى) موسى (أَنْ بُوْرِكَ) مخففة من الثقيلة وتقديره نودى بأنه بورك والضمير ضمير الشأن وجاز ذلك من غير عوض وإن منه الإغشوى لأن قوله بورك دماء والهاء يخالف غيره فى أحكام كثيرة أو مفسرة لأن فى النداء معنى القول أى قيل له بورك أى قدس أو جعل فيه البركة والخير (مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا) أى بورك من فى مكان النار وهم الملائكة ومن حول مكانها أى موسى لحدوث أمر دينى فيها وهو تكليم الله موسى واستنساؤه له وإظهار المعجزات عليه (وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْمَلَكِينَ)

هو من جملة ما نودى فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره (يُؤَسِّىْ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) الضمير في إنه للشأن والشأن أنا الله مبتدأ وخبر والعزير الحكيم صفتان  
الضمير أو يرجع إلى ما دل عليه ما قبله أى إن مملكك أنا والله بيان لأنا والعزير الحكيم  
صفتان للمبين وهو تمهيد لما أراد أن يظهر على يده من المعجزات (وَأَلْقَى عَصَاكَ) لتعلم  
معجزتك فتأنس بها وهو عطف على بورك لأن المعنى نودى أن بورك من في النار وأن ألقى  
عصاك كلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له ألقى عصاك ويدل عليه  
ما ذكر في سورة القصص وأن ألقى عصاك بعد قوله أن ياموسى إني أنا الله على تكرير حرف  
التفسير (فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ) تتحرك حال من الهاء في رآها (كَأَنَّهُمَا جَبَانَ) حية صغيرة  
حال من الضمير في تهتز (وَلَيْ) موسى (مُذِرًّا) أدبر عنها وجعلها تلى ظهره خوفا من  
وثوب الحية عليه (وَلَمْ يُمْكِبْ) ولم يلتفت أولم يرجع يقال قد عقب فلان إذا رجع يقايل  
بمد أن ولى ففدوى (يُؤَسِّىْ لَا تَخَفْ) إني لَا يَخَافُ لَدَى الْأَرْسَالُونَ) أى لا يخاف  
مندى الرسالون حال خطاى لإيم أولا يخاف لدى الرسالون من غيرى (إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) أى  
لكن من ظلم من غيرهم لأن الأنبياء لا يظلمون أو لكن من ظلم منهم من زل من الرسالين  
فجاء غير ما أذنت له مما يجوز على الأنبياء كما فرط من آدم ويونس وداود وسليمان عليهم  
السلام (ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا) أى أنبع توبة (بِمَدِّ سُوِّهِ) زلة (فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) أقبل  
توبته وأغفر ذلته وأرحمه فأحقق أمنيته وكأنه تعريض بما قال موسى حين قتل القبطى؛ رب إني  
ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) جيب قميصك وأخرجها (تَخْرُجْ  
بَيْضًا) نيرة قلب نور الشمس (مِنْ غَيْرِ سُوِّهِ) برص وبيضاء ومن غير سوء حالان  
(فِي نِسْرَةٍ آيَةٍ) كلام مستأنف وفي يطلق بمحذوف أى اذهب في تسع آيات أو وأنى  
عصاك وأدخل يدك في جملة تسع آيات (إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ) إلى يطلق بمحذوف أى  
مرسلا إلى فرعون وقومه (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) خارجين عن أمر الله كافرين (فَلَمَّا جَاءَهُمْ  
ءَايَاتُنَا) أى معجزاتنا (مُصِرَّةً) حال أى ظاهرة بينة جبل الإبراص لما وهو في الحقيقة  
لثامليها للملابستهم لإها بالنظر والتفكر فيها أو جعلت كأنها تبصر فهدى لأن الأعمى لا يقدر

على الاهتداء فضلا أن يهدى غيره ومنه قولهم كلمة عينا وهوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد  
والسيئة تنوى (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) ظاهر لمن تأمله وقد قول بين البصرة والمبين (وَجَعَدُوا  
يَمًا) قبل الجعود لا يكون إلا من علم من الجاحد وهذا ليس بصحيح لأن الجعود هو  
الإنكار وقد يكون الإنكار للشيء للجهل به وقد يكون بمد المعرفة تمتعا كذا ذكر في شرح  
التأويلات وذكر في الديوان يقال جعد حقه وبحقه بمعنى والواو في (وَاسْتَيْقَنَتْهَا) للحال  
وقد يمد بها مضمرة والاستيقان أبلغ من الإيقان (أَنفُسَهُمْ) أى جعدوها بأنسنتهم واستيقنوها  
في قلوبهم وضمازيم (ظُلْمًا) حال من الضمير في وجعدوا وأى ظلم الخشن من ظلم من استيقن  
أنها آيات من عند الله ثم ساءها سحرا بينا (وَعَلُّوا) ترفعا عن الإيمان بما جاء به موسى  
(فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) وهو الإغراق هنا والإحراق عمة (وَلَقَدْ آتَيْنَا)  
أعطينا (دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا) طائفة من العلم أو علماسنيا غزيرا والمراد علم الدين والحكم (وَقَالَا  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) والآيات حجة لنا على المنزلة في  
ترك الأسلح وهنا محذوف ليصح عطف الواو عليه ولولا تهدير المحذوف لكان الوجه الفاء  
كقولك أعطيتني فشكره، وتهديره آتيناهما علما فعملابه وعرفا حتى النعمة فيه وقالا الحمد  
له الذى فضلنا، والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما  
فضلا على كثير وفصل عليهما كثير وفى الآية دليل على شرف العلم وتقدم حملته وأهله وأن  
نعمة العلم من أجل النعم وأن من أوتيته قد أوتي فضل على كثير من عباده وما ساءهم رسول  
الله ﷺ ورة الأنبياء إلا لدانائهم لهم فى الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بثوا من أجله  
وفيهما أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة أن يحمدا الله على ما أوتوه وإن يعتقد العالم أنه إن فضل  
على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول من رضى الله عنه كل الناس أئمة من مر  
رضى الله عنه (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسمية  
معر قالوا أوتى النبوة مثل أبيه فكانه ورثه وإلا فالنبوة لا تورث (وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا  
مَنْطِقَ الطَّيْرِ) تشهيرا لنعمة الله تعالى واعترافا بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر  
المعجزة التى هى علم منطلق الطير والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير

المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض . روى أنه صاحت فأخفته فأخبر أنها تقول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاموس فقال : يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال : يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح خطاف فقال : يقول قدموا خيراً أتعبدوه وصاح رخصة فقال تقول سبعان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قرى فأخبر أنه يقول سبعان ربي الأعلى وقال : الحدأة تقول كل شيء هالك إلا الله . والقطاة تقول من سكت سلم . والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبعان ربي القدوس ( وَأَوْتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ) المراد به كثرة ما أوتى كما تقول فلان يعلم كل شيء ومثله وأوتيت من كل شيء ( إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ) قوله وارد على سبيل الشكر كقوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى أقول هذا القول شكراً ولا أقوله غفراً . والنون فى علمنا وأوتينا نون الواحد الطاع وكان ملكاً مطاعاً فكلم أهل طاعته على الحال التى كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك ( وَخَيْرَ ) وجمع ( اسْلُكْنِي جَنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ) روى أن معسكره كان مائة فرسخ فى مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثائة منكوبة وسبعائة سرية وقد نسجت له الجن بساطاً من ذهب وإبريسم فرسخاً فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب وفضة فيقدم وحوله ستائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقدم الأنبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه حر الشمس وترفع ريح الصبا البساط تقسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرعاء تسيره فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني قد زدت فى ملكك أن لا يتكلم أحد بشئ . إلا ألقته الريح فى سمك ، فيحكى أنه مر بمحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكاً عظيماً فألقته الريح فى أذنه فنزل ومضى إلى المحراث وقال إني جئت إليك ثلاثاً تمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسيبحة واحدة قبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود ( فَهُمْ يُوزَعُونَ ) يحبس أولهم على آخرهم أى يوقف

حلاف المسكر حتى يلحقهم التوالى ليكونوا مجتمعين وذلك للسكر العظيمة. والوزع: النزع، ومنه  
 غوز عثمان رضى الله عنه: ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادٍ  
 مُّتَمَلِّينَ) أى ساروا حتى إذا بلغوا وادى الغل وهو واد بالشام كثير الغل وعدى بعل لأن  
 إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستملاء (قَالَتْ تَمَلَّيْ) هرجاء تسمى طاخية أو منذرة  
 رعن فتادة أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فسأله أبو حنيفة رضى الله  
 عنه وهو شاب عن ثعلبة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فأعلم فقال أبو حنيفة رضى الله عنه كانت  
 أنثى فقيل له بماذا عرفت فقال بقوله قالت غلة ولو كانت ذكرا لقال قال غلة وذلك أن الثملة  
 من الحامة فى وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامه، نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة  
 أنثى وهو وهى (يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ) ولم يقل ادخلن لأنه لما جعلها قائلة  
 والنمل مقولاهم كما يكون فى أولى العنق أجرى خطابهن مجرى خطابهم (لَا يَخْطُبَنَّكُمْ)  
 لا يكسرنكم، والخطم الكسر وهو نهى مستأنف وهو فى الظاهر نهى لسليمان عن الخطم وفى  
 الحقيقة نهى لمن عن البروز والوقوف على طريقة لا أرينك ما هنا أى لا تحضر هذا الوضع  
 وقيل هو جواب الأمر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيد لأنه من ضرورات الشر (سَلِمِينَ  
 رَجُودُ) قيل أراد لا يحطمتكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) لا  
 يلمون بمكانكم أى لو شعروا لم يفعلوا قالت ذلك على وجه المنر واصفة سليمان وجنوده  
 بالعدل فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال (فَتَبَسَّ سَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا) متمجبا من حذرها  
 واحتدائها لمصالحها ونصيحتها للنمل أو قرحا لظهور عدله وضاحكا حال مؤكدة لأن تبسم  
 بمعنى ضحك وأكثر ضحك الأنبياء التبسم كذا قاله الزجاج (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي) المهمى  
 وحقيقته كفى عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ)  
 من النبوة والملك والعلم (وَعَلَى الْوَالِدَيْنِ) لأن الانعام على الوالدين إتمام على الولد (وَأَنْ أَعْمَلَ  
 صَالِحًا تَرْضَاهُ) فى بقية عمرى (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ) وأدخلنى الجنة برحمتك لا بصالح  
 عملى إذ لا يدخل الجنة أحد إلا برحمته كما جاء فى الحديث (فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) أى فى  
 زمرة أنبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين روى أن الثملة أحست بصوت الجنود ولا تملك

أنهم في الهواء فأمر سليمان الريح فوفقت لثلاث يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ) مكي وعلى وعاصم، وغيرهم يسكون الباء. والتفقد طلب ماغاب عنك (لَا أَرَى أَهْدُهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ النَّكَارِيِّينَ) أم بمعنى بل والمعنى انه تعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال مالى لا أراه على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لسائر ستره أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول بل هو غائب وذكر أن سليمان عليه السلام لما حج خرج إلى اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال فنزل ليصلى فلم يجد الماء وكان الهدهد فَنَاقَتْهُ وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة فتستخرج الشياطين الماء فتفقدته لذلك وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفع فنظر فإذا هو مقبل فقصده فتناشده الله فتركه فلما قرب من سليمان أوحى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض وقال يا بني الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه (لَا تُعَذِّبْنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا) ينتف ريشه وإقائه في الشمس أو بالتفريق بينه وبين إلفه أو بإلزامه خدمة أقرانه أو بالحبس مع أعداده وعن بعضهم أضيق السجون مباشرة الأعداء أو بإبداعه القفص أو بطرحه بين يدي النمل ليأكله وخل له تمذيب الهدهد لما رأى فيه من الصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من النافع وإذا سخر له الطير لم يتم التسخير إلا بالتأديب والسياسة (أَوَلَا أَدْبَعْتَهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي) بالنون الثقيلة ليشاكل قوله لأعذبنه وحذف نون العهد للتخفيف. ليأتيني بنون مكي الأولى للتأكيد والثانية للعهد (بِسُلْطَنِ مُبِينٍ) بحجة له فيها عند ظاهر على غيبته والإشكال أنه حلف على أحد ثلاثه أشياء: اثنان منها فعله ولا مقال فيه والثالث فعل الهدهد وهو مشكل لأنه من أين درى أنه يأتي بسلطان حتى قال والله ليأتيني بسلطان وجوابه أن معنى كلامه ليكون أحد الأمور يعني إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن تمذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية (فَمَكَثَ) الهدهد بعد تفقد سليمان إياه، وبضم الكاف غير عاصم وسهل ومقبوب، وهما لثتان (غَيْرَ يَمِيدٍ) أى مكثاً غير طويل أو غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسماعه

خوفاً من سليمان فلما رجع سأله عما تلقى في غيبته (فَقَالَ أَحْطَتْ) علمت شيئاً من جميع جهاته (يَمَّا كُنْتُمْ تُحِيطُ بِهِ) أَلَمْ أَهْدِكُمْ هَذَا الْكَلَامَ بِهِذَا السَّيْلَانِ مَعَ مَا أُوتِيَ مِنْ فَضْلِ النُّبُوَّةِ وَاللَّوْمِ الْجَمَّةِ ابْتِلَاءً لَهُ فِي عِلْمِهِ وَفِيهِ دَلِيلٌ بَطْلَانٌ قَوْلُ الرَّافِعَةِ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ وَلَا يَكُونُ فِي زَمَانِهِ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنْهُ (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ) غَيْرِ مَنْصَرَفٍ. أَبُو مَرْوَرٍ جَمَلَهُ اسْمًا لِلْقَبِيلَةِ أَوْ لِلدِّينَةِ وَغَيْرِهِ بِالتَّنَوُّنِ جَمَلَهُ اسْمًا لِلْعَلِيِّ أَوْ الْأَبِّ الْأَكْبَرِ (يَنْبَغِي رَافِعِينَ) النَّبَأُ الْخَبَرُ الَّذِي لَهُ شَأْنٌ وَقَوْلُهُ مِنْ سَبَأٍ بَنِيٌّ مِنْ عِمَّاسِنِ الْكَلَامِ وَيُسَمَّى الْبَدِيعُ وَقَدْ حَسَنَ وَبَدَعَ لَفْظًا وَمَعْنَى هَاهُنَا أَلَّا تَرَى أَنَّهُ لَوْ وَضَعَ مَكَانَ بَنِيٍّ يَجْزُرُ لَكَانَ الْمَعْنَى صَحِيحًا وَهَوَكَأَ جَاءَ أَصْحَحُ لَمَّا فِي النَّبَأِ مِنَ الزِّيَادَةِ الَّتِي يَطَابَقُهَا وَصَفُ الْحَالِ (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً) هِيَ بَلْقِيسُ بِنْتُ شَرَاهِيلَ وَكَانَ أَبُوهَا مَلِكُ أَرْضِ الْيَمَنِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ غَيْرُهَا فَغَلَبْتُ عَلَى الْمَلِكِ وَكَانَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا بِجُوسَا يَمْبِدُونَ الشَّمْسَ وَالضَّمِيرَ فِي (تَمْلِكُهُمْ) وَاجْعِ إِلَى سَبَأٍ عَلَى تَأْوِيلِ الْقَوْمِ أَوْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ (وَأُورِثَتْ) حَالَهُ وَقَدْ مَقْدَرَةٌ (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا مَا يَلِيقُ بِجَاهِلِهَا (وَلَمَّا عَرَّشْتُ) سَرِيرَ عَظِيمٍ (عَظِيمٍ) كَبِيرٍ قَبْلَ كَانِ ثَمَانِينَ خِزَامًا فِي ثَمَانِينَ خِزَامًا وَطَوَّلَهُ فِي الْمَوَاءِ ثَمَانُونَ خِزَامًا وَكَانَ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَكَانَ مَرَسَمًا بِأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ وَقَوَائِمُهُ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ وَأَخْضَرَ وَحَدَّ زَمْرَدٍ وَعَلَيْهِ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَيْتٍ بَابٌ مَثْلُهُ وَاسْتَصْنَعَهَا حَالِمًا إِلَى حَالِ سُلَيْمَانَ فَاسْتَعْظَمَ مَرُوسَهَا لِذَلِكَ وَقَدْ أَخْفَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سُلَيْمَانَ ذَلِكَ لِصَلْحَةِ رَأْيِهَا كَمَا أَخْفَى مَكَانَ يَوْسُفَ عَلَى يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَعَسَاهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) أَيْ سَبِيلِ التَّوْحِيدِ (فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) إِلَى الْحَقِّ وَلَا يَمُتُّ مِنْ الْمَهْدِ الْهَدَى إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَوُجُوبِ السَّجُودِ لَهُ وَحَرَمَةِ السَّجُودِ لِلشَّمْسِ وَالْمَاءِ مِنَ اللَّهِ كَمَا أَلْهَمَهُ وَغَيْرِهِ مِنَ الطُّيُورِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانَ الْعَارِفِ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَا يَكَادُ الْمُقْلَاءُ الرَّجَاحُ الْمَقُولُ يَهْتَدُونَ لَهَا (أَلَّا يَسْجُدُوا) بِالتَّشْدِيدِ أَيْ فَصَدَمَ عَنِ السَّبِيلِ لِثَلَاثِ سَجْدَةٍ خُذِفَ الْجَارُ مَعَ أَنَّ وَادَعَمْتَ النَّوْنَ فِي اللَّامِ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لَا مَزِيدَةَ وَيَكُونُ الْمَعْنَى فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى أَنْ يَسْجُدُوا وَبِالتَّخْفِيفِ يَزِيدُ وَعَلَى وَتَهْدِيرِهِ الْإِيْهَؤْلَاءُ اسْجُدُوا فَالَّا لِلتَّنْبِيهِ وَيَا حَرَفُ نَدَاءٍ وَمُنَادَاةٍ مَحْذُوفٌ، فَمِنْ شَدْدِ لَمْ يَقِفْ إِلَّا هَلِ الْمَرْشُ الْعَظِيمُ وَمِنْ خَفْفِ وَقَفَ عَلَى فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ



ثم ابتداء ألا يسجدوا أو وقف على الأيأ ثم ابتداء اسجدوا وسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا بخلاف ما يقوله الزجاج إنه لا يجب السجود مع التشديد لأن مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح للآتيها أو ذم لتاركها وإحدى القراءتين أمر والأخرى ذم لتارك (يُرَى الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ) سمي المحبوب بالمصدر (فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فتادخبل السماء المطر وخبء الأرض النبات (وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) وبإلتاء فيها على وحفص (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) وصف المدهد عرش الله العظيم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ماخلق من السموات والأرض ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك إلى ههنا كلام المدهد، فلما فرغ من كلامه (قَالَ) سليمان للمدهد (سَتَنْظُرُ) من للنظر الذي هو التأمل (أَصَدَقْتَ) فيما أخبرت (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) وهذا أبلغ من أم كذبت لأنه إذا كان معروفا بالأخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به، ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعالوا على وآتوني مسلمين وطبمه بالسك وختمه بخاتمه وقال للمهد (أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِيهِ) يسكون الماء تخفيفا أبو عمرو وعاصم وحزة ويختلسها كسرا لتدل الكسرة على الباء المحذوفة. يزيد وقالون ويقوب فألقى يائبات الباء غيرهم (إِلَيْهِمْ) إلى بلقيس وقومها لأنه ذكرهم معها في قوله وجدها وقومها يسجدون للشمس وبني الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك (ثُمَّ تَوَلَّى مِنْهُمْ) تنح عنهم إلى مكان قريب بحيث ترام ولا يرونك ليكون ما يقولونه بمسمع منك (فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) ما ألقى يردونه من الجواب فأخذ المدهد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب على نحرها وهي راقدة وتوارى في الكوة فاتقبت فرعة أو أتاها والجنود حوالها فرفرف ساعة وألقى الكتاب في حجرها وكانت قائمة فلما رأت الخاتم (قَالَتْ) لقومها خاضعة خائفة (بِأَيِّهَا أَلَمُوا إِلَيَّ) وبفتح الباء مدنى (الَّتِي إِلَيَّ كِتَابُ كَرِيمٍ) حسن مضمونه ومافيه أو عنثوم. قال عليه الصلاة والسلام:

«كرم الكتاب ختمه» وقيل من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به ، أو معسر  
يسمى الله الرحمن الرحيم أولاه من عند ملك كريم (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُ يَنْسِبُ اللَّهُ الرَّحْمَنَ  
الرَّحِيمَ) هو تبيين لما أتى إليها كأنها لما قالت إني أتى إلى كتاب كريم قيل لها ممن هو  
وما هو قالت إنه من سليمان وإنه كبت وكبت. وأن في (أَلَّا تَعْلَمُوا) لا ترفعوا (عَلَيَّ) ولا  
تكبروا كما يفعل الملوك مفسرة كقوله وانطلق للملأ منهم أن امشوا يعني أي امشوا (وَأَتُونِي  
مُسْلِمِينَ) مؤمنين أو مفقدين وكتب الأنبياء مبنية على الإيجاز والاختصار (قَالَتْ يَا أَيُّهَا  
الْمَلِكُ أَتُتُونِي فِي أَمْرِي) أشيروا علي في الأمر الذي نزل بي والفتوى الجواب في الحادثة اشتقت  
على طريق الاستمارة من الفتاة في السن والمراد هنا بالفتوى الإشارة عليها بما عدهم من الرأي  
وقصدنا بالرجوع إلى استشارتهم تطيب أنفسهم لِمَا تَوَلَّاهَا ويقوموا معها (مَا كُنْتُ قَاطِمَةً  
أَمْرًا) فاسلة أو محضية حكما (حَتَّى تَشْهَدُونِ) بكسر النون، والفتح لمن لأن النون إنما تفتح  
في موضع الرفع وهذا في موضع النصب وأمله تشهدوني غنفت النون الأولى للنصب والياء  
لدلالة الكسرة عليها والياء في الوصل والوقف يعقوب أي تحضروني أو تشيرون أو تشهدوا  
أنه صواب أي لايت الأمر إلا بمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا  
كل واحد على عشرة آلاف (قَالُوا) عييين لما (نَعْنُ أَوْثُوا قُوَّةً وَأَوْثُوا بَأْسَ شَدِيدٍ) أرادوا  
بالقوة قوة الأجساد والآلات وبالبأس النجدة والبلاء في الحرب (وَالْأَمْرُ لَيْكَ) فأنظري  
مَاذَا تَأْمُرِينَ) أي موكلوك إليك ونحن مطيعون لك قرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك كأنهم  
أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لامن أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات  
الرأي والتدبير فأنظري ماذا ترين تنصع رأيك فلما أحست منهم الليل إلى الهاربة مالت إلى الصالحة  
ورقبت الجواب فزيفت أولا ما ذكره وأرتهم الخطأ فيه حيث (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا  
قَرْيَةً) عنوة وقهرا (أَفْسَدُوهَا) خربوها (وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً) أذلوا أعزها وأهانوا  
أشرافها وقتلوا أوسر وأذل كرت لهم سوء عاقبة الحرب ثم قالت (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) أرادت وهذه  
حادثهم المستمرة التي لا تنفیر لأنها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت  
بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي الشديد، وقيل هو تصديق من الله لقولها واحتج  
الساعي في الأرض بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراما فقد كفر وإذا احتج له بالقرآن

على وجه التحريف قد جمع بين كفرين (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِعِدَّتِي) أى مرسة رسلا  
 يهدية (فَنَاطِرَةٌ) فتنطرة (يَم) أى بما لأن الألف تحذف مع حرف الجر فى الاستفهام  
 (يَرْجِعُ أَمْرًا سَلَوَنَ) بقبولها أم بردها لأنها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم  
 فإن كان ملكا قبلها وانصرف وإن كان نبيا ردها ولم يرش منا إلا أن تبقه على دينه فبثت  
 خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحلهم راكبي خيل مشاة بالديباج عملة اللجم والسروج  
 بالذهب المرسع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فى زى الفلنان وألف لبنة من ذهب وفضة  
 وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه حدة عذراء وجزعة مموجة الثقب وبثت رسلا وأمرت  
 عليهم المنذر بن عمرو بدليل قوله تعالى: بم يرجع الرسولون. وكتبت كتابا فيه نسخة الهدايا  
 وقالت فيه إن كنت نبيا فيز بين الوصفاء والوصائف وأخبر بما فى الحق واتقب الدرة تقبا  
 واسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك منظره  
 وإن رأته بشاشا لطيفا فهو نبى فأقبل الهدهد وأخبر سليمان الخبر كله فأمر سليمان الجن فضربوا  
 لبنات الذهب والفضة وفرشوها فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان  
 حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين  
 الميدان ويساره على البنات وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم  
 قدم على سريرته والكرامى من جانبيه واسطفت الشياطين صفوفا فراسخ والإنس صفوفا  
 فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ورأوا الدواب تروث على اللبن  
 رموا بما معهم من الهدايا ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم سليمان بوجه طلق فأعطوه كتاب  
 الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فأمر الأرض فأخذت شجرة ونفتت فى الدرة وأخذت دودة  
 يضاء الخيط بينها ونفتت فيها <sup>(١)</sup> ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجمله فى  
 الأخرى ثم تضرب به وجهها والنلام كما يأخذ يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر  
 ارجع إليهم (فَلَمَّا جَاءَهُ) رسولها المنذر بن عمرو (سَكِينًا قَالَ أُمِدُّوْنِي بِمَالٍ) بنونين  
 وإثبات الياء فى الوصل والوقف مكى وسهل واقتهما مدنى وأبو عمرو فى الوصل آتدوني حمزة  
 ويعتوب فى الحالين وغيرهم بنونين بلا ياء فيهما والخطاب للرسول (فَمَا أَتَنَّى اللَّهُ) من  
 (١) قوله فيها أى فى الخرزة المار ذكرها.

النبوة والملك والنعمة . وبفتح الباء مدني وأبو عمرو وحفص ( خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ ) من زخارف الدنيا ( بَلْ أَنْتُمْ بِعِدَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ) الهدية اسم الهدى كأن العطية اسم العطى فخصاف إلى الهدى والهدى له قول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو أهديت إليه والمعنى إن ما عندي خير مما عندكم وذلك أن الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والننى الأوسع وآتاني من الدنيا مالا يستزاد عليه فكيف يرضى مثل بأن يعد بمال بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزدون ويهدى إليكم لأن ذلك مبلغ همكم وحالي خلاف حالكم وما أرى منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك الجوسية والفرق بين قولك أتمدوني بمال وأنا أفنى منكم وبين أن تقول به بالفاء أتى إذا قلته بالواو جعلت مخاطبي طالما يزيادني في الننى وهو مع ذلك يعدني بمال وإذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالى فأنا أخبره الساعة بمالا أحتاج معه إلى إمداده كأتى أقول له أنكرك عليك ما فعلت فأتى غنى عنه وعليه ورد فما آتاني الله ووجه الاغراب أنه لما أنكرك عليهم الإمداد وعلم أنكركه أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي جعلهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التي لا يطمون غيرها ( ارْجِعْ إِلَيْهِمْ ) خطاب لرسول أو الهدد عملا كتابا آخر إليهم اثنتان بلقيس وقومها ( فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِخِزْيُونٍ لَّا بَقِيَّةَ لَهُمْ يَوْمَآ ) لا طاقة لهم بها حقيقة القبل المقاومة والمقابلة أى لا يقدر أن يقابلهم ( وَلَنُخْزِيَنَّهُمْ مِنْهُمَا ) من سبأ ( أَذِلَّةٌ وَهُمْ صَافِرُونَ ) الدل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من المزم والملك والعصا أن يقوموا في أسر واستعباد فلما رجع إليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت: هوئى ومالنا به طاقة ثم جعلت عرشها في آخر سبعة آيات وغلقت الأبواب ووكلت به حرسا يحفظونه وبشت إلى سليمان إلى قادمة إليك لأنظر ما الذى تدعو إليه وشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف فلما بلغت على رأس فرسخ من سليمان ( قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَفْئِكُمْ يَا بُنَيَّ يَوْمَ عَرَفْتُمْ أَنِ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ) أراد أن يريها بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من إجزاء المجائب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان أو أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لملء أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وهذا بعيد عند أهل التحقيق أو أراد أن يؤتى به فينكر وينير ثم ينظر أثبته أم تنكره اختبارا لعقلها

( قَالَ غَفِرْتُ مَنِ الْغَن ) وهو الحديث المارد واسمه ذكوان ( أَنَا أَيْتِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ  
 بَيْنَ مَقَامِكَ ) مجلس حكمك وقضائك ( وَإِنِّي عَلَيْكَ ) على حمله ( تَقَرُّوْا أَيْبُنَ ) آتى به كما هو  
 لا أخذ منه شيئاً ولا أبده فقال سليمان عليه السلام: أريد أعجل من هذا ( قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ  
 عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ) أى ملك بيده كتاب المقادير أرسله الله تعالى عند قول الغفريت أوجبريل  
 عليه السلام والكتاب على هذا اللوح المحفوظ، أو الخضر أو آصف بن برخيا كاتب سليمان  
 وهو الأصح وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وهو ياحى ياقيوم  
 يا ذا الجلال والإكرام أوبيا إلهنا وإله كل شئ، إلهنا واحداً لا إله إلا أنت وقيل كان له علم بمجارى  
 الغيوب إلهاما ( أَنَا أَيْتِكَ بِهِ ) بالمرش وآيتك فى الومعين يجوز أن يكون فعلاً أو اسم  
 فاعل ومعنى قوله ( قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ) أنك ترسل طرفك إلى شئ قبل أن  
 ترده أبصرت المرش بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمان عليه السلام: مد عينيك حتى  
 ينتهى طرفك قد عينيه فنظر نحو اليمن فدها آصف فنار المرش فى مكانه ثم نبع عند مجلس  
 سليمان بقدره الله تعالى قبل أن يرتد طرفه ( فَلَمَّا رَآهُ ) أى المرش ( مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ) ثابتاً  
 لديه غير مضطرب ( قَالَ هَذَا ) أى حصول مرادى وهو حضور المرش فى مدة  
 ارتداد الطرف ( مِّنْ فَضْلِ رَبِّ ) على وإحسانه إلى بلااستحقاق منى بل هو فضل خال من  
 العوض صاف عن الفرض ( لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ ) ليمتحننى أشكر إنعامه ( أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ  
 شَكَرَ فَإِنَّمَا يَكُفِّرُ لِنَفْسِهِ ) لأنه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها من سمة الكفران  
 ويستجلب به المزيد وترتبط به النعمة فالشكر قيد للنعمة الوجودية وصيد للنعمة المفقودة وفى  
 كلام بعضهم إن كفران النعمة بوار وقلماً أفتشت نافرة فرجعت فى نصابها فاستدع شاربها  
 الشكر واستدمها عنها بكرم الجوار. واعلم أن سبوح ستر الله تعالى متقلص عما قريب إذا أنت  
 لم ترج لله وقاراً أى لم تشكر لله نعمة ( وَمَنْ كَفَرَ ) بترك الشكر على النعمة ( فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ )  
 عن الشكر ( كَرِيمٌ ) بالإينام على من يكفر نعمته، قال الواسطى ما كان منا من الشكر فهو  
 لنا وما كان منه من النعمة فهو إلينا وله النة والفضل علينا ( قَالَ تَسْكُرُوا لَهَا قَرْشَهَا ) غيروا  
 أى اجمعوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله ( نَنْظُرُ ) بالجزم على الجواب ( أَتَهْتَدِي ) إلى معرفة  
 قرشها أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه ( أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ فَلَمَّا

(جَاكَتْ) بـلقيس (قِيلَ أَهَكَذَا عَرَّشُكَ) ها للتنبية والكاف للتشبيه وذا اسم إشارة ولم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا (قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ) فَأُجَابَتْ أحسن جواب فلم قل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتل للآخرين أو لما شبهوا عليها بقولهم: أهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها كأنه هومع أنها علمت أنه عرشها (وَأَوْتَيْنَا آلِإِمْلَمَ مِنْ قَبْلِهَا) من كلام بلقيس أى وأوتينا العلم بقدرة الله تعالى وبوصحة نبوتك بالآيات المتقدمة من أمر الهدد والرسل من قبل هذه المعجزة أى إحضار العرش أو من قبل هذه الحالة (وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) مفادين لك مطيعين لأمرك أو من كلام سليمان وملكه عطفوا على كلامها قولهم: وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبوصحة ما جاء من عنده قبل علمها أو أوتينا العلم بإسلامها وبجبيها طائفة من قبل مجيئها وكنا مسلمين موحدن خاضعين (وَمَدَّهَا مَا كَانَتْ تَبْدُو مِنْ دُونِ اللَّهِ) متصل بكلام سليمان أى وصدها عن العلم بما علمناه أو عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين أظهر الكفرة ثم بين نشأها بين الكفرة بقوله (لَهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ) أو كلام مبتدأ أى قال الله تعالى وصدها قبل ذلك مما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل أو صدها الله أو سليمان مما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ) أى القصر أو محض الدار (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) ماء عظيما (وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقَيْهَا) ساقها بالهمزة مكى روى أن سليمان أمر قبل قدميها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما قل ذلك ليزيدها استمظاما لأمره وتحقيقا لنبوته وقيل إن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضى إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجمع فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد فقالوا له إن في عقلها شيئا وهى شمراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاخبر عقلها بتفكير العرش وانخذ الصرح ليعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فإذا هى أحسن الناس ساقا وقدميها إلا أنها شمراء فصرفت بصره (قَالَ) لها (إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ) مجلس مستو ومنه الأمرد (مَنْ قَوَارِيرَ) من الزجاج وأراد سليمان تزوجها فكره شمرها فعملت لها الشياطين النورة فأزالته فنكحها سليمان وأحبها وأقرها على ملكها

وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولفت له (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بعبادة الشمس (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال الحقون لا يحتمل أن يحتمل سليمان لينظر إلى ساقها وهي أجنبية فلا يصح القول بمثله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ) في النسب (سَالِحًا) بدل (أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ) بكسر النون في الوصل حاصم وحمزة ويصرى وبضم النون غيرهم اتباعا للباء والمعنى بَأْنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وحدوه (فَإِذَا) المفاجأة (هُمْ) مبتدأ (فَرِيقَانِ) خبر (يَخْتَصِمُونَ) صفة وهي العامل في إذا والمعنى فإذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معي وهو مبين في قوله : قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا من آمن منهم أن صلحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون. وقال الفريق الكافر: يا صالح اتنا بما تمدنا إن كنت من المرسلين (قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ) بالعبادة الذي توعدون (قَبْلَ الْحَسَنَةِ) قبل التوبة (وَلَوْلَا) هلا (تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ) تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والإيمان قبل نزول العذاب بكم (لَنُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ) بالإنابة (قَالُوا أَطِيعُوا نَايِكَ) نشاءنا بك لأنهم قطعوا عند مبينه لتكذيبهم فسيبوه إلى مجيئه والأصل تطيرنا وقرئ به فأدغمت التاء في الطاء وزيدت الألف لسكون الطاء (وَوَيْلٌ لِّلْمَلَائِكَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قَالَ طَيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ (أَي سَيِّئِكُمُ الَّذِي يَمُنُّ مِنْ خَيْرِكُمْ) وشركم عند الله وهو قدره وقسمته أو مملكم مكتوب عند الله فإنما نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه وكل إنسان أثمناه طائر في عنقه وأصله أن المسافر إذا مر بطائر فيزجره فإن مر سائحا تيامن وإذا مر بارحا تشام فلما نسبوا الخسار والشر إلى الطائر استعير لها من سبهما من قدر الله وقسمته أو من حمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنعمة (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) يختبرون أو تذبذبون بدينكم (وَكَاْنِ فِي الْمَدِينَةِ) مدينة ثمود وهي الحجر (تِسْعَةُ رَهْطٍ) هو جمع لا واحد له ولما جاز تخير التسمية به فكأنه قيل تسعة أنفس وهو من الثلاثة إلى المشرة وعن أبي دؤاد رأيتهم قدار بن سالف وم الذين سموا في حجر الناقة وكانوا أبناء أشرافهم (يَقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) يعنى أن شأنهم

الإفساد البحت لا يختلط بشيء من الصلاح كآثرى بعض الفسدين قد يتندر منه بعض الصالح  
ومن الحسن يظلمون الناس ولا يمتنعون الظالمين من الظلم ومن ابن عطاء يقيمون معائب الناس  
ولا يسترون عوراتهم ( قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ ) تحالفوا خبر في محل الحال بإضمار قد أى قالوا  
متقاسمين أو أى أمر بعضهم بعضا بالقسم ( لَنُبَيِّتَنَّهُ ) لنقتله بيانا أى ليلا ( وَأَهْلُهُ )  
ولهم وقبمه ( ثُمَّ كَفَّوْا نَّ لَوِيْلَهُ ) لولى دمه لنبيئته بالتاء وبضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء  
وضم اللام حمزة وعلى ( مَا شَهِدْنَا ) ما حضرنا ( مَهْلِكُ أَهْلِهِ ) حفص مهلك أبو بكر وحاد  
والمفضل من هلك فالأول موضع الهلاك والثاني المصدر مهلك فيرم من أهلك وهو الإهلاك  
أو مكان الإهلاك أى لم تتعرض لأهله فكيف تعرضناه أو ما حضرنا موضع هلاكه  
فكيف توليناه ( وَإِنَّا لَصَدِّقُونَ ) فيما ذكرنا ( وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا وَهُمْ  
لَا يَشْعُرُونَ ) مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصلاح وأهله ومكر الله إهلاكهم من  
حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستمارة روى أنه كان لصلاح مسجداً في الحجر  
في شعب يصل فيه فقالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فتحن نفرغ منه ومن أهله قبل  
الثالث نخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا إلى أهله قتلناهم فبنت الله  
صخرة من الغضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم  
ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلامهم في مكانه ونجى صالحاً عليه السلام ومن معه  
( فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْتَهُمْ ) بفتح الألف كوفى وسهل وبكسرهما  
غيرهم على الاستئناف ومن فتحه رفعه على أنه بدل من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره  
هى تدميرهم أو نصبه على معنى لأننا أو على أنه خبر كان أى فكان عاقبة محسورهم الدمار  
( وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ) بالصيغة ( فَتَكَ يَوْمَهُمْ خَاوِيَةً ) ساقطة منهزمة من خوى النجم  
إذ اسقط أو خالية من انقواء ، وهى حال حل فيها مادل عليه تلك ( بِمَا ظَنُّوْا ) بظلمهم ( إِنَّ  
فِي ذَلِكَ ) فيما فعل جمود ( آيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ) قدرتنا فيمتعلون ( وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا ) بصلاح ( وَكَانُوا يَتَّقُونَ ) ترك أو امره وكانوا أربعة آلاف نجوا مع صالح من المذاب  
( وَلَوْطًا إِذْ قَالَ ) واذكر لوطاً، وإذ يدل من لوطاً أى واذكر وقت قول لوط ( لِقَوْمِي أَنَا نُونٌ )



الْفَحِشَةَ ) أى إثبات الذكور ( وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ) تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها من بصر القلب أو يرى ذلك بعضهم من بعض لأنهم كانوا يرتكبونها في ناديتهم معالنين بها لا ينسبر بعضهم من بعض بجانة وانها كما فى المصيبة أو تبصرون آثار المعصاة قبلكم وما نزل بهم ثم صرح فقال ( أَلَيْسَ كُفًى بِهَٰؤُلَاءِ ) بهمذين كوفى وشاى ( لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً ) للشهوة ( مَنْ ذَرَيْنِ النِّسَاءِ ) أى ان الله تعالى إنما خلق الأنثى لا ذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الأنثى للأنثى هى مضادة لله فى حكمته ( بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ نَبِيَّ لُونِ ) تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع حكمكم بذلك أو أريد بالجهل السفاهة والجانة التى كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والنية فى قوله بل أنتم قوم نجماون وبل أنتم قوم تفتنون فنلب الخطاب على النية لأنه أقوى إذ الأصل أن يكون الكلام بين الحاضرين ( فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلَا تَلَوْنَهُ ) أى لوطا ومتبعيه فغير كان جواب واسمه أن قالوا ( مَنْ قَدْ يَتَّبِعُهُمْ ) إنهم أناس يتطهرون ) يتزهون عن القاذورات ينكرون هذا العمل القذر ويفظفون إنكارهم وقيل هو استهزاء بكقوله إنك لأنت الحليم الرشيد ( فَأَنْجَيْنَاهُ ) نجفصناه من العذاب الواقع بالقوم ( وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا ) بالتشديد سوى حماد وأبى بكر أى قدرنا كونها ( مِنَ النَّاصِرِينَ ) من الباقين فى العذاب ( وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ) حجارة مكتوبا عليها اسم صاحبها ( فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ) الذين لم يقبلوا الإنذار ( قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ) امر رسوله محمدا ﷺ بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شىء وهو تعليم لكل متكلم فى كل أمر دى بال بأن يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما أو هو خطاب للوط عليه السلام بأن يحمده الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم ( أَلَمْ يَخَيْرْكُمْ اللَّهُ خَيْرَ مَا يُشِيرُكُمْ ) بالياء بصرى وعاصم ولا خير فبا أمر كوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شىء وإنما هو إلام لهم ونهكم بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل شيئا على شىء إلا الداع يدعو به إلى إشارته من زيادة خير ومتقمة قبيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيها آثروه وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبتا لينهوا على انططا للفرط والجهل الورط

وليملوا أن الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد وكان عليه الصلاة والسلام إذا قرأها قال :  
« بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم » ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله  
فقال ( أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ) والفرق بين أم وأم في أما يشركون وأمن خلق  
السموات أن تلك متصلة إذ المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة ولما قال آله خير  
أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والأرض خير تقريراً لهم بأن من قدر على خلق العالم خير  
من حماد لا يقدر على شيء ( وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ) مطراً ( فَأَنْبَتْنَا ) صرف الكلام  
عن النبية إلى التكلم تأكيذاً للمعنى اختصاص الفعل بذاته وإيداعاً بأن إنبات الحدائق المختلفة  
الأنصاف والأنوان والعلوم والأشكال مع حسنها بماء واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده ( بِهِ )  
بالماء ( حَدَّثَاتٍ ) بساتين ، والحديقة : البستان وعليه حائط من الإحداق وهو الإحاطة ( ذَاتِ )  
ولم يقل ذوات لأن المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت ( بِهِجَّة ) حسن لأن الناظر  
يتمتع به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله ( مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ) ومعنى الكينونة  
الابتهاد أراد أن تأتي ذلك محال من غيره ( أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ ) أغيره يقرب به ، يجعل شريكاً له  
( بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ) به غيره أو يعدلون عن الحق القدي هو التوحيد وبلى هم بعد الخطاب  
أبلغ في تخطئه رأيهم ( أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ ) وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه  
( قَرَارًا ) دحائها وسواها للاستقرار عليها ( وَجَعَلَ خِلَالَهَا ) ظرف أى وسطها وهو المفعول  
الثاني والأول ( أَنْهَرًا ) وبين البحرين مثله ( وَجَعَلَ لَهَا ) للأرض ( رَوْمِي ) جبالاً تمنعها  
عن الحركة ( وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ ) العذب والمالح ( حَاجِزًا ) مانعاً أن يختلطاً ( أَوَلَمْ مَعَ  
اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) التوحيد فلا يؤمنون ( أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ )  
الاضطرار اختمال من الضرورة وهي الحالة الموجبة إلى اللجأ يقال اضطره إلى كذا والفاعل  
والمفعول مضطر والمضطر القدي أحوجه مرس أو قفر أو نازلة أو نازل من نوازل الدهر إلى اللجأ  
والتضرع إلى الله أو الذنب إذا استغفر أو المظلوم إذا دعا أو من رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة  
غير التوحيد وهو منه على خطر ( وَبَشِّرِ السُّوءَ ) الضر أو الجور ( وَيَجْعَلْكُمْ خُلَفَاءَ  
الْأَرْضِ ) أى فيها وذلك توادهم سكنها والتصرف فيها قرناً بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك  
والتسلط ( أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ) وبالياء أبو عمرو وبالتخفيف حمزة وعلى وسعصع

وما مزيدة أى تذكرون تذكرنا قليلا (أَمِنْ يَهْدِيكُمْ) يرشدكم بالنجوم (فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ) ليللا وبعلامات فى الأرض نهارا (وَمَنْ يُزِيلُ الرِّيحَ) الريح مكي وحزمة وطى (يُشْرًا) من البشارة وقد صرنا فى الأعراف (يَنْ يَدَى رَحْمَتِهِ) قدام الطر (أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمِنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ) ينشئ الخلق (ثُمَّ يُبِيدُهُ) وإنما قيل لهم ثم يبيده وهم منكرون للإعادة لأنه أزيحت عنهم بالتمكين من المعرفة والإقرار فلم يبق لهم عنو فى الإنكار (وَمَنْ يَرْزُقْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ) أى الطر (وَالْأَرْضِ) أى ومن الأرض النبات (أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) حجتكم على إشراككم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى دعواكم أن مع الله إلها آخر (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) مَنْ فاعل يعلم، والغيب هو ما لم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق مفعول والله بدل من مَنْ والمعنى لا يعلم أحد الغيب إلا الله نعم ان الله تعالى يتعالى عن أن يكون ممن فى السموات والأرض ولكنه جاء على لغة بنى تميم حيث يجرون الاستثناء النقطع جبرى المتصل ويجيزون النصب والبدل فى المنقطع كما فى المتصل ويقولون ما فى الدار أحد إلا حمار وقالت عائشة رضى الله عنها من زعم أنه يعلم ما فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول: قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله. وقيل نزلت فى المشركين حين سألوا رسول الله ﷺ عن وقت الساعة (وَمَا يَشْعُرُونَ) وما يعلمون (أَبَانَ) متى (يَبْتُمُونَ) ينشرون (بَلْ أَدْرَاكُمْ) أدرككم وبصرى ويزيدوا الفضل أى انتهى وتكامل من أدركت الفاكهة تكاملت نضجا بل أدرك عن الأعشى اقم بل أدرك غيرهم استحکم وأمله تدارك فأدغمت التاء فى الدال وزيد ألف الوصل ليتمكن التكلم بها (عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ) أى فى شأن الآخرة ومعناها، والمعنى أن أسباب استحکام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا مَعْمُونَ) والإضرابات الثلاث تنزىل لأحوالهم وتكرير لجهلهم وسفهم أولا بأنهم لا يشعرون وقت البعث ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بأنهم يخبطون فى شك وصرية فلا يزيلونه والإزالة مستطاعة ثم بما هو أسوأ حالا وهو السى وقد جعل الآخرة مبتدأ مام ومنشأ فلذا عداه بمن دون من لأن الكفر بالمعاقبة والجزاء هو الذى منهم من التدبر والتفكر ووجه ملازمة مضمون هذه الآية وهو وصف المشركين بإنكارهم البعث مع

استحكام أسباب العلم والتمسك من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وأن  
المباد لا علم لهم بشيء منه أنه لما ذكر أن المباد لا يعلمون الغيب وكان هذا مبنا لمعجز  
ووصفا لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزا أبلى منه وهو أنهم يقولون للكائن الذي  
لا بد من كونه وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن عندهم أسباب معرفة كونه  
واستحكام العلم به وجاز أن يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما قول  
لأجهل الناس ما أهلك على سبيل الخزو وذلك حيث شكوا ومروا عن إثباته الذي الطريق  
إلى علمه مسلوكة فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق إلى معرفته ويجوز أن يكون  
أدرك بمعنى انتهى وفنى من قولك أدركت النمرة لأن تلك غايته التي عندها تدم وقد فسر  
الحسن بضمحل علمهم في الآخرة وتدارك من تدارك بنوفلان إذا تنابها في الهلاك  
(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَكُنَّا نُرَبِّاَ وَآبَاؤُنَا أَكُنَّا لَمُخْرَجُونَ) من قبورنا أحياء وتكرير  
حرف الاستفهام في أنذا وأئنا في قراءة عاصم وهزة وخلف، إنكار بعد إنكار وجحود عقيب  
جحود ودليل على كفر مؤكّد مبالغ فيه والمامل في إذا مادل عليه لمخرجون وهو مخرج لأن  
اسم الفاعل والمفعول بعد هزة الاستفهام أو إن أولام الابتداء لا يمل فيما قبله فكيف إذا  
اجتمعن والضمير في إنا لهم ولآبائهم لأن كونهم ربا قد تناولهم وآبائهم لكنه غلبت الحكاية  
على النائب وآبائنا عطف على الضمير في كنا لأن المفعول جرى مجرى التوكيد (لَقَدْ وَهَدْنَا  
هَذَا) أى البعث (نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ) من قبل محمد ﷺ قدم هنا هذا على نحن  
وآبائنا وفي المؤمنون نحن وآبائنا على هذا ليدل على أن المقصود بالذكر هو البعث هنا  
وئمة المبثوثون (إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ) ما هذا إلا أحاديثهم وأكاذيبهم (قُلْ  
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) أى آخر أمر الكافرين وفي ذكر  
الإجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرائم كقوله تعالى: فقدم عليهم بهم بذنبهم. وقوله: وما  
خطيئتهم أغرقوا (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) لأجل أنهم لم يقيموك ولم يسلوا فيسلوا (وَلَا تَكُنْ  
فِي ضَلَالٍ) في حرج صدر (مِمَّا يَمْكُرُونَ) من مكرم وكيدم لك فإن الله يمسك من  
الناس يقال ضاق الشيء ضيقا بالفتح وهو قراءة غير ابن كثير وبالكسر وهو قرأته (وَيَقُولُونَ  
مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) أى وعد العذاب (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أن المذاب نازل بالكذب (قُلْ

عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ) استعجلوا العذاب الموعود قبل لم  
عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام لتأكيد كالباء في ولا تلقوا  
بأيديكم إلى التهلكة أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه تبكم  
ولحقكم، وعسى ولمل وسوف في وعد الملوك ووعدهم يدل على صدق الأمر وجده فعل ذلك  
جرى وعد الله ووعيده (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَعْلٍ ) أى إفضال ( عَلَى النَّاسِ ) بترك المماثلة  
بالعذاب ( وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ) أى أكثرهم لا يرفقون حق النعمة فيه  
ولا يشكروه فيستعجلون العذاب بجهلهم (وَإِنَّ رَبَّكَ لَكَيْلٌ مَا تَكِينُ) تخفى (مُدْوَرُهُمْ  
وَمَا يُؤْلِنُونَ ) يظهرون من القول فليس تأخير العذاب عنهم غفاه حالهم ولكن له وقت مقدر  
أو أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله ﷺ ومكائدهم وهو معاقبهم على ذلك  
بما يستحقونه وقرئ تَكْنُ يُقال كنفث الشيء وأكنفته إذا سترته وأخفيته (وَمَا مِنْ فَايَةٍ  
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ) سمي الشيء الذى ينبى ويخفى غائبة وخافية والثاء  
فيهما كالتاء في العاقبة والمافية ونظائرهما الرمية والذبيحة والنطيحة في أنها أسماء غير صفات  
ويجوز أن يكونا صفتين وتأوهما اللبالة كالراوية كأنه قال وما من شيء شديد النبوبة إلا  
وقد علمه الله وأحاط به وأثبتته في اللوح المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة  
( إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ بَقُصٌّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ ) أى بين لهم ( أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ  
يَخْتَلِفُونَ ) فإنهم اختلفوا في السبع فتحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة  
حتى لمن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلفوا  
يريد اليهود والنصارى ( وَإِنَّهُ ) وإن القرآن ( كَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ) لمن أنصف منهم  
وآمن أى من بنى إسرائيل أو منهم ومن غيرهم ( إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ ) بين من آمن  
بالقرآن ومن كفر به ( بِحُكْمِهِ ) بعده لأنه لا يقضى إلا بالعدل فسمى المحكوم به حكما  
أو بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة ( وَهُوَ أَنْزِلُهُ ) فلا يرد قضاءه ( الْعَالَمِ )  
بمن يقضى له وبمن يقضى عليه أو المزب في انتقامه من البطلين العليم بالفصل بينهم وبين الحقين  
( فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ) أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين ( إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ  
الْمُبِينِ ) ودلل التوكل بأنه على الحق الأبلغ وهو الدين الواضح الذى لا يتعلق به شك وفيه

بيان أن صاحب الحق حقيق بالوقوف بالله وببصرته (إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْقَوْلَ وَلَا تَشْفَعُ  
لِلصِّمِّ الدُّعَاءُ إِذَا وَلَوْ أَمْذِيرِينَ وَمَا أَنْتَ بِصَدِّى الْمَعْنَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ) لما كانوا لا يسمون  
ما يسمون ولا به يتفهمون شبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس وبالصم الذين ينفق بهم  
فلا يسمعون وبالصمى حيث يضنون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة  
بصراء إلا الله تعالى ثم أكد حال الصم بقوله إذا ولوا مدبرين لأنه إذا تباعد عن الداعى بأن  
تولى عنه مدبرا كان أبعد عن إدراك صوته، ولا يسمع الصم مكي وكذا فى الروم وما أنت تهدى  
الصمى وكذا فى الروم حمزة (إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) أى ما يجدى إسماعك إلا  
على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أى يصدقون بها (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) غلصون من قوله على  
من أسلم وجهه لله يعنى جعله سالماً لله خالصاً له (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ) سعى معنى القول  
ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والمذاب ووقوعه حصوله والمراد مشاركة الساعة  
وظهور أشراتها وحين لا تنفع التوبة (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) هى  
الجساسة، فى الحديث: طوهاستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ولها أربع قوائم  
وزغب وريش وجناحان. ونيل لها رأس نور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نملة  
وسدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بغير وما بين الفمطين اثنا عشر ذراعا  
تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية فتقول (أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) أى لا يوقنون  
بمخروجي لأن خروجها من الآيات وتقول الا لعنة الله على الظالمين أو تكلمهم يطلان الأديان  
كلها سوى دين الإسلام أو بأن هذا مؤمن وهذا كافر وفتح ان كوفى ومهل على حذف الجاه  
أى تكلمهم بأن وغيرهم كسروا لأن الكلام بمعنى القول أو بإضمار القول أى تقول الدابة  
ذلك ويكون المعنى بآيات ربنا أو حكاية قول الله تعالى عند ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال  
(وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) من التمييز أى واذا ذكر يوم نجتمع من كل أمة من  
الأم زمرة (مِّنْ كُلِّ مَكْدَبٍ) من للتبئين (بِآيَاتِنَا) المنزلة على أنبيائنا (فَهُمْ يُوزَعُونَ)  
يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون إلى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة  
العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ) حضروا موقف الحساب  
والسؤال (قَالَ) لهم تعالى تهدينا (أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِنَا) المنزلة على وصى (وَلَمْ تُحِيطُوا

بِهَا عَلِمًا) الواو الحال كأنه قال أ كذبتهم بآياتي بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدى إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب (أَنَا ذَا كُنْتُمْ تَمَلُّونَ) حيث لم تفكروا فيها فإنكم لم تخلقوا عبثاً (وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَمُمْ لَا يَنْطِقُونَ) أى يشام المذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيضلهم عن النطق والاعتذار كقوله: هذا يوم لا ينطقون (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) حال، جعل الإيمار للنهار وهولأهله والتقابل مراعى من حيث المعنى لأن معنى مبصرا ليصروا فيه طرق القلب في المكاسب (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يُوْمِنُونَ) يصدقون فيمتدرون، وفيه دليل على صحة البعث لأن معناه ألم يعلموا أننا جعلنا الليل والنهار قواما لماشهم في الدنيا ليعلموا أن ذلك لم يبعث عبثا بل عنة واجتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب وعقاب فإذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار أخرى للثواب والعقاب (وَيَوْمَ) واذا كر يوم (يُنْفِخُ فِي الصُّورِ) وهو قرن أو جمع سورة والنافخ إسرأفيل عليه السلام (فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) اختير فزع على يفزع للإشمار بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصقون (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) إلا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل وإسرأفيل ومك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وقيل المحور وخزنة النار وحلة العرش، وعن جابر رضى الله عنه منهم موسى عليه السلام لأنه سبق مرة، ومثله: ونفخ في الصور فصمق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله (وَكُلُّ أُنُوفٍ) حمزة وحفص وخلف، آتوه غيرهم وأصله آتوه (ذَٰخِرِينَ) حال أى صافرين ومعنى الإتيان حضورهم للوقوف ورجوعهم إلى أمره تعالى واقعيادهم له (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا) بفتح السين شامى وحمزة ويزيد وحاصم وبكسرهما غيرهم حال من المخاطب (جَايِدَةً) واقفة محسكة عن الحركة من جهد فى مكانه إذا لم يبرح (وَهِيَ تَمْزُجُ) حال من الضمير النصبوب فى تحسبها (مَرَّةً السَّحَابِ) أى مثل مر السحاب والمعنى أنك إذا رأيت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة فى مكان واحد لمظلمها وهى تيسر سيرا سريما كالسحاب إذا ضربته الريح وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تبين حركتها كما قال النابغة فى سفة جيش .

بأرعن مثل الطلود تحسب أنهم وقوف للحاج والركاب تهملج

(سُئِلَ اللَّهُ) مصدر عمل فيه ما دل عليه تمر لأن مرورها كمر السحاب من صنع الله فكأنه قيل صنع الله ذلك صنعا وذكر اسم الله لأنه لم يذكر قبل (الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) أى أحكم خلقه (إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) يفعلون مكي وبصرى غير سهل وأبو بكر غير يحيى وغيرهم بالتاء أى أنه عالم بما يفعل المباد فيكافئهم على حسب ذلك ثم تلخص ذلك بقوله (مَنْ جَاءَهُ بِالْحَسَنَةِ) أى يقول لا إله إلا الله عند الجمهور (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) أى فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لا يكون خير بمعنى أفضل ويكون منها فى موضع رفع صفة لغير أى بسببها (وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ) كوفى أى من فزع شديد مغرط الشدة وهو خوف النار أو من فزع ما وإن قل، وبغير تنوين غيرهم (يَوْمَئِذٍ) كوفى ومدنى، وبكسر الميم غيرهم والراد يوم القيامة (ءَامِنُونَ) آمن يمدى بالجوار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله (وَمَنْ حَكَاهُ بِالسَّيِّئَةِ) بالشرك (فَكَذَّبْتَ) التبيت (وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) يقال كببت الرجل ألقيته على وجهه أى ألقوا على رؤوسهم فى النار أو عبر عن الجلبة بالوجه كما يعبر بالأس والرقة فيها أى ألقوا فى النار ويقال لهم نكبنا عند السكب (هَلْ نُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فى الدنيا من الشرك والمأصى (إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ) مكة (الَّذِي حَرَّمَهَا) جعلها حراما آمنا يأمن فيها اللاجئ إليها ولا يحتل خلاها ولا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها (وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ) مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والآخرة (وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) المنافذين له (وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ) من التلاوة أو من التلو كقوله: وأتبع ما يوحى إليك من ربك، أمر رسوله بأن يقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أعبد له شركا كما فعلت قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الإسلام وأن أتلو القرآن لأعرف الحلال والحرام وما يقتضيه الإسلام وخص مكة من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه وأعظمها عنده وأشار إليها بقوله هذه إشارة تنظيم لها وتقريب دالا على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذى هو خاص وصفها وجعل دخول كل شئ تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لسخولها تحتهما (فَمَنْ افْتَدَى) باتباعه إياى فيها أنا بصده من توحيد الله ونفى الشركاء عنه والسخول فى الملة الحنيفية واتباع ما أنزل على من الوحى (فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ) لفنسة اهتدائه راجمة إليه لا إلى (وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا أَنَا مِنَ



الْمُنْذِرِينَ) أى ومن شل ولم يقمى فلا على وما أنا إلا رسول منقر وما على الرسول إلا  
 البلاغ المبين (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ءَابَتْهُ فَتَمَرُّوْنَهَا) ثم أمره أن يحمد الله على ما  
 خوله من نعمة النبوة التى لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيرهم الله من آياته فى  
 الآخرة فيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر والسخان وما حل بهم من قنات الله فى الدنيا  
 (وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ مِّمَّا تَعْمَلُونَ) بالثناء مدنى وشامى وحفص ومقبوب خطاب لأهل  
 مكة وبالياء غيرهم أى كل عمل يعملونه فإن الله عالم به غير فافل عنه فالتفلة والسهو  
 لا يجوزان عليه .

### ( سورة القصص مكية ثمانون وعان آيات )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( طسَمَ تَكَ ءَابَتْ اَلْكِتَابِ الْبَيْنِ ) يقال بان الشئ وابان بمعنى واحد ويقال ابنته  
 فأبان لازم ومتعد أى بين خيره وبركته أومبين للحلال والحرام والوعد والوعيد والإخلاص  
 والتوحيد ( نَعْلُوا عَلَيْكَ ) قرأ عليك أى بقرؤه جبريل بأمرنا ومفعول نعلو ( مِنْ نَبِإٍ  
 مُوسَى وَفِرْعَوْنَ ) أى تلو عليك بعض خبرهما ( بِالْحَقِّ ) حال أى عتقين ( لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ )  
 لمن سبق فى علمنا أنه مؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم ( إِنْ فِرْعَوْنَ ) جملة  
 مستأنفة كالتفسير للجمل كأن قائل قال وكيف كان نبؤهما فقال إن فرعون ( عَلَا ) طنى  
 وجاوز الحد فى الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسى العبودية ( فِي الْأَرْضِ ) أى أرض  
 مملكته يبنى مصر ( وَجَمَلْ أَهْلَهَا شِيَمًا ) فرقاً يشيمونه على ما يريد ويطيعونه: لا يملك أحد  
 منهم أن يلوى عتقه أو فرقا مختلفة بكرم طائفة ويهين أخرى فأكرم القبطى وأهان الإسرائيل  
 ( يَسْتَضِفُّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ ) هم بنو إسرائيل ( يُذَيِّعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْجِرُ نِسَاءَهُمْ )  
 أى يترك البنات أحياء للخدمة، وسبب ذبح الأبناء أن كاهنا قال له يولد مولود فى بنى إسرائيل  
 يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم ينفعه القتل  
 وإن كذب فما معنى القتل، ويستضف حال من الضمير فى وجمل أو صفة لشيما أو كلام

مستأنف ويذبح بدل من يستضف (إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) أى إن القتل ظلما إنما هو فعل المفسدين إذ لا طائل نَحْتَهُ صدق الكاهن أو كذب (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ) تنفضل وهو دليل لنا فى مسألة الأسلح وهذه الجملة مطبوعة على إن فرعون علا فى الأرض لأنها نظيرة تلك فى وقوعها تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصا له أحوال من يستضف أى يستضمفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم وإرادة الله تعالى كائنه جعلت كالمقارنة لاستضمافهم (عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَمُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجَّلَهُمْ أَتَمَّةً) قادة يقتدى بهم فى الخير أو قادة إلى الخير أو ولاة وملوكا (وَنَجَّلَهُمُ الْوَارِثِينَ) أى يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم (وَنُمَكِّنَ) مكن له إذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد، ومعنى التمكين (أَهْمُ فِي الْأَرْضِ) أى أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا تنبؤ بهم ويسلطهم وينفذ أمرهم (وَنُرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَسَ وَجُوذُهُمَا) بضم النون ونصب فرعون وما بعده، وبالياء ورفع فرعون وما بعده على وحشة أى يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم، ويرى نصب عطف على النصبوب قبله كقراءة النون أو رفع على الاستثناء (مِنْهُمْ) من بنى إسرائيل ويتعلق بمرى دون يحذرون لأن الصلة لا تتقدم على الموصول (مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) الحذر: التوقى من الضرر (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ) بالإلهام أو بالرؤيا أو بإخبار ملك كما كان لريم وليس هذا وحى رسالة ولا تكون هى رسولا (أَنْ أَرْضِيهِ) أن يعنى أى أو مصدرة (فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ) من القتل بأن يسمع الجيران صوته فيمنو عليه (فَأَقْبِهِ فِي الْبَيْتِ) البحر، قيل هو نيل مصر (وَلَا تَخَافِي) من النرق والضياع (وَلَا تَحْزَنِي) بفراقه (إِنَّا رَأَدُّوهُ ل إِلَيْكَ) بوجه لطيف لثريته (وَجَاءَ أَوُّهُ مِنَ الثَّرْسَلِينَ) وفى هذه الآية أمران ونهيان وخبران وبشارتان والفرق بين الخوف والحزن أن الخوف غم يلحق الإنسان لتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به فنهبت عنهما وبشرت برده إليهما وجمله من المرسلين. وروى أنه ذبح فى طلب موسى تسعون ألف وليد وروى أنها حين ضربها الطلق وكانت بعض التوابل اللوكلات بجبال بنى إسرائيل مضافة لها فمالجتها فلما وقع إلى الأرض هالما نور بين عينيه ودخل حبه قلبها فقالت ما حشك إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله

فاحتفظ به فلما خرجت القابلة جاءت عيون فرعون فلفته في خرقة ووضمته في تنور مسجور  
لم تلم ماتصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئاً فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمت  
بكاؤه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار بردا وسلاما فلما ألح فرعون في طلب الوندان  
أوحى إليها بإلقائه في اليم فألقته في اليم بعد أن أرضعته ثلاثة أشهر (فَأَلْقَتْهُ الْإِمْلُ فِرْعَوْنُ)  
أخذه، قال الزجاج كان فرعون من أهل فارس من اسطرخر (لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا) أى يصير انصر  
إلى ذلك لأنهم أخذوه لهذا كقولهم للموت مائله الوالدة وهي لم تلد لأن يموت ولها ولكن  
المصير إلى ذلك كذا قاله الزجاج وعن هذا قال المفسرون: إن هذه لام العاقبة والصيرورة. وقا  
ساحب الكشف هي لأم كي التي معناها التمليل كقولك جئتكم لتكرمنى ولكن معنى  
التمليل فيها وارد على طريق المجاز لأن ذلك لما كان نتيجة التقاطع له شبه بالدمى الذى يغفل  
الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذى هو نتيجة الحمى\* (وَحَزَنًا) وحزنا على وحزة وهما فتنان  
كالدم والدم (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَّ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِلِينَ) خاطين تخفيف هـ شين  
أبو جعفر أى كانوا مذبذبين فما قبهم الله بأن ربى عدوم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم أو كروا  
خاطئين في كل شئ فليس خطؤهم في تربية عدوم يدع منهم (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ نَرْتُ  
عَيْنِي لَئِيْلًا) روى أنهم حين التقطوا التابوت طالجوا فتحمه فلم يقدروا عليه فمالجوا كسره فأعيام  
فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فمالجته ففتحه فإذا يصبي نوره بين عينيها فأحبهه  
وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت إلى وجهه فبرئت، فقالت النواة من قومه هو الذى نخذل منه  
فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عينى ولك فقال فرعون: لك، لالى وفى الحديث  
لو قال كما قالت لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل الفرض أى لو كان غير مطبوع على  
قلبه كآسية لقال مثل قولها وكان أسلم كما أسلمت وقرة خير مبتدأ محذوف أى هو قرة دلى  
ولك صفتان لقرة (لَا تَقْتُلُوهُ) خاطبته خطاب الملوك أو خاطبت النواة (عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا)  
فإن فيه غايل اليمين ودلائل النفع وذلك لما طابت من النور وبرء البرصاء (أَوْ نَنْفِذَهُ وَنَكَا)  
أو تنبئناه فإنه أهل لأن يكون ولدا للملوك (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) حال، وذو حالها آل فرعون  
وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا، وقالت امرأة فرعون كذا هم  
لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبينه وقوله إن فرعون الآية

جمله اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمنى خطيئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب الماعاني والبيان (وَأَصْبَحَ) وصار (قَوَادُّ أُمَّ مُوسَى قُرُوعًا) صفرا من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه في يد فرعون (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ) لتظهر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها. قيل لمارأت الأمواج تلعب بالتابوت كادت تمسح وتقول: وا ابناء وقيل لما سمعت أن فرعون أخذ التابوت لم تشك أنه يقتله فكادت تقول: وا ابناء شفقة عليه وإن خففة من الثقلية أى إنها كادت (تَوَلَّى أَنْ رِبْطَنَا عَلَى قُلُوبِنَا) لولا ربطنا على قلبها والربط على القلب تهويته بإلهام الصبر (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) من المصدقين بوعدنا وهو إنا رادوه إليك وجواب لولا محذوف أى لأبدته أو فارقا من الهم حين سمعت أن فرعون تبناه إن كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طأمتنا قلبها وسكننا قلقه الذى حدث به من شدة الفرح لتسكون من المؤمنين الراضين بوعد الله لابنتي فرعون، قال يوسف بن الحسين أمرت أم موسى بشيئين ونهيت من شيئين وبشرت بشارتين فلم ينفعها السكك حتى تولى الله حياتها فربط على قلبها (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ) صميم (قُصِّيه) اتبى أثره لتعلمي خبره (فَبَصَّرَتْ بِهِ) أى أبصرته (عَنْ جُنُبٍ) من بعد حال من الضمير فى به أو من الضمير فى بصرت (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) أنها اخته (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ) تحريم منع لا تحريم شرع أى منعناه أن يرضع ثديا غير ثدى أمه وكان لا يقبل ثدى مرضع حتى أهمهم ذلك. والراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع وهو الثدي أو الرضاع (مِنْ قَبْلُ) من قبل قصها أثره أو من قبل أن زده على أمه (فَقَالَتْ) أخته وقد دخلت بين الراضع ورأته لا يقبل ثديا (هَلْ أَذِلُّكُمْ) أرشدكم (عَلَى أَهْلٍ يَنْتَرِ يَكْفُلُونَهُ) أى موسى (لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ) النصيح إخلاص العمل من شائبة الفساد روى أنها لما قالت وهم له ناصحون قال هاهنا: إنها لتعرفه ونرف أهله تخفوها حتى تخبر بقصة هذا النلام، فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون فانتقلت إلى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعمله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ربحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدى إلا ثديك فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة الدين لا أوتى بصبي إلا قبلنى فدمعه إليها وأجرى

عليها وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده في الرد فمئذها ثبت واستقر في عليها أنه سيكون نبياً وذلك قوله (فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ فِتْنَهَا) بالقام معه (وَلَا تَحْزَنْ) بفراقه (وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) أي وليثبت عليها مشاهدة كما علمت خبراً وقوله ولا تحزن مطوف على تهر وإثما حل لها مأتاخذ من الدينار كل يوم كما قال السدي لأنه مال حربى لأنه أجرة على إرضاع ولها (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) هو داخل تحت عليها أي تعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) بلغ موسى نهاية القوة وتحام القمل وهو جمع شدة كنعمه وأنتم عند سيوبه (وَأَسْتَوَىٰ) واعتدل وتم استحكامه وهو أربعون سنة ويروى أنه لم يمض نبي إلا على رأس أربعين سنة (عَاثَيْنَاهُ حُكْمًا) نبوة (وَعِلْمًا) فقها أو علماً بمصالح الدارين (وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) أي كما فعلنا بموسى وأمه ففعل بالؤمنين. قال الزجاج جعل الله تعالى إيتاء العلم والحكمة مجازاة على الإحسان لأنهما يؤديان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين والعالم الحكيم من يعمل بعله لأنه تعالى قال : ولبس ما شروا به أنفسكم لو كانوا يعلمون. فجعلهم جهالاً إذ لم يعلموا بالعلم (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ) أي مصر (عَلَىٰ حِينٍ فَعَلَّةٍ مِّنْ أَهْلِهَا) حال من الفاعل أي غتفيا وهو ما بين المشاءين أو وقت القائلة يعنى اتصاف النهار وقيل لما شب وهطل أخذ يتكلم بالحق ويذكر عليهم فأخافوه فلا يدخل المدينة إلا على تنفل (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ) ممن شايه على دينه من بنى إسرائيل قبل هو السامري، وشعبة الرجل: أتباعه وأنصاره (وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ) من مخالفيه من القبط وهو فاثون، وقيل فيهما هذا وهذا وإن كانا غائبين على جهة الحكاية أي إذا نظر إليهما الناظر قال هذا من شيعة وهذا من عدوه (فَاسْتَنْصَرَهُ) الذي من شيعة على الذي من عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ) ضربه بجميع كفه أو بأطراف أصابعه (فَقَضَىٰ عَلَيْهِ) قتله (قَالَ هَٰذَا) إشارة إلى القتل الحاصل بغير قصد (مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) وإنما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلماً لنفسه واستغفر منه لأنه كان مستأثماً فيهم ولا يحل قتل الكافر الحرى المستأمن أو لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل، وعن ابن جريج ليس لنبي أن يقتل مالم يؤمر (إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) ظاهر المداوة (قَالَ رَبُّ) يارب (إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) يفعل

سار قتلا (فَاغْفِرْ لِي) زلتني (فَمَغَّرَ لَهُ) زلته (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ) بإقالة الزلل (الرَّجِيمُ) بإزالة الخجل (قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا) مميّنا (الْمُجْرِمِينَ) للكافرين  
 وبما أنعمت على قسم جوابه محذوف تقديره أقسم بإمامك على بالمغفرة لأنون فلن أكون  
 ظهيرا للمجرمين أو استعطف كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون  
 إن عصمتني ظهيرا للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين محبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره  
 سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا) على نفسه  
 من قتله القبطي أن يؤخذ به (يَتَرَقَّبُ) حال أي يتوقع المكروه وهو الاستفادة منه أو الأخبار  
 أو ما يقال فيه، وقال ابن عطاء: خائفاً على نفسه يترقب نصرة ربه وفيه دليل على أنه لا بأس  
 بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس انه لا يسوغ الخوف من دون الله (فَإِذَا  
 الَّذِي) إذا المفاجأة وما بعدها مبتدأ (اسْتَنْصَرَهُ) أي موسى (بِالْأُمِّسِ) بِسْتَنْصَرُخُهُ  
 يستنيثه والمعنى أن الإسرائيل الذي خلصه موسى استغاث به ثانيا من قبطي آخر (قَالَ لَهُ  
 مُوسَى) أي للإسرائيلي (إِنَّكَ لَتَمُوتُ مَيِّتًا) أي ضال عن الرشد ظاهر النفي فقد قاتلت  
 بالأمس رجلا قتلته بسيفك والرشد في التدبير أن لا يفعل فعلا يفضي إلى البلاء على نفسه  
 وعلى من يريد نصرته (فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ) موسى (أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي) بالقبطي الذي (هُوَ  
 عَدُوٌّ لَهُمَا) لموسى والإسرائيلي لأنه ليس على دينهما أو لأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل  
 (قَالَ) الإسرائيلي لموسى عليه السلام وقد توم أنه أراد أخذه لا أخذ القبطي إذ قال له إنك  
 لغوي ميم (يُمُوسَى) أَنْزَيْدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا) يعني القبطي (بِالْأُمِّسِ) (إِنْ تَرِيدُ)  
 ما تريد (إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا) أي قتالا بالنصب (فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (وَمَا تَرِيدُ  
 أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) في كظم الغيظ وكان قتل القبطي بالأمس قد شاع ولكن خفي  
 قاتله فلما أنشئ على موسى عليه السلام علم القبطي أن قاتله موسى فأخبر فرعون فهموا بقتله  
 (وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ) هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون (يَسْمَى)  
 صفة لرجل أو حال من رجل لأنه وصف بقوله من أقصى المدينة (قَالَ يُمُوسَى) (إِنْ أَمْلَأُ  
 يَأْتِمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلَنَّكَ) أي يأمر بعضهم بعضاً بقتلك أو يقشاورون بسيفك والاثثار التشاور  
 يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر

(فَاخْرُجْ) من المدينة (إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) لك بيان وليس بصلة الناصحين لأن الصلة لا تتقدم على الموصول كأنه قال إني من الناصحين ثم أراد أن يبين فقال لك كما يقال سقيا لك ومرحبا لك (فَفَخَرَجَ) موسى (منها) من المدينة (خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) التمرض له في الطريق أو أن يلحقه من يفتله (قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أى قوم فرعون (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ) نحوها ، والتوجه الإقبال على الشيء ، ومدين قرية شبيب عليه السلام سميت بمدين بن إبراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام قال ابن عباس رضى الله عنهما: خرج ولم يكن له علم بالطريق إلا حسن الظن بربه (قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَ لِيَ سَوَاءَ السَّبِيلِ) أى وسطه وممظم نهجه فجاءه ملك فأنطلق به إلى مدين (وَلَمَّا وَرَدَ) وصل (مَاءَ مَدْيَنَ) ماء م الذي يسقون منه وكان بئرًا (وَجَدَ عَلَيْهِ) على جانب البئر (أُمَّةً) جماعة كثيرة (مِنَ النَّاسِ) من أناس مختلفين (يَسْقُونَ) مواشيهم (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ) في مكان أسفل من مكانهم (امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) تطردان غنمهما عن الماء لأن على الماء من هو أقوى منهما فلا تستكان من السقى أولئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم والتود الطرد والدفع (قَالَ مَا غَطَبُكُمْ) ما شأنكما وحقيقته ما غطوبكما أى ما مطلوبكما من القباد فسمى المخطوب خطأ (قَالَتَا لَأَنسُقِي) غنمنا (حَتَّى يُصْدَرَ الرَّحْمَاءُ) مواشيهم يصدر شامى ويزيد وأبو عمرو أى يرجع، والدعاء جمع دواع كقيام وقيام (وَأَبُونَا شَيْخٌ) لا يمكنه سقى الأغنام (كَبِيرٌ) فى حاله أوفى السن لا يقدر على رعى الغنم، أبدنا إليه غنمها فى توليها الحق بأنفسهما (فَسَقَى لَهُمَا) فسقى غنمهما لأجلهما رغبة فى المروف وإثابة للملوف روى أنه نحى القوم عن رأس البئر وسألهم دلوا فأعطوه دلوهم وقالوا استقى بها وكانت لا يزعها إلا أربعون فاستقى بها وصباها فى الحوض ودعا بالبركة وترك للمفلول فى يسقون وتذودان ولا نسقى وفسقى لأن النرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه إنعسا رحهما لأنهما كاتتا على القباد وم على السقى ولم يرجهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلا وكذا فى لانسقى وفسقى فالقصود هو السقى لا المسمى ووجه مطابقة جوابها سؤاله أنه سألهما عن سبب التود فقاتتا السبب فى ذلك أنا امرأتان مستورتان ضيفتان لا تقدر على مزاحمة الرجال ونستحى من الإختلاط بهم فلا بدلنا من تأجير السقى إلى أن يغرفوا وإنما رضى شبيب عليه السلام لا يبتئيه بسقى الماشية لأن هذا الأمر فى نفسه ليس

محظور والدين لا ياباه وأما الروءة فمادات الناس في ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف  
أحوال المجمع ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضرة خصوصا إذا كانت الحالة حالة  
ضرورة (لَمْ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ) أي ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف ما يقوله  
بعض المتشقة ولما طال البلاء عليه أنس بالشكوى إذ لا تقص في الشكوى إلى المولى (فَقَالَ رَبِّ  
إِنِّي لِمَا لَا شَيْءَ) (أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ) قليل أو كثير غث أو سمين (فَقِيرٌ) محتاج، وعدى فقير  
باللام لأنه ضمن معنى سائل ومطالب قيل كان لم يذق طعاما سبعة أيام وقد لصق بظهره بطنه  
ويحتمل أن يريد أنى فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلى من خير الدين وهو النجاة من الظالمين  
لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السنى وفرحا به وشكرا له وقال  
ابن عطاء نظر من العبودية إلى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من الأنوار  
(فَجَاءَهُ إِحْدَهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِخْيَاةٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا)  
على استخياء في موضع الحال أى مستحية وهذا دليل كمال إيمانها وشرف عنصرها لأنها كانت  
تدعوه إلى ضيافتها ولم تعلم أيجهها أم لا فأنته مستحية قد استترت بكم درعها، وما في ما سقيت  
مصدرية أى جزاء سقيك روى أنها لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حُتِلَ قال لهما  
ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لإحداها اذهبي فادعيه لى فتبعها  
موسى عليه السلام فأثرت الريح نوبها بجسدها فوسفته فقال لها: امشي خلفي وانمى لى الطريق  
(فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ) أى قصته وأحواله مع فرعون، والقصة مصدر كالمثل سمي  
به القصص (قَالَ) له (لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) إذ لا سلطان لفرعون  
بأرضنا وفيه دليل جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا أو أنثى والمشى مع الأجنبية مع ذلك  
الاحتياط والتورع وأما أخذ الأجر على البر والمروف قليل إنه لا بأس به عند الحاجة كما كان  
لوسى عليه السلام على أنه روى لهما ما قالت ليحزيك كره ذلك وإنما أجابها لثلا محجب  
قصدها لأن للقاصد حرمة ولما وضع شبيب الطعام بين يديه امتنع فقال شبيب ألسنت جائنا  
قال بلى ولكن أخاف أن يكون عوضا عما سقيت لهما وأنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا  
ولا نأخذ على المروف ثمنا فقال شبيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من يتزل بنا فأكل  
(قَالَتْ إِحْدَهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْ) اتخذه أجيرا أرمى الفم روى أن كبراهما كانت تسمى



صفراء والعنبرى صفراء، وصفراء هي التي ذهبت به وطلبت إلى أبيها أن يستأجره وهي التي تزوجها ( إِنْ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ ) فقال وما عليك بقوته وأمانته فذكرت نزع الدلو وأمرها بالشئ خلفه وورد الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أن أمانته وقوته أمران متحققان وقولها إن خير من استأجرت القوى الأمين كلام جامع لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقيل القوى في دينه الأمين في جوارحه وقد استنفت بهذا الكلام الجاري مجرى المثل عن أن تقول استأجره لقوته وأمانته. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أفرس الناس ثلاث بنت شبيب وصاحب يوسف في قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر في عمر ( قَالَ لِيَّ أَرِيدُ أَنْ أُنَكِّحَكَ ) أزوجك ( لِيُحْدِثَ ابْنَتِي هَاتَيْنِ ) قوله هاتين يدل على أنه كان له غيرها وهذه مواعدة منه ولم يكن ذلك عقد نكاح إذ لو كان عقدا لقال قد أنكحتك ( عَلَىَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ) تكون أجيرا لي من أجرته إذا كنت له أجيرا ( ثَمَنِي حَجَجِر ) ظرف والحجة السنة وجمعها حجج والزوج على رمي النعم جاز بالإجماع لأنه من باب القيام بأمر الزوجية فلا مناقضة بخلاف الأزواج على الخدمة ( فَإِنْ أُنْمَمْتَ عَشْرًا ) أي عمل عشر حجج ( فَمِنْ عِنْدِكَ ) فذلك تفضل منك ليس بواجب عليك أو فإعماه من عندك ولا أحتمه عليك ولكنك إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع ( وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ) يلزم أتم الأجلين، وحقيقة قولهم: شقت عليه وشق عليه الأمران الأمر إذا تماطلت فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وطورا لا أطيقه ( سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ) في حسن المعاملة والوفاء بالمهد ويموح أن يراد الصلاح على الموموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراطه مشيئة الله في وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومموته لأنه إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل ذلك ( قَالَ ) موسى ( ذَلِكَ ) مبتدأ وهو إشارة إلى ما عاهد عليه شبيب والخير ( بَيْنِي وَبَيْنَكَ ) يعني ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لأننا فيها شرطت على ولا أنت فيها شرطت على نفسك ثم قال ( أَيُّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ ) أي أي أجل قضيت من الأجلين يعني العشرة أو الثمانية وأي نسب بقضيت وما زائدة ومؤكدة لإيهام أي وهي شرطية وجوابها ( فَالَا عُدُونَنَّ عَلَيَّ ) أي لا ابتدئ علي في طلب الزيادة عليه، قال المبرد: قد علم

أنه لا عدوان عليه في أيهما ولكن جميعهما يجعل الأقل كالأنتم في الوفاء وكما أن طلب الزيادة على الأنتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الأقل (وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) هو من وكل إليه الأمر، وعدي بلى لأنه استعمل في موضع الشاهد والرقب. روى أن شعيبا كانت عنده عصي الأنبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل أدخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب فسها وكان مكفوفاً ففطن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فلم أن له شأنًا ولما أصبح قال له شعيب إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن السكلا وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى النثم فأخذت النثم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ففشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا التنين قد أقبل فخاربه المصا حتى قتلتته وعادت إلى جنب موسى فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولا رجع إلى شعيب من النثم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والمصا شأنًا وقال له: إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرءاء فأوحى إليه في المنام أن اضرب بمصالك مستقى النثم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن أدرع ودرءاء فوفى له بشرطه (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ) قال عليه السلام «قضى أوقافها وتزوج صغراها» وهذا بخلاف الرواية التي مرت (وَسَارَ بِأَهْلِهِ) بامرأته نحو مصر. قال ابن عطاء: لما تم أجل الحنة ودنا أيام الزلفة وظهرت أنوار النبوة سار بأهله ليشتركوا منه في لطائف صنع ربه (ءَانَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَمْ أَكُنْ مِنْكُمْ مَهَا يَنْصَرِفُ) عن الطريق لأنه قد ضل الطريق (أَوْ جَذْوَةً مِنَ النَّارِ لَمَّا كُنْتُمْ تَمْشُونَ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ) بالنسبة إلى موسى (فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ) بشكليم الله تعالى فيها (مِنَ الشَّجَرَةِ) العناب أو الموسج (أَنْ يُمُوسَى) أن مفسرة أو غففة من الثقبلة (إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْمَلَكِينَ) قال جعفر: أبصر ناراً دلته على الأنوار لأنه رأى النور في هيئة النار فلما دنا منها شعلته أنوار القدس وأحاطت به جلايب الأنس تغوطلب بالطف خطاب واستدعي منه أحسن جواب فعصار بذلك مكلماً شريفاً أعطى ما سأل وأمن مما خاف، والجذوة باللغات الثلاث وقرئ: بهن، فعاصم بفتح الجيم وحمزة وخلف بضمها وغيرم بكسرهما المود النليظ

كانت في رأسه نار أو لم تسكن، ومن الأولى والثانية لابتداء الناية أى أتمام النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطئ الواد بدل الاشمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ أى الجانب (وَأَنَّ أَلْتَى عَمَّاكَ) ونودى أن ألتى عماك فأتاها فقبلها الله ثماناً (فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ) تتحرك (كَأَنَّهَا جَاكُ) حية في سمعها وهى ثمان في جثتها (وَلَمَّا مَدَّ يَدَهَا لَمْ يُقْبَلْ) يرجع فقيل له (يَوْمَئِذٍ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ) أى أمنت من أن ينالك مكروه من الحية (اسْلُكْ) أدخل (بَدَكَ فِي جَبِّكَ) جيب قبضك (تَخْرُجُ بَيْضَاءُ) لها شمع كشمع الشمس (مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ) برص (وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) حجازى بفتحين وبصرى. الرهب خفض الرهب غيرهم ومعنى السكل الخوف والمعنى واضمم يدك إلى صدرك يذهب ما بك من فرق أى لأجل الحية. عن ابن عباس رضى الله عنهما: كل خائف إذا وضع يده على صدره زال خوفه. وقيل معنى ضم الجناح أن الله تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى وألقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقاءك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه إليه أو أريد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه عنده انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يهرب، استمارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاها وإلا فجناحه مضمومان إليه مشمران ومعنى من الرهب من أجل الرهب أى إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سبباً وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه ومعنى واضمم إليك جناحك واسلك يدك في جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الترضين إذ الترض في أحدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني إخفاء الرهب ومعنى واضمم يدك إلى جناحك في طه أدخل يمينك تحت يسارك (فَدَاكَ) مخففاً مثقياً ذاك ومشدداً مكى وأبو عمرو مثقياً ذلك فإحدى التونيين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا (بُرْهَتَانِ) حجتان نيران بينتان وبمبت الحجة برهانا لإثارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهمة (مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَتِلْكَ) أى

أرسلناك إلى فرعون وملك بهاتين الآيتين (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) كافرين (قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) به بغير ياء وبالياء يعقوب (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ) حفص (رَدِّهَا) حال أى عونا يقال ردأته أعتته وبلا همز مدنى (يُصَدِّقُنِي) ماصم وحجة صفة أى ردأ مصدقاً لى وغيرهما بالجزم جواب لأرسله ومعنى تصديقه موسى إمامته إياه بزيادة البيان في مظان الجدال إن احتاج إليه ليثبت دعواه لا أن يقول له صدقت ألا ترى إلى قوله هو أفصح منى لسانا فأرسله وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت فسحبان وبأقل فيه يستويان (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) يكذبونى في الحالين يعقوب (قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ) سنقويك به إذ اليد تشد بشدة العضد لأنه قوام اليد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور (وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا) غلبة وتسعلطا وهيبة في قلوب الأعداء (فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ) بِمَا يَدْرِكُ الباء تتعلق بيسالون أى لا يصلون إليك بسبب آياتنا وتم الكلام أو بنجعل لك سلطانا أى نسلط لك بآياتنا أو بمحذوف أى اذعبا بآياتنا أو هو بيان للثالبون لا صلة أو قسم جوابه لا يصلون مقدما عليه (أَنَّا وَمَنْ آتَيْنَاكَ الْقُلُوبَ فَلَمْ يَكُفَّهِمْ) مُوسَى بِمَا بَلَّغْنَا بَيِّنَاتٍ واضحات (قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى) أى سحر عمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله (وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى) حال منصوبة من هذا أى كائنا في زمانهم يعنى ما حدثنا بكونه فيهم (وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) أى ربى أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جملة نبيا وبمته بالهدى ووعده حسن المقبي يعنى نفسه ولو كان كما تزعمون ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لأنه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبيء الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هى العاقبة الحمودة لقوله تعالى: أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن. والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها أن يحتم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى والنفران. قال موسى بغير واو مكى وهو حسن لأن الموضع موضع سؤال ويبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات المظام سحرا مفتريا ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوافق الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما ووجه

الآخر ، ربى أعلم حجازى وأبو عمرو ومن يكون حمزة وعلى ( وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا أَتَمًّا مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ) قصد بنى علمه بآله غيره نفى وجوده أى ما لكم من إله غيرى أو هو على ظاهره وأن إلها غيره غير معلوم عنده ( فَأَوْقَدَ لِي بِهِمُنْ عَلَى الطَّيْنِ ) أى اطحى لى الآجر واتخذنه وإنما لم يقل مكان الطين هذا لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه البارة ولأنه أفصح وأشبه بكلام الجبارة إذ أمر هامان وهو وزيره بالإيقاد على الطين منادى باسمه بيا فى وسط الكلام دليل التظيم والتعجب ( فَاجْتَلَى صَرَخًا ) قعرا طاليا ( لَمَكَّى أَطْلَحْ ) أى أصدد والاطلاع الصعود (إِلَى إِلَهٍ مُوسَى) حسب أنه تعالى فى مكان كما كان هو فى مكان ( وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ ) أى موسى ( مِنْ الْكَذِبِينَ ) فى دعواه أن له إلها وأنه أرسله إلينا رسولا وقد تناقض المخدول فإنه قال ما علمت لكم من إله غيرى ثم أظهر حاجته إلى هامان وأثبت لموسى إلها وأخبر أنه غير متيقن بكذبه وكأنه يحرص من عصا موسى عليه السلام فلبس وقال لعل أطلع إلى إله موسى روى أن هامان جمع خمسين ألف بناء وبنى صرحا لم يملئه بناء أحد من الخلق فضرب الصرح جبريل عليه السلام بمحناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل وقطعة فى البحر وقطعة فى المنرب ولم يبق أحد من ماله إلا هلك (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ) تعظم (فى الأرض) أرض مصر ( يَغْفِرُ الْحَقُّ ) أى الباطل فلاستكبار بالخلق لله تعالى وهو التكبر على الحقيقة أى التبالغ فى كبرياء الشأن كما حكى رسولنا من ربه: الكبرياء ردائى والمظلمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما أقتله فى النار. وكل مستكبر سواء فاستكباره بغير الحق (وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ) يرجعون فافع وحمزة وعلى وخلف ويعقوب ( فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ) من الكلام المفخم الذى دل به على عظمة شأنه شبههم استقلالاً لصددهم وإن كانوا الجمل الغفير بحصيات أخذهن أخذ بكفه فطرحهن فى البحر (فَانظُرْ) بأعمد (كَيْفَ كَانَ عَذَابَ الظَّالِمِينَ) وحذر قومك فإنك منصور عليهم ( وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً ) قادة ( يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ) أى عمل أهل النار قال ابن مطاع: نزع عن أسرارهم التوفيق وأوارى التحقيق فهم فى ظلمات نفوسهم لا يدلون على سبيل الرشاد. وفيه دلالة خلق أفعال المباد ( وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ ) من العذاب ( وَأَنبِئْهُمْ فِي هَؤُلَاءِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ) الأوثان طردا وإبعادا عن الرخصة وقيل هو

ما ينصقهم من لمن الناس إيام بدم (وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ) الطرودين المبعدين  
أو يهلكين المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم ظرف للمقبوحين (وَلَقَدْ آتَيْنَا  
مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى) قوم نوح وهود وصالح  
ونوح عليهم السلام (بَصَافِرٍ لِلنَّاسِ) حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذى يبصر  
به تروشد والسعادة كما أن البصر نور العين الذى يبصر به الأجساد. يريد آتيناه التوراة أنوارا  
للقرب لأنها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل (وَهَدَى) وإرشادا لأنهم كانوا  
يخطون في ضلال (وَرَحْمَةً) لمن اتبعها لأنهم إذا عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة (لَعَلَّهُمْ  
يَتَذَكَّرُونَ) يتعلمون (وَمَا كُنْتَ) يا محمد (بِجَانِبِ الْجَبَلِ الْغَرِيِّ) وهو المكان الواقع  
في شق النرب وهو الذى وقع فيه ميقات موسى (إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ) أى كناه  
وفرناه نجيا (وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) من جملة الشاهدين للوحي إليه حتى تقف من جهة  
الهداية على ما جرى من أمر موسى في ميقاته (وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا) بدم موسى (قُرُونًا فَتَطَاوَلَ  
عَالَمُهُمُ الْعَمُرُ) أى طالت أعمارهم وفترت النبوة وكادت الأخبار تخفى واندرست العلوم ووقع  
التحريف في كثير منها فأرسلناك مجددا لتلك الأخبار مبينا ما وقع فيه التحريف وأعطيناك  
العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكننا  
أوحيناك إليك فذكر سبب الوحي الذى هو إطالة الفترة ودل به على السبب اختصارا فإذا هذا  
للاستدراك شبه الاستدراكين بدمه (وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا) مقيا (فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) وهم شبيب  
ولؤثمون به (تَتَلَوُا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا) تقرأها عليهم تعلمنا منهم يريد الآيات التى فيها قصة  
شبيب وقومه وتتلو في موضع نصب خبر ثان أو حال من الضمير في ثاويا (وَلَكِنَّا كُنَّا  
مُرْسِلِينَ) ولكننا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا)  
موسى أن خذ الكتاب بقوة (وَلَكِن) أعلمناك وأرسلناك (رَحْمَةً) للرحمة (مِّن رَّبِّكَ  
لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ) في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة  
وخمسون سنة (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَلَوْ لَا أَن تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ) عقوبة (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ)  
من الكفر والظلم ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدى نسبت الأعمال إلى الأيدى وإن  
كانت من أعمال القلوب تغليا للأقل على الأقل (فَيَقُولُوا) عند العذاب (رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ

إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَنَّبِعْ عَائِيكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لولا الأولى امتناعية وجوابها عذوفه  
والثانية تمضيضية والفاء الأولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها في حكم الأمر إذ الأمر  
يبحث على الفعل والباعث والمضغض من واد واحد والفاء تدخل في جواب الأمر والمعنى ولولا  
أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمأصي هلا أرسلت إلينا رسولا محتجين علينا  
بذلك لما أرسلنا إليهم يعنى أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموا كقولهم:  
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . \* فإن قلت: كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت  
المقوبة هى السبب فى الإرسال لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه \* قلت: القول هو  
القصود بأن يكون سبباً للإرسال ولكن المقوبة لما كانت سبباً للقول وكان وجوده بوجودها  
جعلت المقوبة كأنها سبب الإرسال فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفاً عليها بالفاء  
المطوية معنى السببية ويؤول معناه إلى قولك لولا قولهم هذا إذا أصابهم مصيبة لما أرسلنا  
( فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا ) أى القرآن أو الرسول المصدق بالكتاب المعجز ( قَالُوا )  
أى كفاركم ( لَوْلَا أَوْيُّ ) هلا أعطى ( مِثْلَ مَا أَوْيَّ مُوسَى ) من الكتاب المنزل جملة واحدة  
( أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا ) يعنى أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وم الكفرة  
فى زمن موسى عليه السلام ( بِمَا أَوْيَّ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ) من قبل القرآن ( قَالُوا ) فى موسى  
وهرون ( سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ) [ساحران تظاهرا] ثماونا - سحران كوفى أى ذوا سحر أو جملوهما  
سحرين مبالغة فى وصفهما بالسحر - ( وَقَالُوا إِنَّا يَكْلَهُ ) بكل واحد منهما ( كَفِيرُونَ ) وقيل إن  
أهل مكة كما كفروا بمحمد عليه السلام بالقرآن قد كفروا بموسى والتوراة وقالوا فى موسى ومحمد:  
ساحران تظاهرا أو فى التوراة والقرآن ساحران تظاهرا وذلك حين بثوا الرهط إلى رؤساء  
اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فأخبروهم أنه فى كتابهم فرج الرهط إلى قريش فأخبروهم  
بقول اليهود فقالوا عند ذلك: ساحران تظاهرا ( قُلْ فَأَنُؤَا يَكْتَبُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا )  
مما أنزل على موسى ومما أنزل على ( أَتَبَيَّنْتُمْ ) جواب قاتوا ( إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) فى أيهما  
سحران ( فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ) فإن لم يستجيبوا فدعاهم  
إلى الإنيان بالكتاب الأهنى فاعلم أنهم قد أثروا ولم تبق لهم حجة إلا اتباع الهوى ( وَمَنْ  
أَضَلَّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَبْغِرْ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ) أى لا أحد أضل ممن اتبع فى الدين هواه

وبشر هدى حال أى غذولا يحلى بينه وبين هواه (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ وَلَقَدْ  
 سَأَلْنَا لَهُمْ الْقَوْلَ لَمَلَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) التوسيل تسخير الوصل وتسكيره يعنى أن القرآن  
 أتامهم متتابعا متواصلًا وعدا ووعيدا وقمصا وعبرا ومواعظ ليتذكروا فيفعلوا (الَّذِينَ  
 أَنْزَلْنَاهُمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ) من قبل القرآن وخبر الذين (هُمْ بِهِ) بالقرآن (يُؤْمِنُونَ)  
 نزلت في مؤمنى أهل الكتاب (وَإِذَا يُتْلَى) القرآن (فَكَثِيرٌ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ  
 رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ) من قبل نزول القرآن (مُسْلِمِينَ) كائنين على دين الإسلام  
 مؤمنين بمحمد عليه السلام، وقوله إنه تعليل للإيمان به لأن كونه حقا من الله حقيق بأن يؤمن  
 به، وقوله إنا بيان لقوله آمنا لأنه يحتمل أن يكون إيماننا قريب المهدوبعده فأخبروا بأن إيمانهم به  
 متفاد (أَوَلَيْكَ يَوْمَانِ أَجْرَهُم مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) بصبرهم على الإيمان بالنبوة والإيمان  
 بالقرآن أو بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبمد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين  
 وأهل الكتاب (وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) يذفون بالطاعة المصيبة أو بالحلم الأذى  
 (وَبِمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) يذكون (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّفْظَ) الباطل أو الشتم من المشركين  
 (أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا) للاغين (لَقَدْ أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا سَلَّمْ عَلَيْكُمْ) أمان  
 منا لكم بأن نقابل لظنكم بمثله (لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) لا تزيد غلاظتهم ومحبتهم (إِنَّكَ  
 لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من  
 قومك وغيرهم (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء (وَهُوَ أَعْلَمُ  
 بِالْمُهْتَدِينَ) بمن يختار الهداية ويقبلها ويمتع بالدلائل والآيات. قال الزجاج: أجمع المفسرون  
 على أنها نزلت في أبى طالب وذلك أنه قال عند موته يا مشر بنى هاشم صدقوا محمدا فقلخوا  
 فقال عليه السلام يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فأتريد يا ابن أخى  
 قال أريد منك أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخى أنا قد فعلت أنك  
 صادق ولكنى أكره أن يقال جزع عند الموت وإن كانت الصيغة عامة والآية حجة على المتركة  
 لأنهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل  
 أن وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء وإعطاء التوفيق والقدرة (وَقَالُوا إِنَّا نَسْبَحُ  
 إِلَهَ هَدَىٰ مَعَكَ نَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ يُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا) قالت قریش نحن نعلم



على الحق ولكننا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك أن يتخطفونا من أرضنا فأقبحهم  
 الله الحجر بأنه مكن لهم في الحرم الذي أمه بجمرة البيت وأمن طفلانه بجمرته والثمار تجبي  
 إليه من كل أوب وهم كفره فأني يستقيم أن يرضهم للتخطف ويصلهم الأمن إذا ضمو إلى  
 حرمة البيت حرمة الإسلام وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز (يُجَبَّى إِلَيْهِ)  
 وإلتاء مدني ويعقوب وسهل أي تجلب وتجمع (ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ) معنى السكينة الكثيرة  
 كقوله وأوتيت من كل شيء (رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا) هو مصدر لأن معنى يجبي إليه يرزق أو مفعوله  
 أو حال من الثمرات إن كان بمعنى مرزوق تخصصها بالإضافة كما تنصب من النكرة للتخصصة  
 بالصفة (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) متعلق بمن لدنا أي قليل منهم يقولون بأن ذلك  
 رزق من عند الله وأكثروا جهالة لا يعلمون ذلك ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف  
 والأمن من عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا)  
 هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بإنعام الله عليهم فلم يشكروا  
 النعمة وقابلوها بالبطر فأهلكوا وكما نصب بأهلكنا ومعيشتها يحذف الجار وإيصال الفعل  
 أي في معيشتها والبطر سوء احتيال النفي وهو أن لا يحفظ حق الله فيه (فَنَكَّ مَسْكِنَهُمْ)  
 منازلهم باقية الآثار بشاهدونها في الأسفار كبلاد عمود وقوم شعيب وغيرهم (لَمْ تُسْكَنْ)  
 حال والماثل فيها الإشارة (مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا) من السكنى أي لم يسكنها إلا المسافر  
 ومار الطريق يوما أو ساعة (وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) لتلك المساكن من ساكنيها أي لا يملك  
 التصرف فيها غيرنا (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى) في كل وقت (حَتَّىٰ يَبِيتَ فِي أَمْنٍ)  
 وبكسر الميمزة حمزة وعلى أي في القرية التي هي أمها أي أصلها ومعظمها (رَسُولًا) لإلزام  
 الحججة وقطع المنزلة أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى  
 يبيت في أم القرى- يعني مكة لأن الأرض دحيت من تحتها- رسولا، يعني محمداً عليه السلام  
 (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا) أي القرآن (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) أي  
 وما أهلكناهم للانتقام إلا وأهلها مستحقون العذاب بظلمهم وهو إصرارهم على كفرهم وعنادهم  
 ومكابرتهم بعد الاعتذار إليهم (وَمَا أَوْتَيْنَاهُمْ شَيْءًا فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا) وأي

هي أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة الفانية  
 (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) وهو ثوابه (خَيْرٌ) في نفسه من ذلك (وَأَبْقَى) لأنه دائم (أَفَلَا تَتَّقُونَ)  
 أن الباقي خير من الفاني وخير أبو عمرو بين البقاء والبقاء بالفاء لا غير وعن ابن عباس  
 رضى الله عنهما أن الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف: المؤمن والمنافق والكافر  
 فالؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم قرر هذه الآية بقوله (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا  
 حَسَنًا) أي الجنة فلا شيء أحسن منها لأنها دائمة ولذا سميت الجنة بالحسنى (فَهُوَ لَكَيْفَ)  
 أي رائيته ومدركه ومصيبه (كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ  
 الْمُخْضَرِينَ) من الذين أحضروا النار ونحوه فكذبوه فأنهم لمحضرون نزلت في رسول الله ﷺ  
 وأبى جهل لعنه الله أو في علي وحزرة وأبى جهل أو في المؤمن والكافر ومعنى الفاء الأولى أنه  
 لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله أفمن وعدناه أي أبعد هذا  
 للتفاوت الجلى يسوى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والفاء الثانية للتسبيح لأن لقاء الموعود  
 مسبب عن الوعد ثم لتراخى حال الإحضار عن حال التمتع ثم هو على كفايل عضد في عضد  
 شبه المنفصل بالتصل (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ) ينادى الله الكفار نداء توبيخ وهو عطف على يوم  
 القيامة أو منصوب بأذكر (فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ) بناء على زعمهم (الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ)  
 ومفعولا تزعمون محذوفان تقديره كفى تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت  
 ولا يجوز الاقتصار على أحدهما (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) أي الشياطين أو أئمة الكفر  
 ومعنى حق عليهم القول وجب عليه مقتضاه وثبت وهو قوله: لأملأن جهنم من الجنة والناس  
 أجمعين (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ) مبتدأ (الَّذِينَ أَغْوَيْنَا) أي دعوانا إلى الشرك وسولنا لهم النى  
 صفة والراجع إلى الموصول محذوف والخبر (أَغْوَيْنَهُمْ) والكاف في (كَمَا غَوَيْنَا) صفة  
 مصدر محذوف تقديره أغويانهم فغوا غيا مثل ما غوينا يعمنون أنا لم نفعلوا باختيارنا فهو لا  
 كذلك غواوا باختيارهم لأن إغواءنا لهم لم يكن إلا وسوسة وتسويلا فلا فرق إذا بين غينا  
 وغيرهم وإن كان تسويلنا داعيا لهم إلى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان  
 بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب وهو كقوله  
 وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق إلى قوله ولوموا أنفسكم (تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ)

منهم ومما اختاروه من الكفر ( مَا كَانُوا إِذِنَا يُعْبُدُونَ ) بل يعبدون أهواءهم ويعلمون  
شهواتهم وإخلاء الجنتين من الماطف لكونهما مقرتين لمعنى الجملة الأولى ( وَقِيلَ ) للمشركين  
( اذْهَبُوا شَرَكَاءَكُمْ ) أى الأسنام لتخلصكم من العذاب ( فَذَعَوْهُمْ ) فلم يستجيبوا لهم )  
فلم يجيبهم ( وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ) وجواب لو عذوف أى لا رأوا العذاب  
( وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَأَاجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ) الذين أرسلوا إليكم حتى أولاً ما يؤنبهم به  
من اتخاذهم شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمة الكفر عند توبيخهم لأنهم إذا ونحوا بعبادة  
الآلهة اعتدوا بأن الشياطين هم الذين استغفروهم ثم ما يشبه الشبهة بهم لاستفادتهم آلتهم  
وعجزهم عن نصرتهم ثم ما سيكون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإذاحة الملل  
( فَتَمَيَّنَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ ) خفيت عليهم الحجج أو الأخبار وقيل خفي عليهم الجواب  
فلم يدروا بماذا يجيبون إذ لم يكن عندهم جواب ( فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ) لا يسأل بعضهم بعضاً  
عن العذر والحجة رجا أن يكون عنده عذر وحجة لأنهم يتساوون في العجز عن الجواب  
( فَأَمَّا مَنْ تَابَ ) من الشرك ( وَآمَنَ ) بربه وبما جاء من عنده ( وَقِيلَ صَلِّحْ قَسَى أَنْ  
يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ) أى فسى أن يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق وفيه بشارة  
للمسلمين على الإسلام وترغيب للكافرين على الإيمان ونزل جواباً لقول الوليد بن المغيرة: لولا  
نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. يعنى نفسه أو أبا مسعود ( وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ )  
وفيه دلالة خلق الأفعال، ويوقف على ( وَيَخْتَارُ ) أى وربك يخلق ما يشاء وربك يختار ما يشاء  
( مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ) أى ليس لهم أن يختاروا على الله شيئاً ما وله الخيرة عليهم ولم يدخل  
الماطف في ما كان لهم الخيرة لأنه بيان لقوله ويختار إذ المعنى أن الخيرة لله وهو أعلم بوجوده  
الحكمة في أفعاله فليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ومن وصل على معنى ويختار الذى لهم  
فيه الخيرة فقد أبعد بل ما لنى اختيار الخلق تهرباً لاختيار الحق ومن قال ومعناه ويختار للمباد  
ما هو خير لهم وأصلح فهو مائل إلى الاعتزال. والخيرة من التخير يستعمل بمعنى المصدر وهو  
التخير وبمعنى التخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه ( سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ )  
أى الله برى من إشراكهم وهو منزّه عن أن يكون لأحد عليه اختيار ( وَرَبُّكَ يَعْلَمُ  
مَا تُكِنُّ ) تضرر ( سُدُورُهُمْ ) من عداوة رسول الله ﷺ وحسده ( وَمَا يُعْلِنُونَ ) من

مظالمهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة (وَهُوَ اللَّهُ) وهو المستأثر بالإلهية  
المختص بها (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) تهرير لتلك القبلة الكعبة لاقبلة إلا هي (لَهُ الْحُكْمُ  
فِي الْأُولَى) الدنيا (وَالْآخِرَةِ) هوقولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. الحمد لله الذي صدقنا  
وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد ثمة على وجه اللذة لا الكلفة (وَلَهُ الْحُكْمُ)  
القضاء بين عباده (وَالِيهِ تُرْجَعُونَ) بالبعث والنشور. وبفتح التاء وكسر الجيم بمقوب  
(قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أريتم محذوف الهمزة على (إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا) هو مفعول  
كان لجعل أى دائماً من السرد وهو التابعة ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرمد واحد فرد  
واليم مزيدة ووزنه فعل (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ) يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ  
والمنى اخبروني من يقدر على هذا (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ) يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (ولم يقل بنهار  
محصرون فيه كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع التي  
تخلق به متكثرة ليس التصرف في الماش وحده والظلام ليس بتلك النزلة ومن ثم قرن بالضياء  
أفلا تسمعون لأن السمع يدرك مالا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل  
أفلا تبصرون لأن غيرك يصبر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه (وَمِنْ  
رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) أى لتسكنوا بالليل  
ولتبتغوا من فضل الله في النهار فيكون من باب اللف والنشر (وَلَمَّا كُمُ تَسْكُرُونَ) الله  
على نعمه وقال الزجاج يجوز أن يكون معناه لتسكنوا فيهما ولتبتغوا من فضل الله فيهما ويكون  
المنى جعل لكم الزمان ليلاً ونهاراً لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيه (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ  
فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) كثر التوبيخ لاختاذ الشركاء ليؤذن أن  
لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده (وَنَزَعْنَا)  
وأخرجنا (مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) يعنى نبيهم لأن الأنبياء للأمة شهداء عليهم يشهدون بما  
كانوا عليه (فَقُلْنَا) للأمة (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسل  
(فَعَلِمُوا) حينئذ (أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ) التوحيد (وَضَلَّ عَنْهُمْ) وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع  
(مَا كَانُوا يَفْرَوْنَ) من ألوهية غير الله والشفاعة لهم (إِنْ قَرُّوْنَ) لا ينصرف للمجبة

والتعريف ولو كان فاعولا من قرنت الشيء لانصرف ( كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ) كان إسرائيليا  
ابن هم لموسى فهو قارون بن يصر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث  
وكان يسمى للنور لحسن صورته وكان اقربا بى اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى  
( قَبْنَى عَلَيْهِمْ ) من البنى وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بنى اسرائيل فظلمهم أم من البنى  
الكبير تكبر عليهم بكثرة ماله وولده أو زاد عليهم فى الثياب شبرا ( وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ  
مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ ) ما بمعنى الذى فى موضع نصب بآتيننا وإن واسمها وخبرها صلة التى ولهذا  
كسرت إن والفاعل جمع مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به أو مفتاح بالفتح وهو الخزانة والأصوب  
أنها القاليد ( لَتَنُتَوَّأَنَّ بِالْمُصْنِبَةِ ) تثقل المصبة قالباء للتمدية يقال ناه به الحل إذا أهمله حتى أماله  
والمصبة الجماعة الكثيرة وكانت تحمل مفاتيح خزانته ستون بثلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد  
المفتاح على اصبع وكانت من جلود ( أُولَى الْقُوَّةِ ) الشدة ( إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ ) أى المؤمنون  
وقيل القائل موسى عليه السلام ومحل إذ نصب بثنوء ( لَا تَفْرَحْ ) لا تبطر بكثرة المال كقوله  
ولا تفرحوا بما آتاكم ولا يفرح بالدنيا إلا من رضى بها واطمأن وأما من قلبه إلى الآخرة  
ويعلم أنه يتركها من قرب فلا يفرح بها ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ) البطرين بالمال ( وَابْتَغِ  
فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ ) من التقى والثروة ( الدَّارَ الْآخِرَةَ ) بأن تصدق على الفقراء ونصل  
الرحم ونصرف إلى أبواب الخير ( وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) وهو أن تأخذ ما يكفيك  
ويصلحك وقيل معناه واطلب بدنياك آخرتك فإن ذلك حظ المؤمن منها ( وَأَحْسِنِ ) إلى  
عباد الله ( كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ) أو أحسن بشكرك وطاعتك غلاني الأمان كما أحسن  
إليك بالإتمام ( وَلَا تَبْخَسِ النَّفْسَ فِي الْأَرْضِ ) بالظلم والبنى ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ  
قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ ) أى المال ( عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ) أى على استحقاق لما فى من العلم الذى  
فضلت به الناس وهو علم التوراة أو علم الكيمياء وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما  
ذهبا أو العلم بوجوده المكاسب من التجارة والزراعة وعندهى سفة لم قال سهل: ما نظر أحد  
إلى نفسه فأفلق والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل رؤية منه الله تعالى  
عليه فى جميع الأفعال والأقوال والشقى من زين فى عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولم يفتح له  
سبيل رؤية منه الله فافتخر بها وادعاه لنفسه فشؤمه يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادعى

لنفسه فضلا (أَوْ لَمْ يَلَمْ) قارون (أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً) هو إثبات لملءه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأعنى لأنه قد قرأه في التوراة كأنه قيل أو لم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يفتر بكثرة ماله وقوته أو نفى لملءه بذلك لأنه لما قال أو آتيته على علم عندي قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعا. ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يق به نفسه معارعة الهالكين (وَأَكْثَرُ جَمْعًا) للمال أو أكثر جماعة وعددا (وَلَا يُسْتَلْ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) لملء تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب أو يعترفون بها بغير سؤال أو يعرفون بسيماهم فلا يستلون أو لا يستلون لتعلم من جهنهم بل يستلون سؤال توبيخ أو لا يستل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الأمة (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) في الحجرة والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية يعض عليهم الخلى والديباج وفي زينته حال من فاعل خرج أى مزيئا (قَالَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) قيل كانوا مسلمين وإنما تمنوا على سبيل الرغبة في اليسار كمادة البشر وقيل كانوا كفارا (يَلْبَسُ لَنَا مِثْلَ مَا أَوْقَى قُرُونُ) قالوه غبطة والنابط هو الذى يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه كذه الآية والحاسد هو الذى يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه وهو كقوله تعالى : ولا تتمنوا ما فضل الله به بمضكم على بعض . وقيل لرسول الله ﷺ هل تضر النبطة قال لا إلا كما يضر المضاء الخبط (إِنَّهُ لَذُو حِظٍّ عَظِيمٍ) الحظ الجذ وهو البخت والدولة (وَقَالَ الَّذِينَ أَتَوْا آلَ لَيْمَ) بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبى لنابطى قارون (وَبَلَسَكُمْ) أصل وبلك السماء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى وفي التبيان في إعراب القرآن هو مفعول فعل محذوف أى أكرمكم الله وبلسكم (ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا) أى لا يلقن هذه الكلمة وهي ثواب الله خير (إِلَّا الصَّابِرُونَ) على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) كان قارون يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى زلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف

درم على درم غصبه فاستكثره فغصت به نفسه فجمع بنى اسرائيل وقال إن موسى يريد أن  
 يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فربما شئت قال نيرطل فلانة البنى حتى ترميه بنفسها فترفضه  
 بنو اسرائيل فجعل لها ألف دينار وأعطاه من ذهب أو حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى  
 فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه  
 وإن أحصن رجناه قال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بنى اسرائيل يزعمون  
 أنك غرت بفلانة فأحضرت فأنشدها بالبنى فلقى البحر وأنزل التوراة أن تصدق فقالت جمل  
 لى قارون جملا على أن أفذكك بنفسى فغرم موسى ساجدا بيكى وقال يارب إن كنت رسولك  
 فأنصبنى فى فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيبة لك فقال يا بنى اسرائيل إن الله  
 بشى إلى قارون كما بشى إلى فرعون فمن كان معه فليأزم مكانه ومن كان معى فليمتزل فاعتزلوا  
 جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذيه فآخذتهم إلى الركب ثم قال خذيه فآخذتهم إلى  
 الأوساط ثم قال خذيه فآخذتهم إلى الأهناق وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويباشونه  
 بالله والرحم وموسى لا يلتفت إليهم لشدته غضبه ثم قال خذيه فأنطبقت عليهم فقال الله تعالى  
 استنفاث بك مرارا فلم ترحه فوعزنى لواستر حتى مررت حته فقال بعض بنى اسرائيل إننا أهلكه  
 ليرث ماله ففدا الله حتى خسف بداره وكنوزه (فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ) جماعة (يَبْصُرُونَهُ  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ) يمنعونه من عذاب الله (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ) من المنتقمين من موسى أو  
 من المنتمين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فاتصر أى منته منه فامتنع (وَأَصْبَحَ)  
 وصار (الَّذِينَ تَمَتَّقُوا مَكَانَهُ) منزله من الدنيا (يَالْأُمْسِ) ظرف لنفوسا ولم يردبه اليوم الذى  
 قبل يومك ولكن الوقت القريب استعادة (يَقُولُونَ وَيَسْكَانُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ  
 عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ) وى منفصلة من كان عند البصريين قال سيويه وى كلمة تنبه على الخطأ وتندم  
 يستعملها الندام بإظهار ندامته أى أن القوم قد تنبها على خطيئهم فى تعميمهم وقولهم ياليت لنا  
 مثل ما أوتى قارون وتندموا (لَوْ لَا أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا) بصرف ما كنا تمنناه بالأمس (لَخَسَفَ بِنَا)  
 [لَخَسَفَ] أو بفتحين حفص ويقوب ومهل وفيه ضمير الله تعالى (وَيَسْكَانُ لَهُ فِطْرُ الْكُفْرِ) (وَيَسْكَانُ)  
 أى تندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ) تلك تعظيم لها وتقدير  
 لشأنها معنى تلك التى سمعت بذكرها وبلنك وصفها وقوله (نَجْمَلُهَا) خبر تلك والدار نعمها

(لَقَدْ يَنْبَغُ لَكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا فِي الْأَرْضِ) بنينا ابن جبير وظلما الضحاك أو كبيرا (وَلَا فَسَادًا) هلا بالمصاحي أو قتل النفس أو دهاء إلى عبادة غير الله ولم يملق الموعد بترك الملو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال ولا تتركوا إلى الذين ظلموا فليقوا الوعيد بالكون وعن علي رضي الله عنه أن الرجل ليمجبه أن يكون شراك نمله أجود من شراك نمل صاحبه فيدخل تحته وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأمانى ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض وقال بعضهم حقيقة التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبها بقوله لن فرعون هلا في الأرض ولا تبغ الفساد في الأرض (وَالنَّفِثَةُ) المحمودة (لِلْمُتَّقِينَ) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا (مر في النمل) (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ سَبَّوْا السَّيِّئَاتِ) معناه فلا يجوزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكرراً فضل تهجين لحالهم وزيادة تنفيض للسيئة إلى قلوب السامعين (إِلَّا مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ) إلا مثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم أن لا يجوز السيئة إلا بمثلها ويجوزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعائة (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ هَٰذَا الْأَلْهَامَ) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لَرَأَىٰ ذَٰكَ) بعد الموت (إِلَىٰ مَعَادٍ) أى معاد وإلى معاد ليس لنيرك من البشر فلذا نكره أو المراد به مكة والمراد رده إليها يوم الفتح لأنها كانت في ذلك اليوم معاداً له شأن ومرجلاً له اعتداد لقلبة رسول الله وقهره لأهلها ولظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بمكة ولا بالدينة حين اشتاق إلى مولده ومولد آبائه ولما وعد رسوله الرد إلى معاده قال (قُلْ) للمشركين (رَبِّىَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهَدْيِ) يعنى نفسه وما له من الثواب في معاده (وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) يعنى المشركين وما يستحقونه من العذاب في معادهم من في عمل نصب بفعل مضمر أى يعلم (وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُبَلِّغَ) يوحى (إِلَيْكَ الْكِتَابَ) القرآن (إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) هو محمول على المعنى أى وما أتى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك أو إلا بمعنى لكن للاستبراك أى ولكن رحمة من ربك. أتى إليك الكتاب (فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ) معيناً لهم على دينهم (وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ عَابَتِ اللَّهِ) هو على الجمع أى لا يمنعك هؤلاء عن العمل بآيات الله أى القرآن (بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ) الآيات أى بعد وقت إنزاله



وإذا يضأف إليه أسماء الزمان كقولك حينئذ يومئذ (وَأَذْعُ إِلَى رَبِّكَ) إلى توحيدهِ وعبادته (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْشَرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) قال ابن عباس رضى الله عنهما الخطاب فى الظاهر للنبى ﷺ والمراد أهل دينه ولأن العبادة لا تمنع النهى والوقف على آخر لازم لأنه لو وصل لصار (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) صفة لإلهها آخر وفيه من الفساد ما فيه (كُلُّ شَيْءٍ مَّا لَكَ إِلَّا وَجْهُهُ) أى إلا إياه فالوجه يمر به عن القات وقال مجاهد يعنى علم العلماء إذا أريد به وجه الله (لَهُ الْعُكُومُ) القضاء فى خلقه (وَالْيَهُ تَرْجُونَ) تَرْجُونَ بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب ، والله أعلم .

### ﴿ سورة العنكبوت مكية وهى تسع وتسعون آية ﴾

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُبْزَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ) الحسبان قوة أحد التفتيشين على الآخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف بينهما والملم فهو القطع على أحدهما ولا يصح تطبيقهما بمائى المفردات ولكن بمضامين الجمل فلو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا طالما وظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم والفرس جواد كلام دال على مضمون فإذا أردت الأخبار عن ذلك المضمون تابنا عندك على وجه الظن لا اليقين أدخلت على شطرى الجملة فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك والكلام الدال على المضمون الذى يقتضيه الحسبان هنا أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن تهديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولى حسب وقولهم آمنا هو المنجز وأما غير مفتونين فتتمه الترك لأنه من الترك الذى هو معنى التصيير كقول عنتره \* فتركة جزر السباع ينشئه \* ألا ترى أنك قبل الحمىء بالحسبان قد رآن قول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تدير حاصل ومستقر قبل اللام وهو استفهام توبيخ والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات وبالفرق والتقط وأنواع المصائب فى الأنفس والأموال ومصاراة الكفار على أذاهم وكيدهم وروى أنها زلت فى ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد جزعوا من أذى المشركين أوفى عمار بن ياسر وكان يذب

في الله (وَلَقَدْ فَتَنَّا) اخترنا وهو موصول بأحسب أو بلافتنون (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) بأنواع  
 الفتن فمنهم من يوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ومنهم من يمشط  
 بأمشط الحديد ما يصرفه ذلك عن دينه (فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ) بالامتحان (الَّذِينَ صَدَقُوا) في  
 الإيمان (وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَافِرِينَ) فيه ومعنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيأمر بزل أن يعلمه موجودا  
 عند وجوده كما علمه قبل وجوده أنه يوجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب قال ابن  
 عطاء يبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام  
 البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين (أَمْ حَسِبَ  
 الَّذِينَ يَمْلُكُونَ السَّيِّئَاتِ) أي الشرك والمعاصي (أَنْ يَسْخَرُوا) أي يفوتوا يعني أن الجزاء  
 يلحقهم لعمالة واشتغال صلة أن على مسند ومسند إليه سد مسد مفعولين كقوله أم حسنم  
 أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب فيها أن هذا  
 الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذلك يقدر أنه لا يتحقق لإيمانه وهذا يظن أنه لا يجازي  
 بمساويه وقالوا الأول في المؤمنين وهذا في الكافرين (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) مافى موضع رفع  
 على معنى ساء الحكم حكمهم أو نصب على معنى ساء حكما يحكون والخصوص بالنم محذوف  
 أي ليس حكما يحكونه حكمهم (مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ) أي يأمل ثوابه أو يخاف حسابه  
 فالرجاء يحتملها (فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ) المضروب للشواب والعقاب (لَا تِلْكَ) لا عمالة فليأمر  
 للعمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمه (وَهُوَ السَّمِيعُ) لما يقوله عباده (الْعَلِيمُ)  
 بما يفعلونه فلا يفوته شيء ما وقال الزجاج من للشرط ويرتفع بالابتداء وجواب الشرط فإن  
 أجل الله لآت كقولك إن كان زيد في النار فقد صدق الوعد (وَمَنْ جَاهَدَ) نفسه بالعصبر  
 على طاعة الله أو الشيطان بدفع وسأوسه أو الكفار (فَإِنَّمَا يَجْعِدْ لِنَفْسِهِ) لأن منفعة ذلك  
 ترجع إليها (إِنَّ اللَّهَ تَقْوَى مِنَ السَّالِمِينَ) ومن طاعتهم ومجاهدتهم وإنما أمر ونهى رحمة  
 لعباده (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) أي الشرك والمعاصي  
 بالإيمان والتوبة (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَمْلُكُونَ) أي أحسن جزاء أعمالهم في  
 الإسلام (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) وصى حكمه حكم أمر في منتهاه وتصرفه يقال  
 وصيت زيدا بأن يفعل خيرا كما قول أمرته بأن يعمل ومنه قوله ووصى بها إبراهيم بنيه

أى وصام بكلمة التوحيد وأمرهم بها، وقولك : وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بشهد عمرو  
ومرعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصيتا الإنسان بوالديه حسنا ووصيتهما بإيتاء والده  
حسنا وإيتاء والده حسنا أى فعلا ذاهن أو ماهو فى ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا  
للناس حسنا ويجوز أن يجعل حسنا من باب قولك زيدا بإضمار اضرب إذا رأيت متهيبا للضرب  
فتنصبه بإضمار أولهما أو أقبل بهما لأن التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال  
قلنا أولهما معروفا ولا تعلمهما فى الشرك إذا جهلك عليه وعلى هذا التفسير إن وقف على بوالديه  
وابتدئ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الأول لابد من إضمار القول معناه وقلنا (وَأِنْ  
جَهَدَاكَ) أيها الإنسان (لِتَشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) أى لاهل لك بالهيتة والمراد  
بنفى العلم نفى العلوم كأنه قال لتشرك بى شيئا لا يصح أن يكون لها (فَلَا تُطِيعُوهَا) فى ذلك  
فلا طاعة للخلق فى معصية الخالق (إِلَّا مَرْجُوكُمْ) مرجع من آمن منكم ومن أشرك  
(فَأَنْتَبِهُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) فأجازيكم حق جزائكم وفى ذكر للرجع والوعيد تحذير  
من متابعتها على الشرك وحث على الثبات والاستقامة فى الدين روى أن سعد بن أبى وقاص  
لما سلم نذرت أمه أن لا تأكل ولا تشرب حتى يرتد فشكا إلى النبي ﷺ فنزلت هذه الآية والنبي فى  
لقمان والتي فى الأحقاف (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) هو مبتدأ والخبر (لَنُدْخِلَنَّهُمْ  
فِي الصَّالِحِينَ) فى جملتهم والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متضمن الأنبياء عليهم السلام  
قال سليمان عليه السلام وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال يوسف عليه السلام نوفى  
مسلمًا والحقى بالصالحين أو فى مدخل الصالحين وهو الجنة ونزلت فى المنافقين (وَمِنَ النَّاسِ  
مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ) أى إذا مسه أذى من الكفار (جَمَلَ فِتْنَةً  
النَّاسِ كَذَّابِ اللَّهِ) أى جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله تعالى (وَلَكِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّنْ  
رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ) أى وإذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضهم وقالوا إنا كنا  
معكم أى متابعين لكم فى دينكم ثابتين عليه بقبائلكم فأعطونا نصيبنا من النعم (أَوَلَيْسَ  
اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ) أى هو أعلم بما فى صدور المالىين من المالىين بما فى صدور  
ومن ذلك ما فى صدور هؤلاء من النفاق وما فى صدور المؤمنين من الإخلاص ثم وعد المؤمنين  
وأوعد المنافقين بقوله (وَلَيَكْفُرَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَكْفُرَنَّ الْمُتَنَفِّعِينَ) أى حالها ظاهرة

فهد من تلك الجزاء عليهما ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ  
خَطِيئَتَكُمْ ) (أمرهم بالتابع سبيلهم وهي طريقهم التي كانوا عليها في دينهم وأمرهم أنفسهم  
بحمل خطاياهم فمطف الأمر على الأمر وأرادوا ليجتمع هذان الأمران في الحصول أن تتبعوا  
سبيلنا وأن نحمل خطاياكم والمضى تطبيق الجمل بالتابع أى إن تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم  
وهذا قول سناديد قريب كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعت نحن ولا أنتم فإن كان ذلك فإننا  
نحصل حكم الإيم ( وَمَا هُمْ بِظَالِمِينَ ) مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مَنْ شَاءَ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ) لأنهم  
قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يمدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف ( وَكَيْحِيلُنَّ  
أَثْقَالَهُمْ ) أى أثقال أنفسهم يعنى أوزارهم بسبب كفرهم ( وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ) أى أثقالا  
آخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي أثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم وهو كما قال  
ليعملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ( وَكَيْسِفُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
قِمًا كَانُوا يَفْتَرُونَ ) يمتثلون من الأكاذيب والأباطيل ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ  
فَقَالَتْ فِيهِمْ آلُفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ) كان عمره ألفا وخمسين سنة بمث على رأس أربعين  
ولبت في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بمد الطوفان ستين وعمره ألفا وأربعمائة  
سنة فقال له ملك الموت يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت  
وخرجت ولم يقل تسعمائة وخمسين سنة لأنه لو قيل كذلك لجاز أن يتوم إطلاق هذا العدد  
على أكثره وهذا التوم زائل هنا فكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وأقية العدد إلا أن  
ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملا بالقائدة ولأن القصة سبقت لما اجبى به نوح عليه السلام  
من أمته وما كابد من طول المصايرة تسلية لنبينا عليه السلام فكان ذكر الألف أغنى وأوصل  
إلى النرض وحى بالمميز أولا بالسنة ثم بالعام لأن تكرار لفظ واحد في كلام واحد حقيق  
بالاجتناب في البلاغة ( فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ ) هو ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل  
أو ظلام ليل أو نحوها ( وَهُمْ ظَالِمُونَ ) أنفسهم بالكفر ( فَأَنْجَيْنَاهُ ) أى نوحا ( وَأَمْصَحَّ  
السَّفِينَةَ ) وكانوا غانية وسيمين نفساً نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح سام  
وحام ويافت ونسأؤم ( وَجَعَلْنَاهَا ) أى السفينة أو الحادثة أو القصة ( آيَةً ) عبرة وعظة  
( لِلْعَالَمِينَ ) يمتثلون بها ( وَإِبْرَاهِيمَ ) نصب بإضمار اذكر وأبدل منه ( إِذْ قَالَ ) بدل

دشبال لأن الأحيان تشتمل على ما فيها أو مطوف على نوح أى وأرسلنا إبراهيم أو ظرف  
لأرسلنا يعنى أرسلناه حين بلغ من السن أوالم مبلغا صلح فيه لأن يعطى قومه ويأمرهم بالعبادة  
والتقوى وقرأ إبراهيم النخعي وأبو حنيفة رضى الله عنهما : وإبراهيم بالرفع على معنى ومن  
المرسلين إبراهيم ( قَوْمِيه اَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ) من الكفر ( إِنْ كُنْتُمْ  
تَمْلِكُونَ ) إِنْ كَانَ لَكُمْ هَلْ عَمَّا هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ مِمَّا هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ( إِنْمَا تَعْبُدُونَ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا ) أصناما ( وَتَخْلُقُونَ ) وتكذبون أو تصنعون وقرأ أبو حنيفة والسلي  
رضى الله عنهما وَتُخْلَقُونَ من خلق بمعنى الكثير فى خلق ( إِنْكَا ) وقرىء أُنْكَا وهو  
مصدر نحو كذب ولعب والإِنْكَ غفف منه كالكذب واللعب من أصلهما واختلافهم الإِنْكَ  
تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء لله ( إِنْ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ  
رِزْقًا ) لا يستطيعون أن يرزقوك شيئا من الرزق ( فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ) كله فإنه هو  
الرازق وحده لا يرزق غيره ( وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) فاستعدوا لقائه بعبادته  
والشكر له على نعمه وافتح الثناء وكسر الجهم يعقوب ( وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ  
مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْبَيِّنُ ) أى وإن تكذبونى فلا تضرونى بكذبيكم  
فإن الرسل قبل قد كذبهم أممهم وماضروهم وإغاضروهم أنفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب  
تكذبيهم وأما الرسول فقد تم أمره حيث بلغ البلاغ المبين الذى زال معه الشك وهو اقتراحه  
بآيات الله ومعجزاته أو وإن كنت مكذبا فبأ ينفكم فى سائر الأنبياء أسوة حيث كذبوا  
وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التى بعدها إلى قوله  
فأكان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم عليه السلام قومه والمراد بالأثم  
قبله قوم شيت وإدريس ونوح وغيرهم وأن تكون آيات وقعت معترضة فى شأن رسول الله ﷺ  
وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم وآخرها فإن قلت فالجمل الاعتراضية لا يد لها من اتصال  
بما وقعت معترضة فيه فلا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله قلت نعم وبيانه أن إيراد قصة  
إبراهيم عليه السلام ليس إلا لإرادة للتنفيس عن رسول الله ﷺ وأن تكون مسلاة له بأن  
أباه إبراهيم عليه السلام كان مبتلى بنحو ما ابتلى به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان فاعترض  
قوله وإن تكذبوا على معنى إنكم يامشرك قريش إن تكذبوا محمدا فقد كذب إبراهيم قومه

وكل أمة فيها لأن قوله قد كذب أمم من قبلكم لابد من تناوله لأمة إبراهيم وهو كما نرى  
اعتراض متصل ثم سائر الآيات بعدها من توابها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم  
الشرك وتوهمين قواعد وصفة قدرة الله تعالى وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه (أَوْ لَمْ يَرَوْا)  
وبالتاء كوفي غير حفص (كَيْفَ يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ) أى قد راوا ذلك وعلموه وقوله (ثُمَّ  
يُمِدُّهُ) ليس بمعطوف على يبدئ وليس الرؤية واقعة عليه وإنما هو إخبار على حياله بالإعادة  
بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون  
الإنشاء بل هو معطوف على جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق (إِنَّ ذَلِكَ) أى الإعادة  
(عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) سهل (قُلْ) يا محمد وإن كان من كلام إبراهيم فتقديره وأوحينا إليه أن قل  
(سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) على كثرتهم واختلاف أحوالهم لتدروا  
مجائب فطرة الله بالشاهدة وبدأ وأبدأ بمعنى (ثُمَّ اللَّهُ يَنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) أى البعث  
وبالمد<sup>(١)</sup> حيث كان مكي وأبو عمرو وهذا دليل على أنهما نشأتان وأن كل واحدة منهما إنشاء أى  
ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود غير أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله والأولى  
ليست كذلك والقياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة لأن الكلام معهم  
وقع في الإعادة فلما قررهم في الإبداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء  
فإذا لم يسجزه الإبداء وجب أن لا يسجزه الإعادة فكأنه قال ثم ذلك الذى أنشأ النشأة الأولى  
هو الذى ينشئ النشأة الآخرة فالتنبية على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ (إِنَّ اللَّهَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قادر (يُسَدِّبُ مَنْ يَشَاءُ) بالخذلان (وَيَرْحُمُ مَنْ يَشَاءُ) بالهداية أو  
بالحرص والقناعة أو بسوء الخلق وحسنه أو بالإعراض عن الله والإقبال عليه أو بتجاسة  
البدع وبملازمة السنة (وَالِلَّهِ تَقَلُّبُونَ) تردون وترجمون (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) ربكم  
أى لا تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه (فِي الْأَرْضِ) الفسيحة (وَلَا فِي السَّمَاءِ) التى  
هى أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ) يتولى أموركم  
(وَلَا نَصِيرٌ) ولا ناصر يمنعكم من عذابي (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَأْتِيهِ اللَّهُ) بدلائله على وحدانيته  
وكتبه ومعجزاته (وَلَقَائِهِ أَوْ لَتَأْتِيَ رَحْمَتِي) جنبي (وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

أَلَيْسَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ( قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ ) إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ( قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَوْ قَالَ وَاحِدُهُمْ ) كَانَ الْبَاتُونَ رَاسِدِينَ فَكَانُوا جَمِيعًا فِي حَكْمِ الْقَائِلِينَ فَاتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيقِهِ ( فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ) حِينَ قَذَفُوهُ فِيهَا ( إِنَّ فِي ذَلِكَ ) فِيمَا فَعَلُوا بِهِ وَفَعَلْنَا ( لَا يَبْتَغِي الْقَوْمُ يُؤْمِنُونَ ) رَوَى أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ بِالنَّارِ يَمْنَى يَوْمَ النَّارِ إِبْرَاهِيمَ فِي النَّارِ وَذَلِكَ لِذَهَابِ حَرِّهَا ( وَقَالَ ) إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ ( إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) حِزَّةً وَحَفْصًا، مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ مَدَى وَشَاوَى وَحَادٍ وَيَحْيَى وَخَلْفَ مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ مَكَى وَبَصْرَى وَعَلَى، مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ الشَّمْنَى وَالْبَرْجَى، التَّعَبُ عَلَى وَجْهِينَ عَلَى التَّحْلِيلِ أَى لَتَتَوَادَا بَيْنَكُمْ وَتَتَوَاسَلُوا لِاجْتِمَاعِكُمْ عَلَى عِبَادَتِهَا وَاتِّفَاقِكُمْ عَلَيْهَا كَمَا يَتَفَقَّ النَّاسُ عَلَى مَذْهَبٍ فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ تَحَابِّهِمْ وَأَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا ثَانِيًا كَقَوْلِهِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَمَا كَافَةً أَى اتَّخَذْتُمُ الْأَوْثَانَ سَبَبَ الْمَوَدَّةِ بَيْنَكُمْ عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ أَوْ اتَّخَذْتُمُوهَا مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ أَى مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ كَقَوْلِهِ: وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ. وَفِي الرِّفْعِ وَجْهَانِ أَنْ يَكُونَ خَبَرُ الْإِنِّ وَمَا مَوْصُولَةٌ وَأَنْ يَكُونَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَى هِيَ مَوَدَّةُ بَيْنَكُمْ وَالْمَعْنَى أَنَّ الْأَوْثَانَ مَوَدَّةُ بَيْنَكُمْ أَى مَوْدُودَةٌ أَوْ سَبَبُ مَوَدَّةٍ وَمِنْ أَسْوَافِ الْمَوَدَّةِ جَمَلُ بَيْنَكُمْ أَيْحَا لَا طَرَفًا كَقَوْلِهِ شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ وَمِنْ نَوْنٍ مَوَدَّةٍ وَنَسَبٍ بَيْنَكُمْ فَعَلَى الظَّرْفِ ( ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ) تَتَرَاءَى الْأَصْنَامُ مِنْ عَابِدِيهَا ( وَيَكْلَمُونَ بِمَعْصُكُمُ بَعْضًا ) أَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُومُ بَيْنَكُمْ التَّلَامُنُ فَيَلْمُنُ الْأَتْبَاعُ الْقَادَةَ ( وَمَا وَنَكُمُ النَّارُ ) أَى مَا رَى الْعَابِدُ وَالْمَعْبُودُ وَالتَّابِعُ وَالتَّبَوُّعُ ( وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرِينَ ) نَعْمَةٌ ( فَتَأْتِيَنَّهُ ) لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ( لُوطٌ ) هُوَ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ لَهُ حِينَ رَأَى النَّارَ لَمْ تَحْرِقْهُ ( وَقَالَ ) إِبْرَاهِيمُ ( إِنِّي مُهَاجِرٌ ) مَنْ كَوْنِي وَهِيَ مِنْ سَوَادِ الْكُوفَةِ إِلَى حِرَانَ ثُمَّ مِنْهَا إِلَى فَلَاسْطِينَ وَهِيَ مِنْ بَرِيَةِ الشَّامِ وَمِنْ ثُمَّ قَالُوا لَلْكَلِ نَبِيٌّ هَجَرْتَ وَإِبْرَاهِيمُ هَجَرْتَانِ وَكَانَ مَعَهُ فِي هَجْرَتِهِ لُوطٌ وَسَارَةَ وَقَدْ تَزَوَّجَهَا إِبْرَاهِيمُ ( إِنِّي رَبِّي ) إِلَى حَيْثُ أَصْرَفَ رَبِّي بِالْهَجْرَةِ إِلَيْهِ ( إِنَّهُ هُوَ التَّزْوِيزُ ) الَّتِي يَمْنَعُنِي مِنَ أَعْدَائِي ( الْحَكِيمُ ) الَّتِي لَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِمَا هُوَ خَيْرٌ ( وَوَعَدْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ) وَلَدًا ( وَبِغُلُوبٍ ) وَلَدٌ وَلَمْ يَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ لِشَهْرَتِهِ ( وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ ) أَى فِي ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ شَجَرَةُ الْأَنْبِيَاءِ ( وَالْكِتَابَ ) وَالْمَرَادُ بِهِ الْحَقُّ يُسَمَّى التَّوْرَةَ - الْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ

والفرقان (وَأَيُّنْتُهُ) أى إبراهيم (أَجْرُهُ) الثناء الحسن والصلاة عليه إلى آخر الدهر وعبة أهل الملل له أو هو بقاء ضيقه عند قبره وليس ذلك لغيره (فِي الدُّنْيَا) فيه دليل على أنه تعالى قد يعطى الأجر في الدنيا (وَأَيُّنْتُهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ) أى من أهل الجنة عن الحسن (وَلَوْطًا) أى واذكرونا (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) الفعلة البائنة في القبح وهى اللواط (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ السَّالِمِينَ) جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلها قال لم كانت فاحشة قبيح لأن أحدا قبلهم لم يقدم عليها قالوا لم ينزذركم على ذكر قبل قوم لوط (أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ وَتَقَطُّونَ السَّبِيلَ) بالقتل وأخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ) مجلسكم ولا يقال للمجلس ناد إلا مادام فيه أهله (أَلْتُنْكَرَ) أى المضاربة والمجامعة والسباب والفحش في الزنا والخذف بالحصى ومضغ الملك والفرقة والسواك بين الناس (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِدَلَالِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فيأتينا من نزول العذاب. إنكم أنتمكم شامى وحفص وهو الموجود في الإمام وكل واحدة بهمزين كوفى غير حفص. آينكم آينكم بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو آينكم آينكم بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى ونافع غير قالون وسهل ويقوب غير زيد (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي) ياتزال العذاب (عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ) كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من الماصى والفواحش (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى) بالبشارة لإبراهيم بالولد والثافة بمعنى إسحق ويقوب (قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوكُمُ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ) إضافة مهلكوا لم تعد تعريفا لأنها بمعنى الاستقبال والقرية سدوم التى قبل فيها أجور من قاضى سدوم وهذه القرية تسمى بأنها قريبة من موضع إبراهيم عليه السلام قالوا إنها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع إبراهيم عليه السلام (إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) أى الظلم قد استمر منهم في الأيام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم (قَالَ) إبراهيم (إِنَّ فِيهَا لُوطًا) أى أهل كونهم وفيهم من هو برىء من الظلم وهو لوط (قَالُوا) أى اللاتكة (نَحْنُ أَهْلُكَ) منك (رَبِّمَنِ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ) لننجينه بمقوب وكوفى غير عاصم (وَأَهْلُهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) الباقيين في العذاب ثم أخبر عن مسير اللاتكة إلى لوط بعد مفارقتهم إبراهيم بقوله (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا



مِىَ بِهِمْ) ساء مجيئهم وأن صلاتاً كنت وجود الفلئين مرتباً أحدهما على الآخر كأنهما وجدنا  
 فى جزء واحد من الزمان كأنه ذيل كالأحس بجيئهم فاجأته الساءة من غير ريث خيفة عليهم  
 من قومهم أن يقتلواهم بالوجود مِىَ بِهِمْ<sup>(١)</sup> مدنى وشاى وعلى (وَسَأَى بِهِمْ ذُرْعاً) وساق  
 بشأنهم ويتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته وقد جعلوا صنيع النزع والذراع عبارة عن قدد الطائفة  
 كما قالوا رحب الذراع إذا كان مطيقاً والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال مالا يثنيه  
 التقصير الذراع فضرب ذلك مثلاً فى المعجز والقدرة وهو نصب على التمييز (وَقَالُوا لَا تَخَفْ  
 وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَ) وبالتخفيف مكى وكوفى غير حفص (وَأَهْلَكَ) الكاف فى عمل  
 الجر ونصب أهلك بفعل عذوف أى ونجى أهلك (إِلَّا أَمْرُكَ كَانَتْ مِنَ السَّابِقِينَ  
 إِنَّا مُزْلُونَ) منزلون شأى (عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً) عذاباً (مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا  
 يَفْسُقُونَ) بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله (وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا) من القرية  
 (ذَاتَ بَيْتَةٍ) هى آثار منازلهم الخربة وقيل الماء الأسود على وجه الأرض (أَقْوَمَ) يثمن  
 تركنا أو ببينة (يَعْمَلُونَ وَإِلَى مَدِينٍ) وأرسلنا إلى مدين (أَخَاهُمْ شُعَيْباً) قَالَ يَقُومُ  
 اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا أَيُّومَ الْآخِرِ) وافعلوا ما ترجون به الثواب فى المآبة أو خافوه (وَلَا  
 تَمُوتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) فاصدين الفساد (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة  
 الشديدة أو صيحة جبريل عليه السلام لأن القلوب رجفت بها (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ) فى  
 بلدهم وأرضهم (جُنُودًا) باركين على الركب ميتين (وَعَادُوا) منصوب بإظهار أهلكنا لأن  
 قوله فأخذتهم الرجفة يدل عليه لأنه فى معنى الإهلاك (وَعَمُوداً) حزة وحفص وسهل ويمتوب  
 (وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ) ذلك يعنى ما وصفه من إهلاكهم (مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ) من جهة مساكنهم  
 إذا نظرتم إليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمررون عليها فى أسفارهم فيصرونها (وَرَبَّنَا  
 لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلُهُمْ) من الكفر والماسى (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) السبيل الذى أمروا  
 بسلوكه هو الإيمان بالله ورسوله (وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) عقلاء متمكنين من النظر وتمييز الحق  
 من الباطل ولكنهم لم يفعلوا (وَقَرُّونَ وَفِرْقُونَ وَهَمٌّ) أى وأهلكناهم (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ

(١) قوله: مِىَ بِهِمْ أى بإنهاء كسرة السين الضمة.

سَمَىٰ بِالْبَيْتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ) فأتين أدركهم أمر الله لم يفتوه (فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ) فيه رد على من يجوز العقوبة بغير ذنب (فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا) هي ريح عاصف فيها حصباء وهي لقوم لوط (وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) هي لذين وغود (وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ) يعنى قارون (وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا) يعنى نفوس نوح وفرعون (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ) ليعاقبهم بغير ذنب (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بالكفر والظلمانيان (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) أى آلهة يعنى مثل من أشرك بالله الأوثان فى الضعف وسوء الاختيار (كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) أى كمثل العنكبوت فيها تتخذ لنفسها من بيت فإن ذلك بيت لا يدفع عنها الحر والبرد ولا يبقى مائق البيوت فكذلك الأوثان لا تنفعهم فى الدنيا والآخرة جعل حاتم اتخذت حالا (وَأَنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ بُيُوتُ الْعَنْكَبُوتِ) لا بيت أوهن من بيتها . عن على رضى الله عنه طهروا بيوتكم من نسيج العنكبوت فإن تركه يورث الفقر (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الناية من الوهن وقيل معنى الآية مثل المشرك الذى يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذى يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالإضافة إلى رجل يبنى بيتا بأجر وجص أو ينحته من صخر . وكما أن أوهن البيوت إذا استقرتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الأديان إذا استقرتها ديننا دين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون وقال الزجاج فى جملة تحذير الآية مثل الذين اتخذوا من دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ لو كانوا يعلمون كمثل المنكوت (إِنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ مَا تَعْمَلُونَ) بالياء بصرى وعاصم وبالتاء غيرهما غير الأعشى والبرجى وما يعنى الذى وهو مفعول يلم ومفعول يدهون مضمهر أى يدهونه يعنى يبيدونه (مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ) من فى من شئى للتيين (وَهُوَ التَّيْزُ) الثالب الذى لا شريك له (الْحَكِيمُ) فى ترك المجاملة بالمعقوبة وفيه تجميل لهم حيث عبدوا جادا لا علم له ولا قدرة وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شئى الحكيم الذى لا يفعل كل شئى إلا بحكمة وتدير (وَلَنْ تَكُنَ الْأَمْثَلُ) الأمثال ففت والخبر (نَفْسُهَا) نبيها (لِلنَّاسِ) كان سفهاء قريش وجهلهم يقولون : إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال (وَمَا يَمْلِكُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) به وبأسماؤه وصفاته أى لا يملك سمها وحسنها ولا يفهم فائدتها إلا الم لأن الأمثال والتشبيهات

إنما هي الطرق إلى المعاني المستورة حتى تبرزها وتصورها للأفهام كما صور هذا التشبيه المرتبة بين حال الشرك وحال الموحّد وعن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية فقال «العالَم من عقل عن الله فممل بطاعته واجتنب سخطه» ودلت الآية على فضل العلم على العقل (خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أي حقاً بمعنى لم يخلفهما باطلا بل لحكمة وهي أن تكونا مسكن عبادهم وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الآتية إلى قوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمُؤْمِنِينَ) وخصهم بالذكر لاتقاعهم بها (أَتْلُو مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ) تقرباً إلى الله تعالى بقرأة كلامه ولتقف على ما أمر به ونهى عنه (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ) أي دم على إقامة الصلاة (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ) الفعلة القبيحة كالزنا مثلاً (وَالْمُنْكَرِ) هو ما ينكره الشرع والعقل قيل من كان مراعيًا للصلاة جره ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يوماً ما فقد روى أنه قيل يوماً لرسول الله ﷺ إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال «إن صلاته لتردعه» روى أن فتى من الأنصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا يكب فوصفه فقال «إن صلاته ستناه» فلم يلبث أن تاب وقال ابن عوف إن الصلاة تنهى إذا كنت فيها فأنت في معروف وطاعة وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن من لم تنه صلاته من الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) أي والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وإنما قال ولذكر الله يستقل بالتعليل كأنه قال والصلاة أكبر لأنها ذكر الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته وقال ابن عطاء ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له الآن لأن ذكره بلا حلة وذكركم مشوب بالملل والأمانى ولأن ذكره لا يفتى وذكركم لا يبقى وقال سلمان ذكر الله أكبر من كل شيء وأفضل فقد قال عليه السلام «ألا أنبشكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم» قالوا وما ذاك يا رسول الله قال «ذكر الله» وسئل أي الأعمال أفضل قال «أب تنفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله» أو ذكر الله أكبر من أن تحويه أنفسكم وعقولكم أو ذكر الله أكبر من تلقى معه معصية أو ذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من غيره (وَاللَّهُ يَتْلُمُ مَا تَسْتَعْمُونَ) من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب.

(وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) بالخصلة التي هي أحسن للثواب وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم كآل: ادفع بالتي هي أحسن (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) فأفرطوا في الاعتداء والمناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم النقلة وقيل إلا الذين آذوا رسول الله ﷺ أو إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يداؤه مغالوة أو معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للحزبة إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا النعمة ومنموا الحزبية فجادلهم بالسيف والآية ندل على جواز المناظرة مع الكفرة في الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام الذي به تتحقق المجادلة وقوله (وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) من جنس المجادلة بالأحسن. وقال عليه السلام «ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلا لم تصدقوهم وإن كان حقاً لم تكذبوهم» (وَكَذَلِكَ) ومثل ذلك الإنزال (أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ) أي أنزلناه مصداقاً لسائر الكتب السماوية أو كما أنزلنا الكتب إلى من قبلك أنزلنا إليك الكتاب (فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) هم عبد الله بن سلام ومن معه (وَمِنْهُمْ هَؤُلَاءُ) أي من أهل مكة (مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ) أو أراد بالذين أتوا الكتاب الذين هضموا عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب ومن هؤلاء الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ (وَمَا يَمْنَحُ يَأْتِيَنَا) مع ظهورها وزوال الشبهة عنها (إِلَّا الْكَافِرُونَ) إلا المتوغلون في الكفر المصممون عليه ككعب بن الأشرف وأضرابه (وَمَا كُنْتُمْ تَقُولُوا مِنْ قَبْلِهِ) من قبل القرآن (مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ) خص اليمين لأن الكتابة غالباً تكون باليمين أي ما كنت قرأت كتاباً من الكتب ولا كنت كاتباً (إِذَا) أي لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة ومن الخط (لَأَرْتَابَ الْمُتَكِبِّينَ) من أهل الكتاب وقالوا الذي نحمد نعمته في كتبنا أي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده ومهام مبطلين لإنكارهم نبوته. وعن مجاهد والشعبي مامات النبي ﷺ حتى كتب وقرأ (بَلْ هُوَ) أي القرآن (ءَايَةُ يَنْتَ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) أي في صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الإعجاز وكونه محفوظاً في الصدور بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات ولا كانت قرأ إلا من المصاحف (وَمَا يَمْنَحُ يَأْتِيَنَا) الواسعة

(إِلَّا الظَّالِمُونَ) أى التوغلون فى الظلم (وَقَالُوا نَزَّلَ آيَاتُكَ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّهِ) آية بغير ألف مكى وكوفى غير حفص أرادوا هلا أنزل عليه آيات مثل الناقة والمعا ومائدة عيسى عليهم السلام ونحو ذلك (قُلْ إِنَّمَا آيَاتُكَ عِنْدَ اللَّهِ) ينزل أيها شاء ولست أملك شيئا منها (وَأِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) كلفت الإنذار وإيאתه بما أعطيت من الآيات وليس لى أن أقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع على أن المراد من الآيات ثبوت الدلالة والآيات كلها فى حكم آية واحدة فى ذلك (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ) أى أولم يكفهم آية مفنية عن سائر الآيات إن كانوا ملابدين للحق غير متمتين هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لاتزول كاتزول كل آية بعد كونها أو تكون فى مكان دون مكان (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أى فى مثل هذه الآية الوجود فى كل مكان وزمان إلى آخر الدهر (لَرَحْمَةٌ لِّلْعَالَمِينَ) ونذكرة (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) دون التمتين (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ يَفْعَىٰ وَيَنْصُرُكُمْ شَهِيدًا) أى شاهدا بصدق ما أذيعه من الرسالة وأنزال القرآن على وجهكذيكم (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فهو مطلع على أمرى وأمركم وعالم بحق وباطلكم (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ) منكم وهو ما يبعدون من دون الله (وَكَفَرُوا بِاللَّهِ) وآياته (أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) اللبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله وإنا أولياكم لعل هدى أوفى ضلال مبين وروى أن كعب ابن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله فترلت (وَيَسْتَمِجِلُونَكَ بِالْمَذَابِ) بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء الآية (وَلَوْ لَا أَجَلٌ مُّسَمًّى) وهو يوم القيامة أو يوم بدر أو وقت فنائهم بأجلهم والذى ولولا أجل قد سماه الله وبينه فى اللوح لعذبهم والحكمة تقتضى تأخيرهم إلى ذلك الأجلسمى (لَجَاءَهُمُ الْمَذَابُ) عاجلا (وَلَكِنَّا يَنْهَيْهِمُ) المذاب عاجلا أو لئانهم المذاب فى الأجلسمى (يَنْتَهَىٰ) فجاء (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بوقت مجيئه (يَسْتَمِجِلُونَكَ بِالْمَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) أى استحيط بهم (يَوْمَ يَنْشُرُهُمُ) المَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ (وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) قوله تعالى: من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل. ولا وقف على الكافرين لأن يوم ظرف إحاطة النار بهم (وَيَقُولُ) بالياء كوفى ونافع وقوله (ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أى جزاء أعمالكم (يُعْجِزُونَ) يسكون الياء بصرى

وكوفي غير عاصم (الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّا نَرْضَىٰ وَسِعَةً) ويفتح الباب شامى يعنى أن المؤمن إذا لم  
يسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه فليهاجر عنه إلى بلد يقدر أنه فيه أسلم  
قلبا وأصح ديناً وأكثر عبادة والبقاع تتفاوت في ذلك تفاوتاً كثيراً وقالوا لم نجد أعون على  
فهر النفس وأجمع القلب وأحث على الفناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للأمر  
الدينى من مكة حرسها الله تعالى وعن سهل إذا ظهرت المصاعى والبديع في أرض فاخرجوا منها  
إلى أرض الطيبين وعن رسول الله ﷺ «من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا  
من الأرض استوجب الجنة» (فَيَأْتِيَا فَاغْبُذُونِ) وبالياء يعقوب وتقديره فإياي اعبدا فاعبدوني  
وحجى بالفاء فاعبدون لأنه جواب شرط محذوف لأن المعنى إن أرضى واسعة فإن لم تخلصوا العبادة  
لى فى أرض فأخلصوها فى غيرها ثم حذف الشرط وهوض عن حذفه تقديم المفعول مع إفادة  
تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص ثم شجع المهاجر بقوله (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)  
أى واحدة مرارته وكرهه كما يجد الدائق طعم الذوق لأنها إذا تيقنت بالموت سهل عليها مفارقة  
وطنها (ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَمُونَ) بعد الموت للثواب والعقاب يرجمون يحى ترجمون يعقوب  
(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّقَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا) لننزلهم من الجنة علاجا  
لثوابهم كوفي غير عاصم من الثواء وهو النزول للإقامة وثوى غير متعد فإذا تمدى بزيادة  
الهمزة لم يجاوز مفعولا واحدا والوجه فى تمديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف إما إجرؤه  
مجرى لنزلهم أو لنزولهم أو حذف الجار وإيصال القمل أو تشبيه الظرف المؤقت بالمهم (تَجْرَى  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِمَمَ أَجْرُ الْمُتَمِلِينَ) ويوقف على المتاملين على أن (الَّذِينَ  
صَبَرُوا) خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين صبروا على مفارقة الأوطان وعلى أذى المشركين  
وعلى الحزن والمصائب وعلى الطاعات وعن المصاعى والوصل أجود ليكون الذين نمتا للعالمين  
(وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) ولم يتوكلوا فى جميع ذلك إلا على الله ولما أمر رسول الله ﷺ  
من أسلم من مكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فنزلت (وَكَايُنْ مِنْ دَابَّةٍ) أى وكمن من  
دابة وكائن بالمد والهمز مكى والدابة كل نفس دبت على وجه الأرض عقلت أم لم تغفل (لَا تَحْمِلُ  
رِزْقَهَا) لا تلطيق أن تحملها لضيقها عن حمله (اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ) أى لا يرزق تلك الدواب  
الضئاف إلا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم

وكسبها لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنكم أعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره إنما تصبح فيرزقها الله وقيل لا يدخر شيء من الحيوان فوتا إلا ابن آدم والفأرة والنملة (وَهُوَ السَّمِيعُ) لقولكم نخشى الفقر والملة (الْعَلِيمُ) بما في ضمائركم (وَلَتَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) أي ولئن سألت هؤلاء المشركين من خلق السموات والأرض على كبرها وسعتهما ومن الذي سخر الشمس والقمر (لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) فَأَيُّ يَوْمٍ فَكُنْونَ فكيف يصرفون عن توحيد الله مع إقرارهم بهذا كله (اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ) أي لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لأن من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله. قدر الرزق وقدره بمعنى إذا ضيقه (إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءَ عَالِمٍ) يعلم ما يصلح العباد وما يفسد من الحديث «إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا النقي ولو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك» (وَلَتَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) أي هم يقولون بذلك (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) على إزاله الماء لإحياء الأرض أو على أنه من أقر بنحو ما أقروا به ثم نفى ذلك في توحيد الله ونفى الشركاء عنه ولم يكن إقرارا عاطلا كإقرار المشركين (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) لا يتدبرون بما فيهم من القول فيما نزيهم من الآيات وقيم عليهم من الدلالات أولا يقولون ما تريد بقوله الحمد لله (وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَيْبٌ) أي وما هي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وفيه إزدراء بالدنيا وتصغير لأمرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بموضة، واللهو ما يتلذذه الإنسان قبله ساعة ثم ينتفى (وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ مِنَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا) أي الحياة أي ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حياة والحيوان مصدر حي وقياسه حيوان قلبت الياء الثانية واوا ولم يقل لمى الحياة لما في بناء فعلا من معنى الحركة والاضطراب والحياة حركة والموت سكون فجبته على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ويوقف على الحيوان لأن التقدير (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) حقيقة الدارين لما اختاروا الله تعالى على الحيوان الباقي ولو وصل لصار وصف الحيوان ملقا بشرط علمهم ذلك وليس كذلك (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ) هو متمل محذوف دل عليه

ما وصمهم به شرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فإذا ركبوا في الفلك  
 (دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) كائنين في سورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث  
 لا يذكرون إلا الله ولا يدعون معه إلها آخر (فَلَمَّا نَحْنُهُمْ إِلَى الْبَرِّ) وأصبحوا (إِذَا هُمْ  
 بِشُرْكُونِ) عادوا إلى حال الشرك (لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ) من النعمة قبل هي لام كي  
 وكذا في (وَلِيَتَمَتَّعُوا) فيمن قرأها بالكسر أى لكي يكفروا وكى يتمتعوا والمعنى يمدون  
 إلى شركهم ليكونوا بالمد إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير  
 على خلاف عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة فإنهم يشكرون نعمة الله إذا أنجاهم ويمجدون  
 نعمة النجاة ذمية إلى ازدياد الطاعة لا إلى التلذذ والتمتع وعلى هذا لا وقف على يشركون  
 ومن جملة لام الأمر متبنا بقراءة ابن كثير وحجة على وليتمتعوا بسكون اللام على وجه  
 التهديد كقوله: فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . وتحقيقه في أصول الفقه يقف عليه  
 (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) سوء تدبيرهم عند تدميرهم (أَوَلَمْ يَرَوْا) أى أهل مكة (أَنَّا جَعَلْنَا)  
 بلهم (حَرَمًا) ممنوعا مصونا (ءَامِنًا) يأمن داخله (وَيَتَخَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ)  
 يستلبون قتلا وسبيا (أَفَيَا بَطُلٍ يُؤْمِنُونَ) أى بالشيطان والأسنام (وَبِنِعْمَةِ  
 اللَّهِ يَكْفُرُونَ) أى بمحمد عليه السلام والإسلام (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ  
 كَذِبًا) بأن جعل له شريكا (أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ) بنبوة محمد عليه السلام والكتاب  
 (لَمَّا جَاءَهُ) أى لم يلقه في تكذيبه حين معصوه (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى  
 لِلْكَافِرِينَ) هذا تقرير لثوابهم في جهنم لأن همزة الإنكار إذا أدخلت على النفي صار  
 إيجابا يبنى الآيات فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب  
 أو ألم يصح عندهم أن في جهنم مَثْوًى للكافرين حين اجترأوا مثل هذه الجراءة وذكر الثبوت  
 في مقابلة لنبوئهم يؤيد قراءة الثانى (وَالَّذِينَ جَهِدُوا) أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول  
 ليتناول كل ما نجح مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء الدين (فِينَا) في حقنا ومن أجلنا  
 ولوجهنا خالصا (لَتَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا) سُبُلَنَا أبومرو أى تزيدهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا  
 ومن الداراني: والذين جاهدوا فيما هدواهم إلى ما لم يعملوا فقد قيل: من عمل بما علم وفق  
 لا لا يعلم. وقيل: إن الذى نرى من جعلنا بما لانعلم إنما هو لتقصيرنا فيما نعلم. وعن فضيل: والذين



جاهدوا في طلب العلم لتهديهم سبيل العمل به . وعن سهل : والذين جاهدوا في إقامة السنة لتهديهم سبيل الجنة . وعن ابن عطاء جاهدوا في رضانا لتهديهم الوصول إلى عمل الرضوان وعن ابن عباس جاهدوا في طاعتنا لتهديهم سبيل ثوابنا وعن الجنيد جاهدوا في التوبة لتهديهم سبيل الإخلاص أو جاهدوا في خدمتنا لتفتحن عليهم سبيل المناجاة معنا والأنس بنا أو جاهدوا في طلبنا تحريا لرضانا لتهديهم سبيل الوصول إلينا ( وَإِنَّ اللَّهَ كَحَسَّ الثَّخَنِينِ ) بالنصرة والمونة في الدنيا وبالثواب والمغفرة في المقي .

### ﴿ سورة الروم مكية وهي مستون أو تسع وخمسون آية والاختلاف ﴾

في بضع سنين

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( اَلَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ ) أى غلبت فارس الروم ( فِيْ اَدْنَى الْاَرْضِ ) أى في أقرب أرض العرب لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهى أطراف الشام أو أراد أرضهم على إنابة اللام مثاب المضاف إليه أى في أدنى أرضهم إلى عدوم ( وَهُمْ ) أى الروم ( مَنْ يَمْدُ غَلَبِهِمْ ) أى غلبة فارس إياهم وقرئ بسكون اللام فالقلب والقلب مصدران وقد أضيف المصدر إلى المفعول ( سَيَغْلِبُونَ ) فارس ولا وقف عليه لتملق ( فِيْ بَضْعِ سِنِينَ ) به وهو ما بين الثلاث إلى المشرة قيل احترت فارس والروم بين أذرعنا وبصرى فغلبت فارس الروم والملك بفارس يومئذ كسرى ابرويز فبلغ انظير مكة فشق على رسول الله ﷺ والمؤمنين لأن فارس يحوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وشتموا وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظفرون نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر والله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبى بن خلف كذبت فتاحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله ﷺ فقال عليه السلام « زد في الخطر وأبعد في الأجل » فجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله ﷺ وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية أو يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من خربة أبى فقال عليه السلام « تصدق

به» وهذه آية بيّنة على صحة نبوته وأن القرآن من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب وكان ذلك قبل تحريم القمار عن قنادة ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد أن العقود الفاسدة كعقد الربا وغيره جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجوا على صحة ذلك بهذه القصة (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) أي من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء أو حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم ظالمين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعنى أن كونهم مغلوبين أولاً وغالبين آخرًا ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداؤها بين الناس (وَيَوْمَئِذٍ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم (يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) وتغايبه من له كتاب على من لا كتاب له ويغيب من شئت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم والباء يتصل بيفرح يفرح يفوق على الله لا على المؤمنين (يَنْصَرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْكَافِرُ) الغالب على أعدائه (الرَّحِيمُ) العاطف على أوليائه (وَعَدَ اللَّهُ) مصدر مؤكد لأن قوله وهم من بعد غلبهم سيفعلون وعد من الله للمؤمنين فقوله وعد الله للمؤمنين وعدا (لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) ينصر الروم على فارس (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (يَعْلَمُونَ) بدل من لا يعلمون وفيه بيان أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا وقوله (ظَهَرَ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يفيد أن الدنيا ظاهرة وباطنة فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها وباطنها أنها محاز إلى الآخرة يزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة وتشكير الظاهر يفيد أنهم لا يعلمون إلا ظاهرها واحداً من جملة ظواهرها (وَمَنْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ) هم الثانية مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبرم الأولى وفيه بيان أنهم معدن النفلة عن الآخرة ومقرها (أَوَّلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ) يحتمل أن يكون ظرفاً كأنه قيل أولم يثبتوا التفكير في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكير لا يكون إلا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقوله اعتقده في قلبك وأن يكون صلة للتفكير نحو تفكر في الأمر وأجال فيه فكره ومعناه على هذا أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم بأحوالها منهم بأحوال ماعداتها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهراً وباطناً من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الإهمال

وأنه لابد لها من الانتهاء إلى وقت تجازى فيه على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلما حتى  
 بملوا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة في التدبير وأنه لابد لها من  
 الانتهاء إلى ذلك الوقت ( مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ) متعلق بالقول  
 المحذوف منناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل منناه فملوا لأن في الكلام دليلا عليه  
 ( إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ) أى ما خلقها باطلا وعبثا بنير حكمة بالغة ولا لتبقى خالدة  
 إنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وتقدير أجل مسمى لابد لها من أن تنتهى  
 إليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الآتى إلى قوله: أغضبهم إنما خلقناكم  
 عبثا وانكم إلينا لاترجعون. كيف سعى تركهم غير راحمين إليه عبثا ( وَإِنْ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ  
 يَرْفَعُونَ رَّبَّهُمْ ) بالبحث والجزاء ( لَكَفُرُونَ ) لجاحدون وقال الزجاج: أى لكافرون ببقاء  
 ربهم ( أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ) هو  
 تحرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار الدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم السابقة ثم  
 وصف حالهم فقال ( كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ ) وحرثوها ( وَغَمَرَوْهَا )  
 أى الدمرون ( أَكْثَرَ ) سفة مصدر محذوف ومصدرية في ( يَمَّا غَمَرَوْهَا ) أى من عمارة  
 أهل مكة ( وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِبَيِّنَاتٍ ) وتقف عليها حتى الحذف أى فلم يؤمنوا فأهلكوا  
 ( فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ) فإكان تدميرهم لإلهم ظلما لهم ( وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ  
 يَظْلِمُونَ ) ولكنهم ظلوا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم ( ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ  
 النَّاسِ شَامِيًا وكوفي ( الَّذِينَ أَسْأَوْا السُّوءَ ) تأنيت الأسوأ وهو الأفتح كما أن  
 الحسن تأنيت الأحسن وعملها رفع على أنها اسم كان عند من نصب عاقبة على الخبر ونصب  
 عند من رفضها والمعنى أنهم هوبوا في الدنيا بالتمام ثم كانت عاقبتهم السوأى إلا أنه وضع  
 المظهر وهو الذين أساءوا موضع الضمر أى القوية التى هى أسوأ العقوبات فى الآخرة وهى النار  
 التى أعدت للكافرين ( أَنْ كَذَّبُوا ) لأن كذبوا أوبأن وهوبل على أن معنى أساءوا كفروا  
 ( يُبَايِعُ اللَّهُ وَكَانُوا يَهَابُ يَسْتَهْزِئُونَ ) يعنى ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات  
 الله واستهزائهم بها ( اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ) ينشئهم ( ثُمَّ يُعِيدُهُ ) يحييهم بعد الموت ( ثُمَّ إِلَيْهِ  
 تُرْجَعُونَ ) وبالباء أبو عمرو ومهل ( وَيَوْمَ تَكُونُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ ) يأس ويتعير يقال ناظرته

فأبلى إذا لم ينس ويأس من أن يحتج (المُجْرِمُونَ) المشركون (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ) من الذين عبدوهم من دون الله. وكتب (شُعُوًّا) في المصحف يوا قبل الألف كما كتب علماؤنا في إسرائيل وكذلك كتبت السواى بالألف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها (وَكَانُوا يَشْرِكُوا بِهِمْ كُفْرِينَ) أى يكفرون باللهم ويجمعونها أو كانوا في الدنيا كافرين بسببهم (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ) الضمير في تنفقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه حيث قال (فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَفَعَلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ) أى بستان وهى الجنة والتنكير لإيهام أمرها وتفضيها (يُخْبَرُونَ) يسرون يقال خبره إذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلف فيه لاحتمال وجوه السار قليل يكرمون وقليل يحاون وقل هو الساع في الجنة (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ) أى البعث (فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) مقيمون لا ينيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله: ومأم مجارجين منها لما ذكر الوعد والوعيد أتبمه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينتجى من الوعيد فقال (فَسُبْحَنَّ اللَّهَ) والمراد بالتسبيح ظاهره الذى هو تزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير فى هذه الأوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة أو الصلاة قليل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن فقال نعم وتلا هذه الآية وهو نصب على المصدر والمعنى نزهوه عما لا يليق به أو صلوا لله (حِينَ تُمْسُونَ) صلاة المغرب والمشاء (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) صلاة الفجر (وَلَهُ الْحُكْمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) اعتراض ومنه أن على المميزين كلهم من أهل السموات والأرض أن يحمده، وفى السموات حال من الحمد (وَعَشِيًّا) صلاة العصر وهو معطوف على حين تمسون، وقوله عشيا متصل بقوله حين تمسون (وَحِينَ تَقُومُونَ) صلاة الظهر أظهر أى دخل فى وقت الظهيرة والقول الأكثر أن الصلوات الخمس فرضت بمكة (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) الطائر من البيضة أو الإنسان من النطفة أو المؤمن من الكافر (وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) أى البيضة من الطائر أو النطفة من الإنسان أو الكافر من المؤمن، والميت بالتخفيف فهما مكى وشامى وأبو عمرو وأبو بكر وحامد وبالتشديد غيرهم (وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ) بالنبات (بِعَدَمَاتِهَا) يسها (وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ) تخرجون حمزة وعلى وخلف أى ومثل ذلك الإخراج تخرجون من قبوركم والكاف فى عمل النصب بتخرجون

والمنى أن الإبداء والإعادة يتساويان في قدرة من هو قادر على إخراج الميت من الحى وعكسه  
 روى ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال «من قرأ فسبحان الله حين تمسون إلى الثلاث  
 وآخر سورة والصفات دبر كل صلاة كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر الأمطار  
 وورق الأشجار وتراب الأرض فإذا مات أجرى له بكل حرف عشر حسنة في قبره» قال عليه  
 السلام «من قرأ حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وكذلك تخرجون  
 أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته» (وَمِنْ آيَاتِهِ) ومن علامات  
 وبوئته وقدرته (أَنْ خَلَقَكُمْ) أى أباكم (مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذْ آتَيْنَاكُمْ بَشَرًا) أى آدم وذريته  
 (تَنْتَشِرُونَ) تنصرفون فيما فيه مساكنكم وإذا لفجأة وقديره ثم فجأته وقت كونكم  
 بشرا منتشرين في الأرض (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا)  
 أى حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال أو من شكل  
 أنفسكم وجنسها لامن جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الإلف والسكون  
 وما بين الجنسين المختلفين من التنافر يقال سكن إليه إذا مال إليه (وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً  
 وَرَحْمَةً) أى جعل بينكم التواد والترامح بسبب الزواج وعن الحسن المودة كناية عن الجماع  
 والرحمة عن الولد وقيل المودة الشابة والرحمة المعجوز وقيل المودة والرحمة من الله والفرك من  
 الشيطان أى بنى المرافق زوجها وبنى الزوج المرأة (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)  
 فيعلمون أن قوام الدنيا بوجود التناسل (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ  
 أَلْسِنَتِكُمْ) أى اللغات أو أجناس النطق وأشكاله (وَأَلْوَانِكُمْ) كالسواد والبياض وغيرها  
 ولا اختلاف ذلك وقع التعارف والإلفوا نشأ كلت وانفقت لوقع التعاجل والالتباس وتعملت  
 المصالح وفي ذلك آية بيّنة حيث ولدوا من أب واحد وهم على السكرة التى لا يعلمها إلا الله متفاوتون  
 (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [لما بين] جمع عالم وبكر اللام حفص جمع عالم ويشهد بالكسر  
 قوله تعالى وما يلقاها إلا المألون (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ  
 قَضَائِهِ) هذا من باب اللف، وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغائكم من فضله بالليل والنهار إلا أنه  
 فصل بين القربين الأولين بالقربين الآخرين أو المراد منامكم في الزمانين وابتغائكم فيهما، والجمهور  
 على الأول لتكرره في القرآن وأسد المائى ما دل به القرآن (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَسْمَعُونَ) أى يسمعون صماع ندير بأذن واعية (وَمِنْ أَتَيْتُمْ يُوبِكُمْ الْبَرْقُ) فى ربكم  
 وحيان اضارأن كما فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وإنزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر  
 النفل تسمع بالمعنى خبر من أن تراه أى أن تسمع أو مياك (خَوْفًا) من الصاعقة أو من  
 الخلاف (وَعَطْمًا) فى القيث أو خوفًا للمسافر وطعما للحاضر وهما منصوبان على الفعل له  
 على تقدير حذف الضاف وإقامة الضاف إليه مقامه أى إرادة خوف وإرادة طمع أو على الحال  
 أى خائفين وطامعين (وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ) وبالتخفيف مكى وبصرى (مَاءً) مطرا (فَيُخْشِيهِ  
 بِرِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتفكرون بمقوله (وَمِنْ  
 أَتَيْتُمْ أَنْ تَقُومَ) تثبت بلا عمد (السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِأَمْرِهِ) أى بإقامته وتديره وحكمته  
 (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ) للبعث (دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذْ آآ أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) من قبوركم هذا كقوله  
 ربكم فى إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والأرض  
 واستمساكها بغير عمد ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة يأهل القبور اخرجوا  
 والراد سرعة وجود ذلك من غير توقف وإعاطف هذا على قيام السموات والأرض ثم بيانا  
 لنظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول يأهل القبور قوموا فلا تبقى  
 نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وإذا  
 الأولى للشرط والثانية للمفاجأة وهى تنوب مناب الفاء فى جواب الشرط ومن الأرض متعلق  
 بالفعل لا بالمصدر وقوله دعوته من مكان كذا يجوز أن يكون مكانك ويجوز أن يكون مكان  
 صاحبك (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَتُونَ) منقادون لوجود أعماله فيهم  
 لا يمتنعون عليه أو مقرون بالعبودية (وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ) أى ينشئهم (ثُمَّ يُعِيدُهُ)  
 للبعث (وَهُوَ) أى البعث (أَهْوَنُ) أيسر (عَلَيْهِ) عندكم لأن الإعادة عندكم أسهل من  
 الإنشاء فلم أنكرتم الإعادة، وأخرت الصلة فى قوله وهو أهون عليه وقدمت فى قوله: هو على  
 حين، لتعمد الاختصاص هناك وأما هنا فلامنى للاختصاص وقال أبو عبيدة والزجاج وغيرهما:  
 الأهون بمعنى الهين فيوصف به الله عز وجل وكان ذلك على الله يسيرا كما قالوا الله أكبر أى  
 كبير والإعادة فى نفسها عظيمة. ولكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء أو هو أهون على الخلق  
 من الإنشاء لأن قيامهم بصيعة واحدة أسهل من كونهم نطفًا ثم علنا ثم مضًا إلى تكميل

خلقهم (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى الوصف الأعلى الذى ليس لغيره. وقدم عرف به ووصف فى السموات والأرض على السنة الخلاق وأسنة الدلائل وهو أنه القادر الذى لا يمجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله (وَهُوَ الْغَنِيُّ) أى القاهر لكل مقدور (الْحَكِيمُ) الذى يجرى كل فعل على قضايا حكمته وعلمه ومن ابن عباس رضى الله عنهما: المثل الأعلى ليس كمثل شيء وهو السميع البصير. وعن مجاهد: هو قول لا إله إلا الله. ومعناه وله الوصف الأرفع الذى هو الوصف بالوحدانية ويمضده قوله (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ) فهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن جعل له شريكا من خلقه ومن للابتداء كأنه قال أخذ مثلا وانزعه من أقرب شيء منكم وهى أنفسكم (هَلْ لَّكُمْ مَعَاشِرَ الْأَحْرَارِ مِمَّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْدِيكُمْ) هيبكم ومن للتبويض (مِنْ شُرَكَاءَ) من مزينة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفي ومعناه هل ترضون لأنفسكم وهيبكم أمثالكم بشر. كبشر وعبيد كمبيد أن يشاركم كمضهم (فِي مَا رَزَقْنَكُمْ) من الأموال وغيرها (فَأَنَّهُمْ) معاشر الأحرار والعبيد (فِيهِ) فى ذلك الرزق (سَوَاءٌ) من غير تفصلة بين حر وعبد يحكم ممالككم فى أموالكم كهكمكم (تَخَافُونَهُمْ) حال من ضمير الفاعل فى سواء أى متساوون. خافا بضمك بعضا مشاركته فى المال والمضى تخافون معاشرة السادة عبيدكم فيها فلا تمنون فيها حكادون إذ أنهم خوافا من لائمة تلحقكم من جهنم (كَحَيْثُ تَكُونُ أُنْفُسُكُمْ) يعنى كما يخاف بعض الأحرار بعضا فيها هو مشترك بينهم فإذا لم رضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون. رب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء (كَذَلِكَ) موضع الكاف نصب أى مثل هذا التفصيل (نَفْصَلُ الْآيَاتِ) نبينا لأن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها (لَقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) يتدبرون فى ضرب الأمثال فلما لم يجزوا أضرب عنهم فقال (بَلْ أَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بما أشركا كما قال الله تعالى: إن الشرك لظلم عظيم. (أَهْوَأَهُمْ بِنَبِيِّهِمْ) أى اتبعوا أهواءهم جاهلين (فَمَنْ يَهْدِي مَن أَضَلَّ اللَّهُ) أى أضله الله تعالى (وَمَا لَهُمْ مِّنْ تَحْسِيرِينَ) من العذاب (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ) تقوم وجهك له وعد له غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وإهتمامه بأسبابه فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره. وقوم له. وجهه (حَنِيفًا) حال

من الأمور أو من الدين (فُطِرَتِ أَشْيَاءٌ) أى الزموا فطرة الله والفطرة الخلقة ألا ترى إلى قوله لا تبديل لخلق الله فالخلق أنه خلقهم قابلين للتوحيد والإسلام غير نائين عنه ولا منكربين له لكونه مجاوباً للعقل مساوفاً للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الجن والإنس ومنه قوله عليه السلام «كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالهم الشياطين من دينهم وأمرهم أن يشركوا بى غيرى» وقوله عليه السلام «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه ما اللذان يهودانه وينصرانه» وقال الزجاج: معناه أن الله تعالى فطر الخلق على الإيمان به على ما جاء فى الحديث «إن الله عز وجل أخرج من صلب آدم كالدرر وأنهدم على أنفسهم بأنه خالقهم» فقال وإذا أخذ ربك إلى قوله قالوا بلى وكل مولود هو من تلك الذرية التى شهدت بأن الله تعالى خالقها. فمعنى فطرة الله دين الله (أَلَبَّيْ فُطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) أى خلق (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) أى ما يبنى أن تبدل تلك الفطرة أو تنير وقال الزجاج معناه لا تبديل لدين الله ويدل عليه ما بعده وهو قوله (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) أى المستقيم (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) حقيقة ذلك (مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ) راجعين إليه وهو حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا الضمير أو من قوله فأقم وجهك لأن الأمر له عليه السلام أمر لأمرته فكانه قال فأقيموا وجوهكم متبئين إليه أو التقدير كونوا متبئين دليله قوله ولا تكونوا (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) أى أدوها فى أوقاتها (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ممن يشرك به غيره فى العبادة (مِنَ الَّذِينَ) بدل من المشركين بإعادة الجار (فَرَّقُوا دِينَهُمْ) جعلوه أدياناً مختلفة لاختلاف أهوائهم فارقوا حزمة وعلى وهى قراءة على رضى الله عنه أى تركوا دين الإسلام (وَكَانُوا شِيَعًا) فرقا كل واحدة تشايح إمامها الذى أسلمها (كُلُّ حِزْبٍ) منهم (بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) فرح بمذهبه مسرور بحسب بطله حقاً (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ) شدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك (دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَانُهُمْ مِنْهُ رَحِمَهُ) أى خلاصاً من الشدة (إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشِيرُونَ) فى العبادة (لِيَكْفُرُوا) هذه لام كي وقيل لام الأمر للوعيد (بِمَا آتَيْنَاهُمْ) من النعم (فَتَمَتَّعُوا) بكفركم قليلاً أمر وعيد (فَسَوْفَ



تَمْلُؤُونَ) وبإل تتمكم (أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا) حجة (فَوَيْتَنَكُمُ) وتكلمه بجزء  
 كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الشهادة كأنه قال : فهو يشهد  
 بشركتهم وبصحته (يَعْمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) ما مصدرية أى يكونهم بالله يشركون أو  
 موسولة ويرجع الضمير إليها أى فهو يتكلم بالأمر الذى بسببه يشركون أو معنى الآية أم  
 أنزلنا عليهم ذاسلطان أى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه يشركون  
 (وَإِذْ آذَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً) أى نعمة من مطر أو سعة أو سعة (فَرِحُوا بِهَا) بطروا بسببها  
 (وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ) أى بلاء من جرب أو ضيق أو مرض (يَعْمَا قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ) بسبب  
 شؤم معاصيهم (إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) من الرحمة وإذا لمفاجأة جواب الشرط نابت عن الغاء  
 لتأخيرهما فى التعقيب (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَنْسُطُ الرُّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
 لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) أنكر عليهم بأنهم قد علموا بأنه القابض الباسط فسا لهم يقنطون  
 من رحمة وما لهم لا يرجعون إليه تائبين عن المعاصى التى هوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد  
 إليهم رحمة ولما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أنبهه ذكر ما يجب أن يفعل وما  
 يجب أن يترك فقال (فَثَبَاتِ ذَا الْقُرْبَى) أعط قريبك (حَقَّهُ) من البر والصلة (وَالْمُسْكِينِ  
 وَابْنِ السَّبِيلِ) نصيبهما من الصدقة السماة لها وفيه دليل وجوب النفقة للمحارم كما هو  
 مذهبنا (ذَلِكَ) أى إنشاء حقوقهم (خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ) أى ذاته أى يقصدون  
 بعمر وفهم إياه خالصا (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَا آتَيْنُم مِّن رَّبًّا لِّبَرِّبُوا فِي أَمْوَالِ  
 النَّاسِ) يريد وما أعطيتهم أكلة الربا من ربا ليربوا فى أموالهم (فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ) فلا  
 يزكوا عند الله ولا يبارك فيه وقيل هو من الربا الحلال أى وما تعطونه من الهدية لتأخذوا  
 أكثر منها فلا يربوا عند الله لأنكم لم تريدوا بملك وجه الله (وَمَا آتَيْنُم مِّن رَّكَوٍ) (سِدْقَةٍ)  
 (تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ) تبتنون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء ولا سمعة  
 (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْفِقُونَ) ذوقوا الإضفاف من الحسنات ونظير الضنфф القوى والوسر لئى  
 القوة واليسار. آتيتهم من ربا بلامد مكى أى وما غشيتموه من إعطاء ربا ليربوا مدنى أى ليريدوا

في أموالهم وقوله فأولئك هم الضعفون الثغات حسن لأنه يفيد التعميم كأنه قيل من نسل  
هنا فسيبيله سبيل الخاطئين والمعنى الضعفون به لأنه لا بد له من ضمير يرجع إلى ما الموصولة  
وقال الزجاج في قوله فأولئك هم الضعفون أى فأهلها هم الضعفون أى هم الذين يضاعف لهم  
الثواب يعطون بالحسنة عشر أمثالها ثم أشار إلى عجز آلهم فقال (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ)  
مبتدأ وخبر (ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) أى هو المختص بالخلق والرزق  
والإماتة والإحياء (هَلْ مِنْ شَرِكائِكُمْ) أى أصنامكم التى زعمتم أنهم شركاء لله (مَنْ  
يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ) أى من الخلق والرزق والإماتة والإحياء (مَنْ شَيْءٌ) أى شيئاً من  
تلك الأفعال فلم يجيبوا عجزاً فقال استعباداً (سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) ومن الأولى  
والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل هديتهم (ظَهَرَ  
الْفَسَادُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) نحو القحط وقلة الأمطار والريح في الزراعات والريح في التجارات  
ووقوع الموان في الناس والدواب وكثرة الحرق والفرق وعق البركات من كل شيء (يَا  
كَسِبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) بسبب معاصيهم وشركهم كقوله: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت  
أيديكم. (لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا) أى ليعذبهم ويأل بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يماقهم  
بجميعها في الآخرة والآنون هن قبل (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) مما هم عليه من الماصى ثم أكد  
تسبب الماصى لغضب الله ونكاله بقوله (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ  
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ) حيث أمرهم بأن يسيروا فينظروا كيف  
أمهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة بمصائبهم (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ) البليغ الاستقامة  
الذى لا يأتى فيه عوج (مِنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ) هو مصدر بمعنى الرد (مِنْ  
أَفْئَةٍ) يتعلق يأتى والمعنى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يرد أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون  
ردها أو مجرد على معنى لا يرد هو بمد أن يجيء به ولارد له من جهته (يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ)  
يتصدعون أى يتفرون ثم أشار إلى غناه عنهم فقال (مَنْ كَفَرَ فَمَكِّنْ لَهُ كُفْرَهُ) أى وبأل  
كفره (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) أى يسوون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذى  
يمهد نفسه فراشه ويوطئه لثلا يصيبه في مضجعه ما ينقص عليه مرقده من نتوء وغيره والمعنى  
أنه يمهدهم لهم الجنة بسبب أعمالهم فأضيف إليهم وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أن ضرره

الكفر لا يمود إلا على الكافر ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تجاوزه  
 (لِيَجْزِيَ) متعلق بيمهدون تمليل له وتكرير (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وترك الضمير  
 إلى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن (مِنْ فَضْلِهِ) أى عطائه وقوله (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ  
 الْكَافِرِينَ) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس (وَمِنْ آيَاتِهِ) أى ومن آيات قدرته (أَنْ  
 يُرْسِلَ الرِّيحَ) هى الجنوب والشمال والصبا وهى رياح الرحمة وأما الدبور فريح المذاب ومنه  
 قوله عليه السلام «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» وقد عدد القوائد فى إرسالها فقال (مُبَشِّرَاتٍ)  
 أى أرسلها للإشارة بالنيث (وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) ولإذاقة الرحمة وهى نزول المطر  
 وحصول الخصب الذى يقيمه والروح التى مع هبوب الريح وزكاء الأرض وغير ذلك ولينذيقكم  
 معطوف على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليشركم وليذيقكم (وَلِيُجْزِيَ الْفَلَاحُ) فى البحر عند  
 هبوبها (بِأَمْرِهِ) أى بتدبيره أو بكونه كقوله إنما أمره إذا أراد شيئا الآية (وَلِيُتَبَشَّرُوا مِنْ  
 فَضْلِهِ) يريد تجارة البحر (وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ) ولتشكروا نعمة الله فيها (وَأَقَدْ  
 أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) أى فأتى بهم قوم وكفر بهم  
 قوم وبدل على هذا الإنكار قوله (فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا) أى كفروا بالإهلاك فى  
 الدنيا (وَكَانَ حَقًّا قَلِيلًا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) أى وكان نصر المؤمنين حقا علينا بإنجائهم مع  
 الرسل وقد يوقف على حقا ومنه وكان الانتقام منهم حقا ثم تبدى علينا نصر المؤمنين والأول  
 أصح (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ) الريح مكى (فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ) أى السحاب (فِي  
 السَّمَاءِ) أى فى سمى السماء وشقها كقوله وفرعها فى السماء (كَيْفَ يَشَاءُ) من ناحية  
 الشمال أو الجنوب أو الدبور أو الصبا (وَيَجْعَلُهُ كَيْفًا) قطعا جمع كسفة أى يجعله متبسطة  
 يأخذ وجه السماء مرة ويجعله قطعا متفرقة غير متبسطة مرة. كَيْفًا يزيدوا بذكر (قَرَى  
 الْوَدْقِ) المطر (يَخْرُجُ) فى التارتين جيما (مِنْ خِلَالِهِ) وسطه (فَيَأْتِي أَسَابِغَ بِهِ) بالودق  
 (مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يريد إسابة بلادهم وأراضهم (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يفرحون  
 (وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَطَرُ) (مَنْ قَبْلِهِ) كقولنا كيد كقوله: فكان  
 عاقبتهمما أنهما فى النار حالدين فيها . ومعنى التوكيد فيها الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تجاوز  
 فاستحكم بأسهم فكان الاستبشار على قدر اغنامهم بذلك (لَمُبَشِّرِينَ) آيسين (فَانظُرْ إِلَى

عائري) شامى وكوفي غير أبى بكر. وغيرهم آثار (رَحِمَتِ الله) أى المطر (كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ) بالنبات وأنواع الثمار (بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ) أى الله (لَمَحْضٍ أَلْمَوْتِ) يعنى أن ذلك القادر الذى يحيى الأرض بعد موتها هو الذى يحيى الناس بعد موتهم فهذا استدلال بإحياء الموات على إحياء الأموات (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أى وهو على كل شيء من القدورات قادر وهذا من جملة القدورات بدليل الإنشاء (وَلَيْتِنَا أُرْسَلْنَا رِيحًا) أى الدبور (فَرَأَوْهُ) أى أثر رحمة الله لأن رحمة الله هى النيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه لأن معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سمي به ما ينبت (مُصْفَرًّا) بعد إخضراره وقال مصفرا لأن تلك سفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لأن السحاب الأصفر لا يطار واللام فى لئى موطئة القسم دخلت على حرف الشرط، وسد مسد جوابى القسم والشرط (لَنَلْقَوْا) ومعناه ليطلن (مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) أى من بعد إصفراره أو من بعد الاستبشار فهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم المطر قنطوا من رحمته وضرىبوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فإذا أسأبهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا فإذا أرسل ريحا فضرىب رءوسهم بالصغار ضجوا وكفروا بنعمة الله فى جميع هذه الأحوال على الصفة للذمومة وكان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله قنطوا وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها ففرحوا وأن يصبروا على بلائه فكفروا (فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتِ) أى موتى القلوب أو هؤلاء فى حكم الموتى فلا تطمع أن يقبلوا منك (وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ) ولا يسمع الصم مكى (إِذَا وَلَوْا مُدَّيْرِينَ) فإن قلت الأصم لا يسمع مقبلا أو مدبرا فافائدة هذا التخصيص قلت هو إذا كان مقبلا يفهم بالرمز والإشارة فإذا ولى لا يسمع ولا يفهم بالإشارة (وَمَا أَنْتَ بِبَدِّ الْمُتَمِّ) أى هى القلوب، وما أنت تهتدى المى حمزة (فَن صَلَّيْتُمْ) أى لا يمكنك أن تهتدى الأعمى إلى طريق قدضل عنه بإشارة منك له إليه (إِنْ تَسْمِعْ) ما تسمع (إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ) متفادون لأوامر الله تعالى (اللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) من النطف كقوله من ماء مهين (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً) يعنى حال الشباب وبلوغ الأشد (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) يعنى حال الشيخوخة والهرم (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) من ضعف وقوة وشباب وشيبة (وَهُوَ أَلِيمٌ) بأحوالهم (التقدير) على تغييرهم وهذا الترتيد

في الأحوال أبين دليل على الصانع العظيم القدير. فتح العناد في الكل عاصم وحجة وضم غيرهما وهو اختبار حفص وما لنتان والغم أقوى في القراءة لا روى عن ابن عمر قال قرأها على رسول الله ﷺ من ضعف فأقراني من ضعف (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) أي القيامة سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا ولأنها تقع بفترة كاقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للنريا (يُقَسِّمُ الْمُجْرِمُونَ) يحلف الكافرون ولا وقف عليه لأن (مَا لَيْشُوا) في القبور أو في الدنيا (فَبَرَّ سَاعَتَهُ) جواب القسم استقلوا مدة لبهم في القبور أو في الدنيا لهول يوم القيامة وطول مقامهم في شدائدها أو ينسون أو يكذبون (كَذَلِكَ كَانُوا بُؤَسَكُونَ) أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق إلى الكذب في الدنيا ويقولون ما هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (وَقَالَ الَّذِينَ أَتَوْا آلِيَهُمْ وَالْإِيمَانِ) هم الأنبياء والملائكة والمؤمنون (لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ) في علم الله الميث في اللوح أو في حكم الله وقضائه (إِلَى يَوْمِ الْبَاسِ) ردوا ما قالوه وحلقوا عليه وأطلعوا على الحقيقة ثم وسالوا ذلك بتقريهم على إنكار البعث بقولهم (فَهَذَا يَوْمُ الْبَاسِ وَلَكِنْ كُنْتُمْ كُنْتُمْ) في الدنيا (لَا تَعْلَمُونَ) أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه والفناء لجواب شرط يدل عليه الكلام تقديره إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث الذي أنكرتموه (فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ) بالياء كوفي (الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (مَعْدِرُهُمْ) عذرهم (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) أي لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة من قولك استعنتي فلان فأعنته أي استرضاني فأرضيته (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ جِثَّتْهُمْ رِئَاسَةٌ لِيَقُولُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ) أي ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرايتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصصهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعابهم ولكنهم قصوة قلوبهم إذا جثتهم بآية من آيات القرآن قالوا حقنا بزور وباطل (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أي مثل ذلك انطبع وهو الختم يطبع الله على قلوب الجاهلة الذين علم الله منهم اختبار الضلال حتى يسموا الخفين مبطلين وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة (فَأَمْسِرْ) على أذانهم أو عداوتهم (إِنْ وَعَدَ اللَّهُ) بنصرتك على أعدائك وإظهار دين الإسلام على كل دين (حَقٌّ) لا بد من إنجازها والوفاء به

﴿وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أى لا يحملنك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخفة والمجلة في السماء عليهم بالعذاب أو لا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فإنهم ضلال شاكون لا يستبدع منهم ذلك ولا يستخفنك بسكون النون عن يعقوب والله الوفاق للصواب .

﴿ سورة لقمان مكية وهى ثلاث أو أربع وثلاثون آية ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( أَلَمْ تَكُنْ أَتَى الْكَيْتِ الْحَكِيمِ ) ذى الحكمة أو وصف بصفة الله عز وجل على الإسناد المجازى ( هُدًى وَرَحْمَةً ) حالان من الآيات والعامل معنى الإشارة فى تلك حمزة بالرفع على أن تلك مبتدأ وآيات الكتاب خبره وهدى خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أى هو أوحى هدى ورحمة ( لِلْمُحْسِنِينَ ) للذين يعملون الحسنات المذكورة فى قوله ( الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ) ونظيره قول أوس:  
الأممى الذى يظن بك الظن ظن كأن قد رأى وقد سمعا

أو للذين يعملون جميع ما يحسن ثم خص منهم القاتمين بهذه الثلاثة لفضلها ( أُولَئِكَ عَلَى هُدًى ) مبتدأ وخبر ( مِنْ رَبِّهِمْ ) صفة لهدى ( وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) عطف عليه ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِ لَهْوَ الْحَدِيثِ ) نزلت فى النضر بن الحرث وكان يشتري أخبار الأكاسرة من فارس ويقول إن محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود غانا أحدثكم بأحاديث الأكاسرة فيميلون إلى حديثه ويتكون استماع القرآن. واللهم كل باطل أنمى عن الخير وما يعنى. وهو الحديث نحو السمر بالأساطير التى لأصل لها والفناء وكان ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما يحلفان أنه الفناء وقيل الفناء مفسدة للقلب منفذة للعالم مسخطة للرب وعن النبي ﷺ «ممن رجل يرفع صوته بالفناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت» والاشتراء من الشراء كما روى عن النضر أو من قوله اشتروا الكفر بالإيمان أى استبدلوه مته واختاروه عليه أى يختارون حديث الباطل على حديث الحق وإضافة الله إلى الحديث للتبيين بمعنى من. لأن الله يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد

بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث «الحديث في المسجد بأكل الحسنات كما تأكل  
 البهيمة الحشيش» أول التبيين كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو  
 منه (يُضِلُّ) أى ليعبد الناس عن السخول في الإسلام واستماع القرآن، ليعضل مكي وأبو  
 عمرو أى ليثبت على ضلاله الذى كان عليه ويزيد فيه (عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ) عن دين الإسلام  
 والقرآن (بِغَيْرِ عِلْمٍ) أى جهلا منه بما عليه من الوزر به (وَيَتَّخِذَهَا) أى السبيل بالنصب  
 كرفى غير أبى بكر عطفًا على ليعضل ومن رفع عطفه على يشتري (هُزُوا) بسكون الزاى  
 والمهزة حمزة وبضم الزاى بلا همز حفص وغيرهم بضم الزاى والهمزة (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ  
 مُّهِينٌ) أى يهينهم ومن لإيهامه يقع على الواحد والجمع أى النضر وأمثاله (وَإِذَا تَنَالَى عَلَيْكَ  
 ءَابَتْكَ وَأَتَى مُسْتَكْبِرًا) أعرض عن نذرها مستكبرا رافعا نفسه عن الإساءة إلى القرآن  
 (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا) يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو حال من مستكبرا والأصل  
 كأنه والضمير ضمير الشأن (كَأَن فِي أذُنَيْهِ وَقُرْآنًا) حملا وهو حال من لم يسمعها أذنيه  
 نافع (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ  
 ولا وقف عليه لأن (خَلِدِينَ فِيهَا) حال من الضمير في لهم (وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) مصدران  
 مؤكدان الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره إذ لهم جنات النعيم في معنى وعدم الله  
 جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد، وحقا يدل على معنى الثبات فأكد به معنى الوعد ومؤكدهما  
 لهم جنات النعيم (وَهُوَ الْمَزِيدُ) الذى لا يفيده شيء فبهين أعداءه بالعذاب المهيمن (الْحَكِيمُ)  
 بما يقبل فيقيت أوليائه بالنعيم القيم (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ) جمع عماد (تَرَوْنَهَا)  
 الضمير للسماوات وهو استقصاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بنير محمد كما قول لصاحبك  
 أنا بلا سيف ولا رمح ترانى ولا عمل لها من الأعراب لأنها مستأنفة أدنى عمل الجرصة لعمد  
 أى بنير محمد حربية يعنى أنه مدها بمد لا ترى وهى إمساكها بقدرته (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ  
 رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت (أَنْ تَحِيدَ بِكُمْ) لئلا تضطرب بكم (وَبَثَّ) ونشر (فيها من كل  
 دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ) سنف (كريم) حسن (هَذَا)  
 إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته (خَلَقَ اللَّهُ) أى مخلوقه (فَارَوْنِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ  
 دُونِهِ) يعنى آلهتهم بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله فأرونى ما خلقته آلهتكم

حتى استوجبوا عندكم العبادة (بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) أضرب عن نبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بمدة ضلال (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ) وهو لقمان ابن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث دارد عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له قال ألا أكتفي إذا كُفيت وقيل كان خباطا وقيل نجارا وقيل راعيا وقيل كان قاضيا في بني إسرائيل وقال عكرمة والشمسي كان نبيا والجمهور على أنه كان حكيما ولم يكن نبيا وقيل خبر بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وهي الإصاغة في القول والعمل وقيل تتلذذ لألف وتتلهذه ألف نبي. وأن في (أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ) مفسرة والمعنى أى اشكر لله لأن إيتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله تعالى على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر إيتاء الحكمة بالحث على الشكر وقيل لا يكون الرجل حكيما حتى يكون حكيما في قوله وفعله ومماشرته ومحبهته وقال السري السقطي : الشكر أن لاتعصى الله بنعمه. وقال الجنيد: أن لا ترى معه شريكا في نعمه. وقيل هو الإقرار بالجزء عن الشكر والحاصل أن شكر القلب المعرفة وشكر اللسان الحمد وشكر الأركان الطاعة ورؤية المعجز في الكل دليل قبول الكل (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) لأن منفعتهم تعود إليه فهو يريد المزيد (وَمَنْ كَفَرَ) النعمة (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ) غير محتاج إلى الشكر (حَبِيدٌ) حقيق بأن يحمده وإن لم يحمده أحد (وَإِذْ) أى واذا ذكر إذ (قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ) انهم أو أشكم (وَهُوَ يَبْطُلُهُ يَبْنَى) بالإسكان مكى بابى حفص يفتح في كل القرآن (لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) لأنه تسمية بين من لانة لا وهى منه ومن لانة له أسلا (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا) أى حملته نهن وهنا على وهن أى تضفف ضعفا فرق ضعف أى يتزايد ضعفها ويتضاعف لأن الحمل كلما ازداد أو عظم ازدادت ثقلا وضعفا (وَفَصَّلْنَا فِي عَمَتَيْنِ) أى فطامه عن الرضاع لتمام عامين (أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) هو تفسير لوصيتنا أى وصيتنا بشكرنا وبشكر والديه وقوله حملته أمه وهنا على وهن وفصله في عامين اعتراض بين الفسر والفسر لأنه لما وصى بالوالدين ذكر ماتكابه الأم وتعاميه من المشاق في عمله وفصله هذه المدة الطويلة تذكيرا بحقوقها العظيم مفردا وعن ابن عينة: من صلى الصلوات



الحس قد شكر الله ومن جحا لله الدين في أدبار الصلوات الحس قد شكرها (إِلَى الْمَعِيرِ) أي مصيرك إلى وحسابك على (وَإِنْ جَعَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) أواديني العلم به فنيه أي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الأصنام (فَلَا تَطْعَمُهُمْ) في الشرك (وَصَلَحِيَّهُمْ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) صفة مصدر مخوف أي محابا معروفًا حسنًا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة (وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) أي سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورًا بحسن مصاحبتهما في الدنيا وقال ابن مطاع: صاحب من ترى عليه أنوار خدمتي. (ثُمَّ إِلَىٰ مَنْ رَجَعُكُمْ) أي مرجعك ومرجعهما (فَأَتَّبِعْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما وقد اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاحتطاد تأكيذا لما في وصية لقمان من النعي عن الشرك يعني إنا وصيناك بالديه وأمرناه أن لا يطعهما في الشرك وإن جهدا كل المجهود لبعده (يَبْنِيْ إِيَّاهُ إِنْ نَكَ مِنْكَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) بالرفع مدني والضمير للقصة وأنت التثاق لإضافته إلى الحبة كما قال :

• كما شرقت صدر القناة من المم • وكان تامة والياقوت بالنصب والضمير للمنة من الإساءة والإحسان أي إن كانت مثلاً في الصغر كحبة خردل (فَتَكُنْ فِي صَغَرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ) أي فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أوحيت كانت في العالم العلوي أو السفلي والأكثر على أنها التي عليها الأرض وهي السبعين يكتب فيها أعمال الفجار وليست من الأرض (يَأْتِيهَا اللَّهُ) يوم القيامة فيحاسب بها حاملها (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ) بتوصل علمه إلى كل خفي (خَبِيرٌ) عالم بكنهه أولطف باستخراجها خبير بمستورها (يَبْنِيْ أَرْقَمَ الصَّلَاةِ وَأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَمِيرٌ عَلَى مَا أَسَا بَكَ) في ذات الله تعالى إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر أو على ما صابك من الحسن فإنها تورث النسخ (إِنَّ ذَلِكَ) الذي وصيتك به (مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ) أي بما عزمه الله من الأمور أي قطعه قطع لإيجاب وإلزام أي أمر به أمراً حتماً وهو من تسمية المفعول بالصمد وأصله من معزومات الأمور أي مقطوعاتها ومفروضاتها وهذا دليل على أن هذه الطاعات كانت مأموراً بها في سائر الأمم (وَلَا تَصْغُرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) أي ولا تعرض عنهم تكبرا تصاعر أبو عمرو ونافع وحزمة وعلى وهو بمعنى تصغر والصمر داء يصيب البعير يلوى منه عنقه

والمنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعله التكبرون  
(وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أى تخرج مرحا أو أوقع الصدر موقع الحال أى مرحا أو  
ولامتن لأجل المرح والأشهر (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) متكبر (فَخُورٍ) من يمدد  
مناقبه وتطاولا (وَأَقْصِدْ) القصد التوسط بين الماد والتقصير (فِي مَشْيِكَ) أى اعدل فيه  
حتى يكون مشيا بين مشيين لا تندب ديب المماوتين ولا تثب وثوب الشطار قال عليه السلام  
«سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن» وأما قول عائشة في عمر رضى الله عنه كان إذا مشى أسرع  
فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن ديب التماوت وعن ابن مسعود رضى الله عنه كانوا يهون  
من خيب اليهود وديب النصرارى ولكن مشيا بين ذلك وقيل معناه وانظر موضع قدميك  
متواضعا (وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) واقصص منه أى اخفض صوتك (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ)  
أى أوحشها (لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) لأن أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار وعن الثورى  
صباح كل شيء تسبيح إلا الحمار فإنه يصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه الله منكرا وفى تشبيه  
الراضين أصواتهم بالحير وتمثيل أصواتهم بالهناق تنبيه على أن رفع الصوت فى غاية الكراهة  
يلزمه ما روى أنه عليه السلام كان يمجبه أن يكون الرجل خفيض الصوت ويكره أن يكون  
مجهور الصوت وإنما وحد صوت الحير ولم يجمع لأنه لم يرد أن يذكر صوت كل واحد من  
أحد هذا الجنس حتى يجمع بل المراد أن كل جنس من الحيوان له صوت وأنكر أصوات  
هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ) أى الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك (وَمَا فِي الْأَرْضِ) أى  
البحار والأنهار والمعادن والدواب وغير ذلك (وَأَسْبَغَ) وأتم (عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ) مدنى  
وأبرم ووسهل وحقق . نعمة غيرم والنعمة كل نفع قصده الإحسان (ظَهْرَةً) بالشاهدة  
(وَبَاطِنَةً) بالاليم إلا بدليل ثم قيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة  
والباطنة القلب والمقل والفهم وما أشبه ذلك وروى فى دعاء موسى عليه السلام: ألقى دلى  
على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتى عليهم النفس. وقيل تخفيف الشرائع وتضعيف  
الفتاوى والخلق والخلق ونيل المطايا وصرف البلايا وقبول الخلق ورضا الرب وقال ابن عباس:  
الظاهرة ماسوى من خلقك والباطنة ماستر من عيوبك (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ

يَنْتَرِ عِلْمَ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ) نزلت في النضر بن الحرث وقد مر في الحج ( وَإِذَا  
قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ  
الشَّيْطَانُ بِدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ) معناه أتبعوهم ولو كان الشيطان يدعوهم أى في حال  
دعاء الشيطان لإيادهم إلى المذاب ( وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ) عدى هنا يالى، وفى بلى من  
أسلم وجهه لله باللام فمعناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالماً لله أى خالصاً له  
ومعناه مع إلى أنه سلم إليه نفسه كما يسلم التائب إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد التوكل عليه  
والتفويض إليه ( وَهُوَ مُحْسِنٌ ) فيها يعمل ( فَقَدِ اسْتَمْسَكَ ) تمسك وتعلق ( بِالرُّوَّةِ )  
هى ما يعلق به الشيء ( الْوَقْفَى ) تأنيث الأوفى مثل حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من  
شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من جبل متين مأمون انقطاعه ( وَإِلَى اللَّهِ  
عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ) أى هى صائرة إليه فيجازى عليها ( وَمَنْ كَفَرَ ) ولم يسلم وجهه لله ( فَلَا  
يُحْزِنُكَ كُفْرُهُ ) من حزن، يُحْزِنُكَ نافع من أحزن أى لا يهينك كفر من كفر ( إِنَّا مَرْجُمُكُمْ  
فَنَنْفِثُكُمْ بِمَا عَمِلُوا ) فنعاقبهم على أعمالهم ( إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ) إن الله يعلم ما فى  
صدور عباده فيفعل بهم على حسب ( نُفُتُّهُمْ ) زماناً ( قَلِيلًا ) بدنيام ( ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ )  
نلجئهم ( إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ) شديد شبه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه بانضطرار المضطر إلى  
الشيء والغلظ مستمر من الأجرام النليظة والمراد الشدة والثقل على المذنب ( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ  
مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ) إلزام لهم على إقرارهم بأن الذى  
خلق السموات والأرض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يبدى معه  
غيره ثم قال ( بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَتْلَمُونَ ) أن ذلك يلزمهم وإذا نهوا عليه لم ينتبهوا ( اللَّهُ  
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ ) عن حمد الحامدين ( الْحَمِيدُ ) المستحق  
الحمد وإن لم يحمده. قال الشركون: إن هذا أى الوحي كلام سبفتد فأعلم الله أن كلامه  
لا ينفد بقوله ( وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَمْدِهِ سَبَّحَهُ  
أُبْحَرُ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ) والبحر بالنصب أبو عمرو ويقوب عطف على اسم أن وهو ما  
والرفع على عمل أن ومعمولها أى ولو ثبت كون الأشجار أقلاما وثبت البحر ممدوداً بسببه  
أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدوداً

وفرى يُعِدُّه وكان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد لكن أغنى  
من ذكر المداد قوله عده لأنه من قولك مد الدواء وأمدتها جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواء  
وجعل الأبحر السبعة مملوءة مدادا فهي تنصب فيه مدادها أبداً صبا لا يتقطع والمعنى ولو أن  
أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات  
الله لما نفذت كلماته ونفذت الأقلام والمداد كقوله: قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد  
البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى. فإن قلت زعمت أن قوله والبحر عده حال في أحد وجهي الرفع  
وليس فيه ضمير راجع إلى ذى الحال قلت هو كقولك جئت والجلش مصطف وما أشبه ذلك  
من الأحوال التي حكمها حكم الظروف وإنما ذكر شجرة على التوحيد لأنه أريد تفصيل الشجر  
وتقسيمها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا وقد برت أقلاما وأور  
الكلمات وهي جمع قلة على السكلم وهي جمع كثرة لأن معناه أن كلماته لا تفي بكتبتها البعاد  
فكيف بكلمه (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) لا يمجزه شيء (حَكِيمٌ) لا يخرج من علمه وحكمته شيء  
فلا تنفذ كلماته وحكمه (مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَمُسُّكُمْ إِلَّا كَفَيْسٌ وَحِدَةٌ) إلا تخلق نفس  
واحدة وبث نفس واحدة فخلق العلم به أى سواء في قدرته القليل والكثير فلا يشغله شأن  
عن شأن (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لقول الشركين إنه لا بئث (بَعِيدٌ) بأعمالهم فيجازيهم (أَلَمْ  
تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُورِثُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ) يدخل ظلمة الليل في ضوء النهار إذا أنبل الليل (وَيُورِثُ  
النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) لنافع العباد (كُلٌّ) أى كل واحد من الشمس  
والقمر (يَجْرِي) في فلكه ويقطعه (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى يوم القيامة أو إلى وقت معلوم  
الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر (وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) وبالأيام عياش  
دل أيضا بتعاقب الليل والنهار وزيادتهما وتقصباتهما وجرى النيرين في فلكيهما على تقدير  
وحساب وإحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وكال حكمته (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ  
الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ) بالأيام عراقى غير أبى بكر (مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ  
الْكَبِيرُ) أى ذلك الوصف الذى وصف به من عجائب قدرته وحكمته التى يمجز عنها  
الأحياء القادرون المألون فكيف بالجناد التى يدعونه من دون الله إنما هو بسبب أنه هو

الحق الثابت الإلهية وأن من دونه باطل الإلهية وأنه هو العلى الشأن الكبير السلطان (أَمَّ  
تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ) وقرى الفُلك وكل فُمل يجوز فيه فُمل كما يجوز في كل فُمل فُمل (تَجْرِي فِي  
الْبَحْرِ بِرِغْمَتِ اللَّهِ) بإحسانه ورحمته أو بالريح لأن الريح من نعم الله (لِيَرْبِكُمْ مِنْ أَيْدِيهِ)  
عجائب قدرته في البحر إذا ركبتوها (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ) على بلائه  
(شَكُورٍ) لنعمائه ومحاسن المؤمن فالإيمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر فكانه قال  
إن في ذلك لآيات لكل مؤمن (وَإِذَا غَشِيَهُمْ) أى الكفار (مَوْجٌ كَالظُّلَلِ) الموج يرتفع  
فيومد مثل الظلل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرها (دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ  
لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ) أى باق على الإيمان والإخلاص الذى كان  
منه ولم يمد إلى الكفر أو مقتصد في الإخلاص الذى كان عليه في البحر يبنى أن ذلك الإخلاص  
الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قط والمقتصد قليل نادر (وَمَا يَجِدُ إِلَّا بُرْهَانَ) أى  
بمخبرتها (إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ) غدار والختر أقبح القدر (كَفُورٍ) لربه (بِأَيْهَا النَّاسُ أَهْوَا  
رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ) لا يقضى عنه شيئاً والذى لا يجوز فيه  
لغف (وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانِزٌ مِّنْ وَلَدِهِ شَيْئًا) وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه  
ما هو معطوف عليه لأن الجملة الاسمية أكد من الجملة الفعلية وقد انضم إلى ذلك قوله هو  
بقوله مولود والسبب في ذلك أن الخطاب للمؤمنين وعليهم قبض آباؤهم على الكفر فأريد  
أحسم أطعاهم أن ينفعوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة ومعنى التأكيد في لفظ المولود أن الواحد  
منهم لو شفع للأب الأدنى الذى ولد منه لم يقبل شفاعته فضلاً أن يشفع لأجداده إذ الولد  
ينفع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك كذا في الكشف (إِنْ وَعَدَ  
اللَّهُ) بالبعث والحساب والجزاء (حَقًّا فَلَا تُغْنِيكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) يرضها فإن نعمتها  
دانية ولقتها فانية (وَلَا يُغْنِيكُمْ بِاللهِ الْفُرُورُ) الشيطان أو الدنيا أو الأمل (إِنَّ اللَّهَ  
عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) أى وقت قيامها (وَيُرْسِلُ) بالتشديد شأى ومدنى ومأمم وهو عطف  
على ما يقتضيه الظرف من الفعل تقديره إن الله يثبت عنده علم الساعة ويُرسل (الْقَيْثَ) في إتيانه

من غير تقديم ولا تأخير (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) أذكر أم أنثى وتام أم ناقص (وَمَا  
تَدْرِي نَفْسٌ) برة أو فاجرة (مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا) من خير أو شر وربما كانت عازمة على  
خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) أي  
أين تموت وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها فترمي بهامامي القدر حتى  
تموت في مكان لم يخطر ببالها. روى أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من  
جلسائه فقال الرجل: من هذا؟ قال له ملك الموت قال كأنه يريدني وسأل سليمان عليه السلام  
أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري إليه  
تجبا منه لأنى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبيد لما في  
الدراية من معنى الخلل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف وإن أعلمت حيلها ما يختص بها ولا شيء  
أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان معرفة ما عداها أبعد  
وأما المنجم الذي يخبر بوقت النفي والموت فإنه يقول بالقياس والنظر في الطالع وما يدرك  
بالدليل لا يكون غيبا على أنه مجرد الظن والظن غير العلم وعن النبي ﷺ «مفاتيح النيب خمس»  
وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من ادعى علم هذا الخمسة فقد كذب. ورأى  
للنصور في منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فأشار بأصابعه الخمس فبهرها المعبون  
بخمس سنوات وبخمس أشهر وبخمس أيام فقال أبو حنيفة رضي الله عنه هو إشارة إلى هذه  
الآية فإن هذه الملوك الخمسة لا يملها إلا الله (إِنَّ اللَّهَ هَالِكٌ) بالنيوب (خَبِيرٌ) بما كان  
ويكون وعن الزهري رضي الله تعالى عنه: أكثروا قراءة سورة لقمان فإن فيها أعاجيب والله أعلم.

(سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية مدني وكوفي، وتسع وعشرون آية بصري)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

(آلَم) على أنها اسم السورة مبتدأ وخبره (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) وإن جعلتها تمديدا  
للعروف ارتفع تنزيل بأنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره (لَا رَيْبَ فِيهِ) أو يرتفع  
بالابتداء وخبره (مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ) ولا ريب فيه اعتراض لاجل له والغنمير في فيه راجع  
إلى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزلا من رب العالمين لأنه معجز

للبشر ومثله أبعد شيء من الريب ثم أضرب من ذلك إلى قوله (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) أى اختلقه محمد لأن أم هي النقططة الكائنة بمعنى بل والهمزة منناه بل يقولون افتراء إنكارا لقولهم وتمجيبا منهم لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه (بَلْ هُوَ الْحَقُّ) ثم أضرب من الإنكار إلى إثبات أنه الحق (مِنْ رَبِّكَ) ولم يفتره محمد ﷺ كما قالوا افتنا وجهلا (لِيُنذِرَ قَوْمًا) أى العرب (مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ) مالمضى والجملة سفة قهوما (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) على الترجى من رسول الله ﷺ كما كان لعله يتذكر على الترجى من موسى وهرون (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) استولى عليه بإحدائه (مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ) من دون الله (يَنْ وَلِيَّ وَلَا شَفِيعَ) أى إذا جاوَزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم ولما أى ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) تَتَمَطَّوْنَ بَعَاظُ اللَّهِ (يُذَكِّرُ الْأَمْرَ) أى أمر الدنيا (مِنْ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ) إلى أن تقوم الساعة (ثُمَّ يُعْرَجُ إِلَيْهِ) ذلك الأمر كله أى يصير إليه ليحكم فيه (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ) وهو يوم القيامة (مِمَّا تُعَدُّونَ) من أيام الدنيا ولا تَحْسَبُ للمشبهة بقوله إليه في إثبات الجهة لأن منناه إلى حيث يرضاه أو أمره كما لا نشبث لهم بقوله إني ذاهب إلى العرش إني مهاجر إلى دنى ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله (ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أى الوصف بما مر عالم ماغلب عن الخلق وما شاهدوه (الْمَرْيُومُ) الغالب أمره (الرَّحِيمُ) البالغ لطفه وتيسره وقيل لا وقف عليه لأن (الَّذِي سَفِهَهُ) أحسن كل شيء أى حسنه لأن كل شيء مرتب على ما انتفضته الحكمة (خَلَقَهُ) كوفى ونافع وسهل على الوصف أى كل شيء خلقه قد أحسن خلقه غيرم على البذل أى أحسن خلق كل شيء (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ) آدم (مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ) ذريته (مِنْ سُلَالَةٍ) من نقطة (مِنْ مَاءٍ) أى ملى وهو بدل من سلالة (مَيْمِينٍ) ضعيف حقير (ثُمَّ سَوَّاهُ) قومه كقوله فى أحسن تقويم (وَنَفَخَ) أدخل (فِيهِ مِنْ رُوحٍ) الإضافة للاختصاص كأنه قال ونفخ فيه من الشيء الذى اختص هو به وبملمه (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) لتسمعوا وتبصروا وتنفقوا (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) أى تشكرون قليلا (وَقَالُوا آلِى الْقَائِلِ أَلِى بَنِ خَلْفٍ وَلِرِضَامٍ) بقوله أسند إليهم (أَوَدَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) أى صرنا تاربا وذهبنا غمطين

بتراب الأرض لامتيز منه كما يضل الماء في اللبن أوغبنا في الأرض بالدفن فيها وقرأ على من خلفنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل واتعصب الطرف في أنذا ضلنا بما يدل عليه (أدناه نفى خلق جديد) وهو نبث (بل هم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ) جاحدون لما ذكر كفرهم بالبعث أضرب عنه إلى ما هو أبلغ وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في المآبة لا بالبعث وحده (قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) أي يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم ثم ترجعون إلى ربكم بعد ذلك بمبشرين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله. والتوفى استيفاء النفس وهي الروح أي يقبض أرواحكم أجبيين من قولك توفيت حق من فلان إذا أخذته وأفيا كلاما من غير قصاص وعن معاهد حوت لملك الموت الأرض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقبل ملك الموت يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أرواحه بقبضها والله تعالى هو الأمر لذلك كله وهو الخالق لأنفال المخلوقات وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله توفته رسلنا وقوله الله يتوفى الأنفس حين موتها (وَلَوْ تَرَىٰ) الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد ولو امتناعية والجواب محذوف أي رأيت أمرا ظاهريا (إِذِ الْمُرُومُونَ) هم الذين قالوا أنذا ضلنا في الأرض. ولو وإذ للمضى وإنما جاز ذلك لأن المترقب من الله بمنزلة الوجود ولا يقدر ترى ما يتناوله كأنه قيل ولون تكون منك الرؤية وإذ ظرف له (نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ) من النذل والحياء والنهم (عِنْدَ رَبِّهِمْ) عند حساب ربهم ويوقف عليه لحق الحذف إذ التقدير يقولون (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا) صدق وعدك وعيدك (وَسَمِعْنَا) منك تصديق رسلك أو كنا عياصما فأبصرنا وسمعنا (فَارْجِعْنَا) إلى الدنيا (نَعْمَلْ صَالِحًا) أي الإيمان والطاعة (إِنَّا مُوقِنُونَ) بالبعث والحساب الآن (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى) في الدنيا أي لو شئنا أعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا لكن لم نعطهم ذلك اللطف لما علمنا منهم اختيار الكفر وإثارة وهو حجة على المترتبة فإن عديم شاء الله أن يعطى كل نفس ما به اهتمت وقد أعطاهما لكنها لم تهتد وهم أولوا الآية بمشيئة الجبر وهو تأويل فاسد لما هرف في تبصر الأداة (وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ولكن وجبه



القول متى بما علمت أنه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم أنهم يختارون الرد والتكذيب وفي تخصيص الإنس والجن إشارة إلى أنه ععم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم (فَذُوقُوا) المذاب (بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ) بما تركتم من عمل لقاء (يَوْمِكُمْ هَذَا) وهو الإيمان به (إِنَّا نَسِينَكُمُ) تركناكم في المذاب كالنسي (وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) أى المذاب الدائم الذى لا انقطاع له (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من الكفر والمعاصي (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا) أى وعظوا بها (خَرُّوا سُجَّدًا) سجدوا لله تواضعا وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الإسلام (وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) ونزهوا الله عما لا يليق به وأثنوا عليه حامدين له (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) عن الإيمان والسجود له (تَتَجَافَى) ترتفع وتتجنى (جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِرِ) عن الفرس ومضاجع النوم . قال سهل: وهب لقوم هبة وهو أن أذن لهم في مناجاته وجملهم من أهل وسيلته ثم مدحهم عليه فقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع (يَدْعُونَ) داعين (رَبَّهُمْ) عابدين له (خَوْفًا وَطَمَعًا) مفعول له أى لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم التهجدون وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام المبد من الليل وعن ابن عطاء أبت جنوبهم أن تسكن على بساط الغفلة وطلبت بساط القرية يعنى صلاة الليل . وعن أنس كان أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة المشاء الأخيرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون فيها (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) في طاعة الله تعالى (فَلَا تَمْلِكُ نَفْسٌ مَّا أُخِيفَ لَهَا) ما بمعنى التى، أخيف على حكاية النفس <sup>(١)</sup> حمزة ويقوب (مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) أى لا يعلم أحد ما أعد لهؤلاء من السكرام (جَزَاءً) مصدر أى جوزوا جزاء (بِمَا كَانُوا يَتَمَلَّوْنَ) عن الحسن رضى الله عنه أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وفيه دليل على أن الراد الصلاة في جوف الليل ليكون الجزاء وفاقا ثم بين أن من كان في نور الطاعة والإيمان لا يستوى مع من هو في ظلمة الكفر والمعصية بقوله:

(١) قوله: على حكاية النفس أى بأن يقرأ أخفى بصيغة المضارع .

(أَفَنَنْ كَانُوا مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا) أى كافراً وهما محمولان على لفظ من وقوله (لَا يَسْتَوُونَ) على المعنى بدليل قوله (أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ النَّارِ) هى نوع من الجنان تأوى إليها أرواح الشهداء وقيل هى من بين العرش (نَزَلًا يَمَازِيهِمْ النَّارُ) أى ملجؤهم ومنزلهم (كَلَّمَآ أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ) أى تقول لهم خزنة النار (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) وهذا دليل على أن المراد بالفاسق الكافر إذ التكذيب يقابل الإيمان (وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ) أى عذاب الدنيا من الأسر وما عتوا به من السنة سبع سنين (دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) أى عذاب الآخرة أى نفيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة وعن النار: العذاب الأدنى الخلدان والعذاب الأكبر الخلود في البران وقبل العذاب الأدنى عذاب القبر (كَلَّمَآ) لعل المذنبين بالعذاب الأدنى (يَرْجُمُونَ) يتوبون عن الكفر (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ) وعظ (بِآيَاتِ رَبِّهِ) أى بالقرآن (ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا) أى فتول عنها ولم يتدبر فيها وتم للاستبعاد أى أن الأمراض عن مثل هذه الآيات في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة المظلمة بعد التذكير بها مستبعد في العقل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعاداً لتركها الانتهاز (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ) ولم يقل منه لأنه إذا جمعه أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام ولو قال بالضمير لم يفد هذه الفائدة (وَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ) شك (مِنْ قِسْمَتِهِ) من لقاء موسى الكتاب أو من لقاءك موسى ليلة المراج أو يوم القيامة أو من لقاء موسى ربه في الآخرة كذا عن النبي صلى الله عليه وسلم (وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ) وجعلنا الكتاب المنزل على موسى لقومه هدى (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً) بهمزة كوفي وشامي (يَهْتَدُونَ) بذلك الناس ويدعونهم إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه (بِأَمْرِنَا) لإمام بذلك (لَمَّا سَرَوْا) حين ساروا على الحق بطاعة الله أو عن المعاصي لا ساروا

حزة وعلى أى لصبرهم عن الدنيا وفيه دليل على أن الصبر ثمرته إمامة الناس ( وَكَانُوا بِأَيْدِنَا )  
 التوراة ( يُوقِنُونَ ) يعلمون علما لا يخالجه شك ( إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْعَلُ ) يقضى ( بَيْنَهُمْ يَوْمَ  
 الْقِيَمَةِ ) بين الأنبياء وأممهم أو بين المؤمنين والمشركين ( فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ )  
 فيظهر الحق من المبطل ( أَوَلَمْ ) الواو للمطف على معطوف عليه منوى من جنس المعطوف  
 أى أو لم يدع ( يَهْدِ ) يبين والفاعل الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب نهد ( لَهُمْ ) لأهل مكة  
 ( كَمْ ) لا يجوز أن يكون كم فاعل يهدى لأن كم للاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله وعمله نصب  
 بقوله ( أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ) كعاد وتمود وقوم لوط ( يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ )  
 أى أهل مكة يمشون فى مساجدهم على ديارهم وبلادهم ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ )  
 المواعظ فيتمطلوا ( أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوفُ السَّيِّئَاتِ ) نجري المطر والأنهار ( إِلَى الْأَرْضِ  
 الْجُرُزِ ) أى الأرض التى جرز نباتها أى قطع إما لعدم الماء أو لأنه رمى ولا يقال لائق لا تبت  
 كالسباخ جرز بدليل قوله ( فَتَخْرِجُ بِهِ ) بالماء ( زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ ) من الزرع ( أُنْصَبُ )  
 من مصفه ( وَأَنْفُسُهُمْ ) من حبه ( أَفَلَا يَبْصُرُونَ ) بأعينهم فيستدلوا به على قدرته على  
 إحياء الموتى ( وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ ) النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا انتح  
 بيننا وكان المسلمون يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فإذا سمع  
 المشركون ذلك قالوا متى هذا الفتح أى فى أى وقت يكون ( إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) فى أنه كائن  
 ( قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ ) أى يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم أو يوم نصرهم  
 عليهم أو يوم بدر أو يوم فتح مكة ( لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ )  
 وهذا الكلام لم ينطبق جوابا على سؤالهم ظاهرا ولكن لما كان غرضهم فى السؤال من وقت  
 الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء أحببوا على حسب ما عرف من غرضهم  
 فى سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزئوا فكأنى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وآمنتم  
 فلا ينفعكم الإيمان أو استنظرتهم فى إدراك العذاب فلم تنظروا ومن فسر يوم الفتح أو يوم  
 بدر فهو يريد الفتولين منهم فلهم لا ينفعهم إيمانهم فى حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند  
 الذرق ( فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ) والنصرة وهلاكهم ( إِنَّهُمْ مُنْتَضَرُونَ ) النوبة عليكم  
 وهلاككم وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك، وقال

«من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام» وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: سورة الم تنزيل هي المائدة تمنع من عذاب القبر والله أعلم .

( سورة الأحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

قال ابن كعب رضى الله عنه لورّكم تمدون سورة الأحزاب قال ثلاثا وسبعين قال خوالذى يحلف به أبى إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبى أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضى الله عنها فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض ( يَأْتِيهَا النَّسِيءُ ) وبالمهمز نافع أى يأبها الخبر عنا المؤمنون على أسرارنا البالغ خطابنا إلى أحبائنا وإنما لم يقل يا محمد كما قال يا آدم ياموسى لعزيرقاله وتذوئها بفضلها وتصريحه باسمه في قوله محمد رسول الله ونحوه لتعليم الناس بأنه رسول الله ( اتَّقِ اللَّهَ ) أثبت على تقوى الله ودم عليه وازدد منه فهو ياب لا يدرك مداه ( وَلَا تَطْعَمِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ) ولا تساعدهم على شيء واحترس منهم فإنهم أعداء الله والمؤمنين وروى أن أبا سفيان وعكرمة بن أبى جهل وأبا الأهور السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد فزولوا على عبد الله بن أبى وأعطاهم النبي الأمان على أن يكلموه فقالوا ارفض ذكر آلمتنا وقل إنما تنفع وتشفع، ووازدهم المنافقون على ذلك فهم المسلمون يقتلهم فنزلت أى اتق الله في تقض المهد ولا تطعم الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فبا طلبوا ( إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ) بحبث أعمالهم ( حَكِيمًا ) في تأخير الأمر بقتالهم ( وَاتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ) في الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين ( إِنَّ اللَّهَ ) الذى يوحى إليك ( كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ) أى لم يزل عالما بأعمالكم وأعمالكم وقيل إنما جمع لأن المراد بقوله اتبع هو وأصحابه وبالياء أبو عمرو أى بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم ( وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ) اسند أمرك إليه وكفه إلى تدبيره ( وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ) حافظا موكولا إليه كل أمر، وقال الزجاج افظه وإن كان لفظ

المر فالمرى اكنف بالله وكلا (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلِيلَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ  
أَزْوَاجَكُمْ أَلْسِي تَطْهَرُونَ مِنْهُنَّ أَمْهَتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَذْهِيَةً كُمْ أَبْنَاءَكُمْ) أى جامع  
الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنتوة ودعوة في رجل والمرى أنه تعالى كالم  
يعمل لإنسان قلبين لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحد ما يعمل بالآخر فسلامن أنفال القلوب فأحدثها  
فضلة غير محتاج إليه وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك فذلك يؤدى إلى انصاف الجملة بكونه  
مريدا كارها عالما غائبا موقنا شاكا في حالة واحد لم يحكم أيضا أن تكون المرأة الواحدة  
أما رجل زوجها لأن الأم مخدومة والمرأة خادمة وبينهما مناعة وأن يكون الرجل الواحد دعيا  
لرجل وابنا له لأن البنتوة أسالة في النسب والدعوة إلصاق عارض بالنسبة لا غير ولا يجتمع في  
الشيء الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو  
رجل من كلب سبي صغيرا فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله ﷺ  
وهبته له فطلبه أبوه ومعه غير فاختار رسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه وكانوا يقولون زيد بن  
محمد فلما تزوج النبي ﷺ زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو  
ينهى عنه فأنزله الله هذه الآية وقيل كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان قلب مكم وقلب مع  
أصحابه وقيل كان أبو معمر أحفظ العرب ثقيل له ذوالقلبين فأكذب الله قولهم وضربه مثلا  
في الظهار والتبني. والتنكير في رجل وإدخال من الاستفراية على قلبين وذكر الجوف للتأكيد  
اللائي يباه بعد الممزة حيث كان كوفي وشامي، اللاه نافع ويمقوب وسهل وهى جمع التى  
تظاهرون عاصم من ظاهر إذا قال لامرأته أنت على كظهر أمى تظاهرون على وجمرة وخلف  
تظاهرون شامى من أظاها بمعنى تظاها غيرهم تظاهرون من أظاها بمعنى تظاها وعدى بمن تضمنه  
معنى البعد لأنه كان خلافا في الجاهلية ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد عدى  
بمن وإلا آلى في أصله الذى هو معنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه والدعى فبيل بمعنى مفبول  
وهو الذى يدعى ولما وجمع على أفعلاء شاذ لأن بابه ما كان منه بمعنى فاعل كتنق وأقباة  
وشقى وأشقياء ولا يكون ذلك في نحو دعى وسمى للتنشيه اللفظى (ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ  
بِأَفْوَاهِكُمْ) أى أن قولكم للزوجة هى أم وللدعى هو ابن قول قولونه بألسنتكم لاحقيقة  
له إذ الابن يكون بالولادة وكذا الأم (وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ) أى ماحق ظاهره وباطنه

(وَمَوْ يَهْدِي السَّبِيلَ) أى سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى إلى ما هو سبيل الحق وهو قوله (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ) أصل (عِنْدَ اللَّهِ) وبين أن دعاءهم لآبائهم هو أدخل الأمرين في القسط والمعدل وقيل كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه ولد الرجل ضمه إلى نفسه وجعل لمثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه فيقال فلان بن فلان ثم انظر إلى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجملة الطلبية ثم فصل الخبرية عنها ووصل بينها ثم فصل الاسمية عنها ووصل بينها ثم فصل بالطلبية (فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ) فإن لم تعلموا لهم آباء تصبونهم إليهم (فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَوَلِيُّكُمْ) أى فهم إخوانكم في الدين وأولياؤكم في الدين يقولوا هذا أخى وهذا مولاى وأخى وإمولاى يريد الأخوة في الدين والولاية فيه (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ) أى لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك غلطين جاهلين قبل ورود النهى (وَلَكِنْ مَا تَمَدَّدْتُ قُلُوبُكُمْ) ولكن الإثم عليكم فيما تمعدتموه بعد النهى . أولا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم أبى على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن إذا قلتموه متمدين وما في موضع الجر عطف على ما الأولى ويجوز أن يراد الغفو عن الخطأ دون المعد على سبيل العموم ثم تناول للعموم خطأ التبنى وعمده وإذا وجد التبنى فإن كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سنا منه ثبت نسبه منه وعق إن كان عبدا له وإن كان أكبر سنا منه لم يثبت النسب وعق عند أبى حنيفة رضى الله عنه وأما المعروف بالنسب فلا يثبت نسبه بالتبنى وعق إن كان عبدا (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) لا يؤخذ كم بالخطأ ويقبل التوبة من التعمد (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) أى أحق بهم في كل شيء من أمور الدين والدنيا وحكمه أنفذ عليهم من حكمها فليعلم أن يذلها دونه ويجعلها فداءه أو هو أولى بهم أى أرفق بهم وأعطف عليهم وأفزع لهم كقوله بالمؤمنين رؤوف رحيم وفى قراءة ابن مسعود النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبى أبو أمته ولذلك صار المؤمنون إخوة لأن النبى ﷺ أبوهم في الدين (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) فى تحريم نسكاحهن ووجوب تعظيمهن وهن فى وراء ذلك كالإرث ونحوه كالأجنبيات ولهذا لم يعمد التحريم إلى بناتهن (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ) وذوو القربات (بَيْنَهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضِهِ) فى

التوارث وكان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لابلقرابة ثم نسخ ذلك وجعل التوارث بحق القرابة ( في كِتَابِ اللَّهِ ) في حكمه وقضائه أو في اللوح المحفوظ أو فيما فرض الله ( مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَآلِهِمُ الْهَاجِرِينَ ) يجوز أن يكون بياناً لأولى الأرحام أى الأتراء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضاً من الأجانب وأن يكون لابتداء الغاية أى أولو الأرحام بحق القرابة أولى باليراث من المؤمنين أى الأنصار بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة ( إِلَّا أَنْ تَقُولُوا إِلَى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفًا ) الاستثناء من خلاف الجنس أى لكن فضلكم إلى أوليائكم معروفاً جائز وهو أن يوصوا لمن أحببتهم من هؤلاء بشيء فيكون ذلك بالوصية لابليراث وعدى فعلوا إلى لأنه في معنى تسدوا والراد بالأولياء للمؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين ( كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ) أى التوارث بالأرحام كان مسطوراً في اللوح ( وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ) واذكر حين أخذنا من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم ( وَمِنْكَ ) خصوصاً وقدم رسول الله على نوح ومن بعده لأن هذا المطف لبيان فضيلة هؤلاء لأنهم أولو الزم وأصحاب الشرائع فلما كان محمد ﷺ أفضل هؤلاء قدم عليهم ولولا ذلك تقدم من قدمه زمانه ( وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ) وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ) وثيقاً وأعاد ذكر الميثاق لانضمام الوصف إليه وإنما قلنا ذلك ( لِيَسْأَلَ ) أى الأنبياء ( عَنْ صِدْقِهِمْ ) عما قالوه لقومهم أو ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم لأن من قال للصادق صدقت كان صادقاً في قوله أو ليسأل الأنبياء مالمذى أجابهم أمهم وهو كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتكم ( وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ ) بالرسل ( عَذَابًا أَلِيمًا ) وهو عطف على أخذنا لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذاباً أليماً أو على ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأجاب المؤمنين وأعد للكافرين ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذْ كُورُوا نِعْمَةً مِنْ رَبِّكُمْ ) أى ما أنعم الله به عليكم يوم الأحزاب وهو يوم الخندق وكان بعد حرب أحد بسنة ( إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ ) أى الأحزاب وهم فريش وغطفان وقريظة والنضير ( فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ) أى الصبا قال عليه السلام « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » ( وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ) وهم الملائكة وكانوا ألفاً بشت الله عليهم صبا باردة في ليلة

شأنية فأخسرتهم وأسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة قتلت الأوتاد وقطعت الأطناب  
وأطافأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب  
وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله ﷺ  
بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة بإشارة سلمان ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب  
مسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالترارى والنسوان فرفعوا في الأطلام واشتد الخوف  
وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش وبني كنانة وأهل تهامة وقائدهم  
أبو سفيان وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعاصم  
ابن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر  
لا حرب بينهم إلا الترابى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ)  
أى بملككم أيها المؤمنون من التحصن بالخندق والثبات على معاونة النبي ﷺ (بَصِيرًا)  
وبالباء أبو عمرو أى بما يعمل الكفار من البنى والسمى فى إطفاء نور الله (إِذْ جَاءَكُمْ)  
بدل من إذ جاءكم (مَنْ فَوْقَكُمْ) أى من أعلى الوادى من قبل المشرق بنو غطفان  
(وَمِنْ أَسْفَلٍ مِنْكُمْ) من أسفل الوادى من قبل المغرب قريش (وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ)  
مالت عن سنها ومستوى نظرها حيرة أو عدلت عن كل شىء فلم تلتفت إلا إلى عدوها  
لشدة الروع (وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) الحنجرة رأس الفلصمة وهى منتهى الحلقوم  
والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا إذا انتفخت الرئة من شدة الغزع أو الغضب ربت  
وارتفع القلب بارتقاعها إلى رأس الحنجرة وقبل هو مثل فى اضطراب القلوب وإن لم تبلغ  
الحناجر حقيقة. روى أن المسلمين قالوا لرسول الله ﷺ هل من شىء نقوله فقد بلغت القلوب  
الحناجر قال «نم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا» (وَتَقَطُّونَ بِأَلْفِ الظُّنُونَا) خطاب  
للذين آمنوا ومنهم اثبت القلوب والأقدام والضمايف القلوب الذين هم على حرف والمناقون  
نظن الأولون بالله أنه يتلهم يخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكي  
عنهم. قرأ أبو عمرو وحزمة الظنون بنير ألف فى الوصل والوقف وهو القياس وبالألف نهما  
مدنى وشامى وأبو بكر إجراء للوصل مجرى الوقف وبالألف فى الوقف مكى وعلى وحفص  
ومثله الرسولا والسيلا زادوها فى الفاسلة كما زادها فى القافية من قال: ألقى اللوم غاذل والمتابا •



وهن كلهن في الإمام بالأنف (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ) استحنوا بالصبر على الإيمان (وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا) وحركوا بالهول تحريكاً بليغاً (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ عطف على الأول (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) قيل هو وصف المنافقين بالواو كقولهم:

إلى الملك القرم وابن الممام ولبت الصكتية في الزدحم

وقيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كأن المنافقون يستميلونهم بإدخال الشبه عليهم (مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) روى أن معتب بن قشير حين رأى الأحزاب قال بعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا إلا وعد غرور (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ) من المنافقين وهم عبد الله بن أبي وأصحابه (يَأْهَلُ يَثْرِبَ) هم أهل المدينة (لَا مَقَامَ لَكُمْ) وبضم الميم حفص أى لا قرار لكم ههنا ولا مكان قومون فيه أو تقيمون (فَارْجِعُوا) عن الإيمان إلى الكفر أو من عسكر رسول الله إلى المدينة (وَيَسْتَنْذِنُ فِرْقَتٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ) أى بنو حارثة (يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا مَوْرَةٌ) أى ذات عورة (وَمَا هِيَ بِمَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا) المورة الخلل والمورة ذات العورة وهى قراءة ابن عباس يقال عور المكان عوراً إذا بدا منه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن يكون عورة تخفيف عورة اعتدوا أن بيوتهم موضة للعدو والسارق لأنها غير محصنة فاستأذنه ليحصنها ثم يرجعوا إليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك وإنما يريدون الفرار من القتال (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمُ) المدينة أو بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (مِّنْ أَقْطَارِهَا) من جوانبها أى ولو دخلت هذه المساكن التحزبة التى يفرون خوفاً منها مدينتهم أو بيوتهم من نواحيها كلها وانتقلت على أهاليهم وأولادهم ناهبين سايين (ثُمَّ سُبُتُوا) عند ذلك الفرع (الْفِتْنَةِ) أى الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين (لَا تَوْهًا) لأعطوها . لأنوها بلا مدحجأزى أى لجأوها وفعلوها (وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا) بإجابتها (إِلَّا يَسِيرًا) ربما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا يسيراً فإن الله يهلكهم والمعنى أنهم يتملكون بإعوار بيوتهم ليفروا عن نصرة رسول الله ﷺ والمؤمنين وعن مصافة الأحزاب الذين ملثوهم هولا ورعبا وهؤلاء الأحزاب كماهم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا إليه وما تملقوا بشيء.

وما ذلك إلا لقنهم الإسلام وحبهم الكفر (وَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ) أى بنو حارثة من قبل الخندق أو من قبل نظرم إلى الأحزاب (لَا يُؤْتُونَ الْأَدْبَرَ) منهزمين (وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا) مطالباً مقتضى حتى يوفى به (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُحْتَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا) أى إن كان حضر أجلكم لم ينفعكم الفرار وإن لم يحضر وفردتم لم تحتموا فى الدنيا إلا قليلا وهو مدة أعماركم وذلك قليل وعن بعض الرواية أنه مر بمحاط مائل فأسرع فقتلت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِيكُمْ مِنْ اللَّهِ) أى مما أراد الله إزاله بكم (إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا) فى أنفسكم من قتل أو غيره (أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً) أى إطالة عمر فى عافية وسلامة أى من يمنع الله من أن يرحمكم إن أراد بكم رحمة لافى المصمة من معنى المنع (وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) ناصراً (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ) أى من يموثق عن نصرته رسول الله ﷺ أى يمنع وهم المنافقون (وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ) فى الظاهر من المسلمين (هَلُمْ إِنِّيْنَا) أى قربوا أنفسكم إلينا ودعوا عمداً وهى لنة أهل الحجاز فإنهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمى به قبل تمتد نحو أحضر وقرب (وَلَا يَأْتُونَ النَّبَأَ) أى الحرب (إِلَّا قَلِيلًا) إلا إيماننا قليلا أى يحضرون ساعة رياء ويقفون قليلا مقدار ما يرى شهودهم ثم ينصرفون (أَشِحَّةً) جمع شحيح وهو البخليل نصب على الحال من الضمير فى يأتون أى يأتون الحرب بخلاء (عَلَيْكُمْ) بالظفر والنعمة (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ) من قبل العدو أو منه عليه السلام (رَأَيْتَهُمْ (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ) فى تلك الحالة (تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ) يميناً وشمالاً (كَالَّذِى يُنْشِئُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) كما ينظر النشئ عليه من معالجة سكرات الموت حذراً وخوفاً ولوإذا بك (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ) زال ذلك الخوف وأمنوا وحيزت الفنائم (سَلَقُوكُمْ بِالنَّسَةِ حِدَادٍ) خاطبوكم مخاطبة شديدة وأذكركم بالكلام. خطيب مسلط فصيح ورجل سلاق مبالغ فى الكلام أى يقولون وفروا قسمتنا فإننا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبكنا غلبتم عدوكم (أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) أى خاطبوكم أشحة على المال والنعمة وأشحة حال من فاعل سلقوكم (أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا) فى الحقيقة بل بالأسنة (فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ) أبطل بإظهارهم الكفر ما أظهره

من الأعمال (وَكَانَ ذَلِكَ) إيجاباً لأعمالهم (عَلَى اللَّهِ بِمِيرًا) هينا (يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ  
تَمْ يَذْهَبُوا) أى جنبهم يظنون أن الأحزاب لم يهزموا ولم ينصرفوا مع أنهم قد انصرفوا  
(وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ) كرة ثانية (يُودُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ) البادون جمع  
البادى أى يتمنى الناقصون جنبهم أنهم خارجون من المدينة إلى البادية حاصلون بين الأعراب  
ليأمنوا على أنفسهم ويمتزلوا مما فيه الخوف من القتال (يَسْتَلُونَ) كل قادم منهم من جانب  
المدينة (عَنْ أَنْبَاءِكُمْ) من أخباركم ومما جرى عليكم (وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ) ولم يرجعوا  
إلى المدينة وكان قتال (مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) رياء وسحمة (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ  
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) بالضم حيث كان حاصم أى قدوة وهو المؤتى به أى المقتدى به كما تقول فى  
البيضة عشرون منا حديداً أى هى فى نفسها هذا البالغ من الحديد أو فيه خصلة من حقا  
أن يؤتى بها حيث قاتل بنفسه (لَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) أى يخاف الله  
ويخاف اليوم الآخر أو يأمل ثواب الله ونعيم اليوم الآخر قالوا لمن بدل من لستم وفيه ضعف  
لأنه لا يجوز البدل من ضمير الخطاب وقيل لمن يتلقى بحسنة أى أسوة حسنة كائنه لمن كان  
(وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا) أى فى الخوف والرجاء والشدة والرخاء (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ  
الْأَحْزَابَ) وعدم الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه بقوله أم حسبكم أن تدخلوا  
الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم إلى قوله قريب فلما جاء الأحزاب وانطربوا  
ورعبوا الرعب الشديد (قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) وعلما  
أن الغلبة والنصرة قدوجبت لهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأصحابه  
إن الأحزاب سائرهم إليكم فى آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للبيداء قالوا  
ذلك وهذا إشارة إلى الخطب والبلاء (وَمَا زَادَهُمْ) ما رأوا من اجتماع الأحزاب عليهم  
وعجبهم (إِلَّا إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَمِوَاعِيدِهِ) (وَتَسْلِيمًا) لقضائه وقدره (مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا  
مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) أى فيما عاهدوه عليه خذف الجار كما فى المثل صدقنى سن بكره أى  
صدقنى فى من بكره بطرح الجار وإلصال الفعل. نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حرباً  
مع رسول الله ﷺ ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وم عثمان بن عفان وطلحة وسعد بن زيد  
وحزق ومصعب وغيرهم (فَنُهِمُ مِّنْ قَضَىٰ نَحْبِهِ) أى مات شهيداً كحمزة ومصعب. وقضاء

التعجب صار عبارة عن الموت لأن كل حي من المحدثات لابد له أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فإذا مات فقد قضى نجه أي نذره (وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ) الموت أي على الشهادة كتمان وطلحة (وَمَا يَدَّبُرُوا) العهد (تَبْدِيلًا) ولا غيره ولا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة وفيه تريض لمن بدلوا من أهل النفاق ومرضى القلوب كما مر في قوله تعالى: ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار (لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ) يوفائهم بالعهد (وَيَسْذَبَ الْمُتُفِفِينَ إِنْ شَاءَ) إذا لم يتوبوا (أَوْ يَتُوبْ عَلَيْهِمْ) إن تابوا (إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا) بقبول التوبة (رَحِيمًا) بصفو الحوبة. جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق يوفائهم لأن كلا الفريقين مسوق إلى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبها والسعي في تحصيلها (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) الأحزاب (بِقَيْظِهِمْ) حال أي منيظين كقوله تنبت بالدهن (لَمْ يَنْأَلُوا خَيْرًا) ظفروا أي لم يظفروا بالمسلمين وسماه خيرا بزعمهم وهو حال أي غير ظافرين (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) بالريح والملائكة (وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) فادرا غالباً (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُواهُمْ) هاونوا الأحزاب (مِّنْ أَهْلٍ أَلْكَبَرِ) من بني قريظة (مِنْ صَيَاصِيهِمْ) من حصونهم الصيصية ما تحصن به روى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ ، صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا سلاحهم، على فرسه الحيزوم والنيار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فقال يا رسول الله إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عائد إليهم فإن الله داقهم دق البيض على الصفا وإنهم لكم طمعة فأذن في الناس أن من كان سامما مطيعا فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة فاصروهم خمسا وعشرين ليلة فقال رسول الله ﷺ تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرفضوا به فقال سعد حكمت فيهم إن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذرائعهم ونساؤهم فكبر النبي ﷺ وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فغضب أعناقهم وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) الخوف وبضم العين شامى وعلى ونصب

(قَرِيبًا) بقوله (تَقْتُلُونَ) يوم الرجال (وَتَأْسِرُونَ قَرِيبًا) يوم النساء والندارى (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَوَدَيْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) أى المواشى والنقود والأمتة وروى أن رسول الله ﷺ جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار وقال لهم إنكم فى منازلكم (وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها) بقصد القتال وهى مكة وأفرس والروم أو خيبر أو كل أرض تفتح إلى يوم القيامة (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) قادرا (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا) أى السعادة فى الدنيا وكثرة الأموال (فَتَمَّا كَلِمْ) أصل تمال أن يقوله من فى المكان المرتفع لى فى المكان المستوى ثم كثر حتى استوى فى استعماله الأمكنة ومعنى تمالين تمالين أقبلن بإرادتك واختيارك لأحد الأمرين ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن كقوله قام يهددنى (أَتَمْسُكُنَّ) أعطىكن مئة الطلاق وتستحب المنة لكل مطلقة إلا المفوضة قبل الوطء (وَأَسْرُحْكِنَّ) وأطلقكن (مَرَّاحًا حَمِيلًا) لا ضرار فيه أردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتفايرن فقم ذلك رسول الله ﷺ فنزلت فبدأ بمائشة رضى الله عنها وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح فى وجه رسول الله ﷺ ثم اختار جميعهن اختيارها وروى أنه قال لمائشة إنى ذا كرك أمراً ولا عليك أن لا تمجلى فيه حتى تستأمرى أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفى هذا استأمر أبوى فأنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة وحكم التخيير فى الطلاق أنه إذا قال لها اختارى قالت اخترت نفسى أن تقع طليقة بائنة وإذا اختارت زوجها لم يقع شيء ومن طلى رضى الله عنه إذا اختارت زوجها فواحدة رجبية وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة (وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ) من اللبائن لالتبعض (أَجْرًا عَظِيمًا يَنْسِكُهُ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ) سيئة بليغة فى القبح (مُبَيِّنَةٍ) ظاهر فحشها من بين بمعنى تبين وبفتح الباء مكى وأبو بكر قيل هى عسيانهم رسول الله ﷺ ونشوزهن وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك (يُضَمَّفُ لَهَا الْمَذَابُ) يضمف لها العذاب مكى وشامى يضمف أبو عمرو ويزيد ويعقوب (يُضَمَّقِينَ) ضمق عذاب غيرهن من النساء لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن فزيادة قبح المصيبة تتبع زيادة الفضل وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي ﷺ وقد كان التمسع المصامى العالم أشد من المصامى

الجاهل لأن المعصية من العالم أبيع ولذا فضل حد الأحرار على العبيد ولا يرحم الكافر  
(وَكَانَ ذَلِكَ) أى تصنيف العذاب عليهن (عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) هينا (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ  
لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) القنوت الطاعة (وَتَعْمَلْ صَالِحًا تُوَفَّيْهَا) وبإيلاء فيها حصة وعلى (أَجْرَهَا  
مَرَّتَيْنِ) مثل ثواب غيرها (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) جليل القدر وهو الجنة (يُنْزِلُ اللَّهُ السَّمَاءَ  
لَسَنًا كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ) أى لسن كجماعة واحدة من جماعات النساء إذا قصيت أمة النساء  
جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن فى الفضل. وأحد فى الأصل بمعنى واحد  
وهو الواحد ثم وضع فى النفى المام مستويا فيه الذكر والمؤنث والواحد وما وراءه (إِنْ  
أَقْبَلْتُمْ) (إِنْ أَرَدْتُمْ التَّقْوَى أَوْ إِنْ كُنْتُمْ مُتَّقِينَ) فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ (أى إذا كلمتن  
الرجال من وراء الحجاب فلا تجعلن بقولكن خاضعا أى لينا خشنا مثل كلام المريات  
(فَيَطْمَحَ) بالنصب على جواب النهى (الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) رية وفجور (وَقُلْنَ قَوْلًا  
مَعْرُوفًا) حسنا مع كونه خشنا (وَقَرْنَ) مدنى وعاصم غير هبيرة وأسله اقرن خذفت الزاء  
تخفيفا وأقيت فتحتها على ما قبلها أو من قار بقار إذا اجتمع والباقون قرن من وقر يقر وقارأ  
أو من قرأ يقر حذف الأولى من راءى اقرن فرارا من التكرار ونقلت كسرتها إلى القاف  
(فِي بُيُوتِكُنَّ) بضم الباء بصرى ومدنى وحفص (وَلَا تَبْرُجْنَ تَبْرُجُ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) أى  
القديمة والتبرج التبخر فى المشى وإظهار الزينة والتقدير ولا تبرجن تبرجاً مثل تبرج النساء  
فى الجاهلية الأولى وهى الزمان الذى ولد فيه إبراهيم أو ما بين آدم ونوح عليهما السلام أو  
زمن داود وسليمان والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام أو الجاهلية الأولى  
جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور فى الإسلام (وَأَقِمْنَ  
الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) خص الصلاة والزكاة بالأمر ثمهم بجميع  
الطاعات تفضيلا لها لأن من واطب عليهما جرتاه إلى ما وراءهما (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ  
الرُّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) نصب على النداء أو على الملح وفيه دليل على أن نساءه من أهل بيته.  
وقال: عنكم، لأنه أريد الرجال والنساء من آله بدلالة (وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيرًا) من نجاسة  
الآلآم ثم بين أنه إغاثهاهن وأمرهن ووعظهن ثلاثا يقرأ أهل بيت رسول الله ﷺ المآثم وليتصنونا

عنها بالتقوى واستمرار للذنوب الرجس وللتقوى العلم لأن مرض القترن للقبعات يتلوث بها كما يتلوث بدنه بالأرجاس وأما الحسنات فالمرض منها تقى كاثوب الظاهر وفيه تنفير لأولى الأبواب عن المناهى وترغيب لهم فى الأوامر (وَإِذْ كُنَّا نَمِيلُ فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ ءَابَتِ اللَّهِ (القرآن) وَالْحِكْمَةِ) أى السنة أو بيان معانى القرآن (إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا) عالما بنوامض الأشياء (خَبِيرًا) عالما بمخافتها أى هو عالم بأفاملكن وأقوالكن فاحذرون مخالفة أمره ونهيه ومعصية رسوله. ولما نزل فى نساء النبي ﷺ ما نزل قال نساء المسلمين: فانزل فينا شيء، فزلت (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) السلم الداخل فى السلم بعد الحرب للنقاد الذى لايمانداو المفوض أمره إلى الله التوكل عليه من أسلم وجهه إلى الله (وَالْمُؤْمِنِينَ) المصدقين بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به (وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ) التامنين بالطاعة (وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ) فى النيات والأقوال والأعمال (وَالْمُؤْمِنَاتِ) والصبرين (وَالصَّبْرَاتِ) على الطاعات وعن السيئات (وَالصَّبْرَاتِ) التواضعين لله بالقلوب والجوارح أو الخائفين (وَالْخَائِفَاتِ) والمتصدقين (وَالْمُتَصَدِّقَاتِ) فرضا ونفلا (وَالْمُتَصَدِّقَاتِ) فرضا ونفلا وقيل من تصدق فى كل أسبوع بدم فهو من المصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين (وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ) مما لا يحل (وَالْحَافِظَاتِ وَالَّذِينَ كَرِهَ اللَّهُ كَثِيرًا) بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر والمعنى والحفاظات فزوجهن (وَالَّذِينَ كَرِهَ) الله غنفا لدلالة ما تقدم عليه والفرق بين عطف الإناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين لأن الأول نظير قوله نبيات وأبكارا فى أنهما جنسان مختلفان واشتركا فى حكم واحد فلم يكن بد من توسط الماطف بينهما وأما الثانى فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ومنه أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) على طاعاتهم. خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بنت عمته أميمة على مولاه زيد بن حارثة فأبى وأبى أخوها عبد الله فزلت (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ) أى وما صبح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة (إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ) أى رسول الله (أَمْرًا) من الأمور

﴿أَنْ يَكُونُ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أن يختاروا من أمرهم ما شاءوا بل من حقهم أن يميلوا رأيهم تبعاً لرأيه واختيارهم تلو الاختياره فقالا رضيينا يا رسول الله فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها وإعنا جمع الضمير في لهم وإن كان من حقه أن يوحد لأن المذكورين وقعا تحت النفي فمعاً كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير إلى المعنى لا إلى اللفظ ويكون بالياء كوفي، والخيرة ما يتخير ودل ذلك على أن الأمر للوجوب (وَمَنْ يَعْصِرِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَدْزَلَ ضَلَالًا مُبِينًا) فإن كان المصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال وكفر وإن كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق (وَإِذْ قَوْلُ الَّذِي أُنْثِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) بالإسلام الذي هو أجل النعم (وَأُنْثِمَتْ عَلَيْهِ) بالإعناق والتبني فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة (أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) زينب بنت جحش وذلك أن رسول الله ﷺ أبصرها بعد ما أنكحها إياه فوقعت في نفسه فقال: سبحان الله مقلب القلوب، وذلك أن نفسه كانت تجفوها قبل ذلك لا تريدها وصحت زينب بالتسبيحة فدكرتها لزيد فقطن وألقى الله في نفسه كراهة محبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: مالك أراك منها شيء؟ قال لا والله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها تتمطم على لشرفها وتؤذيني فقال له: أمسك عليك زوجك (وَأَتَى اللَّهَ) فلا تطلقها، وهو نهى تزويجها إذ الأولى أن لا يطلق أو واتق الله فلا تذهب بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج (وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) أي تخفي في نفسك نكاحها إن طلقها زيد وهو الذي أبداه الله تعالى وقيل الذي أخفى في نفسه تعلق قلبه بها ومودة مفارقة زيد إياها. والروا في وتخفي في نفسك (وَتَخْشَى النَّاسَ) أي قاله الناس إنه نكح امرأة ابنه (وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) وإو الحال أي تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفياً في نفسك إرادة أن لا يمكسها وتخفي خاشياً قاله الناس وتخفي الناس حقيقة في ذلك بأن تخفي الله. وعن عائشة رضي الله عنها لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً مما أوحى إليه لكنتم هذه الآية (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا) الوطر الحاجة فإذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه حمة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتصارفت عنها حمة وطلقها وانقضت عندها (زَوْجَتُكُمَا) روى أنها لما اعتدت قال رسول الله ﷺ لزيد: ما وجد



أحداً أوثق في نفسى منك: أخطب على زينب . قال زيد فانطلقت وقلت يا زينب أبشرى إن رسول الله ﷺ يخطبك ففرحت وتزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها وما أولم على امرأة من نساها ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار ( لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ) قبل قضاء الوطر إدراك الحاجة وبلوغ المراد منه ( وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ ) الذى يريد أن يكونه ( مَقْضُوعًا ) مكُونًا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ( مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فَبِمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ) أحل له وأمر له وهو نكاح زينب امرأة زيد أوقدر له من عدد النساء ( سُنَّةَ اللَّهِ ) اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تراباً وجندلاً مؤكداً لقوله ما كان على النبي من حرج كأنه قيل سن الله ذلك سنة في الأنبياء الماضين وهو أن لا يخرج عليهم في الإقدام على ما ألح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت نعمتهم المهارى والسرارى وكانت لداود مائة امرأة وثلاثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة حرة وسميائة سرية ( فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ) في الأنبياء الذين مضوا من قبل ( وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْضُوعًا ) قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ، ولا وقف عليه إن جعلت ( الَّذِينَ يُبَيِّنُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ ) بدلا من الذين الأول، وَقِفْ إن جعلته في عمل الرفع أو النصب على المدح أى هم الذين يبلغون أو أعيى الذين يبلغون ( وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ) وصف الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله تفرض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ( وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ) كافياً للخواف ومحاسباً على الصغيرة والكبيرة فكان جديراً بأن تخشى منه ( مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ) أى لم يكن أباً لرجل منكم حقيقة حتى ثبت بينه وبينه ما ثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح والمراد من رجالكم اللبائين والحسن والحسين لم يكونا بالنين حينئذ والطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم توفوا صبيانا ( وَلَكِنْ ) كان ( رَسُولَ اللَّهِ ) وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والتعصبة لهم عليه لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء، وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه كحكمكم والذين

( ٢٠ - نفسى - ثالث )

من باب الاختصاص والتقريب لاغير (وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ) بفتح التاء عامم بمعنى الطابع أى  
آخرهم يعنى لا نبياً أحد بعده وعيسى ممن نبى قبله وحين ينزل ينزل عاملاً على شريعة محمد  
ﷺ كأنه بعض أمته وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم - وقوي به قراءة ابن مسعود  
ولكن نبيا ختم النبيين (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذْ كُرُوا  
اللَّهُ ذِكْرًا كَثِيرًا) آمنوا عليه بضروب الثناء وأكثروا ذلك (وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً) أول  
النهار (وَأَصِيلًا) آخر النهار وخصاً بالذكر لأن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون  
فيهما وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا  
بالله الملى العظيم والقملان أى اذكروا الله وسبحوه موجهان إلى البكرة والأصيل كقولك  
صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختص من بين أنواعه اختصاص جبريل  
وميكائيل من بين الملائكة إبانة لفضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز  
عليه من الصفات وإجاز أن يراد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات والعبادات فإنها من جملة  
الله كرم خص من ذلك التسبيح بكرة وهى صلاة الفجر وأصيلاً وهى صلاة الظهر والعصر  
والغروب والمشاء أو صلاة الفجر والمشاء (هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ) لما كان  
من شأن الصلوى أن ينمطف في ركوعه وسجوده استمير لمن ينمطف على غيره حنوا عليه  
وترؤفاً كمائد المريض في انمطافه عليه والمرأة في حنوها على ولها ثم كثر حتى استعمل في  
الرحمة والتزوف ومنه قولهم صلى الله عليك أى رحم عليك وتراف والمراد بصلاة الملائكة  
قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابى الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرافة  
والمنى هو الذى يترحم عليكم ويتراف حين يدعوكم إلى الخير ويأمركم بإكثار الذكر والتوفر  
على الصلاة والطاعة (يُخْرِجُكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) من ظلمات العمية إلى نور  
الطاعة (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً) هو دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة وروى أنه لما  
نزل إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله بإرسال الله بشرف إلا  
وقد أشر كنا فيه فنزلت (تَحِيَّتُهُمْ) من إضافة المصدر إلى المفعول أى تحية الله لهم (يَوْمَ  
يَقُولُونَ) برونه (سَلَامٌ) يقول الله تبارك وتعالى السلام عليكم (وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيماً)

يعنى الجنة (يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا) على من بعثت إليهم وعلى تكذيبهم  
وتصديقهم أى مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم وهو  
حال مقدرة كما قول مروت برجل معه سفر سائدا به أى مقدرا به الصيد غدا (وَمُبَشِّرًا)  
للمؤمنين بالجنة (وَنَذِيرًا) للكافرين بالنار (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ) بأمره وأوتيسيره والكل  
منصوب على الحال (وَسِرَاجًا مُنِيرًا) جلا به الله ظلمات الشرك واهتدى به الصائون كما  
يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به والجمهور على أنه القرآن فيكون التقدير وفا  
سراج منير أو وثاليا سراجا منيرا ووصف بالإضاءة لأن من السراج مالا يضيء إذا قل سليفه  
ودقت فتيلته أو شاهدا بوحدايتنا ومبشرا برحمتنا ونذيرا بنقمتنا وداعيا إلى عبادتنا وسراجا  
وحجة ظاهرة لحضرتنا (وَبَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَن لَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) ثوابا عظيما (وَلَا  
تُطْعِمُ الْكَاثِرِينَ وَالتَّمَنِّقِينَ) المراد به التهييج أو الدوام والثبات على ما كان عليه (وَدَفَعُ  
أَذَانَهُمْ) هو بمعنى الإيذاء فيحتمل أن يكون مضافا إلى الفاعل أى اجمل إيذاءهم إياك في جانب  
ولا تبال بهم ولا تخف من إيذائهم أو إلى المفعول أى دع إيذاءك إياهم مكافأة لهم (وَتَوَكَّلْ  
عَلَى اللَّهِ) فإنه يكفيهم (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) وكفى به مغوضا إليه وقيل إن الله تعالى  
وصفه بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بمخاطب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين  
لأنه يكون شاهدا على أمته وم يكونون شهداء على سائر الأمم وهو الفضل الكبير والبشر  
بالإعراض عن الكافرين والمنافقين لأنه إذا عرض عنهم أقبل جميع إقباله على المؤمنين وهو  
مناسب لبشارة والنذير يدع إذا هم لأنه إذا ترك إذا هم في الحاضر والأذى لابلده من عقاب  
ماجل أو أجل كانوا منذرين به في المستقبل والى الله يتيسره بقوله وتوكل على الله  
فإن من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالإكتماء به وكيلا لأن من أثاره  
الله برهانا على جميع خلقه كان جدرا بأن يكفى به عن جميع خلقه (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
إِذَا نَسَخْنَاهُمْ الْمُؤْمِنِينَ) أى تروجهم والنكاح هو الوطء في الأصل وتسمية القعد نكاحا  
للابسته له من حيث إنه طريق إليه كتسمية الحجر إنما لأنها سبيه وكقول الراجز  
\* أسنمة الآبال في صحابه \* سمي الماء بأسنمة الآبال لأنه سبب سمن الآبال وارتفاع أسنمتها  
ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله تعالى إلا في معنى المقد لأنه في معنى الوطء من باب

التصریح به ومن آداب القرآن الکناية عنه بلفظ اللامسة والماساة والقران والتنفی والإیتان  
وفی تخصیص المؤمنات مع أن الکتابیات تساوی المؤمنات فی هذا الحكم إشارة إلى أن  
الأولی بالمؤمن أن ینکح مؤمنة (ثُمَّ طَلَّقَتْهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ) والخلوة  
المصححة کالس (فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا) فيه دلیل علی أن العدة تجب علی  
النساء للرجال ومعنی تعتدونها تستوفون عددها تفتملون من العد (فَمَتَّوْهُنَّ) والتمة تجب  
للقی طلقها قبل الدخول بها ولم یسم لها مهر دون غيرها (وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا) أى  
لا تمسکوهن ضرازا وأخرجوهن من منازلکم إذا عدا لکم علیهن (يَأْتِيَنَّ النَّبِيَّ إِنَّا  
أَخْلَقْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ النَّبِيِّ أَتَيْنَتْ أَجُورَهُنَّ) مهورهن إذا المهر أجر علی البضع ولهذا  
قال الکرخی: إن النکاح بلفظ الإجارة جائز. وقلنا التأیید من شرط النکاح والتأقیث من  
شرط الإجارة وبينهما منافاة وإبتاؤها إعطاؤها حاجلا أو فرضها وتسميتها فی العقد (وَمَا  
مَلَكَتْ يَمِينُكَ إِيمًا أَفَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ) وهی سقية وجورية فأعتقهما وتزوجهما (وَبَنَاتِ  
عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ أَلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ) ومع ليس  
لقران بل لوجودها غصب كقوله وأسلفت مع سليمان وعن أم هانئ بنت أبي طالب خطبني  
رسول الله ﷺ فاعتذرت فمذرتني فأنزل الله هذه الآية، فلم أحل له لأنى لم أهاجر معه (وَأَمْرًا  
مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) وأحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب  
مهرًا من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك ولقد نكحها قال ابن عباس هو بيان حكم فی المستقبل  
ولم يكن عنده أحد منهن بالمهبة وقيل الواهبة نفسها ميمونة بنت الحرث أوزينب بنت خزيمة  
أو أم شريك بنت جابر أو خولة بنت حكيم وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف  
اللام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه بغير إن (إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا) استنكحها  
طلب نكاحها والرغبة فيه وقيل نكح واستنكح بمعنى والشرط الثانى تقييد للشرط الأول  
شرط فى الإحلال هبتها نفسها وفى الهبة إرادة استنكاح رسول الله ﷺ كأنه قال أحللناها  
لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لأن إرادته هى قبول الهبة وما به تم وفيه  
دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله ﷺ وأمه سواء فى الأحكام إلا فيما خصه

الدليل ( خَالِصَةً ) بلا مهر حال من الضمير في وهبت أو مصدر مؤكد أى خلص لك لإحلال ما أطلقنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعلة في المصادر غير عزيز كالماضي والكاذبة ( لَكَمِنْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ ) بل يجب المهر لنترك وإن لم يسمه أو نفاه. عدل عن الخطاب إلى النية في قوله إن أراد النبي ثم رجع إلى الخطاب ليؤذن أن الاختصاص تسكرمة له لأجل النبوة ونكريره أى نكرير النبي تفضيحه له ( قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ ) أى ما أوجبنا من المهور على أمتك في زوجاتهم أو ما أوجبنا عليهم في أزواجهم من الحقوق ( وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) بالشراء وغيره من وجوه الملك وقوله ( لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ) شقيق متصل بمخالصة للمؤمنين وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم جملة اعتراضية ( وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ) بالتوسعة على عباده ( تَرْجَى ) بلا همز مدني وحزرة وعلى وخلف وحفص وبهمز غيرهم: تؤخر ( مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتَوَوَّى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ) تضم بمعنى تترك مضاجعة من نشاء منهم وقضاجع من نشاء أو تطلق من نشاء وتمسك من نشاء أو لا تقسم لأنهن شئت وقسم لمن شئت أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتزوّج من شئت وهذه قسمة جامعة لما هو النرض لأنه إما أن يطلق وإما أن يمسك فإذا أمسك ضامع أو ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق وعزل فلها أن يخلى المزالة لا يبتغيها أو يبتغيها. وروى أنه أرجى منهن جورية وسودة وصفية وميمونة وأم حبيبة وكان يقسم لمن ماشاء كما شاء وكانت ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خما وآوى أربعا، وروى أنه كان يسوى مع ما أطلق له وخير فيه الأسود فلها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحضر في زمرة نسائك ( وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مَعْنَى عَزَلْتُ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ) أى ومن دعوت إلى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالإرجاء فلا ضيق عليك في ذلك أى ليس إذا عزلتها لم يجر لك ردها إلى نفسك. ومن رفع بالابتداء وخبره فلا جناح ( ذَلِكَ ) التفويض إلى مشيئتك ( أَذْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَحْزَنَ وَبَرُّ سَيِّئٍ بِمَا أَرَبْتَهُمْ كَأَنَّهُمْ ) أى أقرب إلى قرة عيونهم وقلة حزنهم ورضاهم جميعا لأنهم إذا علموا أن هذا التفويض من عند الله اطمانت نفوسهم وذهب التناير وحصل الرضا وقوت

العيون. كلهن بالرفع تأكيد لنور برضين وقرىء ورضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرىء. شاذاً كلهن بالنصب تأكيداً لمن في آتيتهن (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئة رسوله (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً) بذات الصدور (حَالِيماً) لا يماجل بالمقوبة فهو حقيق بأن يتق ويحذر (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ) بالناء أبو عمرو ويمتقب وغيرهما بالتذكير لأن تأنيث الجمع غير حقيق وإذا جاز بغير فصل فمع الفصل أجوز (مِنْ بَعْدُ) من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله ﷺ من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته (وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ) بالطلاق والمعنى وأن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجاً آخر بكلهن أو بمضهن كرامة لمن وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله ﷺ عليهن وهن التسع التي ماتت منهن: عائشة حفصة أم حبيبة سودة أم سلمة صفية ميمونة زينب بنت جحش جويرية. ومن في من أزواج لتأكيد النفي وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم (وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ) في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تَبْدَلُ أى تبدل لامن المفعول الذي هو من أزواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا إعجابك بهن وقيل هي أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب فإنها من أعجبه حسنهن وعن عائشة وأم سلمة مامات رسول الله ﷺ حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء يعنى أن الآية نسخت ونسخها إما بالسنة أو بقوله إنا أحللنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف (إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) استثنى من حرم عليه الإمام ومحل ما رفع يدل من النساء (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً) حافظاً وهو تحذير عن مجاوزة حدوده (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّسَاءِ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِهَا إِنَّهُ) أن يؤذن لكم في موضع الحال أى لا تدخلوا إلا مأذوناً لكم أو في معنى الظرف تقديره إلا وقت أن يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الحال والوقت مما كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبي إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين أى غير منتظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه ومعناه لا تدخلوا بأبيها التحينون للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين

إياه وإني الطعام إحداه كما يقال إني الطعام إني كقولك قلاء على وقيل إياه وقته أي غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله وروى أن النبي ﷺ أول ما على زينب تمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدهو بالناس فترادفوا أفواجا يأكل كل فوج ويخرج ثم يدخل فوج إلى أن قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحداً أدهوه فقال «ارضوا طعامكم» وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله ﷺ ليخرجوا فطاف رسول الله ﷺ بالحجرات وسلم عليهم ودعاهم له ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله ﷺ شديد الحياء فتولى فلما رآوه متولياً خرجوا فرجع ونزلت (وَلَكِنَّ إِذَا دُعِيْتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) فتفرقوا (وَلَا مُسْتَنَسِينَ لِحَدِيثٍ) هو مجرور معطوف على ناظرين أو منصوب أي ولا تدخلوها مستأنسين نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدته به (إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَخِي مِنْكُمْ) من إخراجكم (وَاللَّهُ لَا يَسْتَخِي مِنْ الْحَقِّ) يعني أن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيا منه ولما كان الحياء مما يمنع المحي من بعض الأفعال قيل لا يستحي من الحق أي لا يمتنع منه ولا يترك ترك المحي منكم هذا أدب أدب الله به التقلد وعن عائشة رضي الله عنها حبسك في التقلد أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فإذا طعمتم فانتشروا (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ) الضمير للنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لدلالة بيوت النبي لأن فيها نساءه (مَتَمًّا) عارية أو حاجة (فَسَأَلُوهُنَّ) التنازع (مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكَمْ أَطْهَرُ قُلُوبِكُمْ وَقُلُوبُهُنَّ) من خواطر الشيطان وهواض الفتن وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال وكان مهر رضى الله عنه يجب ضرب الحجاب عليهن ويورد أن يزل فيه وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت. وذكر أن بعضهم قال أنهى أن تكلم بنات منهن إلا من وراء حجاب لئن مات محمد لآزواجهن فلانة فنزل (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَدْنِهِ أَبَدًا) أي وما صح لكم إيذاء رسول الله ﷺ ولا نكاح أزواجه من بعد موته (إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا) أي ذنباً عظيماً (إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا) من إيذاء النبي ﷺ أو من نكاحهن (أَوْ تَخْفَوْهُ) في أنفسكم من ذلكم (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ

قِيءَ قَلِيلًا ) فيما قبكم به ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: يا رسول الله  
 أو نحن أيضاً نكلمهم من وراء حجاب فنزل (لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ  
 وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ) أى نساء  
 المؤمنات (وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) أى لا إثم عليهن فى الا بمحتجبين من هؤلاء ولم  
 يذكر لهم والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية لهم أبا قال الله تعالى: وإله  
 آباءك إبراهيم وإسماعيل وإسحق. وإسماعيل هم يعقوب، وعبيدهم عند الجمهور كالأجانب هم قتل  
 الكلام من النبوة إلى الخطاب وفى هذا النقل فضل تشديد كونه قيل (وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ) فيها أمرتن  
 به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ  
 شَيْءٍ شَهِيدًا) علما قال ابن عطاء: الشهيد الذى يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح.  
 (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ) أى قولوا  
 اللهم صل على محمد أو صلى الله على محمد (وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) أى قولوا اللهم سلم على محمد أو  
 اتقادوا أمره وحكمه أقياداً وسئل عليه السلام عن هذه الآية فقال «إن الله وكل لى ملكين  
 فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلى على» إلا قال ذاك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته  
 جواباً لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على» إلا قال ذاك الملكان  
 لاغفر الله لك وقال الله وملائكته جواباً لذينك الملكين آمين» ثم هى واجبة مرة عند الطحاوى  
 وكلا ذكر اسمه عند الكرخى وهو الاحتياط وعليه الجمهور وإن صلى على غيره على سبيل التبع  
 كقولهم صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيه وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة  
 فكروه وهو من شأان الرافض (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أى يؤذون رسول الله  
 وذكر اسم الله للتحريف أو عبر بإيذاء الله ورسوله عن فعل ما لا يرضى به الله ورسوله  
 كالكفر وإنكار النبوة مجازاً وإعسا جعل مجازاً فيها حقيقة الإيذاء يتصور فى رسول الله  
 ثلاثاً يجتمع المجاز والحقيقة فى لفظ واحد (كَتَبَهُمُ اللَّهُ فِي الذُّنُوبِ وَالْآخِرَةِ) طردهم الله عن  
 رحمته فى الدارين (وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) فى الآخرة (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ  
 وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا ظَاهِرًا كَتَبْنَا لَهُمْ) أطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات لأن  
 ذاك يكون غير حق أبداً وأما هذا فنه حق كالحقد والتميز ومنه باطل قيل نزلت فى ناس من



الناقطين يؤذون علبارضى اللهعنه ويسمعونه وقيل فزناة كانوا يتبعون النساء ومن كارهات  
وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذى كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف إيذاء المؤمنين والمؤمنات  
( قَدْ احْتَمَلُوا ) تحملوا ( بَهْتَنًا ) كذبا عظيما ( وَإِنَّمَا مَيْبِنًا ) ظاهرا ( إِنِّي أَنَا النَّبِيُّ قُلْ  
لَا زُورَ جِئْتُكُم بِآيَاتِي وَإِنَّمَا كُنْتُ مِنَ الْمُنذِرِينَ ) يَذِّنِينَ عَلَيْكُمْ ( مِنَ جَلِيلٍ ) الجليلاب مايسر  
الكل مثل اللعفة من البرد ومعنى يذنين عليهن من جلابيهن برخينها عليهن وينظلين بها  
وجوههن وأعطافهن يقال إذا زلَّ الثوب من وجه المرأة أدنى ثوبك على وجهك ومن للتبويض  
أى رضى بعض جلابيها وفضله على وجهها تنقغ حتى تتميز من الأمة أو المراد أن يتجلبين  
يبيض ماهن من الجلابيب وأن لاتكون المرأة متبذلة فى درع وخمار كالأمة ولها جلابيان  
فصاعدان يتيها وذلك أن النساء كنَّ فى أول الإسلام على هجبراهن فى الجاهلية متبذلات تبرز  
المرأة فى درع وخمار لافضل بين الحرة والأمة وكان الفتيان يتمرضون إذا خرجن بالليل لقضاء  
حوائجهن فى النخيل والفيضان للإماء وربما تمرضوا للحرة لحسبان الأمة فأمرن أن يخالفن  
بزيهن من زى الإمام بلبس الملاحف وستر الرموس والوجوه فلايطمع فيهن طامع وذلك قوله  
( ذَلِكَ أَذْنِي أَنْ يُرْفَعَنَّ فَلَا يُؤْذَنَ ) أى أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتمرض لهن ( وَكَانَ  
اللَّهُ غَفُورًا ) لاسلف منهم من التفريط ( رَحِيمًا ) بتلميذهن آداب المسكارم ( لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ  
الْمُتَفَقِّهُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) فجور، وم الزناةمن قوله فيقطع الذى فى قلبه مرض  
( وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ) هم أناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله  
ﷺ فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كبت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال  
أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهى  
الزلافة ( لَنُفْرِنَكَ بِهِمْ ) لأنمرنك بقتالهم أو لنسلطنك عليهم ( ثُمَّ لَا يَجْتَاوِرُوكَ فِيهَا )  
فى المدينة وهو عطف على لنفرك لأنه يجوز أن يجاب به القسم لصحة قولك لئن لم ينتهوا  
لأيجاورونك ولما كان الحلاء عن الوطن أعظم من جميع ماأمسبوا به عطف بهم لبعد حاله عن  
حال المطوف عليه ( إِلَّا قَلِيلًا ) زمانا قليلا والمضى لئن لم ينته الناققون عن هداوتهم وكيدهم  
والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لأنمرنك بأن تفعل الأفعال التى

نسوءهم ثم بأن تضطرم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى أن لا يساكنوك فيها إلا زمانا قليلا  
 ربنا يرتحون فسمى ذلك إغراء وهو التحريض على سبيل المجاز (مَأْمُورِينَ) نصب على الشتم  
 أو الحال أى لا يجاورك إلا الملعونين فالاستثناء دخل على الظرف والحال معا كما مرولا ينتصب  
 عن أخذوا لأن ما بعد حروف الشرط لا يعمل فيها قبلها (أَبْنَمَا تَقِفُوا) وجدوا (أَخَذُوا  
 وَقَتَلُوا حَقِيلًا) والقشديد يدل على التكثير (سُنَّةَ اللَّهِ) فى موضع مصدر مؤكد أى  
 سن الله فى الدين يناقون الأنبياء أن يقتلوا أبنا وجدوا (فِي الَّذِينَ خَلَاوْا) مضوا (مِنْ قَبْلُ  
 وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) أى لا يبدل الله سنته بل يجرى بها مجرى واحدا فى الأمم (يَسْتَكْ  
 النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ) كان المشركون يسألون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة استعجالا  
 على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لأن الله تعالى عى وقتها فى التوراة وفى كل كتاب  
 فأمر رسوله بأن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به ثم بين لرسوله أنها قرية الوقوع هديدا  
 للمستعجلين وإسكانا للممتحنين بقوله (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ  
 تَكُونُ قَرِيبًا) شيئا قريبا أولأن الساعة فى معنى الزمان (إِنَّ اللَّهَ لَكَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ  
 سَعِيرًا) نارا شديدة الاقصاد (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) هذا يرد مذهب الجهمية لأنهم يزعمون  
 أن الجنة والنار تفتيان ولا وقف على سعيها لأن قوله خالدين فيها حال عن الضمير فى لم  
 (لَا يَحْدُونُ وَلَا نُصِيرًا) ناصرا ينعهم اذكر (يَوْمَ تَقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ)  
 نصرف فى الجهات كما ترى البضمة تدور فى القدر إذا غلت وخصصت الوجوه لأن الوجه  
 أكرم موضع على الإنسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن الجلة (يَقُولُونَ) حال  
 (يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ) فتخلص من هذا المذاب فتمنوا حين لا ينفعهم  
 التقي (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا) جمع سيد. ساداتنا شامى وصل ويقيب جمع الجمع  
 والمراد رؤساء الكفرة الذين لقنوم الكفر وزينوه لهم (وَكَبَّرْنَا) ذوى الأسنان منا أو  
 هملانا (فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ) يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت  
 جعلت فواصل الآى كقوافى الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن  
 ما بعده مستأنف (رَبَّنَا إِنَّهُمْ ضِلُّوا مِنَ الْمَذَابِ) للضلال والإضلال (وَأَنفُسُهُمْ لَمَنَّا  
 كَبِيرًا) بالباء عاصم ليدل على أشد اللعن وأعظمه وغيره بالتاء تكثيرا لأعداد المائن ونزل

في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذُوا مُوسَىٰ قَبْرَهُ ۖ اللَّهُ بِمَا قَالُوا) مامصودية أو موصولة وأيهما كان فالرأى البراءة من مضمون القول ومؤداه وهو الأمر السلب وأذى موسى عليه السلام هو حديث الومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها أو آتاهم إياه يقتل هرون فأحياء الله تعالى فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كما برأ نبينا عليه السلام بقوله: ما كان محمد أباً أحد من رجالكم. (وَكَانَ هِنْدَ اللَّهِ وَرَجِيئاً) ذاجاه ومنزلة مستجاب الدعوة وقرأ ابن مسعود والأعمش وكان عبداً لله وحيها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً) صدقا وصوابا أو قاصدا إلى الحق. والسداد: القصد إلى الحق والقول بالعدل والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبث على أن يسدوا قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس كل خير ولا تقف على سديدا لأن جواب الأمر قوله (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) يقبل طاعتكم أو يوفقكم لصالح العمل (وَيَنْفِرْ لَكُمْ دُونَكُمْ) أي يحمها والمنفى راقبوا الله في حفظ أنفسكم وتسدد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإجابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها. وهذه الآية مفردة التي قبلها بنيت تلك على النهي مما يؤذى رسول الله ﷺ وهذه على الأمر باتباع الله في حفظ اللسان ليرتادف عليهم النعي والأمر مع اتباع النعي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الأمر الوعد البالغ فيقوى الصارف عن الأذى والفعل إلى تركه ولما علق بالطاعة الفوز العظيم بقوله (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) أتبعه قوله (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) وهو يريد بالأمانة الطاعة لله وبحمل الأمانة الخيانة يقال فلان حامل للأمانة ومحمّل لها أي لا يؤذيها إلى صاحبها حتى نزول عن ذمته إذ الأمانة كأنها رابكة للؤمن عليها وهو حاملها ولهذا يقال ركبته الديون ولى عليه حق فإذا أداها لم تبق رابكة له ولا هو حامل لها يعني أن هذه الأجرام النظام من السموات والأرض والجبال قد انتقلت لأمر الله انقياد مثلها وهو ما يأتى من الجمادات وأطاعت له الطاعة التي تليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته لإيجادا وتكوينها وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال: ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا

أو كرها قالتا أتينا طائمين. وأخبر أن الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب يسجدون لله وإن من الحجارة لما يهبط من خشية الله وأما الإنسان فلم تسكن حاله فيها يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيها يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع وهذا معنى قوله ( فَأَيِّنَ أَنْ يَخْمِلْنَهَا ) أى أين الخيانة فيها وأن لا يؤدبها ( وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ) وخفن من الخيانة فيها ( وَحَكَلَهَا الْإِنْسَنُ ) أى خان فيها وأبى أن لا يؤدبها ( إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا ) لكونه تاركاً لأداء الأمانة ( جَهْلًا ) لإخطائه ما يساعده مع تمكنه منه وهو أداؤها قال الزجاج: الكافروالنافق حلا الأمانة أى خانا ولم يعطيما. ومن أطلع من الأنبياء والمؤمنين فلا يقال كان ظلوما جهولا وقيل معنى الآية أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواء فأبى حله وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه إنه كان ظلوما جهولا حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير فى لسان الرب وما جاء القرآن إلا على أساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشعر أين تذهب لقال أسوى الموج واللام فى ( لِيُذَبِّبَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِيَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ) للتعليل لأن التذبيب هنا نظير التأديب فى قولك ضربته للتأديب فلا تقف على جهولا ( وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ) وقرأ الأعمش ويتوب الله بالرفع ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويتوب الله ومعنى الشهورة ليستب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لأنه إذ تيب على الوافى كان نوعا من عذاب النادر أو للمتابعة أى حملها الإنسان فآل الأمر إلى تذيب الأشياء وقبول توبة السعداء ( وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ) للتائبين ( رَحِيمًا ) بمباداة المؤمنين والله الموفق للصواب .

( سورة سبأ مكية وهى أربع وخمسون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( الْحَمْدُ ) إن أخرى على المهود فهو بما حمد به نفسه محمود وإن أجرى على الاستفراق فله لكل الحمد الاستحقاق ( قُلْ ) بلام التملك لأنه حائق ناطق الحداسلا مكان علكه مالك

الحمد للتحميد أهلا (الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) خلقا وسلطا وقهرا  
 فكان حقيقا بأن يحمد سرا وجهرا (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ) كما هو له الدنيا إذا التمس في  
 الدارين من الولي غير أن الحمد هنا واجب لأن الدنيا دار تكليف وثم لا لعدم التكليف وإنما  
 يحمد أهل الجنة سرورا بالنعيم وتلذذا بما نالوا من الأجر العظيم بقوله الحمد لله الذي سددنا  
 وعده. الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (وَهُوَ الْحَكِيمُ) بتدبير ما في السماء والأرض  
 (الْخَبِيرُ) بضمير من يحمده ليوم الجزاء والعرض (يَعْلَمُ) مستأنف (مَا يَلِجُ) ما يدخل  
 (فِي الْأَرْضِ) من الأنواء والدقائق (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) من النبات وجواهر المادن  
 (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) من الأمطار وأنواع البركات (وَمَا يَرْجُ فِيهَا) يصعد إليها من  
 الملائكة والدعوات (وَمَوْ الرَّحِيمِ) لا يزال ما يحتاجون إليه (الْفُورُ) لما يمترون عليه  
 (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي مفكرو البعث (لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ) نفى للبعث وإنكار  
 لحيء الساعة (قُلْ بَلَىٰ) أوجب ما بعد النفي يدل على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها (وَرَبِّ  
 لَأَتَيْنَنَّكُمْ) ثم أُميد إيجابه مؤكدا بما هو الناية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين  
 بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمي بما أتبع القسم به من الوصف بقوله (عَلِيمُ الْغَيْبِ)  
 لأن عظمة حال القسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة  
 الاستشهاد على الأمر وكلما كان المستشهد به أرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وأكثر والاستشهد  
 عليه أثبت وأرسخ، ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية كان الوصف  
 بما يرجع إلى علم الغيب أولى وأحق. عالم الغيب مدني وشامي أي هو عالم الغيب علام الغيب  
 حزة وعلى على المبالغة (لَا يَمْرُؤُ فَهْ) وبكسر الزاي على يقال عزب يمزب ويمزب إذا  
 غاب وبهد (مِثْقَالُ ذَرَّةٍ) مقدار أسفر غلة (فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَسْفَرُ مِنْ  
 ذَلِكَ) من مثقال ذرة (وَلَا أَكْبَرُ) من مثقال ذرة (إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) إلا في  
 اللوح المحفوظ، ولا أسفر ولا أكبر بالرفع عطف على مثقال ذرة ويكون إلا بمعنى لكن أو  
 رفا بالابتداء والخبر في كتاب واللام في (لَيُجْزَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) لما قصروا فيه من مدارج الإيمان (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) لما سبروا عليه  
 من مناهج الإحسان متعلق بلنأتينسكم تليلا له (وَالَّذِينَ سَمَوْا فِي ءَابْتِنَا) ساهدوا في ره

القرآن (مُجِيزِينَ) مساقين ظانين أنهم يفوتوننا. ممجّزين مكي وأبو عمرو أى مشبهين  
الناس عن اتباعها وتأملها أو ناسبين الله إلى العجز (أَوْ لَكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ)  
يرفع أليم مكي وحفص ويقوب صفة لعذاب أى عذاب أليم من سبي' المذاب قال قتادة:  
الرجز سوء المذاب، وغيرم بالمجر صفة لرجز (وَيَرَى) في موضع الرفع بالاستئناف أى ويستمع  
(الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ) يعنى أصحاب رسول الله ﷺ ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل  
الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه، والمفعول الأول ليرى (الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ  
مِن رَّبِّكَ) يعنى القرآن (هُوَ الْحَقُّ) أى الصدق وهو فصل والحق مفعول ثان أوفى موضع  
النصب معطوف على ليحزى وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علما لايزاد عليه في  
الإيقان (وَيَهْدِي) الله أو الذى أنزل إليك (إِلَى صِرَاطٍ الْمُرْتَبِتِ الْحَمِيدِ) وهو دين الله  
(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) وقال قريش بعضهم لبعض (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ) يمتنون  
عهدا ﷺ وإنما نكروه مع أنه كان مشهورا علما في قريش وكان إنباؤه بالبعث شائعا عندهم  
تجاهلا به وبأمره وباب التجاهل في البلاغة والى سحرها (يُبَشِّرُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ  
مُرِّقٍ إِنَّكُمْ لَنَافِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) أى يمددكم بأعجوبة من الأعاجيب أنكم تيمنون  
وتنشئون خلقا جديدا بعد أن تكفونوا رقانا وترايا ويمزق أجسادكم البيل كل ممزق أى يفرقكم  
كل تفريق فالمرق مصدر بمعنى التمزيق والمامل في إذا مادل عليه إنكم لفي خلق جديد أى  
تيمنون، والجديد قيل بمعنى فاعل عند البصريين تقول جددفو جديد كقل فهو قليل ولا يميؤز  
إنكم بالفتح للام في خبره (أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب  
إليه من ذلك والمهمة للاستفهام وهمزة الوصل حذفت استفاء عنها (أَمْ يَرَى جَنَّةً) جنون  
يوهمه ذلك وبقية على لسانه (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ  
الْبَعِيدِ) ثم قال سبحانه وتعالى ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل  
هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤذيههم إليه من الضلال عن  
الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الجنون جمل وقوهم في المذاب رسيلا لوقوعهم في  
الضلال كأنهما كائنان في وقت واحد لأن الضلال لما كان المذاب من لوازمه جملا كأنهما  
مقترنان ووصف الضلال بالبعيد من الإسناد المجازى لأن البعيد صفة الضلال إذا بعد عن الجادة

(أَتَلَمَّ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نُخَسِّفَ  
يَهُيمُ) (وَبِالْإِدْغَامِ عَلَى التَّقَارُبِ بَيْنَ الْفَاءِ وَالْبَاءِ وَضَعُهُ الْبَعْضَ لِرِزَادَةِ سَوْتِ الْفَاءِ عَلَى الْبَاءِ  
(الْأَرْضِ أَوْ تُسْقِطُ) الثَّلَاثَةَ بِالْبَاءِ كَوَفٍ غَيْرِ حَاصِمٍ قَوْلُهُ أَقْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (عَلَيْهِمْ  
كَسَفًا) كَسَفًا فَحَصَ (مِّنَ السَّمَاءِ) أَيْ أَحْوَا ظَنُّهُمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَأَنْهُمَا حَيْثُمَا  
كَانُوا وَإِنَّمَا سَارُوا أَمَامَهُمْ وَخَلْفَهُمْ حَيْثُ تَنَاسَلَتْ بِهِمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَفْهَمُوا مِنْ أَقْطَارِهَا وَأَنْ يَخْرُجُوا  
حَاصِمٍ فِيهِ مِنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ وَلَمْ يَخَافُوا أَنْ يُخَسِّفَ اللَّهُ بِهِمْ أَوْ يَسْقِطَ عَلَيْهِمْ كَسَفًا لَتَكْذِبِهِمْ  
الْآيَاتِ وَكَفَرِهِمْ بِالرَّسُولِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ كَمَا نَصَلَ بَقَارُونَ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ (إِنْ فِي ذَلِكَ) النَّظَرُ  
إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْفَكْرِ فِيهِمَا وَمَا تَدْلَانِ عَلَيْهِ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى (لَا يَئُودُهُ) لَدَلَاةُ  
(لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّثْبِتٍ) وَاجِعٌ إِلَى رَبِّهِ مُطِيعٌ لَهُ إِذِ الْمُنِيبُ لَا يَخْذُلُ مِنَ النَّظَرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ عَلَى  
أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْبَعثِ وَمِنْ عِقَابٍ مَنْ يَكْفُرُ بِهِ (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا  
يَحْيَىٰ جَالُ) بَدَلٌ مِنْ فَضْلٍ أَوْ مِنْ آتَيْنَا بِتَقْدِيرٍ قَوْلُنَا يَا جِبَالُ أَوْ قُلْنَا يَا جِبَالُ (أَوَّلِي مَعَهُ) مِنْ  
التَّأْوِيبِ رَجَعِي مَعَهُ التَّسْيِيعُ وَمَعَى تَسْيِيعِ الْجِبَالِ أَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ فِيهَا تَسْيِيعًا فَيَسْمَعُ مِنْهَا كَمَا  
يَسْمَعُ مِنَ الْمَسِيحِ مُعْجَزَةً لِّدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَالطَّيْرُ) مَطْفٌ عَلَى عِلِّ الْجِبَالِ وَالطَّيْرُ مَطْفٌ  
عَلَى لَفْظِ الْجِبَالِ وَفِي هَذَا النَّظْمِ مِنَ الْفُضَاءِ مَا لَا يَنْقُصُ حَيْثُ جَعَلَتْ الْجِبَالُ بِمَنْزِلَةِ الْعُقُلَاءِ  
الَّذِينَ إِذَا أَمُرُهم بِالطَّاعَةِ أَطَاعُوا وَإِذَا دَعَاهُمْ أَجَابُوا إِشَارًا بِأَنَّهُمْ مِنْ حَيَوَانٍ وَجَادِلٍ أَوْ هُوَ مُقَادَرٌ  
لِلْحَيَّةِ اللَّهُ تَعَالَى وَلَوْ قَالَ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا تَأْوِيبَ الْجِبَالِ مَعَهُ وَالطَّيْرُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ هَذَا الْفُضَاءُ  
(وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ) وَجَعَلْنَاهُ لَنَا كَالطَّيْنِ الْمَجْعُونِ يَصْرِفُهُ بِيَدِهِ كَيْفَ يَشَاءُ مِنْ غَيْرِ نَارٍ  
وَلَا ضَرْبٍ بِطَرَفَةٍ وَقِيلَ لِأَنَّ الْحَدِيدَ فِي يَدِهِ لَمَّْا أَوْقَى مِنْ شِدَّةِ الْقُوَّةِ (أَنْ أَعْمَلَ) أَنْ يَمْنَى  
أَيُّ أَوْ أَمْرَاهُ أَنْ أَعْمَلَ (سَبَّحْتَ) دَرُوعًا وَاسِعَةً تَامَةً مِنَ السَّبُوحِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَخَذَهَا  
وَكَانَ يَبِيعُ الدَّرْعَ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ فَيَنْفِقُ مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ وَهِيَائِهِ وَيَصْنُقُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَقِيلَ كَانَ  
يَخْرُجُ مُتَسَكِّرًا فَيَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ نَفْسِهِ وَيَقُولُ لِمَ مَاتُوا لَوْ أَنَّ دَاوُدَ فَيَتَوَلَّى عَلَيْهِ قَبِيضُ اللَّهِ  
لَهُ مَلِكًا فِي سُورَةِ آدَمِ فُسَّاهُ عَلَى عَادَتِهِ فَقَالَ نَعَمْ الرَّجُلُ لَوْ لَا خَصْلَةٌ فِيهِ وَهُوَ أَنَّهُ يَطْعَمُ عِيَالَهُ  
مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَسَأَلَ عِنْدَ ذَلِكَ رَبَّهُ أَنْ يَسْبَبَ لَهُ مَا يَسْتَفِي بِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَلَمَّ سَمِعَ الدَّرْعَ  
(وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) لَا تَجْمَلُ السَّامِيرَ دَقَاقَةً تَقْلَقُ وَلَا غَلَاظًا تَقْصِمُ الْحَلْقَ، وَالسَّرْدُ: نَسْجٌ

الدروع (وَأَعْمَلُوا) الضمير لداود وأهله (سَلَحًا) خالصا يصلح للقبول (إِنِّي بَمَا تَعْمَلُونَ  
بَسِيرٌ) فأجازيكم عليه (وَلَسَلِيمُنَ الرِّيحِ) أى وسخرنا لسليلان الريح وهى الصبا ورفع  
الريح أبو بكر وعاد والغفل أى ولسيلان الريح مسخرة (غُدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوْحُهَا شَهْرٌ)  
جربها بالنداء مسيرة شهر وجربها بالمتى كذلك وكان يندو من دمشق فيقبل باسطخر  
فارس وبينهما مسيرة شهر ويروح من اسطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب  
السرع وقيل كان يتفدى بالرى ويتمشى بسمرقند (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) أى معدن  
النحاس فالقطر النحاس وهو الصفر ولكنه أساله وكان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام كما يسيل  
الماء وكان قبل سليمان لا يندوب وسماه عين القطر باسم ما آل إليه (وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَمْلِكُ)  
من فى موضع نصب أى وسخرنا من الجن من يعمل (يَبْنِي يَدْيُو يَبْذُنِ رَبُّهُ) بأمره  
(وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ) ومن يضل منهم (عَن أَمْرِنَا) الذى أمرنا به من طاعة سليمان (نَذِقْهُ  
مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) عذاب الآخرة وقيل كان معه ملك يده سوط من نار فمن زاع عن أمر  
سليمان عليه السلام ضربه ضربة أحرته (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّغْرِبٍ) أى مساجد  
أو مساكن (وَتَمْثِيلٍ) أى صور السباع والطيور وروى أنهم عملوا له أسدين فى أسفل  
كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران  
بأجنحتهما وكان التصوير مباحا حينئذ (وَرِجْقَانِ) جمع جفنة (كَالْجَوَابِ) جمع جابية  
وهى الحياض السكبارة قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل . كالجوابى فى الوصل والوقف مكى  
ويقوب وسهل، وافق أبو عمرو فى الوصل، الباقر بنير ياء اكتفاء بالكسرة (وَقَدُورٍ  
رَأْسِيَّتٍ) ثابتات على الأثافي لاتزل عنها لعظمها وقيل إنها باقية باليمن وقلنا لهم (اعْمَلُوا  
دَاوُدَ شُكْرًا) أى ارحموا أهل البلاد وأسألوا ربكم العافية عن الفضيل وشكرا مفعول  
له أو حال أى شاكرين أو اشكروا شكرا لأن اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث إن العمل  
للنعم شكر له أو مفعول به يعنى إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم  
شكرا، وسئل الجنيدي عن الشكر فقال: بذل المجهود بين يدي المعبود (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ)  
يسكرون الباء حمزة وغيره بفتحها (الشُّكُورُ) التوفير على أداء الشكر الباذل وسمه فيه قد



شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدها وعن ابن عباس رضى الله عنه: من يشكر على أحواله كلها. وقيل من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر، وحكى عن داود عليه السلام أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ) أى على سليمان (مَا دَلَّهُمْ) أى الجن وآل داود (عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ) أى الأرض وهى دويبة يقال لها مرفقة والأرض فعلها غاضيت إليه يقال أرضت الخشب أرضا إذا اكتمتها الأرض (تَأْكُلُ مِنْسَأَتُهُ) والعصا تسمى منسأة لأنه ينسأ بها أى يطرده، ومنسأته بنير همز مدنى وأبو عمرو (فَلَمَّا خَرَّ) سقط سليمان (تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ) هلت الجن كلهم علما بينا بمد التباس الأمر على همتهم وضمقتهم (أَن لَّوْكَأَنُوكَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا) بمد موت سليمان (فِي الْأَمْذَابِ الْيَمِينِ) وروى أن داود عليه السلام أسس بناء بيت القدس فى موضع فسقط موسى عليه السلام ثبات قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإغامه فلما بقى من عمره سنة سأل ربه أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وتبطل دعوام علم الغيب وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقى فى ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت القدس لأربع مئتين من ملكه وروى أن أفريدون جاء ليصعد كرسبه فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها فلم يحسر أحد بعده أن يدنو منه (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ) بالصرف بتأويل الحى وبمدمه أبو عمرو بتأويل القبيلة (فِي مَسْكَنِهِمْ) حمزة وحفص، مسكنهم على وخلف وهو موضع سكنام وهو بلادهم وأرضهم التى كانوا مقيمين فيها باليمن أو مسكن كل واحد منهم، غيرهم مساكنهم (آيَةً) اسم كان (جَنَّتَانِ) بدل من آية أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان ومعنى كونهما آية أن أهلها لا أمرضوا عن شكر الله سلهم الملائمة ليعتبروا ويشتغلوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم أو جعلها آية أى علامة دالة على قدرة الله وإحسانه ووجوب شكره (عَنِ يَمِينٍ وَشِمَالٍ) أراد جماعتين من البسانين جماعة من يمين بلادهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين فى تقاربها وتضامها كأنها

جنة واحدة كما تكون بساتين البلاد العامرة أو أراد بساتين كل رجل منهم عن عين مسكنه وشماله (كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ) حكاية لما قال لهم أنبياء الله البصمون إليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ولما أمرهم بذلك أنعمه قوله (بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) أى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره . قال ابن عباس : كانت سبأ على ثلاث فراسخ من صنعاء وكانت أخصب البلاد تخرج المرأة وعلى رأسها السكتل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ السكتل مما يتساقط فيه من الثمر وطيبها ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ومن يمر بها من الغرباء يموت قلبه لطيب هوائها (فَأَعْرِضُوا عَنْ دَعْوَةِ أَنْبِيَائِهِمْ فَكَذَّبُوهُمْ وَقَالُوا مَا نعرفُ اللَّهَ عَلَيْنَا نعمة) (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) أى المطر الشديد أو العرم اسم الوادى أو هو الجرد الذى نقب عليهم السككر لما طنوا سلط الله عليهم الجرد فنبهه من أسفل ففرقهم (وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ) المذكورتين (جَفَّتَيْنِ) وتسمية البديل جنتين للشاكلة وازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (ذَوَاتِى أَكَلْنَ خُطِي) الأكل الثمر يثقل ويخفف وهو قراءة نافع ومكي والخط شجر الأراك وقيل كل شجر ذى شوك (وَأَثَلُ وَشْيُهُ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ) الأثل شجر يشبه الطرواق أعظم منه وأجود عوداً، ووجه من نون الأكل وهو غير أبى عمرو أن أصله ذواتى أكل أكل خط خفف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أو وصف الأكل بالخط كأنه قيل ذواتى أكل بشع ووجه أبى عمران أن أكل الخط فى معنى البرى وهو عمر الأراك إذا كان غصفاً فكانه قيل ذواتى برى، والأثل والسدر معطوفان على أكل لا على خط لأن الأثل لا أكل له وعن الحسن قلل السدر لأنه أكرم ما بدلوا لأنه يكون فى الجنان (ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرُوا) أى جزيتهم ذلك بكفرهم فهو مفعول ثان مقدم (وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ) كوفى غير أبى بكر وهل يُجْزَى إلا الكفور غيرهم معنى وهل يُجْزَى مثل هذا الجزاء إلا من كفر النعمة ولم يشكرها أو كفر بالله أو هل يعاقب لأن الجزاء وإن كان عاماً يستعمل فى معنى العقاب وفى معنى الإثابة لكن المراد الخاص وهو العقاب وعن الضحاك كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما السلام (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ) بين سبأ (وَبَيْنَ الْقَرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا) بالتوسعة

على أهلها في النعم واليباء وهي قرى الشام (قُرَى ظَهْرَةَ) متواصلة يرى بعضها من بعض  
فتقاربها فهي ظاهرة لأعين الناظرين أو ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم  
وهي أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبيل إلى الشام (وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) أي جملنا  
هذه القرى على مقدار معلوم يقبل المسافر في قرية وروح في أخرى إلى أن يبلغ الشام (سَيَرُوا  
فِيهَا) وقلنا لهم سيروا ولا قول ثمة ولكنهم لما مكثوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم  
أمرؤا بذلك (لَيَاكُنِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ) أي سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فإن  
الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات أي سيروا فيها آمنين لا تخافون عدوًّا ولا جوعاً  
ولا عطشاً وإن تطاولت مدة سفركم وامتدت أياماً وليالٍ (فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)  
قالوا يا ليتها كانت بعيدة ففسر على نجائنا وزجج في التجارات وتفاخر في الدواب والأسباب  
بطروا النعمة وملوا المافية فطلبوا الكد والتمسب، بعد مكي وأبرمروا (وَعَلَّمُوا) بما قالوا  
(أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) يتحدث الناس بهم ويتمجبون من أحوالهم (وَنَزَّزْنَاهُمْ  
كُلَّ مُمَرِّقٍ) وفرقناهم فريقاً اتخذه الناس مثلاً مضروباً يقولون ذهبوا أيدي سبيل وتفرقوا  
أبداً سبيل فلهذا غسان بالشام وأغار يثرب وجذام بهامة والأزد بهان (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ  
لِّكُلِّ شَبَّارٍ) عن الماضي (شَكُورٍ) لهم أو لكل مؤمن لأن الإيمان نصفان نصفه  
شكر ونصفه صبر (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) بالتدبير كوفي أي حقق عليهم ظنه  
أو وجده صادقاً وبالتخفيف غيرهم أي صدق في ظنه (فَاتَّبَعُوهُ) الضمير في عليهم واتبعوه  
لأهل سبيل أو لبني آدم وقتل المؤمنين بقوله (إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) قلهم بالإضافة إلى  
السكفار ولا تعبد أكثرهم شاكرين (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ) لإبليس على الذين صار ظنه  
فيهم صدقاً (مِّنْ سُلْطَانٍ) من تسيط واستيلاء بالسوسة (إِلَّا لِّيَعْلَمَ) موجوداً ما علمناه  
ممدوماً والتخير على المعلوم لا على العلم (مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ  
وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) محافظ عليه وفيل ومفاعل متآخيان (قُلْ) لشركي قومك  
(ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ) أي زعمتموه آلهة من دونه الله فالقول الأول  
الضمير الراجع إلى الموصول وحذف كما حذف في قوله أهدنا الذي بخت الله رسولا استخفافاً  
تطول الموصول بصلته والمفعول الثاني آلهة وحذف لأنه موصوف صفته من دونه الله

والرسول يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوماً، فإذا مفعولا زعم محذوفان بسببين مختلفين والمعنى ادعوا الذين عبدوهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتوهم باسمه والتجثوا إليهم فيما يروكم كما تتجثون إليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم كما تنتظرون استجابته ثم أجاب عنهم بقوله (لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) من خير أو شر أو نفع أو ضرر (فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ) وما لهم في هذين الجنسيتين من شركة في الخلق ولا في الملك (وَمَا لَهُ) تعالى (مِنْهُمْ) من آلهتهم (مَنْ ظَهَرَ) من عوين يمينه على تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة من العجز فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) أى أذن له الله يعنى إلا من وقع الإذن للشفيع لأجله وهى اللام الثانية في قولك أذن لزيد لمعرو أى لأجله وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله، أذن له كوفى غير ماصم إلا الأعمش (حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) أى كشف الفزع من قلوب الشافعين والشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن وفزع شامى أى الله تعالى والتفريع إزالة الفزع وحتى غاية لما فهم من أن ثم انتظارا للإذن وتوقفاً وفزعاً من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن لهم كأنه قيل يتربصون ويتوقعون ملياً فزعين حتى إذا فزع عن قلوبهم (قَالُوا) سأل بعضهم بعضاً (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا) قال (الْحَقُّ) أى القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى (وَهُوَ أَعْلَمُ الْكَبِيرُ) ذو العلو والكبرياء ليس لك ولا نبى أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه وأن يشفع إلا لمن ارتضى (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ) أمره بأن يقررهم بقوله من يرزقكم ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فالسك لتسببهم من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يتسدر على الرزق وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذى إن لم يزد على إقرارهم بأنفسهم لم يتقاصر عنه (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ كَلَّمَا هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ومعناه وإن أحد الفريقين من الوحيدين ومن المشركين لى أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام النصف الذى كل من سمعه من موال أو مناف قال لن خطوب به قد أنصفك ساحبك

وفي درجه بمد تقدم ما قدم من التقرير دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض أوصل بالمجادل إلى الغرض، ونحوه قولك للكاذب إن أحدنا لكاذب وخولف بين حرفي الجبر الفاضلين على الهدى والضلال لأن صاحب الهدى كأنه مستعمل على فرس جواد ركضه حيث شاء، والفضل كأنه ينغمس في غلام لا يرى ابن يتوجه (قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْتَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) هذا أدخل في الإنصاف من الأول حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين وهو مزجور عنه محذور والعمل إلى المخاطبين وهو مأمور به مشكور (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا) يوم القيامة (ثُمَّ يَفْتَحُ) يحكم (بَيْنَنَا بِالْحَقِّ) بلا جور ولا ميل (وَهُوَ الْفَتَّاحُ) الحاكم (الْعَلِيمُ) بالحكم (قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَنْعَمْتُ) أي المحققون (بِهِ) بالله (شُرَكَاءَ) في العبادة معه ومعنى قوله أروني وكان يراد أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله وأن يطلعهم على حالة الإشراف به (كَذَّابًا) ودع وتنبه أي ارتدعوا عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالكم (بَلْ هُوَ اللَّهُ الْغَنِيُّ) الغالب فلا يشاركه أحد وهو ضمير الشأن (الْحَكِيمُ) في تدييره (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ) إلا لإرسالة عامة لم يحيط بهم لأنها إذا شملتهم فقد كففتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج معنى الكافة في اللغة الإحاطة والمعنى أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والإبلاغ فجعله حلالاً من الكاف والثاء على هذا للبالغة كثناء الراوية والملازمة (بَشِيرًا) بالفضل لمن أقر (وَنَذِيرًا) بالعدل لمن أصر (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) فيحملهم جهلهم على مخالفتك (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) أي القيامة المشار إليها في قوله قل يجمع بيننا ربنا (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ) الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو هنا الزمان ويدل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم وأما الإضافة فإضافة تبين كما تقول بغير سانية (لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ) أي لا يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال ولا التقدم إليه بالاستمهال ووجه انطباق هذا الجواب على سؤالهم أنهم سألوا عن ذلك وهم منكروبو له تفتناً لا استرشاداً فجاء الجواب على طريق التهديد مطاباً للسؤال على الإنكار والتعنت وأتهم مرصدون ليوم يفاحهم فلا يستطيعون تأخراً عنه ولا هتماً عليه (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي أبو جهل وذووه (لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا

يَا الَّذِي يَبَيِّنُ يَدَيْهِ) أى ما نزل قبل القرآن من كتب الله أو القيامة والجنة والنار حتى لهم  
 حدوداً أن يكون القرآن من الله وأن يكون لما دل عليه من الإعادة للجزاء حقيقة (وَلَوْ تَرَى  
 إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ) محبوسون (عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ) يرد (بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ  
 الْقَتْلِ) فى الجدال أخبر عن عاقبة أمرهم وما لهم فى الآخرة فقال رسول الله ﷺ أوله مخاطب  
 ولو ترى فى الآخرة موقفهم وهم يتجادلون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم رأيت المعجب  
 مخدوف الجواب (يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا) أى الأتباع (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) أى للرءوس  
 والقسمين (لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) لولا دعاؤكم إيانا إلى الكفر لسكننا مؤمنين بالله  
 ورسوله (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْتُمْ سَدَدْتُمْ عَنْهُمُ الْهُدَى) أولى  
 الاسم أى نحن حرف الانكار لأن المراد انكار أن يكون هم المصدقين لهم من الإيمان وإثبات  
 أنهم هم الذين سدوا بأنفسهم منه وأنهم أنوا من قبل اختيارهم (بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ) إنما وقعت  
 إذ مضافاً إليها وإن كانت إذ وإذا من الظروف اللازمة للظرفية لأنه قد اتسع فى الزمان ما لم  
 يتسع فى غيره فأضيف إليها الزمان (بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) كافرين لاختياركم وإيثاركم الضلال  
 على الهدى لا بقولنا وتسويلنا (وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) لم يأت بالمعطف  
 فى قال الذين استكبروا وأتى به فى وقال الذين استضعفوا لأن الذين استضعفوا مر أولاً  
 كلامهم فجاء بالجواب مخدوف المعطف على طريق الاستئناف ثم جىء بكلام آخر للمستضعفين  
 فمطف على كلامهم الأول (بَلْ سَكَّرَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) بل مكرهم بنا بالليل والنهار فأتسم  
 فى الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه أو جعل ليلهم ونهارهم ما كرين على  
 الإسناد المجازى أى الليل والنهار مكرًا بطول السلامة فيهما حتى ظننا أنكم على الحق (إِذْ  
 تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِآلِهِنَا وَتَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا) أشباهاً والمعنى أن المستكبرين لما أنكروا  
 بقولهم أنحن صدقناكم أن يكونوا هم السبب فى كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم بل كنتم  
 مجرمين أن ذلك يكسبهم واختيارهم كره عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فأبطالوا  
 إضرابهم بأضرابهم كأنهم قالوا ما كان الإجماع من جهمتنا بل من جهة مكرهم لنا دائماً  
 ليلاً ونهاراً وحكمك إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد (وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ) أضمرنا أو أظهوره  
 وهو من الأنداد وهم الظالمون فى قوله إذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالتهم

وإسلامهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم الضالين (لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ) الجحيم (وَجَعَلْنَا  
 الْأُفُكَّ فِي أَغْثَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى فى أعناقهم فجاء بالصرح للدلالة على ما استضعفوا  
 به الأعداء (هَلْ يُجِزُّونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ) فى الدنيا (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ  
 نَّذِيرٍ) نبي (إِلَّا قَالُوا مُتْرَفُوهَا) متنمونها ورؤساؤها (إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)  
 هذه تسلية للنبي ﷺ مما معنى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به وأنه لم يرسل  
 قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال رسول الله ﷺ أهل مكة واغفروا بكثرة  
 الأموال والأولاد كما قال (وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ)  
 أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظراً إلى أحوالهم فى الدنيا وغلوا أنهم لو لم يكرموا  
 على الله لما رزقهم الله ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرّمهم فأبطل الله عنهم بأن الرزق  
 فضل من الله يقسمه كيف يشاء فرمما وسع على العاصي وضيق على الطيع وربما عكس وربما  
 وسع عليهما أو ضيق عليهما فلا ينقاس عليهما أمر الثواب وذلك قوله (قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ  
 الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) قدر الرزق تنفيقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه (وَلَكِنَّ  
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ  
 عِندَنَا زُلْفَى) أى وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي تهربكم وذلك أن الجمع المكسر  
 عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التأنيث والزلفى والزلفة كالقربى والقربة وعلمها التمسب  
 على المصدر أى تهربكم قربة كقوله أنبتكم من الأرض نباتاً (إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا)  
 الاستثناء من كم فى تهربكم معنى أن الأموال لا تهرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذى يتفقها فى  
 سبيل الله والأولاد لا تهرب أحداً إلا من علمهم الخير وقصمهم فى الدين ورشعهم للصلاح  
 والطاعة وعن ابن عباس إلا بمعنى لكن ومن شرط جوابه (فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ)  
 وهو من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء  
 الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشراً وقرا يعقوب جزاء الضعف  
 على فأولئك لهم الضعف جزاء (بِمَا عَمِلُوا) بأعمالهم (وَهُمْ فِي الشُّرُفَاتِ) أى غرف منازل  
 الجنة النرفة حمزة (ءَايُنُونَ) من كل هائل وشاغل (وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ فِي آيَاتِنَا) فى  
 إعطائها (مُتَّعِينَ) أولئك فى العذاب مُحَضَّرُونَ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسع

(لَمَنْ يَسَّكَ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ) ما شرعية في موضع النصب (مَنْ شَاءَ) بيانه (فَهُوَ يُخْلِفُهُ) يوصيه لا موصى سواء إما عاجلاً بالمال أو آجلاً بالتواب جواب الشرط (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) الطمعين لأن كل ما رزق غيره من سلطان أو سيد أو غيرهما فهو من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق ومن بعضهم الحمد لله الذي أوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواحد لا يشتهي (وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَكَشِكَةِ أَهْلُهَا إِنَّا كُنْمْ كَانُوا يَتَّبِدُونَ) وبالباء فيهما حفص ويقوب هذا خطاب للملائكة وتوزيع للكفار وارد على المثل السائر \* لِيَاكَ أَعْنَى وَاسْمِي يَا جَارِهِ \* ونحوه قوله أنت قلت للناس اتخذوني الآية (قَالُوا) أي الملائكة (سُبْحَتِكَ) تنزيهاً لك أن يبعد منك غيرك (أَنْتَ وَلِيْنَا) الموالاة خلاف المادية وهي مفاعلة من الولي وهو القرب والولي يقع على الموالى والموالى جميعاً والمعنى أنت الذى نواليه (مِنْ دُونِهِمْ) إذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا بإثبات موالاة الله ومادة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بَلْ كَانُوا يَتَّبِدُونَ الْجِنَّ) أى الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله أو كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا هبت فيعبدون بعبادتها أو صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها (أَكْثَرُهُمْ) أكثر الإنس أو الكفار (بِهِمْ) بالجن (مُؤْمِنُونَ خَالِيُونَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا) لأن الأمر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة لأحد لأن البار دار ثواب وعقاب والتيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها غلَى بينهم يتضارون ويتنافسون والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ إلا هو ثم ذكر عاقبة الظالمين بقوله (وَقَوْلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) بوضع العبادة في غير موضعها مطوف على لا يملك (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا تُكَذِّبُونَ) في الدنيا (وَإِذَا تُنْتَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا) أى إذا قرئ عليهم القرآن (يَتَّبِعُونَ) واضعحت (قَالُوا) أى للمشركون (مَا هَذَا) أى عهد (إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَمْسُدَ كُمْ عَمَّا كَانُ يَتَّبِدُونَ ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا) أى القرآن (إِلَّا افْكٌ مَقْتَرَى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى وقالوا والمدول عنه دليل على إنكار عظيم وغضب شديد (لَقَدْ



لقرآن أو لأمر النبوة كله ( لَمَّا جَاءَهُمْ ) وغيرزوا عن الإتيان بظله ( إِنْ لَمْ نَدَأْ ) أى الحق ( إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ) بقوة على أنه سحر ثم بقوة على أنه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحراً ( وَمَا يَنْتَهُمُ مِنْ كُتَيْبٍ يَدْرُسُونَهَا ) أى ما أعطينا مشركي مكة كتباً يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ( وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ) ولا أرسلنا إليهم نذيراً يندرم بالمقاب إن لم يشركوا ثم نودعهم على تكذيبهم بقوله ( وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) أى وكذب الذين تقدمهم من الأمم الماضية والقرون الخالية الرسل كما كذبوا ( وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ ) أى وما بلغ أهل مكة عشر ما أوتى الأولون من طول الأعمار وقوة الأجرام وكثرة الأموال والأولاد ( فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ) للكاذبين الأولين فليعذبوا من مثله وبإياه فى الوسل والوقف يعقوب أى تخين كذبوا رسلهم جاءهم إنكارى بالتدمير والاستئصال ولم يثن عنهم استظهارهم بما هم مستظهرون فما بال هؤلاء وإنا قال فكذبوا وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم لأنه لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسيئاً عنه وهو كقول القائل أنتم فلان على الكفر فكفر محمد ﷺ ( قُلْ إِنَّمَا أُعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ) بمغضلة واحدة وقد فسرها بقوله ( أَنْ تَقُومُوا ) على أنه عطف بيان لما وقيل هو بدل وعلى هذين الوجهين هو فى عمل الجر وقيل هو فى عمل الرفع على تقدير وهى أَنْ تَقُومُوا والنصب على تقدير أفعى وأراد قيامهم القيام عن مجلس رسول الله ﷺ وتفرقهم عن مجتمعهم عنده أو قيام التمسد إلى الشيء دون النهوض والانتصاب والمعنى إنا أمظكم بواحدة إن فملتصمها أصبتم الحق وتخلصتم وهى أَنْ تَقُومُوا ( قُلْ ) أى لوجه الله خالماً لا لجهة ولا عصبية بل لطلب الحق ( مَثْنَى ) اثنين اثنين ( وَفُرَادَى ) فردا فردا ( ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ) فى أمر محمد ﷺ وما جاء به أما الاثنان فيتمكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر الصديق والإنصاف حتى يؤدبهما النظر المصحح إلى الحق وكذلك الفرد يتفكر فى نفسه وبدل ونصفه ويعرض فكره على عقله ومعنى تفرقهم مثنى وفرداى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويسمى البصائر ويمنع من الروية ويقل الإنصاف فيه ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التمسب ولا يسمع إلا نصرة المذهب وتنفكروا معطوف

على قوموا ( مَا بِصَاحِبِكُمْ ) يعنى عمداً عَمْدًا ( مَنْ جِنَّةً ) جنون والمعى ثم تفكروا  
فتملوا ما بصاحبكم من جنة ( إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ يَذَّيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ) قدام  
عذاب شديد وهو عذاب الآخرة وهو كقوله عليه السلام «بشت بين يدى الساعة» ثم بين أنه  
لا يطلب أجراً على الإنذار بقوله ( قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ ) على إنذارى وتبليغى الرسالة  
( فَهُوَ لَكُمْ ) جزاء الشرط تقديره أى شئ سألتم من أجر كقوله: ما يفتح الله للناس  
من رحمة. ومثناه نفى مسألة الأجر رأساً نحو مالى فى هذا فهو لك أى ليس لى فيه شئ ( إِنْ  
أَجْرِي ) مدنى وشامى وأبو بكر وحفص وبسكون الياء غيرهم ( إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ) فيعلم أنى لا اطلب الأجر على نسيحتكم ودعائكم إليه إلا منه ( قُلْ  
إِنَّ رَبِّى يَقْضِي بَالْحَقِّ ) بالوحى والقذف توجيه السهم ونحوه يدفع واعتاد ويستمر للمعنى  
الإلقاء ومنه وقذف فى قلوبهم الرعب أن اقذفه فى التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقه ويثله  
إلى أنبيائه أو يرمى به الباطل فيدمغه ويذهقه ( عَلَّمَ الْقُرْآنَ ) مرفوع على البذل من  
الضمير فى يقذف أو على أنه خبر مبتداً محذوف ( قُلْ جَاءَ الْحَقُّ ) الإسلام والقرآن  
( وَمَا يُبْدِيهِ الْبَاطِلُ وَمَا يُبِيدُ ) أى زال الباطل وهلك لأن الإبداء والإعادة من صفات  
الحق فقدمها عبارة عن المهلاك والمعنى جاء الحق وزهق الباطل كقوله جاء الحق وزهق  
الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة أسنام فجعل  
يطعنهم بمودمه ويقول «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» جاء الحق وما يبدىء  
الباطل وما يبدىء وقيل الباطل الأسنام وقيل إبليس لأنه صاحب الباطل أو لأنه هالك كما قيل  
له الشيطان من شاط إذا هلك أى لا يخلق الشيطان ولا العنم أحداً ولا يبعثه فالنشىء  
والباعت هو الله ولما قالوا قد ضللت بترك دين آبائكم قال الله تعالى ( قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ ) عن  
الحق ( فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ) إِنْ ضَلَلْتُ فَنَفْسِي وَعَلَى ( وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَىَّ  
رَبِّى ) أى فيتمسدينه بالوحى إلى وكان قياس التقابل أن يقال وإن اهتديت فإِنَّمَا اهْتَدَىٰ لَهَا  
كقوله: فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإِنَّمَا يضل عليها. ولكن هما متقابلان معنى لأن النفس  
كل ما عليها وضار لها فهو بها وبسيئها لأنها الأمانة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها  
وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وإِنَّمَا أمر رسوله أن يستند إلى نفسه لأن الرسول إذا

دخل تحتها مع جلاله عمله وسداد طريقته كان غيره أولى به (إِنَّهُ سَمِيعٌ) لما أقوله لكم  
(قَرِيبٌ) متى ومنكم يحجازي ويحازيكم (وَلَوْ تَرَىٰ) جوابه محذوف أى رأيت أمراً  
عظيماً وحالاً هائلاً (إِذْ فَرَعُوا) عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر (فَلَا قُوَّةَ) فلا مهرب  
أو فلا يفوتون الله ولا يسبقونه (وَأُخِذُوا) عطف على فزعوا أى فزعوا وأُخِذُوا فافترس لهم أو على  
لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأُخِذُوا (مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) من الموقف إلى النار  
إذا بمثوا أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا أو من همراء بدر إلى القلب (وَنَآرًا) حين  
ما ينوا المذاب (عَاقِبًا بِهِ) بمحمد عليه السلام لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة  
أو بالله (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ يَبِيدُ) التناوش: التناول أى كيف يتناولون التوبة  
وقد بمدت عنهم يريدان التوبة كانت تقبل منهم في الدنيا وقد ذهبت الدنيا وبمدت من الآخرة  
وقيل هذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن يتغمهم إيمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين  
إيمانهم في الدنيا مثلث حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة كما يتناول الآخر من  
قيس فزاع. التناوش بالهمزة أبو عمرو وكوفي غير حفص همزت الراء لأن كل واو مضمومة  
شتمها لازمة إن شئت أبدلتها همزة وإن شئت لم تبدل نحو قولك أدور وتقارم وإن شئت  
قلت أدور وتقارم وعن ثعلب التناوش بالهمز التناول من بعد وبغير همز التناول من قرب  
(وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) من قبل المذاب أو في الدنيا (وَيَقْدِفُونَ بِالنِّفْيِ) معطوف  
على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى كانوا يتكلمون بالنفي أو بالشىء النائب  
يقولون لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار (مِنْ مَّكَانٍ يَبِيدُ) عن الصدق أو عن الحق  
والصواب أو هو قولهم في رسول الله ﷺ شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالنفي والأمر  
الغلى لأنهم لم يشاهدوا منه سحراً ولا شراً ولا كذباً وقد اتوا بهذا النيب من جهة بعيدة  
من حاله لأن أبعد شيء مما جاء به السحر والشعر وأبعد شيء من عاداته التى عرفت بينهم  
وجربت الكذب ويقذفون بالنفي عن أبى عمرو على البناء المفعول أى تأتيهم به شياطينهم  
ويلقنهم إياه وإن شئت فقله بقوله وقالوا آمنا به على أنه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطاه  
من الإيمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئاً من مكان  
بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائباً عنه بعيداً ويجوز أن يكون

الضمير في آتنا به للعذاب الشديد في قوله: بين يدي عذاب شديد . وكانوا يقولون وما نحن بعبدين إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قائلين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم بالنيب وهو قيب ومقذوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف ( وَحِيلَ ) وحجز ( يَنْهَهُمْ وَيَنْبَأُ مَا يَشْتَهُونَ ) من نفع الإيمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد إلى الدنيا كما حكي عنهم بقوله: ارجعنا فعمل صالحنا . والأفعال التي هي فزعوا وأخذوا وحيل كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لتتحقق وقوعه ( كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ ) بأشباهم من الكفرة ( إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ ) من أمر الرسل والبث ( مُّرِيبٍ ) موقع في الريبة من أوابه إذا أوقعه في الريبة، هذا رد على من زعم أن الله لا يمتدح على الشك والله أعلم .

### ( سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( الْحَمْدُ لِلَّهِ ) حمد ذاته تمليا وتمغليا ( فَاطِرِ السَّمَوَاتِ ) مبتدئها ومبتدعها قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كنت أدرى معنى الفاطر حتى اختصم إلى أعرابياني في بئر فقال أحدهما أنا فطرتهما . أي ابتدأتهما ( وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا ) إلى عبادته ( أُولَى ) ذوى اسم جمع لقد وهو بدل من رسلا أو نعت له ( أُنْجِنَحَهُ ) جمع جناح ( مُمْشِيٌّ وَمُتَلَوِّجٌ ) صفات لأجنحة وإنما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الأعداد عن صينغ إلى صينغ آخر كما عدل عمر عن عامر وعن تكرير إلى غير تكرير وقيل للعدل والوصف والتحويل عليه والمعنى أن الملائكة طائفة أجنحتهم اثنتان اثنتان أى لكل واحد منهم جناحان وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثة ولعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يدعمهما بقوة وطائفة أجنحتهم أربعة أربعة ( يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ) أى يزيد في خلق الأجنحة وغيره ( مَا يَشَاءُ ) وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشر المحسن والنخط الحسن والملاحة في المينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامته واعتدال سورة وتسام في الأعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وذلاقة في اللسان ومجبة في قلوب

الْمُؤْمِنِينَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قَادِرٌ (مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَتِهِ) نَكَرَتْ الرَّحْمَةُ لِلإِشَاعَةِ وَالْإِبْهَامِ كَأَنَّهُ جَالٌ مِنْ آيَةِ رَحْمَةِ رِزْقٍ أَوْ مَعْرَ أَوْ صَمَّةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ (فَلَا تُمَسِّكُ لَهَا) فَلَا أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى إِسْكَائِهَا وَحَبْسِهَا وَاسْتِمْرَارِ الْفَتْحِ لِلإِبْطَالِ وَالْإِرْسَالِ أَلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ (وَمَا يُعْصِيكَ) يَمْنَعُ وَيَحْبِسُ (فَلَا مُرْسِلَ لَهُ) مُطْلَقٌ لَهُ (مِنْ بَعْدِهِ) مِنْ بَعْدِ إِسْكَائِهَا وَأَنْتَ الضَّمِيرُ الرَّاجِعُ إِلَى الْاِسْمِ الْمُتَضَمِّنِ مَعْنَى الشَّرْطِ عَلَى مَعْنَى الرَّحْمَةِ ثُمَّ ذَكَرَهُ حَلًّا عَلَى اللَّفْظِ الْمَرْجِعِ إِلَيْهِ إِذْ لَا تَأْنِيثَ فِيهِ لِأَنَّ الْأَوَّلَ فُسِّرَ بِالرَّحْمَةِ فَحَسَنَ اتِّبَاعُ الضَّمِيرِ التَّفْسِيرَ وَلَمْ يَفْسِرِ الثَّانِي فَتَرَكَ عَلَى أَسْلِ التَّذْكِيرِ وَعَنْ مَعَادٍ مَرْفُوعاً «لَا تَرَى يَدَ اللَّهِ مَبْسُوطَةً عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مَا لَمْ يَرْفُقْ خِيَارَهُمْ بِشِرَارِهِمْ وَيُعْظِمَ يَرْحَمَ فَاجِرَهُمْ وَتَمْنِ قِرَائِمَ أَمْرَاهِمَ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ زَرَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ» (وَهُوَ الْفَرْزُ) النَّالِبُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِرْسَالِ وَالْإِسْكَائِ (الْحَكِيمُ) الَّذِي يَرْسِلُ وَيُمْسِكُ مَا تَقْتَضِي الْحِكْمَةُ إِرْسَالَهُ وَإِسْكَائَهُ (بَنَائِبُهَا النَّاسُ إِذْ كُرُوا) بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ (نِمَّتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) وَهِيَ الَّتِي تَقَدَّمَتْ مِنْ بَسْطِ الْأَرْضِ كَالْمَهَادِ وَرَفْعِ السَّمَاءِ بِإِحْسَادِ الرِّسَالِ لِبَيَانِ السَّبِيلِ دَعْوَةً إِلَيْهِ وَزُلْفَةً فِيهِ وَالْإِيزَادَةُ فِي الْخَلْقِ وَفَتْحُ أَبْوَابِ الرِّزْقِ ثُمَّ نَبَهَ عَلَى رَأْسِ النِّعَمِ وَهُوَ اتِّحَادُ النِّعَمِ بِقَوْلِهِ (هَلْ مِنْ خَلْقٍ قَدِيرٌ اللَّهُ) يَرْفَعُ غَيْرَ عَلَى الْوَصْفِ لِأَنَّ خَالِقَ مُبْتَدَأٍ خَبِرَهُ مَحْذُوفٌ أَيْ لَكُمْ وَبِالْجَوْرِ عَلَى وَحْزَةٍ عَلَى الْوَصْفِ لَفْظاً (يَرْزُقُكُمْ) يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَأْنَفاً وَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِمَا لَمْ يَكُنْ (مِنْ السَّمَاءِ) بِالْمَطَرِ (وَالْأَرْضِ) بِأَنْوَاعِ النَّبَاتِ (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) جَلَّةُ مَقْصُولَةٍ لَا مَعْلُومَ لَهَا (فَأَنَّى تُؤْفِكُونَ) فَبَيَّنَ وَجْهَ تَصْرِفُونَ مِنَ التَّوْحِيدِ إِلَى الشَّرْكِ (وَأَن يُكَذِّبُوكَ قَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ) نَمَى بِهِ عَلَى قَرِينِ سُوءِ تَقْلِيدِهِمْ لآيَاتِ اللَّهِ وَتَكْذِيبِهِمْ بِهَا وَسَلَّى رَسُولَهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ أَسْوَةٌ وَلِهَذَا نَكَرَ رَسُلَ أَيْ رَسُلَ ذَوُو عَدَدٍ كَبِيرٍ وَأَوَّلُ آيَاتٍ وَنَفَرٍ وَأَهْلٍ أَعْمَارٍ طَوَالٍ وَأَحْصَابٍ صَبَرٍ وَهَزَمٍ لِأَنَّهُ أَسْلَى لَهُ وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ وَإِنْ يَكْذِّبُوكَ فَتَأْسُ بِتَكْذِيبِ الرِّسَالِ مِنْ قَبْلِكَ لِأَنَّ الْجُزْءَ يَتَعَقَّبُ الشَّرْطَ وَلَوْ أَجْرَى عَلَى الظَّاهِرِ يَكُونُ حَاقِباً عَلَيْهِ وَوَضَعَ قَدْ كَذَّبْتَ رَسُلَ مِنْ قَبْلِكَ مَوْضِعَ فَتَأْسُ اسْتِفْهَاءٍ بِالْحَبِيبِ مِنَ السَّبَبِ أَيْ بِالتَّكْذِيبِ عَنِ النَّاسِ (وَأَلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) كَلَامٌ يَشْتَمِلُ عَلَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ مِنْ رَجُوعِ الْأُمُورِ إِلَى حُكْمِهِ وَمَجَازَاةِ الْكُذِّبِ وَالْمَكْذُوبِ بِمَا يَسْتَحِقُّانَهُ، تَرْجِعُ بفتح التاء شَامِي

وحزة وعلى ويمتوب وخلف وسهل (بَيَّأَ النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث والجزاء (حَقٌّ) كائن (فَلَا تَقْرَبُوكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا) فلا تمخدعنكم الدنيا ولا يذهلكم التمتع بها والتلذذ بمتاعها من العمل للأخرة وطلب ما عند الله (وَلَا يَفْرَقْكُمْ بِاللَّهِ الْفَرُوقُ) أى الشيطان فإنه يميئكم الأمانى الكاذبة ويقول إن الله غي عن عبادتك وعن نكذيك (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ) ظاهر العداوة فعل بآيكم ما فعل وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بأحواله (فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) فى عقائدكم وأعمالكم ولا يوجدن منكم إلا ما يدل على معاداته فى سرهم وجهرهم ثم غلب سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذى يؤمه فى دعوة شيعته هو أن يوردهم مورد الهلاك بقوله (إِنَّمَا يَذَّوِّبُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّمِيرِ) ثم كشف النطاء فبى الأمر كله على الإيمان وتركه قال (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) أى فن أحابه حين دماه فله عذاب شديد لأنه صار من حزبه أى أتباعه (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ولم يميئوه ولم يصيروا من حزبه بل مادوه (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) لكبر جهادهم ولما ذكر الفريقين قال لنبية عليه السلام (أَفَمَنْ ذُيِّنَ لَهُ سُوءٌ فَمَلِكِهِ فَرَّأَهُ حَسَنًا) بتزيين الشيطان كن لم يذن له فكأن رسول الله ﷺ قال لا قال (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ) وذكر الرجاء أن المعنى أفن زين له سوء عمله ذهب نفسك عليه حسرة غنف الحواب دلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفن زين له سوء عمله كن هداه الله غنف دلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه فلا تذهب نفسك يزيد أى لا تهلكها حسرات مفعول له يعنى فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما قول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا ولا يجوز أن يملق بحسرات لأن المصدر لا تقدم عليه سلته (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) وعيد لهم بالمقاب على سوء صنيعهم (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ) الریح مكى وحزة وعلى (فَتُفْثِرُ سَحَابًا فَيُفْثِنُهُ إِلَى تَلَدٍ مَيِّتٍ) بالتشديد مدنى وحزة وعلى وحفس وبالتخفيف غيرهم (فَأُحْيَيْنَا بِهِ) بالطر لتقدم ذكره ضمنا (الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) يسها وإعما قبل فتثير لتحكى الحال التى تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة الدالة على القدرة الإلهية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تميز وحموصية بحال تستغرب وكذلك سوق

الأسعاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بمد موتها لما كان من الدليل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ التنية إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه (كَذَلِكَ التَّشْوُرُ) الكافى على الرفع أى مثل إحياء الموات نشور الأموات قبل يحى الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كنى الرجال تثبت منه أجساد الخلق (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمِرَّةَ فَلْيُرِ الْمِرَّةَ جَمِيعًا) أى المزة كلها غنصة ، بالله مزة الدنيا ومزة الآخرة وكان الكافرون يمززون بالأسنام كما قال: وانخذوا من دون الله آلهة ليكفوا لهم فزا. والذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يمززون بالشركين كما قال: الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم المزة فإن المزة لله جميعا . فينبى أن لا مزة إلا بالله والمضى فليطلبها عند الله فوضع قوله لله المزة جميعا موضعه استثناء عنه به لدلالته عليه لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك: من أراد النسيحة فعلى عند الأربار. تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أفت ما يدل عليه مقامه وفى الحديث «إن ربكم يقول كل يوم أنا المزيز فمن أراد عز الدارين فليطع المزيز» ثم عرف أن ما يطلب به المزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) ومعنى قوله إليه إلى عمل القبول والرضا وكل ما تصف بالقبول وصف بالرفعة والصمود أو إلى حيث لا ينفذ فيه إلا حكمه والكلم الطيب كليات التوحيد أى لا إله إلا الله وكان القياس الطيبة ولكن كل جمع ليس بينه وبين واحد إلا التاء يذكر ويؤن والعمل الصالح العبادة الخالصة يعنى والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالرفع الكلم والرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد وقيل الرفع الله والرفوع العمل أى العمل الصالح يرفعه الله وفيه إشارة إلى أن العمل يتوقف على الرفع والكلم الطيب يصعد بنفسه وقيل العمل الصالح يرفع العامل ويشرفه أى من أراد المزة فليعمل عملا صالحا فإنه هو الذى يرفع العبد (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السُّيُتَاتِ) هى صفة لمصدر محذوف أى المكرات السيئات لأن مكر فعل غير متدد لا يقال مكر فلان عمله والمراد مكر قريش به عليه السلام حين اجتمعوا فى دار الندوة كما قال الله تعالى: وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) فى الآخرة (وَمَكْرُ أُولَئِكَ) مبتدأ (هُوَ) فصل (يَبْوَرُ) خبر أى ومكر أولئك الذين مكروا هو خاصة يبور أى يفسد ويبتل دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وظلمهم

وَأَفْتِهِمْ فِي قَلْبِهِ يَدْرُ فَجَمَعَ عَلَيْهِمْ مَكْرَاهَهُمْ جَمِيعًا وَحَقَّقَ فِيهِمْ قَوْلَهُ تَمَالَى وَيَكْرُونَ وَيَكْرِ اللَّهُ  
وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ وَقَوْلُهُ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرَ الْبَئِيسَ إِلَّا بِأَجَلِهِ (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ) أَيِ إِبَادِكُمْ  
(مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ أَنْشَأَكُمْ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَمَعَكُمْ أَزْوَاجًا) أَسْنَاغًا أَوْ ذَكَرَانَا وَإِنَّا  
(وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِي) هُوَ فِي مَوْضِعِ الْجَالِ أَيْ إِلَّا مَعَاوَمَةً لَهُ (وَمَا  
يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ) أَيْ وَمَا يُمْرُ مِنْ أَحَدٍ وَإِنَّمَا سَمَاءٌ مَعْمَرًا بِمَا هُوَ سَائِرٌ إِلَيْهِ (وَلَا يَنْقُصُ  
مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) يَعْنِي اللَّوْحَ أَوْ صَحِيفَةَ الْإِنْسَانِ وَلَا يَنْقُصُ زَيْدٌ فَإِنْ قُلْتَ الْإِنْسَانُ  
إِمَّا مَعْمَرٌ أَيْ طَوِيلُ الْعُمَرِ أَوْ مَقْصُوصُ الْعُمَرِ أَيْ قَصِيرُهُ فَأَمَّا أَنْ يَتَقَابَقَ عَلَيْهِ التَّمْيِيزُ وَخِلَافُهُ  
لِفَعَالٍ فَكَيْفَ صَحَّ قَوْلُهُ وَمَا يُمْرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمَرِهِ هَذَا مِنْ السَّكَلَامِ لِلتَّسَامُحِ  
فِيهِ ثِقَةٌ فِي تَأْوِيلِهِ بِأَنَّهُمْ السَّامِعِينَ وَانْكَالًا عَلَى تَسْدِيدِهِمْ مَعْنَاهُ بِقَوْلِهِمْ وَأَنَّهُ لَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِمْ  
إِحَالَةُ الطَّوْلِ وَالْقَصْرِ فِي عُمَرٍ وَاحِدٍ وَعَلَيْهِ كَلَامُ النَّاسِ يَقُولُونَ: لَا يَثِيبُ اللَّهُ عَبْدًا وَلَا يُمَاقِبُهُ إِلَّا  
بِحَقٍّ. أَوْ تَأْوِيلُ الْآيَةِ أَنَّهُ يَكْتُبُ فِي الصَّحِيفَةِ عُمَرَهُ كَذَا كَذَا سَنَةً ثُمَّ يَكْتُبُ فِي أَسْفَلِ ذَلِكَ ذَهَبَ  
يَوْمَ ذَهَبَ يَوْمَانِ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى آخِرِهِ فَذَلِكَ قَصَصَانِ عُمَرِهِ وَمِنْ قِتَادَةِ الْعُمَرِ مِنْ يَبْلُغُ سِتِينَ  
سَنَةً وَالْمَقْصُوصُ مِنْ عُمَرِهِ مِنْ يَمُوتُ قَبْلَ سِتِينَ سَنَةً (إِنَّ ذَلِكَ) أَيْ إِحْصَاءُهُ أَوْ زِيَادَةُ الْعُمَرِ  
وَقِصَاصُهُ (عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) سَهْلٌ (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا) أَيْ أَحَدُهُمَا (هَذَبَ  
فُرَاتٌ) شَدِيدُ الْعَذُوبَةِ وَقِيلَ هُوَ الَّذِي يَكْسِرُ الْعَطَشَ (سَاءَ نَحْوَ شَرَابُهُ) مَرَى سَهْلُ الْانْحِدَارِ  
لِلْعَذُوبَةِ وَبِهِ يَنْتَفِعُ شَرَابُهُ (وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) شَدِيدُ اللَّوْحَةِ وَقِيلَ هُوَ الَّذِي يَحْرِقُ بِمَلُوحَتِهِ  
(وَمِنْ كُلِّ) وَمِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا (تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) وَهُوَ السَّمَكُ (وَتَسْتَخْرِجُونَ  
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) وَهِيَ اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (وَتَرَى الْفُلْكَ رَفِيدًا) فِي كُلِّ (مَوْأَخِرٍ)  
شَوَاقٍ لِلْمَاءِ يَجْرِي بِهَا يُقَالُ غَرَّتِ السَّفِينَةُ الْمَاءَ أَيْ شَقَّتْهُ وَهِيَ جَمْعُ مَاخِرَةٍ (لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ)  
مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَلَمْ يَجْرِهِ ذِكْرُ الْآيَةِ وَلَكِنْ فَيَا قَبْلَهَا وَلَوْ لَمْ يَجْرِهِ لَمْ يَشْكَلْ لِلدَّلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ  
(وَلَمَّا لَكُمْ تَشْكُرُونَ) اللَّهُ عَلَى مَا آتَاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ. خَرَبَ الْبَحْرَيْنِ الْعَذْبِ وَالْمِلْحِ مِثْلَيْنِ  
لِلزُّومِ وَالْكَافِرِ ثُمَّ قَالَ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِطْرَادِ فِي سَفَةِ الْبَحْرَيْنِ وَمَا عَلَتْ بِهِمَا مِنْ نِعْمَتِهِ  
وَعَطَائِهِ وَيَحْتَمِلُ غَيْرَ طَرِيقَةِ الْاسْتِطْرَادِ وَهُوَ أَنْ يَشَبَّهُ الْجَنَسَيْنِ بِالْبَحْرَيْنِ ثُمَّ يَفْضُلَ الْبَحْرَ الْأَجْلَجَ  
عَلَى الْكَافِرِ بِأَنَّهُ قَدْ شَارَكَ الْعَذْبَ فِي مَنَافِعِ مِنَ السَّمَكِ وَاللَّؤْلُؤِ وَجَرَى الْفُلُوكُ فِيهِ وَالْكَافِرُ  
خَلُوَ مِنَ النِّعَمِ فَهُوَ فِي طَرِيقَةِ قَوْلِهِ تَمَالَى: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ



فسورة. ثم قال: وإن من المجارة لا يفجر منه الأنهار وإن منها لا يشق فيخرج منه الماء وإن منها لا يهبط من خشية الله (يُورِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُورِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ) يدخل من ساعات أحدهما في الآخر حتى يصير الزائد منهما خمس عشرة ساعة والناقص تسعا (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) أى ذلل أضواء صوره لاستواء سيره (كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) أى يوم القيامة يتقطع جريهما (ذَلِكَكُمْ) مبتداً (اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ) أخبار مترادفة أو الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) يعنى الأصنام التى تعبدونها من دون الله يدعون قتيبة (مَا يَمْلِكُونَ مِنْ غَلْمِيرٍ) هى القشرة الرقيقة الملتفة على النواة (إِنْ تَدْعُوهُمْ) أى الأصنام (لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ) لأنهم جماد (وَلَوْ سَمِعُوا) على سبيل القرض (مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) لأنهم لا يدعون مائدة من لهم من الإلهية ويتبدون منها (وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ) بإشراككم لهم وعبادتكهم أيام ويقولون ما كنتم إيانا تعبدون (وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) ولا ينبئك أيها الفتنون بأسباب الفرور كما ينبئك الله الخبير بخبايا الأمور، وتحقيقه ولا يخبرك بالأمر خبر هو مثل خبير عالم به يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذى يخبرك بالحقيقة دون سائر الخبيرين به والذى أن هذا الذى أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق لأنى خبير بما أخبرت به (يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ) قال ذو النون الخلق محتاجون إليه فى كل نفس وخطره والحظة وكيف لا وجودهم به وبقاؤهم به (وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) عن الأشياء أجمع (الْحَمِيدُ) المحمود بكل لسان ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء ولهذا وصف نفسه بالنفى الذى هو مطعم الأغنياء وذكر الحميد ليدل به على أنه النفى النافع بفضاء خلقه والجواد النعم عليهم إذ ليس كل غنى نافعا بفضاء إلا إذا كان النفى جوادا منما وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم. قاله سهل: لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالنفى ولهم بالفقر فن ادعى النفى حجب من الله ومن أظهر فقره أوصله فقره إليه. فينبى للمبد أن يكون مقتفرا بالسر إليه ومنقطعا من الغير إليه حتى تكون عبوديته محضة قالمبودية هى القل والخضوع وعلامته أن لا يسأل من أحد. وقال الواسطنى: من استغنى بالله لا يفقر ومن تمزى بالله لا ينزل. وقال الحسين: على مقدار افتقار المبد إلى الله يكون غنيا بالله وكلما ازداد افتقارا ازداد غنى. وقال يحيى: الفقر خير للمبسم

النفى لأن الملة في الفقر والكبر في النفي والرجوع إلى الله بالتواضع والثقة خير من الرجوع إليه بشكثير الأعمال. وقيل صفة الأولياء ثلاثة الثقة بالله في كل شيء والفقر إليه في كل شيء والرجوع إليه من كل شيء وقال الشبلي الفقر يور البلاء وبلاءه كله من (إِنْ شَأْنُ يَذْهَبْكُمْ) كلكم إلى الدم فإن غناه بذاته لا يكم في القدم (وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) وهو بدون حدكم جيد (وَمَا ذَلِكَ) الإنشاء والإفاء (عَلَى اللَّهِ بِمَزِيدٍ) بممتنع وعن ابن عباس يخلق بمدكم من يعبده لا يشرك به شيئا (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى والوزر والوزر أخوان ووزر الشيء إذا حملته والوازية صفة للنفس والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها التي اقترفتها لا تؤاخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جارية الدنيا الولي بالولي والجار بالجار وإنما قيل وازرة ولم يقل ولا تزر نفس وزر أخرى لأن المعنى أن النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة إلا حامله وزرها لا وزر غيرها وقوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وارد في الصالحين للصلين فإنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالتهم وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم إلا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلتنا ولنحمل خطاياكم بقوله ومأم بهماملين من خطاياهم من شيء (وَأِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ نفس مثقلة بالذنوب أحدا (إِلَىٰ حَمِيلَةٍ) تحملها أي ذنوبها ليتحمل عنها بعض ذلك (لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ) أي الدمع وهو مفهوم من قوله وإن تدع (ذَا قُرْبَىٰ) خاقرة قريبة كآب أو ولد أو أخ والفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ومعنى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء أن الأول دال على عدل الله في حكمه وأن لا يؤاخذ نفسا بنير ذنبا والثاني في بيان أنه لا غيات يومئذ لمن استغاث حتى إن نفسا قد أثقلت الأوزار لودعت إلى أن يخفف بعض وقراها لم يجب ولم تفت وإن كان الدمع بعض قرباتها (إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) أي إنما ينتفع بإندارك هؤلاء (بِالْغَيْبِ) حال من الفاعل أو المفعول أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائب عنهم وقيل بالغييب في السريحت لا اطلاع لتغير عليه (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) في مواقيتها (وَمِنْ تَزَكَّى) تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي (فَأَنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ) وهو اعتراض مؤكده لخشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنها من جملة التزك (وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ) المرجع وهو وعد المتزكى بالثواب (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ) مثل للكافر والمؤمن أو للجاهل والعالم (وَلَا الظُّلُمَاتُ) مثل للكفر (وَلَا النُّورُ) للإيمان (وَلَا الظُّلُ وَلَا الظُّلُ وَلَا الظُّلُ) الحق والباطل أو الجنة والنار والمحور والريح الحار كالسموم إلا

أن السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار. من الفراء ( وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ) مثل للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه وزيادة. لا لنا كيد معنى النفي والفرق بين هذه الواو أن بعضها ضمت شفا إلى شفع وبعضها ورا إلى وثر ( إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاكُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمَعٍ مَنْ فِي الظُّهُورِ ) يعنى أنه قد علم من يدخل في الإسلام من لا يدخل فيه فيهدى من يشاء هدايته وأما أنت تخفى عليك أمرهم فلذلك تحوص على إسلام قوم مخدولين. شبه الكفار بالوثى حيث لا يلتفتون بمصومهم ( إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ) أى ماعليك إلا أن تبلغ وتنذر فإن كان المنذر ممن يسمع الإنذار نفع وإن كان من للصبرين فلا عليك ( إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ ) حال من أحد الضميرين يعنى عفا أو عفين أو صفة للمصدر أى إرسالاً مصحوباً بالحق ( بَشِيرًا بِالْعَدِّ وَنَذِيرًا بِالْعِيدِ ) ( وَإِنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ) وامن أمة قبل أمتك. والأمة: الجماعة الكثيرة وجده عليه أمة من الناس ويقال لأهل كل عصر أمة والمراد هنا أهل العصر وقد كانت آثار النذارة باقية فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام فلم تحل تلك الأمم من نذير وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بث محمد عليه السلام ( إِلَّا خَلَا ) مضى ( فِيهَا نَذِيرٌ ) يخوفهم وخامة الطغيان وسوء ماقبة الكفران واكتفى بالنذير عن البشير في آخر الآية بعد ما ذكرها لأن النذارة مشفوعة بالبشارة فدل ذكر النذارة على ذكر البشارة ( وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) رسلهم ( جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ ) حال وقد مضى ( بِالْبَيِّنَاتِ ) بالمعجزات ( وَبِالزُّبُرِ ) وبالمصحف ( وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ) أى التوراة والإنجيل والزبور ولما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسند المجيء بها إليهم إسناداً مطلقاً وإن كان بعضها في جنسهم وهى البينات وبعضها في بعضهم وهى الزبور والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله ﷺ ( ثُمَّ أَخَذْتُ ) هاجت ( الَّذِينَ كَفَرُوا ) بأنواع العقوبة ( فَكَيفَ كَانَ نَكِيرِ ) إنكارى عليهم وتمذيبى لهم ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ) بلقاء ( ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ) اجتناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أوهيئنا من الحرة والمغرة والخضرة ونحوها ( وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ ) طرق مختلفة اللون جمع جدة كمدة ومدد ( بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَايِبُ سُودٌ ) جمع غريب وهو تأكيد للسود يقال أسود غريب وهو الذى أبعد فى السواد وأعرب فيه ومنه التراب وكان من حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أسفر فاقم إلا أنه أضمر المؤكد قبله والذى بعده

تفسير للمضمر وإنما جعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الإظهار والإضمار جميعاً ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد أى ومن الجبال فوجد بفض وحر وسود حتى يؤول إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلف ألوانها (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْبِئِمْ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ) يعنى ومنهم بعض مختلف ألوانه (كَذَلِكَ) أى كاختلاف الثمرات والجبال. ولما قال ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنمته وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُلْسَمُونَ) أى العلماء به الذين علموه بصفاته فظلموه ومن ازداد علماً به ازداد منه خوفاً ومن كان علمه به أقل كان آمناً. وفي الحديث «أعلمكم بالله أشدكم خشية» وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن أن معناه أن الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم ولو عكس لكان المعنى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله: ولا يخشون أحداً إلا الله. وبينهما تفازير، ففي الأول بيان أن الخاشعين هم العلماء وفي الثاني بيان أن الخشى منه هو الله تعالى. وقرأ أبو حنيفة وابن عبد العزيز وابن سيرين رضى الله عنهم إنهما يخشى الله من عباده العلماء والخشية في هذه القراءة استمارة والمعنى إنهما يعظم الله من عباده العلماء (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) لتليل لوجوب الخشية لدلالته على عوقبه المعصاة وقهره وإبائه أهل الطاعة والمغفرة عنهم والمقاب التيب حقه أن يخشى (إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ كِتَابَ اللَّهِ) يداومون على تلاوة القرآن (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) أى مسرين النفل ومعلنين الفرض يعنى لا يقتنعون بتلاوته عن حلاوة العمل به (يَرْجُونَ) (نَجْرَةً) هى طلب الثواب بالطاعة (لَنْ تَبُورَ) لن تكسب معنى تجارة ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله (لِيُؤْتِيَهُمْ) متملق بلن تبور أى ليوفيهم بتفاقمها عنده (أَجُورَهُمْ) ثواب أعمالهم (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) بتفسيح القبور أو بتشفيهم فيمن أحسن إليهم أو بتضعيف حسناتهم أو بتحقيق وعد لقائه. أو يرجون في موضع الحال أى راغبين. واللام في ليوفيهم تتعلق بيقولون وما يبداه أى فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق لهذا الفرض وخبر إن (إِنَّهُ غَفُورٌ) لغفرانهم (شَكُورٌ) أى غفور لهم شكور لأعمالهم أى يعطى الجزيل على القليل القليل (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ) أى القرآن. ومن للتبيين (هُوَ الْحَقُّ مُدْبِرٌ) حال مؤكدة لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق (لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيْهِ) لما تقدمه من الكتب (إِنَّ اللَّهَ بِمِيقَاتِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) فعلمك وأبصر أحوالك وراك أهلك لأن يوحى إليك

مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو ميار على سائر الكتب ( ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ) أي أوحينا إليك القرآن ثم أورثناه من بعدك أي حكمتنا بتورثه ( الَّذِينَ اسْتَطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ) وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن يمدح إلى يوم القيامة لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانبثاء إلى أفضل رسله ثم رتبهم على مراتب فقال ( فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ) وهو المرجأ لأمر الله ( وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ) هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا ( وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ) وهذا التأويل يوافق التنزيل فإنه تعالى قال: والسابقون الأولون من المهاجرين الآية وقال بعده: وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية وقال بعده: وآخرون مرجون لأمر الله الآية والحديث قد روى من عمر رضى الله عنه أنه قال على المنبر بعد قراءة هذه الآية قال رسول الله ﷺ «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له» وعنه عليه السلام «السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يظن أنه لا ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة» رواء أبو الدرداء. والأثر فمن ابن عباس رضى الله عنهما السابق المخلص والمقتصد المرائى والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد لها لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة وقول السلف فقد قال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصنائع والسابق المجتنب لها وقال الحسن البصري الظالم من رجعت سيئاته والسابق من رجعت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وسئل أبو يوسف رحمه الله عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون وأما صفة الكفار فبمد هذا هو قوله: والذين كفروا لهم نار جهنم. وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اسطفى من عباده فإنه قال عنهم ومنهم ومنهم والكل راجع إلى قوله الذين اسطفينا من عبادنا وهم أهل الإيمان وعليه الجمهور وإنما قدم الظالم للإيدان بكثرتهم وأن المقتصد قليل بالإضافة إليهم والسابقون أقل من القليل وقال ابن عطاء إنما قدم الظالم لثلاث يأس من فضله وقيل إنما قدمه ليمرته أن ذنبه لا ييمده من ربه وقيل إن أول الأحوال ممصية ثم توبة ثم استقامة وقال سهل السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال أيضا السابق الذي اشتغل بعباده والمقتصد الذي اشتغل بمعاشه وماده والظالم الذي اشتغل بمعاشه عن معاده وقيل الظالم الذي يعبده على النفقة والمادة والمقتصد الذي يعبده على الرغبة والرهبة والسابق الذي يعبده على الهبة والاستحقاق وقيل الظالم من أخذ الدنيا حلالا كانت أحراما والمقتصد من يجتهد أن لا يأخذها إلا من حلال والسابق من أعرض عنها جملة وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب المعنى والسابق طالب الولي ( يَا ذَا الْقُرْآنِ )

بأمره أو بهله أو بوقوفه (ذَلِكَ) أى إراث الكتاب (هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّتْ قَدْنِ) خبر ثان لذلك أو خير مبتداً محذوف أو مبتداً والخبر (يَدْخُلُونَهَا) أى الفرق الثلاثة يُدْخِلُونَهَا أبو عمرو (يُحَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ) جمع أسورة جمع سوار (مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا) أى من ذهب مرصع باللؤلؤ ولؤلؤا بالنصب والمهزة نافع وحفص عطفاً على محل من أساور أى يحاون أساور ولؤلؤا (وَرِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) لما فيه من اللذة والزينة (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) خوف النار أو خوف الموت أو هموم الدنيا (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ) يفر الجنيات وإن كثرت (شُكُورٌ) يقبل الطاعات وإن قلت (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ) أى الإقامة لا يرح منها ولا نفارقها يقال أقمت إقامة ومقاماً (مِنْ فَضْلِهِ) من عطائه وإنفاله لا باستحقاقنا (لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَجَسٌ) نيب ومشقة (وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) إعياء من التعب وقلة. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي لغوب بفتح اللام وهو شئ يلبس منه أى لا تشكف حملاً يلبسنا (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا) جواب النفي ونسبه بإظهار أن أى لا يقضى عليهم بموت ثان فيستريحوا (وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا) من عذاب نار جهنم (كَذَلِكَ) مثل ذلك الجزاء (نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ) يُجْزِي كُلَّ كَفُورٍ أبو عمرو (وَهُمْ يَسْطَرُّونَ فِيهَا) يستغيثون فهو يفتلمون من الصراخ وهو الصياح بمجهد ومشقة واستعمل في الاستغاثة لجر صوت المستغيث (رَبَّنَا) يقولون ربنا (أُخْرِجْنَا نَعْمَلْ سَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) أى أخرجنا من النار ردنا إلى الدنيا نو من بدل الكفر ونطع بمد المصيبة فيجأون بمد قدر هم الدنيا (أَوْ كَمْ نَعْمَرُكُمْ مَا يَقْدَرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ) يجوز أن يكون مانكرة موصوفة أى تعميراً يتذكر فيه من تذكر وهو متناول لكل هم تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوبيخ في التناول أعظم ثم قيل هو ثمان عشرة سنة وقيل أربعون وقيل ستون سنة (وَجَاءَكُمْ مِنَ النَّذِيرِ) الرسول عليه السلام أو المشيب وهو عطف على معنى أول نمركم لأن لفظه لفظ استخبار ومعناه إخبار كأنه قيل قد همركم وجاءكم النذير (فَذُوقُوا) العذاب (فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) ناصر يمينهم (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ما غاب فيهما عنكم (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) كالتاميل لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي بكر رضى الله عنه ذو بطن جارية أى سفي بطنها من الحبل لأن الحبل يصحب البطن وكذا المضمرات تصحب الصدور وذو موضوع لمفعول

الصعبة (هُوَ الَّذِي جَمَعَكُمْ خَلَّفَ فِي الْأَرْضِ) يقال للمستخلف خليفة ويجمع على  
خلائف والمعنى أنه جعلكم خلفاء في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على  
ما فيها وأباح لكم منافعتها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فَمَنْ كَفَرَ) منكم وغصب مثل هذه  
النعمة السلية (فَمَلِكُهُ كُفْرُهُ) فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله وخسار الآخرة كإتال  
(وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا تُقْنًا) وهو أشد البنض (وَلَا يَزِيدُ  
الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا) هلاكاً وخسراناً (قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ) آفتمكم  
التي أشركتموه في العبادة (الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ)  
أروني بدل من أرايتهم لأن معنى أرايتهم أخبروني كأنه قيل أخبروني عن هؤلاء الشركاء وما  
استحقوا به الشراكة أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بمقتله دون الله (أَمْ لَهُمْ  
شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ) أم لهم مع الله شراكة في خلق السموات (أَمْ عَالِمُ الْغَيْبِمْ كِتَابٌ فِيهِمْ) فهُمْ عَلَى  
يَنبُتٍ مِنْهُ (أي معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك  
الكتاب. يثبت على وابن مامر ونافع وأبو بكر (بَلْ إِنْ يَمِدُّ) ما يمد (الظَّالِمُونَ بِغَيْرِهِمْ)  
بدل من الظالمون وهم الرؤساء (بَغْيًا) أي الأتباع (إِلَّا غُرُورًا) هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا  
عند الله (إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) يمتصهما من أن تزولا لأن الإمساك  
مع (وَلَئِنْ زَالَتَا) على سبيل القرض (إِنْ أَمْسَكْتُمَا) ما أمسكهما (مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَيْنِهِ)  
من يمد إمساكه ومن الأولى مزبدة لتأكيده النفي والثانية للابتداء (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)  
غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهما وكاتبا جديرتين بأن يهدأ هذا لعظم كلمة الشرك كما قال  
تسكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض الآية (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) نصب  
على المصدر أي إقساماً بليثاً أو على الحال أي جاعدين في إيمانهم (لَئِنْ جَاءَكُمُ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ  
أَعْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ) بلغ قريشا قبل بعث النبي ﷺ أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم  
فقالوا لمن أمة اليهود والنصارى أنهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن آتانا رسول لنكون أهدى  
من إحدى الأمم أي من الأمة التي يقال فيها هي إحدى الأمم تفضيلاً لها على غيرها في الهدى  
والاستقامة كما يقال للذهبية العظيمة هي إحدى النواهي (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) فلما بعث  
رسول الله ﷺ (مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا) أي أزيدهم عني الرسول ﷺ إلا تباعداً عن

فلنق وهو إسناد مجازي (اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ) مَقُولٌ لَهُ وَكَذَا (وَمَكَرَ السَّيِّئُ) وللمعنى وما زلناهم إلا تنفورا للاستكبار ومكر السيئ أحوال بمعنى مستكبرين وما كرين برسول الله ﷺ وأجل قوله ومكر السيئ وأن مكروا السيئ أى المكر السيئ ثم ومكروا السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله (وَلَا يَحِيقُ) يحيط وينزل (الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ) ولقد حاق بهم يوم بدر وفي المثل من حفر لأخيه جبا وقع فيه مكبا (قَهْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ) وهو إزال المذاب على الذين كذبوا برسولهم من الأمم قبلهم والمعنى فهل ينظرون بعد تكذيبك إلا أن ينزل بهم المذاب مثل الذى نزل بمن قبلهم من مكذبي الرسل جعل استقبالهم لذلك انتظارا لهم منهم (فَلَنْ تَجِدَ اسُنَّتَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) بين أن سنته التى هى الانتقام من مكذبي الرسل سنة لا يبدلها فى ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها وأن ذلك مفعول لامحالة (أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه فى مسيرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ) من أهل مكة (قُوَّةً) اقتدارا فلم يتمكنوا من الفرار (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ) ليسبقه ويفوته (مِنْ شَيْءٍ) أى شيء (فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا) بهم (قَدِيرًا) قادرا عليهم (وَلَوْ يَوْأَخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا) بما اقترفوا من الماصى (مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرٍهَا) على ظهر الأرض لأنه جرى ذكر الأرض فى قوله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الأرض (بِنْ دَابَّةٍ) من نسمة تدب عليها (وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى يوم القيامة (فَإِذَا جَاءَهُمْ أَجَلُهُمْ قَالَ اللَّهُ كَانَ يَمِيَّارِهِ بَصِيرًا) أى لم تخف عليه حقيقة أمرهم وحكمة حكمهم والله الوفاق للصواب .

(ثم الجزء الثالث وظبطه الجزء الرابع وأوله سورة يس عليه الصلاة والسلام)



# نَفْسِ النَّسْفِ

للإمام الجليل العلامة أبي البركات

عبد الله بن أحمد بن محمد النفس

عليه سحائب الرحمة

والرضوان

المجزز الرابع

دار الكتب العلمية بيروت

عيسى البابي الحلبي وشركاه

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة يس مكية وهي ثلاث وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يس) عن ابن عباس رضى الله عنهما معناه يا إنسان في لغة طيى وعن ابن الحنفية  
يعلم وفي الحديث: إن الله سبأ في القرآن بسبعة أسماء: محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر  
وعبد الله. وقيل ياسيد. ياسين بالإمالة على وحمزة وخلف وحماد ويحيى (وَأَلْقَاهُ فِي سَمِ  
(الْحَكِيمِ) ذى الحكمة أو لأنه دليل ناطق بالحكمة أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة  
التسليم به (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) جواب القسم وهو رد على الكفار حين قالوا: لست  
مرسلاً (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين أى الذين أرسلوا على صراط  
مستقيم أى طريقة مستقيمة وهو الإسلام (تَنْزِيلَ) بنصب اللام شامى وكوفى غير أبى بكر  
على اقرا تنزيل أو على أنه مصدر أى نزل تنزيل وغيره بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى  
هو تنزيل والمصدر بمعنى المفعول (الْأَنزِيلِ) الغالب بفصاحة نظم كتابه أو هام ذوى العناد  
(الرَّحِيمِ) المجاذب بلطافة معنى خطابه أو هام أولى الرشد واللام فى (لِتُنذِرَ قَوْمًا) متصل  
بمعنى المرسلين أى أرسلت لتنذر قوما (مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ) ما نافية عند الجمهور أى قوما  
غير منذر آبائهم على الوصف بدليل قوله لتنذر قوما ما أتاكم من نذير من قبلك -وما أرسلنا  
إلهم قبلك من نذير. أو موصولة منصوبة على المفعول الثانى أى المذاب الذى أنذره آبائهم كقوله  
إننا أنذرناكم عذابا قريبا أو مصدرية أى لتنذر قوما إنذار آبائهم أى مثل إنذار آبائهم (فَهُمْ  
خَفِلَوْا) إن جملة ما نافية فهو متعلق بالنفى أى لم ينذروا فهم غافلون وإلا فهو متعلق  
بقوله: إنك لمن المرسلين لتنذر. كما تقول أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل (لَقَدْ  
حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) معنى قوله: لأنما من جهنم من الجنة والناس أجمعين.

أى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر ثم مثل  
تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل إلى إرغائهم بأن جعلهم كالمولدين الممحين في أنهم لا يلتفتون  
إلى الحق ولا يعطون أعتاقهم نحوه ولا يبطئون ردوسهم له والخاصين بين سدين لا يصرون  
ساقداهم ولا ما خلفهم في أن لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله بقوله  
﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْقَبِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ ﴾ معناه فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزومة  
إليها (فَهُمْ مُّقْمَحُونَ) مرفوعة ردوسهم يقال قمح البعير فهو قامح إذا روى ورفع رأسه وهذا  
لأن طوق الغل الذى فى عنق المولود يكون فى ملتقى طرفيه تحت الدقن حلقة فيها رأس العمود  
خارجا من الحلقة إلى الدقن فلا يخليه يطأطأ رأسه فلا يزال مقمحا (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ  
أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) يفتح السين حمزة وعلى وحفص وقيل ما كان من عمل الناس  
فبالفتح، وما كان من خلق الله كالجليل ونحوه فبالضم (فَأَغْشَيْنَاهُمْ) فأغشينا أبصارهم أى  
غطيناها وجعلنا عليها غشاوة (فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ) الحق والرشاد وقيل نزلت فى بنى مغزيم  
ذلك أن أباهم حلف لأن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه فأناه وهوى صلى ومعه حجر ليدهمه  
به فلما رفع يده انشئت إلى عنقه وثوق الحجر بيده حتى فسكه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم  
فقال مغزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره (وَسَوَّآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ  
أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أى سواء عليهم الإنذار وتركه والمعنى من أضله الله هذا الإضلال  
لم ينفعه الإنذار وروى أن عمر بن عبد العزيز قرأ الآية على غيلان القدرى فقال كأنى لم أقرأها  
أشهدك أى نائب عن قولى فى القدر فقال مر اللهم إن صدق قتب عليه وإن كذب فسلط علب  
من لا يرجه فأخذه هشام بن عبد الملك من عنده قطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق  
﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾ أى إنما ينتفع بالإنذار من اتبع القرآن (وَحَشَى الرَّحْمَنَ  
بِالْقَيْبِ) وخاف عقاب الله ولم يره (فَبَشِّرْهُ بِمَفْغَرَةٍ) وهى المغفرة (وَأَجْرٌ كَرِيمٌ)  
أى الجنة (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى) نبشهم بعد مماتهم أو نخرجهم من الشرك إلى الإيمان  
(وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) ما أسلفوا من الأعمال الصالحات وغيرها (وَأُخِّرُوا) ما هلكت  
عنه من أثر حسن كمل علموه أو كتاب سنّفوه أو حبسوه أو رباط أو مسجد صنّوه  
أو سبّه كوظيفة وعظما بعض الظلمة وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستق بها ونحوه قوله

فقال نبأ الإنسان يومئذ بما ختم وأخر ختم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هي خطام إلى  
الجمعة أو إلى الجماعة ( وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ ) عندئذ وبناء ( فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ) يعني اللوح  
المحفوظ لأنه أصل الكتب ومقتداها ( وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ) ومثل لهم من  
قولهم عندي من هذا الضرب كذا أى من هذا المثل وهذه الأشياء على ضرب واحد أى على  
مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلاً مثل أصحاب القرية أى انطاكية أى اذكر لهم قصة عجيبة  
قصة أصحاب القرية والمثل الثانى بيان للأول وانتصاب ( إِذْ ) بأنه بدل من أصحاب القرية  
( جَاءَهُمَا الْمُرْسَلُونَ ) رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها بعثهم دعاء إلى الحق وكانوا عبدة  
أوثان ( إِذْ ) بدل من إذ الأولى ( أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ ) أى أرسل عيسى بأمرنا ( اثْنَيْنِ ) صادقا  
وصدوقا فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسأل عن حالهما  
فقالا نحن رسولا عيسى ندعوك من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال أمكما آية فقلنا  
نشفى المريض ونبرى الأكمة والأبرص وكان له ابن مريض مدة سنتين فسعاه فقام، فأمن  
حبيب ونشأ الخبر فشفي على أيديهما خلق كثير فدعاهما الملك وقال لهما أنا إله سوى آلهتنا  
قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر فى أمركما فتبهما الناس وضيروهما وقيل حبسا  
ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنسكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورففوا خبره  
إلى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلفى أنك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال لاندعاهما  
فقال شمعون من أرسلكما قال الله الذى خلق كل شيء ورزق كل حي وليس له شريك فقال  
صفاء وأوجزا لا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قال ما يمتنى الملك فدعا بفلام  
أكبه فدعوا الله فأبصر الفلام فقال له شمعون أرايت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا  
فيكون لك وله الشرف قال الملك ليس لى عنك سر إن إلهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا  
ينفع ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بفلام مات من سبعة أيام فقام  
وقال إني أدخلت فى سبعة أودية من النار لما مات عليه من الشرك وأنا أحذركم ما أنتم فيه  
فآمنوا وقال ففتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن  
ثم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن  
فخوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل مهلكوا ( فَكَذَّبُوهُمَا ) فكذب أصحاب القرية الرسولين

(فَمَزَّنَا) فتويناها، فمزنا أبو بكر من عزه يمه إذا غلبه أي فقلبنا وقهرنا (بِثَالِثٍ) وهو شمعون وترك ذكر المفعول به لأن المراد ذكر الممز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وإذا كان الكلام منصبا إلى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ما سواه مرفوض (فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ) أي قال الثلاثة لأهل القرية (قَالُوا) أي أصحاب القرية (مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا) رفع بشر هنا ونصب في قوله ما هذا بشراً لا لتناقض النفي بالإلا فلم يبق لما شبه بليس وهو الموجب لعمله (وَمَا أَنْزَلْنَا الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ) أي وحياً (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ) ما أنتم إلا كذبة (قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا لَمْرُسُلُونَ) أكد الثاني باللام دون الأول لأن الأول ابتداء إخبار والثاني جواب عن إنكار فيحتاج إلى زيادة تأكيد وربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله (وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْأَبْلَغُ الْمُبِينُ) أي التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) تشاء منا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجاهل أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكروهه فإن أسأبهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا وبركة ذلك وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك (لَئِنْ لَمْ تَنْهَوْا) عن مقاتلتكم هذه (لَتَرْجُمَنَّكُمْ) لتقتلنكم أو لتطردنكم أو لتشتعنكم (وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) وليسببنكم عذاب النار وهو أشد عذاب (قَالُوا طَائِفُكُمْ) أي سبب شؤمكم (مَعَكُمْ) وهو الكفر (أَيْنِ) بهمة الاستفهام وحرف الشرط كوفي وشامى (ذُكِّرْتُمْ) وعظم ودهيم إلى الإسلام وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم، أين بهمة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو، وأين بهمة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى ونافع ذكركم بالتخفيف يزيد (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) مجاوزون الحد في العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون في ضلالكم وغيبكم حيث تشاءمون عن يجب التبرك به من رسل الله (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْمَى) هو حبيب النجار وكان في غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال أناسون على ما جئتم به أحرا قالوا لا (قَالَ يَقُومِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا لَمْ لَا يُسْأَلْكُمْ أَجْرًا) على نيلج الرسالة (وَهُمْ مُّهْتَدُونَ) أي الرسل فقالوا أو أنت على دين هؤلاء فقال

(وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) خلقتني (وَأَلِيهِ تَرْجِعُونَ) وإليه مرجعكم، ومالي هزة (وَأَتَّخِذُ) بهمزة كوفي (مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً) يعنى الأستنام (إِنْ يُرْذَنَ الرَّحْمَنُ بِقُصْرٍ) شرط جوابه (لَأَتَّخِذَنَّ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْفَذُونَ) من مكروهه، ولا ينفذونى فاسموني فى الحالين يعقوب (إِنِّي إِذَا) أى إذا اتخذت (لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ظاهر بين ولا نسح قومه اخذوا يرجونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم (إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ) أى اسمعوا إيمانى لتشهدوا لى به ولا قتل (غِيلٌ) له (أَدْخُلِ الْجَنَّةَ) وقبره فى سوق أنطاكية ولم يقل قيل له لأن الكلام سيق لبيان القول لالبيان القول له مع كونه معلوما وفيه دلالة أن الجنة مخلوقة. وقال الحسن لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله إليه وهوى الجنة ولا يموت إلا بعناء السموات والأرض فلما دخل الجنة ورأى نعيمها (قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي) أى بغيره ربى لى أو بالذى غفر لى (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمَكْرُومِينَ) بالجنة (وَمَا أَنْزَلْنَا) ما نافية (عَلَى قَوْمِهِ) قوم حبيب (مِنْ بَعْدِهِ) أى من بعد قتله أو رفعه (مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ) لتعذيبهم (وَمَا كُنَّا مُتَرَلِّينَ) وما كان يصح فى حكمتنا أن نزل فى إهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لأن الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك (إِنْ كَانَتْ) الأخذة أو العقوبة (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة (فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) ميتون كما تخمد النار والمضى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لإهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق (يَحْضَرُهُ عَلَى الْهَبَاءِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) الحسرة شدة الندم وهذا نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالى يا حسرة فهذه من أحوالك التى حقاك أن تحضرى فيها وهى حال استهزأتهم بالرسل والمضى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرن ويتلف على حالهم التلففون أو هم يتحسرون عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين (أَلَمْ يَرَوْا) ألم يعلموا (كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ) كم نصب بأهلكنا وروا معلق من العمل فى كم لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لأن أصلها الاستفهام إلا أن معناه نافذ فى الجملة وقوله (أَنَّهُمْ إِلَيَّ يَوْمَ) لا يرجعون (يبدل من كم أهلكنا على المعنى لاعلى اللفظ تقديره ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم) وإن

كُلُّ لَنَا جَمِيعٌ لَدُنَّا مُخَضَّرُونَ) لا بالتشديد شامى وعاصم وحزمة بمعنى الإوان ثانية وغيرهم بالتخفيف على أن ماصلة للتأكيد وإن مخففة من التثنية وهى متلقة باللام لامالة والتنوين فى كل عوض من المضاف إليه والمعنى ان كلهم محشورون بمجموعة من محشورين للحساب أو معذبون وإنما أخبر عن كل بمجمع لأن كلا يفيد معنى الإحاطة والجميع فمبيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع أى أن المحشر يجمعهم (وَأَيَّاهُمْ) مبتدأ وخبر أى وعلامة تدل على أن الله يبعث الولى إحياء الأرض الميتة ويجوز أن يرفع آية بالابتداء ولهم صفتها وخبرها (الأَرْضُ الْمَيِّتَةُ) اليابسة وبالتشديد مدنى (أَحْيَيْنَهَا) بالطر وهو استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل لأنه أريد بهما جنسان مطلقان لأرض وليل بأعيانها فموملا معاملة النكرات فى وصفهما بالأفعال ونحوه :

• ولقد أمر على اللّيم يسبى \* (وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا) أريد به الجنس (فَعَنَّهُ يَأْكُلُونَ) قدم الظرف ليدل على أن الحب هو الشيء الذى يتعلق به معظم الميضى ويقوم بالارتقاء منه صلاح الإنسان وإذا قل جاء القحط ووقع الضر وإذا قد حضر الملاك وزل البلاء (وَجَعَلْنَا فِيهَا) فى الأرض (جَنَّاتٍ) بساتين (مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرًا فِيهَا مِنَ النِّمَارِ) من زائدة عند الأخفش وعند غيره الفصول محذوف تقديره ما يتفعول به (لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ) والضمير لله تعالى أى لياكلوا مما خلقه الله من الثمر من ثمره حزمة وعلى (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) أى وما عملته أيديهم من الفرس والسقى والتلقيح وغير ذلك من الأعمال إلى أن يبلغ الثمر منتهاه يعنى أن الثمر فى نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بى آدم وأمه من غرنا كما قال وجلنا وفجرا فنقل الكلام من التكلم إلى النبية على طريق الالتفات ويجوز أن يرجع الضمير إلى النخيل وتترك الأعناب غير مرجوع إليها لأنه علم أنها فى حكم النخيل مما خلق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة .

فها خطوط من بياض وبلق كأنه في الجلد نوليع البهق

قيل له فقال أردت كأن ذاك، وما علمت كوفي غير حفص وهي في مصاحف أهل السكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين والنصرة والشام مع الضمير وقيل ما نأبه على أن التمر

خلق الله ولم تمله أيدي الناس ولا يقدرّون عليه (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) استبطاء وحث على شكر النعمة (سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ) الأنصاف (كُلَّهَا يَمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ) من النخيل والشجر والزرع والتمر (وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ) الأولاد ذكورا وإناثا (وَيَمَّا لَا يَعْلَمُونَ) ومن أزواج لم يعلمهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها في الأودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس (وَأَيَّةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) نخرج منه النهار إخراجاً لا يبقى معه شيء من ضوء النهار أو نزع عنه الضوء نزع القميص الأبيض فيعري نفس الزمان كشخص زنجي أسود لأن أصل ما بين السماء والأرض من الهواء الظلمة فاكتمت بضوء الشمس كبت مظلم أمرج فيه فإذا غاب السراج أظلم (فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ) داخلون في الظلام (وَالشَّمْسُ تَجْرِي) وآية لهم الشمس تجري (لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) لحد لها موقت مقدر تنتهي إليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو لحد لها من مسيرها كل يوم في مران عيوننا وهو المغرب أو لانهاء أمرها عند انقضاء الدنيا (ذَلِكَ) الجرى على ذلك التقدير والحساب الدقيق (تَقْدِيرُ الْمَزِينِ) الغالب بقدرته على كل مقدور (الْمَلِكِ) بكل معلوم (وَالْقَمَرِ) نصب بفعل يفسره (قَدَرْنَاهُ) وبالرفع مكى ونافع وأبو عمرو وسهل على الابتداء والخبر قدرناه أو على وآية لهم القمر (مَنَازِلَ) وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة السهّل إلى الثامنة والعشرين ثم يستقر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل أي قدرناه نوره فيزيد وينقص أو قدرناه مسيره منازل فيكون ظرفاً فإذا كان في آخر منازل دق واستقوس (حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ) هو عود الشمراخ إذا يبس ووزنه فملون من الانسراج وهو الانعطاف (التَّجْرِيمِ) العنق المحول وإذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه القمر به من فلاة أوجه (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا) أي لا يسهل لها ولا يصح ولا يستقيم (أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) تجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره لأن لكل واحد من النيرين سلطاناً على حياله فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) ولا يسبق الليل النهار أي آية الليل آية النهار وما النيران ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن تقوم القيامة فيجمع



الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها (وَكُلُّ) التَّنُونِ فيه عوض من المضاعف إليه أى وكلهم والضمير للشمس والأفار (فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يسبحون (وَإِلَٰهَةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) ذرياتهم مدنى وشامى (فِي الْفَلَكِ الْمَشْجُونِ) أى المأوء والمراد بالقرية الأولاد ومن يهتمهم حمله وكانوا يمشونهم إلى التجارات فى بر أو بحر أو الآباء لأنهم من الأضداد والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام وقيل معنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين وفى أصلاهم هم وذرياتهم . وإنما ذكر ذرياتهم دونهم لأنه أبلغ فى الامتنان عليهم (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ) من مثل الفلك (مَا يَرَكِبُونَ) من الإبل وهى سفائن البر (وَإِنْ نَشَأْ نُفْرِقْهُمْ) فى البحر (فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ) فلا مفيد أو فلا إغاثة (وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ) لا ينجون (إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ) أى ولا ينجون إلا لرحمة منا ولتتبع بالحياة إلى اقضاء الأجل، فها منصوبان على المفعول له (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ) أى ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر مما أنتم تعملون من بعد أو من مثل الوقائع التى ابتليت بها الأمم الكاذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة أو فتنة الدنيا و-وبة الآخرة (لَمَّا كُنْتُمْ تَرْحَمُونَ) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب إذا مضى أى أهرضوا وجاز حذفه لأن قوله (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) يدل عليه ومن الأولى لتأكيد النفي والثانية للتبسيص أى ودأبهم الإعراض عند كل آية وموعظة (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) لشركى مكة (أَنْفِقُوا بِمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ) أى تصدقوا على الفقراء (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطِعِم مِّنْ لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ) عن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على الساكنين قالوا لا والله أبقره الله ونطمعه نحن (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي سَلْتٍ مُّبِينٍ) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ) أى وعد البعث والقيامة (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيما يقولون خطاب للنبي وأصحابه (مَا يَنْظُرُونَ) ينتظرون (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) هى النفخة الأولى (تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه إذا غلبه فى الخصومة وشدد الباقون الصاد أى يخصمون بإدغام التاء فى الصاد لكنهم مع فتح الخاء مكى بنقل حركة التاء المدغمة إليها وبسكون الخاء مدنى

ويكسر الباء والحاء بحجى فأتبع الباء الخاء في الكسر وفتح الباء وكسر الخاء غيرهم والمعنى  
 تأخذهم وبعضهم يخيم بعضا في معاملاتهم ( فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ) فلا يستطيعون أن  
 يوصوا في شيء من أمورهم توصية ( وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ) ولا يقدرون على الرجوع  
 إلى منازلهم بل يموتون حيث يسمون الصبغة ( وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ) هي النفخة الثانية  
 والصور القرن أو جمع سورة ( فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ ) أى القبور ( إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُنْفَسُونَ )  
 يمدون بكسر السين وضما ( قَالُوا ) أى الكفار ( يَوَيْلَنَا مَنْ بَمَثَلِنَا ) من أنشرنا ( مِنْ  
 مَرْقَدِنَا ) أى مضجعنا، وقف لازم عن حفص وعن مجاهد للكفار مضجعة يمدون فيها طم  
 النوم فإذا صبح بأهل القبور قالوا من بمثنا ( هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ )  
 كلام الملائكة أو المؤمنين أو الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجبون به أنفسهم أو  
 بعضهم بعضا، وما مصدرية ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدق  
 فيه بالوعد والصدق أو موسولة وتقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون أى  
 والذى صدق فيه المرسلون ( إِنْ كَانَتْ ) النفخة الأخيرة ( إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ  
 جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ) للحساب ثم ذكر ما يقال لهم في ذلك اليوم ( فَأَلَيْكُم لَأَنْظُمُ نَفْسُ  
 شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ ) بضمتين  
 كوفي وشامى وبضمة وسكون مكى ونافع وأبو عمرو <sup>(١)</sup> والمعنى فى شغل فى أى شغل وفى شغل  
 لا يوصف، وهو افتضاض الأبقار على شط الأنهار تحت الأشجار أو ضرب الأوتار أو ضيافة  
 الجبار ( فَكَيْهُونَ ) خبر ثان فكيهون يزيد، والفاكه والفكه: التمتع التلذذ ومنه الفاكهة  
 لأنها مما يتلذذ به وكذا الفكاهة ( هُمْ ) مبتدأ ( وَأَزْوَاجُهُمْ ) عطف عليه ( فِي ظِلِّ )  
 حال جمع ظل وهو الموضع الذى لا تقع عليه الشمس كدنب وذئب أو جمع ظلة كبرمة وبرام  
 دليله قراءة حمزة وعلى، ظل جمع ظلة وهى ما سترك عن الشمس ( عَلَى الْأَرْآئِكِ ) جمع  
 الأريكة وهى السرير فى الحجلة أو الفراش فيها ( مُتَكِئُونَ ) خبر أو فى ظلال خبر وعلى  
 الأرائك مستأنف ( لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ) يفتعلون من الدعاء أى كل ما يدعو  
 به أهل الجنة بأنهم أو يمتنون من قولهم ادع على ماشئت أى تمنه على من الفراء هو من  
 الدعوى ولا يدعون مالا يستحقون ( سَلَامٌ ) بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم

(١) فى نسخة خطية: والمعنى فى أى شغل فى شغل لا يوصف، وهى أظهر .

(قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ) والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بنير واسطة تمطيا لهم وذلك متناهم ولهم ذلك لا يعمونه. قال ابن عباس: والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين (وَأَمْتَرُوا أَيَّامَ الْمُجْرِمُونَ) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى أبدا ويقول لهم يوم القيامة (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَتْنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) العهد الوصية وعهد إليه إذا وصاه وعهد الله إليهم ماركزه فيهم من أدلة العقل وأزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم (وَأَنْ أَعْبُدُونِي) وحدوني وأطيعوني (هَذَا) إشارة إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن (صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) أى صراط يبلغ في استقامته ولا صراط أقوم منه (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا) بكسر الجيم والباء والتشديد مدنى وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جبلا مخففا شامى وأبو عمرو وجبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم وهذه لئان فى معنى الخلق (كَثِيرًا أَلَمْتُ تَكُونُوا تَمْلُونَ) استفهام تزييع على تركهم الاتضاع بالعقل (عَلَيْهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) بها (أَصْلَوْهَا أَيَّامًا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) ادخلوها بكفركم وإنكاركم لها (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ) أى نمنهم من الكلام (وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يروى أنهم يجحدون ويخاصمون قشيد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشارهم فيحلفون ما كانوا مشركين حينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم، وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة إني لأجيز على إلا شاهدا من نفسى فيختم على فيه ويقال لأركانه أنطق فتتلق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسعقا فتنكن كنت أناضل (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ) لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم والطمس تمغية شق العين حتى تعود ممسوحة (فَأَسْتَبْقُوا الصِّرَاطَ) على حذف الجار وإيصال الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط (فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ) فردة أو خنازير أو حجارة (عَلَى مَكَانَتِهِمْ) على مكاناتهم أبو بكر وحامد والمكانة والمكان واحد كالقائمة والقائم أى لسخنهم في منازلهم حيث يجتروحون السَّحَر

(فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ) فلم يقدروا على ذهاب ولا مجيء أو مضيا أمامهم ولا يرجعون خلفهم (وَمَنْ نُّنْكِسُهُ نُنْكِسْهُ) فاصم وحزمة، والتنكيس: جعل الشيء أعلاه أسفله الباقون نُنْكِسُهُ (فِي الْخَلْقِ) أى قلبه فيه بمعنى من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرماء وذلك أنا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فإذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع إلى حال شبهة بحال الصبي فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل: ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا (أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ) أن من قدر على أن ينقلهم من الشباب إلى الهرم ومن القوة إلى الضعف ومن رجاحة العقل إلى الخرف وقلة التمييز قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسحهم على مكانهم ويممهم بعد الموت، وبالتاء مدنى ويعقوب وسهل وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ شاعر فنزل (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ) أى وما علمنا النبي عليه السلام قول الشعراء أو وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققتة (وَمَا يَنْبِئُكَ) وما يصح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يهتدى إلى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدهض وأما قوله .

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقوله :

هل أنت إلا أصبح دميت وفى سبيل الله ما قيت

فأهو إلا من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف إلا أنه اتفق من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه أن جاء موزونا كما يتفق فى خطاب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعراً لأن صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه على أنه عليه السلام قال لقيت بالسكون، وفتح الباء فى كذب وخفض الباء فى المطلب ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال (إِنْ هُوَ) أى الملم (إِلَّا ذِكْرٌ وَفُورٌ) أى مبین

أى ما هو إلا ذكر من الله يوعظ به الإنسان والجن وما هو إلا قرآن كتاب محامى يقرأ فى  
المحارب وبثلى فى التبعيدات وينال بتلاوته والسمل به فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى  
هو من همزات الشياطين (لِيُنْذِرَ) القرآن أو الرسول لتنذر مدنى وشامى وسهل ويقوب  
(مَنْ كَانَ حَيًّا) عاقلاً متأملاً لأن النافل كالتى أو حيا بالقلب (وَيَحَقِّقُ الْقَوْلُ) ويجب  
كلمة العذاب (عَلَى الْكَافِرِينَ) الذين لا يتأملون وهم فى حكم الأموات (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا  
نَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا) أى مما نولينا نحن إحداثه ولم بقدر على توليه غيرنا (فَهُمْ  
لَمَّا مَلِكُونِ) أى خلقناها لأجلهم فلكنها أيامهم فهم متصرفون فيها تصرف الملأك غشوصون  
بالانتفاع بها أو فهم لها ضابطون قاهرون (وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ) وصيرناها متفاداة لهم وإلا فمن  
كان بقدر عليها لولا تذليله تعالى وتسخييره لها ولهذا أزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه  
النعمة ويسبح بقوله سبحانه الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ) وهو  
ما يركب (وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) أى سخرناها لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها (وَلَهُمْ فِيهَا  
مَنْسِقِعٌ) من الجلود والأوبار وغير ذلك (وَمَشَارِبٌ) من اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع  
الشرب أو الشراب (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) الله على إنعام الأنعام (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً  
لَهُمْ يُنْصَرُونَ) أى لعل أصنامهم تنصرهم إذا حزبهام أمر (لَا يَسْتَطِيعُونَ) أى أنهم  
(نَصْرَهُمْ) نصر يابدهم (وَهُمْ لَهُمْ) أى الكفار للأصنام (جُنْدٌ) أعوان وشيمة  
(مُخَفَّرُونَ) يخدمونهم ويذبون عنهم أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفوا لهم والأمر  
على خلاف ماتوهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لأنهم يعملون  
وقود النار (فَلَا يَخْزُكَ قَوْلُهُمْ) وبضم الراء وكسر الزاى نافع من حزنه وأحزته يعنى فلا  
يهلك تكذيبهم وأذام وجفاؤهم (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ) من عداوتهم (وَمَا يُمْلِكُونَ)  
وإنما مجازوم عليه الحق مثلك أن يسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه سورة حاله وحالهم  
فى الآخرة حتى ينشع عنه الهم ولا يرفقه الحزن ومن زعم أن من قرأ أناطهم بالفتح فسدت  
صلاته وإن اعتقد معناه كفر فقد أخطأ لأنه يمكن عمله على حذف لام التعليل وهو كثير فى  
القرآن والشعر وفى كل كلام وعليه تلبية رسول الله ﷺ أن الحمد والنعمة لك ، كسر أبو  
حيفة وفتح الشافى رحمة الله عليهما وكلاهما تمليل فإن قلت إن كان المفتوح بدلا من قولهم

كانه قبل فلا يحزنك أنا نعلم مايسرون وما يملنون ففساده ظاهر قلت : هذا المعنى فأنهم مع  
 للكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه  
 لا يدور ان على كسر ان وتحتها وإنما يدوران على تقديرك فتفصل إن فتحت بأن تقرر معنى  
 التمثيل ولا تقرر معنى البديل كما أنك تفصل بتقدير معنى التمثيل إذا كسرت ولا تقرر معنى  
 المفعولية ثم إن قدرته كاسرا أو فاعمالا ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فافيه إلا نهي رسول  
 الله ﷺ عن الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلايتهم، والنهي عن حزنه ليس إيجابا لحزنه بذلك  
 كما في قوله: فلا تكونن ظهيرا للكافرين، ولا تكونن من الشركين، ولا تدع مع الله إلها آخر.  
 وزل في أبي بن خلف حين أخذ عظما باليا وجعل يفتنه بيده ويقول : يا محمد أرى الله يحبي هذا  
 بعد ما رمى، قال رسول الله ﷺ «نعم ويملك ويدخلك جهنم» (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ  
 مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ دُمٍّ خَارِجَةٍ مِنَ الْإِحْلِيلِ الَّذِي هُوَ قَنَاقَةُ النَّجَاسَةِ) (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُتَبِينٌ) بين  
 الخسومة أى فهو على مهانة أصله ودناءة أوله يتصدى للخاصة ربه وينكر قدرته على إحياء  
 الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من  
 موات وهو ينكر إنشاءه من موات وهو غاية المكابرة (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا) بفته العظم  
 (وَنَسِيَ خَلْقَهُ) من المني فهو أغرب من إحياء العظم، المصدر مضاف إلى المفعول أى خلقنا  
 إياه (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رِيمٌ) هو اسم لما يلي من العظام غير صفة كالرمة والرافات  
 ولهذا لم يؤث وقد وقع خبراً لمؤث ومن يثبت الحياة في العظام ويقول إن عظام الميتة نجسة  
 لأن الله يورث فيها من قبل أن الحياة تحملها ينشبت بهذه الآية وهي عندنا طاهرة وكذا الشعر  
 وإذا سب لأن الحياة لا تحملها فلا يؤثر فيها الموت والمراد بإحياء العظام في الآية ردها إلى ما كانت  
 عليه غضة رطبة في بدن حي حساس (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا) خلقها (أَوَّلَ مَرَّةٍ) أى  
 ابتداء (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) لا تخفى عليه أجزاؤه وإن تفرقت في البر والبحر  
 فيجسمه ويميده كما كان (الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَلَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ  
 تُوقَدُونَ) تقدحون ثم ذكر من بدائع خلقه اهتداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة  
 النار الماء وانطفائها به وهى الزناد التى تورى بها الأعراب وأكثرها من الرخ والمغار وفى  
 أمثالهم في كل شجر نار واستمجد الرخ والمغار لأن الرخ شجر سريع الورى والمغار شجر

تندح منه النار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطع منهما الماء . فيسحق المرخ وهو ذكر على المفار وهي أنثى فتندح النار بإذن الله، وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من شجرة إلا وفيها النار إلا العناب لمصلحة الدق للثياب فمن قدر على جمع الماء والنار في الشجر قدر على المماقة بين الموت والحياة في البشر وإجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب أسهل في العقل من الجمع معا بلا ترتيب والأخضر على اللفظ وقرى الخضر . على المعنى ثم بين أن من قدر على خلق السموات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسى أقدر بقوله ( أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ) في الصغر بالإضافة إلى السموات والأرض أو أن يمدد لأن الماد مثل للبند أو ليس به ( بَلَى ) أى قل بلى هو قادر على ذلك ( وَهُوَ الْخَلَّاقُ ) الكثير المخلوقات ( أَلَيْسَ ) الكثير المعلومات ( إِنَّمَا أَمْرُهُ ) شأنه ( إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ ) أن يكونه ( فَيَكُونُ ) فيحدث أى فهو كائن موجود لعمالة فالخاص أن المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن هرب من إيماده بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون وإنما هويان لسرعة الإيجاد كأنه يقول كما لا يشغل قول كن عليكم فكندا لا يشغل على الله ابتداء المخلوق وإعادتهم، فيكون شأى وعلى عطف على يقول وأما الرفع فلاإنها جملة من مبتدأ وخبر لأن تديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن ( فَسُبْحَنَ ) تنزيه مما وصفه به المشركون وتمجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا ( الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ) أى ملك كل شيء . وزيادة الواو والك، للبالغة يعنى هو مالك كل شيء ( وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) تعادون بمدالوت بلا فوت، تُرجعون يعقوب . قال عليه الصلاة والسلام «إن لكل شيء قلبا وإن قلب القرآن يس من قرأ يس ربه بهواجه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة» وقال عليه السلام «من قرأ يس أمام حاجته قضيت له» وقال عليه السلام «من قرأها إن كان جائعا أشبعه الله وإن كان ظمآن أرواه الله وإن كان عريانا ألبسه الله وإن كان خائفا أمنه الله وإن كان مستوحشا آتسه الله وإن كان فقيرا أغناه الله وإن كان في السجن أخرجه الله وإن كان أسيرا خلصه الله وإن كان ضالا هدهاه الله وإن كان مديونا قضى الله دينه من خزانته» وتدعى النافعة والقاضية تقدم عنه كل سوء وتفضى له كل حاجة والله أعلم .

﴿ سورة الصافات مكية وهي مائة وإحدى، أو اثنتان وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ وَالْمُفَلِّتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة فالزاجرات السحاب سواها أو هن الماصى بالإلهام فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد أو بنفوس العلماء المال الصافات أقدامها في التهجذ وسائر الصلوات فالزاجرات بالمواظع والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائع الله أو بنفوس الفزاة في سبيل الله التي نصف الصفوف وترجر الخيل للجهاد وتتلو الله كرم مع ذلك، وصفا مصدر مؤكد وكذلك زجرا والفاء تدل على ترتيب الصفات في التفاضل فتفيد الفضل للصف ثم للزجرات ثم للتلاوة أو على العكس وجواب القسم (إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ) قيل هو جواب قولهم أجل الآلهة إلها واحدا (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خبر بمد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أى هو رب (وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ) أى مطلع الشمس وهي ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المنارب ثم شرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب منها ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين وأما رب الشرقيين ورب المغربين فإنه أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما وأما رب المشرق والمغرب فإنه أراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة (إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا) القربى منكم تأنيث الأدنى (يَزِينُهُ الْكَوَاكِبُ) حفص وحزمة على البدل من زينة والمعنى إنا زيننا السماء الدنيا بالكواكب، يزينة الكواكب أبو بكر على البدل من عمل يزينة أو على إضمار أعنى أو على إعمال المصدر متونا في المفعول، يزينة الكواكب غيرم بإضافة المصدر إلى الفاعل أى بأن زانها الكواكب وأسله يزينة الكواكب أو على إضافته إلى المفعول أى بأن زان الله الكواكب وحسنها لأنها إنما زينت السماء لحسنها في أنفسها وأسله يزينة الكواكب لقراءة أبي بكر (وَحِفْظًا) محمول على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأوالغل الملل من قدر كأنه قيل وحفظا من كل شيطان قدزيناها بالكواكب أو منمنا حفظناها



حفظاً (مَنْ كُلُّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ) خارج من الطاعة والضمير في (لَا يَسْمَعُونَ) لكل شيطان لأنه في معنى الشياطين، يَسْمَعُونَ كوفي غير أبي بكر وأمله يسمعون والتسمع تطلب التسمع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وينبئ أن يكون كلاماً منقطعاً مبتدأً اقتصاصاً لما عليه حال المسترق للسمع وأنهم لا يقدر أن يسموا إلى كلام الملائكة أو يسموا وقيل أمله لثلاث يسموا لحذف اللام كما حذف في جثتك أن تكرمي فبق أن لا يسموا لحذف أن وأهدر عملها كما في قوله \* ألا أيها الزاجري أحضر الوغي \* وفيه نصف يجب سون القرآن من مثله فإن كل واحد من الحذفين غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين سمعت فلانا تحدثت وسمعت إليه تحدثت وسمعت حديثه وإلى حديثه أن المدى بنفسه يفيد الإدراك وال المدى إلى يفيد الإصغاء مع الإدراك (إِلَى أَلَمَائِهِ الْأَعْلَى) أي الملائكة لأنهم يسكنون السموات والإنس والجن هم الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض (وَيَقْدُفُونَ) يرمون بالشهب (مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) من جميع جوانب السماء من أي جهة صعدوا للاستراق (دُحُورًا) مقول له أي ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لأن القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل بدحورون أو قذفاً (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) دائم من الوصوب أي أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد أهد لهم في الآخرة نوع من المذاب دائم غير منقطع ومن في (إِلَّا مَنْ) في عمل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي (خَطَفَ الْخَطْفَةَ) أي سلب السلبه يعني أخذ شيئاً من كلامهم بسرعة (فَأَتْبَعَهُ) لحقه (شِهَابٌ) أي نجم رجم (ثَاقِبٌ) مضى (فَأَسْتَفْتِيهِمْ) فاستخبر كفار مكة (أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا) أي أقوى خلقاً من قومهم شديد الخلق وفي خلقه شدة أو أصعب خلقاً وأشقعه على معنى الرد لإنكارهم البعث وأن من هان عليه خلق هذه الخلائق المظلمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون (أَمْ مَنْ خَلَقْنَا) يريد ما ذكر من خلقه من الملائكة والسموات والأرض وما بينهما وحيء بمن تقلبنا للعلاء على غيرهم ويدل عليه قراءة من قرأ أم من عدونا بالتشديد والتخفيف (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ)

لاصق أو لازم وقرىء به وهذا شهادة عليهم بالضعف لأن ما يمنع من الطين غير موصوف  
 بالصلاية والقوة أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فن أن  
 استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئفنا كنا ترابا وهذا المني يعضده ما يثبته  
 من ذكر إنكارهم البعث (بَلْ عَجِبْتَ) من تكذيبهم إياك (وَيَسْخَرُونَ) هم منك ومن  
 تعجبك أو عجبك من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث، بل عجبك حجة وعلى  
 أى استعظمت والمعجب روعة تترى الإنسان عند استعظام الشيء فجرد لى الاستعظام في  
 حقه تعالى لأنه لا يجوز عليه الروعة أو مناه قل يا محمد بل عجبك (وَإِذَا ذُكِّرُوا  
 لَا يَذْكُرُونَ) ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يهتمون به (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً) معجزة  
 كانشقاق القمر ونحوه (يَسْتَسْخِرُونَ) يستدعى بعضهم بعضا أن يسخر منها أو يبالغون في  
 السخرية (وَقَالُوا إِن هَذَا) ماهذا (إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) ظاهر (أَعْدَا) استفهام إنكار (مِثْقَا  
 وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظًا أَوْنَالْعَبْوُتُونَ) أى أبعد إذا كنا ترابا وعظاما (أَوَّاءُ بَاؤُنَا) مسطوف  
 على عمل ان واسمها وهى الضمير في جمعون والمضى أيبت أيضا آباءنا هلى زيادة الاستبعاد يمتنون  
 أنهم أقدم فبهمهم أهد وأبطل أو آباءنا بسكون الواو مدنى وشامى أى أيبت واحد منا هلى  
 المبالغة في الإنكار (الْأَدْوُونَ) الأقدمون (قُلْ نَعَمْ) يمتنون- نيم هلى وهما لفتان (وَأَنسُمُ  
 دَاخِرُونَ) صافرون (فَإِنَّمَا هِيَ) جواب شرط مقدر تقديره إذا كان كذلك فهاى إلا  
 (زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) وهى لا ترجع إلى شيء أعما هى مبهمه موضعها خبرها ويجوز فإنما البينة  
 زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصبيحة من قولك زجر الراعى الإبل أو الغنم إذا  
 صاح عليها (فَإِذَا هُمْ) أحياء بصراء (يَنْظُرُونَ) إلى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحمل بهم  
 (وَقَالُوا يَوَيْلَنَا) الويل كلمة يقولها القاتل وقت الملكة (هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) أى اليوم  
 الذى ندان فيه أى نجازى بأعمالنا (هَذَا يَوْمُ الْقَصْلِ) يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى  
 والضلال (الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) ثم يحتمل أن يكون هذا يوم الدين إلى قوله  
 احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام اللائكة لهم وأن يكون  
 يا ويلنا هذا يوم الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام اللائكة جواباً لهم

( اخْفُرُوا ) خطاب الله للملائكة ( الَّذِينَ ظَلَمُوا ) كفروا ( وَأَزْوَاجَهُمْ ) أى وأشباههم وقرناءهم من الشياطين أو نساء الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للمطف وقرىء بالرفع عطفا على الضمير في ظلموا ( وَمَا كَانُوا يَتَّبِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) أى الأسنام ( فَأَهْدُوهُمْ ) دلوهم، من الأسسمى هديته في الدين هدى وفي الطريق هداية ( إِلَى صِرَاطِ الْحَنِيمِ ) طريق النار ( وَقِفُوهُمْ ) احبسوهم ( إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ ) عن أقوالهم وأفعالهم ( مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ) أى لا ينصر بعضهم بعضاً وهذا توبيخ لهم بالمعجز عن التناصر بعد ما كانوا متناصرين في الدنيا وقيل هو جواب لأبي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر وهو في موضع النصب على الحال أى ما لكم غير متناصرين ( بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ) مفادون أو قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر ( وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ) أى التابع على المتبوع ( يَتَخَصَّمُونَ ) قالوا ( أى الأتباع للمتبعين ( إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا مِنَ الْيَمِينِ ) عن القوة والقهر إذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطن أى أنكم كنتم تحملوننا على الضلال وتسرروننا عليه ( قَالُوا ) أى الرؤساء ( بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ) أى بل أيتم أنتم الإيمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه غتارين له على الكفر غير ملجئين ( وَمَا كَانْ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَنٍ ) نسلط نعلبكم به تمكنكم واختياركم ( بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ) بل كنتم قوماً غتارين الطغيان ( فَحَقَّ عَلَيْنَا ) فلزمتنا جميعاً ( قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَاتِقُونَ ) يعنى وعيد الله بأننا ذاتقون لعنايه لا محالة لعله بحالنا ولو حكى الوعيد كما هو لقال إنكم لذاتقون ولكنه عدل به إلى لفظ التكم لأهم متكلمون بذلك من أنفسهم ونحوه قوله • فقد زعمت هوازن قل مالى • ولو حكى قولها لقال قل مالك ( فَأَغْرَيْنَا كُفْرَهُمْ ) فهدمونا كم إلى النى ( إِنَّا كُنَّا غُيُوبِينَ ) فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا ( فَإِنَّهُمْ ) فإن الأتباع والمتبعين جميعاً ( يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) فى العذاب مُشْتَرِكُونَ ( كما كانوا مشتركين فى النواية ( إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ) أى بالمتركين إنا مصر ذلك الفعل نفعل بكل مجرم ( إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُسْتَكْبِرُونَ ) إنهم كانوا إذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا إلا الشرك ( وَيَقُولُونَ أَئِنَّا ) بهمزين شامى وكوفى ( لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ) يمتنون محمداً عليه السلام ( بَلْ جَاءَهُ

بِالْحَقِّ) رد على المشركين (وَسَدَقَ الْمُرْسَلِينَ) كقوله: مصداق لما بين يديه. (إِن كُنْتُمْ لَذَّائِقُوا الْعَذَابِ الْإِلَهِيِّ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) بلا زيادة (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) يفتح اللام كوفي ومدني وكذا ما يمدّه أى لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع (أَوَلَيْكَ لَهُمْ رِزْقٌ مِّمَّا لَمْ يَخْلُقْهُمْ) فسر الرزق المعلوم بالقواكه وهى كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعنى أن رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات لأن أجسادهم محكمة غلوقة للأبد فإما يأكلونه للتلذذ ويجوز أن يراد رزق معلوم ممنوع بمخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله: ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا. والنفس إليه أسكن (وَهُمْ مُكْرِمُونَ) ممنعون (فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ) يجوز أن يكون ظرفاً وأن يكون حالا وأن يكون خبراً بمد خبر وكذا (عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) التقابل أتم للسرور وآنس (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ) بنير هز أبو عمرو وحمة في الوقف وغيرها بالهمزة يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأساً وعن الأخفش كل كأس في القرآن فهو الخمر وكذا في تفسير ابن عباس رضى الله عنهما (مَنْ مَّيَّنَ) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لأنه يجرى في الجنة في أنهار كما يجرى الماء قال الله تعالى: وأنهار من غير (يَبْيَضُكَّاءَ) صفة للكأس (لَذَّةٌ) وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أودات لذة (لِلشَّارِبِينَ لَا يَحْتَسِبُ فِيهَا عَمَلُهُمْ) أى لا تقتل عقولهم كخمر الدنيا وهو من غاله يفوله غولاً إذا أهلكه وأفسده (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) يسكرون من نرف الشارب إذا ذهب عقله ويقال للسكران نرف ومنزوف، يُنْزَفُونَ على وحمة أى لا يسكرون أولاً ينرف شرابهم من أنزفه للشارب إذا ذهب عقله أو شرابه (وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْعُرْفِ) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفاً إلى غيرهم (عَيْنٌ) جمع عيناء أى نجلء واسعة العين (كَأَنَّهُنَّ يَتَكَلَّمْنَ) مَسْكُونُونَ مصون شبهن ببيض النعام المسكون في الصفاء وبها تشبه العرب النساء وتسمين يعضنات الخلدور وعطف (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ) يعنى أهل الجنة. (عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) عطف على يطاف عليهم والمعنى يشربون ويتحدثون على الشراب كمادة الشرب قال :

وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على الدمام

فيبذل بعضهم على بعض يتساملون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا إلا أنه جرى به ماضيا على  
 ما عرف في أخباره ( قَالَ قَاتِلْهُمْ إِنْ كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَدْنٰكَ ) بهمزين شاي وكوف  
 ( لَيْنَ الْمُصَدِّقِينَ ) يوم الدين ( أَعْدَا مِتْنًا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَهْنًا لَمَدَّ بَنُونَ ) المجزون من  
 الدين وهو الجزاء ( قَالَ ) ذلك القاتل ( هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَمُونَ ) إلى النار لأريكم ذلك القرن قيل:  
 بن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار. أو قال الله تعالى لأهل الجنة: هل أنتم مطلعون  
 إلى النار فتدلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار ( فَأُطْلِعَ ) المسلم ( فَرَدَّاهُ ) أى قرينه  
 ( فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ) في وسطها ( قَالَ تَأَلَّهْ إِنْ كِدَتْ تُؤْتِدِينَ ) إن خففة من الثقلة  
 وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والإرداء الإهلاك  
 وبالياء في الحالين يعقوب ( وَلَوْلَا رِئْمَةٌ رَأَيْتُ ) وهي المصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة  
 للإسلام ( لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ) من الذين أحضروا المذاب كما أحضرته أنت وأمثالك  
 ( أَفَمَا نَحْنُ رَمِيمَتَيْنِ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُتَدِّينَ ) الغاء للعطف على محذوف  
 تقديره نحن مخلدون متممون فما نحن بميتين ولا معدين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وهو  
 أن لا يدوقوا إلا الموتة الأولى بخلاف الكفار فإنهم فيها يتمنون فيه الموت كل ساعة . وقيل  
 لحكيم ماشر من الموت قال: الذي يتمنى فيه الموت. وهذا قول يقوله المؤمن محدثا بنعمة الله  
 بمسمع من قرينه ليسكون توبخا له وزيادة تعذيب. وموتتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل  
 تقديره ولا نموت إلا مرة أو منقطع وتقديره لكن الموتة الأولى قد كانت في الدنيا ثم قال لقرينه  
 تقرئنا له ( إِنَّ هَذَا ) أى الأمر الذى نحن فيه ( هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ) ثم قال الله عز وجل  
 ( لِمِثْلٍ هَذَا فَلْيَمْلِكِ الْعَمِلُونَ ) وقيل هو أيضا من كلامه ( أَذْ لِكَ خَيْرٌ نَزْلًا ) تميز  
 ( أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ ) أى نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزل أم شجرة  
 الزقوم خير نزل والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق. والزقوم: شجرة مر يكون بهامة ( إِنَّا  
 جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ) عنه وعدا لهم في الآخرة أو ابتلاء لهم في الدنيا وذلك أنهم  
 قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار محرق الشجر فكذبوا ( إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي  
 سَمَلِ الْجَحِيمِ ) قبل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها ( طَلْحَهَا كَأَنَّ رُءُوسَ  
 الشَّيَاطِينِ ) الطلع للنخلة فاستمير للمطلع من شجرة الزقوم من حملها وشبه برؤوس الشياطين

للدلالة على تنافيه في السكراة وقبح النظر لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لا هتقدم أنشر بعض وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة النظر هائلة جدا (فَأَنَّهُمْ لَا كِلُونَ مِنْهَا) من الشجرة أى من طلبها (فَمَالَتْوَنَ مِنْهَا الْبَطُونَ) فالتون بطونهم لما ينفلهم من الجوع الشديد (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا) على أكلها (لَشَوْبًا) خلطًا ولزاجًا (مِّنْ حَمِيمٍ) ماء حار يشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال في سفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسليم والمعنى ثم إنهم يملئون البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويمطشهم فلا يسقون إلا بعد ملئ تمذييا لهم بذلك العطش ثم يسقون ما هو أحروهو الشراب المشوب بالحميم (ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ كَلَىٰ إِلَى الْجَحِيمِ) أى أنهم يذهب بهم عن مقارم ومنازلهم في الجحيم وهى الدرجات التى أسكنوها إلى شجرة الزقوم فىأ تكون إلى أن يمتثلوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون إلى دركاتهم ومعنى التراخى في ذلك ظاهر (لَهُمْ أَلْفَا أَأَبَاكُهُمْ صَا لَيْنَ فَهُمْ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ) علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد بتقليد الآباء في الدين واتباعهم لإمام في الضلال وترك اتباع الدليل، والإهرام: الإسراع الشديد كأنهم يمشون حثا (وَلَقَدْ نَزَّلَ قَبْلَهُمْ) قبل قومك قريش (أَكْثَرَ الْأَوَّلِينَ) يعنى الأمم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّثَدِّرِينَ) أنبياء حذروهم المواقب (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَدَرِّينَ) أى الذين أنذروا وحذروا أى أهلكوا جميعا (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أى إلا الذين آمنوا منهم وأخلصوا لله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين ولما ذكر لإرسال المنذرين في الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين أتبع ذلك ذكر نوح ودعاه إياه حين أبس من قومه بقوله (وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ) دعانا لننجيه من الفرق وقيل أريد به قوله أقمناوب فانتصر (فَلَنِعْمَ الْعَاجِبُونَ) اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ولقد نادانا نوح فوالله نعم المحييون نحن والجمع دليل المظلة والكبرياء والمعنى إنا أجبناه أحسن الإجابة ونصرناه على أعدائه وانتقمنا منهم بأبلغ ما يكون (وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ) ومن آمن به وأولاده (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) وهو الفرق (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) وقد نفى غيرهم قال قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان من الشرق إلى المغرب وياث وهو أبو الترك وأجوج وأجوج

(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) من الأمم هذه الكلمة وهي (سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ) يعني يسلمون عليه تسليماً ويدعون له وهو من السلام المحكي كقولك قرأت سورة أزلناها (في الْعَالَمِينَ) أي ثبت هذه التحية فيهم جميعاً ولا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والفقليين يسلمون عليه عن آخرهم (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) هلل بمجازاته بتلك التكرمة السنية بأنه كان محسناً (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) ثم هلل كونه محسناً بأنه كان عبداً مؤمناً لربك جلالة محل الإيمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ) أي الكافرين (وَلِإِنْ مِنْكُمْ لِرِشْقَةٍ لِّإِبْرَاهِيمَ) أي من شعبة نوح أي من شايبه على أصول الدين أو شايبه على التصلب في دين الله ومعايرة المكذبين وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وسبائة وأربعون سنة وما كان بينهما إلا نبيان هود وسالم (إِذْ جَاءَ رَبُّهُ) (إِذْ تَمَلَّقَ بِمَافِي الشَّيْءِ) معنى المشايمة يعني وإن من شايبه على دينه وتقواه حين جاء ربه (يَقْلِبُ سُلَيْمٍ) من الشرك أو من آفات القلوب لإبراهيم أو بمحذوف وهو اذكر ومعنى الحجى بقلبه ربه أنه أخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرِبَ الحجى مثلاً لذلك (إِذْ) بدل من الأولى (قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَفَتُفَكِّكُمُ الْإِلَهَ دُونَ اللَّهِ يُرِيدُونَ) أنفكاً مفعول له تقديره تريدون آلهة من دون الله إنفكاً وإنما قدم المفعول به على الفعل للناية وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الأمم عنده أن يكافهم بأنهم على إنفك وباطل في شركهم ويمجوز أن يكون إنفكاً مفعولاً به أي تريدون إنفكاً ثم فسر الإنفك بقوله آلهة دون الله على أنها إنفك في نفسها أو حالاً أي تريدون آلهة من دون الله أنفكين (فَمَا ظَنُّكُمْ) أي شيء ظنكم (يَرْبُّ الْعَالَمِينَ) وأنتم تعبدون غيره وما رفع بالاجتهاد والخبر ظنكم أو فظن ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يماقيكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه النعم على الحقيقة فكان حقيقاً بالعبادة (فَنَظَرُ نَظَرَةٍ فِي النُّجُومِ) أي نظر في النجوم رامياً يصره إلى السماء متفكراً في نفسه كيف يحتال أو أراهم أنه ينظر في النجوم لاعتقاده علم النجوم فأوهمهم أنه استدل بأماره على أنه يسقم (قَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) أي مشاوب للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الإسقام عليهم وكانوا يخافون المدوى ليتفرقوا عنه فمروا منه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأنعام ما فعل وقالوا علم النجوم كان حقاً ثم نسخ الاشتغال بمرفته والكذب

حرام إلا إذا مرض والذي قاله إبراهيم عليه السلام معراض من الكلام أى سأستقم أومن  
الموت فى عنقه سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء. ومات رجل فجاء فقالوا مات وهو صحيح  
قال أعرابى أصحيح من الموت فى عنقه أو أراد إلى سقيم النفس لكفركم كما يقال أنا مريض  
القلب من كذا (فَتَوَلَّوْا) فأعرضوا (عَنْهُ مُذِرِينَ) أى مولين الأدبار (فَرَاغَ إِلَىٰ عَالَمِهِمْ  
فَالِ إِلَيْهِمْ سِرًّا) فَقَالَ (أَلَا تَأْكُلُونَ) وكان عندها طعام (مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ  
وَالْجَمْعُ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ لِمَا أَنَّهُ خَاطِبُهَا خُطَابٌ مِنْ يَمُنْ) (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا) فأقبل عليهم  
مستخفيا كأنه قال فضربهم ضربا لأنراغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا  
أى ضاربا (بِالْيَمِينِ) أى ضربا شديدا بالقوة لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدّها أو بالقوة  
والمتانة أو بسبب الحلف الذى سبق منه وهو قوله تالله لا أكيدن أصنامكم (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ)  
إلى إبراهيم (يَزْفُونَ) يسرعون من الزيف وهو الإسراع. يُزفون حمزة من أزف إذا دخل فى  
الزيف إزفانا فكأنه قد رآه بعضهم يكسرها وبمضهم لم يره فأقبل من رآه مسرعا نحوه ثم  
جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه من فعل هذا بالهتاء إنه لمن الظالمين فأجابوه على سبيل  
التعريض يقولهم سمعنا فى يذكركم يقال له إبراهيم ثم قالوا بأجمعهم نحن نميدها وأنت تكسرها  
فأجابهم بقوله (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَدْعُونَ) بأيديكم (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)  
وخلق ما تملكونه من الأصنام أو ما مصدرية أى وخلق أعمالكم وهو دليلنا فى خلق الأنفال  
أى الله خالقكم وخالق أعمالكم فلم تبدون غيره (قَالُوا ابْنُوا لَهُ) أى لأجله (بُيُوتًا)  
من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فَالْقُوَّةُ فِي الْجَحِيمِ) فى النار الشديدة  
وقبل كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم (فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا) بإيقاعه فى النار (فَجَعَلْنَاهُمْ  
الْأَسْفَلِينَ) القهورين عند الإلقاء فخرج من النار (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي) إلى موضع  
أمرنى بالذهاب إليه (سَيِّدِينَ) سيرشدنى إلى ما فيه صلاحى فى دىنى ويمصمى ويوقنى.  
سيهدبنى فيهما يعقوب (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ  
الهيبة قلب فى الولد (فَبَشَّرْنَاهُ بِنُحْلٍ حَلِيمٍ) انطوت البشارة على ثلاث على أن الولد غلام  
ذكر وأنه يبلغ أوان الحلم لأن الصبي لا يوصف بالحلم وأنه يكون حليما وأى حلم أعظم من  
حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال: ستجدنى إن شاء الله من المبارين. ثم استسلم لذلك



( فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ) بلغ أن يسمى مع أبيه في أشغاله وحوائجه، ومعه لا يمتلئ يبلغ لا قضاؤه بلوغهما مما حد السعي ولا بالسعي لأن سلة الصدر لا تتقدم عليه فبقى أن يكون يانا كأنه لما قال فلما بلغ السعي أى الحد الذى يقدر فيه على السعي قبل مع من قال مع أبيه وكان إذذاك ابن ثلاث عشرة سنة ( قَالَ يَبْنِي ) حفص والباقون بكسر الياء ( إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذُبُحُكَ ) ويفتح الياء فيهما حجازى وأبو عمرو قبل له في المنام اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحى كالوحى فى البقطة وإنما لم يقل رأيت لأنه رأى مرة بعد مرة فقد قيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى ذلك من الصباح إلى الزواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرفته من الله فن ثم سمى يوم عرفة ثم رأى مثل ذلك فى الليلة الثالثة فهم بنهره فسمى اليوم يوم النحر ( فَأَنْظَرُ مَاذَا تَرَى ) من الرأى على وجه المشاورة لامن رؤية العين ولم يشاورة ليرجع إلى رايه ومشورته ولكن ليعلم أيمزع أم يصبر. تُرى على وحزة أى ماذا تصبر من رايك وتبديه ( قَالَ يَا بَنِيَّ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ) أى ما تؤمر به وقرئ به ( سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ) على الذبح روى أن النبي قال لأبيه يأتى خذ بناسيتى واجلس بين كنفى حتى لا أؤذيك إذا أصابتنى الشفرة ولا تذبحنى وأنت تنظر فى وجهى حتى أن ترحمى واجعل وجهى إلى الأرض ويروى اذبحنى وأنا ساجد واقرأ على أى السلام وإن رأيت أن ترد فيصى على أى فافعل فإنه عسى أن يكون أسهل لها ( فَلَمَّا أَسْلَمَا ) انقادا لأمر الله وخضعا وعن قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه ( وَتَلَّهِ لِحَيِّينَ ) صرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ثم وضع السكين على قفاه فاقبلب السكين ونودى يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا روى أن ذلك المكان عند الصخرة التى يمتى وجواب لما عذوف تقديره فلما أسلما وتله العجين ( وَنَدَّيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا ) أى حققت ما أمرك به فى المنام من تسليم الولد للذبح كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وهدما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بمحاوله أو الجواب قبلنا منه وناديتاه مسطوف عليه ( إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ) تمليل لتحويل ما حولهما من الفرج بعد الشدة ( إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبْتَلَى ) الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو الهنة

البينة (وَقَدْ يَنْبَغُ) هو ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذي قرب به إسماعيل منه وكان يرمي في الجنة حتى فدى به إسماعيل وعنه لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم (عَظِيمٌ) ضخم الجفنة عظيم وهي السنة في الأضاحي وروى أنه هرب من إبراهيم حينما جرد فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة في الزمى وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال إبراهيم الله أكبر والله الحمد فبق سنة وقد استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح وله أنه يلزمه ذبح شاة والأظهر أن الذبيح إسماعيل وهو قول أبي بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضي الله عنهم لقوله عليه السلام «أنا ابن الذبيحين» فأحدهما جده إسماعيل والآخر أبوه عبد الله وذلك أن عبد المطلب نفر إن بلغ بنوه عشرة أن يذبح آخر وله قربا وكان عبد الله آخرهما ففداه بمائة من الإبل ولأن قرن الكبش كانا منوطين في السكبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت في زمن الحجاج وابن الزبير وعن الأسمي أنه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أسمى ابن عزم عنك عقلك ومضى كان اسحق بمكة وإنما كان إسماعيل بمكة وهو الذي بني البيت مع أبيه والنحر بمكة وعن علي وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضي الله عنهم أنه إسحق ويدل عليه كتاب يعقوب إلى يوسف عليهما السلام من يعقوب لإسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله وإنما قيل وفديناه وإن كان الفادي إبراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدي منه لأنه الأمر بالذبح لأنه تعالى وهب له الكبش ليفتدي به وهما إشكال وهو أنه لا يخلو إما أن يكون ما أتى به إبراهيم عليه السلام من بطعه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه في حكم الذبح أم لا فإن كان في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبح يدل وإن لم يكن فما معنى قوله قد صدقت الرؤيا وإنما كان يصدقها لو صبح منه الذبح أصلا أو بدلا ولم يصح والجواب أنه عليه السلام قد بذل وسبه وفعل ما يفعل الذابح ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة أن تمض فيه وهذا لا يقدح في فعل إبراهيم وهب الله له الكبش لقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة في نفس إسماعيل بدلا منه وليس هذا بنسخ منه للحكم كما قال البعض بل ذلك الحكم كان ثابتا إلا أن المحل الذي أضيف إليه لم يحل الحكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك ابتلاء ليستقر حكم

الأمر عند المخاطب في آخر الحال على أن البتني منه في حق الولد أن يصير قريباً بنسبة الحكم إليه مكرماً بالفداء الحاصل لمرة الدخ مبتلى بالصبر والمجاهدة إلى حال المكاشفة وإنما النسخ بعد استقرار الراد بالأمر لا قبله وقد سمي فداء في الكتاب لا نصخاً (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) ولا وقف عليه لأن (سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) مفعول وتركنا (كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) ولم يقل إنا كذلك هنا كما في غيره لأنه قد سبق في هذه القصة فاستخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا) حال مقدرة من إسحق ولا بد من تقدير مضاف محذوف أى وبشرناه بوجود إسحق نبياً أى بأن يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا البشارة (مَنْ الصَّالِحِينَ) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء لأن كل نبي لابد وأن يكون من الصالحين (وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ) أى أنفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا على إبراهيم في أولاده وعلى إسحق بأن أخرجنا من صلبه ألف نبي أولهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ) مؤمن (وَوَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ) كافر (مُبِينٌ) ظاهر أو عمن إلى الناس وظالم على نفسه بتعديه من حدود الشرع وفيه تنبيه على أن الخبيث والطيب لا يجرى أمرهما على المرق والمنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبايع والمناصر وعلى أن الظلم في أعقابهما لم يعد عليهما بسبب ولا تقيصة وأن الرء إنما يعاب بسوء فعله ويماقب على ما اجتاحت يده لا على ما وجد من أصله وفرعه (وَلَقَدْ مَنَنَّا) أنمنا (عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ) بالنبوة (وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا) بنى إسرائيل (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) من النرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشهم (وَنَصَرْنَاهُمْ) أى موسى وهرون وقومهما (فَكَانُوا هُمْ أَتْلَبِينَ) على فرعون وقومه (وَكَاذِبْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ) البالغ في بياحه وهو التوراة (وَعَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) صراط أهل الإسلام وهى صراط الدين أنم الله عليهم غير المضروب عليهم ولا الضالين (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ أَرَّسَلِينَ) هو إلياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى وقيل هو إدريس النبي عليه السلام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وإن إدريس

في موضع إلياس (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ) ألا تخافون الله (أَتَدْعُونَ) أتدعون (بَقَلًا) هو علم لسنم كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعاً وله أربعة أوجه فنتوا به وعظموه حتى أخذموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بملك وهو من بلاد الشام وقيل في إلياس والخضر إلهما حيان وقيل إلياس وكل بالفياف كما وكل الخضر بالبحار، والحسن يقول قد هلك إلياس والخضر ولا تقول كما يقول الناس إلهما حيان (وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقَيْنِ) وتتركون عبادة الله الذي هو أحسن المقدرين (اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) ينصب الكل هراق غير أبي بكر وأبي عمرو على البذل من أحسن وغيرهم بالرفع على الابتداء (فَكَذَّبُوهُ فَأَبَاهُمْ لَمُخْضَرُونَ) في النار (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) من قومه (وَنَزَّكْنَا عَلَيْكَ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) أي إلياس وقومه المؤمنين كقولهم الغيبيون يسمي أبا خبيب عبد الله بن الزبير وقومه آل ياسين شأى ونافع لأن ياسين اسم أبي إلياس فأضيف إليه الآل (إِنَّا كَذَّبُكَ نَجْرَى الْمُخْضَرِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ) في الباقي (ثُمَّ دَمَرْنَا) أهلكنا (الْآخِرِينَ وَإِنَّا لَنَكُونُ) يا أهل مكة (لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْعِجِينَ) داخلين في الصباح (وَبِالنَّارِ) والوقف عليه مطلق (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) يسمي تمرن على منازلهم في متاجرهم إلى الشام ليلا ونهاراً فما فيكم عقول تمتدرون بها وإنا لم نحتج قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لأن الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين في آخر السورة فاكتمى بذلك عن ذكر كل واحد منفرداً بالسلام (وَإِنَّا يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ) الإباق: الهرب إلى حيث لا يمتدى إليه الطلب، فسمى هربه من قومه بنير إذن ربه إياهاً مجازاً (إِلَىٰ أَثْلَكِ الْمَشْجُونِ) الملوذ وكان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالستور منهم فقصده البحر وركب السفينة فوقت فقالوا ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحارون أن السفينة إذا كان فيها آبق لم تبحر فاقتروها ففترجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه في الماء فذلك قوله (فَسَاهَمَ) قمارهم مرة أو ثلاثاً بالسهم والساحمة: إلقاء السهم على جهة القرعة (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) المدحضين بالقرعة (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ) فابتلمه (وَهُوَ مُلِيمٌ)

داخل في اللامة (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) من الذّاكرين الله كثيراً بالتسبيح أو من  
 لقائلين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أو من الصّليين قبل ذلك وعن ابن  
 عباس رضي الله عنهما : كل تسبيح في القرآن فهو صلاة. ويقال إن العمل الصالح يرفع صاحبه  
 إذا عثر (الْبَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) الظاهر ليثه حياً إلى يوم البعث وعن قتاده  
 لكان بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة وقد ليث في بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين يوماً  
 وعن الشعبي التقمه ضحوة ولفظه عشية (فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ) فألقيناه بالمكان الخالي الذي  
 لا شجر فيه ولا نبات (وَهُوَ سَقِيمٌ) حليل مما ناله من التقام الحوت وروى أنه عاد يذنه  
 كبذن الصبي حين يولد (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً) أى أنبتناها فوقه مظلة له كما يلقب البيت  
 على الإنسان (مَنْ يَشْطَرِ) الجمهور على أنه القرع وفائدته أن الثياب لا يجتمع عنده وأنه  
 أسرع الأشجار نباتاً وامتداداً وارتفاعاً وقبل لرسول الله ﷺ إنك لتحب القرع قال «أجل  
 هي شجرة أخى يونس» (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ) المراد به القوم الذين بعث إليهم قبل  
 الانتقام فتكون قد مضى (أَوْ يَزِيدُونَ) في مرأى الناظر أى إذا رآها الرأى قال هي  
 مائة ألف أو أكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناه بل يزيدون قال ذلك الفراء وأبو حبيدة  
 ونقل عن ابن عباس كذلك (فَأَمْنُوا) به وبما أرسل به (فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) إلى متى  
 آجلهم (فَاسْتَفْتَيْهِمْ كَيْدَ رَبِّكَ الْكِبَاءَ وَلَهُمْ الْكَبُورُ) منطوف على مثله في أول السورة أى  
 على فاستفتهم أم أشد خلقاً وإن تباعدت بينهما المسافة. أمر رسول الله باستفتاء قريش عن  
 وجه إنكار البعث أولاً ثم ساق الكلام موسولاً بعضه ببعض ثم أمره باستفتاءهم عن وجه  
 القصة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله تعالى الإنات وأنفسهم الذكور في قولهم اللاتكة  
 بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووادم واستنكافهم من ذكرهن (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ  
 إِنَا وَهُمْ شَهِدُونَ) حاضرون تخصيص عليهم بالشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لأنهم كما  
 لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلاف الله علمه في قلوبهم ولا بإخبار صادق ولا بطريق  
 استدلال ونظر أو معناه أنهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لإفراط جهلهم كأنهم شاهدوا  
 خلقهم (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِنْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (قوله) (أَسْطَقَى  
 الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ) بفتح الهمزة للاستفهام وهو استفهام توبيخ وحذفت همزة الوصل

استفهام عنها بهزمة الاستفهام ( مَا لَكُمْ كَيْفَ تَعْبُدُونَ ) هذا الحكم الفاسد ( أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص ( أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ) حجة ترك عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله ( فَاتَّقُوا بَيْتَكُمْ ) الذى أنزل عليكم ( إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) فى دعواكم ( وَجَعَلُوا بَيْنَهُ ) بين الله ( وَبَيْنَ الْجَنَّةِ ) الملائكة لاستئثارهم ( نَسَبًا ) وهو زعمهم أنهم بناته أو قالوا إن الله زوج من الجن فولدت له الملائكة ( وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ) ولقد علمت الملائكة إن الذين قالوا هذا القول لمحضرون فى النار ( سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ) زه نفسه عن الولد والمصاحبة ( إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ) استثناء منقطع من المحضرين مناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من واو يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك وسكن المخلصون برآء من أن يصفوه به ( فَأَنْتُمْ ) يا أهل مكة ( وَمَا تَعْبُدُونَ ) ومعبودكم ( مَا أَنْتُمْ ) وهم جميعاً ( عَلَيْهِ ) على الله ( بِقَتِيلَيْنِ ) بمضلين ( إِلَّا مَنْ هُوَ ) سأل الجحيم ) بكسر اللام أى لستم تفلون أحداً إلا أصحاب النار الذين سبق فى علمه أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها يقال فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وقال الحسن فإنكم أيها القائلون بهذا القول والذى تعبدونه من الأصنام ما أنتم على عبادة الأولئنا بمضلين أحداً إلا من قدر عليه أن يصلى الجحيم أى يدخل النار وقيل ما أنتم بمضلين إلا من أوجب عليه الضلال فى السابقة وما فى ما أنتم نافية ومن فى موضع النصب بفاتنتين وقرأ الحسن سأل الجحيم بضم اللام ووجهه أن يكون جمعاً فحذفت النون للإضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هى واللام فى الجحيم ومن موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه ( وَمَا مِنْ ) أحد ( إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ) فى العباد لا يتجاوزوه فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ( وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ) نصف أقدامنا فى الصلاة أو نصف حول العرش داعين للمؤمنين ( وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ) الزهون أو الصالون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحانه الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن الشركين مقفرون عليهم فى مناسبة رب المزة وقالوا سبحانه الله فزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين

ويردوهم منه وقالوا للكفرة فإذا صبح ذلك فإنكم وألمتكم لا تقدرُونَ أن تفتنوا على الله أحدًا  
 من خلقه وتضاهوه إلا من كان من أهل النار وكيف نكون مناسين رب المزة وما نحن  
 إلا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفروا  
 خشوعاً لمظلمته ونحن الصافون أقدامنا لعبادة مسبحين معجدين كما يجب على العباد لربهم  
 وقيل هو من قول رسول الله ﷺ يميني وما من المسلمين أحد إلا له مقام معلوم يوم القيامة  
 على قدر عمله من قوله تعالى: **حَسَىٰ أَنْ يَمُنَّكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**، ثم ذكر أعمالهم وأهم الدين  
 يصطفون في الصلاة ويسبحون الله ويزهونه مما لا يجوز عليه (وَإِنْ كَانُوا لَا يَتَفَقَهُونَ) أي  
 مشركو قريش قبل مبتمه عليه السلام (لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ) أي كتاباً من  
 كتب الأولين الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل (لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُوعِينَ) لأخلصنا  
 العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءم الذكر الذي هو سيد الأذكار  
 والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب (فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَكْفُلُونَ) منبه  
 فكذبهم وما يحمل بهم من الانتقام وإن مخففة من التوبة واللام هي الفارقة وفي ذلك أنهم  
 كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره (وَلَقَدْ سَبَقَتْ  
 كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْأَرْسَلِينَ) الكلمة قوله (إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ  
 النَّالِيُونَ) وإنما سماها كلمة وهي كلات لأنها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة  
 مفردة والبراد الوعد معلوم على عدوم في مقام الحجاج وملامح القتال في الدنيا وعلوم عليهم  
 في الآخرة وعن الحسن ما قلب نبي في حرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن لم ينصروا  
 في الدنيا نصروا في القبي والماسل أن قاعدة أمرهم وأساسه والناصب منه الظفر والنصرة  
 وإن وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والمبرة للناصب (فَقُولْ عَنِّي) فأمرض  
 عنهم (حَتَّىٰ حِينٍ) إلى مدة يسيرة وهي المدة التي أمهلوا فيها أو إلى يوم بدر أو إلى فتح مكة  
 (وَأَبْصِرْهُمْ) أي أبصر ما ينالهم يومئذ (فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ) ذلك وهو للوعيد لا التبديد  
 أو انظر إليهم إذا عذبوا فسوف يصرون ما أنكروا أو أعلمهم فسوف يعلمون (أَفَبِعَدَا يَنَاقُ  
 يَسْتَعْجِلُونَ) قبل حينه (فَإِذَا نَزَلَ) العذاب (بِإِسْحَاقِهِمْ) بهنائهم (فَسَاءَ مَبَإِحُ

الْمُنْذِرِينَ) صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من أُنذروا لأن ساء وبفس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله ﷺ يوم الفتح بمكة. مثل العذاب النازل بهم بعد ما أُنذروه فأنكروه ببعض أنذر بهجومه قومه بمض نصائحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره حتى أناخ بقناهم بنشة فشن عليهم الفارة وكانت مادة مفاديرهم أن يغيروا صباحا فسميت الفارة صباحا وإن وقعت في وقت آخر (وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) وإنما هي ليكون تسلية على تسلية وتأكيذا لوقوع الميعاد إلى تأكيد وفيه قاعدة زائدة وهي إطلاق الفعلان معاً عن التقيد بالمفول وأنه يصبر وهم يصبرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف السرة وأنواع المساء وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالأخر عذاب الآخرة (سُبْحَنَ رَبُّكَ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أصيب الرب إلى المزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو المزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويموز أن يراد أنه ما من عزة لأحد إلا وهو ربها ومالكها كقوله : نزع من نشاء. (عَمَّا يَصِفُونَ) من الولد والصحابة والشريك (وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) هم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض في السورة لأن في تخصيص كل بالذكر تطويلا (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْمَالِئِينَ) على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء اشتملت السورة على ذكر ما قامه المشركون في الله ونسبوه إليه مما هو منزعه عنه وما طأه المرسلون من جهنهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فحتمها بمجوامع ذلك من تنزيه ذاته مما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قبض لهم من حسن المواعيد والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا ينفصلوا عن مضمينات كتابه الكريم ومودعات قرآنه الحميد وعن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالكيال الأدنى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحانه ربك رب المزة ما يصقون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .



﴿ سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية كوفي وتسع بصرية وست مدني ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ص) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الإمعان ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال (وَأَقْرَأْ آيَةَ الذِّكْرِ) أي ذى الشرف إنه لكلام معجز ويجوز أن يكون ص خبر مبتدأ محذوف على أنه اسم للسورة كأنه قال هذه ص أي هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذى الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بـص والقرآن ذى الذكر إنه لمعجز ثم قال (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ) تكبر من الإيمان لذلك والاعتراف بالحق (وَشِقَاقِي) خلاف لله ورسوله والتكبر في عزة وشقاق للدلالة على شدتها وتفاقمها وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كَمْ أَهْلَكْنَا) وعيد لدوى العزة والشقاق (مِنْ قَبْلِهِمْ) من قبل قومك (مَنْ قَرْنٍ) من أمة (فَتَادَوْا) فدعوا واستفتاوا حين رأوا العذاب (وَلَا تَ) هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضيتها إما الاسم أو الخبر وامتنع بروزها جميعاً وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الأخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخضت بنفى الأحيان وقوله (حِينَ مَنَاسٍ) منجاً منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناس لم وعندما أن التصب على تقدير ولات الحين حين مناس أي وليس الحين حين مناس (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ) من أن جاءهم (مُنْذِرٌ مِّمَّنْ) رسول من أنفسهم ينذرم بمعنى استبعدوا أن يكون النبي من البشر (وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجْمَلُ آيَةِ إِلَهِمَا وَحِيدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) ولم يقل وقالوا إظهاراً للفضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يحسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر الهمكون في التي إذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذباً ساحراً ويشعجوا من التوحيد وهو الحق الأبلغ

ولا يشعّبوا من الشرك وهو باطل للجلج وروى أن عمر رضى الله عنه لما أسلم فرح به المؤمنون وحشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفساً من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا أنت كبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الإسلام وجئتكم لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخى هؤلاء غرورك يسألونك السواء فلا عمل كل الليل على قومك. قال عليه السلام: ماذا يسألوننى؟ فقالوا أرفضنا وأرفض ذكر آلهتنا وندعك وإليك قال عليه السلام: أنطوفنى كلمة واحدة تملككون بها العرب وتدين لكم بها العجم. قالوا نعم وعشراً أى نطيكها وعشر كلمات منها قال قولوا لا إله إلا الله. قداموا وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً أى أصبر إن هذا لشيء عجيب أى بليغ فى العجب وقيل العجيب ما له مثل والمعجيب ما لا مثل له (وَانْطَلَقَ الْبَلَاءُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا) وانطلق أشراف قريش من مجلس أبي طالب بمد ما يكتمهم رسول الله ﷺ بالجواب المتيد قائلين بعضهم لبعض أن امشوا وأن يمشى أى لأن المنطلقين من مجلس التناول لا يدلم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيها جرى لهم فكان انطلاقهم متضمناً معنى القول (وَاصْبِرُوا عَلَىٰ) عبادة (عَالَمِيَّتِكُمْ إِنْ هَذَا) الأمر (لَشَيْءٍ لَا يُرَادُّ) أى يريد الله تعالى ويحكم بإمضاءه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر أو إن هذا الأمر لشيء من نواب العهر يراد بسا فلا انفكاك لنا منه (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا) بالنوحيد (فِي الْمَلَأَةِ الْآخِرَةِ) فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لأن التنصارى مثلته غير موحدة أو فى ملة قريش التى أدركتنا عليها آباءنا (إِنْ هَذَا) ما هذا (إِلَّا اخْتِلَافٌ) كذب اختلقه محمد من لقاء شمس (أَنْزَلَ عَلَيْهِ اللَّهُ الْكُرْ) القرآن (مِنْ بَيِّنَاتٍ) أنسكروا أن يختص بالشرف من بين أشرفهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسداً (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي) من القرآن (بَلْ لَمَّا يَدْعُوا عَذَابِ) بل لم يدعوا عذابى بمد فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ أى أنهم لا يصدقون به إلا أن يحسم العذاب فيصدقون حينئذ (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ) يعنى ما هم بمالكى خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها من شاءوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويتصرفوا بها من عهد وإنما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقفها الذى يقسمها

على ما تقتضيه حكته ثم رشح هذا المعنى فقال (أَمْ لَهُمْ ثَمَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم نهكهم بهم غاية التهكم فقال فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة (فَأَيُّ نَقْوَا فِي الْأَسْبَابِ) فليصمدوا في المارج والطرق التي يتوصل بها إلى السماء حتى يدبروا أمر العالم وملسكوت الله وينزلوا الوحي إلى من يختارون ثم وعد نبيه عليه السلام النصر عليهم بقوله (جُنْدٌ) مبتدأ (مَا) صلة مقوية للنكرة المبتدأة (هُنَالِكَ) إشارة إلى بدر ومصارعهم أو إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لئلا ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك خبر المبتدأ (مَهْزُومٌ) مكسور (مَنْ الْأَحْزَابِ) متعلق بمجدد أو مهزوم يريد ما هم إلا جند من الكفار التحزبين على رسول الله مهزوم مما قريب فلا نبال بما يقولون ولا تكثر لما به يهزون (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ) قبل أهل مكة (قَوْمُ نُوحٍ) نوحاً (وَعَادٌ) هوداً (وَفِرْعَوْنُ) موسى (ذُو الْأَوْتَادِ) قبل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب بأربعة أوتاد في يديه ورجليه (وَتَمُودُ) وهم قوم صالح صالحاً (وَقَوْمُ لُوطٍ) لوطاً (وَأَصْحَابُ لُثَيْمٍ) الفيضة شعيباً (أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ) أراد بهذه الإشارة الإلهام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب (إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ) ذكر تكذيبهم أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإيهام حيث لم يبين المكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها وبين المكذب وهم الرسل وذكر أن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأن في تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوته وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إيهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً وبلاستثنائية ثانياً وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من البالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه ثم قال (فَقَحَّ عِقَابِي) أي فوجب لئلك أن أعاقبهم حق عقابهم . هنالك وعقاب في الحالين بمقرب (وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا) وما ينتظر أهل مكة ويموز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب (إِلَّا سَيِّحَةً وَاحِدَةً) أي النفخة الأولى وهي الفزع الأكبر (مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) وبالضم حزة وعلى أي مالها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلتبي الحالب أي إذا جاء

وقها لم تستأخر هذا التقدر من الزمان وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما لها من رجوع  
 وورداد من أفق المريض إذا رجع إلى الصحة وفوق الناقة سامة يرجع الدالى ضرعها  
 يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْعًا) حفظنا من  
 الجنة لأنه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا  
 منها أو نصيبنا من العذاب الذى وعده كقوله: ويستمتعونك بالمذاب . وأصل القط التسط  
 من الشيء لأنه قطعة منه من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قطلائها قطعة من القرماس  
 (قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) فيك وسن فعلك أن نزل فبا كلفت من  
 مصابرتهم وتحمل أذاهم (وَإِذْ كُرِ عِبْدَنَا دَاوُدَ) وكرامته على الله كيف زل تلك الولة  
 اليسيرة فلقى من عتاب الله ما لقي (ذَا الْأَيْدِ) ذا القوة فى الدين وما يدل على أن الأيد القوة  
 فى الدين قوله (إِنَّهُ أَوَّابٌ) أى رجاع إلى مرضاة الله تعالى وهو تحليل لدى الأيد روى أنه  
 كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل (إِنَّا سَخَرْنَا) ذللنا  
 (الْجِبَالَ مَعَهُ) قيل كان تسخيرها أنها تسير معه إذا أراد سيرها إلى حيث يريد (يُسَبِّحُونَ)  
 فى معنى مسبحات على الحال واختار يسبحن على مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من  
 الجبال شيئاً بعد شيء وحالا بعد حال (بِالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) أى فى طرفى النهار والمشي وقت  
 العصر إلى الليل والإشراق وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضيء وهو وقت  
 الضحى وأما شروقها فطالعها قول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ابن عباس رضى الله  
 عنهما ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية (وَالطَّيْرَ مَحْمُورَةً) وسخرنا الطير مجموعة  
 من كل ناحية وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا سبح جادته الجبال بالتسبيح واجتمعت  
 إليه الطير فمسبت فذلك حشرها (كُلُّ لَهَا أَوَّابٌ) كل واحد من الجبال والطير لأجل  
 داود أى لأجل تسبيحه مسبح لأنها كانت تمسح لتسبيحه ووضع الأواب موضع المسبح لأن  
 الأواب وهو التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من مآذنه أن يكثر ذكر الله ويديم  
 تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح  
 مرجع للتسبيح (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) قوتناه قيل كان بيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف  
 رجل يحرسونه (وَدَانَيْنَهُ الْحِكْمَةَ) الزبور وهم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو

حكمة ( وَفَصَلَ الْخِطَابِ ) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل والفصل هو التمييز بين الشئيين وقيل للكلام البين فصل بمعنى الفصول كضرب الأمير وفصل الخطاب البين من الكلام المخلص الذي يقينه من مخاطب به لا يلتبس عليه وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاصل والحق والباطل وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات. وعن علي رضي الله عنه هو الحكم بالبينة على المدعي والميمين على المدعي عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل وعن الشعبي هو قوله أما بعد وهو أول من قال أما بعد فإن من تكلم في الأمر الذي له شأن يفتتح بذكر الله وتحميده فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد ( وَهَلْ أَنتُمْ نَبِؤُا الْخَقَمِ ) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأنبياء المجيبة والخصم الخصم وهو يقع على الواحد والجمع لأنه مصدر في الأصل قول خصمه خعما واتصبا ( إِذْ ) بمحذوف تقديره وهل أتاك نبأ نحاكم الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل ( تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ) تصمدوا سورة ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع والمحراب النرفة أو السجدة أو صدر المسجد ( إِذْ ) بدل من الأولى ( دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ) روى أن الله تعالى بث إليه ملكين في صورة انسانين فطلبا أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته فتعصبا الحرس فقتلوا عليه المحراب فلم يشمر إلا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لأنهم دخلوا عليه المحراب في غير يوم القضاء ولأنهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه ( قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ ) خبر مبتدأ محذوف أي نحن خصمان ( بَنَى بَيْتَهُمَا عَلَى بَعْضِ ) تمدى وعظم ( فَأَحْكُمَ بَيْنَهُمَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ ) ولا تجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق ( وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ) وأرشدنا إلى وسط الطريق وعجته والمراد عين الحق وعجته . روى أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضاً أن يزل له عن امرأته فيزوجها إذا أعجبه وكان لهم عادة في المواساة بذلك وكان الأنصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن داود عليه السلام وقتت عينه على امرأة أوريا فأحبها فصأه النزول له معها فاستحي أن يرده ففعل فزوجها وهي أم سليمان قيل له إنك مع عظم

منزلك وكثرة نساءك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة النزول  
 عنها لك بل كان الواجب عليك مقابلة هوائك وقهر نفسك والصبر على ما امتنعت به وقيل  
 خطبها أوريا ثم خطبها داود فأثره أهلها فكانت زلتة أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع  
 كثرة نساءه وما يحكى أنه بث مرة بمد مرة أوريا إلى غزوة البلقاء وأحب أن يقتل ليتزوجها  
 فلا يليق من التسمين بالصالح من أفساء المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء وقال على  
 رضى الله عنه من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين  
 وهو حد القرية على الأنبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل  
 الحق فكذب المحدث به وقال إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتصم خلافتها  
 وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها ستراً على نبيه فما ينبغي  
 إظهارها عليه فقال عمر لسأى هذا الكلام أحب إلى مما طلعت عليه الشمس والذى يدل  
 عليه المثل الذى ضربه الله بقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى الزوج المرأة أن يزل له عنها غصب  
 وإجماعات على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن  
 التأمل إذا أداه إلى الشعور بالعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمسكاً من قلبه وأعظم أثراً  
 فيه مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة (إِنَّ هَذَا أَخِي) هو يدل من هذا أو خير لأن  
 والمراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والألفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله وإن كثيراً من  
 الخلطاء (لَهُ نِسَحٌ وَتَسْمُونَ نَمِجَةً وَلِي نَمِجَةٌ وَاحِدَةٌ) ولي حفص والنمجة كناية عن  
 المرأة ولما كان هذا تصويراً للمسئلة وفرضاً لها لا بمنع أن يفرض اللائكة في أنفسهم كما  
 تقول لي أربون شاة ولك أربون غفلطانها وما لك من الأربعين أربعة ولا ربما (فَقَالَ  
 أَكْفَيْتُنِيهَا) ملكيتها وحقيقته اجملنى أكفلها كما أكفل ما تحت يدي وعن ابن عباس  
 رضى الله عنهما اجملها كفى أى نصيبى (وَعَزَّيْ) وغلبنى يقال عزه يعزه (فِي الْخِطَابِ)  
 في الخصومة أى أنه كان أقدر على الاحتجاج منى وأراد بالخطاب مخاطبة الحاج الجادل أو أراد  
 خطبت المرأة وخطبها هو فضاظنى خطاباً أى غالبنى في الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى  
 ووجه التمثيل أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نمجة واحدة وغلبيته تسع وتسعون  
 فأراد ساحبه تمة المائة فطمع في نمجة خليطه وأراد على الخروج من ملكها إليه وحاجة في

فذلك حاجة حريص على بلوغ مراده وإنما كان ذلك على وجه التحاكم إليه ليحكم بما حكم به من قوله ( قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ) حتى يكون عجوباً بحكمه وهذا جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لقل خيلته والسؤال مصدر مضاف إلى الفعول وقد ضمن معنى الإضافة فعلى تعديها كأنه قيل بإضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال والطلب وإنما ظلم الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكل نعاجي مائة فقال داود إن رمت ذلك ضربنا منك هنا وهذا وأشار إلى طرف الأنف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحداً يعرف ما وقع فيه ( وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ ) الشركاء والأصحاب ( لَيَبْئِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) السكتي منصوب وهو من الجنس والسكتي منه بعضهم ( وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ) ما للابهام وهم مبتدأ وقليل خبره ( وَظَنَّ دَاوُدُ ) أى علم وأيقن وإنما استعير له لأن الظن النابض يمازى العلم ( أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ) اجتلبناه ( فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ) رثته ( وَخَرَّ رَاكِعًا ) أى سقط على وجهه ساجداً لله وفيه دليل على أن الركوع يقوم مقام السجود في الصلاة إذا نوى لأن المراد مجرد ما يصلح تواضعاً عند هذه التلاوة والركوع في الصلاة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع في غير الصلاة ( وَأَنَابَ ) ورجع إلى الله بالتوبة وقيل إنه بقى ساجداً أربعين يوماً ليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه ولا يرقأ دمه حتى نبت الشب من دمه ولم يشرب ماء إلا وثلاثاء دمع ( فَفَرَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ) أى رثته ( وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ ) قربة ( وَحُسْنُ مَّكَابٍ ) مرجع وهو الجنة ( يَدْأُوذُ إِنَّا جَمَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ) أى استخلفناك على الملك في الأرض أو جملناك خليفة عن كان قبلك من الأنبياء القاطنين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تنير ( فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ) أى بحكم الله إذ كنت خليفة أو بالعدل ( وَلَا تَبِعِ الْهَوَىٰ ) أى هوى النفس في قضائك ( فَيُضِلَّكَ ) الهوى ( عَن سَبِيلِ اللَّهِ ) الَّذِينَ يَمُنُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ) دينه ( لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ) أى بفسادهم يوم الحساب ( وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ) من الخلق ( إِلَّا خَلْقًا مُّبِينًا ) لِحكمة

بالئة أو مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين وتقديره ذوى باطل  
أو عبثا فوضع باطلا موضعهم أى ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللبس ولكن للحق المبين  
وهو أنا خلقنا نفوساً أودعناها العقل ومنعناها التمكن وأزحنا عنها ثم عرضناها للمنايع  
العظيمة بالتكليف وأعدنا لها عاقبة جزاء على حسب أعمالهم (ذَلِكَ) إشارة إلى خلقها  
باطلا (ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) الظن بمعنى المظنون أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون  
الذين كفروا وإنما جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة مع إقرارهم بأنه خالق السموات  
والأرض وما بينهما لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله لأنه لما كان  
إنكارهم للعبث والحساب والثواب والعقاب مؤدياً إلى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم  
يظنون ذلك ويقولونه لأن الجزء هو الذى سبقت إليه الحكمة في خلق العالم فن جعده فقد  
جعد الحكمة في خلق العالم (قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) أم منقطعة ومعنى  
الاستفهام فيها الإنكار والمراد أنه لو بطل الجزء كما يقول الكفار لاستوت أحوال من  
أسلح وأفسد واتق وجبر. ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكماً (كِتَبٌ) أى هذه  
كتاب (أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) يعنى القرآن (مُبْرَكٌ) صفة أخرى (لِيَذَّبَ أَتَقَرُّ) وأسنه  
ليتدبروا فرى به ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويسملوا به وعن الحسن قد قرأ هذا  
القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضموا حدوده لتدبروا على الخطاب  
بمخف إحدى التامين يزيد (وَلِيَتَذَكَّرُوا الْأُلُوبِ) وليتمتع بالقرآن أولو العقول  
(وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِمْنًا أَلَمْبِدُ) أى سليمان وقيل داود وليس بالوجه فالخصوص بالذبح  
محذوف (إِنَّهُ أَوَّابٌ) وعمل كونه ممدوحاً بكونه أواباً أى كثير الرجوع إلى الله تعالى (إِذْ  
مُحِرَّضٌ عَلَيْهِ) على سليمان (بِالْعَمَى) بعد الظهر (الصَّفِصَتْ) الخيل القائمة على ثلاث  
قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف حافر (الْجِبَادُ) السراع جمع جواد لأنه يهود بالركض  
وصفها بالصقون لأنه لا يكون في الهجان وإنما هو في المراب وقيل وصفها بالصقون والجودة  
ليجسم لها بين الوصفين اليهوديين واقفة وجارية يعنى إذا وقعت كانت ساكنة مطمئنة في



مواقفها وإذا جرت كانت مرعاً خفافاً في جريها وقيل الجياد الطوال الأعناق من الجيد وروى أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العاقلة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فتعد يوماً بعد ما سلى الظهر على كرسيه واستمرضها فلم تزل تمرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن المصر وكانت مرضاً عليه فاعتم لما فاته فاستردها وعقرها قرباً لله فبقى مائة؛ لما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيراً منها وهي الرخ تجري بأمره (قَالَ إِنْ أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنِ ذِكْرِ رَبِّي) أي آثرت حب الخيل عن ذكر ربي كذا من الزجاج فأحببت بمعنى آثرت كقوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى وعن بمعنى على وصحى الخيل خيراً كأنها نفس الخير لتلقى الخير بها كما قال عليه السلام «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» وقال أبو علي: أحببت بمعنى جلست من إيجاب المير وهو بروكه. حب الخير أي المال مفعول به مضاف إلى المفعول (حَتَّى تَوَارَتْ) الشمس (بِالْحِجَابِ) والذي دل على أن الضمير للشمس مرور ذكر المشى ولا بد للضمير من جرى ذكر أو دليل ذكر أو الضمير للصفات أي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام (رُدُّوْهَا عَلَيَّ) أي قال للملائكة ردوا الشمس على لأصلي المصر فردت الشمس له وصلى المصر أو ردوا الصافات (فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) فجعل يمسح مسحاً أي يمسح السيف بسوقها وهي جمع ساق كدار ودور وأعناقها يعني يقطعها لأنها منعمته من الصلاة تقول مسح غلاوته إذا ضرب عنقه ومسح السفر الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه وقيل إنما فعل ذلك كفارة لها أو شكراً لرد الشمس وكانت الخيل ما كولة في شريعته فلم يكن إتلافاً وقيل مسحها بيده استحساناً لها وإعجاباً بها (وَلَقَدْ فَنَنَّا سُلَيْمَانَ) (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ سِرِيرَ مَلِكَةٍ) (جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ) رجع إلى الله قبل فن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه وفد له ابن قتال الشياطين إن عاش لم تنفك من السخرة فسيقلنا أن قتله أو تحمله فعمل ذلك سليمان عليه السلام فكان ينفذوه في السحابة خوفاً من مضرة الشياطين فأنشأ ولده ميتاً على كرسيه فتنبه على زلته في أن لم يتوكل فيه على ربه وروى عن النبي ﷺ «قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله

ظاف عليهم فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجاء به على كرسية فوضع في  
 حجره فوالذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون» وأما  
 ما بروى من حديث الخاتم والشیطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل  
 اليهود (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا) قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على  
 عادة الأنبياء عليهم السلام والصالحين في تقديم الاستغفار على السؤال (لَا يَنْبَغِي) لا يتسهل  
 ولا يكون (لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) أي دوني . وفتح الياء مدني وأبو عمرو، وإنما سأل بهذه  
 الصفة ليكون معجزة له لا حسداً وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشیاطين فلما دعا بذلك  
 سخرت له الريح والشیاطين ولن يكون معجزة حتى يغرق العادات (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ  
 فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ) الريح أبو جعفر (تَجْرِي) حال من الريح (يَأْمُرُهُ) بأمر سليمان  
 (رُحَاءً) لينة طيبة لاتزعزع وهو حال من ضمير تجرى (حَيْثُ) ظرف تجرى (أَصَابَ)  
 قصد وأراد. والعرب تقول أصاب الصواب فأخطأ الجواب (وَالشَّيْطَانِ) عطف على الريح  
 أي سخرنا له الشیاطين (كُلُّ بَهَاءٍ) بدل من الشیاطين كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية  
 (وَعَوَاصِرُ) أي وينوصون له في البحر لإخراج اللؤلؤ وهو أول من استخرج اللؤلؤ من  
 البحر والمعنى وسخرنا له كل بناء وعواصر من الشیاطين (وَأَخْرَيْنَ) عطف على كل بناء  
 داخل في حكم البذل (مُقَرَّنِينَ فِي الْأَسْفَادِ) وكان يقرن مرحلة الشیاطين بعضهم مع بعض  
 في القيود والسلاسل للتأديب والكف من الفساد. والصفحة القيدومي به المطاء لأنه ارتباط  
 للنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من يرك قد أسرك ومن جفاك قد أطلقك (هَذَا)  
 الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عَطَاؤُنَا فَاثْمُنُ) فأعط منه ما شئت من المنة وهي  
 المطاء (أَوْ أُنْسِيكَ) من المطاء وكان إنما أعطى أجراً وإن منع لم يأت بمخلاف غيره (بِخَيْرِ  
 حِسَابٍ) متعلق بمطاؤنا وقيل هو حال أي هذا عطاؤنا جما كثيراً لا يكاد يقدر على حصره  
 أو هذه التسخير عطاؤنا فاثمن على من شئت من الشیاطين بالإطلاق أو أمسك من شئت  
 منهم في الوثاق بخير حساب أي لا حساب عليك في ذلك (وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَوْثَةٌ وَحُسْنُ  
 مَنَاسِبٍ) لثاني اسم إن والخير له والمامل في عند الخبر (وَإِذْ كُرُّ عَبْدَنَا أَيُّوبَ) هو بدل  
 من عبدنا أو عطف بيان (إِذْ) بدل اشتغال منه (نَادَى رَبَّهُ) دعاه (أَنَّى مَسَّنِيَ) بأني

مسمى حكاية للكلامه الذى ناداه بسبيه ولولم يحك لقال بأنه مسه لأنه غائب ( الشَّيْطَانُ  
يَنْصُبُ ) قراءة العامة نَصُبٌ، يزيد تثقيب نُصْبٍ بِنَصْبٍ كرشد ورشد، يعقوب ينصب على  
أصل المصدر هيرة - والمعنى واحد وهو التنب والمشفقة ( وَعَذَابٍ ) يريد مرضه وما كان يقاسى  
فيه من أنواع الوصب وقيل أراد ما كان يوسوس به إليه فى مرضه من تنظيم ما نزل به من  
البلاء ويقربه على الكراهة والجزع قائلجاً إلى الله فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء  
أو بالتوفيق فى دفعه وردده بالصبر الجميل وروى أنه كان يموده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم  
فسأل عنه فقيل : أتى إليه الشيطان أن الله لا يتلى الأنبياء والصالحين وذكر فى سبب بلامه  
أنه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع أو رأى منكراً فسكت عنه أو ابتلاه الله لرفع الدرجات  
بلا زلة سبقت منه ( اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ ) حكاية ما أحيب به أيوب عليه السلام أى أرسلنا  
إليه جبريل عليه السلام فقال له اركض برجلك أى اضرب برجلك الأرض وهى أرض  
الجمالية فضربها فبغت عين فقيل ( هَذَا مُنْقَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ) أى هذا ماء تنقل به  
وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهره وقيل نبئت له عينا فاعتسل من إحداها وشرب من  
الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله تعالى ( وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ )  
قيل أحياء الله تعالى بأهليهم وزاده مثلهم ( رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِرَأْسِ الْأَوَّلِينَ )  
مفعول لهما أى الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الأبواب لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به  
عليه لصبره رغبهم فى الصبر على البلاء ( وَخُذْ ) مطوف على اركض ( بِيَدِكَ ضِغْتًا )  
حزمة صغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما بقصة من  
الشجر ( فَأَشْرَبَ بِوَيْرٍ وَلَا تَحْنُتْ ) وكان حلف فى مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ  
فحلل الله بينه بأهون شئ عليه وعليها لحسن خدمتها إياه وهذه الرخصة باقية ويجب أن  
يصيب المضروب كل واحدة من المائة والسبب فى يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة فى حاحة  
فخرج صدره وقيل باعت ذوائبها برغيفين وكاتتا متعلق أيوب عليه السلام إذا قام ( إِنَّا  
وَجَدْنَاهُ ) علمناه ( صَائِرًا ) على البلاء نعم قد شكنا إلى الله ما به واسترحه لكن الشكوى  
إلى الله لا تسمى جزعاً فقد قال يعقوب عليه السلام إنما أشكوى بئى وحزنى إلى الله على أنه  
عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم

أما لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وإرادة القوة على الطاعة قد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان (نَمْ التَّابِدُ) أيوب (إِنَّهُ أَوَّابٌ وَأَذْكَرٌ عِبَادَنَا) عبداً مكي (إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيُحْيَى) فن جمع إبراهيم ومن بعده عطف بيان على عباده ومن وحده إبراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عباده ولما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت قليل في كل عمل هذا مما حملت أيديهم وإن كان محلا لا يتأتى فيه المباشرة بالأيدي أو كان المال جنماً لا أيدي لهم وعلى هذا ورد قوله (أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ) أي أولى الأعمال الظاهرة والفكر الباطنة كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يتفكرون أفكار ذوى الباطنات في حكم الزمى الذين لا يقدرُونَ على أعمال جوارحهم والمسلوبى العقول الذين لا استبصار لهم وفيه ترميض بكل من لم يكن من محال الله ولا من السببسين في دين الله وتوبيخ على تركهم الجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منها (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ) جعلناهم لنا خالصين (بِخَالَصَةٍ) بمصلحة خالصة لا شوب فيها (ذِكْرَى الدَّارِ) ذكرى في محل النصب أو الرفع بإضمار أعيى أو هي أو الجر على البدل من خالصة والمعنى إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِذِكْرِ الدَّارِ، والدار هنا: الدار الآخرة يعنى جعلناهم لنا خالصين بأن جعلناهم يذكرون الناس الدار الآخرة ويذهبونهم في الدنيا كما هو ديدن الأنبياء عليهم السلام أو معناه أنهم يذكرون ذكر الآخرة والرجوع إلى الله وينسون ذكر الدنيا بخالصة ذكرى الدار، على الإضافة مدنى ونافع وهي من إضافة الشيء إلى ما يبينه لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى وذكرى مصدر مضاف إلى المفعول أى بإخلاصهم ذكرى الدار وقيل خالصة بمعنى خلوص فعلى مضافة إلى الفاعل أى بأن خلصت لهم ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بِهِمْ آخر إنما همهم ذكرى الدار لا غير وقيل ذكرى الدار الثناء الجليل في الدنيا وهذا شيء قد أخلصهم به فليس يذكر غيرهم في الدنيا بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلناهم لسان صدق علينا (وَلَهُمْ عِنْدَنَا لِيَمِّنُ الْمُصْطَفَيْنِ) المختارين من بين أبناء جنسهم (الْأَخْيَارِ) جمع خير أو خير على التخفيف كأموات في جمع ميت أو ميت (وَأَذْكَرٌ إِسْمَاعِيلَ وَالْإِسْحَاقَ) كان حرف التمرير دخل على يسع (وَذَا الْكِفْلِ وَكُلًّا) التنوين عوض عن المضاف إليه أى وكلهم (مِّنَ الْأَخْيَارِ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ

مَنَابٍ) أى هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبداً. إن لم مع ذلك لحسن مرجع يعنى  
 يذكرون فى الدنيا بالجميل ويرجعون فى الآخرة إلى مغفرة رب جليل ثم بين كيفية حسن ذلك  
 الرجوع فقال (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) بدل من حسن مَنَابٍ (مُفْتَحَةٌ) حال من جنات لأنها معرفة  
 لإضافتها إلى عدن وهو علم والماثل فيها ما فى الممتقين من معنى الفعل (لَهُمُ الْأَبْوَابُ)  
 ارتفاع الأبواب بأنها فاعل مفتحة والمائد محذوف أى مفتحة لهم الأبواب منها خذف كما  
 حذف فى قوله فإن الجحيم هى المأوى أى لهم أو أبوابها إلا أن الأول أجود أو هى بدل من  
 الضمير فى مفتحة وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هى الأبواب وهو من بدل الاشتغال  
 (مُتَكَيِّفِينَ) حال من المجرور فى لهم والماثل مفتحة (فِيهَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بِفَكَهْمٍ كَثِيرَةٍ  
 وَشَرَابٍ) أى وشراب كثير خذف اكتفاء بالاول (وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْعُطْرِ) أى  
 قصير طرفهن على أزواجهن (أَنْزَابٍ) لدات أسنانهن كأسنانهم لأن التحاب بين الأقران  
 أثبت كأن اللدات سمين أرباباً لأن التراب مسهن فى وقت واحد (هَذَا مَا تُوْعَدُونَ)  
 وبالياء مكى وأبو عمر (لِيَوْمِ الْحِسَابِ) أى ليوم تجزى كل نفس بما عملت (إِنَّ هَذَا  
 لَرِزْقًا مَّا لَهُ مِنْ تَفَاقٍ) من انقطاع والجلّة حال من الرزق والماثل الإشارة (هَذَا) خبر  
 والمبتدا محذوف أى الأمر هذا أو هذا كما ذكر (وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَنَابٍ) مرجع (جَهَنَّمَ)  
 بدل منه (يَصْلَوْنَهَا) يدخلونها (فَيُثْلَسَ الْمِهَادُ) شبه ما تمتمهم من النار بالمهاد الذى يفرشه  
 النائم (هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) أى هذا حميم وغساق فليذوقوه فهذا مبتدا وحميم  
 خبره وغساق بالتشديد حمة وعلى وحفص والنساق بالتشديد والتخفيف ما ينسق من صديد  
 أهل النار، يقال: غسقت العين إذا سال دمعا وقيل الحميم يمرق بمره والنساق يمرق بمره  
 (وَعَاخِرُ) أى وهذاب آخر أو مذوق آخر (مِنْ شَكْلِهِ) من مثل المذاب المذكور وأخر  
 بصرى أى ومذوقات آخر من شكل هذا المذوق فى الشدة والنظاعة (أَزْوَاجٌ) سفة لآخر  
 لأنه يجوز أن يكون ضرباً (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّسْكُمٌ) هذا جمع كثيف قد اقتحم  
 ممكّم النار أى دخل النار فى صحبتكم والاقترام: الدخول فى الشيء بشدة، والقعقة: الشدة،  
 وهذه حكاية كلام الطاعين بعضهم مع بعض أى يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا  
 معهم الضلالة فيقتحمون معهم المذاب (لَا تَرْحَبْأَ بِهِمْ) دعاء منهم على أتباعهم تقول إن

ندعو له مرحباً أى أنيت رحباً من البلاد لا ضيقاً أو رحبت بلادك رحباً ثم تدخل عليه لا فى  
 «ماء الموت» وبهم بيان المدعو عليهم (إِنَّهُمْ سَأَلُوا النَّارَ) أى داخلوها وهو تمليل لاستيحابهم  
 الدعاء عليهم وقيل هذا فوج مقتحم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى اتباعهم، ولا مرحباً بهم  
 إنهم سألوا النار كلام الرؤساء وقيل هنا كله كلام الخزنة (قَالُوا) أى الأتباع (بَلْ أَنْتُمْ  
 لَا مَرْحَبًا بِكُمْ) أى الدعاء الذى دعوتهم به علما أنهم أحق به، وعلموا ذلك بقوله (أَنْتُمْ  
 قَدْ شِمُّوهُ لَنَا) والضمير للعذاب أو لصلبهم أى انكم دعوتهمنا إليه فكفركم باتباعكم  
 (فَيَبْسُ أَقْرَابُ) أى النار (قَالُوا) أى الأتباع (رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَوَدَّ أَنْ يُضَاعَفَ)  
 أى مضاعفاً (فِي النَّارِ) وممناه ذا ضعف. ونحوه قوله ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذاباً مضاعفاً  
 وهو أن يزيد على عذابه مثله (وَقَالُوا) الضمير لرؤساء الكفرة (مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا)  
 يمتنون قراء السليين (كُنَّا نَعُدُّهُمْ) فى الدنيا (مِنَ الْأَشْرَارِ) من الأذال الذين لا خير  
 فيهم ولا جدوى (أَتَعَذَّبُهُمْ سِغَرِيًّا) بلفظ الإخبار عراق غير ماصح على أنه سفة لرجلا  
 مثل كنا نعدهم من الأشرار وبهمزة الاستفهام غيرهم على أنه إنكار على أنفسهم فى الاستسغار  
 منهم، سغرياً مدنى وحزمة وعلى وخلف والغفل (أَمْ زَاغَتْ) ماتت (عَيْنُهُمُ الْأَبْصَرُ) هو  
 متصل بقوله ما لنا أى ما لنا لا نراهم فى النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا  
 فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار  
 إلا أنه خفى عليهم مكانهم (إِنَّ ذَلِكَ) الذى حكينا عنهم (لَحَقٌّ) لصدق كائن لا محالة  
 لا بد أن يتكلموا به ثم بين ماهو قال: هو (تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) ولا شبه تناولهم وما يجرى  
 بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين سواء تخصاصاً ولأن قول الرؤساء: لا مرحباً بهم،  
 وقول أتباعهم: بل أنتم لا مرحباً بكم من باب الخصومة فسمى التناول كله تخصاصاً لاشتغالهم على ذلك  
 (قُلْ) يا محمد لمشرك مكة (إِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مُنْذِرٌ) ما أنا إلا رسول منذر أنذركم عذاب الله تعالى (وَمَا  
 مِن لَّائِلٍ إِلَّا اللَّهُ) وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله وأن تعصوا أن لا إله إلا الله  
 (الْوَحِيدُ) بلا ند ولا شريك (أَقْبَهُارُ) لكل شيء (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا)  
 له الملك والربوبية فى العالم كله (الْمُزَيَّنُ) الذى لا يظلم إنفا حاسب (الْمُنْفَرُ) لذنوب من  
 اجتبا إليه (قُلْ هُوَ) أى هذا الذى أنبأناكم به من كونى رسولا منذراً وأن الله واحد

لا شريك له (تَبَوُّوا عَظِيمًا) لا يمرض عن مثله إلا فافل شديد النقلة ثم (أَنْتُمْ هُنَا مُرْسُونَ) غافلون (مَا كَانَ لِي) حصص (مِنْ عِلْمٍ بِالسَّلَاقِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ) احتج لصحة نبوته بأن ما بنى به عن اللإ الأعلى واختصاصهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس فى علم ما لم يملوا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فلم أن ذلك لم يحصل له إلا بالوحى من الله تعالى (إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) أى لأنما أنا نذير مبين ومعناه ما يوحى إلى إلا للإنذار بحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل إليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى إلى إلا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط فى ذلك أى ما أومر إلا بهذا الأمر وحده وليس لى غير ذلك وبكسر إنما يزيد على الحكاية أى إلا هذا القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نذير مبين ولا أدمى شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والإنباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس رضى الله عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيامة والمراد باللإ الأعلى أصحاب القصة: الملائكة وآدم وإبليس لأنهم كانوا فى السماء وكان التناول بينهم وإذ يختصمون متعلق بمحذوف إذ المعنى ما كان لى من علم بكلام اللإ الأعلى وقت اختصاصهم (إِذْ قَالَ رَبُّكَ) بدل من إذ يختصمون أى فى شأن آدم حين قال تعالى على لسان ملك (لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ) وقال إني جاعن و الأرض خليفة قالوا أتعلم فيها من يفسد فيها (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) فإذا أتممت خلقته وعدته (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي) الذى خلقته وأضافه إليه تخصيصاً كبيت الله وناقة الله والمعنى أحبيته وجملك حساساً متفصلاً (فَقَمُّوا) أمر من وقع يقع أى اسقطوا على الأرض والمعنى اسجدوا (لَهُ سَجْدِينَ) قيل كان انحناء يدل على التواضع وقيل كان سجدة لله أو كان سجدة التحية (فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) كل للإحاطة واجمعوں للاجتماع فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم جميعهم فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات (إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ) تعظم عن السجود (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) وصار من الكافرين بإباء الأمر (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ) ما منعك عن السجود (لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي) أى بلا واسطة امتثالاً لأمرى وإعظماً لخطابى وقد مر أن ذا الدين يباشر أكثر أعماله بيده فنقلب العمل باليدى على سائر الأعمال التى تباشر بغيرها حتى قيل فى عمل القلب هو ما عملته

يداك وحتى قيل لئن لا يدين له يداك أو كنا وفوك نفخ . وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما  
 حملته وهذا مما حملته يداك ومنه قوله مما حملت أيدينا ولما خلقت يدي (أَسْتَكْبَرْتُ) استفهام  
 إنكار (أَمْ كُنْتُ مِنَ الْمَكِينِ) ممن علوت وقت وقيل أستكبرت الآن أم لم تزل مذ كنت  
 من المستكبرين (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) يعنى لو كان مخلوقاً  
 من نار لما سجدت له لأنه مخلوق مثل فكيف أسجد لمن هو دونى لأنه من طين والنار تغلب  
 الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهى خلقتنى من نار مجرى المعلوم عطف  
 البيان والإيضاح (قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا) من الجنة أو من السموات أو من الخلقة التى أنت  
 فيها لأنه كان يفترخ بمخلقه فغير الله خلقة واسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان  
 حسناً وأظلم بعد ما كان نورانياً (فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) مرجوم أى مطرود تكبر إبليس أن يسجد  
 لمن خلق من طين وزل عنه أن الله أمر به ملائكته وأتبعوا أمره إجلالاً لخطابه وتعليلاً لأمره  
 فصار مرجوماً ملموناً بترك أمره (وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي) بفتح الباء مدنى أى إيمادى من  
 كل الخير (إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) أى يوم الجزاء ولا يظن أن لعنته غايتها يوم الدين ثم  
 تنقطع لأن معناه أن عليه اللعنة فى الدنيا وحدها فإذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب  
 فينقطع الانفرد أو لما كان عليه اللعنة فى أوان الرحمة فأولى أن تكون عليه فى غير أوانها  
 وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي)  
 فأمهلى (إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) الوقت  
 المعلوم الوقت الذى تقع فيه النفخة الأولى ويومه اليوم الذى وقت النفخة جزء من  
 أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر (قَالَ فِيمَنْ لَكَ لِأَعْيُنِهِمْ  
 جَمِيعٌ) أى أقسم بعمرة الله وهى سلطانه وقهره (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) وبكسر  
 اللام مكى وبصرى وشامى (قَالَ فَالْحَقُّ) بالرفع كوفى غير على على الابتداء أى الحق قسمى  
 أو على الخبر أى أنا الحق وغيرهم بالنصب على أنه مقسم به كقولك الله لأفعلن كذا يعنى حذف  
 عنه الباء فانتصب وجوابه لأملأن (وَالْحَقُّ أَقُولُ) اعتراض بين القسم والقسم عليه وهو  
 منسوب بأقول ومعناه ولا أقول إلا الحق والمراد بالحق إما اسمه عز وجل الذى فى قوله  
 إنا الله هو الحق أو الحق الذى هو قبيض الباطل عظمه الله بإقسامه به (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ)



من جنسك وم الشياطين (وَمِنْ نَسَبِكَ مِنْهُمْ) من ذرية آدم (أَجْمَعِينَ) أى لأملان  
 جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحداً (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ  
 أَجْرٍ) الضمير للقرآن أو للوحي (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) من الذين يتصنعون ويشعرون  
 بما ليسوا من أهله وما عرفتموني قط متصنعاً ولا مدعياً بما ليس عندي حتى أتتكم النبوة  
 وأتقوا القرآن (إِنْ هُوَ) ما القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) من الله (لِلْعَالَمِينَ) للعالمين أوحى إلى  
 فأنابا بلنه. وعن رسول الله ﷺ «المتكلف ثلاث علامات يتنازع من فوقه ويتماطى ما لا ينال  
 ويقول ما لا يعلم» (وَلَتَمْلَكُنَّ نَبَاَهُ) نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد وذكر البعث  
 والنشور (بَعْدَ حِينٍ) بعد الموت أو يوم بدر أو يوم القيامة ختم السورة بالذكر كما افتتحها  
 بالذكر والله الموفق .

### ﴿ سورة الزمر مكية وهى خمس وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) أى القرآن مبتداً خبره (مِنْ اللَّهِ) أى نزل من الله أو خبر مبتدأ  
 محذوف والجار صلة التanzil أو غير صلة بل هو خبر بمد خبر أو خبر مبتدأ محذوف تقديره  
 هذا تنزيل الكتاب هذا من الله (الْمَزِينِ) فى سلطانه (الْحَكِيمِ) فى تديره (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ  
 إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) هذا ليس بتكرار لأن الأول كالمقنوان للكتاب والثانى لبيان ما فى  
 الكتاب (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً) حال (لَهُ الدِّينَ) أى محضاً له الدين من الشرك والربا  
 بالتوحيد وتصفية السر فالدين منصوب بمخلصاً وقرىء الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ  
 مخلصاً (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) أى هو الذى وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من  
 كل شائبة كدور لإطلاعه على النيوب والأمصار وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله  
 إلا الله وعن الحسن الإسلام (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) أى آلهة وهو مبتدأ  
 محذوف الخبر تقديره والذين عبدوا الأصنام يقولون (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ  
 زُلْفَى) مصدر أى تقريباً (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) بين المسلمين والشركين (فِي مَا هُمْ

(٤ - نسق - رابع)

فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) قيل : كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض قالوا الله ، فإذا قالوا لهم فما لكم تمبدون الأنعام قالوا ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين ( إِنْ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ) أى لا يهدى من هو فى علمه أنه يختار الكفر يعنى لا يوفقه للهدى ولا يمينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله ، وكذبهم قولهم فى بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ، ولذا عقبه محبجا عليهم بقوله ( لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَسْطَفَىٰ إِنَّمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ) أى لو جاز اتخاذ الولد على ما تظنون لاختار مما يخلق ما يشاء لا ما تختارون أنتم وتشاهدون ( سُبْحَنَهُ ) زه ذاته عن أن يكون له أخذ ما نسبوا إليه من الأولياء والأولاد ، ودل على ذلك بقوله ( هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ) يعنى أنه واحد متبرى عن انضمام الأعداد متعال عن التجزؤ والولاد قهار غلاب لكل شيء ومن الأشياء آلهنهم فأنى يكون له أولياء وشركاء ، ثم دل بخلق السموات والأرض وتكوير كل واحد من المولىين على الآخر وتسخير النيرين وجسمهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغال بقله ( خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ الطَّيْلَ عَلَى الطَّيَارِ وَيُكْوِّرُ الطَّيَارَ عَلَى الطَّيْلِ ) والتكوير الكف والى يقال : كافر الممامة على رأسه وكورها ، والمعنى أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه ، فشبه فى تغييبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه من مطامح الأبصار أو أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا ، فشبه ذلك بتتابع أكوار الممامة بعضها على أثر بعض ( وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ) أى يوم القيامة ( أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ ) الغالب القادر على عقاب من لم يستبرئ بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرها ( الْفَقْرُ ) لن فكر واعتبر قائم بمديرها ( خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) أى آدم عليه السلام ( ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْهَا زَوْجَانِ ) أى حواء من قصيراه قيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالنمر ثم خلق بعد ذلك حواء ( وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ) أى جعل من الحسن أو خلقها فى الجنة مع آدم عليه السلام ثم أنزلها أولانها لا تميش إلا بالانبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكانه أنزلها ( مُدْنِيَةً ) أنزوح ( ذَكَرُوا أَنَّى مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْعِزَّانِ وَالْمَزَّكِينِ فى سورة الأنعام ، والزواج اسم

لهم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو فرد ووتر (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم إلى تمام الخلق (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) ظلمة البطن والرحم والشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم (ذَٰلِكُمْ) الذي هذه مفعولاته هو (اللَّهُ رِيضُكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ) فكيف تبدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره ثم بين أنه غنى عنهم بقوله (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ) عن إيمانكم وأنتم محتاجون إليه لتضرركم بالكفر وانتفاعكم بالإيمان (وَلَا يَرْضَىٰ لِمِبَادِيهِ الْكَفَرُ) لأن الكفر ليس رضا الله تعالى وإن كان يوادته (وَإِنْ تَشْكُرُوا) فتؤمنوا (يَرْضَهُ لَكُمْ) أي يرضى الشكر لكم لأنه سبب فوزكم فيبيحكم عليه الجنة يرضه بضم الهاء والإشباع مكى وعلى يرضه بضم الهاء بدون الإشباع نافع وهشام وحاصم غير يحيى وحامد وغيرهم يرضه (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) أي لا يؤاخذ أحد بذنب آخر (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ) إلى جزاء ربكم رجوعكم (فَيُبَيِّنُكُمْ لِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فيخيركم بأعمالكم ويميزكم عليها (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بغميات القلوب (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ) هو أبو جهم لوكل كافر (ضُرٌّ) بلاء وشدة والمس في الأعراض مجاز (دَعَا رَبَّهُ أَنِ يُبَيِّنْهُ) راجعاً إلى الله بالدعاء لا يدعو غيره (ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ) أعطاه (رِزْقًا مِّنْهُ) من الله عز وجل (نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ) أي نسي ربه الذي كان يتضرع إليه وما يجمع من كفو له وما خلق الذكر والأنثى أو نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه (وَجَمَلَ لَهُ أُنْدَادًا) أمثالاً (لِّيُضِلَّ) ليضل مكى وأبو عمرو ويقوب (عَنِ سَبِيلِهِ) أي الإسلام (قُلْ) يا محمد (تَمَتَّعْ) أصرتهدب (بِكُفْرِكَ قَلِيلًا) أي في الدنيا (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) من أهلها (أَمِنْ) قرأ بالتخفيف مكى ونافع وحزمة على ادخال همزة الاستفهام هل من وبالتشديد غيرهم على إدخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره آمن (هُوَ قَتِيلٌ) كغيره أي آمن هو مطيع كمن هو عاصي والقانت المطيع لله وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله، وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (إِنَاءً لِّلْإِيلِ) ساعاته (سَاحِدًا وَقَائِمًا) حالان من الضمير في قالت (يَجْذَرُ الْآخِرَةَ) أي عذاب الآخرة (وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ) أي الجنة، ودلت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف

والرجاء يرجو رحمة لاعمه ويحذر عقابه لتقصيره في عمله ثم الرجاء إذا جاوز حده يكون أمناً والخوف إذا جاوز حده يكون إياساً وقد قال الله تعالى فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وقال إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، فيجب أن لا يمازج أحدهما (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ) أي يملكون ويعملون به كأنه جعل من لا يملك غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون الملوذ ثم لا يقتنون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القاتنين هم الملاء أو أريد به التشبيه أي كما لا يستوى العالم والجاهل كذلك لا يستوى الطيع والماسي (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) جمع لب أي إنما يتعظ بوعظ الله أو لو العقول (قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا) بلا ياء عند الأكثر (اتَّقُوا رَبَّكُمْ) بامتثال أو امره واجتناب نواحيه (لَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) أي أطاعوا الله في الدنيا وفي يمتلئ بأحسنوا لا بحسنة ، معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلمهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة أي حسنة لا توصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والمافية ومعنى (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ) أي لا عذر للمفرطين في الإحسان البتة حتى إن احتلوا بأنهم لا يتمكنون في أوطانهم من التوفر على الإحسان قبل لهم فإن أرض الله واسعة وبلاذه كثيرة ، فتحولوا إلى بلاد آخر . واقتصدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحساناً إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع النفس واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير (أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) من ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى إليه حساب الحساب ولا يعرف . وهو حال من الأجر أي موفراً (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ) (بأن أعبد الله) (مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) أي أمرت بإخلاص الدين (وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أي مقدمهم وسابقتهم في الدنيا والآخرة والمعنى أن الإخلاص له السبق في الدين فمن أخلص كان سابقاً ، فالأول أمر بالمعادة مع الإخلاص والثاني بالسبق فلاختلاف جهتهما نزلاً منزلة المختلفين ، فصح عطف أحدهما على الآخر (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) لمن دعاك بالرجوع إلى دين آبائك وذلك أن كفار قريش قالوا له عليه السلام : ألا تنظر إلى أيك وجدك

وسادات قومك يبدون اللات والعزى فنزلت ردا عليهم (قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ خُلَصًا لَهُ دِينِي) وهذه الآية إخبار بأنه يخص الله وحده بعبادته خلصاً له دينه دون غيره والأولى إخبار بأنه مأمور بالمعبادة والإخلاص فالكلام أولاً واقع في نفس الفعل وإثباته وثانياً فيما يفمل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ) وهذا أمر تهديد وقيل له عليه السلام : إن خالفت دين آباءك فقد خسرت فنزلت (قُلْ إِنْ الْخَاسِرِينَ) أى الكاملين في الخسران الجامعين لوجوه وأسبابه (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) ياهلاكها في النار (وَأَهْلِيهِمْ) أى وخسروا أهلهم (يَوْمَ الْقِيَمَةِ) لأنهم أضلوا فصاروا إلى النار ، ولقد وصف خسارتهم بنهاية القضاة في قوله : (أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْأَثِيمُ) حيث صدر الجملة بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونفثه بالبين ، وذلك لأنهم استبدلوا بالجنة ناراً وبالدرجات دركات (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ) أطباق (مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) أطباق من النار وهى ظلل لآخرين أى النار عيطة بهم (ذَلِكَ) الذى وصف من العذاب أو ذلك الظلل (يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ) ليؤمنوا به ويمتنعوا مناهيه (بِمِيعَادٍ فَاتَقُونَ) ولا تترسوا لما يوجب سخطي خوفاً بالنار ثم حذرهم نفسه (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ) الشياطين فملوت من الطغيان كاللكوت والرحوت إلا أن فيها قلباً بتقديم اللام على المين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت مصدراً ، وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحوت الرحمة الواسعة واللكوت الملك البسوط والقلب وهو للاختصاص ، إذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت (أَنْ يَسْتَبْدُوا) بدل الاشتغال من الطاغوت أى عبادتها (وَأَنَابُوا) رجعوا (إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى) هى البشارة بالثواب تتلقاها الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون (فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) هم الذين اجتنبوا وأنابوا وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير أراد أن يكونوا شاذاً في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل ، فإذا افترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذا الباح والندب حراما على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثواباً ، أو يستمعون

القرآن وغيره فيقيمون القرآن أو يستمعون أوامر الله فيقيمون أحسنها نحو القصاص والعبود ونحو ذلك أو يستمعون الحديث مع القوم فيه عاصين ومساو فيحدث بأحسن ماسمع ويكف عما سواه (أَوْ لَيْتَكَ الَّذِينَ هَدَيْهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ) أى المتنفذون بقولهم (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ) أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب أى وجب أفأنت تنقذه جملة شرطية دخلت عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التى فى أولها للمطف على محذوف تقديره أنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هى الأولى كررت لتوكيد معنى الانكار ووضع من فى النار موضع الضمير أى تنقذه فالآية على هذا جملة واحدة أو معناه أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه أفأنت تنقذه أى لا يقدر أحد أن ينقذ من أضله الله وسبق فى علمه أنه من أهل النار (لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقَهَا غُرَفٌ) أى لهم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها يعنى للكفار ظلل من النار وللمتقين غرف (مُتَّيِّنَةً تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أى من تحت منازلها (وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْوَعْدَ) وعد الله مصدر مؤكد ، لأن قوله لهم غرف فى معنى وعدم الله ذلك (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) يعنى المطر وقيل كل ماء فى الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصغرة ثم يقسمه الله (فَسَلَكَهُ) فأدخله (يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ) هيوناً ومسالك وبحارى كالمرورق فى الأجساد وينابيع نصب على الحال أو على الظرف وفى الأرض صفة لينايع (ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ) بالماء (زُرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وياض أو أسنانه من بر وشمير ومشم وغير ذلك (ثُمَّ يَهْبِجُ) يهيف (فَرَأَاهُ مُصْفَرًّا) بعد نضارته وحسنه (ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا) فتاتاً متكسراً ، فالخطام ما تفتت وتكسر من الثبت وغيره (إِنْ فِي ذَلِكَ) فى إزال الماء وإخراج الزرع (لَذِكْرٌ لِّلْأُولِي الْأَلْبَابِ) لتذكيراً وتنبها على أنه لا بد من صنائع حكم ، وأن ذلك كائن عن تقدير وتدير لا عن إعمال وتمطيل (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ) أى وسع صدره (لِلْإِسْلَامِ) فاعتدى ، وسئل رسول الله ﷺ عن الشرح فقال : إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قبل : فهل لذلك من علامة ؟ قال نعم الانابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار النور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (فَهُوَ عَلَى

نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) بيان وبصيرة والمضى أفن شرح الله صدره فاهتدى كن طبع على قلبه فقسا قلبه  
 خُذَفَ لَأَن قَوْلَهُ (فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) يدل عليه (مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ) أى من ترك ذكر الله  
 أو من أجل ذكر الله أى إذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قسوة كقوله فزادتهم  
 رجساً إلى رجسهم (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) غواية ظاهرة (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ)  
 فى إيفاع اسم الله مبتداً وبناء نزل عليه تفخيم لأحسن الحديث (كِتَابًا) يدل من أحسن الحديث  
 أحوال منه (مُتَشَبِّهًا) يشبه بعضه بعضاً فى الصدق والبيان والوعظ والحكمة والإعجاز  
 وغير ذلك (مُتَّفَاكِرٍ) نعت كتاباً جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما نفى من قصصه وأنبأه  
 وأحكامه وأوامره ونواهيهِ ووعده ووعيدهِ ومواعظه فهو بيان لكونه متشابهاً لأن القصص  
 المكررة وغيرها لا تكون إلا متشابهة وقيل لأنه يثنى فى التلاوة فلا يعمل وإنما جاز وصف  
 الواحد بالجمع لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هى جملته ألا تراك حول  
 القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات فكذلك قول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات  
 أو منصوب على التميز من متشابهها كما تقول رأيت رجلاً حسناً هائل والمضى متشابهة مثنائهِ  
 (تَقْشَرُهُ) تضطرب وتتحرك (مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) يقال اقشمر الجلد إذا  
 تقبض تقبضاً شديداً والمضى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أسابهم خشية تقشمر منها  
 جلودهم وفى الحديث إذا اقشمر جلد المؤمن من خشية الله تحسنت عنه ذنوبه كما تحسنت من  
 الشجرة اليابسة ورقها (ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) أى إذا ذكرت آيات  
 الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشمرية. وعدى إلى تضمنه  
 معنى فعل متمد إلى كأنه قيل اطمانت إلى ذكر الله لينة غير متبسة واتصرت على ذكر الله  
 من غير ذكر الرحمة لأن رحمته سبقت غضبه فلا سالة رحمته إذا ذكر الله لم يخطر بالبال  
 إلا كونه رهوفاً رحماً وذكرت الجلود وحدها أولاً ثم قرنت بها القلوب ثانياً لأن عمل الخشية  
 القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب (ذَلِكَ) إشارة إلى الكتاب وهو (هُدًى اللَّهُ  
 يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ) من عباده وهو من علم منهم اختيار الاهتداء (وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ)  
 ينجح الضلالة فيه (فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) إلى الحق (أَفَمَنْ يَتَّبِعِ يَوْجِيهَ سُوءِ الْمَذَابِ يَوْمَ  
 النَّيِّمَةِ) كمن آمن من المذاب خذف الخبر كما حذف فى نظائره وسوء المذاب شدته ومعناه

أن الإنسان إذا لقي مخوفاً من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقي بها وجهه لأنه أحرز أعضائه عليه والذي يلقي في النار يلقي مفلولة يده إلى عنقه فلا يتهيأ له أن يلقى النار إلا بوجهه الذي كان يلقى المخاوف بشيره وقاية له وحمالة عليه (وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ) أى تقول لهم خزنة النار (ذُوقُوا) وبال (مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) أى كسبكم (كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من قبل قريش (فَأَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) من الجهة التي لا يحسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بينما آمنون إذ فوجئوا من مآثمهم (فَأَذَاهُمْ اللَّهُ الْخِزْيَ) الذل والصغار كالسلخ والحسف والقتل والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَابَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ) من عذاب الدنيا (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) لأنوا (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) ليتنظروا (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) حال مؤكدة كما تقول جاءني زيد رجلاً صالحاً وإنساناً عافلاً فتذكر رجلاً أو إنساناً توكيداً أو نصب على المدح (غَيْرِ ذِي عَرَجٍ) مستقيماً بريئاً من التناقض والاختلاف ولم يقل مستقيماً للإشعار بأن لا يكون فيه عوج قط وقيل المراد بالعوج الشك (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الكفر (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا) بدل (فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّكُونَ) متنازعون ومختلفون (وَرَجُلًا سَلَمًا) مصدر سلم والمعنى ذا سلامة (لَرَجُلٍ) أى ذا خلوص له من الشرك. سالماً مكي وأبو عمرو أى خالصاً له (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) صفة وهو تمييز والمعنى هل تستوى صفاتها وحالاتها وإنما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين (الْحَمْدُ لِلَّهِ) الذي لا إله إلا هو (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فيشركون به غيره. مثل الكافر ومعبوده بعيد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف وكل واحد منهم يدعى أنه عبده فهم يتجادون ويتناورونه في من شقى وهو متحير لا يدري أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته ومن يطلب رزقه ومن يلتمس رفقته فهمه شعاع وقلبه أوزاع والمؤمن بعيد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع (إِنَّكَ مَيِّتٌ) أى ستموت (وَأَنَّهُمْ مَيِّتُونَ) وبالتخفيف من حل به الموت قال الخليل أنشد أبو عمرو :

وتسألني تفسير ميت وميت      فدونك قد فسرت إن كنت تعقل  
فن كان ذا روح فذلك ميت      وما الميت إلا من إلى القبر يحمل



كانوا يترصدون رسول الله ﷺ موته فأخبر أن الموت بهمهم فلا معنى للترصد وشهادة  
 للفاني بالفاني ، ومن قتادة نعى إلى نبيه نفسه ونهى إليكم أنفسكم أى إنك وإياهم فى عداد  
 الموتى لأن ما هو كائن فكان قد كان ( ثُمَّ إِنَّكُمْ ) أى إنك وإياهم فقلب ضمير المخاطب  
 على ضمير الغيب ( يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت  
 فكذبوا واجتهدت فى الدعوة فلتجوا فى العناد ويمتنون بما لا طائل تحتة تقول الأتباع  
 أعلما ساداتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون قال الصحابة  
 رضى الله عنهم أجمعين ما خصومتنا ونحن إخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه  
 خصومتنا وعن أبى المالية نزلت فى أهل القبلة وذلك فى السماء والمظالم التى بينهم والوجه هو  
 الأول ألا ترى إلى قوله ( فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ ) وقوله الذى جاء بالصدق  
 وصدق به وما هو إلا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة . كذب على الله افترى عليه  
 بإضافة الولد والشريك إليه ( وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ ) بالأمر الذى هو الصدق بعينه وهو مجابهة  
 محمد ﷺ ( إِذْ جَاءَهُ ) فاجأه بالكذب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية أو اهتمام  
 بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون ( أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ )  
 أى لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام فى الكافرين إشارة إليهم ( وَالَّذِى  
 جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ) هو رسول الله ﷺ جاء بالحق وأمن به وأراد به إياه ومن  
 تبعه كما أراد بعوسى إياه وقومه فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لمعلم يهتدون فلذا قال  
 تعالى ( أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ) وقال الزجاج روى عن على رضى الله عنه أنه قال والذى جاء  
 بالصدق محمد رسول الله ﷺ والذى صدق به أبو بكر الصديق رضى الله عنه وروى أن الذى  
 جاء بالصدق محمد رسول الله ﷺ والذى صدق به المؤمنون والكل صحيح كذا قاله قالوا والوجه  
 فى البرية أن يكون جاء وصدق لفاعل واحد لأن التنابر يستدعى إظهار الذى وذا غير جاز  
 أو إظهار الفاعل من غير هدم الذكر وذا بعيد ( لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ  
 الْمُحْسِنِينَ ) يُكْفَرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأُ الَّذِى عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِى كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ ( إضافة أسوأ وأحسن من إضافة الشيء إلى ما هو بضه من غير تفضيل كقولك  
 الأشجع عدل بنى مروان ( أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ ) أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفى فأفيد معنى

إثبات الكفاية وتقريرها (عَبْدُهُ) أى عَمْدًا عَمْدًا . عباده حمزة وعلى أى الأنبياء والمؤمنين وهو مثل إنا كفيلاك المستهزئين (وَيَخَوْفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) أى بالأوثان التى اتخذوها آلهة من دونه ، وذلك أن قريشاً قالت لرسول الله ﷺ إنا نخاف أن تحبلك أمتنا وإنا نخشى عليك مضرتها لبيك إياها (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ) بنقاب متعصب (ذِي انْتِقَامٍ) ينتقم من أعدائه ، وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرم عليهم ، ثم أهلك بأنهم مع عبادتهم الأوثان مقرون بأن الله تعالى خلق السموات والأرض بقوله (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَعُولُنَّ) اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) بفتح الباء سوى حمزة (بِضْرٍ) مرض أو فقر أو غير ذلك (هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) دافعات شدته حتى (أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ) رحمة أو غنى أو نحوها (هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ) كاشفات ضره ، ومحسكات رحمته بالتحويل على الأسل بصرى ، وفرض السئلة فى نفسه دونهم لأنهم خوفوه مرة الأوثان وتحبيلها فأمر بأن يقرروا أولاً بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فإن أرادنى خالق العالم الذى أقررت به بضر أو برحمة هل يقدرون على خلاف ذلك ، فلما ألجمهم قال الله تعالى : (قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ) كافياً لمرة أو ثمانسكم (عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) يروى أن النبى ﷺ سألهم فسكتوا فنزل قل حسبى الله ، وإنما قال كاشفات ومحسكات على التأنيت بمد قوله ويخوفونك بالذين من دونه لأنهم إناث وهن اللات والعزى ومناة ، وفيه تهكم بهم وبعبوديتهم (قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) على حالكم التى أنتم عليها وجهتكم من العداوة التى تمسكنم منها ، والسكاة بمعنى المكان فاستعيرت من المين للمعنى كما يستمار هنا وحيث للزمان وحال المكان (إِنِّي عَمِلْتُ) أى على مكائتي وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والإيذان بأن حالته ترداد كل يوم قوة لأن الله تعالى نصره ومعينه لا ترى إلى قوله : (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) كيف توعدهم بكونه منصوراً عليهم غالباً عليهم فى الدنيا والآخرة لأنهم إذا أتاهم الخزي والمذاب فذاك عزه وغلبته من حيث إن الغلبة تم له بمنزلة من أوليائه وبذل دليل من أعدائه ، ويخزيه سفة للمذاب كقيم أى

عذاب غزله وهو يوم بدر ، وعذاب دائم وهو عذاب النار . مكاناتكم أبو بكر وحماد ( إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ) القرآن ( لِلنَّاسِ ) لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه ليشرروا وينفروا فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة على المعصية ( بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ) فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ( وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ) ومن اختار الضلالة فقد ضرها ( وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ) بحفيظ ثم أخبر بأنه الحفيظ القدير عليهم بقوله ( اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ) الأنفس الجلل كما هي وتوفيها إمامتها وهو أن يسلب ما هي به حية حساسة دراكة ( وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ) وتوفي الأنفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين تمام تشبيه النائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا يصنفون كما أن الموتى كذلك ، ومنه قوله تعالى : وهو الذى يتوفاكم بالليل ( فَيُصَوِّغُ ) الأنفس ( الَّتِي قَضَىٰ ) قضى حزة وعلى ( عَلَيْهَا الْمَوْتَ ) الحقيقى أى لا يردّها فى وقتها حية ( وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ ) النائمة ( إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) إلى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الأنفس أى يستوفىها ويقبضها وهى الأنفس التى تكون معها الحياة والحركة . ويتوفى الأنفس التى لم تمت فى منامها وهى أنفس التمييز قالوا فالتى تتوفى فى المنام هى نفس التمييز لا نفس الحياة لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ، ولكل إنسان نفسان إحداها نفس الحياة وهى التى تفارق عند الموت ، والأخرى نفس التمييز وهى التى تفارقه إذا نام ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس ، فالنفس هى التى بها العقل والتمييز والروح هى التى بها النفس والتحرك ، فإذا نام المبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه ، وعن على رضى الله عنه قال : تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة ، وعنه ما رأت نفس النائم فى السماء فعلى الرؤيا الصادقة وما رأت بعد الإرسال فيلقنها الشيطان فعلى كاذبة ، ومن سمع بن جبير أن أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقى فى المنام فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف ، فيمسك التى قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها ، وروى أن أرواح المؤمنين تخرج عند النوم فى السماء فمن كان منهم طاهراً أذن له فى السجود ومن لم يكن منهم طاهراً لم يؤذن له فيه ( إِنَّ فِي ذَلِكَ ) إن فى توفى الأنفس مائدة

وَنَائِمَةٌ وَإِسْمَاكُهَا وَإِلْسَالُهَا إِلَى أَجَلٍ (لَا يَنْتَرِ) عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يَحْيَاوْنَ فِيهِ أُنْكَارُهُمْ وَيَعْتَبِرُونَ (أَمِ اتَّخَذُوا) بَلِ اتَّخَذَ قَرِيضَ وَالْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ (مِنْ دُونِ اللَّهِ) مِنْ دُونِ إِذْنِهِ (شُفَعَاءَ) حِينَ قَالُوا هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَا يُشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ (قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَقُولُونَ) مَتَاهُ أَشْفَعُونَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا قَطُّ وَلَا عَقْلَ لَهُمْ (قُلْ لِلَّهِ الشُّفَعَةُ جَمِيعًا) أَيْ هُوَ مَالِكُهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ شَفَاعَةً إِلَّا بِإِذْنِهِ وَاتَّعَصَبَ جَمِيعًا عَلَى الْحَالِ (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) تَقَرَّرَ قَوْلُهُ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ لَهُ الْمُلْكُ كُلُّهُ وَالشَّفَاعَةُ مِنَ الْمُلْكِ كَانَتْ مَالِكًا لَهَا (ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ) مُتَّصِلٌ بِمَا يَلِيهِ مَتَاهُ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْيَوْمَ ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا يَكُونُ الْمُلْكُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا لَهُ فَلَهُ مُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ) مدارُ الْمَعْنَى عَلَى قَوْلِهِ وَحْدَهُ أَيْ إِذَا أَفْرَدَ اللَّهُ بِالذِّكْرِ وَلَمْ تَذْكُرْ مَعَهُ آلِهَتُهُمْ (أَشْمَازَتْ) أَيْ نَفَرَتْ وَانْقَبَضَتْ (قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ (بَعْنَى آلِهِمْ) ذَكَرَ اللَّهُ مَعَهُمْ أَوْ لَمْ يَذْكُرْ (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) لِقَائِهِمْ بِهَا ، وَإِذَا قِيلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ نَفَرُوا لِأَنَّهُ فِيهِ نَفْيًا لآلِهِمْ ، وَلَقَدْ تَهَابَ الْإِسْتِشَارَ وَالْإِشْتِرَازَ إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا غَايَةٌ فِي بَابِهِ ، فَالْإِسْتِشَارَ أَنْ يَمْتَلِئَ قَلْبُهُ سُرُورًا حَتَّى تَنْتَبِطَ لَهُ بَشْرَةٌ وَجْهِهِ وَيَهْتَلِلَ ، وَالْإِشْتِرَازَ أَنْ يَمْتَلِئَ غَمًّا وَغَيْظًا حَتَّى يَظْهَرَ الْإِنْقِبَاضُ فِي أَدِيمِ وَجْهِهِ ، وَالْمَامِلُ فِي إِذَا ذَكَرَ هُوَ الْعَامِلُ إِذَا الْمَفَاجَأَةُ تَهْدِيرُهُ وَقَدْ ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ فَاجْتَوَا وَقْتُ الْإِسْتِشَارِ (قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أَيْ يَا فَاطِرَ وَلَيْسَ بِوَصْفٍ كَمَا يَقُولُهُ الْبَرْدُ وَالْفَرَاءُ (عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالنَّهْيَةِ) السِّرِّ وَالْمَلَانِيَةِ (أَنْتَ تَحْكُمُ) تَقْضِي (بَيْنَ عِبَادِكَ) فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (مَنْ الْهُدَى وَالضَّلَالَةَ) ، وَقِيلَ هَذِهِ مَحَاكَاةٌ مِنَ النَّبِيِّ لِلْمُشْرِكِينَ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ ابْنُ السَّبَبِ لَا أَعْرِفُ آيَةَ قُرْئَتٍ فَعُدِّي عَنْهَا إِلَّا أَجِيبُ سَوَاحَا وَمَنْ الرِّبْعُ بْنُ خَيْمٍ وَكَانَ قَلِيلَ السَّكَّامِ أَنَّهُ أَخْبَرَ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالُوا الْآنَ يَسْكُمُ فَازَادَ أَنْ قَالَ : آهْ أَوْقَدَ فَعَلُوا وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ، وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ عَلَى آثَرِهِ قَتْلَ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجْلِسُهُ فِي حَجَرِهِ وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى فِيهِ (وَلَوْ أَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ) الْمَاءُ تَمُودُ إِلَى مَا (لَا تَقْدَرُوا بِهِ مِنْ سُوءِ النَّذَابِ) شَدِيدُهُ (يَوْمَ الْقِيَمَةِ) وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ

يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولا يحدّثون به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فإذا هي سيئات ، وعن سميت الثوري أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء. وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله ونلاها فأنا أخشى أن يبدولي ون الله ما لم أحتمبه (وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أى سيئات أعمالهم التى كسبوها أو سيئات كسبهم حين تمرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وَحَاقَ بِهِمْ) ونزل بهم وأحاط (مَا كَانُوا يَسْتَهْزِءُونَ) جزاء هزئهم (فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانُ ضُرًّا دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ) أى أعطيناه تفضلا يقال خولني إذا أعطاك على غير جزاء (رِئْمَةً مِّنَّا) ولا تقف عليه لأن جواب إذا (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) منى أنى سأعطاه لما فى من فضل واستحقاق أو على علم منى بوجوده الكسب كما قال قارون على علم عندى وإنما ذكر الضمير فى أوتيته وهو للنعمة نظرا إلى المعنى لأن قوله نعمة منا شيئا من النعمة وقسمنا منها وقيل ما فى إنما موصولة لا كافة فيرجع الضمير إليها أى إلى الذى أوتيته على علم (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) إنكار له كأنه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة أى ابتلاء وامتحان لك أن تشكر أم تكفر ولما كان الخبر مؤثرا أعني فتنة ساع تأنيث البتة لأجله ، وقرئ بل هو فتنة على وفق إنما أوتيته (وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَمْلِكُونَ) أنها فتنة ، والسبب فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو أن هذه وقعت مسببة عن قوله وإذا ذكر الله وحده اشتمازت على معنى أنهم يشمرون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة ، فإذا مس أحدهم ضرر دعا من اشتماز بذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآى اعتراض ، فان قلت حق الاعتراض أن يؤكد المترض بينه وبينه قلت ما فى الاعتراض من دعاء الرسول ﷺ وبه بأس من الله وقوله أنت تحكم بين عبادك ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لإنكار استمرازم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله فى الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يارب لا يحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجراءة إلا أنت، وقوله: ولو أن للذين ظلموا متنا دلهم ولكل ظالم إن جيل تاما أو أيام خاصة إن عنيهم به كاهه قيل: ولو أن لهؤلاء الطالبين ما فى الأرض جميعا ومثله معه لا اقتدوا به حين حكم عليهم بسوء العذاب ، وأما الآية

الأول فلم تقع مسيبة وما هي إلا جملة ناسبت جملة قبلها فمطلعت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو وبيان وقوعها مسيبة أنك تقول : زيد يؤمن بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه ، فهذا تسبب ظاهر ، ثم تقول : زيد كافر بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه ، فتجئ بالفاء بحيثك بها ثمة كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجأ المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان في جملة سببا في الالتجاء ( قَدْ قَالَهَا ) هذه المقالة وهي قوله إنما أوتيته على علم ( الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) أي قارون وقومه حيث قال : إنما أوتيته على علم عندي وقومه راضون بها ، فكأنهم قالوها ويموز أن يكون في الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها ( فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ) من متاع الدنيا وما يجمعون منها ( فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ) أي جزاء سيئات كسبهم ، أو سمى جزاء السيئة سيئة لل ازدواج كقوله : وجزاء سيئة سيئة مثلها . ( وَالَّذِينَ ظَلَمُوا ) كفروا ( مِنْ هَؤُلَاءِ ) أي من مشركي قومك ( سَيِّئَاتُ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا ) أي سيعيبيهم مثل ما أصاب أولئك ، فقتل مناديدهم يندر وحس عنهم الرزق ففحقوا سبع سنين ( وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ) بغائتين من عذاب الله ، ثم بسط لهم قطرا سبع سنين فقبل لهم ( أَوَلَمْ يَكْلُمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْسُطُ الرُّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ) ويضيق وقل يجمعه على قدر القوت ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) بأنه لا قابض ولا باسط إلا الله عز وجل ( قُلْ يَعْزِمَادِي الَّذِينَ ) وبسكون الباء بصرى وحزة وعلى ( أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ) جنوا عليها بالإسراف في الماصي والغلو فيها ( لَا تَقْطَعُوا ) لاتياسوا ، وبكسر النون على وبصرى ( مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَنْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ) بالغو عنها إلا الشرك ، وفي قراءة النبي عليه السلام ينفر الذنوب جميعا ولا يبالى ، ونظير نفي البالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقباها . قيل نزلت في وحشي قاتل حزة رضى الله عنه ، وعن رسول الله ﷺ : «ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية» ( إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ ) بستر عظام الذنوب ( الرَّحِيمُ ) يكشف فظائع الكروب ( وَارْتَبِعُوا إِلَى رَبِّكُمْ ) وتوبوا إليه ( وَأَسْلِمُوا لَهُ ) وأخلصوا له العمل ( مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ) إن لم تتوبوا قبل نزول العقاب ( وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ) مثل قوله : الذين يستمعون القول فينبعون أحسنه ، وقوله ( مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بِنَتَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْمُرُونَ )

أى يفجؤكم وأنتم فافلون كأنكم لا تخشون شيئاً لفرط غفلتكم (أَنْ قَوْلَ) ثلاثا هـول  
 (نَفْسٌ) إنما نكرت لأن المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس  
 متميزة من الأنفس إما بلعاج فى الكفر شديد أو بمذاب عظيم ، ويجوز أن يراد التكثير  
 (يَحْضُرُنِي) الألف بدل من ياء التكلم ، وقرئ : يا حُسْرِي على الأصل ويا حُسْرَتَاى على  
 الجمع بين الموض والموض منه (عَلَى مَا فَرَّطْتُ) قصرت وما مسددة مثلها فى بما رحبت  
 (فِي جَنْبِ اللَّهِ) فى أمر الله أو فى طاعة الله أو فى ذاته ، وفى حرف عبد الله فى ذكر الله  
 والجانب الجانب يقال : أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته ، وفلان لى الجانب والجنب ، ثم  
 قالوا : فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه ، وهذا من باب الكناية لأنك إذا أهدت الأمر  
 فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبتته فيه ، ومنه الحديث : من الشرك الخفى أن يصلى الرجل  
 لمكان الرجل ، أى لأجله ، وقال الزجاج : مناه فرط فى طريق الله وهو توحيد والإقرار  
 بنبوة محمد ﷺ (وَإِنْ كُنْتُ لَيْسَ السَّخِرِينَ) السهريين . قال قتادة : لم يكنه أن شيع  
 طاعة الله حتى سخر من أهلها ، وعمل وإن كنت النصب على الحال كأنه قال . فرطت وأنا  
 ساخر أى فرطت فى حال سخرى (أَوْ قَوْلَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي) أى أعطانى الهداية  
 (لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) من الذين يتقون الشرك . قال الشيخ الامام أبو منصور رحمه الله  
 تعالى : هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزة ، وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لأتباعهم :  
 لو هداانا الله لهديناكم . يقولون : لو وقفنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم إليه ولكن  
 علم منا اختيار الضلالة والنوابة فخذلنا ولم يوقفنا ، والمعتزة يقولون : بل هدام وأعطاهم  
 التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل أن عند الله لطفاً من أعطى ذلك اعتدى ، وهو التوفيق  
 والمهمة ومن لم يعطه ضل وقوى ، وكان استحبابه المذاب وتضييمه الحق يمد ما مكن من  
 تحصيله لتلك (أَوْ قَوْلَ حِينَ تَرَى الْمَذَابَ لَوْ أَنِّي لِرَكَّةٍ) دجة إلى الدنيا (فَأَكُونُ  
 مِنَ الْمُحْضَرِينَ) من الموحدين (بَلَى قَدْ جَاءَكَ عَائِدُنِي فَكَذَّبَتْ بِهَا وَأَسْتَكْبَرَتْ  
 وَكَُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ) على رد من الله عليه كأنه يقول : على قد جاءتك آياتى وبينت لك  
 الهداية من النوابة وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على النوابة واختيار  
 الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله ، وآزت الضلالة على

الهدى ، واشتغلت بضد ما أمرت به فإنما جاء التنزيح من قلبك فلا عذر لك ، وبلى جواب لنفى  
تهدى لأن المعنى لو أن الله هدانا ما هديت وإنما لم يقرن الجواب به ، لأنه لا بد من حكاية  
أقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب ( وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى  
الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ ) وسفوه بما لا يجوز عليه من إضافة الشريك والولد إليه ، ونفى  
الصفات عنه ( وَجُوهُهُمْ ) مبتدأ ( مُسْوَدَّةٌ ) خبر والجملة في محل النصب على الحال إن كان  
ترى من رؤية البصر وإن كان من رؤية القلب ففعل ثان ( أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِمَنْ  
كَبُرَتْ ) هو إشارة إلى قوله واستكبرت ( وَيَنْجِي اللَّهُ ) وينجي روح ( الَّذِينَ  
آمَنُوا ) من الشرك ( بِمَقَازِهِمْ ) فلاحهم يقال : فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده منه  
وتفسير المفازة ( لَا يَسْأَلُهُمْ السُّوءُ ) النار ( وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ) كأنه قيل : وما مفازتهم ؟  
فيل : لا يسهم السوء أى يتجنبهم بنفى السوء والحزن عنهم . أى لا يسألهم أى  
ولا قلقهم خزي أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى : فلا تحببهم بمفازة من العذاب . أى  
بمنجاة منه ؟ لأن النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ، ولهذا غسر  
بن عباس رضى الله عنهما المفازة بالأعمال الحمنة ، ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح  
سبب الفلاح وهو دخول الجنة ، ويجوز أن يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لأنه سببها .  
ولاعمل للا يسهم على التفسير الأول لأنه كلام مستأنف وعمله النصب على الحال على الثانى  
مفازاتهم كوفى غير حصص ( اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ) رد على المنزلة والثبوتية ( وَهُوَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ) حافظ ( لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) أى هو مالك أمرها وحافظها  
وهو من باب السكناية لأن حافظ الخزان ومدبر أمرها هو الذى يملك مقاليدها ، ومنه قوله :  
فلان أتيت إليه مقاليد الملك وهى المفاتيح واحدها مفليد ، وقيل لا واحد لها من لفظها ،  
والكلمة أصلها فارسية ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِيهِمُ اللَّهُ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ) هو متمل  
بقوله وينجى الله الذين اتقوا أى ينجى الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون .  
واعترض بينهما بأنهما بآنة خالق كل شيء ، فهو مهيمن عليه ، فلا يخفى عليه شيء من أعمال  
السكفين فيها وما يميزون عليها أو بما يليه على أن كل شيء فى السموات والأرض فآله خالقه  
وفاتح بابه والذين كفروا وجعدوا أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون ، وقيل سأل



هذان رسول الله ﷺ عن تفسير قوله : له مقاليد السموات والأرض فقال : يا عباد ما سألتكم  
 منها أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول  
 ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل  
 شيء قدير . وتأويله على هذا أن الله هذه الكلمات يوحد بها ويعبد بها ويفتح خير السموات  
 والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه ، والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتعجيبه  
 أولئك هم الخاسرون ( قُلْ ) لمن دعاك إلى دين آبائك ( أَفَتَسْبِرُ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَنْ أَعْبُدَ )  
 تأمروني مكي ، تأمروني على الأصل شامي ، تأمروني مدني ، واتمسب أفتير الله بأعبد وتأمروني  
 اعتراض ومنه أفتير الله أعبد بأمركم بعد هذا البيان ( أَيُّهَا التَّجَاهِلُونَ ) بتوحيد الله ( وَقَدْ  
 أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ) من الأنبياء عليهم السلام ( لَئِنْ أَشْرَكَ كُنْتَ يَحْبِطَنَّ  
 عَمَلُكَ ) الذي عملت قبل الشرك ( وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) وإنما قال لئن أشركت هو  
 التوحيد والوحي إليهم جماعة لأن معناه أوحى إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين  
 من قبلك مثله واللام الأولى موطنه للقسم المحذوف والثانية لام الجواب ، وهذا الجواب ساد  
 مسد الجوابين أعنى جوابي القسم والشرط وإنما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بأن رسوله  
 لا يشركون لأن الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به غيره ولأنه على سبيل الفرض . والمالات  
 يصح فرضها ، وقيل لئن طالعت غيري في السر ليحبطن ما بيني وبينك من السر ( بَلَى اللَّهُ  
 فَعْبُدْ ) رد لما أمروه به من عبادة آلهتهم كأنه قال : لا تعبد ما أمركم بعبادته بل إن عبادت  
 فعبد الله ؟ تخذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه ( وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ) على  
 ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم ( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) وما عظموه  
 حق عظمته إذ دعوا إلى عبادة غيره ، ولما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حق  
 معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره ثم نههم  
 على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال : ( وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
 وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ) والمراد بهذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملة ومجموعه

نصوير عظمتة والتوقيف على كنهه جلالة لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز والمراد بالأرض الأرضون السبع يشهد لذلك قوله جيماً ، وقوله والسموات ولأن الموضع موضع تعظيم فهو مقتضى للمبالغة والأرض مبتدأ وقبضته الخبز وجميعاً منصوب على الحال أى والأرض إذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة ، والقَبْضة: المرة من القبض . والقَبْضة: المقدار المقبوض بالكف ، ويقال : أعطى قبضة من كذا تريد معنى القَبْضة تسمية بالمصدر وكلا المنين محتمل والمعنى والأرضون جميعاً قبضته أى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعنى أن الأرضين مع عظمهن ويسطعن لا ييلفن إلا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقان أى لا تقي إلا بأكلة فذة من أكلاته وإذا أريد معنى القبضة فظاهر لأن المعنى أن الأرضين بمجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة ، والطويات من الطي الذى هو ضد النشر كقَالَ: يوم نطوى السماء كطلى السجل لكتب . وادة طاول السجل أن يطويه يمينه ، وقيل : قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وييمينه بقدرته وقيل مطويات يمينه مقلبات بقسمه لأنه أقسم أن يغنيها ( سُبْحَتُهُ وَتَمَّالَ عَمَّا يَفْشِرُ كَوْنٌ ) ما أبعد من هذه قدرته وعظمتة وما أعلاه مما يضاف إليه من الشركاء ( وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَتَّيْنِ ) مات ( مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ) أى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، وقيل هم حملة الرش أو رضوان والطور العين ومالك والربانية ( ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ) هى فى محل الرفع لأن المعنى ونفخ فى الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة أخرى ، وإنما حذفت دلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها فى غير مكان ( فَلَمَّا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ) يلقبون أبصارهم فى الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطب أو ينظرون أمر الله فيهم ، ودلت الآية على أن النفخة اثنتان : الأولى للموت والثانية للبعث والجهنم على أنها ثلاث : الأولى للفرع ، كما قال : ونفخ فى الصور ففرع ، والثانية للموت والثالثة للإعادة ( وَأُشْرِقَتِ الْأَرْضُ ) أضاءت ( يَنْوِرُ رَبَّهَا ) أى يسلطه بطريق الاستمارة . يقال للملك العادل : أشرقت الآفاق بملكه ، وأضاءت الدنيا بقسطك . كما يقال أظلمت البلاد بجهنم فلان ، وقال عليه الصلاة والسلام : الظلم ظلمات يوم القيامة . وإضافة اسمه إلى الأرض لأنه زينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها

ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أمر لها منه ، وقال الإمام أبو منصور رحمه الله : يجوز  
أن يخلق الله نوراً فينور به أرض الموقف ، وإضافته إليه تعالى للتخصيص كيف الله وناقة الله  
( وَوَضِعَ الْكِتَابَ ) أى صحائف الأعمال ، ولكنه اكتفى باسم الجنس أو اللوح المحفوظ  
( وَجَاءَ بِالْغَيْبِينَ ) ليسألهم فيهم عن تبليغ الرسالة وما أجابهم قومهم ( وَالشَّهَدَاءَ )  
الحفظة وقيل هم الأبرار فى كل زمان يشهدون على أهل ذلك الزمان ( وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ) بينه  
العباد ( بِالْحَقِّ ) بالعدل ( وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ) ختم الآية بنفى الظلم كما اختصها بإببات العدل  
( وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ) أى جزاءه ( وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ) من غير كتاب  
ولا شاهد ، وقيل هذه الآية تفسير قوله وهم لا يظلمون . أى ووفيت كل نفس ما حلت من  
خير وشر لا يزداد فى شر ولا ينقص من خير ( وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ ) سواء  
عنفاً ، كما يفعل بالأسارى والمخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل ( زُمَرًا )  
حال أى أنواعاً متفرقة بعضها فى أثر بعض ( حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ ) بالتخفيف فيها  
كوفى ( أُنُوبًا ) وهى سبعة ( وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ) أى حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون  
بتمذيب أهلها ( أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ) من بنى آدم ( يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ  
وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ) أى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة  
( قَالُوا بَلَىٰ ) أتونا وتلوا علينا ( وَلَكِنَّ حَقَّ كَلِمَتُ الْمَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ) أى  
ولكن وجبت علينا كلمة الله لأن جهنم بسوء أعمالنا كما قالوا: غلبت علينا شقوتنا وكنا  
نوماً ضالين ، فذكروا علمهم الوجوب لكلمة المذاب وهو الكفر والضلال ( قِيلَ ادْخُلُوا  
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ) حال مقدرة أى مقدرين الخلود ( فَيَسَىٰ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ )  
اللام فيه للجنس لأن مَثْوَى المتكبرين قاعل بئس وبئس قاعلها اسم معرف بلام الجنس أو  
مضاف إلى مثله والمخصوص بالتم محذوف تقديره فبئس مَثْوَى المتكبرين جهنم ( وَسِيقَ الَّذِينَ  
اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ) المراد سوق مراكبهم ، لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين إلى  
دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك ( حَتَّىٰ  
إِذَا جَاءُوهَا ) هى التى تحكى بعدها الجبل والجبل المحكية بعدها هى الشرطية إلا أن جزاءها  
محذوف ، وإنما حذف لأنه فى صفة ثواب أهل الجنة فدل بمحذوفه على أنه شئ لا يحيط به

الوصف ، وقال الزجاج : تقديره حتى إذا جاءوها ( وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ) وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا  
سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ ) دخلوها غنظ دخلوها ؛ لأن في الكلام دليلا  
عليه وقال قوم حتى إذا جاءوها جاءوها وفتحت أبوابها فنقدم جاءوها عنذوف ، والمعنى :  
حتى إذا جاءوها وقع عيبتهم مع فتح أبوابها ، وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول  
أهلها فيها ، وأما أبواب الجنة فتقدم فتحها لقوله تعالى : جنات عدن مفتحة لهم الأبواب .  
فلذلك جيء بالواو كأنه قال : حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها طبتهم من دنس المعاصي ،  
وطهرتهم من خبث الخطايا ، وقال الزجاج : أى كنتم طيبين في الدنيا ولم تكونوا خبيثين  
أى لم تكونوا أصحاب خبائث ، وقال ابن عباس : طاب لكم المقام ، وجعل دخول الجنة  
مسياً من الطيب والطهارة لأنها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس  
وطيبها من كل قذر ، فلا يدخلها إلا مناسب لها موصوف بصفتها ( وَقَالُوا أَلْحَقِدْهُ الَّذِي  
سَدَقْنَا وَعَدَهُ ) أنجزنا ما وعدنا في الدنيا من نعيم المعنى ( وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ ) أرض الجنة  
وقد أورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاءون تشبيهاً بحال الوارث  
وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه ( نَبَّهُوا ) حال ( مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ) أى يكون لكل  
واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فينبوا أى فيتخذ متبواً ومقراً من جنته  
حيث يشاء ( فَنِعْمَ أَجْرُ الْمُتَمِلِّينَ ) في الدنيا الجنة ( وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ ) حال من  
الملائكة ( مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ) أى عديدين من حوله ومن لا ابتداء الناية أى ابتداء حقوفهم  
من حول العرش إلى حيث شاء الله ( يَسْبَحُونَ ) حال من الضمير في حافين ( بِحَمْدِ رَبِّهِمْ )  
أى يقولون : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، أو سبحو قدوس رب  
الملائكة والروح ، وذلك للتلذذ دون التعب ووال التكليف ( وَنُفِىَ بَيْنَهُمْ ) بين الأنبياء  
والأئمة أو بين أهل الجنة والنار ( بِالْحَقِّ ) بالعدل ( وَقِيلَ أَلْحَقِدْهُ رَبُّ الْمَلَكِينَ ) أى  
يقول أهل الجنة شكراً حين دخولها ، وتم وعد الله لهم كما قال وآخرو دعواهم أن الحمد لله رب  
العالمين ، وكان رسول الله ﷺ يقرأ كل ليلة بنى إسرائيل والزم.

[ الحواميم السبع كلها مكية عن ابن عباس رضى الله عنهما ]

## ( سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( حَمْدٌ ) وما بسده بالإمالة حمزة وعلى وخلف ويحيى وحامد ، وبين الفتح والكسر مدني ، وغيرهم بالنفخيم ، وعن ابن عباس أنه اسم الله الأعظم ( تَزِيلُ الْكِتَابِ ) أى هذا تنزيل الكتاب ( مِنْ اللَّهِ الْمَزِيذِ ) أى اللين بسلطانه عن أن يقول عليه متقول ( الْمَلِيمِ ) بمن صدق به وكذب ، فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين ( غَافِرِ الذَّنْبِ ) سائر ذنب المؤمنين ( وَقَابِلِ التَّوْبِ ) قابل توبة الراجعين ( شَدِيدِ الْعِقَابِ ) على المخالفين ( ذِي الطَّوْلِ ) ذى الفضل على المارفين أو ذى الغنى عن الكل ، ومن ابن عباس: غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا إله إلا الله ، شديد العقاب لمن لا يقول لا إله إلا الله . والتوب والتوب والأوب أخوات فى معنى الرجوع ، والطول التنى والفضل ، فإن قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتذكيراً والموصوف معرفة ، قلت: أما غافر الذنب وقابل التوب فمرتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين حتى يكونا فى تقدير الانفصال فتسكون إضافتهما غير حقيقية ، وإنما أريد بموت ذلك ودوامه ، وأما شديد العقاب فهو فى تقدير شديد عقابه فتكون نكرة ، فقيل هو بدل وقيل لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف وإدخال الواو فى وقابل التوب لنكتة وهى إفادة الجمع للذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبة: فيكتبها له طاعة من الطاعات ، وأن يجعلها محاة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال: جامع المغفرة والقبول ، وروى أن عمر رضى الله عنه افتقد رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام ، فقيل له تنابع فى هذا الشراب ، فقال مرسل كتابه: اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد . إليك الله الذى لا إله إلا هو . بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إلى المصير . وختم الكتاب قال لرسوله لا تنجد إليه حتى نجده صاحياً ، ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة . فلما أتته المصيبة حمل فرؤعا وبول قد وعدى لله أن يغفر له . فدخل عقابه ، فلم يرجع يرددها حتى نكس ثم زرع فأحسن العروج وحسنت توبته . فلما بلغ عمر أمره قال: عسا.

فاصنعوا إذا رأيتم أحاكم قد زل زلة فسدوده ووقفوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ، ولا تكونوا  
أعواناً للشياطين عليه ( لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ) صفة أيضاً لدى الطول ويجوز أن يكون مستأنفاً  
( إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ) الرجوع ( مَا يُجَدِّلُ فِي عَائِلَةِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ) ما يخاصم فيها  
بالتكذيب بها والإنكار لها ، وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق  
فأما الجدل فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها ورد أهل الزيف بها فأعظم  
جهاد في سبيل الله ( فَلَا يَفْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ) بالتجارات الناقصة والمكاسب المرحمة  
سالمين غائمين فإن عاقبة أمرهم إلى العذاب ، ثم بين كيف ذلك فأعلم أن الأمم الذين كذب  
قبلهم أهلك فقال ( كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ) نوحاً ( وَالْأَحْزَابُ ) أي الذين نحبوا  
على الرسل وناصبوهم وهم عادوثمود وقوم لوط وغيرهم ( مِنْ بَعْدِهِمْ ) من بعد قوم نوح ( وَهَمَّتْ  
كُلُّ أُمَّةٍ ) من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب ( بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ) لِيَتَمَكَّنُوا  
منه فيقتلوه . والأخذ : الأسير ( وَجَدَلُوا بِالْبَعْلِ ) بالكفر ( لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ )  
ليبطلوا به الإيمان ( فَأَخَذْنَاهُمْ ) مظهر مكي وحفص يعني أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم  
على إرادة أخذ الرسل أن أخذتهم فعاقبهم ( فَكَثِفَ كَانَ عِقَابِ ) وبالياء يعقوب أي  
فإنكم تمرون على بلادهم فتعذبون أثر ذلك ، وهذا تقرير فيه معنى التعجيب ( وَكَذَلِكَ  
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ) كلمت ربك مدني وشامي ( أَنَّهُمْ أَسْخَبُ  
النَّارِ ) في عمل الزنح بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم  
من أصحاب النار ، ومعناه كما وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأسل كذلك وجب  
إهلاكهم بعذاب النار في الآخرة . أو في محل النصب بحذف لام التمثيل وإيصال الفصل  
والذين كفروا قريش ، ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك هؤلاء ؛  
لأن علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار ، ويلزم الوقف على النار ، لأنه لو وصل لعلة  
( الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ) يعني حاملي العرش والحافين حوله وهم الكروبيون  
سادة الملائكة صفة لأصحاب النار وفساده ظاهر . روى أن حملة العرش أرجلهم في الأرض  
السفلى وروى أنهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم ، وفي الحديث «إِنَّ اللَّهَ  
تعالى أمر جميع الملائكة أن يندبوا وبروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائر

الملائكة » وقيل : حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهلين مكبرين  
 ومن رآتهم سبعون ألف صف من الملائكة قيام قد وضوا أيديهم على عواتقهم يهللون  
 ويكبرون ومن رآتهم مائة ألف صف قد وضوا الأيمان على الثبائل ما منهم أحد إلا وهو  
 يسبح بما لا يسبح به الآخر ( يُسَبِّحُونَ ) خبر المبتدأ وهو الذين ( يَحْمَدُونَ رَبَّيْهِمْ ) أى مع  
 حمده إذ الباء تدل على أن تسبيحهم بالحمدلة ( وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ) وقائده مع علنا بأن حلة الرضى  
 ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب  
 فيه كما وصف الأنبياء في غير موضع بالصالح لذلك ، وكما عقب أعمال الخير بقوله : ثم كان من  
 الذين آمنوا . فأبان بذلك فضل الإيمان ، وقد روى التناسب في قوله : ويؤمنون به  
 ( وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ) كأنه قيل ويؤمنون به ويستغفرون لمن في مثل عالم ، وفيه  
 دليل على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون آدمى شئ إلى النصيحة والشفقة ، وإن  
 تباعدت الأجناس والأماكن ( رَبَّنَا ) أى يقولون ربنا وهذا المحذوف حال ( وَصِفَتْ كُلُّ  
 شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ) والرحمة والعلم هما اللذان وسما كل شئ في المعنى ، إذ الأصل وسع كل  
 شئ رحمتك وعلمك ، ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة  
 والعلم وأخرج مسبوين على التمييز بمبالغة في وصفه بالرحمة والعلم ( فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا ) أى  
 للذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم ( وَأَنْبِئُوا سَيِّئَاتِكُمْ ) أى طريق الهدى  
 الذى دعوت إليه ( وَفِيهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ  
 وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ ) من في موضع نصب عطف على هم في وأدخلهم أدنى وعدتهم ،  
 والمعنى وعدتهم ووعدت من صلح من آبائهم ( وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ  
 الْحَكِيمُ ) أى الملك الذى لا يظلم ، وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئاً خالياً من  
 الحكمة وموجب حكمتك أن تقى بوعدك ( وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ ) أى جزاء السيئات وهو  
 عذاب النار ( وَمَنْ تَقِرَّ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ ) أى دفع العذاب ( هُوَ  
 الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ) الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ ) أى يوم القيامة إذا دخلوا النار وموتوا أنفسهم  
 فيناديهم حزمة النار ( لَمَقْتُ اللهَ أَكْبَرُ مِنْ مُقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ) أى لقت الله أنفسكم  
 أكبر من مقتكم أنفسكم ، فاستغنى بدكرها مرة ، ولقت أشد البنص ، وانتصاب ( إِذْ

تَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ) بالقت الأول عند العشري ، والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة : كان الله يمقت أنفسكم الأمانة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان متأبون قبوله ويختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم في النار إذا وقتم فيها باتباعكم هواهن ، وقيل معناه لقت الله إياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله : نهيوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلمن بعضكم بعضا ، وإذ تدعون تمليل ، وقال جامع العلوم وغيره إذ منصوب بفعل مضمر دل عليه لقت الله أي يعقبنهم الله حين دعوا إلى الإيمان فكفروا ولا ينتصب بالقت الأول لأن قوله لقت الله مبتدا وهو مصدر وخبره أكبر من مقتكم أنفسكم ، فلا يعمل في إذ تدعون ؛ لأن المصدر إذا أخبر عنه لم يجوز أن يتعلق به شيء يكون في صلته لأن الإخبار عنه يؤذن بتمامه ، وما يتعلق به يؤذن بنقصانه ، ولا بالتأني لاختلاف الزمانين ، وهذا لأنهم مقتوا أنفسهم في النار وقد دعوا إلى الإيمان في الدنيا ( فَكَفَرُوا ) ففكروا على الكفر ( قَالُوا رَبَّنَا أَتَيْنَا أَسْفَيْنَ وَأَخْبَيْنَا أَثْنَيْنِ ) أي إمانتين وإحياءتين أو موتتين وحياتين ، وأراد بالإمانتين خلقهم أمواتا أولا وإمانتهم عند انقضاء آجالهم ، وضح أن يسمى خلقهم أمواتا إمانته ، كما صح أن يقال : سبعان من صفر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل ، وليس ثمة نقل من كبر إلى صفر ، ولا من صفر إلى كبر ، والسبب فيه أن الصفر والكبر جائزان على المصنوع الواحد ، فإذا اختلف الصانع أحد الجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر ، فجعل صفره عنه كنفقه منه وبالإحياءتين : الإحياء الأولى في الدنيا ، والإحياء الثانية البعث ، ويدل عليه قوله : وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم . وقيل : الموت الأولى في الدنيا ، والثانية في القبر بعد الإحياء للسؤال ، والإحياء الأول إحياءه في القبر بعد موته للسؤال ، والثاني للبعث ( فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ) لما رأوا الإمانته والإحياء قد تكررا عليهم علموا أن الله قادر على إعادة كما هو قادر على الإنشاء ، فأعترفوا بذنوبهم التي أقرفوها من إنكار البعث وما تبمه من معاصيهم ( قَهْلَ إِلَى خُرُوجٍ ) من النار . أي إلى نوع من الخروج سريع أو بطيء لتخلص ( مِّن سَبِيلٍ ) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وإنما يقولون ذلك تحيرا ، ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك



وهو قوله ( ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخَذَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ) أى ذلكم الذى أنتم فيه وأن لاسبيل لكم إلى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به ( فَالْحُكْمُ لِلَّهِ ) حيث حكم عليكم بالعذاب السرم ( أَلَيْسَ ) شأنه ، فلا يرد قضاءؤه ( الْكَبِيرِ ) العظيم سلطانه ، فلا يحد جزاؤه ، وقيل كأن الحرورية أخذوا قولهم : لاحكم إلّا الله من هذا . وقال قتادة : لما خرج أهل حروراء قال على رضى الله عنه : من هؤلاء قبل الحكمون . أى يقولون : لا حكم إلّا الله ، فقال على رضى الله عنه : كلمة حق أريد بها باطل ( هُوَ الَّذِي يُرِيكُم مَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ وَالرَّعْدِ وَالْبَرْقِ وَالسَّوَاقِقِ وَنَحْوَهَا ) وَيُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ) وبالتخفيف مكي وبصرى ( رِزْقًا ) مطراً ؛ لأنه سبب الرزق ( وَمَا يَنْتَظِرُ كُرًّا إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ) وما يتمظ وما يعتبر بآيات الله إلّا من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله فإن الماند لا يتذكر ولا يتمظ ، ثم قال للمنيبين : ( فَادْعُوا اللَّهَ ) فاعبدوه ( مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ) من الشرك ( وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ) وإن غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم ( رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ) يُلْقَى الرُّوحُ ) ثلاثة أخبار لقوله هو مرتبة على قوله : الذى يربكم أو أخبار مبتدأ محذوف ، ومعنى رفيع الدرجات رافع السموات بعضها فوق بعض أو رافع درجات عبادته فى الدنيا بالمنزلة أو رافع منازلهم فى الجنة وذو العرش مالك عرشه الذى فوق السموات خلقه مطابقاً للملائكة إظهاراً لعظمته مع استغفائه فى ملكوته والروح جبريل عليه السلام ، أو الوحي الذى يحيا به القلوب ( مِنْ أَمْرِهِ ) من أجل أمره أو بأمره ( عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ) يُنْذِرُ ) أى الله أو الذى عليه وهو النبي عليه السلام ويدل عليه قراءة يعقوب لثنن ( يَوْمَ التَّلَاقِ ) يوم القيامة لأنه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض والأولون والآخرون . التلاق : مكي ويعقوب ( يَوْمَ هُمْ بَرْزُونَ ) ظاهرون لا يستترم شيء من جبل أو أكمة أو بناء ( لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ) أى من أعمالهم وأحوالهم ( لَمَنِ الْيَوْمَ الْيَوْمَ ) أى يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يجيبه ، ثم يجيب نفسه بقوله ( لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ) أى الذى تهر الخلق بالوت ، ويتمسب اليوم بملول لمن أى لمن ثبت الملك فى هذا اليوم ، وقيل بتادى مناد فيقول : لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المشرقة الواحد القهار ( الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ

الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ) لما قرر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي أن كل نفس تجزى بما كسبت حملت في الدنيا من خير وشر ، وأن الظلم مأمون منه لأنه ليس بظلام للمبيد ، وأن الحساب لا يعطى لأنه لا يشغله حساب من حساب ، فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين ( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ ) أى القيامة سميت بها لأزوفها أى قربها ، ويبدل من يوم الآزفة ( إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ) أى التراق يعنى ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فينفضوا ويترحوها ( كَظِيمِينَ ) مسكينين بحناجرهم . من كظم القرية شد رأسها وهو حال من القلوب محمول على أصحابها ، أدانها جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذى هو من أفعال المقلاء ( مَا لِلظَّالِمِينَ ) الكافرين ( مِنْ حَسَبٍ ) يحب مشفق ( وَلَا شَافِعٍ يُطَاعُ ) أى يشفع وهو مجاز من الطاعة لأن الطاعة حقيقة لا تكون إلا لمن فوقك ، والراد فى الشفاعة والطاعة كما فى قوله • ولا ترى للنسب بها بنجع • يريد نفى النسب وانجساره ، وإن احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة ، فمن الحسن : والله ما يكون لهم شفيع البتة ( يَلْمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ) مصدر يعنى الخيانة كالمافية بمعنى المافاة والراد استراق النظر إلى ما لا يحل ( وَمَا تُخْفِي الْعُدُورُ ) وما تسمه من أمانة وخيانة ، وقيل هو أن ينظر إلى أجنبية بشهوة مسارقة ، ثم يتفكر بقلبه فى جمالها ولا يعلم بنظرته رفكرته من محضته والله يعلم ذلك كله . يعلم خائنة الأعين خبر من أخبار هو فى قوله : هو الذى يريكم آياته . مثل يلقى الروح ولكن يلقى الروح قد علل بقوله : ليتذر يوم التلاق ثم استطرذ ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله ولا شفيع يطاع فبعد ذلك عن أخواته ( وَاللَّهُ بِفَضْلِ الْغَنَى ) أى والذى هذه صفاته لا يحكم إلا بالعدل ( وَالَّذِينَ يَذَّبُونَ عَنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا ) وآلهم لا يقضون شئاً ، وهذا تهكم بهم لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضى أو لا يقضى . تدعون نافع ( إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) تحرير قوله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ووعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويصير ما يملكون ، وأنه يباقيهم عليه وتمريض بما يدعون من دونه وآنها لا تسمع ولا تبصر ( أَوَلَمْ يَسِيرُوا

فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ (أَيَّ آخِرِ أَمْرِ الَّذِينَ كَذَبُوا الرِّسَالَ مِنْ قَبْلِهِمْ) كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) هم فصل ، وحقه أن يقع بين معرفتين إلا أن أشد منهم ضارح المرفة في أنه لا تدخله الألف واللام ، فأجرى مجراه . منكم شامى (وَأَنذَارًا فِي الْأَرْضِ) أَي حِصُونًا وَقُصُورًا (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَذْنُوبُهُمْ) ما قبلهم بسبب ذنوبهم (وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) ولم يكن لهم شيء يقيهم من عذاب الله (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ) أَي الْأَخْذُ بسبب أنهم (كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَدِيدُ الْعِقَابِ) إذا ما قبل (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا) التسع (وَسُلْطَنٍ مُبِينٍ) وحجة ظاهرة (إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا) هو (سَاحِرٌ كَذَّابٌ) فسموا السلطان البين سحراً وكذباً (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ) بالنبوة (مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا نِسَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) أَي أهدوا عليهم القتل كالذي كان أولاً (وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ) للخدمة (وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) ضياع يعنى أنهم باسروا قتلهم أولاً فما أغنى عنهم ، ونفذ قضاء الله بإظهار من خافه فما يعنى منهم هذا القتل الثانى ، وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان ، فلما بعث موسى عليه السلام وأحس بأنه قد وقع أعاده عليهم غيظاً وظننا منه أنه يصدم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم أن كيدهم ضائع فى السكرتين جميعاً (وَقَالَ فِرْعَوْنُ) لئله (ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى) كان إذا هم بقتله كفوه بقولهم : ليس بالذى نخافه وهو أقل من ذلك ، وما هو إلا ساحر ، وإذا قتله أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة ، والظاهر أن فرعون قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر ، ولكن كان فيه خب . كان قتالا سفاكا للدماء فى أهون شيء ، فكيف لا يقتل من أحس بأنه هو الذى يهدم ملكه ، ولكن كان يخاف إن هم بقتله أن يماجل بالهلاك ، وقوله (وَلْيَذْخُرْ رَبُّهُ) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه ، وكان قوله : ذروني أقتل موسى نحوها على قومه وإليها ما أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا ما فى نفسه من هول الفزع (إِنِّي أَخَافُ) إن لم أقتله (أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ) أن يغير ما أنتم عليه . وكانوا يبدونه

ويعبدون الأصنام (أَوْ أَنْ يُظْهِرَ) موسى (فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) بضم الباء ونصب الدال  
مدنى وبصرى وحفص وغيرهم يفتح الباء ورفع الدال ، والأول أولى لموافقة يندل. والفساد  
في الأرض الثقاتل والنهاج الذي يذهب منه الأمن ، وتتمطل الزارع والمكاسب والماليش  
ريهلك الناس قتلا وضياهاً كأنه قال إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدهوتكم إلى دينه  
أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بعبه ، وقرأ غير أهل الكوفة وأن ، ومعناه  
إني أخاف فساد دينكم ودنياكم مما (وَقَالَ مُوسَى) لما سمع بما أجراه فرعون من حديث  
قتله لقومه (إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ)  
وفي قوله وربكم أثبت لهم على أن يقتدوا به فيمؤخروا بالله عياده ، ويستصموا بالتوكل عليه  
عتماسه ، وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة ، وليكون على  
طريقة التريض فيكون أبلغ ، وأراد بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للعق ، وهو أقبح  
استكبار ، وأدل على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه ، وقال : لا يؤمن بيوم الحساب ؛ لأنه  
إذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالمآلة فقد استكمل أسباب  
الفسوق والجلاء على الله وعباده ، ولم يترك عظمة الإلارتكيبها ، وهدت ولدت أخوان. وعت  
بالإدغام أبو عمرو وحمزة وعلى (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ)  
فيل : كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا ، ومن آل فرعون صفة لرجل ، وقيل :  
كان إسرائيليا ومن آل فرعون صفة ليعكم أى يكتم إيمانه من آل فرعون واسمه سيمان  
أو حبيب أو خربيل أو حزيل ، والظاهر الأول (أَتَقْسُؤْنَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ) لأن يقول  
وهذا إنكار منه عظيم كأنه قيل أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم  
علة في ارتكابها إلا كلمة الحق ، وهي قوله (رَبِّيَ اللَّهُ) وهو ربكم أيضا لا ربه وحده  
(وَقَدْ جَاءَكُمْ) الجملة حال (بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) يعنى أنه لم يحضر لتصحيح قوله  
بيينة واحدة ولكن بيينات من عند من نسب إليه الربوبية وهو استدراج لهم إلى الاعتراف  
به (وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَمَكِيدُ كَذِبِهِ وَإِنْ يَكُ سَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَشَسُ الَّذِي يَمِدُّكُمْ)  
احتج عليهم بطريق التقسيم فإنه لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا ، فإن يك كاذبا فلعليه  
وبال كذبه ولا يتخطاه : وإن يك صادقا يصيبكم بعض الذي يمدكم من العذاب ، ولم يقل

كل الذي يمدكم مع أنه وعد من نبي صادق القول مداراة لهم وسلوكاً لطريق الإنصاف فجاء  
بناغو أقرب إلى تسليمهم له وليس فيه نفى إصابتهم الكل ، فكأنه قال لهم أقل ما يكون في  
سددكم أن يسبيكم بعض ما يمدكم وهو العذاب الماثل وفي ذلك هلاككم ، وكان وعدهم  
عذاب الدنيا والآخرة ، وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل أيضاً ، وتفسير البعض  
بالكل مزيف ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ ) مجاوز للحد ( كَذَابٌ ) في ادعائه ،  
وهذا أيضاً من باب الجملية ، والمعنى أنه إن كان مسرفاً كذاباً خذله الله وأهلكه فتخلصون  
منه ، أو لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله بالنبوة ولما عنده بالنبوات . وقيل أومأ أنه  
سعى بالمسرف موسى وهو يعني به فرعون ( يَتَقَوْمَ لَكُمْ ) الْمَلِكُ أَيَوْمَ ظُهُورِهِ ( عَالِمٌ  
وهو حال من كم في لكم ) فِي الْأَرْضِ ( فِي أَرْضِ مِصْرَ ) فَمَنْ يَصْرِفُ وَيُنَاسِرُ اللَّهُ إِنْ  
جَاءَنَا ) يعني أن لكم ملك مصر ، وقد علوتم الناس وقهرتمهم ، فلا تسدوا أمركم على  
نفسكم ، ولا تعرضوا لبأس الله أي عذابه ، فإنه لا طاعة لكم به إن جاءكم ولا يمدكم  
منه أحد ، وقال ينصرنا وجاءنا لأنه منهم في القرابة ، ولعلهم بأن الذي ينصرتهم به هو  
مسام لهم فيه ( قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ) أي ما أشير عليكم برأى إلا بع  
أرى من قتله يعني لا أستصوب إلا قتله ، وهذا الذي تقولونه غير صواب ( وَمَا أَهْدِيكُمْ )  
بهذا الرأي ( إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ) طريق الصواب والصالح ، أو ما أهداكم إلا ما أعلم من  
الصواب ولا أدخر منه شيئاً ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر . يعني أن لسانه وقلبه متواطئان  
على ما يقول ، وقد كذب فقد كان مستشعراً للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام .  
ولكنه كان يتجملد ، ولولا استشعاره لم يستشر أحداً ولم يقف الأمر على الإشارة ( وَقَالَ  
تَنْذِيءٌ آمَنَ يَتَقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَخْزَابِ ) أي مثل أيامهم ؛ لأنه  
ما أضافه إلى الأحزاب وقسم بقوله ( مِثْلَ ذَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادِ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ  
بَيْنِهِمْ ) ولم يلبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع ،  
ودأب هؤلاء دأبهم في علمهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائماً دائماً  
سهم لا يفترون عنه ، ولا بد من حذف مضاف ، أي مثل جزاء دأبهم وانتصاب مثل الثاني  
بأنه عطف بيان لثل الأول ( وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ) أي وما يريد الله أن يظلم عباده

فيمزجهم بغير ذنب أو يزيد على قدر ما يستحقون من العذاب . يعنى أن تدميرهم كان عدلا لأنهم استحقوه بأعمالهم ، وهو أبلغ من قوله : وما ربك بظلام للعبيد ، حيث جمل المنفى لإرادة ظلم منكّر ومن يمد من إرادة ظلم ما لعباده كان عن الظلم أبعد وأبعد ، وتفسير الميزة بأنه لا يريد لهم أن يظلموا أبعد ، لأن أهل اللذة قالوا إذا قال الرجل لآخر لا أريد ظلماً لك . معناه لا أريد أن أغلظك ، وهذا تخويف بعذاب الدنيا ، ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله ( وَ يَقُولُونَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ) أى يوم القيامة . التنادى مكي ويقبض في الحائرين وإثبات البلاء هو الأصل وحذفها حسن لأن الكسرة تدل على البلاء وآخر هذه الآى على الدال ، وهو ما حكى الله تعالى في سورة الأعراف : ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة . ونادى أصحاب الأعراف . وقيل ينادى مناد : ألا إن فلاناً سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، ألا إن فلاناً شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً ( يَوْمَ نُوْتُوْنَ مُدْبِرِينَ ) منحرفين عن موقف الحساب إلى النار ( مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ ) من عذاب الله ( مِن قَاصِمٍ ) مانع ودافع ( وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ) مرشد ( وَلَقَدْ جَاءَكُمْ بُيُوسُفٌ مِّن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ) هو يوسف بن يعقوب ، وقيل يوسف بن أفرايم بن يوسف ابن يعقوب أقام فيهم نبياً عشرين سنة ، وقيل إن فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر إلى زمنه وقيل هو فرعون آخر ويخبرهم بأن يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات ( فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ) فشككنتم فيها ولم تزلوا شاكين ( حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبِيَّتَ اللَّهُ مِّن بَعْدِهِ رَسُولٌ ) حكما من عند أنفسكم من غير برهان . أى أقمتم على كفركم وذهنتم أنه لا يبعث عليكم إلهجة ( كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ) أى مثل هذا الإضلال يضل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب شاك في دينه ( الَّذِينَ يُجَادِلُونَ ) بدل من من هو مسرف وجازا إبداله منه وهو جمع لأنه لا يريد مسرفاً واحداً بل كل مسرف ( فِي آيَاتِ اللَّهِ ) في دفعها وإبطالها ( بِتَبَرٍ سُلْطَنٍ ) حجة ( أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَّقْتًا ) أى عظم بنفساً ، وقاعل كبر شمير من هو مسرف وهو جمع معنى وموحد لفظاً فحمل البسمل على معناه والضمير الراجع إليه على لفظه ، ويجوز أن يرفع الذين على

الابتداء ، ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في كبر تقديره جداله الذين يجادلون كبر مقتاً (عند الله وعند الذين ءامنوا كذالك يطع الله على كل قلب مَكْبَرٌ جَبَّارٌ). قلب بالتون أبو عمرو وإنما وصف القلب بالكبر والتعجب لأنه منبهما كما تقول : سمعت الأذن وهو كقوله : فإنه آثم قلبه ، وإن كان الآثم هو الجملة (وَقَالَ فِرْعَوْنُ) عوبيها على قومه أو جهلا منه (بِمَنْ أُنْزِلَ إِلَيَّ صَرْحًا) أى قسراً . وقيل الصرح : البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وإن بعد ، ومنه يقال : صرح الشيء إذا ظهر (لَمَلَى) وفتح الياء حجازى وشامى وأبو عمرو (أَبْلَغُ الْأُسْبَبِ) ثم أبدل منها تفخيماً لشأنها وإبانة أنه يقصد أمراً عظيماً (أُسْبَبُ السَّمَوَاتِ) أى طرقها وأبوابها وما يؤدى إليها وكل ما أدرك إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه (فَأَطْلَعَ) بالنصب حفص على جواب الترجى تشبيهاً للترجى بالبنى . وغيره بالرفع عطفاً على أبلغ (إِلَى الْإِلَهِ مُوْعَى) والمعنى فأنظر إليه (وَأَنَّى لَا ظَنُّهُ) أى موسى (كَذِبًا) في قوله له إله غيرى (وَكَذَلِكَ) ومثل ذلك الذين وذلك الصد (زَيْنٌ لِّفِرْعَوْنَ سَوْءٌ عَلَيْهِ وَسْءٌ عَنِ السَّبِيلِ) للستقيم . وفتح الصاد كوفى<sup>(١)</sup> ويقوب أى غيره صدا أو هو بنفسه مدوداً والزين الشيطان بسوسه كقوله : وزين لهم الشيطان أعمالهم ففسدتم من السبيل . أو الله تعالى ، ومثله : زيننا لهم أعمالهم فهم يسمهون (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) خسران وهلاك (وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ آتِيْعُونَ) اتبعونى فى الحالين مكى ويقوب وسهل (أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) وهو تقيض النى وهـ ، تريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه سبيل النى . أجمل أولاً ، ثم فسر فافتتح بنم الدنيا وتفسير شأنها بقوله (يَقُومُونَ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتْنٌ) متع يسير ، فالإخلاء إليها أصل الشر ومنبع الفتن وثمى بتعظيم الآخرة وبين أنهم هى الوطن والمستقر هو (وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) ثم ذكر الأعمال سببها وحسنه وعاقبة كل منها ليثبت عما يتلف وينشط لما يلف بقوله (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ سَلِاحًا مِّنْ ذِكْرٍ أَوْ آتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ قُلُوبُكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) يَدْخُلُونَ مكى وبصرى ويزيد وأبو بكر ، ثم واظن

(١) الذى بنيت النعم : قرأ الكوفيون بضم الصاد والباءون بالفتح .

بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذي ثمرته الجنة ، ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار بقوله ( وَيَقُولُ مَالِي ) ويفتح الياء حجازي وأبو عمرو ( أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى ) أى الجنة ( وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ ) هو يدل من تدعوني الأول يقال: دعاه إلى كذا ودعاه له كما يقال هداه إلى الطريق وهداه له ( وَأَشْرَكَ بِهِ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ ) أى بربوبيته والمراد بنفى العلم بنفى المعلوم كأنه قال : وأشرك به ما ليس بالله وما ليس به كيف يصح أن يعلم لما ( وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّزْيِينِ الْفَنِيِّ ) وهو الله سبحانه وتعالى ، وتكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ عن سنة النغلة ، وفيه أنهم قومه وأنه من آل فرعون وجيء بالواو في النداء الثالث دون الثاني ، لأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له بخلاف الثالث ( لَا جَرَمَ ) عند البصريين لارد لا دعاه إليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله أى حق ووجب بطلان دعوته ( أَنَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ) معناه أن ما تدعوني إليه ليس له دعوة إلى نفسه قط أى من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته وما تدعون إليه وإلى عبادته لا يدعو هو إلى ذلك ، ولا يدعى الربوبية أو معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة أو دعوة مستجابة جملة الدعوة التي لاستجابة لها ولا منفعة كالدعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازي عليه بالجزاء في قوله: كما تدن تدان ( وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ ) وَنَرْجِعْنَا إِلَيْهِ ( وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ ) وأن المشركين ( هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسَقَدُوا كُرُونَا قَوْلُ لَكُمْ ) أى من النصيحة عند زول المذاب ( وَأَقْوَسُوا ) وأسلم ( أَمْرِي ) ويفتح الياء مدني وأبو عمرو ( إِلَى اللَّهِ ) لأنهم توعدوه ( إِنَّ اللَّهَ يَصِيرُ بِالْإِيمَانِ ) بأعمالهم ومآلهم ( فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَاسِكُورًا ) شذائذ مكرم وما هوأ به من إلقاء أنواع المذاب بمن خالفهم ، وقيل إنه خرج من عندهم هارباً إلى جبل فبث قريماً من ألف في طلبه ففهم من أكلته السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون ( وَحَاقَ ) وذل ( بِأَلْوِافِرْعَوْنَ سَوْءُ الْعَذَابِ الْقَارِ ) يدل من سوء المذاب أو خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل : ما سوء المذاب ؟ فقيل هو النار أو مبتدأ خبره ( يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ) وعرضهم عليها إحراقهم بها يقال : عرض الامام الأسارى على السيف إذا قتلهم به ( غُدُوًّا وَعَشِيًّا ) أى في هذين الوقتين يذبون بالنار ،



وفيما بين ذلك إيمان يذبوا بجنس آخر أو بنفس عنهم ويجوز أن يكون عدواً ومشياً عبارة عن الدوام هذا في الدنيا (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يقال لخزنة جهنم (أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ) من الإدخال مدنى وحزمة وعلى وحفص وخلف ومقبوب وغيرهم ادخلوا أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أَشَدَّ الْعَذَابِ) أى عذاب جهنم وهذه الآية دليل على عذاب القبر (وَأَن يَتَخَبَّحُوا) واذكر دقت تخاسمهم (فِي النَّارِ قِيْلُ الضُّعُفَاءُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) يعنى الرؤساء (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) تباعا كخادم فى جمع خادم (قَهْلُ أَنْتُمْ مُتَّقُونَ) دافنون (عَنَّا نَصِيًّا) جزءاً (مَنْ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا) التنوين عوض من المضاف إليه أى إنا كلنا فيها لا يبنى أحد عن أحد (إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعَالَمِ) فضى بينهم بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ) نلقوكم بتعذيب أهلها وإنما لم يقل لخزنتها لأن فى ذكر جهنم تهويلاً وتفظيماً ويحتمل أن جهنم هى أبرد النار قمرًا من قولهم بمرجهنم بميدة القمر وفيها أعنى الكفار وأطفاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلماذا تعدمهم أهل النار بطلب الدهوة منهم (ادْعُوا رَبَّكُمْ يَحْقَقْ عَنَّا يَوْمًا) بقدر يوم من الدنيا (مَنْ الْعَذَابِ قَالُوا) أى الخزنة توييخا لهم بعد مدة طويلة (أَوَلَمْ تَكُ) أى أولم تك قصة وقوله (تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ تَفْسِرُ الْقَصَصَ بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات (قَالُوا) أى الكفار (بَلَى قَالُوا) أى الخزنة تهكما بهم (فَادْعُوا) أنتم ولا استجابة لدعائكم (وَمَادَعُوا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) بطلان وهو من قول الله تعالى ويحتمل أن يكون من كلام الخزنة (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ) أى فى الدنيا والآخرة يعنى أنه يطلبهم فى الدارين جميعاً بالحجة والظفر على مخالفهم وإن غلبوا فى الدنيا فى بعض الأحيان امتحاناً من الله والمآبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بمدحين ويوم نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما قول جنتك فى أمس واليوم، والأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريه الأنبياء والحفظة، فالأنبياء يشهدون عند رب العزة على الكفرة بالتكذيب والحفظة يشهدون

على بن آدم بما عملوا من الأعمال. تقوم بالثناء الرازي من هشام (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ  
 مَعْدِرَتُهُمْ) هذا يدل من يوم يقوم أى لا يقبل عندهم. لا ينفع كوفي ونافع (وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ)  
 اليمعن من رحمة الله (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) أى سوء دار الآخرة وهو عذابها (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى  
 الْهُدَى) يريد به جميع ما أتى به فى باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وَأَوْزَنَّا  
 سَيْسَ إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ) أى التوراة والإنجيل والزيور لأن الكتاب جنس أى تركنا  
 الكتاب من بعد هذا إلى هذا (هُدَى وَذِكْرَى) إرشادا وتذكرة واتصاهما على الفعل  
 له أو على الحال (لِأَوَّلِي الْأَنْبِيَاءِ) قدوى المقول (فَأَمِيرٌ) على ما يجرك قومك من النقص  
 (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) يعنى إن ما سبق به وعدي من نصرتك وإعلاء كلمتك حق (وَأَسْتَغْفِرُ  
 لَذَنْبِكَ) أى لذنب أمثلك (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْمُتَيَّاتِ وَالْإِنْكَارِ) أى دم على عبادة  
 ربك والثناء عليه وقيل هما صلاتا مصر والفجر وقيل قل سبحان الله وبحمده (إِنَّ الَّذِينَ  
 يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَقْبَرُونَ سُلْطَانَهُمْ) لا وقف عليه لأن خبر إن (إِنْ فِي صُدُورِهِمْ  
 إِلَّا كِبْرٌ) تعظم وهو إرادة التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم فلماذا عادوك ودفنوا  
 آياتك خيفة أن تقتسمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة  
 أو إرادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله: لو كان خيرا ما سبقونا إليه.  
 أو إرادة دفع الآيات بالجدل (مَا هُمْ بِبِلَيْنِيهِ) ببالنى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق  
 لإرادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات (فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ) فالتجىء إليه من كيد من  
 يحسدك ويبغى عليك (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لما تقول ويقولون (الْبَصِيرُ) بما تعمل ويمسكون  
 فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (أَخْلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ  
 النَّاسِ) لما كانت عبادتهم فى آيات الله مشتتة على إنكار البت وهو أصل الجادة ومدارها  
 حجوا بخلق السموات الأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها فإن من قدر على خلقها مع  
 عظمها كان على خلق الإنسان مع مهاتته أقدر (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)  
 لأنهم لا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم (وَمَا يَسْتَوِ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ) لازائدة (قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) تنمطون بتأمين كوفي، وبياء وتاء  
 غيرهم، وقليلا صفة مصدر محذوف أى تذكر قليلا تذكرون وما صلة زائدة (إِنَّ السَّاعَةَ

لَا تَنِيَّةَ لَا رَبِّبَ فِيهَا) لا بد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لأنه لا بد من جزاء ثلاث يكون خلق  
الخلق للفناء خاصة (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) لا يصدقون بها (وَقَالَ رَبُّكُمْ  
اذْكُرُونِي) اعبدوني (أَسْتَجِيبَ لَكُمْ) أجبكم فالدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه  
قوله (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) وقال عليه السلام: «الدعاء هو العبادة» وقرأه  
الآية ﷺ وعن ابن عباس رضي الله عنهما وحدوني أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة  
ثم للعبادة بالتوحيد وقيل سلوني أعطكم (سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ) سيدخلون مكة وأبو هريرة  
(ذَاخِرِينَ) صاغرين (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) هو  
من الإسناد المجازي أى مبصر فيه لأن الإبصار في الحقيقة لأهل النهار وقرن الليل بالفعول  
به والنهار بالحال ولم يكونا حالين أو مفعولا لهما رعاية لحق المقابلة لأنهما متقابلان معنى لأن  
كل واحد منهما يؤى مؤدى الآخر ولأنه لو قيل لتبصروا فيه فانت الفصاحة التي في الإسناده  
المجازي ولو قيل سا كننا لم تتميز الحقيقة من المجاز إذ الليل يوسف بالسكون على الحقيقة ألا  
ترى إلى قولهم ليل ساج أى ساكن لا ربح فيه (إِنَّ اللَّهَ أَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) ولم يقل  
لفضل أو لتفضل لأن المراد تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك إنما يكون  
بالإضافة (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لا يتكرر  
ذكر الناس لأن في هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل  
الله ولا يشكروه كقوله: إن الإنسان لكفور. وقوله: إن الإنسان لظالم كفار (ذَلِكَ) الذى  
ملق لكم الليل والنهار (اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا هُوَ) أخبار مترادفة  
أى هو الجامع لهذه الأوصاف من الربوبية والإلهية وخلق كل شيء والوحدانية (فَأَنى  
تُؤْفَكُونَ) فكيف ومن أى وجه تصرفون من عبادته إلى عبادة الأوثان (كَذَلِكَ يُؤْفَكُ  
الَّذِينَ كَانُوا يَئَاتِيَتِ اللَّهَ يَجْعَدُونَ) أى كل من جعد بآيات الله ولم يتأملها ولم يطلب  
الخلق أفك كما أفكوا (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا) مستقرا (وَالسَّمَاءَ بَنَاءً)  
سقفا فوقكم (وَمَوْرَكًا) فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ) قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من  
الإنسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) اللذيذات (ذَلِكَ) الذى

اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْمَلَكِينَ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ ( قَاعِدُوهُ )  
 ( مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ) أى الطاعة من الشرك والرياء قائلين ( الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْمَلَكِينَ )  
 من ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ولا  
 طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الأوثان زل ( قُلْ إِنِّي بُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْكَبِيرُ مِنْ رَبِّي ) هى القرآن وقيل العقل والوحى ( وَأُيْرِتُ أَنْ  
 أُسَلِّمَ ) استغيم وأقاد ( رَبِّ الْمَلَكِينَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ ) أى أسلكم ( مَنْ تَرَابِ  
 ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ) انقصر على الواحد لأن المراد بيان الجنس  
 ( ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشَدَّكُمْ ) متعلق بمعدوف تقديره ثم يقيقكم لتبلغوا وكذلك ( ثُمَّ لَتَكُونُوا  
 شُيُوخًا ) وبكسر الشين مكى وحمة وعلى وحاد ويحيى والأعشى ( وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى  
 مِنْ قَبْلِ ) أى من قبل بلوغ الأشد أو من قبل الشيوخة ( وَلَتَبَلَّغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى ) معناه  
 يضمن ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت أو يوم القيامة ( وَلَتَمُنَّكُمْ ) تَمُنَّوْنَ ( مَافِي  
 ذَلِكَ مِنَ الْعَبَرِ وَالْحَجِجِ ) هُوَ الَّذِي يُضْهِرُ وَيُهِيمُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ  
 فَيَكُونُ ( أى فإِنَّمَا يَكُونُهُ سَرِيعًا مِنْ غَيْرِ كَلْفَةٍ ) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ  
 أَنَّى يَصْرُقُونَ ( ذكر الجدال فى هذه السورة فى ثلاثة مواضع فجاء أن يكون فى ثلاثة أقوام  
 أو ثلاثة أصناف أولئك كيد ( الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ ) بالقرآن ( وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا  
 مِنَ الْكِتَابِ ) فَسَوْفَ يَمْلِكُونَ إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ( إذ ظرف زمان ماض والمراد به  
 هنا الاستقبال كقوله : فسوف يملكون . وهذا لأن الأمور المستقبلية لما كانت فى أخبار الله تعالى  
 فخطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد ، والمعنى على الاستقبال ( وَالسَّيْلُ ) عطف على  
 لأغلال والخبر فى أعناقهم والمعنى إذ الأغلال والسلاسل فى أعناقهم ( يُسْحَبُونَ فِي الْحَبِيمِ )  
 يبرون فى الماء الحار ( ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ) من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومعناه  
 بهم فى النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم ( ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ ) أى  
 قول لهم الخزنة ( أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) يعنى الأصنام التى تعبدونها ( فَأَكْوَأُوا  
 لِمَا عَنَّا ) غابوا عن عيوننا فلا زمام ولا تنتفع بهم ( بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا

أى تبين لنا أهم لم يكونوا شيئاً وما كنا نعبد بمبادتهم شيئاً كما تقول حسبت أن فلاناً فنى .  
 فإذا هو ليس بشئ . إذا خبرته فلم تر عنده خيراً ( كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ) مثل ضلال  
 آلهتهم عنهم يضللهم من آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادقوا أو كما أسل  
 هؤلاء المجادلين يضلل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين ( ذَلِكُمْ )  
 العذاب الذى زل بكم ( بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ )  
 . سبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الأوثان فيقال لهم  
 ! اذْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ( السبعة المقسومة لكم . قال الله تعالى : لها سبعة أبواب لكل باب منهم  
 جزء مقسوم . ) ( خَلِيدِينَ فِيهَا ) مقدرين الخلود ( قَبِضَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ) عن الحق جهنم  
 ( فَاسِيرٌ ) يا محمد ( إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ ) بإهلاك الكفار ( حَقٌّ ) كَأَنَّ ( فَأَمَّا نَرِيكَ ) أسله  
 فإن ربك وما مزيدة لتوكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول إن نسكرمى  
 ' كرمك ولكن إمانسكرمى أكرمك ( بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ) أَوْتَوْفَيْنَاكَ فَإِنَّمَا يَرْجِعُونَ  
 هذا الجزاء متعلق بتوفيك وجزاء ربك عدوف وتقديره وإما ربك بعض الذى نعدهم من  
 العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك أو إن توفيك قبل يوم بدر فإينما يرجعون يوم القيامة فننتقم  
 منهم أشد الانتقام ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ) إلى أمهم ( مِنْهُمْ مَّن قَعَسْنَا عَلَيْكَ  
 رَمِيمُهُمْ مِّن لَّمْ قَعَسْنَا عَلَيْكَ ) قيل بمث الله ثمانية آلاف نبي : أربعة آلاف من بنى إسرائيل  
 وأربعة آلاف من سائر الناس . وعن علي رضي الله عنه إن الله تعالى بمث نيبا أسود فهو من لم نذكر  
 قصته في القرآن ( وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ) وهذا جواب اقتراحهم  
 الآيات عنادا يعنى إما قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتي بآية إلا بإذن  
 الله فمن أين لي بأن آتى بآية مما تفرحونه إلا أن يشاء الله ويأذن في الإتيان بها ( فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ  
 : طه ) أى يوم القيامة وهو وعيد ورد عقب اقتراحهم الآيات ( قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ  
 الْغَاطِلُونَ ) العاندون الذين اقترحوا الآيات عنادا ( اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ ) خلق ( لَكُمْ الْأَنْعَامَ )  
 الإبل ( لَتَرَكِبُوا مِنْهَا وِثْمًا وَثَمَرًا ) أى لتركبوا بعضها وثأكلوا بعضها ( وَلَكُمْ فِيهَا  
 مَنَافِعُ ) أى الألبان والأوبار ( وَلَتَبْلَغُنَّ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ) أى لتبلغوا عليها

ما يحتاجون إليه من الأمور (وَعَلَيْهَا) وعلى الأنعام (وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ) أى على الأنعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك فى البر والبحر (وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ قَآئِمًا ءَايَاتِ اللَّهِ تُكْرِرُونَ) أنها من عند الله وأى نصب بتفكرون وقد جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فآية آيات الله قليل لأن التفرقة بين الذكر والمؤنث فى الأسماء غير الصفات نحو حمار وحماره غريب وهى فى أى أغرب لإيهامه (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ) عددا (وَأَشَدَّ قُوَّةً) بدنا (وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ) قصورا ومصانع (فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ) مانافية (مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ نَارًا حَآئِلَةً مِنْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) يريد علمهم بأمر الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلما جاءتهم الرسل يعلمون الديانات وهى أبعد شئ من علمهم لبسها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلمفتوا إليها وصغروها واستهزوا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به أو علم الفلاسفة والدهريين فإلهم كانوا إذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا عم الأنبياء إلى علمهم. وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهذبون فلاحاجة بنا إلى من يهذبنا، أو المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزءوا بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحي فرحين صريحين وبدل عليه قوله (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أو الفرح للرسول أى الرسل لما رأوا جهلهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) شدة عذابنا (قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم (سُنَّتَ اللَّهُ) بمنزلة وعده الله ونحوه من المصادر المؤكدة (الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) أن الإيمان عند نزول المذاب لا ينفع وأن المذاب نازل بمكذبي الرسل (وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) هنالك مكان مستعار للزمان والكافرون خاسرون فى كل أوان ولكن يتبين خسراهم إذا

ما ينو المذاب، وفائدة ترادف الفاءات في هذه الآيات أن فأغنى عنهم نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وفلما جاءتهم رسلهم كالبيان والتفسير لقوله فأغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء، وفلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك يفهمهم إيمانهم تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله والله أعلم .

### ( سورة فصلت مكية وهي ثلاث وخمسون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( حَم ) إن جعلته اسما للسورة كان مبتدأ ( نَزِيلٌ ) خبره وإن جعلته تمديدا للعروف كان تنزيل خبراً لمبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أو تنزيل مبتدأ ( مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) صفته ( كِتَابٌ ) خبره ( نُصِّلْتُ آيَاتُهُ ) ميزت وجعلت تفاصيل في ممان مختلفة من أحكام وأمثال ومواظ وعيد وغير ذلك ( قُرْآنًا عَرَبِيًّا ) نصب على الاختصاص والمدح أى أريد بهذا الكتاب الفصل قرآنًا من صفته كيت ركيت أو على الحال أى فصلت آياته في حال كونه قرآنًا عربيًا ( لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ) أى لقوم عرب يملكون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي ولقوم يتعلق بتنزيل أو بفصلت أى تنزيل من الله لأجلهم أو فصلت آياته لهم والأظهر أن يكون سفة مثل ما قبلها وما بعده أى قرآنًا عربيًا كائنًا لقوم عرب ( يَشِيرًا وَنَذِيرًا ) صفتان لقرآننا ( فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ) أى لا يقبلون من قولك تشفعت إلى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمع ولكنه لالم يقبله ولم يسمع بمقتضاه فكا أنه لم يسمعه ( وَقَالُوا أَأُتُونَ فِي آيَاتِهِ ) أعطية جمع كنان وهو النطاء ( مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ) من التوهميد ( وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ) ثقل يمنع من استماع قولك ( وَمِنَ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ) ستر وهذه تمثيلات لنحو قلوبهم من قبل الحق واعتقاده كأنها في غلف وأعطية تمنع من نفوذ فيها ومع إسماعهم له كأن بها صمما عنه وتباعد الذهين والدينين كأن بينهم ومأم عليه وبين رسول الله ﷺ وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاق ولا ترى ( فَأَعْمَلْ ) على دينك ( إِنَّا عَمِلُونُ ) على ديننا أو قمى في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك وفائدة زيادة من أن الحجاب ابتداء منا وابتداء

منك فالسافة التوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لافراخ فيها ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ) هذا جواب لقولهم قلوبنا في أكنة ووجهه أنه قال لهم: إني لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحى إلى دونكم فصعنت نبوتى بالوحى إلى وأنا بشر وإذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى وفيها يوحى إلى أن الحكم لله واحد (فَاسْتَقِيمُوا إِلَى اللَّهِ) فاستووا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين إلى مايسول لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء (وَاسْتَفْرِوْهُ) من الشرك (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) لا يؤمنون بوجوب الزكاة ولا يعطونها أولا يفعلون ما يكتفونون به أزكيا وهو الإيمان (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ) بالبعث والثواب والعقاب (هُمْ كَفِرُونَ) وإنما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على استقامته وصدق نيته ونسوع طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة من الدنيا فقرت هميتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة إلا بمنع الزكاة وفيه يمت للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منمها (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) مقطوع قيل نزلت في الرضى والزمى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون (قُلْ أَنتُمْ كُفْرُوكَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) الأحد والاثنين تمليا للأناة ولو أراد أن يخلقها في لحظة لفعل (وَنَجْعَلُوكَ لَهُ أُنْدَادًا) شركاء وأشباها (ذَلِكَ) الذى خلق ماسبق (رَبُّ الْمَلَكِينَ) خالق جميع الموجودات وسيدها ومربيها (وَجَعَلَ فِيهَا) فى الأرض (رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت (مِنْ فَوْقِهَا) إنما اختار لإسعادها فوق الأرض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها وليبصر أن الأرض والجبال أقال على أقال كلها مفتقرة إلى ممسك وهو الله عز وجل (وَبَرَكَ) بالماء والزرع والشجر والتمر (فِيهَا) فى الأرض وقيل وبارك فيها وأكثر خيرها (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا) أرزاق أهلها ومايشهم ومايصلحهم، وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وقسم فيها أقوامها (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) فى تمة أربعة أيام يربد بالتمة اليومين قول: سرت



من البصرة إلى بغداد في عشرة وإلى الكوفة في خمسة عشر أى تسعة خمسة عشر ولا بد من هذا التقدير لأنه لو أجرى على الظاهر لسكانت ثمانية أيام لأنه قال خلق الأرض في يومين ثم قال وقدر فيها أوقاتها في أربعة أيام ثم قال فقضاهن سبع سموات في يومين فيكون خلاف قوله في ستة أيام في موضع آخر، وفي الحديث: إن الله تعالى خلق الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والممران والخراب فخلق أربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة من يوم الجمعة قيل هي الساعة التي تقوم فيها القيامة (سَوَاءٌ) - سواء يعقوب صفة للأيام أى في أربعة أيام مستويات تامات، سواء بالرفع يزيد أى هي سواء، غيرها سواء على المصدر أى استوت سواء أى استواء أو على الحال (تَلَسَّتَيْنِ) متعلق بقدر أى قدر فيها الأوقات لأجل الطالبين لها والمحتاجين إليها لأن كلا يطلب القوت ويسأله أو يمجذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل في كم خلقت الأرض وما فيها (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) هو مجاز عن إيجاد الله تعالى السماء على ما أراد، يقول العرب: فعل فلان كذا. ثم استوى إلى عمل كذا يريدون أنه أكل الأول وابتدأ الثاني ويفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما وعنه أنه قال أول ما خلق الله تعالى جوهرة طوله وعرضها مسيرة ألف سنة في مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر إليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان تسلبط النار عليها فارفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد أرضا والدخان سماء ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتناعهما أنه أراد أن يكونهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا في ذلك كالأمور الطبيع إذا ورد عليه فعل الأمر المطاع وإنما ذكر الأرض مع السماء في الأمر بالإتيان والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين لأنه قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال: والأرض بعد ذلك دحاها. فالمنى أن أتيا على ما بينى أن أتيا عليه من الشكل والوصف اثني يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لأهلك واثني يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الإتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا، وقوله طوعا وكرها لبيان تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما تقول لمن تحت يدك. لتفعلن هذا شئت

أو آيت وثقلته طوعاً أو كرها أو اتصا بهما على الحال بمعنى طائفتين أو مكرهتين وإعالم يقل طائفتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لأنهما سموات وأرضون لأنهن لا جعلن مخاطبات وعباسات ووصفن بالطوع والكراهة قيل طائفتين في موضع طائعات كقوله ساجدين (فَقَضَّاهُنَّ) فأحكم خلقهن. قال: \* وعليهما مسرودتان قضاهما \* والضمير يرجع إلى السماء لأن السماء للجنس ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً مفسراً بقوله (سَبَعَ سَمَوَاتٍ) والفرق بين النصيبين في سبع سموات أن الأول على الحال والثاني على التمييز (فِي يَوْمَيْنِ) في يوم الخميس والجمعة (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) ما أمر به فيها ودره من خلق اللائكة والنيران وغير ذلك (وَرَبَّاعِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا) القريبة من الأرض (بِمَصْبُوحٍ) بكواكب (وَحِفْظًا) وحفظناها من المسترقة بالسكواكب حفظاً (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْأَمْرِ) الغالب غير الغلوب (الْمَلِكِ) بمواقع الأمور (فَإِنْ أَعْرَضُوا) عن الإيمان بمد هذا البيان (فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ) خوفكم (صَافِيَةً) عذاباً شديداً الواقع كأنه صاعقة وأسلها رعد معه نار (مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) أي أتوم من كل جانب وعلموا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا الإعراض وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة (أَنْ) بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا) أي القوم (تَوَشَّاءَ رَبُّنَا) إرسال الرسل فمعمول شاء محذوف (لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأِنَّا أَرْسَلْنَا بِرُوحِ كُفْرُونٍ) معناه فإذا أنتم بشر ولستم بملائكة فإننا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقوله أرسلتم به ليس بإقرار بالإرسال وإنما هو على كلام الرسل وفيه بهكم كما قال فرعون: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. وقولهم: فإننا بما أرسلتم به كافرون. خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان بهم روى أن قريشاً بمثوا عبدة بن ربيعة وكان أحسنهم حديثاً ليحكم رسول الله ﷺ وينظر ما يريد فأثاه وهو في الحطيم فلم يسأل شيئاً إلا أجابه ثم قرأ عليه السلام السورة إلى قوله مثل صاعقة عاد وثمود ففأشده بالرحم وأمسك على فيه ووثب مخافة أن يصب عليهم المذاب فأخبرهم به وقال لقد عرفت السحر والشعر فوالله ما هو بساحر ولا بشاعر فقالوا لقد صيأت أما فهمت منه كلمة فقال لا ولم أهد إلى جوابه فقال عثمان بن مظعون ذلك والله لتعلموا أنه من رب العالمين ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال (فَأَمَّا عَادُ

فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِبَغْيٍ الْحَقِّ) أى نطغوا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الأجرام أو استولوا على الأرض بغير استحقاق للولاية (وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان يفتلح الصخرة من الجبل بيده (أَوَلَمْ يَرَوْا) أولم يعلموا علما يقوم مقام العيان (أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) أوسع منهم قدرة لأنه قادر على كل شيء وهم قادرون على بعض الأشياء بإقداره (وَكَانُوا بِنَاءِ يَتَنَافَعُونَ) معطوف على فاستكبروا أى كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جعلوها كما يجهل المودع الوديعة (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) عاصفة نصرصر أى تصوت فى هبوبها من الصرير أو ياردة تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد قيل إنها الدبور (فِي أَيَّامٍ نَحِيسَاتٍ) مشثومات عليهم. نحسات مكى وبصرى ونافع ونحس نحسا نقيض سمد سمدًا وهو نحس وأما نحس فلأما تخفف نحس أو سفة على فعل أو وصف بمصدر وكانت من الأربعاء فى آخر شوال إلى الأربعاء وما عذب قوم إلا فى الأربعاء (لَنُدْرِيَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أضاف العذاب إلى الخزي وهو اللذ على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء ويدل عليه قوله (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى) وهومن الإسناد المجازى ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به فشتان ما بين قولك هو شاعر وله شعر شاعر (وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ) من الأسنام التى عبدوها على رجاء النصر لهم (وَأَمَّا تَمُودُ) بالرفع على الابتداء وهو الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء والخبر (فَهَدَيْنَاهُمْ) وبالنصب المفضل بإظهار فعل يفسره فهديناهم أى هدينا لهم الرشد (فَاسْتَجَبُوا أَلْعَمَى عَلَى الْهُدَى) فاختراروا الكفر على الإيمان (فَأَخَذْنَاهُمْ صَمِيغَةً الْعَذَابِ) داهية العذاب (الهُونِ) الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبطله منه (يَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يكسبهم وهو شركهم ومماسيهم، وقال الشيخ أبو منصور يعمثل ما ذكر من الهداية التبيين كإبينا ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة لأن الهدى المضاف إلى الخلق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فأما الهدى المضاف إلى الخلق يكون بمعنى البيان لا غير، وقال صاحب الكشف فيه: فلا قلت معنى قولك هديته جعلته فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهدى بمعنى

تحصيل البنية وحصولها كما تقول: رددته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة ففت  
الدلالة على أنه مكنهم فأزاح عنهم ولم يبق لهم عذر فكانه حصل البنية فيهم بتحصيل  
ما يوجبها ويقضيها وإنما تحمل بهذا لأنه لا يتمكن من أن يفسره بخلق الاعتداء لأنه يخالف  
مذهبه الفاسد (وَنَجِّنَا الَّذِينَ آمَنُوا) أي اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة  
(وَكَا نُوا يَقْتُونَ) اختيار العمى على الهدى (وَيَوْمَ يُخْشَرُ أَعْدَاؤُهُ إِلَى النَّارِ) أي الكفار  
من الأولين والآخرين. نخشروا أعداءنا فاع ويمقوب (فَهُمْ يَوْزَعُونَ) يحبس أولهم على آخرهم  
أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم نوابقهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار وأسد من  
وزعته أي كفتته (حَتَّىٰ إِذَا تَاجَأُوا وَهَا) ساروا بحضرتها وما مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد  
أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها (شَوَدَ  
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) شهادة الجلود بعلامسة الجرم  
وفيل كناية عن الفروج (وَقَالُوا لِيُجَاوِدْهُمْ رَبِّمْ لَا نَبْشِدُهُمْ) لما تماطسهم من شهادته  
عليهم (قَالُوا أَلَفَعْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) من الحيوان والمعنى أن نطقنا ليس بمعجب  
من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)  
وهو قادر على إنشائكم أول مرة وعلى إعادتكم ورجوكم إلى جزائه (وَمَا كُنْتُمْ  
تَسْتَعِيرُونَ) أن يشهد عليكم سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) أي أنكم كنتم  
تسترون بالحجب والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد  
عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبحث والجزاء  
اصلاً (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ) ولكنكم كنتم  
تظنون أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ  
فِي اللَّهِ فَاسْتَفْتَيْتُمْ بِهِ كَثِيرًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَلَا تَفْقَهُوا شُرُوكُ اللَّهِ إِلَٰهَ اللَّهِ) وذلك الظن هو الذي أهلككم، وذلك مبتدأ ومثلكم خبر  
مبني على الظن (فَإِنْ يَعْصِرُ أَوْ نَاقِلًا أَمْثَلُ لَكُمْ) أي فإن يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم  
ينفكوا به من التواء في النار (وَإِنْ يَسْتَمْتِئُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُفْتَمِينَ) وإن يطلبوا الرضا  
فهم من الرضيين وإن يسألوا العتي وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون حزما ممام فيه لم يمتبوا

ثم يملأوا العتبى ولم يجابوا إليها (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ) أى قدرنا لشركى مكة ، يقال هذان ثوبان  
 فيضان أى مثلان والمقايسة المماثلة، وقيل سلطنا عليهم (فَرَنَاءُ) أخذانا من الشياطين جمع  
 قرين كقوله ومن يمش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطاناً فهو له قرين (فَرَبُّنَا لَهُمْ مَا يَتَّبِعُهُمْ  
 وَكَمْ خَلَفَهُمْ) أى ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر  
 الدنيا وامتاع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا يثبت ولا حساب (وَحَقَّ عَلَيْهِمُ  
 الْقَوْلُ) كلمة العذاب (فِي أُمَمِهِمْ) فى جملة أمة وعمله النصب على الحال من الضمير فى عليهم أى  
 حق عليهم القول كائين فى جملة أمة (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ) قبل أهل مكة (مِنَ الْجِنَّ  
 وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ) هو تمليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمة (وَقَالَ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ) إذا قرئ (وَالْقَوْمُ فِيهِ لَمَكَلٌ مُنْتَبِهُونَ)  
 وراضوه بكلام غير مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته واللفظ الساقط من الكلام  
 الذى لا مائل تحته (فَلَنَذِقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا) يجوز أن يريد بالذين كفروا  
 هؤلاء اللادين والأمرين لهم باللفظ خاصة ولكن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت  
 ذكرهم (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى أعظم عقوبة على أسوأ أعمالهم وهو  
 الكفر (ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ) ذلك إشارة إلى الأسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ  
 جزاء الذى كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارة (النَّارُ) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ  
 محذوف (لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) أى النار فى نفسها دار الخلد كما تقول لك فى هذه النار دار  
 للسرور وأنت تسمى النار بمنها (جَزَاءُ) أى جوزوا بذلك جزاء (يَا كَانُوا رَبًّا بَيْنَنَا  
 وَبَيْنَهُمْ) قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا) وبسكون الواو لثقل الكسرة كما قالوا فى نغذ  
 نغذ، مكى وشامى وأبو بكر . وبالاختلاس أبو عمرو (الَّذِينَ أَسْلَمْنَا) أى الشيطانين اللذين  
 أسلانا (مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ) لأن الشيطان على ضربين جنى وإنسى، قال تعالى: وكذلك جعلنا  
 لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن (نَجَّيْنَاهُمْ نَحْنُ أَقْدَمُنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْسَّافِينَ)  
 فى النار جزاء إضلالهم إيانا (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ) أى نطقوا بالتوحيد (ثُمَّ اسْتَفْتَوْا)  
 ثم استمعوا على الإقرار ومقتضياته، وعن الصديق رضى الله عنه استقاموا فضلاً كما استقاموا قولاً  
 ثم تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذبوا قال حملتم الأمر على أشده قالوا فما تقول

قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان ، وعن عمر رضى الله عنه لم يروغوا روغان الثمالب أى لم يناقضوا  
وعن عثمان رضى الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضى الله عنه أدوا الفرائض وعن الفضيل  
زهديا في الغانية ورغبوا في الباقية وقيل حقيقة الاستقامة القرار بعد الإقرار لا الفرار بعد  
الإقرار ( تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ) عند الموت ( أَنْ ) بمعنى أى أو خففة من الثقيلة وأسنه  
بأنه ( لَا تَخَافُوا ) والهاء ضمير الشأن أى لا تخافوا ما تقدمون عليه ( وَلَا تَحْزَنُوا ) على  
ما خلفتم فالخوف غم يلحق الإنسان لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع  
أو حصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تدووه ( وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ  
الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ) في الدنيا ، وقال محمد بن علي الترمذي: تنزل عليهم ملائكة الرحمن عند  
مفارقة الأرواح الأبدان أن لا تخافوا سلب الإيمان ولا تحزنوا على ما كان من المصائب وأبشروا  
بدخول الجنان التي كنتم توعدون في سالف الزمان ( تَحْنُ أَوْ لَيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَفِي الْآخِرَةِ ) كما أن الشياطين قراء العصاة وإخوانهم فكذلك الملائكة أولياء النفين  
وأحبائهم في الدارين ( وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ ) من النعيم ( وَلَكُمْ فِيهَا  
مَا تَدْعُونَ ) تمنون ( نَزَلًا ) هو رزق نزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال من الهاء  
المحذوفة أو من ما ( مِنْ غَفْوَةٍ رَجِيمٍ ) نعت له ( وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ )  
إلى عبادته هو رسول الله دعا إلى التوحيد ( وَعَمِلَ صَالِحًا ) خالسا ( وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ )  
تفاهرا بالإسلام ومعتادا لها وأصحابه عليه السلام أو المؤمنون أو جميع الهداة والدعاة إلى الله  
( وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ) اذفع بالتي هي أحسن ( بِمَعْنَى أَنَّ الْحَسَنَةَ وَالسَّيِّئَةَ  
مَنْفَاوَتَانِ فِي أَنْفُسِهِمَا نَغْذٍ بِالْحَسَنَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنْ أَخْبَاهَا إِذَا اعْتَرَضَتْكَ حَسَنَتَانِ قَادِفِجَاهَا  
السَّيِّئَةُ الَّتِي تَرُدُّ عَلَيْكَ مِنْ بَعْضِ أَعْدَائِكَ كَأَوْ أَسَاءَ إِلَيْكَ رَجُلٌ إِسَاءَةً فَالْحَسَنَةُ أَنْ تَعْفُو عَنْهُ  
وَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أَنْ تَحْسَنَ إِلَيْهِ مَكَانَ إِسَاءَتِهِ إِلَيْكَ مِثْلُ مَنْ أَنْ يَذِمَّكَ فَتَمْدَحُهُ أَوْ يَقْتُلُ وَلَدَكَ  
فَتَقْتُلِي وَلَدَهُ مِنْ يَدِ عَدُوِّهِ ( فَلِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ) فإنك  
إذا فعلت ذلك أهلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم معافاة لك ثم قال ( وَمَا يُبَلِّغُنَا ) أى  
وما يلقى هذه المحصلة التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان ( إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ) إلا أهل الصبر

(وَمَا يُلْقِيَنَّ إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ) إلا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وإنما لم يقل غادف بالتي هي أحسن لأنه على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقبل ادفع بالتي هي أحسن وقبل لا مزيدة للتأكيد والمعنى لا تستوى الحسنة والسيئة وكان التماس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتي هي حسنة ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها، ومن ابن عباس رضى الله عنهما: بالتي هي أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وفسر الحظ بالثواب، ومن الحسن: والله ما عظم حظ دون الجنة، وقيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا للنبي ﷺ فصار وليا مضافيا (وَأَمَّا بِنَزْحِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ) النزغ شبه التخنس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه يبعثه على مالا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد وإما ينزحك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) من شره وامض على حلك ولا تطلعه (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لاستماعتك (الْعَلِيمُ) بنزغ الشيطان (وَمِنَ الْبَيِّنَاتِ) الدالة على وحدانيته (الَّيْلُ وَالنَّهَارُ) في تماقهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) في اختصاصهما بسير مقدر ونور مقرر (لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ) فليهما خلوقان وإن كثرت منافعهما (وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) الضمير في خلقهن للآيات أو الليل والنهار والشمس والقمر لأن حكم جماعة مالا يقل حكم الأنبياء أو الإنثاء، تقول الأقلام يريتها وبريتها ولعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصائبين في عبادتهم الكواكب وزعمون أنهم يقصدون بالسجود لها السجود لله تعالى فهو من هذه الوسطة وأمرُوا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصة إن كانوا إياه يبدون وكانوا موحدين غير مشركين فإن من عبد مع الله غيره لا يكون عابدا لله (فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) أى اللاتسكة (يُسَيِّخُونَ لَهُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَهُمْ لَا يَسْتَشْعُرُونَ) لا يفلتون . انتهى ابن استكبروا ولم يمتثلوا بأمرُوا به وأبوا إلا الوسطة وأمرُوا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصة عنهم وشأنهم فإن الله تعالى لا يمدح عابدا وساجدا بالإخلاص ولا العباد القريبون لدن برهوه بالليل والنهار عن الأنداد وعند ربك عبارة عن الزنى والمكانة والكرامة

وموضع السجدة عندنا لا يستعملون وعند الشافعي رحمه الله عند تمديدون والأول أحوط (وَمِنْ  
 مَا يُتَرَىٰ أَنَّكَ تَرَىٰ الْأَرْضَ خَشْمَةً) أي بآسة مغيرة والخشوع التذلل فاستمر لحال الأرض إذا  
 كانت قحطة لآنبات فيها (فَإِذَا أُنْزِلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ) المطر (اهْتَرَّتْ) تحركت بالنبات (وَرَبَّتْ)  
 انتفخت (إِنَّ الَّذِي أُخْيَاهَا لَمُخَيِّرٌ الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فيكون قادرا  
 على البعث ضرورة (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا) يميلون عن الحق في أدلتنا بالظن، يقال  
 لحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة غفر في شق فاستمر لحال الأرض إذا كانت ملحودة  
 فاستمر للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة. يلحدون حمزة (لَا يَخْشَوْنَ  
 مَعْنَيْنَا) وعيد لهم على التعريف (أَقْمَنُ يُبْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)  
 هذا تمثيل للسكران والمؤمن (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) هذا نهاية في التهديد ومبالغة في الوعيد (إِنَّهُ  
 بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم عليه (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ كُفْرًا) القرآن لأنهم لكفرهم  
 به طعنوا فيه وحرفوا تأويله (لَمَّا جَاءَهُمْ) حين جادم وخبر إن محذوف أى يمدحون أو  
 هالكون أو أولئك ينادون من مكان بعيد وما بينهما اعتراض (وَأَنَّهُ لَكَتَبٌ عَزِيزٌ) أي  
 منيع محي بحماية الله (لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ) التبدل أو التناقض (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ  
 خَلْفِهِ) أى بوجه من الوجوه (نَزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) مستحق للحمد (مَا يُفَارِقُ  
 لَكَ) ما يقول لك كفار قومك (إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ) إلا مثل ما قال للرسول  
 كفار قومهم من الكلمات المؤذبة والطاعن في الكتب المنزلة (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ) ورحمة  
 لأنبيائه (وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) لأعدائهم ويجوز أن يكون ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسول  
 من قبلك، والقول هو قوله إن ربك ذو مغفرة وذو عقاب أليم (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ) أى الله كـ  
 (قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا) أى بلغة المعجم كانوا لتمنهم يقولون: هلا نزل القرآن بلغة المعجم قليل  
 في جوابهم لو كان كما يقرحون (قَالُوا لَوْ لَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) أى بينت بلسان العرب حتى  
 نفهمها امتنا (أَعْجَمِيٌّ وَفَرِيقٌ) بهمز نين كوفي غير حفص والهمزة للإنكار يعنى لأنكروا  
 وقالوا: أقرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي. الباقر حمزة واحدة ممدودة مستفعدة  
 والأعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من المعجم أو العرب والمعجم منسوب  
 إلى أمة المعجم فصيحاً كان أو غير فصيح، والمعنى أن آيات الله على أى طريقة جاءتهم وجديداً



فهي متعنتا لأنهم غير طالبين للحق وإنما يقيمون أهواءهم وفيه إشارة إلى أنه لو أزيله بلسان المعجم لكان قرآنا فيكون دليلا لأبي حنيفة رضى الله عنه في جواز الصلاة إذا قرأ بالفارسية (قُلْ هُوَ) أى القرآن (لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى) إرشاد إلى الحق (وَشَفَاءٌ) لما فى الصدر من الشك إذ الشك مرض (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْ) في موضع الجر لكونه معطوفا على الذين آمنوا أى هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو الذين لا يؤمنون في آذانهم زمر نى صمم إلا أن فيه عطفا على عاملين وهو جائز عند الأخفش أو الرفع وتقديره والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف البتداء أو في آذانهم منه وقر (وَهُوَ) أى القرآن (عَلَيْهِمْ عَمًى) ظلمة وشبهة (أُولَئِكَ يُبَادِلُونَ مِنَ مَكَانٍ بَعِيدٍ) يعنى أنهم لعدم قبولهم وانتفاعهم بأنهم ينادون إلى الإيمان بالقرآن من حيث لا يسمعون لبعيد المسافة وقيل ينادون في القيامة من مكان بعيد بأفصح الأسماء (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ) قال بعضهم هو حق والى بعضهم هو باطل كما اختلف قومك في كتابك (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير العذاب (لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ) لأهلكهم إهلاك استئصال وقيل الكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم في الدنيا (وَإِنَّ السَّكَارَىٰ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ) موقع في الرية (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) فنفسه نفع (وَمَنْ ءَسَاءَ فَعَمَلُهَا) فنفسه ضرر (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَمِيدِ) فيمذبذب غير المستقر (إِلَّا يَرُدُّهُمْ إِلَىٰ السَّاعَةِ) أى علم قيامها يرد إليه أى يجب على المسئول أن يقول الله يعلم ذلك (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ) مدنى وشامى وحفص وغيرهم بنير ألف (مِّنْ أَكْثَابٍ) أوديتها قبل أن تنشق جمع كم (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ) حملها (وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِمِلْحٍ) أى ما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضح إلا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخلد والتمام والد كورة والأنومة والحسن والقبح وغير ذلك (وَبَوْمٌ يُنَادِيهِمْ) أنى شر كآسى (أضافهم إلى نفسه على زعمهم ويأنه في قوله ابن شركاى الذين زعمتم وفيه تهكم وتوبيخ) (قَالُوا ءَاذَنَّاكَ) أعلمناك وقيل أخبرناك وهو الأظهر إذ الله تعالى كان عالما بذلك

وإعلام العالم بحال أما الإخبار للعالم بالشيء فيتحقق بما علم به إلا أن يكون المعنى إنك علمت  
 من قلوبنا الآن إنا لنشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه  
 ﴿ مَا مِثْلًا مِنْ شَيْءٍ ﴾ أى مامنا أحد اليوم يشهد بأن لك شركا ومامنا إلا من هو موحد لك  
 أو مامنا من أحد يشاهد من أنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبعثونها في ساعة التوبيخ  
 وقيل هو كلام الشركاء أى مامنا من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركه ﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ  
 مَا كَانُوا يَدْعُونَ ﴾ يبعدون ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ في الدنيا ﴿ وَظَنُوا ﴾ وايقنوا ﴿ مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ  
 مَهْرَبٍ ﴾ لا يستقيم لا ليل ﴿ الْإِنْسَانُ ﴾ الكافر بدليل قوله وما أعلن الساعة قائمة ﴿ مِنْ دُعَاةِ  
 الْخَيْرِ ﴾ من طلب السمة في المال والنسمة والتقدير من دعائه الخير لحذف الفاعل وأضيف إلى  
 الفعول ﴿ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾ الفقر ﴿ فَيَتَوَسَّسْ ﴾ من الخير ﴿ قَتُوطٌ ﴾ من الراحة بولغ فيه من  
 طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيضاد  
 ويسكر أى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى إنه لا يأس  
 من روح الله إلا القوم الكافرون ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ قَرَارٍ مَسَّاهُ  
 لَيَكُونَنَّ هَذَا لِي ﴾ وإذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سمة بعد ضيق قال هذا لى أى هذا  
 حق وصل إلى لآنى استوجبت بما عندى من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لى لا يزول عى  
 ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ أى ما أظنها تكون قائمة ﴿ وَلَئِنْ رُجِئْتُ إِلَى رَبِّي ﴾ كما يقول  
 المصلون ﴿ إِنْ لِي عِندَهُ ﴾ عند الله ﴿ لِلْحُسْنَى ﴾ أى الجنة أو الحالة الحسنى من الكرامة  
 والنعمة قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا ﴾ فلنخبرنهم  
 بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب ﴿ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ شديد لا يفترو  
 عنهم ﴿ وَإِذَا آنَأْتُمْ مَعَ الْإِنْسَانِ أَخْرَضَ ﴾ هذا ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أسابه  
 الله بنعمة أبطرنه النعمة ففسى المنعم وأعرض عن شكره ﴿ وَكُنَّا بِجَانِبِهِ ﴾ وتباعد من ذكر  
 الله ودعائه أو ذهب بنفسه وتكبر وتمظم وتحقيقه أن يوضع جانبه موضع نفسه لأن مكان  
 الشيء وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قول الكتاب كتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريدون  
 نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾ الضر والفقر ﴿ قَدَّوْا دُعَاةَ قَرِيضِهِمْ  
 كَثِيرَ ﴾ أى أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الإتهال والتضرع وقد استعير المرض لكثرة الدعاء

ودوامه وهو من صفة الأجرام كما استمر النفل لشدة العذاب ولا منافاة بين قوله فيحس قنوط وبين قوله فذو دعاء عريض لأن الأول في قوم والثاني في قوم أو قنوط في البروذو دعاء عريض في البحر أو قنوط بالقلب ذو دعاء عريض باللسان أو قنوط من الصم ذو دعاء لله تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أخبروني (إِنْ كَانَتْ) القرآن (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ) ثم جعلتهم أنه من عند الله (مَنْ أَضَلُّ) منكم إلا أنه وضع قوله (يَعْنَى هُوَ فِي شِقَاقِي يَعْنِي) موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم (سَتَرِيهِمْ) أي بئنا في الآفاق من فتح البلاد شرقا وغربا (وَفِي أَنْفُسِهِمْ) فتح مكة (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) أي القرآن أو الإسلام (أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ) موضع ربك الرفع على أنه فاعل والمفعول عذوف وقوله (أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) يدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد أي أولم تكفهم شهادة ربك على كل شيء ومعناه أن هذا الوعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه وبشاهدونه فيبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد (أَلَا إِنْهُمْ فِي مِرْيَةٍ) شك (مَنْ لَقَاءَ رَبَّهُمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ) عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية فيجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم .

### ( سورة شورى مكية وهي ثلاث وخمسون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

فصل ( حَم ) من ( هَسَق ) كتابة مخالفا لكهيمص تلفيها بأخواتها ولأنه آيتان وكهيمص آية واحدة ( كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ ) أي مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب يوحى إليك ( وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ) وإلى الرسل من قبلك ( اللَّهُ ) يعنى أن ماتضمنته هذه السورة من المانى قد أوحى الله إليك مثله وفي غيرها من السور وأوحاه إلى من قبلك يعنى إلى رسله والمعنى أن الله كرر هذه المانى في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللعطف العظيم لعباده . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من نبي صاحب كتاب إلا أوحى إليه بحم هسق . يوحى بفتح الحاء مكى . ورافع اسم الله على هذه القراءة ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الوحي تقبل الله ( التَّوْبَةَ ) التائب بقهره ( الْحَكِيمُ ) العيب في نفسه

«دَعَا لَهُ (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) مَا كَاوَمَكَ (وَهُوَ الْعَلِيُّ) شَانَهُ (الْعَظِيمُ) بِرَهَانِهِ (تَكَاذُ السَّمَوَاتِ) وبِالْيَاءِ نَالِغٍ وَعَلَى (يَتَقَفَّرُونَ مِنْ قُوَّتِهِ) يَتَشَقَّقْنَ ، يَنْفَطِرْنَ بِصَرِي وَأَبُو بَكْرٍ وَمَنْعَاهُ يَكْدَنُ يَنْفَطِرْنَ مِنْ عِلَاقِ شَأْنِ اللَّهِ وَعِظْمَتُهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ جَيْشُهُ بِمَدِّ قَوْلِهِ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ وَقِيلَ مِنْ دَعَائِهِمْ لَهُ وَلَدَا كَقَوْلِهِ تَكَاذُ السَّمَوَاتِ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَمَعْنَى مِنْ قُوَّتِهِ أَيْ يَبْتَدِئُ الْإِنْفِطَارَ مِنْ جِهَتِهِنِ الْقَوَائِيَةِ وَكَانَ الْقِيَاسُ أَنْ يُقَالَ يَنْفَطِرْنَ مِنْ تَحْتِهِنِ مِنَ الْجِهَةِ الَّتِي جَاءَتْ مِنْهَا كُلُّهُ الْكَفَرُ لِأَنَّهَا جَاءَتْ مِنَ الَّذِينَ تَحْتَ السَّمَوَاتِ وَلَكِنَّهُ بَوَلِغَ فِي ذَلِكَ فَجَعَلَتْ مُؤَثَّرَةً فِي جِهَةِ الْفَوْقِ كَأَنَّهُ قِيلَ يَكْدَنُ يَنْفَطِرْنَ مِنَ الْجِهَةِ الَّتِي قُوَّتُهُ دَعَا الْجِهَةَ الَّتِي تَحْتَهُنِ وَقِيلَ مِنْ قُوَّتِهِنِ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ فَالْكُنَايَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى الْأَرْضِ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى الْأَرْضِيْنَ وَقِيلَ يَتَشَقَّقْنَ لِكَثْرَةِ مَا عَلَى السَّمَوَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «أَطَلَتِ السَّمَاءُ أَطْلًا وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَلِفَ فِيهَا مَوْضِعٌ قَدِمَ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ» (وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) خَضَعُوا لَهَا بِرُوحٍ مِنْ عِظَمَتِهِ (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) أَيْ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ كَقَوْلِهِ : وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا . خَوْفًا عَلَيْهِمْ مِنْ سَطَوَاتِهِ أَوْ يُوَحِّدُونَ اللَّهَ وَيَزْهَوْنَ عَمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ حَامِدِينَ لَهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُمْ مِنْ أَنْطَافِهِ مَتَعَجِبِينَ مِمَّا رَأَوْا مِنْ تَمَرُّضِهِمْ لِمَخْطِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمُؤْمِنِي أَهْلِ الْأَرْضِ الَّذِينَ تَبَرَّءُوا مِنْ تِلْكَ السَّكْمَةِ أَوْ يَطْلُبُونَ إِلَى رَبِّهِمْ أَنْ يَحْلُمَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا يَمَاجِلَهُمْ بِالْعِقَابِ (أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) لَهُمْ (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) أَيْ جَمَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ وَأَنْدَادًا (اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ) رَقِيبٌ عَلَى أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ لَا يَفُوتُهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهَا (وَمَا أَنْتَ) يَا مُحَمَّدُ (عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) بِمُوكَلِّ عَلَيْهِمْ وَلَا مَفْوضَ إِلَيْكَ أَمْرُهُمْ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ غَسْبٍ (وَكَذَلِكَ) وَمِثْلُ ذَلِكَ (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) وَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى مَعْنَى آيَةِ الَّتِي قَبْلُهَا مِنْ أَنَّ اللَّهَ رَقِيبٌ عَلَيْهِمْ لَا أَنْتَ بَلْ أَنْتَ مُنْذَرٌ لِأَنَّ هَذَا الْمَعْنَى كَرَّرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ هُوَ مَفْعُولٌ بِهِ لِأَوْحَيْنَا (قُرْءَانًا قَرِيبًا) حَالٌ مِنَ الْمَفْعُولِ بِهِ أَيْ أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ وَهُوَ قُرْآنٌ عَرَبِيٌّ بَيْنَ (لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى) أَيْ مَكَّةَ لِأَنَّ الْأَرْضَ دَحِيحٌ مِنْ تَحْتِهَا أَوْ لِأَنَّهَا أَشْهَرُ الْبِقَاعِ وَالْمُرَادُ أَهْلَ أُمِّ الْقُرَى (وَمَنْ حَوْلَهَا) مِنَ الْعَرَبِ (وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ الْخَلَائِقَ تَجْتَمِعُ فِيهِ (لَا رَيْبَ فِيهِ) اعْتِرَاضٌ لَا مَحَلَّ لَهُ ، يُقَالُ : أَنْذَرْتُهُ كَذَا

وأفترته بكذا وقد عدى لتندى أم القري إلى الفعول الأول وتندى يوم الجمع إلى المفعول الثاني (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) أى منهم فريق في الجنة ومنهم فريق في السعير والضمير للجموعين لأن المعنى يوم جمع الخلائق (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) أى مؤمنين كلهم (وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) أى يكرم من يشاء بالإسلام (وَالظَّالِمُونَ) والكافرون (مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ شافع) (وَلَا نَصِيرٍ) حافع (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ) الفاء لجواب شرط مقدر كأنه قيل بمد إنكار كل ولى سواه إن أرادوا أولياء بحق فإله هو الولي بالحق وهو الذي يجب أن يتولى وحده لا ولى سواه (وَهُوَ يَخْصِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فهو الحقيق بأن يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ) حكاية قول رسول الله ﷺ للمؤمنين أى ما خالفتكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين (فَحُكُّهُمْ) أى حكم ذلك المختلف فيه مفض (إِلَى اللَّهِ) وهو إثابة الحنين فيه من المؤمنين ومعاينة المبطلين (ذَلِكُمْ) الحاكم بينكم (اللَّهُ رَبِّي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ) فيه رد كيد أعداء الدين (وَالْيَنبُؤُا نَبِيٍّ) أرجع في كفاية شرم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من الملام التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح وغيره (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ارتقاه على أنه أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدا محذوف (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) خلق لكم من جنسكم من الناس (أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا) أى وخلق للأنعام أيضا من أنفسها أزواجا (يَذَرُوكُمْ) يترككم يقال ذرا الله الخلق بهم وكثرهم (فِيهِ) في هذا التدبير وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجا حتى كان بين ذكرهم وإناثهم التوالد والتناسل، واختير فيه على به لأنه جعل هذا التدبير كالنبي والمعدن للبث والتكثير والضمير في يذروكم يرجع إلى المخاطبين والأنعام مثلباً في المخاطبون المقلاء على التنب مما لا يعقل (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) قبل إن كلمة التشبيه كررت لتأكيد نفي التماثل وتهديره ليس مثله شيء وقيل المثل زيادة وتهديره ليس كهوشىء كقوله تعالى: فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به. وهذا لأن المراد نفي المثلة وإذا لم يجعل الكاف أو المثل زيادة كان إثبات المثل وقيل المراد ليس كمثاته شيء لأنهم يقولون مثلك لا يسغل يريدون به نفي البخل عن ذاته

ويقصدون المبالغة في ذلك بساوك طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عن يسد مسده فقد نفوه عنه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس ككلمة شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتبتان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ونحوه بل يدهاء مبسوطتان فمتاه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لأنها وقمت عبارة عن الجود حتى إنهم استعملوها فيمن لا يده فكذاك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له (وَهُوَ السَّمِيعُ) لجميع السموعات بلا أذن (الْبَصِيرُ) لجميع الرئيات بلا حدة، وكأنه ذكرها لئلا يتوهم أنه لاسفة له كالأمثل له (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مرفى الأمر (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) أى يضيّق (إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءَ عِلْمٍ شَرْعٍ) بين وأظهر (لَكُمْ مِّنَ الَّذِينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى) أى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء عليهم السلام، ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله (أَن أَقِيمُوا الدِّينَ) والمراد إقامة دين الإسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه ويوم الجزاء وسائر ما يكون المرء بإقامته مسلماً ولم يرد به الشرائع فإنها مختلفة قال الله تعالى: لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا. وعمل أن أقيموا نصب بدل من مفعول شرع والمطوفين عليه أو رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع قليل هو إقامة الدين (وَلَا تَفَرَّقُوا فِيهِ) ولا تختلفوا في الدين قال على رضى الله عنه: لا تفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب. (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ) عظم عليهم وشق عليهم (مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) من إقامة دين الله والتوحيد (اللَّهُ يَجْتَبِي) يختلب ويجمع (إِلَيْهِ) إلى الدين بالتوفيق والتسديد (مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقبل على طاعته (وَمَا تَفَرَّقُوا) أى أهل الكتاب بعد أنبيائهم (إِلَّا مَن بَدَّ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) إلا من بعد أن علموا أن الفرقة ضلال وأمر متوحد عليه على السنة الأنبياء عليهم السلام (بَيِّنَاتٍ يَبَيِّنُهُمْ) حسداً وطلباً للرئاسة والاستطالة بنير حق (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) وهى بل الساعة موعدهم (لَفُتِحَ يَدُهُمْ) لأهلكوا حين افترقوا لعظم ما افترقوا (وَالَّذِينَ أُورُوا

الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ) هم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ (لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُمْ) من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان (مُؤْمِنِينَ) مدخل في الرية وقيل وما تفرق أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله ﷺ كقوله تعالى: وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة، وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم. هم المشركون أوتوا القرآن من بعد ما أوتى أهل الكتاب التوراة والإنجيل (فَلِذَلِكَ) فلأجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فَادْعُ) إلى الاتفاق والاتلاف على الله الحنيفية القوية (وَأَسْتَقِمْ) عليها وعلى الدعوة إليها (كَمَا أَمَرْتُ) كما أمرت الله (وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَهُمْ) المختلفة الباطلة (وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ) بأى كتاب سمع أن الله أنزله بمعنى الإيمان بجميع الكتب المنزلة لأن التفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله: ويقولون يؤمن ببعض ونكفر ببعض إلى قوله أولئك هم الكافرون حقا (وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ) في الحكم إذا تخاصمتم فتعاكم إلى (اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) أى كلنا عبيده (لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا) هو كقوله لكم دينكم ولى دين ويجوز أن يكون معناه إنا لا نأخذ بأعمالكم وأنتم لا تأخذون بأعمالنا (لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) أى لا خصومة لأن الحق قد ظهر وصرتم معجوبين به فلا حاجة إلى الحاجة ومعناه لا إيراد حجة بيننا لأن المتعاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا) يوم القيامة (وَالْيَوْمِ الْمَصِيرِ) الرجوع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ) يخاصمون في دينه (مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الإسلام ليردوهم إلى دين الجاهلية كقوله: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا. كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم وبيننا قبل نبيكم فنعن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الحمد عليه السلام دعاؤه إلى الشركين يوم بعد (حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً) باطلة وسامها حجة وإن كانت شبهة لزعيم أنها حجة (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ) بكفرهم (وَأَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) في الآخرة (اللَّهُ الَّذِي أُنْزِلَ الْكِتَابَ) أى جسس الكتاب (بِالْحَقِّ) بالصدق أو ملتصقا به (وَالْأَمْرَ) والمعدل والتسوية ومعنى إزال الملل أنه أزاله من كنهه المرة وقبل هو عين البراءة أنه من روح

عليه السلام (وَمَا يُدْرِيكَ لَمَلُ السَّاعَةِ قَرِيبٌ) أى لعل الساعة قريب منك وأنت لاتندري والمراد بحىء الساعة والساعة فى تأويل البعث ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع إزوال الكتب والميزان أن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكأنه قيل أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع فاعملوا بالكتاب والعدل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم (يَسْتَعِجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) استهزاء (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ) خائفون (مِنْهَا) وجلون لها ولها (وَيَمْلِكُونَ أَنهَا الْحَقُّ) الكائن لاهلها (أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُكَاوِرُونَ فِي السَّاعَةِ) المارة للملاحة لأن كل واحد منهما يمرى ماعند صاحبه (لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) عن الحق لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها بالمعقول تشهد على أنه لا بد من دار جزاء (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) فى إيصال النافع وصرف البلاء من وجه يلفظ إدراكه وهو بر بليغ البر بهم قد توصل به إلى جميعهم وقيل هو من لطف بالفوامض علمه وعظم عن الجرائم حله أو من ينشر الناقب ويستر المثالب أو يوفقو من يهفو أو يعطى العبد فوق الكفاية ويكافئه الطاعة دون الطاقة وعن الجنيد : لطف بأوليائه فرفقوه ولو لطف بأعدائه ما يجدوه (يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ) أى يوسع رزق من يشاء إذا علم مساحته فيه، فى الحديث إن من عبادى المؤمنين من لا يدلج إيمانه إلا الفنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك (وَهُوَ الْقَوِيُّ) الباهر القدرة الغالب على كل شىء (الْمُزِيذُ) المنيع الذى لا يقلب (مَنْ كَانَ يُرِيدُ خَيْرَ الْآخِرَةِ) سعى ما يعمله العامل مما يبتغى به الفائدة حرثاً مجازاً (نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) بالتوفيق فى عمله أو التضييف فى إحسانه أو بأن ينال به الدنيا والآخرة (وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ خَيْرَ الدُّنْيَا) أى من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة (نُؤْتِيهِ مِنْهَا) أى شيئاً منها لأن من للتبعض وهو رزقه الذى قسم له لا ما يريد ويتغنى (وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) وماله نصيب قط فى الآخرة وله فى الدنيا نصيب ولم يذكر فى عامل الآخرة أن رزقه المقسوم يصل إليه للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصده من زكاه عمله وفوزه فى السآب (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ) قيل هى أم المنقطعة وتقديره بل أهم شركاء وقيل هى الماداة لألف الاستفهام وفى الكلام إضمار تقديره إيجابون ما شرع الله من الدين أهمهم آلهة (شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ



عَالَمٌ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ) أى لم يأمر به (وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ) أى القضاء السابق بتأجيل  
الجزاء أى ولولا المدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ) بين الكافرين والمؤمنين  
أو لمجلت لهم العقوبة (وَلِإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وإن المشركين لهم عذاب أليم  
في الآخرة وإن آخر عنهم في دار الدنيا (تَرَى الظَّالِمِينَ) المشركين في الآخرة (مُشْفِقِينَ)  
خائفين (مِمَّا كَسَبُوا) من جزاء كفرهم (وَهُوَ وَاقِعٌ يَوْمَ) نازل بهم لاعماله أشفقوا أو لم  
يشفقوا (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) كأن روضة جنة المؤمن  
أطيب بقعة فيها وأنزهها (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) عند نصب بالظرف لا يشاؤون  
(ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) على العمل القليل (ذَلِكَ) أى الفضل الكبير (الَّذِي يُبَشِّرُ  
اللَّهُ) يبشركم وأبو عمرو وحزرة وعلى (عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) أى به  
عباده الذين آمنوا خذف الجار كقوله واختار موسى دومه ثم حذف الراجع إلى الوصول كقوله  
أهذا الذى بمت الله رسولا. ولما قال المشركون: أبيتنى محمد على تبليغ الرسالة أجرا نزل (قُلْ  
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على التبليغ (أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) يجوز أن يكون استثناء  
متصلا أى لا أسألكم عليه أجرا إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي ويجوز أن يكون  
منقطعا أى لا أسألكم أجرا قط ولكنى أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم  
قرابتكم ولا تؤذوهم ولم يقل إلا مودة القرى أو المودة للقرى لأنهم جعلوا مكانا  
للمودة ومفرا لها كقولك لى فى آل فلان مودة ولى فيهم حب شديد تريد أحبهم وهم  
مكان حبي وعمله وليست فى بصلة للمودة كاللأم إذا قلت إلا المودة للقرى إنما هى  
متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المال فى الكيس وتقديره إلا المودة فابنة  
فى القرى وتمكنة فيها والقرى مصدر كالزنى والبشرى بمعنى القرابة والمراد فى أهل القرى  
وروى أنه لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم  
قال: على وفاطمة وابناهما. وقيل منناه إلا أن تودونى لقرابتي فيكم ولا تؤذونى ولا تهيجوا على  
اذ لم يكن من بطون قريش إلا بين رسول الله وبينهم قرابة وقيل القرى التقرّب إلى الله تعالى  
أى إلا أن تحبوا الله ورسوله فى هربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح (وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً)  
يكسب طاعة. عن السدى: أنها المودة فى آل رسول الله ﷺ نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه

ومودته فيهم والظاهر العموم في أى حسنة كانت إلا أنها تتناول المودة تناولا أوليا لأنها كرها  
عقيب ذكر المودة في القربى ( نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ) أى نضاعفها كقولهم من ذا الذى يقرض  
الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضاعفاً كثيرة وقرىء حسنى وهو مصدر كالشرى والضمير  
يعود إلى الحسنة أو إلى الجنة ( إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ) لمن أذنب بطوله ( شَكُورٌ ) لمن أطاع بفضله  
وقيل قابل للتوبة حامل عليها وقيل الشكور في صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة  
ونوفية ثوابها والتفضل على الثواب ( أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ) أم متقطعة ومعنى  
الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتها الكون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء ثم إلى الافتراء على الله  
الذى هو أعلم القرى وأفضلها ( فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْصِمْ عَلَى قَلْبِكَ ) قال مجاهد أى يربط  
على قلبك بالسبر على أدام وعلى قولهم افترى على الله كذباً ثلاثاً تدخه مشقة بتكذيبهم  
( وَيَخْلُقُ اللَّهُ الْبَطِلَ ) أى الشرك وهو كلام مبتدأ غير معطوف على يختم لأن هو الباطل غير  
متعلق بالشروط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع ويحق وإنما سقطت  
الواو في المخط كما سقطت في ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخبر وسندع الزبانية على أنها مثبتة  
في مصحف نافع ( وَيُحَقِّقُ الْحَقَّ ) ويظهر الإسلام ويثبتته ( يَكَلِّمُوكَ ) بما أنزل من كتابه  
على لسان نبيه عليه السلام وقد فعل الله ذلك فعما باطلهم وأظهر الإسلام ( إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ  
الصُّدُورِ ) أى عليم بما في صدوركم وسدورهم فيجربى الأمر على حسب ذلك ( وَهُوَ الَّذِي  
يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ) يقال قبلت منه الشيء إذا أخذته منه وجعلته مبدءاً قبولي ويقال  
قبلته عنه أى عزله عنه وأبنته عنه والتوبة أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالنعم  
عليهما والنزم على أن لا يعود وإن كان لمبد فيه حق لم يكن بد من التفتى على طريقه وقال  
على رضى الله عنه: هو اسم يقع على ستة معان على الماضى من التوب الندامة ، وتضييع  
النرائض الإعادة ورد الظالم وإزالة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإزالة النفس  
مرارة الطاعة كما أذقتها حلالة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته. وعن السدى: هو  
صدق المزعة على ترك التوب والإجابة بالقلب إلى علام الغيوب. وعن غيره: هو أن لا يبعد حلالة  
الذنب في القلب عند ذكره. وعن سهل: هو الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة.  
وعن الجنيدي: هو الإعراض عما دون الله ( وَاعْفُوا عَنْ السَّيِّئَاتِ ) وهو ما دون الشرك، يعفو

لن يشاء بلا توبة (وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) بإتاء كوفي غير أبي بكر أي من التوبة والمصيبة ولا وقف عليه للمطف عليه واتصال المعنى (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ) أي إذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوه وزادهم على مطلوبهم واستجاب وأجاب بمعنى والسين في مثله تأكيد الفعل كقولك تعظم واستعظم والتقدير ويجب الله الذين آمنوا وقيل معناه ويستجيب للذين غذف اللام. مَن عليهم بأن يقبل توبتهم إذا تابوا ويمغفو عن سيئاتهم ويستجيب لهم إذا دعوه ويزيدهم على ما سألوه وعن إبراهيم بن آدم أنه قيل له ما بالنا ندعوه فلا نجاب قال لأنه دعاكم فلم يجيبوه (وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) في الآخرة (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ) أي لو أغناهم جميعاً (لَبَنُوا فِي الْأَرْضِ) من البنى وهو الظلم أي بنى هذا على ذاك وذاك على هذا لأن الننى مبطرة ماضرة وكفى بحال قارون وفرعون عبرة أو من البنى وهو الكبر أي لتكبروا في الأرض (وَلَكِنَّ يُزَلُّ) بالتخفيف مكي وأبو عمرو (يَقْدِرُ مَا يَشَاءُ) بتقدير يقال قدره قدراً وقدراً (إِنَّهُ يَمْدَادُهُ خَيْرٌ بِصِيرٍ) يعلم أحوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر وينفي ويمنع ويمطى ويقبض ويبسط ولو أغناهم جميعاً لبنوا ولو أقرهم لملكوا وما ترى من البسط على من يبنى ومن البنى بدون البسط فهو قليل ولا شك أن البنى مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب (وَهُوَ الَّذِي يُزَلُّ النَّفِثُ) بالتشديد مدنى وشامى وعاصم (مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا) وقرئ قَنَطُوا (وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) أي بركات النفيث ومنافسه وما يحصل به من الخصب وقيل لعمر رضى الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا إذا أراد هذه الآية أو أراد رحمته في كل شيء (وَهُوَ الْوَلِيُّ) الذى يتولى عبادته بإحسانه (الْحَمِيدُ) المحمود على ذلك بحمده أهل طاعته (وَمِن آيَاتِهِ) أى علامات قدرته (خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مع عظمهما (وَمَا بَثَّ) فرق وما يجوز أن يكون مرفوعاً ومجروراً حملاً على المضاف أو المضاف إليه (فِيهِمَا) من السموات والأرض (مِن دَابَّةٍ) الدواب تكون في الأرض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبساً ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وإنما هو في غنخ من أغناهم ومنه قوله تعالى: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان. وإنما يخرج من اللبح ولا يبعد أن يخلق في السموات حيوانات يعيشون فيها مشى الأناسى على الأرض أو

يكون للملائكة مشى مع الطيران فوصفوا بالديب كما وصف به الأناس (وَمَوْعَىٰ جَمْعُهُمْ) يوم القيامة (إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) إذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي، قال الله تعالى: واللَّيْلُ إِذَا يَنْشِئُ (وَمَا أَسْبَغُكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ) غم وآلم ومكروه (فِيمَا كُنْتُمْ أُيْدِيكُمْ) أي بجنابة كسبتموها عقوبة عليكم. بما كسبت بنير الفاء مدني وشامى على أن مامبتداً وبما كسبت خبره من غير تضمنين معنى الشرط ومن أثبت الفاء فعلى تضمنين معنى الشرط. وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لو لم يكن للأطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا وقلنا الآية مخصوصة بالكافرين بالسباق والسباق وهو (وَيَتَفَرَّغُونَ كَثِيرٌ) أي من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يماجلهم بالعقوبة، وقال ابن عطاء: من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عافاه عنه مولاة! كثر كان قليل النظر في إحسان ربه إليه، وقال محمد بن حامد: البعد ملازم للجنائيات في كل أو ان وجنائياته في طاعته أكثر من جنائياته في معاصيه لأن جنابة المعصية من وجه وجنابة الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جنائياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفوهم ورحمته لحلك في أول خطوة، وعن علي رضي الله تعالى عنه: هذه أرجى آية للدومنين في القرآن لأن الكريم إذا طاق مرة لا يعاقب ثانياً وإذا عفا لا يعود (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ) أي بفائتين ما قفى عليكم من المصائب (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ) متول بالرحمة (وَلَا نَصِيرٍ) ناصر يدفع عنكم المذاب إذا حل بكم (وَمِنْ أَسْبَغِ الْجَوَارِ) جمع جارية وهي السفينة الجوارى في الحالين مكي وسهل ويقوب واقفهم مدني وأبو عمر في الوصل (فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ) كالجبال (إِنْ يَشَاءُ يُسْكِنِ الرِّيحَ) الرياح مدني (فَيَقْطَعَنَّ رَوَاكِدَ) ثوابت لا تجري (عَلَى ظَهْرِ) على ظهر البحر (إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ) على بلائه (شَكُورٍ) لنعائه أي لكل مؤمن يخلص بالإيمان نصفان نصف شكر ونصف صبر أو صبار على طاعته شكور لنعته (أَوْ يُوَفِّقُ) يهلكهم فهو عطف على يسكن والمعنى إن يشأ يسكن الريح فيركد أو يعصفها فيفرقن بعصفها (بِمَا كَسَبُوا) من الذنوب (وَيَتَفَرَّغُونَ كَثِيرٌ) منها فلا يجازى عليها وإنما أدخل المفعول في حكم الإتيان حيث جزم جزمه لأن المعنى أو إن يشأ يهلك ناساً وينج ناساً على طريق المفعول عنهم (وَيَتَلَمَّ)

بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره ليقتم منهم ويعلم (الَّذِينَ يُجَدُّونَ فِي آيَاتِنَا) أي في إيمانها ودفعها، ويعلم مدنى وشاى على الاستئناف (مَا لَهُمْ مِنْ مَّجِيسٍ) مهرب من مذابه (فَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب (خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) ما الأولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية نزلت في أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ) عطف على الذين آمنوا وكذا ما بعده (كَبِيرَ الْإِثْمِ) أى الكبائر من هذا الجنس، كبير الإثم على وحدة ومن ابن عباس كبير الإثم هو الشرك (وَالْفَوَاحِشَ) قبل ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا (وَإِذَا مَا قَضَيْتُمْ) من أمور دنياهم (هُمُ يُذَفِّرُونَ) أى هم الأخصاء بالنفراى فى حال النصب والحمى بهم وإيقاعه مبتدأ وإستناد ينفرون إليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) نزلت فى الانتصار دعاهم الله عز وجل للإيمان به وعلاته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) وأتموا الساعات الخمس (وَأَمَرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) أى ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يجتمعا عليه، وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هتدوا لأرشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) يتصدقون (وَالَّذِينَ إِذَا سَأَبَهُمُ الْفِتْنَةُ) الظلم (هُمُ يَنْتَصِرُونَ) ينتقمون ممن ظلمهم أى ينتصرون فى الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يمتدون وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترؤ عليهم الفساق وإنما همدوا على الانتصار لأن من انتصر وأخذ حقه ولم يماز فى ذلك حد الله فلم يسرف فى القتل إن كان ولى دم فهو مطيع لله وكل مطيع عموه ثم بين حد الانتصار فقال (وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) فالأولى سيئة حقيقة والثانية لا وإنما سميت سيئة لأنها مجازاة السوء أو لأنها تسوء من تنزل به ولأنه لو لم تكن الأولى لكانت الثانية سيئة لأنها إضرار وإنما صارت حسنة لغيرها أو فى تسمية الثانية سيئة إشارة إلى أن العفو مندوب اليه والمعنى أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة (فَمَنْ عَفَا وَأَسْلَحَ) بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء (فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) عدة مهمة لا يقاس أمرها فى المظلم (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) الذين يبدون فى الظلم أو الذين يماززون حد الانتصار. فى الحديث: ينادى مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله

ففيهم فلا يقوم إلا من عفا (وَلَمَنْ انْتَصَرَ بِمَدِّ ظَلَمِهِ) أى أخذ حقه بعد ما ظلم على إضافة المصدر إلى المفعول (فَأُولَئِكَ) إشارة إلى معنى من دون لفظه (مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) للمعاقب ولا للمعاقب والمعاقب (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ) يبتدئونهم بالظلم (وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ) يتكبرون فيها ويساون ويفسدون (يَغْيِرُ الْحَقُّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وفسر السبيل بالثبته والحجة (وَلَمَنْ صَبَرَ) على الظلم والأذى (وَعَفَرَ) ولم ينتصر (إِنْ ذَلِكَ) أى الصبر والتفرد منه (لَيْمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ) أى من الأمور التى تنبإ إليها أربابها ينبى أن يوجهه الماقل على نفسه ولا يترخص فى تركه وحذف الراجع أى منه لأنه مفهوم كاحذف من قولهم: السمن متوان بدمه، وقال أبو سعيد القرشى الصبر على المكروه من علامات الالتباء فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يزعج أوردته الله تعالى حال الرضا وهو أجل الأحوال ومن جزع من الصبيات وشكا وكله الله تعالى إلى نفسه ثم لم تنفعه شكواه (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَادٍ مِنْ بَعْدِهِ) فإله من أحد على هدايته من بعد إضلال الله إياه وعنه من عذابه (وَنَرَى الظَّالِمِينَ) يوم القيامة (لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ) حين يرون العذاب واختير لفظ الماضي للتحقيق (يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ) يسألون ربهم الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا به (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) على النار إذ العذاب يدل عليها (خَشِمِينَ) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ) إلى النار (مِنْ طَرَفٍ خَفِيرٍ) ضئيف بمسارقة كما ترى المصور ينظر إلى السيف (وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْغَاسِقِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) يوم متعلق بخسرنا وقول المؤمنين واقع فى الدنيا أو يقال أى يقولون يوم القيامة إذا راوهم على تلك الصفة (أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُتِمٍّ) دائم (وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَفْعَلُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) من دون عذابه (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ) إلى النجاة (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ) أى اجيبوه إلى ما دعاكم إليه (مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ) أى يوم القيامة (لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) من جسل بلا مرد أى لا يرده الله بعد ما حكم به أو يأتى أى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يقدر أحد على رده (مَا لَكُمْ مِنْ مُلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) أى ليس لكم غلص من

المناب ولا تقدر أن تنكروا شيئاً عما اقترتموه ودون في صفات أعمالكم، والتكبر الإنكاف  
(قَالَن أَفَرُسُوا) عن الإيمان (فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) رقيباً (إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا  
الْبَلَاغُ) ما عليك إلا التبليغ الرسالة وقد فعلت (وَأِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ الْوَرَادَ الْجَمْعُ لَا الْوَاحِدَ  
مِنَّا رَحْمَةً) نعمة وسعة وأماناً وحمة (فَرِحَ بِهَا) بطر لأجلها (وَأِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ  
بِئْسَ الْبَلَاءُ كَالْمَرَضِ وَالْفَقْرِ وَنَحْوِهَا. وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع في وإن تصيبهم باعتبار المعنى  
(بِمَا قَدَّمْتْ أَبْدِيَهُمْ) بسبب معاصيهم (قَالَن الْإِنْسَنَ كَفُورًا) ولم يقل فإنه كفور ليسجل  
على أن هذا الجنس موسوم بكنه أن النعم كما قال: إن الإنسان لظالم كفار. والكفور البليغ  
الكفران والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم وينمطها قيل أريد به كفران النعمة وقيل  
أريد به الكفر بالله تعالى (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ  
إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ أَوْ الْبُزَّ وَجْهَهُمْ) أى يقرنهم (ذَكَرَانَا وَإِنثًا) ويجعل من  
يَشَاءُ عَقِيمًا) لما ذكر إذافة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها أتبع ذلك أنه تعالى الملك وأنه  
يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لبيده من الأولاد ما يشاء فيخص بعضاً بالإناث وبعضاً  
بالذكور وبعضاً بالمتنفذين جميعاً ويجعل البعض عقيماً والمقيم الذى لاتلد وكذلك رجل عقيم  
إذا كان لا يولد له وقدم الإناث أولاً على الذكور لأن سياق الكلام أنه فاعل لما يشاءه لا ما  
يشاءه الإنسان فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاءه الإنسان أم والأهم واجب  
التقديم وللى الجنس الذى كانت العرب تمدّه بلاء ذكر البلاء ولا آخر الذكور وهم أحقّاء  
بالتقديم تدارك تأخيرهم بتمريضهم لأن التعريف تنويه وتشهير ثم أعلى بعد ذلك كلا الجنسين  
حقه من التقديم والتأخير وعرف أن قد يجهن لم يكن لتقدمين ولكن لتقتض آخر فقال  
ذَكَرْنَا وَإِنثًا. وقيل زلت في الأنبياء عليهم السلام حيث وهب للوط وشعيب إِنثًا ولإبراهيم  
ذَكَرًا ولحمد ﷺ ذَكَرًا وَإِنثًا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين (إِنَّهُ عَلِيمٌ)  
بكل شيء (قَدِيرٌ) قادر على كل شيء (وَمَا كَانَ لِيُبَشِّرَ) وما صح لأحد من البشر (أَنْ  
يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا) أى إلهاً كما روى نفث في روعى أو رؤيا في المنام كقوله عليه  
السلام «رؤيا الأنبياء وحى» وهو كأم إبراهيم عليه السلام بذبح الولد (أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ)

أَيُّ يَسْمَعُ كَلَامًا مِنْ اللَّهِ كَمَا سَمِعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْصُرَ السَّمْعَ مِنْ يَكَلِّمُهُ. وَلَيْسَ  
 الْمُرَادُ بِهِ حِجَابُ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى الْأَجْسَامِ مِنَ الْحِجَابِ وَلَكِنْ  
 الْمُرَادُ بِهِ أَنَّ السَّمْعَ مَحْبُوبَ عَنِ الرَّؤْيَا فِي الدُّنْيَا (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) أَيْ يَرْسِلُ مَلَكًا  
 (فَيُوحِي) أَيْ الْمَلَكُ إِلَيْهِ وَقَبْلَ وَحْيٍ كَأَوْحَى إِلَى الرَّسْلِ بِوَسْطَةِ الْمَلَائِكَةِ أَوْ يَرْسِلُ رَسُولًا  
 أَيْ نَبِيًّا كَأَكْلَمِ أُمَمِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى أَسْمَتِهِمْ. وَوَحْيًا وَأَنْ يَرْسِلَ مُصَدِّرًا وَاقِفًا مَوْقِعَ الْحَالِ لِأَنَّ  
 أَنْ يَرْسِلَ فِي مَعْنَى إِرْسَالًا وَمِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ظَرْفٌ وَقَعَ مَوْقِعَ الْحَالِ كَقَوْلِهِ وَطَى جَنُوبَهُمْ  
 وَالتَّقْدِيرُ وَمَا صَحَّ أَنْ يَكَلِّمَ أَحَدًا إِلَّا مَوْحِيًا أَوْ مَسْمُومًا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ مَرْسَلًا وَيَجُوزُ أَنْ  
 يَكُونَ الْمَعْنَى وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا بِأَنْ يُوْحَى أَوْ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ  
 أَنْ يَرْسِلَ رَسُولًا وَهُوَ اخْتِيَارُ الْخَلِيلِ، أَوْ يَرْسِلُ رَسُولًا فَيُوحَى بِالرَّفْعِ نَافِعٌ عَلَى تَقْدِيرٍ أَوْ هُوَ  
 يَرْسِلُ (بِإِذْنِهِ) إِذْنُ اللَّهِ (مَا يَشَاءُ) مِنَ الْوَحْيِ (إِنَّهُ عَلَيْهِ) قَاهِرٌ فَلَا يَمَانَعُ (حَكِيمٌ)  
 مُصِيبٌ فِي أَعْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ فَلَا يَمَارِضُ (وَكَذَلِكَ) أَيْ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى الرَّسْلِ قَبْلَكَ أَوْ كَمَا  
 وَسَفَنَّاكَ (أَوْ حِينًا إِلَيْكَ) إِعْمَاءُ كَذَلِكَ (رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) يُرِيدُ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ لِأَنَّ الْخَلْقَ  
 يَحْبُونَ بِهِ فِي دِينِهِمْ كَمَا يَحْبُوا الْجَسَدَ بِالرُّوحِ (مَا كُنْتَ تَدْرِي) الْجَلَّةُ حَالُ مَنْ الْكَافِ فِي إِلَيْكَ  
 (مَا أَلْكَتَبُ) الْقُرْآنُ (وَلَا الْإِيمَنُ) أَيْ شِرَائِعُهُ أَوْ وَلَا الْإِيمَانَ بِالْكِتَابِ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ  
 لَا يَبْلُغُ أَنَّ الْكِتَابَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ لَمْ يَكُنْ حَالًا بِذَلِكَ الْكِتَابِ وَقِيلَ الْإِيمَانُ يَقْنَاوُلُ أَشْيَاءَ بَعْضُهَا  
 الطَّرِيقُ إِلَى الْعَقْلِ وَبَعْضُهَا الطَّرِيقُ إِلَى السَّمْعِ فَفِيهِ مَا لِلطَّرِيقِ إِلَى السَّمْعِ دُونَ الْعَقْلِ وَذَلِكَ  
 مَا كَانَ لَهُ فِيهِ عِلْمٌ حَتَّى كَسَبَهُ بِالرُّوحِ (وَلَكِنْ جَمَلْنَاهُ) أَيْ الْكِتَابَ (نُورًا تَهْدِي بِهِ  
 مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي) لَتَهْدُوْهُ وَقَرَأَهُ بِهِ (إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) الْإِسْلَامُ  
 (صِرَاطُ اللَّهِ) بَدَلُ (الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) مَلَكًا وَمَلَكًا (أَلَا  
 إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) هُوَ وَعِيدٌ بِالْجَمْعِ وَوَعْدٌ بِالنِّعَمِ وَاللَّهُ أَهْلُ الصَّوَابِ



## ﴿ سورة الزخرف تسع وثمانون آية مكية ﴾

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( حَمَّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ) أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله ( إِنَّا جَعَلْنَاهُ ) صبرناه ( قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ) جوابا للقسم وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والقسم عليه، والمبين البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليهم أو الواضح للمتدبرين أو الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كل ما يحتاج إليه الأمة في أبواب الديانة ( لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ) لكي تفهموا معانيه ( وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا ) وإن القرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ، دليله قوله: بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ . وسمى أم الكتاب لأنه الأصل الذي أُنشئت فيه الكتب منه تنقل وتسنسخ. لم الكتاب بكسر الألف على وحمة ( كَلِيلٍ ) خبر إن أى في أعلى طبقات البلاغة أو رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها ( حَكِيمٍ ) ذو حكمة بالغة ( أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ ) أفنصحن عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الفرائب عن الحوض والفاء للمطف على محذوف تقديره أنهم لمكنكم فنضرب عنكم الذكر إنكارا لأن يكون الأمر على خلاف ما قدم من إزاله الكتاب وجعله قرآنا عربيا ليعقلوه وليلموا بمواجهه ( صَفْحًا ) مصدر من صفح عنه إذا عرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنمزل عنكم إزال القرآن وإلزام الحجة به إعراضا عنكم ويجوز أن يكون مصدرا على خلاف الصدر لأنه يقال ضربت عنه أى عرضت عنه كذا قاله الفراء ( أُنْ كُنْتُمْ ) لأن كنتم إن كنتم مدنى وحزة وهو من الشرط الذى يصدر عن الدل بصحة الأمر التحققي لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوفى حق وهو عالم بذلك ( قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ) مفرطين في الجاهالة مجاوزين الحد في الضلالة ( وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ) أى كثيرا من الرسل أرسلنا إلى من تقدمك ( وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ) هى حكاية حال ماضية مستمرة أى كانوا على ذلك وهذه

تسلياً لرسول الله ﷺ عن استهزاء قومه ( فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا ) تمييز والضمير للمفسرين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله ﷺ يخبره عنهم ( وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ) أى سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحلهم العجيبة التي حقاً أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله ﷺ ووعد لهم ( وَاثْنَيْنِ سَأَلْتَهُم ) أى للشركين ( مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْغَزِيُّ الْغَلِيْمُ الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا ) كوفي وغيره مهادا أى موضع قرار ( وَجَمَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا طَرَقًا ) لَمَلَكُمْ تَهْتَدُونَ ) لكي تهتدوا في أسفاركم ( وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَقَدَرُوا بِنَقْدَارِيسٍ مَعَهُ الْعِبَادَ وَبِحِجَابِ إِلَيْهِ الْبِلَادَ ) فَأَنْشَرْنَا ) فأحيينا عدول من النماية إلى الإخبار لهم المخاطب بالمراد ( بِهِ بِلْدَةً مَيِّتًا ) يريد ميتاً ( كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ) من قبوركم أحياء تخرجون حمزة وعلى ولا وقف على العلم لأن الذي صفته، وقد وقف عليه أبو حاتم على تقدير هو الذي لأن هذه الأوصاف ليست من مقول الكفار لأنهم ينكرون الإخراج من القبور فكيف يقولون كذلك تخرجون بل الآية حجة عليهم في إنكار البعث ( وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ الْأَسْوَاقَ ) كَلَمًا وَجَمَلَ لَكُمْ مِنَ الْفَلَكِ وَالْأَنْسَامِ مَا تَرَكَبُونَ ) أى تركبونه يقال ركبوا في الفلك وركبوا الأنعام فقلب التمدى بغير واسطة لقوته على التمدى بواسطة فليل تركبونه ( لَتَسْقُوا عَلَى ظُهُورِهِ ) على ظهور ما تركبونه وهو الفلك والأنعام ( ثُمَّ تَذَكَّرُوا ) بقلوبكم ( نِسْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَىٰ عَنَبٍ وَقُولُوا ) بِالْمُسْتَكَم ( سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ) ذلل لنا هذا المركب ( وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّبِينَ ) مطبقين يقال اقرب الشيء إذا أطاقه وحقيقته اقربه وجده قريبته لأن الصعب لا يكون قريباً للضعيف ( وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ) لراجعون في الماد قبل يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مركبهم منها وهو الجنائز. وعن النبي ﷺ أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال : بسم الله. فإذا استوى على الدابة قال : الحمد لله على كل حال سبعان الذي سخرنا هذا إلى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثاً وهلل ثلاثاً. وقالوا إذا ركب في السفينة قال : بسم الله أجرا ومرساها إن ربي لغفور رحيم وحكى أن قوماً ركبوا وقالوا سبعان الذي سخر لنا هذا الآية وفيهم رجل على ناقه لا تتحرك هزالاً فقال إني مقرب لهذه فسقط منها لومئذها وانفذت عنقه. ويبنى أن لا يكون ركوب الماقل للترز والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل

هذه أنه هالك لاحالة ومنقلب إلى الله غير مظنت من قضائه ( وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا )  
 متصل بقوله ولئن سألتهم أى ولئن سألتهم عن خالق السموات والأرض ليعترفن به وقد  
 جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ أى قالوا الملائكة بنات الله فجعلوا جزءاً له وبعضاً  
 منه كما يكون الولد جزءاً لوالده جُزْءاً أى أبو بكر وحامد ( إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ) لجعوده  
 للنعمة ظاهر جعوده لأن نسبة الولد إليه كفر والكفر أصل الكفران كله ( امِ اتَّخَذَ مِمَّا  
 يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَكُمْ بِالْبَنِينَ ) أى بل اتخذ والمعمزة للإنكار تهييلاً لهم وتجبساً من  
 شأنهم حيث ادعوا أنه اختار لنفسه المنزلة الأدنى ولهم الأعلى ( وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ  
 لَهُ الرَّحْمَنُ مَثَلًا ) بالجنس الذى جعله له مثلاً أى شها لأنه إذا جعل الملائكة جزءاً لله وبعضاً  
 منه فقد جعله من جنسه ومثاله له لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد ( ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا  
 وَهُوَ كَرِيمٌ ) يعنى أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدم إذا قيل له قد ولدت  
 لك بنت أغتم واريد وجهه غيظاً وتأسفاً وهو مملوء من الكرب والظلال بمعنى السيرة  
 ( أَوْ مَنْ يُنشِئُوا فِي الْخَلْقِ ) وَهُوَ فِي الْخِصَامِ قَبِيرٌ مُبِينٌ ) أى أو يجعل للرحمن من الولد  
 من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه ينشأ فى الخلية أى يربى فى الزينة والنعمة وهو إذا  
 احتاج إلى عناية الخصوم ومجارات الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتى يبرهان وذلك  
 لضعف قوله. قال مقاتل: لا تتكلم المرأة إلا وتأتى بالحجة عليها. وفيه أنه جعل النشأة فى  
 الزينة من المايب فعلى الرجل أن يبحث ذلك ويتزين بلباس التقوى، ومن منصوب المثل  
 والمعنى أو جعلوا من ينشأ فى الخلية يعنى البنات لله عز وجل يُنشَأُ حمزة على وحفص أى يربى  
 عند جموا فى كفرهم ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد ونسبوا إليه أخس النوعين  
 وجعلوه من الملائكة الكرمين فاستخفوا بهم ( وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ مِنْهُمْ جُزْءٌ الرَّحْمَنِ  
 فِي نَسَبٍ ) أى سمو وقالوا إنهم أنثى عند الرحمن مكى ومدنى وشامى أى عندية منزلة ومكانة  
 لا منزل ومكان والعباد جمع عبد وهو أكرم فى الحجاج مع أهل المناد لتضاد بين البودية والولاد  
 ( أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ ) وهذا تهكم بهم يعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى  
 علم فإن الله لم يعطهم إلى علم ذلك ولا تطرقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب  
 الظلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن الشاهدة ( سَتَكْتُبُ سَائِدَهُمْ ) التى شهدوا بها

على الملائكة من أنوثتهم (وَيُسْتَأْذِنُونَ) عنها وهذا وعيد (وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ  
 مَا عَبَدْنَاكُمْ) أى الملائكة تملكت الميزة بظاهر هذه الآية فى أن الله تعالى لم يشأ الكفر من  
 الكافر وإنما شاء الإيمان فإن الكفار ادعوا أن الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك  
 عبادة الأصنام حيث قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناكم أى لو شاء منا أن نترك عبادة الأصنام  
 لمنعنا من عبادتها ولكن شاء منا عبادة الأصنام والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم بقوله  
 (مَا لَهُمْ بِذَلِكَ) المقول (مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) أى يكذبون ومعنى الآية  
 عندنا أنهم أرادوا بالمشيئة الرضا وقالوا لو لم يرض بذلك لسجل عقوبتنا أو لمنعنا من  
 عبادتها منع قهر واضطرار وإذا لم يفعل ذلك فقد رضى بذلك فرد الله تعالى عليهم  
 بقوله ما لهم بذلك من علم الآية أو قالوا هذا القول استهزاء لاجدا واعتقادا  
 فأكذبهم الله تعالى فيه وجعلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال غبرا عنهم . اعلم  
 من لو يشاء الله أطعمه وهذا حق فى الأصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله  
 إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ وكذلك قال الله تعالى قالوا نشهد إنك لرسول الله ثم قال والله يشهد  
 إن المنافقين لكاذبون لأنهم لم يقولوه من اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيا فاعلموا باختيارهم  
 وظنوا أن الله لا يماقهم على شيء فملوه بمشيئته وجعلوا أنفسهم معذورين فى ذلك فرد الله  
 تعالى عليهم (أَمْ ءَاتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ) من قبل القرآن أو من قبل قولهم هذا (فَهُمْ  
 بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) آخذون حاملون وقيل فيه تقديم وتأخير تهديه أشهدوا خلقهم أم آتيناهم  
 كتابا من قبله فيه أن الملائكة إناث (بَلْ قَالُوا) بل لا حجة لهم يتمسكون بها لا من  
 حيث البيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع إلا قولهم (إِنَّا وَجَدْنَاهُ عَلَيْهِ) أى  
 أمم (على دين قلدناهم وهى من الأم وهو القصد فالأمة الطريقة التى تقوم أى قصد (وَأِنَّا  
 عَلَىٰ آفَاتِهِمْ مُّقْتَدُونَ) الطرف سلة الممتدون أو ما خبران (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ  
 قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ) نبي (إِلَّا قَالَ مُتَرَفُّوهَا) أى متنسوها وهم الذين أترفهم  
 النعمة أى أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات واللهاى ويمافون مشاق الدين وتكاليفه (إِنَّا  
 وَجَدْنَاهُ عَلَيْهِ) أمم (وَأِنَّا عَلَىٰ آفَاتِهِمْ مُّقْتَدُونَ) وهذا تبليغ للنبي ﷺ وبيان  
 أن تقليد الآباء داء قديم (قُلْ) شامى وحفص أى النذير ، قل غيرها . أى قيل للنذير قل

(أَوَلَوْ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَىٰ رِجَالًا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آيَاتَهُمْ) (أَيُّ أَتَّبِعُونَ آيَاتِهِمْ وَلَوْ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَىٰ مِنْ دِينِ آبَائِكُمْ) (قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) إِنَّا نَابِتُونَ عَلَىٰ دِينِ آبَائِنَا وَإِنْ جِئْتَنَا بِمَا هُوَ أَهْدَىٰ وَأَهْدَىٰ (فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) فَمَا قَبْلُنَا مِنْهُمْ بِمَا اسْتَقْبَلُوا عَلَىٰ إِسْرَارِهِمْ (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ (أَيُّ وَافِعٍ) إِذْ قَالَ (إِنِّي بَرَاءٌ) أَيُّ بَرَاءٍ وَهُوَ مُصَدِّرٌ يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْإِثْنَانُ وَالْجَمْعُ وَالذَّكَرُ وَالْأُنثَىٰ كَمَا يَقُولُ رَجُلٌ عَدْلًا وَامْرَأَةٌ عَدْلًا وَقَوْمٌ عَدْلًا وَالْمَلَأَىٰ ذُو عَدْلٍ وَذَاتُ عَدْلٍ (مِمَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا الَّذِي فُطِرَ) اسْتِثْنَاءٌ مُتَقَلِّصٌ كَأَنَّهُ قَالَ لَكُنِ الَّذِي فُطِرَ (فَإِنَّهُ سَيِّئٌ بِئْسَ فِيهِ) هِيَ الْهَدَايَةُ (وَجَعَلَهَا) وَجَعَلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا وَهِيَ قَوْلُهُ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فُطِرَ (كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيهِ) فِي ذِيهِ فَلَا يَزَالُ فِيهِمْ مِنْ يُوْحِدُ اللَّهَ وَيَدْعُو إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ (لَمَّا لَمْ يَرَوْا جُؤنًا) لَمَّا لَمْ يَرَوْا أَشْرَكَ مِنْهُمْ يَرْجِعُ بِدَعَا مِنْ وَحْدِهِ مِنْهُمْ وَالتَّرْجَىٰ لِإِبْرَاهِيمَ (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ) يَمْنَىٰ أَهْلُ مَكَّةَ وَهُمْ مِنْ عَقَبِ إِبْرَاهِيمَ بِالْمَدِّ فِي الْعُمُرِ وَالنِّعْمَةِ فَافْتَرَوْا بِالْمَلْهَةِ وَشَغَلُوا بِالنِّعَمِ وَاتَّبَاعِ الشَّهَوَاتِ وَطَاعَةِ الشَّيْطَانِ مِنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ (حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ) أَيُّ الْقُرْآنُ (وَرَسُولٌ) أَيُّ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ (مُتَّبِعِينَ) وَاضْطَحَّ الرِّسَالَةَ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَةِ (وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ) الْقُرْآنُ (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُوا) فِيهِ مُتَحَكِّمِينَ بِالْبَاطِلِ (لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ) فِيهِ اسْتِهَانَةٌ بِهِ (عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ) أَيُّ رَجُلٍ عَظِيمٍ مِنْ أَحَدِي الْقَرِيبَيْنِ كَقَوْلِهِ يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ أَيُّ مِنْ أَحَدِهِمَا، وَالْقَرِيبَانِ: مَكَّةَ وَالطَّائِفُ. وَهُنَا بِعَظِيمٍ مَكَّةَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُنْفَرَةِ وَبِعَظِيمٍ الطَّائِفُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ التَّمُغِيُّ وَأَرَادُوا بِالْعَظِيمِ مَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَذَا جَاهٍ وَلَمْ يَمْرُقُوا أَنَّ الْعَظِيمَ مَنْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) أَيُّ النَّبُوَّةِ وَالْمُحَرَّمَةِ لِلْإِنْكَارِ الْمُسْتَقِلِّ بِالتَّجْهِيلِ وَالتَّعْجِيبِ مِنْ تَحْكُمِهِمْ فِي اخْتِيَارِ مَنْ يَصْلَحُ لِلنَّبُوَّةِ (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَئِشَتَهُمْ) مَا يَمِشُونَ بِهِ وَهُوَ أَزْوَاقُهُمْ (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أَيُّ لَمْ يُجْعَلْ قِسْمَةُ الْأُودُنِ إِلَيْهِمْ وَهُوَ الرِّزْقُ فَكَيْفَ النَّبُوَّةُ أَوْ كَمَا فَضَّلْتُ الْبَعْضَ عَلَىٰ الْبَعْضِ فِي الرِّزْقِ فَكَلَّا أَحْصَىٰ بِالنَّبُوَّةِ مِنْ أَشْأَاءِ (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) أَيُّ جَعَلْنَا.

البعض أفرياء وأغنياء وموالى والبعض ضعفاء وقراء وخدماء (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) ليصرف بعضهم بعضاً في حوائجهم ويستخدموهم في منتهى ويسخرهم في أشغالهم حتى يتمايشوا ويصلوا إلى منافسهم هذا بحاله وهذا بأعماله (وَرَحِمْتُ رَبِّكَ) أى النبوة أو دين الله وما يتبعه من الفوز فى المكاب (خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا ولما قلل أمر الدنيا وصغرها أردفه بما يقرره الله الدنيا عنده فقال (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر يطبقوا عليه (لَجَعَلْنَا) لحقارة الدنيا عندنا (لَمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِيَبْتَغِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِيَبْتَلِيَهُمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ وَزُخْرَفًا) أى لجللنا للكفار سقفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا أى زينة من كل شيء والخرف الذهب والزينة ويجوز أن يكون الأصل سقفا من فضة وزخرف أى بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب علقا على محل من فضة ليبوتهم بدل اشتمال من لمن يكفر سقفا على الجنس مكى وأبو عمرو ويزيد والمارج جمع معرج وهى المصاعد إلى الملأى عليها يظهرون على المارج يظهرون السطوح أى يملأونها (وَلِنْ كُلِّ ذَاكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) إن نافية ولما بمعنى إلا أى وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا وقد قرئ به وقرا لَمَّا غير عامم وحزة على أن اللام هى الفارقة بين إن المحفة والنافية وما صلة أى وإن كل ذلك لناع الحياة الدنيا (وَالْآخِرَةُ) أى ثواب الآخرة (عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) لمن يتقى الشرك (وَمَنْ يَمَسُّهُ) وقرئ ومن يمشى والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشى يمشى وإذا نظر نظر المشى ولا آفة به قيل عشا يمشو ومعنى القراءة بالفتح ومن يمس (عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) وهو القرآن كقوله سم بكم مى ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره أى يبرف أنه الحق وهو يتجاهل كقوله: وجعدوا بها واستيقنتها أنفسهم) فَقَبِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) قال ابن عباس رضى الله عنهما نسلطه عليه فهو معه فى الدنيا والآخرة يمحله على الماضى وفيه إشارة إلى أن من دوام عليه لم يقرنه الشيطان (وَأَنَّهُمْ) أى الشياطين (لَيَصُدُّنَّهُمْ) ليمنعون الماشين (عَنِ السَّبِيلِ) عن سبيل الهدى (وَيَحْسَبُونَ) أى العاشون (أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ) وإتباع جمع ضمير من وضمير الشيطان لأن من مبهم فى جنس

العامى وقد قبض له شيطان مبهم فى جنسه فجاز أن يرجع الضمير إليهما عموماً (حتى إذا جاءنا) على الواحد هراق غير أبى بكر أبى العامى جا آنا غيرهم أبى العامى وقوبنه (قال) لـ شيطانه (يَلَيْتَ يَسْنَى وَيَسْنَى وَيَسْنَى بِكَ بُدَّ الْمُشْرِقِينَ) يريد المشرق والغرب فقلب كاقبل الممران والقمران والمراد بمد المشرق من الغرب والغرب من المشرق (فَيَسْنَى الْقَرِينُ) أنت (وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ) إذ صبح ظلمكم أبى كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة فى أنكم كنتم ظالمين وإذ بدل من اليوم (أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) أنكم فى عمل الرفع على الفاعلية أبى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب أو كونكم مشتركين فى العذاب كما كان موم البلوى يطيب القلب فى الدنيا كقول الخنساء .

ولولا كثرة الباكين حولى على إخوانهم قتلت نفسى  
ولا يكون مثل أخى ولكن أعزى للنفس عنه بالأسى

أما هؤلاء فلا يؤسبهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه وقيل الفاعل مضمر أبى ولن ينفعكم هذا انتهى أو الاعتذار لأنكم فى العذاب مشتركون لاشتراككم فى سببه وهو الكفر ويؤيده قراءة من قرأ إنكم بالكسر (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ) أبى من قد سمع القبول (أَوْ تُهْدِي الْعُمَى) أبى من قد البصر (وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) ومن كان فى طم الله أنه يموت على الضلال (فَأَيُّهَا) دخلت ماعلى إن توكيدا للشرط وكذا النون الضمنية فى (نَذَاهِبَ بِكَ) أبى تتوفيك قبل أن ننصرك عليهم ونشقى صدور المؤمنين منهم (فَأَيُّهَا مِنْهُمْ مُنْتَفِعُونَ) أشد الانتقام فى الآخرة (أَوْ تُرَبِّيكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ) قبل أن توفاك يعنى يوم بدر (فَأَيُّهَا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ) قادرون وصفهم بشدة الشكيمة فى الكفر والضلال بقوله أفأنت تسمع الصم الآية ثم أوعدهم بمناب الدنيا والآخرة بقوله فلما نذعن بك الآيتين (فَأَسْتَمِعْتُكَ) فتمسك (بِالَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ) وهو القرآن وامل به (إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أبى على الدين الذى لا هو ج له (وَلِإِنَّهُ) وإن الذى أوحى إليك (لَذِكْرٌ لَكَ) لشرف لك (وَلِقَوْمِكَ) ولأمتك (وَسَوْفَ تُنْقَلُونَ) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بمعه وعن تنظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة (وَسُئِلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَبَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ) ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال

ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفتنهم عن ملهم هل جادت عبادة الأوثان قط في مكة من ملل الأنبياء وكفاء نظرا وخصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يمدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لاحاجة إلى غيرها وقيل إنه عليه السلام جمع له الأنبياء ليلة الإسراء فأمرهم وقيل لهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين أى التوراة والإنجيل وإنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء ومعنى هذا السؤال التقرير لعبادة الأوثان أنهم على الباطل وسل بلا همزة مكى وصلى أرسلنا أبو عمرو سلمى رسول الله ﷺ بقوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ما أجابوه به عند قوله إلى رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا) وهو مطالبتهم إياه بإحضار البينة على دعواه وإبراز الآية (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ) يسخرون منها ويهزءون بها ويسمونها سحرا وإذا للمفاجأة وهو جواب فلما لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو حامل النصب في عمل إذا كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجشوا وقت ضحكهم (وَمَا يُرِيدُ مِنْ آيَةِ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) قرينتها وصاحبها التي كانت قبلها في قضى المادة وظاهر النظم يدل على أن اللاحقة أعظم من السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام أنهم موصوفات بالكبر ولا يكذب بتفاوت فيه وعليه كلام الناس يقال ما أخوان كل واحد منهما أكرم من الآخر (وَأَخَذَ نَعْمٌ بِالْمَذَابِ) وهو ما قال تعالى: ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات فأرسلنا عليهم الطوفان الآية (لَمَلَمَهُمْ يَرْجِعُونَ) من الكفر إلى الإيمان (وَقَالُوا بِآيَةِ السَّاحِرِ) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم علم السحر. يآيئه الساحر بضم الهاء بلا ألف شامى ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف فلما سقطت لانتفاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَمِدَ عِنْدَكَ) بعمده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعمده عندك وهو النبوة أو بما عمد عندك من كشف المذاب عن اهتدى (إِنَّا كُفُّوا عَنْهُمْ) مؤمنون به (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَمْسِكُونَ) يتقضون المهد بالإيمان ولا يفون به (وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ) نادى بنفسه عظماؤه القبط أو أمر مناديا فنادى كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه (فِي قَوْمِهِ)



جعلهم محلاً لثدائمه وموقفاً له ( قَالَ يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ ) أى النهار  
الليل ومعظمها أربعة ( تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ) من تحت قصرى وقيل بين يدى فى جناتى وألواو  
حاطقة ثلاثهار على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها أو ألواو للحال واسم الإشارة مبتدأ  
وبالأنهار صفة تلامس الإشارة وتجرى خبر للبنداء، وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأولينها أخس  
هبيدى فولهاا الخصيب وكان خادمه على وضوئه، وعن عبد الله بن طاهر أنه ولها نخرج إليها  
فلما شارفها قال أهى القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال اليس لى ملك مصر والله لى أقل  
هندى من أن أدخلها فبنى عنانه ( أَفَلَا تُبْصِرُونَ ) قوى وضعف موسى وغناى وقره ( أَمْ  
أَنَا خَيْرٌ ) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة كأنه قال أثبت عندكم واستقر أى أنا خير وهذه حال  
( مَنْ هَذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ ) ضعيف حقير ( وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ) الكلام لما كان به من الرمة  
( فَلَوْلَا ) فهلا ( أَلْقَى عَلَيْهِ أَسْوِرَةً ) حفص ويعقوب وسهل جمع سوار ، غيرهم أساوره جمع  
أسورة وأساور جمع أسوار وهو السوار حذف الياء من أساور وعوض منها التاء ( مَنْ  
ذَهَبَ ) أراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقابلد الملك إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل  
سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب ( أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ) يشون معه  
يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأنصاره وأهوانه ( فَاسْتَنْخَفَ قَوْمَهُ ) استفرغهم بالقول  
واستنزلهم وحمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة فى الطاعة وحى الإسراع ( فَأَطَاعُوهُ ) أيهم  
كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ) خارجين عن دين الله ( فَلَمَّا عَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ )  
آسف منقول من آسف أسفا إذا اشتد غضبه وممناه أنهم أفرطوا فى المعاصى فاستوجبوا أن  
يمجل لهم عذابا وانتقاما وأن لا نعلم عنهم ( فَجَعَلْنَاهُمْ سُلْفًا ) جمع سالف تكادم وخدم  
سلفا حمزة وعلى ، جمع سليف أى فريق قد سلف ( وَمَثَلًا ) وحديثا عجيب الشأن سائر مسير  
الثلل يضرب بهم الأمثال ويقال مثلكم مثل قوم فرعون ( لِلْآخِرِينَ ) لمن يجرى بعدهم وممناه  
جعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم وتزول بهم لأنبيائهم  
بمثل أفعالهم ومثلا يمدحون به ( وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ) لا قرأ رسول الله ﷺ على  
قريش: إنكم وما تبدون من دون الله حسب جهنم، غضبوا فقال ابن الزبير يا عبد أخاسة  
لما ولأهلنا أم لجميع الأمم فقال عليه السلام: هو لكم ولأهلنكم . ولجميع الأمم فقال ألسن

ثم أن عيسى بن مريم نبى وكفى عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت أن النصارى يبدونهما  
 وعزير يبعد، والملائكة يبدون. فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا  
 معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: **إِن الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَةُ**  
**أُولَٰئِكَ فِيهَا يَمُودُونَ**. ونزلت هذه الآية والمعنى ولا ضرب ابن الزبيري عيسى بن مريم مثلا  
 لأنهم وجدوا رسول الله ﷺ بمبادة النصارى إليه (إِذَا قَوْمُكَ) قريش (مِنْهُ) من هذا  
 المثل (يَمُودُونَ) يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من إسكات النبي ﷺ  
 بجلده، يمدون مدى وشامى والأشنى وعلى من الصدود أى من أجل هذا المثل يصدون من  
 الحق ويرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وآلهما لفتان نحو يكف ويكف (وَقَالُوا  
 ءَأَلٰهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ) يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فإذا كان عيسى من  
 حسب النار كان أمر آلهتنا هينا (مَا ضَرَبُوهُ) أى ما ضربوا هذا المثل (لَكَ إِلَّا جَدَلًا)  
 إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميزين الحق والباطل (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَمِيمُونَ)  
 له شداد الخصومة دأبهم اللجاج وذلك أن قوله تعالى إنكم وما تعبدون لم ير به إلا الأسلم  
 لأن ما نير العقلاء إلا أن ابن الزبيري بخداعه لا رأى كلام الله محتملا لفظه وجه المومم مع  
 علمه بأن المراد به أسنامهم لا غير وجد للبيعة مسافا فصرف اللفظ إلى الشمول والإحاطة بكل  
 مسبود غير الله على طريق اللجاج والجدال وحسب للمبالغة والكثرة وتوقع في ذلك فتوقر رسول  
 الله ﷺ حتى أجاب عنه ربه (إِنْ هُوَ) ما عيسى (إِلَّا عَبْدٌ) كسائر العبيد (أَنفَعْنَا عَلَيْهِ)  
 بالنبوة (وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ) وسيرناه هبة عجيبة كالمثل السائر لبني إسرائيل  
 (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِثْلَكُمْ مِثْلَ الْكَفَّارِ فِي الْأَرْضِ) أى بدلا منكم كذا قاله الزجاج وقال  
 جامع العلوم لجعلنا بدلکم ومن معنى البذل (يَخْتَلِفُونَ) يختلفونكم في الأرض أو يخلف  
 الملائكة بعضهم بعضا وقيل ولونشاء لقد عرفنا على عجائب الأمور لجعلنا منكم لو لمنا منكم  
 بإرجال ملائكة يختلفونكم في الأرض كما يختلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير  
 غل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتملوا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام والقديم  
 متعال عن ذلك (وَإِنَّهُ لَكَلِمٌ لِّلسَّاعَةِ) وإن عيسى مما يعلم به بحىء الساعة وقرأ ابن عباس  
 لعل للساعة وهو العلامة أى وإن نزوله علم للساعة (فَلَا تَحْزَنْنَ بِهَا) فلا تشكن فيها من

الرية وهو الشك ( وَاتَّبِعُونِ ) وبالباء فهما سهل ويقوب أى واتبعوا هداى وشرى أو رسولى أو هو أمر لرسول الله ﷺ أن يقوله ( هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ) أى هذا الذى ادموكم إليه ( وَلَا يَسُدُّنَكُمْ الشَّيْطَانُ ) من الإيمان بالساعة أو عن الانبعاث ( إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ) ظاهر المداوة إذا خرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور ( وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ ) بالمعجزات أو بآيات الإنجيل والشرائع البينات الواضحات ( قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ ) أى الإنجيل والشرائع ( وَلَا بَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلَفُونَ فِيهِ ) وهو أمر الدين لأمر الدنيا ( فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا إِنْ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاقْبُدُّوهَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ) هذا تمام كلام عيسى عليه السلام ( فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ ) الفرق المتعزبة بعد عيسى وم البقية والنسطورية والمكائنية والشمعونية ( مِنْ بَيْنِهِمْ ) من بين النصارى ( فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ) حيث قالوا فى عيسى ما كفروا به ( مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أُلِيمِ ) وهو يوم القيامة ( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ ) الضمير لقوم عيسى أو للكفار ( أَنْ تَأْتِيَهُمْ ) بدل من الساعة أى هل ينظرون إلا إتيان الساعة ( بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) أى وهم غافلون لا اشتغالهم بأمر دنيائهم كقوله تأخذهم وهم يغمضون ( الْأَخِلَّاءُ ) جمع خليل ( يَوْمَئِذٍ ) يوم القيامة ( بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ) أى المؤمنين واتصبا يومئذ بعد أى تنقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالفين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا إلا خلة المتصادقين فى الله فإنها الخلة الباقية ( يُسَبِّحُ ) بالياء فى الوصل والوقف مدنى وشامى وأبو عمرو ويفتح الياء أبو بكر الباقون بحذف الياء ( لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ) هو حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ ( الَّذِينَ ) منصوب لمل صفة لبادى لأنه مفادى مضاف ( آمَنُوا بِآيَاتِنَا ) صدقوا بآياتنا ( وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ) لله مفادى له ( ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ ) المؤمنين فى الدنيا ( تَعْبَرُونَ ) تسرون سرورا يظهر حبارى أى أترى وجوهكم ( يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِمِصْحَافٍ ) جمع صحفة ( مِنْ ذَهَبٍ وَكُتَابٍ ) أى من ذهب أيضا والكتب الكوز لاهروته ( وَفِيهَا ) وفى الجنة ( مَا تَشْتَهُى الْأَنْفُسُ ) مدنى وشامى وحفص بإثبات الهاء المائدة إلى الوصول وحذفها غيرم لطول الوصول بالقل والنقل والتاعل والنفول ( وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ) وهذا حصر لأبواع النعم لأنها إما مشتبهات فى القلوب أو مستقلة فى

العيون (وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) تلك إشارة إلى الجنة المذكورة وهي مبتدأ والجنة خبر والى أورثتموها صفة الجنة أو الجنة صفة للبندأ الذى هو اسم الإشارة والى أورثتموها خبر للبندأ أو الى أورثتموها صفة للبندأ وبما كنتم تعملون الخبر والباء تعلق بمحذوف أى حاصلة أو كائنة كما فى الظروف التى تقع أخبارا وفى الوجه الأول تعلق بأورثتموها وشبهت فى بقائها على أهلها باليراث الباقى على الورثة (لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ) من التبييض أى لا تأكلون إلا بعضها وأحبابها باقية فى شجرها ففى مزينة بالثمار أبدا وفى الحديث لا ينزع رجل فى الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاً (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ خَالِدُونَ) خبر بصد خبر (لَا يُفَرِّقُهُمْ) خبر آخر أى لا يخفف ولا ينقص (وَهُمْ فِيهِ) فى العذاب (مُتَلَبِّسُونَ) آيسون من الفرج متعبرون (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) بالعذاب (وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) هم فصل (وَنَادَوْا بِسَبِّكَ) لما آيسوا من ثور العذاب نادوا بمالك وهو خازن النار وقيل لابن عباس إن ابن مسعود قرأ بمالك فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم (لِيَقْضَ عَلَيْكَ رَبُّكَ) ليعتاق من قضى عليه إذا أماته فوكزه موسى قضى عليه والمضى سل ربك أن يقضى علينا (قَالَ إِنَّكُمْ مَسْكُونُونَ) لا بقون فى العذاب لا تتخلصون عنه بموت ولا ثور (لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ) كلام الله تعالى ويجب أن يكون فى قال ضمير الله لما سألو مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك وقيل هو متصل بكلام مالك (١) والراد بقوله جئناكم باللازمة اذم رسل الله وهو منهم (وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ) لا قبلونه وتنفرون منه لأن مع الباطل الدعة ومع الحق الثعب (أَمْ أَيْرَمُوا أَمْراً) أم أحكم مشركو مكة أمراً من كيدهم ومكرهم بمحمد ﷺ (فَأَنَّا مُبْرَمُونَ) كيدنا كما أبرموا كيدهم وكانوا يتنادون فيتناجون فى أمر رسول الله ﷺ فى دار الندوة (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ) حديث أنفسهم (وَنَجْوَاهُمْ) ما يتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بَلَىٰ) نسمعها ونطلع عليها (وَرُسُلَنَا) أى الحفظة (لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) عندكم يكتبون ذلك ، وعن يحيى بن معاذ:

من ستر من الناس عيوبه وأبداهما لمن لا يخفى عليه خافية قد جمعه أهون الناظرين إليه وهو من  
 إشارات التفات (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ) مسح ذلك ببرهان (فَأَنَّا أَوَّلَ الْبَشَرِ) (الْبَشَرِ)  
 فَأَنَا أَوَّلُ من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والافتقار إليه كما يعظم الرجل ولد الملك  
 لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل القرض والمراد نفي الولد وذلك أنه علق العبادة بكنيوة  
 الولد وهي محال في نفسها فكان الملقب بها محالا مثلها ونظيره قول سميد بن جبير للحجاج  
 حين قال له والله لأبدنك بالدينا نارا تلقى لو هرفت أن ذلك إليك ما عبت إلها غيرك وقيل  
 إن كان للرحمن ولد في زعمكم فَأَنَا أَوَّلُ السابدين أى الموحدين لله السكدين قولكم بإضافة  
 الولد إليه وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فَأَنَا أَوَّلُ الْآتِينَ من أن يكون له ولد من عبده  
 يعبد إذا اشتد أنه فهو عبد وعابد وقرى السكدين وقيل هي إن الثانية أى ما كان للرحمن ولد  
 فَأَنَا أَوَّلُ من قال بذلك وعبد ووجد وروى أن النضر قال الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر  
 ألا ترون أنه صدقى فقال له الوليد ماسدك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فَأَنَا أَوَّلُ الموحدين  
 من أهل مكة أن لا ولد له. وَلَدَ حِزَّةً وَعَلَى ثَمَرَةٍ ذَاتِهِ عَنْ اخْتِازِ الْوَلَدِ قَتَالَ (سُبْحَنَ رَبِّ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْمَرْشَرِ مَا يَصِفُونَ) أى هو رب السموات والأرض والعرش  
 فلا يكون جسما إذ لو كان جسما لم يقدر على خلقها وإذ لم يكن جسما لا يكون له ولد لأن  
 التولد من صفة الأجسام (فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا) فى باطلهم (وَيَكْتُمُوا) فى دنياهم (حَتَّى  
 يُبْلَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ) أى القيامة وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل  
 والخطو واللعب (وَهُوَ الَّذِى فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ) ضمن اسمه تعالى معنى  
 وصِف فلذلك علق به الظرف فى قوله فى السماء وفى الأرض كما تقول هو حاتم فى طى وحاتم  
 فى قلب على تضمين معنى الجواد الذى شهر به كأنك قلت هو جواد فى طى جواد فى قلب  
 وقرىء وهو الذى فى السماء الله وفى الأرض الله ومثله قوله وهو الله فى السموات وفى الأرض  
 فكانه ضمن معنى المعبود والراجع إلى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذى  
 قاتل لك شيئا والتقدير وهو الذى هو فى السماء إليه وإله يرتفع على أنه خبر مبتدأ مضمرة ولا  
 يرتفع إليه بالابتداء وخبره فى السماء نحو الصلة حيثئذ من عائد يعود إلى الموصول (وَهُوَ  
 الْحَكِيمُ) فى أقواله وأعماله (الْمَلِكُ) بما كان ويكون (وَتَبَارَكَ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) أى علم قيامها (وَالَّذِينَ تَرْجُونَ) يرجعون  
مكي وحزة وطى (وَلَا يَمْلِكُ) آلتهم (الَّذِينَ يَدْعُونَ) أى يدعونهم (مِنْ دُونِهِ) من  
دون الله (الشَّقَمَةَ) كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) أى ولكن  
من شهد بالحق بكلمة التوحيد (وَهُمْ يَمْلِكُونَ) أن الله ربهم حقا ويمتقدون ذلك هو الذى  
يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع أو متصل لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة  
(وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ) أى المشركون (مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) لا الأسنام والملائكة (فَأَنَّى  
يُؤْفَكُونَ) فكيف أو من أين يصرفون عن التوحيد مع هذا الإقرار (وَقِيلَهُ) بالجر  
حاصم وحزة أى وعنده علم الساعة وعلم قبيله (يَرْبُّ) والهاء يعود إلى محمد ﷺ لتقدم ذكره  
في قوله: قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول المأبدن . وبالنصب الباقيون عطفًا على عمل الساعة أى  
يعلم الساعة ويعلم قبيله أى قبل محمد يارب والقيل والقول والقال والمقال واحد ويحوز أن يكون  
الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه . وجواب القسم (إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُوْمِنُونَ)  
كأنه قيل وأنتم قبيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون وإقسام الله قبيله رفع منه وتظيم لدمائه  
والجاءته إليه (فَأَسْفَحَ عَنْهُمْ) فأعرض عن دعوتهم يائسا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم  
(وَقُلْ) لهم (سَلِّمُوا) أى تسلم معكم ومتاركة (فَسَوْفَ يَمْلِكُونَ) وعيد من الله لهم  
وتسليمه لرسوله صلى الله عليه وسلم . وبإثناء مدنى وشامى .

### ( سورة النخان تسع وخمسون آية مكية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

في الخبر من قراها ليلة حجة أصبح مغفورا له (حَمَّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) أى القرآن  
الواو في والكتاب واو القسم إن جعلت حم تمديدا للحروف أو إيماءا للسورة مرفوعا على خبر  
الابتداء المحذوف وواو المطف إن كانت حم مقسما بها وجواب القسم (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ  
مُبَارَكَةٍ) أى ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة  
والجمهور على الأول لقوله إنا أنزلناه في ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن  
وليلة القدر في أكثر الأفاويل في شهر رمضان ثم قالوا أنزله جملة من الألواح المحفوظ

إلى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل في وقت وقوع الحاجة إلى بيته محمد صلى الله عليه وسلم وقيل  
ابتداء نزوله في ليلة القدر والباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب  
حين الدعاء ولو لم يوجد فيها إلا إزال القرآن وحده لكتفى به بركة (إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا  
يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ) هما جملتان مستأنفتان ملفوقتان فسر بهما جواب القسم كأنه قيل أنزلناه  
لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وكان إزالنا إياه في هذه الليلة خصوصاً لأن إزال  
القرآن من الأمور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ومعنى يفرق يفصل ويكتب  
كل أمر من أرواق البعاد وأجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة إلى ليلة القدر التي نجيء  
في السنة التالية (حَكِيمٌ) ذى حكمة أى مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الإسناد  
المجازى لأن الحكم صفة صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجازاً (أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا)  
نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلاً نفخاً بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة ونفامة بأن  
قال أعمى بهذا الأمر أمراً حاصلًا من عندنا كما اقتضاه علمنا وتديرنا (إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ)  
بدل من إنا كنا منفردين (رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ) مفعول له على معنى إنا أنزلنا القرآن لأن من  
شأننا ومادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم أو لتعليل لقوله أمراً من عندنا  
ورحمة مفعول به وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها به في قوله وما يسلك فلا مرسل له  
من بعده والأصل إنا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ليداناً بأن الربوبية  
تقتضى الرحمة على المربوبين (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْعَلِيمُ) بأحوالهم (رَبٌّ) كوفي  
بدل من ربك وغيرهم بالرفع أى هورب (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ  
ومعنى الشرط أنهم كانوا يقولون بأن السموات والأرض وما بينهما قليل ثم ان إرسال الرسل  
وإزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل إن هذا الرب هو السميع العليم الذى أنتم مقرّون به  
ومتعرفون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم من علم وإيقان كما تقول  
إن هذا إنعام زيد الذى تسمع الناس بكرمه إن بلغك حديثه وحدثت بقسته (لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ) أى هوزبكم (وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) عطف عليه  
ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْمِزُونَ) وإن إقرارهم غير صادر عن

هم. ويتيقن بل قول ضلوط بهزؤ ولعب (فَارْتَبَيْ) فانتظر (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ)  
يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَدْخُلُ فِي أَسْبَاحِ السَّكْفَةِ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الْوَاحِدِ كَأَلْسِ  
الْحَفِيدِ وَيَسْتَرَى لِلزُّمَنِ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزَّكَامِ وَتَسْكُونُ الْأَرْضُ كُلُّهَا كَبَيْتٍ أَوْقَدَ فِيهِ لَيْسَ فِيهِ خَصَامُ  
وَقِيلَ إِنْ قَرَيْشًا لَمْ اسْتَمَعْتَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَعَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ «اللَّهُمَّ اشْدُدْ طَائِفَتَكَ عَلَى  
مُضِرِّ وَاجْعَلْهُمْ عَلَيْهِمْ سَنِينَ كَسَنَى يُوسُفَ» فَأَصَابَهُمُ الْجُحْدُ حَتَّى أَكَلُوا الْجِيْفَ وَالْمِلْهَزَ وَكَانَ  
الرَّجُلُ يَرَى بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ الدُّخَانَ وَكَانَ يَحْدِثُ الرَّجُلَ فَيَسْمَعُ كَلَامَهُ وَلَا يَرَاهُ مِنَ الدُّخَانِ  
(ثُمَّ يَنْبُرُ) ظَاهِرُ حَالِهِ لَا يَشْكُ أَحَدٌ مِنْهُ أَنَّهُ دُخَانٌ (يَنْفُثِي النَّاسَ) يَسْلُمُهُمْ وَيَلْبِسُهُمْ وَهُوَ فِي حُلِّ  
الْجَبْرِ صِفَةُ لَدُنْكَ وَقَوْلُهُ (هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبِّمَا اكْشِفْ عَنْكَ الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) أَيْ  
سَتُؤْمِنُ إِنْ تَكْشِفْ عَنْكَ الْعَذَابَ مَنْصُوبٌ بِالْحُلِّ بِفَعْلٍ مُضَمَّرٍ وَهُوَ يَقُولُونَ وَيَقُولُونَ مَنْصُوبٌ  
بِالْحُلِّ عَلَى الْحَالِ أَيْ قَائِلِينَ ذَلِكَ (أَنِّي لَهُمُ الدَّكْرَى) كَيْفَ يَذْكُرُونَ وَيَسْمَعُونَ وَيَفْقَهُونَ بِمَا  
وَعَدُوهُ مِنَ الْإِيمَانِ عِنْدَ كَشْفِ الْعَذَابِ (وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا  
مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ) أَيْ وَقَدْ جَاءَهُمْ مَا هُوَ أَعْظَمُ وَأَدْخَلَ فِي جُوبِ الْأَذْكَارِ مِنْ كَشْفِ الدُّخَانِ  
وَهُوَ مَظْهَرٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْآيَاتِ وَالْبَيِّنَاتِ مِنَ الْكِتَابِ الْمَجْزُوعِ وَغَيْرِهِ فَلْيَذْكُرُوا وَتَوَلَّوْا  
عَنْهُ وَهَتَوْهُ بِأَنْفِ عَدَا سَا غَلَامًا أَعْجَبِيَا لِبَعْضِ ثَقِيفٍ هُوَ الَّذِي عَلِمَهُ وَنَسَبُوهُ إِلَى الْجَنُونَ  
(إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا) زَمَانًا قَلِيلًا أَوْ كَشَفْنَا قَلِيلًا (إِنْكُمْ عَائِدُونَ) إِلَى الْبُكَرِ  
الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ أَوْ إِلَى الْعَذَابِ (يَوْمَ تَبْطُلُ الْبُطْشَةُ الْكُبْرَى) هِيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَوْ يَوْمِ  
بَدْرٍ (إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) أَيْ نَنْتَقِمُ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَاتِّصَابُ يَوْمِ تَبْطُلُ بِأَذْكُرٍ أَوْ بِمَا دَلَّ  
عَلَيْهِ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ وَهُوَ نَنْتَقِمُ لَا يَمْتَقِمُونَ لِأَنَّهُ مَا بَعْدَ إِنْ لَا يَسْمَعُ فِيهَا قَبْلَهَا (وَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ)  
قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكِينَ أَيْ فَعَلْنَا بِهِمْ فَعْلَ الْمُتَجَبِّرِ لِيُظْهَرَ مِنْهُمْ مَا كَانَ يَاطُنَا (قَوْمٌ فَرَّغُوا وَجْهَهُمْ  
رَسُولَ كَرِيمٍ) عَلَى اللَّهِ وَعَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ كَرِيمٍ فِي نَفْسِهِ حَسِيبٌ نَسِيبٌ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا مِنْ سَرَاةٍ قَوْمِهِ وَكَرَامِهِمْ (أَنْ أَدُّوْا إِلَيَّ) هِيَ أَنْ الْمَفْسَرَةُ لِأَنَّ عَجِيءَ الرَّسُولِ  
إِلَى مَنْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ مُتَعَمِّدٌ لِمَعْنَى الْقَوْلِ لِأَنَّهُ لَا يَجِبُ لَهُمْ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ أَوْ  
الْمُخْتَفَةِ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَمَعْنَاهُ وَجَاءَهُمْ بِأَنَّ الشَّأْنَ وَالْحَدِيثَ أَدُّوا إِلَيَّ سَلُّوا إِلَيَّ (عِبَادَ اللَّهِ) هُوَ



مفبول به وهم بنو إسرائيل يقول أدوم إلى وأرسلهم معي كقوله: فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تمنعهم . ويجوز أن يكون نداء لهم على معي أدوا إلى إبعاد الله ما هو واجب لي عليكم من الإيمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيل، وهمل ذلك بقوله (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) أى على رسالتى غير منهم (وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ) أن ههنا مثل الأولى في وجهها أى لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووجهه أو لا تستكبروا على نبي الله (إِنِّي أَنبِئُكُمْ بِسُلْطَنِ ثَمِيمٍ) بحجة واضحة تدل على أنى نبي (وَإِنِّي عُذْتُ) مدغم أي مرو وحمزة وعلى (يَرْبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ) أن تقتلوني رجما وممناه أنه عائد بربه متكل على أنه يحميه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل (وَإِنْ لَمْ تَوْتُوا إِلَيَّ فَأَعْتَزِلُونِ) أى إن لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتتحروا عني أو غفلوني كفا فلا لى ولا على ولا تاتمرشوا لي بشركم وإذا كم فليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه فلاحكم ذلك. ترجوني، فاعتزلوني في الحالين يعقوب (فَدَعَا رَبَّهُ) شاكيا قومه (أَنْ هُوَ لَكَ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ) بأن هؤلاء أى دعا ربه بذلك قيل كلف دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرئ إن هؤلاء بالكسر على إضمار القول أى فدعا ربه فقال إن هؤلاء (فَأَسْرَى) من أسرى. فأسر بالوصل مجازى من أسرى والقول مضمر بعد الفاء أى فقال أسر (يَمُودَى) أى بنو إسرائيل (تَلِيلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ) أى دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقنين ويفرق التابعين (وَأَتْرَكُ الْبَحْرَ رَهْوًا) ساكنا أراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر أن يضربه بمصاه فينطبق فأمر بأن يتركه ساكنا على هيئته قرا على حاله من انصباب الماء وكون الطريق يسا لا يضربه بمصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم وقيل الرهو: النجوة الواسعة أى أتركه مفتوحا على حاله منفرجا (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّتْرَكُونَ) بعد خروجهكم من البحر وقرئ بالفتح أى لأنهم (كَمْ) عبارة عن الكثرة منصوب بقوله (تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَدُرُوعٍ وَمَقَامِرَ كَرِيمٍ) هو ما كان لهم من النازل الحسنة

وقبل الناب (وَلَمَّا تَمَّ تَمَّ) نعم (كَانُوا فِيهَا فَكَّرِينَ) متفكرين (كَذَلِكَ) أى الأمر كذلك  
 فكلف في موضع الرفع على أنه خبر مبتدأ مضمر (وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ) ليسوا  
 منهم فى شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو إسرائيل (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ  
 وَالْأَرْضُ) لأنهم ماتوا كفرا، والؤمن إذا ملت تبكى عليه السماء والأرض فيبكى على المؤمن  
 من الأرض مصلا ومن السماء مصدعه، وعن الحسن أهل السماء والأرض (وَمَا كَانُوا  
 مُنْظَرِينَ) أى لم ينظروا إلى وقت آخر ولم يعملوا (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْقَذَابِ  
 الثَّمِينِ) أى الاستخدام والاستعباد وقتل الأولاد (مِنْ فِرْعَوْنَ) بدل من العذاب الموبن  
 بإعادة الجار كأنه فى نفسه كان عذابا مهينا لإفراطه فى تعذيبهم وإهانتهم أو خبر مبتدأ محذوف  
 أى ذلك من فرعون (إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا) متكبرا (مِّنَ الْمُنْزِلِينَ) خبر ثان أى كان متكبرا  
 مسرفا (وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ) أى بنى إسرائيل (عَلَىٰ عِلْمٍ) حال من ضمير الفاعل أى عالين  
 بتمكن الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا (عَلَى السَّالِمِينَ) على عالى زمانهم (وَأَنبَتْنَاهُمْ مِنْ  
 الْأُيُوتِ) كفلق البحر وتظليل النعام وإزال المن والسلوى وغير ذلك (مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ)  
 نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر للنظر كيف يعملون (إِنَّ هَؤُلَاءِ) أى كفار قريش (لَيَقُولُونَ  
 إِنْ هِيَ) ما المنة (إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ) والإشكال أن الكلام وقع فى الحياة الثانية لافى  
 الموت فهلا قيل إن هى إلا حياتنا الأولى وما معنى ذكر الأولى كأنهم وعدوا منة أخرى  
 حتى جعدوها وأثبتوا الأولى والجواب أنه قيل لهم إنكم تموتون منة تشقها حياة كاتقدمتكم  
 منة قد تشقها حياة وذلك قوله تعالى: وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم. فقالوا إن  
 هى إلا موتتنا الأولى يريدون ما المنة التى من شأنها أن يشقها حياة إلا المنة الأولى فلا  
 فرق إذا بين هذا وبين قوله إلا حياتنا الدنيا فى المنى ويحتمل أن يكون هذا إنكارا لما فى  
 قوله: ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين (وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) بيموتين قال: أنشأ الله الموتى.  
 ونشرهم إذا بشهم (فَأَنفُتُوا بِبَابِائِنَا) خطاب للذين كانوا يمدونهم التشور من رسول الله  
 ﷺ والؤمنين (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أى إن سدتكم فيما تحولون فنجلا لنا إحياء من مات  
 عن آياتنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على أن ما تدونه من قيام الساعة وبث

الموتى حق (أَهْمُ خَيْرٌ) في القوة والمنعة (أَمْ قَوْمُ بُنِعَ) هو تبع الحميري كان مؤمنا وقومه  
 كافرين وقيل كان نبيا وفي الحديث: ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)  
 مرفوع بالعطف على قوم تبع (أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) كافرين منكربين للبعث  
 (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) أى وما بين الجنسين (لَحِيبِينَ) حال ولو لم  
 يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خلق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا (مَا خَلَقْنَاهُمْ  
 إِلَّا بِالْحَقِّ) بالجد ضد اللعب (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) انه خلق لذلك (إِنْ يَوْمَ  
 الْفَصْلِ) بين الحق والمبطل وهو يوم القيامة (يَمِيقْتُهُمُ أَجْمَعِينَ) وقت موعدهم كلهم (يَوْمَ  
 لَا يُغْنِي مَوْتِي عَنْ مَوْتِي شَيْئًا) أى ولى كان من أى ولى كان شيئا من إغناء أى قليلا منه  
 (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) الضمير للموتى لأنهم فى المني كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياع  
 كل موتى (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ) فى عمل الرفع على البذل من الواو فى ينصرون أى لا يمنع من  
 العذاب إلا من رحمه الله (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ) الغالب على أعدائه (الرَّحِيمُ) لأوليائه (إِنْ  
 شَجَرَتِ الزُّقُومِ) هى على سورة شجرة الدنيا لكنها فى النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام  
 ثقيل (طَعَامُ الْأَثِيمِ) هو الفاجر الكثير الآثام وعن أبى الدرداء أنه كان يقرئ رجلا فكان  
 يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا تستدل على أن إبدال الكلمة مكان الكلمة  
 جائز إذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة رضى الله عنه القراءة بالفارسية بشرط  
 أن يؤدى القارىء المانى كلها على كمالها من غير أن يحرم منها شيئا قالوا وهذه الشرطية  
 تشهد أنها إجازة كلا إجازة لأن فى كلام العرب خصوصا فى القرآن الذى هو معجز بفصاحته  
 وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المانى والدقائق ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها  
 ويروى رجوعه إلى قولهما وعليه الاعتماد (كَأَنَّهُمْ) هو دردى أثرت والكاف رفع خبر  
 بمدخبر (يَنْفُلِي فِي الْبُلُورِ) بالياء مكى وحفص [وقرى: باتاء] قاتله للشجرة والياء للطعام  
 (كَغُلَى الْجَحِيمِ) أى الماء الحار الذى انتهى غلبانه ومعناه غلبا كغلب الجحيم فالكاف منصوب المحل  
 ثم يقال للزبانية (خَذُوهُ) أى الأثيم (فَاعْتَلَوْهُ) فتودوه بمنف وغلظة، فاعتلوه مكى ونافع  
 وشامى وسهل ويقوب (إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ) إلى وسطها ومعظمها (ثُمَّ سُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ  
 مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ) المسبوب هو الجحيم لا عذابه إلا أنه إذا سب عليه الجحيم قد سب عليه

عذابه وشدة مصيب العذاب استمارة ويقال له ( ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَرُورُ الْكَرِيمُ ) على سبيل  
 التهزؤ والتكبر . أنك لى لأنك على ( إِنْ هَذَا ) أى العذاب أو هذا الأمر هو ( مَا كُنْتُمْ بِهِ  
 تَحْتَرُونَ ) تشكون ( إِنْ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ ) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان  
 . وهو من الخاص الذى وقع مستعملا فى معنى المصوم وبالضم مدنى وشامى وهو موضع الإقامة  
 : ( آمِينَ ) من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استمارة لأن  
 المكان الخفيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من الكاره ( فِي جَنَّتٍ وَهْيُونٍ ) بدل من  
 مقام أمين ( يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ ) ما رق من الديباج ( وَإِسْتَبْرَقٍ ) ما غلظ منه وهو قمر  
 استبر واللفظ إذ عارب خرج من أن يكون أعجميا لأن معنى التمرير أن يعمل عربيا بالتصرف  
 فيه وتغييره عن مناجاه وإجرائه على أوجه الإعراب فسلخ أن يقع فى القرآن العربى ( مُقَبِّلِينَ )  
 فى مجالسهم وهو آتم لأنس ( كَذَلِكَ ) الكاف مرفوعة أى الأمر كذلك ( وَزَوْجَهُمْ )  
 . وفرنام ولهذا عدى بالباء ( بِحُورٍ ) جمع حوراء وهى الشديدة سواد العين والشديدة بياضا  
 ( عِينٍ ) جمع عينا وهى الواسعة العين ( يَدْعُونَ فِيهَا ) يطلبون فى الجنة ( يَكُلُّ فَاكِهَةً  
 عَابِينَ ) من الزوال والاقطاع وتوفه الضرر من الإكثار ( لَا يَدْعُونَ فِيهَا ) أى فى  
 الجنة ( الْمَوْتِ ) البتة : ( إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ) أى سوى الموتة الأولى التى خافوها فى الدنيا  
 وقيل لكن للموتة قد خافوها فى الدنيا ( وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضَلَّ مِنْ رَبِّكَ ) أى  
 للفضل فهو مفعول له أو مصدر مؤكد لما قبله لأن قوله ووقاهم عذاب الجحيم فضل منه لهم  
 لأن البعد لا يستحق على الله شيئا ( ذَلِكَ ) أى صرف العذاب ودخول الجنة ( هُوَ الْقَوْزُ  
 الْعَظِيمُ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ ) أى الكتاب وقد جرى ذكره فى أول السورة ( بِلِسَانِكَ لَمْ أَهْمُ  
 يَتَذَكَّرُونَ ) يتظنون ( فَارْتَقِبْ ) فانتظر ما يحل بهم ( لَهُمْ مُرَقَّبُونَ ) منتظرون ما يحل  
 بك من الدوائر .

## ( سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( حَم ) إن جملتها إسماً للسورة فهو مرفوعة بالابتداء والخبر ( تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ )  
 صلة للتنزيل وإن جملتها تمديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا ( التَّوْحِيدِ )  
 في انتقامه ( الْحَكِيمِ ) في تدييره ( إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ ) لعلامات على  
 وحدانيته ويموز أن يكون المعنى إن في خلق السموات والأرض لآيات ( لِلْمُؤْمِنِينَ ) دليله  
 قوله ( وَفِي خَلْقِكُمْ ) ويعطف ( وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ ) على المخلوق المضاف لأن المضاف إليه  
 ضمير مجرور متصل يفتح المطف عليه ( آيَاتٍ ) حزة وعلى بالنصب. وغيرها بالرفع مثل قوله  
 إن زيدا في الدار وعمرأ في السوق أو عمرو في السوق ( لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ) وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ  
 وَالنَّهَارُ وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ ) أى مطر ومعى به لأنه سبب الرزق ( فَأَحْيَا  
 بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَمَرِّيفِ الرِّبْرِ ) الربح حزة وعلى ( آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ )  
 بالنصب على وحزة، وغيرها بالرفع وهذا من المطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت  
 فالعاملان إذا نصبت إن وفى . أقيمت الواو مقامها فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار  
 والنصب في آيات. وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفى . حملت الواو الرفع في آيات والجر  
 في واختلاف هذا مذهب الأخفش لأنه يجوز المطف على عاملين وأما سيويه فإنه لا يميزه  
 ونخرج الآية عنده أن يكون على اضمار فى والحقى حسنة تقديم ذكر فى فى الآيتين قبل هذه  
 الآية ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وفى اختلاف الليل والنهار ويموز أن ينصب  
 آيات على الاختصاص بعد اقضاء الجرور مطوقا على ما قبله أو على التكرير تركيدا لآيات  
 الأولى كأنه قبل آيات آيات ورفعا ياضمار هى والمعنى فى تقديم الإيمان على الإيقان وتوسيطه  
 وتأخير الآخر أن المنصفين من البعاد إذا نظروا فى السموات والأرض نظرا صحيحا علموا أنها  
 مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله فإذا نظروا فى خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى  
 حال وفى خلق ما ظهر على الأرض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانا وأيقنوا فإذا نظروا فى  
 سائر المراتب التى تتحد فى كل وقت كاختلاف الليل والنهار وزول الأمطار وحياة الأرض بها

بمد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبوراً عقولوا واستحسبكم عليهم وخلص  
 قبيهم (تلك) إشارة إلى الآيات النقصية أى تلك الآيات (ءَايَاتُ اللَّهِ) وقوله  
 (تَتْلُوهَا) فى محل الحال أى متلوة (عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) والمامل ما دل عليه تلك من  
 معنى الإشارة (فَيَأْتِي حَدِيثُ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ) أى بمد آيات الله كقولهم أعجبنى زيد  
 وكرمه يريدون أعجبنى كرم زيد (يُؤْمِنُونَ) حجازى وأبو عمرو وسهل وحفص وإلتاء  
 غيرهم على تقدير قل يا محمد (وَيُبَلِّغُكُمُ الْآفَاقَ) كذاب (أُتِمُّوا) متبائع فى اقتراف الآفام  
 (يَسْمَعُ ءَايَاتُ اللَّهِ) فى موضع جر صفة (تُتْلَى عَلَيْكَ) حال من آيات الله (ثُمَّ يُصِرُّ)  
 يقبل على كفره ويقيم عليه (مُسْتَكْبِرًا) عن الإيمان بالآيات والإذعان لما تنطق به من  
 الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قبل نزلت فى النضر بن الحرث وما كان يشتري من أحاديث  
 البهيم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية طامة فى كل من كان مضارا لدين الله وسعى  
 يتم لأن الإصرار على الضلالة والاستكبار عن الإيمان عند سماع آيات القرآن مستبعد فى العقول  
 (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا) كان مخففة والأصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن وعمل الجملة  
 النصب على الحال أى يصير مثل غير السامع (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) فأخبره خبرا يظهر  
 أثره على البشارة (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا) وإذا بلغه شىء من آياتنا وعلم أنه منها (اتَّخَذَهَا)  
 اتخذ الآيات (هُرُوءًا) ولم يقل اتخذها للإشعار بأنه إذا أحس بشىء من الكلام أنه من جملة  
 الآيات خاض فى الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز أن يرجع  
 الضمير إلى شىء لأنه فى معنى الآية كقول أبى المتاهبة .

نفسى بشىء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي بكفها

حيث أراد عتبة (أَوَلَيْكَ) إشارة إلى كل آفة أليم لشموه الأفاكين (لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)  
 غز (مَنْ وَرَّأَتْهُمْ) من قدامهم وراء اسم للجهة التى يوارىها الشخص من خلف أو قدام  
 (جَهَنَّمَ وَلَا يُفْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا) من الأموال (شَيْئًا) من عذاب الله (وَلَا مَا اتَّخَذُوا)  
 ما فيها مصدرية أو موصلة (مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الأوثان (أَوْ لِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)  
 فى جهنم (هَذَا هَدًى) إشارة إلى القرآن ويبل عليه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِءَايَاتِ رَبِّهِمْ)  
 لأن آيات ربهم هى القرآن أى هذا القرآن كامل فى الهداية كما تقول زيد رجل أى كامل فى

الرجولية (لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ) هو أشد العذاب (أَلَيْمٌ) بالرفع مكى ويقنوب وحفص  
سفة لعذاب وغيرهم بالجزم سفة لرجز (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْيَمْرَ لِيَجْزِيَ أَلْفَكَ فِيهِ  
بِأَمْرِهِ) ياذنه (وَلِيَبْتَلُوا مِن فَضْلِهِ) بالتجارة أو بالنوص على الأؤلؤ والرجان واستخراج  
اللحم الطرى (وَلَسْكَكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا)  
هو تأكيد مافي السموات وهو مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال (مَثَلُهُ) حال أى  
سخر هذه الأشياء كائنه منه حاصلة من عنده أو خبر مبتدأ محذوف أى هذه النعم كلها منه  
أو سفة للمصدر أى تسخيرها منه (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ قُلْ لِلَّذِينَ  
ءَامَنُوا يَنْفِرُوا) أى قل لهم اغفروا ينفروا لحذف القول لأن الجواب يدل عليه ومعنى ينفروا  
يدفوا ويصفحوا وقيل إنه مجزوم بلام مضمير تقديره لينفرو فهو أمر مستأنف وجاز حذف  
اللام للدلالة على الأمر (لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) لا يتوقنون وقائع الله بأعدائه من قولهم  
لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يؤملون الأوقات التى وقعتها الله تعالى لثواب المؤمنين وعدم  
الفوز فيها قيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بى ففاد فهم  
أن يعطش به (لِيَجْزِيَ) لتليل للأمر بالفقرة أى إنما أمروا بأن ينفرو ليوفهم جزاء منفرتهم  
يوم القيامة وتذكير (قَوْمًا) على المدح لهم كأنه قيل ليجزى أما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم  
على أذى أعدائهم لنجزى شامى وحزمة على ليجزى قوما يزيد أى ليجزى الخير قوما فأضمر  
الخير دلالة الكلام عليه كما أضمر الشمس فى قوله حتى توارت بالحجاب لأن قوله إذ عرض  
عليه بالمشى دليل على توارى الشمس وليس التقدير ليجزى الجزاء قوما لأن المصدر لا يقوم  
بمقام الفاعل وممك مفعول صحيح أما إقامة المفعول الثانى مقام الفاعل لجائز وأنت تقول جزاك  
الله خيرا (يَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الإحسان (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ  
فَعَلَيْهَا) أى لما الثوب وعليها العقاب (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) أى إلى جزائه (وَلَقَدْ  
ءَاتَيْنَا نَبِيَّ إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ) التوراة (وَالْحُكْمَ) الحكمة والفقهاء أو فصل الخصومات  
بين الناس لأن الملك كان فيهم (وَالنَّبِيَّةَ) حصيا بالذكر لكثرة الأنبياء عليهم السلام فيهم  
(وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) مما أحل الله لهم وأطاب من الأرزاق (وَمَضَلْنَاهُمْ عَلَىٰ السُّلَمِينَ)  
على على زمانهم (وَعَلَّيْنَاهُمْ مِّسْرًا وَمَعْرَافًا) من الأمر (من أمر الدين) عما

اِخْتَلَفُوا) فا رقع الخلاف بينهم في الدين (إِلَّا مِنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيِّنًا يَنْهَاهُمْ) أى  
إلا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لروال الخلاف وهو العلم وإنما اختلفوا لبنى حدث بينهم  
أى لمداداة وحسد بينهم (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ  
يَخْتَلِفُونَ) قيل المراد اختلافهم في أوامر الله ونواهيه في التوراة حسدا وطلباً للرياسة لأعين  
جمل يكون الإنسان به معذورا (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ) بعد اختلاف أهل الكتاب (عَلَى شَرِيعَةٍ)  
على طريقة ومنهاج (مِّنَ الْأَمْرِ) من أمر الدين (فَأَتَيْنَاهَا) فاتبعت شريعتك الثابتة بالحجج  
والدلائل (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ولا تتبع مالا حجة عليه من أهواء الجهال  
ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا: ارجع إلى دين آبائك (إِنَّهُمْ)  
إن هؤلاء الكافرين (لَنْ يُفْتِنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ  
وَاللَّهُ وَرِثَةُ الْمُتَّقِينَ) وهم مواليه وما أين الفضل بين الولايتين (هَذَا) أى القرآن (بِمَسْئَرٍ  
لِّلنَّاسِ) جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة  
(وَهَدَى) من الضلالة (وَرَحْمَةً) من العذاب (لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) لمن آمن وأيقن بالبعث  
(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ) أم منقطعة ومعنى الممزة فيها إنكار الحبسان (اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ)  
اكتسبوا الماصى والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أى كاسبهم (أَنْ نَّجْعَلَهُمْ)  
أن نصيرهم وهو من جعل التمدى إلى مفعولين فأولهما الضمير والثاني الكاف (كَالَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَفَعَلُوا الصَّالِحَاتِ) والجملة التى هى (سَوَاءٌ مَّعْيَاهُمْ وَمَعَانَهُمْ) بدل من الكاف  
لأن الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد، سواء على وحزة وحفص بالنصب على الحال  
من الضمير في مجملهم ويرتفع عياهم ومعانهم بسواء وقرأ الأعمش ومعانهم بالنصب جعل عياهم  
ومعانهم حرفين كقدم الحاج أى سواء في عياهم وفي معانهم والمعنى إنكار أن يستوى السيئون  
والحسنون عيا وأن يستوى معانها لا تتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام  
بالطاعات وأولئك على اقتراف السيئات ومعانها حيث مات هؤلاء على البشري بالرحمة والكرامة  
وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة، وقيل معناه إنكار أن يستوى في المعات كما استوىوا  
في الحياة في الرزق والصحة، وعن تميم الهارثى رضى الله عنه أنه كان يعمل ذات ليلة عند القلم  
فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد إلى الصباح، وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يردد بها ويبكي ويقول:



يا فضيل ليت شمري من أى الفريقين أنت (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) ليس ما يقضون إذ احسبوا أنهم كالْمُؤْمِنِينَ فليس من أقمد على بساط الواقعة كن أقمد على مقام الخالفة بل نفرق بينهم فعملى المؤمنين ونمزي الكافرين (وَخَقَّ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) ليدل على قدرته (وَلِتَجْزَى) مطوف على هذا الملل المذنوب (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) أى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه إليه فكأنه يعبد كأي عبد الرجل إلهه (وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَيْنِهِ) منه باختيائه الضلال أو أنشأ فيه فعل الضلال على علم منه بذلك (وَحَنَمَ عَلَى سَمْعِهِ) فلا يقبل وعظا (وَقَلْبِهِ) فلا يفتقد حقا (وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاةً) فلا يبصر عبرة غشوة حمزة وعلى (فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَيْنِ أُمَّةٍ) من بعد إضلال الله إياه (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بالتخفيف حمزة وعلى وحسن وغيرهم بالتشديد فأسفل الشر متابعة الهوى والخير كله فى مخالفته فنعى ما قال :

إذا طلبت لك النفس يوما بشهوة      وكان إليها للخلاف طريق

فدعها وخالف ما هويت فلما      هواك عدو والخلاف صديق

(وَقَالُوا مَا هِيَ) أى ما الحياة لأنهم وعدوا حياة ثانية (إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) التى نحن فيها (نَمُوتُ وَنَحْيَا) نموت نحن ونحيا يبقاه أولادنا أو يموت بعض ويحيا بعض أو نكون مواتا نطفأ فى الأصلاب ويحيا بعد ذلك أو يصيبنا الأمان الموت والحياة يريدون الحياة فى الدنيا والموت بمدى وليس وراء ذلك حياة وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ أى يموت الرجل ثم تجمل روحه فى موات فيحيا به (وَمَا يَهْدِيكُنَا إِلَّا اللَّهُ هُرُ) كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالى هو المُوْتُ فى هلاك الأنفس وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بإذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام : «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» أى فإن الله هو الآتى بالحوادث فلا الدهر (وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) وما يقولون ذلك من علم وعين ولكن من ظن وتخمين (وَإِذَا تَنَادَى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا) أى القرآن يعنى ما فيه من ذكر البعث (يَبْتَغِي مَا كَانَ حُجَّتْهُمْ) وسعى قولهم حجة وإن لم يكن حجة لأنه فى زعمهم حجة (إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعُوا آبَاءَنَا) أى أحيوهم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى دعوى البعث ، وحجبتهم

خبر كان واسمها أن قالوا واللعننى ما كان حجتهن إلا مقالتهن: ائتموا بآبائنا وقرئ حجتهن بالرفع على أنها اسم كان وأن قالوا الخبر (قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ) فى الدنيا (ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ) فيها عند انتهاء أعمالكم (ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ) أى يجمعكم يوم القيامة جميعا ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الإتيان بآبائكم ضرورة (لَا رَيْبَ فِيهِ) أى فى الجمع (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) قدرة الله على البعث لإعراضهم عن التفكير فى الدلائل (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْشَرُ الْمُبْطِلُونَ) حامل النسب فى يوم تقوم ويومئذ يدل من يوم تقوم (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً) جالسة على الركب، يقال: جثا فلان يجثو إذا جلس على ركبته وقيل جائية مجتمعة (كُلُّ أُمَّةٍ) بالرفع على الابتداء كل بالفتح يعقوب على الإبدال من كل أمة (تُدْعَى إِلَى كَيْفِيَةٍ) إلى صحائف أعمالها فاكثفى باسم الجنس فيقال لهم (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فى الدنيا (هَذَا كَيْفَتُكُمْ) أضيف الكتاب إليهم للابسته ليأثم لأن أعمالهم مثبتة فيه وإلى الله نمالى لأنه مالكه والأمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال مباحه (يَبْلِغُ عَلَيْكُمْ) يشهد عليكم بما عملتم (بِالْحَقِّ) من غير زيادة ولا نقصان (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أى نستكتب للملائكة أعمالكم وقيل نسخت واستنسخت بمعنى وليس ذلك ينقل من كتاب بل معناه ثبت (فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ) جنته (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْأَمِينُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) فيقال لهم (أَنْتُمْ تَسْكُنُونَ آيَاتِي تَقْلَى عَلَيْكُمْ) واللعننى ألم يأتكم رسل فلم تكن آياتى تتلى عليكم فخذف للمطلوب عليه (فَأَسْكَبْتُمْ) من الإيمان بها (وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) كافرين (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالجواب (حَقٌّ وَالسَّاعَةُ) بالرفع حلف على عمل إن واسمها. والساعة حزة حلف على وعد الله (لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ) أى هى الساعة (إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا) أصله نظن ظنا ومعناه إثبات الظن فادخل حرف النفي والاستثناء ليفاد إثبات الظن مع نفي ماسواه وزيد نفي ماسوى الظن توكيدا بقوله (وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ وَبَدَأَ لَهُمْ) ظهر لهؤلاء الكفار (سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) تبايها أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله: وجزاء سيئة سيئة مثلها (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ)

ونزل بهم جزاء استهزائهم) (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنفِسُكُمْ كَمَا نَفِيسُكُمْ يَوْمَئِذٍ هَذَا) أى  
 نترككم فى المذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم وهى الطاعة وإضافة اللقاء إلى اليوم كإضافة  
 المكر فى قوله بل مكر الليل والنهار أى نسيم لقاء الله تعالى فى يومكم هذا ولقاء جزائه  
 (وَمَاؤُنْكُمْ النَّارُ) أى منزلتكم (وَمَا لَكُمْ مِنْ مُسْرِينَ ذَلِكُمْ) المذاب (يَأْتِيَكُمْ)  
 بسبب أنكم (اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤًا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ  
 مِنْهَا) لا يخرجون حزة وعلى (وَلَا هُمْ يُسْتَمْتَعُونَ) ولا يطلب منهم أن يستبوا ربهم أى  
 يرضوه (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْمَلَكِينَ) أى فالحمد لله الذى  
 هو ربكم ورب كل شئ من السموات والأرض والمالين فإن مثل هذه الربوبية العامة توجب  
 الحمد والثناء على كل مربوب (وَلَهُ الْكِبَرِيَّةُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وكبروه فقد ظهرت  
 آثار كبريائه وعظمته فى السموات والأرض (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى انتقامه (الْحَكِيمُ) فى أحكامه .

### ﴿ سورة الأحقاف مكية وهى خمس وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حَمِّ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا  
 بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ) ملتبسا بالحق (وَأَجَلٍ مُّسَمًّى) ويتقدير أجل مسمى ينتهى إليه وهو  
 يوم القيامة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا قَمَعَ أَنْزَرُوا) عما أنذروهم من هول ذلك اليوم الذى لابد  
 لكل خلوق من انتهائه إليه (مُضْرُوضُونَ) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويحسب  
 أن تكون مامصدرية أى عن إنذارهم ذلك اليوم (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أخبروني (مَا تَدْعُونَ مِنْ  
 حُوتِ اللَّهِ) تبيدونه من الأصنام (أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) أى شئ خلقوا عما  
 فى الأرض إن كانوا آلهة (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ) شركا مع الله فى خلق السموات  
 والأرض (أَتُنْتَوِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا) أى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يسمى  
 أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب  
 الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أتتم عليه من  
 عبادة غير الله (أَوْ آتَمَرَةٍ مِّنْ عِلْمِهِ) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين

(إِنْ كُنْتُمْ سَادِقِينَ) إِنْ اللَّهُ أَمَرَكُمْ بِمِبَادَةِ الْأَوْثَانِ (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ) أَيْ أَبَدًا (وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً) أَيْ الْأَسْنَامُ لِمِبَادَتِهَا (وَكَانُوا) أَيْ الْأَسْنَامُ (يُمِبَادَتِهِمْ) بِمِبَادَةِ عِبَادِهِمْ (كَافِرِينَ) يَقُولُونَ مَا دَعَوَانَا إِلَى عِبَادَتِنَا وَمَعْنَى الْاسْتِفْهَامُ فِي مَنْ أَضَلَّ إِنْكَارَ أَنْ يَكُونَ فِي الضَّلَالِ كُلِّهِمْ أَبْلَغُ ضَلَالًا مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ حَيْثُ يَتَرَكُونَ دَعَاءَ السَّمِيعِ الْغَنِيِّ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَيَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ جَادًا لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى اسْتِجَابَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا وَإِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ وَإِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ وَحُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا عَلَيْهِمْ ضِدًّا فَلْيَسُوا فِي الدَّارَيْنِ إِلَّا عَلَى نَكْدٍ وَمُضَرَّةٍ لَا تَتَوَلَّامُ فِي الدُّنْيَا بِالْإِسْجَابَةِ وَفِي الْآخِرَةِ تَعَادِيهِمْ وَتَجَمُّدُ عِبَادَتِهِمْ وَلَمَّا أَسْنَدَ إِلَيْهِمْ مَا يَسْنَدُ إِلَى أَوَّلِ الْعِلْمِ مِنَ الْإِسْجَابَةِ وَالْفَعْلَةُ قِيلَ مِنْ وَهُمْ وَوَسَفَهُمْ بِرُكِّ الْإِسْجَابَةِ وَالْفَعْلَةُ طَرِيقُ التَّهَكُّمِ بِهَا وَبِمِبَادَتِهَا وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ (وَإِذَا تَنَكَّلُوا عَلَىٰ عِبَادَتِهِمْ) كَأَنَّهُمْ تَبَيَّنَتْ (جَمْعُ بَيِّنَةٍ) وَهِيَ الْحُجَّةُ وَالشَّاهِدُ أَوْ وَاضِحَاتُ مَبِينَاتٍ (قَالَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ) الْمُرَادُ بِالْحَقِّ الْآيَاتُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا الْمَثَلُ عَلَيْهِمْ فَوَضَعَ الظَّاهِرَانِ مَوْضِعَ الضَّمِيرَيْنِ لِلتَّسْجِيلِ عَلَيْهِمُ بِالْكَفْرِ وَلِلْمَثَلِ بِالْحَقِّ (لَمَّا جَاءَهُمْ) أَيْ بَادَهُوهُ بِالْجُحُودِ سَاعَةً أَنْتَاهُمْ وَأَوَّلُ مَا سَمَوْهُ مِنْ غَيْرِ إِلَٰهَةٍ فَكُفُّوا وَلَا إِعَادَةَ نَظَرٍ (هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) ظَاهِرُ أَمْرِهِ فِي الْبَطْلَانِ لَا شُبْهَةَ فِيهِ (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) إِضْرَابٌ عَنْ ذِكْرِ تَسْمِيَّتِهِمُ الْآيَاتِ سِحْرًا إِلَى ذِكْرِ قَوْلِهِمْ إِنْ عُدَّاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ افْتَرَاهُ أَيْ اخْلَقَهُ وَأَضَافَهُ إِلَى اللَّهِ كَذِبًا وَالضَّمِيرُ لِلْحَقِّ وَالْمُرَادُ بِهِ الْآيَاتُ (قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) أَيْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ عَلَى سَبِيلِ الْفَرَسِ حَاجِلِي اللَّهِ بِقُوَّةِ الْإِتْرَاءِ عَلَيْهِ فَلَا تَهْتَدُونَ عَلَى كُفِّهِ عَنْ مَجَالَتِي وَلَا تَعْلِقُونَ دَفْعَ شَيْءٍ مِنْ عِقَابِهِ فَكَيْفَ افْتَرَيْتُهُ وَأَنْتُمْ لِقَابِهِ (هُوَ أَهْلَمُ بِمَا تُفْقِضُونَ فِيهِ) أَيْ تَنْدَفِسُونَ فِيهِ مِنَ الْقَدَحِ فِي وَحْيِ اللَّهِ وَالطَّمَنُ فِي آيَاتِهِ وَتَسْمِيَّتِهِ سِحْرًا تَارَةً وَفَرِيَةً أُخْرَى (كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) يَشْهَدُ لِي بِالصِّدْقِ وَالْبَلَاغِ وَيَشْهَدُ عَلَيْكُمْ بِالْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ وَمَعْنَى ذِكْرِ الْمَلِكِ وَالشَّهَادَةِ وَعِيدِ بِجَزَاءِ إِفْلَاسِهِمْ (وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) مُوعِدَةٌ بِالْغَفْرَانِ وَالرَّحْمَةِ إِنْ تَابُوا

عن الكفر وآمنوا (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ) أى بديما كالخلف بمعنى الخليفة  
والمعنى إني لست بأول مرسل فتذكروا نبوتى (وَمَا أَذْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) أى  
ما يفعل الله بى وبكم فيما يستقبل من الزمان. وعن الكلبي قال له أصحابه وقد شجروا من  
أذى المشركين حتى متى تكون على هذا فقال ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أترككم كما هم  
ثم رجع إلى أرض قد رقت لى ورأيها يمتلئ فى منامه ذات نخيل وشجر وما فى  
ما يفعل يجوز أن يكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة وإنما دخل لافى قوله  
ولا بكم مع أن يفعل مثبت غير منفى لتناول اللفظ فيما أدرى ما وما فى حيزه (إِنْ أَنبِئُ إِلَّا  
مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ (مِن عِنْدِ اللَّهِ  
وَكُفِّرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَءِيلَ) هو عبد الله بن سلام عند الجمهور ولهذا  
قل إن هذه الآية مدنية لأن إسلام ابن سلام بالمدينة. روى أنما لاقى رسول الله ﷺ المدينة  
نظر إلى وجهه فلم أنه ليس بوجه كذاب قال له إني سألتك عن ثلاث لا يعلمن إلا نبى  
ما أول أشرط الساعة وما أول طمام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى  
أمه فقال رسول الله ﷺ أما أول أشرط الساعة فنار تحترق من المشرق إلى المغرب وأما  
أول طمام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق  
ماء المرأة نزعه فقال أشهد أنك رسول الله حقا (عَلَىٰ مِثْلِهِ) الضمير للقرآن أى مثله فى  
المعنى وهو مافى التوراة من المائى المطابقة لمافى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير  
ذلك ويجوز أن يكون المعنى إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعنى  
كونه من عند الله (فَأَمَّا) الشاهد (وَاسْتَكْبَرْتُمْ) من الإيمان به وجواب الشرط  
محذوف تقديره إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به أستم ظالمن ويدل على هذا المحذوف  
(إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) والواو الأولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط  
وكذلك الواو الأخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو فى وشهد فقد عطفت  
جملة قوله شهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند  
الله وكفرتم به والمعنى قل أخبرونى إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع  
شهادة أعلم بنى إسرائيل على نزول مثله فأعانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به أستم

غاض الناس وأظلمهم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا) أى لأجلهم وهو كلام كفار  
 محكم قالوا إن عامة من يتبع محمدا السقاط يمتنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود  
 (لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) لو كان ماجاء به محمد خيرا ماسبقنا إليه هؤلاء (وَلَمَّا لَمْ  
 يَهْتَدُوا بِهِ) المامل فى إذ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم  
 ونزله (فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ) مسبب عنه وقولهم إِنْكَ قَدِيمٌ أى كذب متقدم  
 كقولهم أساطير الأولين (وَمِنْ قَبْلِهِ) أى القرآن (كِتَابٌ مُوسَى) أى التوراة وهو  
 مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خيرا مقدما عليه وهو ناسب (إِمَامًا) على الحال نحو فى النار  
 زيد قائما ومعنى إماما قدوة يؤتم به فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام (وَرَحْمَةً) لمن  
 آمن به وعمل بما فيه (وَهَذَا) القرآن (كِتَابٌ مُصَدِّقٌ) لكتاب موسى أولا بين  
 يديه وتقدمه من جميع الكتب (لَسَافًا عَرِيبًا) حال من ضمير الكتاب فى مصدق والمامل  
 فيه مصدق أو من كتاب تخصصه بالصفة ويحمل فيه معنى الإشارة وجوز أن يكون مفقولا  
 لمصدق أى يصدق فالسان عربى وهو الرسول (لَيُنْذِرَ) أى الكتاب ، لتنذر حجازى  
 وشامى (الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (وَبُشِّرِى) فى عمل النصب معطوف على عمل لينذر لأنه  
 مفعول له (لِلْمُحْسِنِينَ) للمؤمنين الطيبين (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا) على  
 توحيد الله وشرعية نبيه محمد ﷺ (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) فى القيامة (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)  
 عند الموت (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا) حال من أصحاب الجنة والمامل فيه معنى  
 الإشارة الذى دل عليه أولئك (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) جزاء مصدر لفعل دل عليه  
 الكلام أى جوزوا جزاء (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا) كوفى أى وصيناه بأن  
 يحسن بوالديه إحسانًا ، حُسنًا غيرهم أى وصيناه بوالديه أمرا ذا حسن أو بأمر فى حسن  
 فهو فى موضع البذل من قوله بوالديه وهو من بدل الاشتغال (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ  
 كُرْهًا) ويضعف الكافين حجازى وأبو عمرو وهما لثتان فى معنى الشقة واتصابه على الحال  
 أى ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أى حلا ذا كره (وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ) ومدة حمله وفطامه  
 (تَلْثُونَ شَهْرًا) وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع إذا كانت

حولين لقوله تعالى: حولين كاملين. بقيت للعمل ستة أشهر وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: المراد به الحمل بالألف. وقسمه يعقوب والفصل والفصل كالقطع والقطام بناء ومعنى (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) هو جمع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحدة شدة وبلغ الأشد أن يكمل ويستوفى السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وذلك إذا أتى على الثلاثين وناطح الأربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغايته الأربعون (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبُّ أَوْزُونِي) المعنى (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ) المراد بنعمة التوحيد والإسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لأن النعمة عليهما نعمة عليه (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) قيل هي الصلوات الخمس (وَأَسْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي) أى اجعل ذريتي موقفا للصلاح ومظنة له (إِنِّي نَبْتُ إِلَيْكَ) من كل ذنب (وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) من المخلصين (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ) حصة وعلى وحفص. يُنْقَبَلُ وَيَتَجَاوَزُ أَحْسَنَ غَيْرِهِمْ (فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ) هو كفولك أكرمى الأمير في ناس من أصحابه تريد أكرمى في جملة من أكرم منهم ونظمى في عدادهم وعمله النصب على الحال على معنى كائنين في أصحاب الجنة وممدودين فيهم (وَعَدَ الصَّدُوقُ) مصدر مؤكد لأن قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز قيل نزلت في أبى بكر الصديق رضي الله عنه وفي أمية أبى حنيفة وأم أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم فإنه آمن بالنبي ﷺ وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحسن الصعابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالده وبنوه وبناته غير أبى بكر رضي الله عنه (الَّذِينَ كَانُوا يُوعَدُونَ) في الدنيا (وَالَّذِينَ قَالُوا لِدَائِي) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالنبي قال الجنس القائل ذلك القول وقل ذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر الملاقى لوالديه المكذب بالبعث وقيل نزلت في عبدالرحمن بن أبى بكر رضي الله عنه قبل إسلامه ويشهد لبطلانه كتاب معاوية إلى مروان ليأمر الناس بالبينة ليزيد فقال عبد الرحمن بن أبى بكر لقد جثم بها هرقلية أنبايمون لأبنائكم فقال مروان يا أيها الناس هذا الذى قال الله تعالى فيه: والذى قال لوالديه أف لك. فسمعت عائشة رضي الله عنها ففضبت وقالت: والله ما هو به

مولد شئت أن اسمه لسميته ولكن الله تعالى لمن أباك وأنت في سلبه فأنت فضض من لمة  
 الله أى قطعة (أَنْ لَكُمَا) مدنى وحفص، أف مكي وشامى، أف غيرم وهو صوت إذا  
 حوت به الإنسان علم أنه متضجر كما إذا قال حس علم أنه متوجع واللام للبيان أى هذا  
 التأنيف لكما خاصة ولأجلكما دون غير كما (أَتَيْدَا نَفْسِي أَنْ أُخْرَجَ) أن أبيت وأخرج  
 من الأرض (وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي) ولم يمت منهم أحد (وَهُمَا) أبواه (يَسْتَفِيثَانِ  
 اللَّهَ) يقولان الفياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له (وَبَلَّكَ) دعاء  
 عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لاحقيقة الهلاك (ءَامِنُ) بالله وبالبيت  
 (إِنْ وَعَدَ اللَّهُ) بالبيت (حَقٌّ) صدق (فَيَقُولُ) لها (مَا هَذَا) القول (إِلَّا أَسْطِيزُ  
 الْأُذُنَيْنِ أَوْ لَيْتَكَ الَّذِيْنَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) أى لاملأن جهنم (في أسم) فى جملة أسم  
 (قَدْ خَلَتْ) قد مضت (مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ وَلِكُلِّ  
 مِنَ الْجِنْسَيْنِ الذِّكْرَيْنِ الْأَرَارِ وَالْفَجَارِ) دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا (أى منازل ومراتب من جزاء  
 ما عملوا من الخير والشر أو من أجل ما عملوا منها وإنما قال درجات وقد جاء «الجنة درجات  
 والنار دركات» على وجه التغليب (وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَلَهُمْ) بإيادى مكي وبصرى وعاصم (وَهُمْ  
 لَا يَفْظَلُونَ) أى وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم، قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل  
 الثواب درجات وال عقاب دركات فاللام متملقة بمعدوف (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 عَلَى النَّارِ) عرضهم على النار تمزيههم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا  
 به وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض  
 عليها فقبلوا (أَذْهَبَتْ) أى يقال لهم أذهبته وهوناسب الطرف (طَائِفَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ  
 الدُّنْيَا) أى ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما قد استبتموه فى دنياكم وقد ذهبت به  
 واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن مر رضى الله عنه لو شئت  
 لكنت أطيكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكى استبق طيباتي (وَأَسْقَمْتُمْ بِهَا) بالطيبات  
 (فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) أى الهوان وقرئ به (بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) تستكبرون  
 (فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُ الْحَقُّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَقْسَمُونَ) أى باستكباركم وفسقكم  
 (وَأَذْكُرُ أَخَا عَدُوِّ) أى هودا (إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَابِ) جمع حقف وهو رمل



مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوق الشيء اذا اوج. من ابن عباس رضى الله عنهما: هو واد بين حان ومهرة (وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ) جمع نذير بمعنى النذر أو الإنذار (مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) من قبل هود ومن خلف هود وقوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه وقع اعتراض بين أنذر قومه وبين (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنْى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) والمضى واذا ذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والمذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك (قَالُوا) أى قوم هود (أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا) لتصرفنا فألفك الصرف يقال أفك عن رايه (عَنِ الْهَيْئَةِ) عن جبايتها (فَأْتَيْنَا بِمَا نَبْذَرُنَا) من ساجدة المذاب على الشرك (إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى وعيدك (قَالَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ بِالْمَنَافِعِ) ولا علم لى بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم (وَأَيُّكُمْ مَّا أَرْسِلْتُ بِهِ) وبالتخفيف أبو عمرو أى الذى هو شأنى أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخفيف (وَلَكِنِّي أَرْسِلُكُمْ قَوْمًا تَهْجَأُونَ) أى ولكنكم جاعلون لا تعلمون أن الرسل يشوا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أفند لهم فيه (فَلَمَّا رَأَوْهُ) الضمير يرجع إلى ما تقدم أو هو مبهم وضع أمره بقوله (فَارِئْنَا) إما تميزا أو حالا والمارض السحاب الذى يمرض فى أفق السماء (مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ) قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرٌ) روى أن المطر قد احتبس عنهم فأروا سحابة استقبلت أوديتهم فقالوا هذا سحاب يأتينا بالمطر وأظهروا من ذلك فرحا وإضافة مستقبل ومطر مجازية غير معرفة بدليل وقومها وما مضافان إلى مرتين وصفا الفكرة (يَلْ حَوْ) أى قال هود بل هو ويدل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو (مَا اسْتَجَبْتُمْ بِهِ) من المذاب ثم غمره قال (رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ) تهلك من قوس طرد وأموالهم الجمل الكثير فغير عن الكثرة بالكية (يَأْتِيهِمْ رِيحٌ عَارِصَةٌ لَا تَمُوتُ إِلَّا تَمُوتُهُمْ) طامم وحزة وخلف أى لا يرى شيء إلا مساكنهم. غيرم لا ترى إلا مساكنهم والخطاب لقارئ من كان (كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) أى مثل ذلك نجزي من أجرم مثل جرهم وهو تعذيب

لشركى العرب. عن ابن عباس رضى الله عنهما: اعتزل هود عليه السلام ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما تالله الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظمن بين السماء والأرض وتقدمهم بالحجارة (وَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ) إن نافية أى فيها ما مكناكم فيه إلا أن إن أحسن في اللفظ لما في جمامة ما مثلها من التكرير المستبشع ألا ترى أن الأصل في مهمما ما ما غلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء وقد جعلت إن صلة وتؤول بأنا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الأول لقوله تعالى: هم أحسن أئاماً ورئياً كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآخاراً، وما معنى التى أولئك موصوفة (وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً) أى آلات الفكر والسمع (فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ) أى من شيء من الإغناء وهو القليل منه (إِذْ كَانُوا يَظُنُّونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) إذ نسب بقوله فما أغنى وجرى مجرى التعليل لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لإساءته وضربته إذ إساء لأئك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك (وَحَاقَ يَوْمٌ) وذل بهم (مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار مكة ثم زادهم تهديداً بقوله (وَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ) يا أهل مكة (مَنْ أَقْرَىٰ) نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط والراد أهل القرى ولذلك قال (وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) أى كررنا عليهم الحجج وأنواع المعبر لعلهم يرجعون عن الطغيان إلى الإيمان فلم يرجعوا (فَلَوْلَا) فعلا (نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً) القربان ما هرب به إلى الله تعالى أى اتخذوهم شفعا متقربا بهم إلى الله تعالى حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولى اتخذ الراجع إلى الذين عذفوا أى اتخذوهم والثاني آلهة وقربانا حال (بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ) غابوا عن نصرتهم (وَذَلِكَ إِنْ كُنْتُمْ إِفْكِهِمْ) وما كَانُوا يَفْتَرُونَ) وذلك إشارة إلى امتناع نصره آلهتهم وضلالهم عنهم أى وذلك أثر إفكهم الذى هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافتراءهم على الله الكذب (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا) أعلاما إليك وأقبلنا بهم نحوك والنفرون المشرة (مَنْ الْيَجْنُ) جن نصيبين (يَسْتَمِيعُونَ الْقُرْآنَ) منه عليه الصلاة والسلام (فَلَمَّا حَضَرُوهُ) أى الرسول ﷺ أو القرآن أى كانوا منه بحيث يسمعون (قَالُوا) أى قال بعضهم لبعض (أَنصِتُوا) استمعوا مستمعين

روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرس السماء ورجعوا بالشهب ظفروا ما هذا إلا لنبياً حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلنوا نهماء ثم اندفقوا إلى وادى نخلة فوافوا رسول الله ﷺ وهو قائم في جوف الليل يصل أو في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وعن سميد بن جبير ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته فروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل الله أمر رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرًا منهم فقال إنى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد فبرى فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون نخط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لطلا شديدا فقال لى رسول الله ﷺ هل رأيت شيئا قلت نعم رجلا سودا قال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك ( فَلَمَّا قُضِيَ ) أى فرغ النبي ﷺ من القراءة (وَلَوْ أَنَّ قَوْمَهُمْ مُّشْذَرِينَ) ليام ( قَالُوا يَقَوْمَتَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مُوسَى ) وإنما قالوا من بعد موسى لأنهم كانوا على اليهودية. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام ( مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ) من الكتب ( يَهْدَى إِلَى الْحَقِّ ) إلى الله تعالى ( وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَقَوْمَتَنَا أَرْجَبُوا دَائِمِي ) أى عمدا ﷺ (وَأَمِينُوا بِهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِبْ رُكْمَ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا ثواب لهم إلا النجاة من النار لهذه الآية وقال مالك وابن أبى لى وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والمقاب وعن الضحاك أنهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى لم يعطهم إنس قبلهم ولا جان ( وَمَنْ لَا يُجِبْ دَائِمِي ) أى فليس يُمَجِّزُ فِي الْأَرْضِ ) أى لا ينجى منه مهرب (وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَمَيِّضْ يَخْلُقْ ) هو كقوله وما مسفا من نقوب ويقال هيئت بالأمر إذا لم تعرف وجهه ( بِقُدْرٍ ) عمله الرفع لأنه خبر أن يدل عليه قراءة عبد الله قادر وإنما دخلت الباء لاشتغال النفى في أول الآية على أن وما في جزئها

وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيداً قائمٌ قيل أليس الله بقادر أن يرى إلى وقوعه على مقرةٍ للقدرة على كل شيء من البت وغيره لالوثينهم (عَلَى أَنْ يُخَيَّرَ الْمُؤَدَّاءُ بَلَى) هو جواب للنفي (إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) يقال لهم (أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ) وناسب الظرف القول المضمر وهذا إشارة إلى المذاب (قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) بكفركم في الدنيا (فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ) أولو الجِد والثبات والصبر (مِنَ الرُّسُلِ) من التبيين والبراهين والبراهم بأولو العزم ما ذكر في الأحزاب: وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم. ويونس ليس منهم قوله ولا تسكن كساحب الموت وكذا آدم. قوله ولم نجد له عزماً أو للبيان فيكون أولو العزم سفة الرسل كلهم (وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) لكفار قريش بالمذاب أى لا تدع لهم جمعيه فإنه نازل بهم لاهالة وإن تأخر (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ) أى أنهم يستصغرون حيثئذ مدة لبسهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار (بَلِّغْ) هذا بلاغ أى هذا الذى وعظمت به كفاية في الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول (فَقُلْ يَهْلِكُ بِهَذَا عَذَابُ الْمُنَى فَلَن يَهْلِكَ بِعَذَابِ اللَّهِ) (إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) أى المشركون الخارجون عن الانماط به والعمل بموجبه قال عليه السلام «من قرأ سورة الأحقاف كتب الله له عشر حسنات بمدة كل رمة في الدنيا».

﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل سورة القتال مدنية وقيل مكية وهي

ثمان وثلاثون آية أو تسع وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى أهرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام أو صدوا غيرهم عنه. قال الجوهرى: صدعته يصد صدوداً أهرض، وصدعته عن الأمر صدأ منه وصرفه عنه وهم الظالمون يوم بدر أو أهل الكتاب أو عام في كل من كفر وصد (أَسْلَى

أَعْمَلَهُمْ) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل وأعمالهم ماعلوه في كفرهم من صلة الأرحام وإطعام الطعام وعمارمة المسجد الحرام أو ماعلوه من الكيد لرسول الله ﷺ والصد عن سبيل الله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَآمَنُوا الصَّالِحِينَ) هم ناس من قريش أو من الأنصار أو من أهل الكتاب أو عام (وَأَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ) وهو القرآن وتخصيص الإيمان بالنزل على رسوله من بين ما يجب الإيمان به لتعظيم شأنه وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية وهي قوله (وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ) أى القرآن وقيل إن دين محمد هو الحق إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لنبيه (كَفَرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) ستر إيمانهم وعلمهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم (وَأَسْلَحَ بِأَلَهُمْ) أى حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد (ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ) ذلك مبتدأ وما بعده خبره أى ذلك الأمر وهو اضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني والإصلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشيطان وهؤلاء الحق وهو القرآن (كَذَلِكَ) مثل ذلك الضرب (يَضْرِبُ اللَّهُ) أى يبين الله (لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ) والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم وقد جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكافرين واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين أو جعل الإضلال مثلاً لخفية الكفار وتكفير السيئات مثلاً لفوز الأبرار (فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا) من اللقاء وهو الحرب (فَضْرِبُوا الرِّقَابَ) أسفه فاضربوا الرقاب ضرباً مخفياً الفعل وقدم المصدر فأنيب مثابه مضافاً إلى القول وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنسبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء ولأن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبة فوق عبارة عن القتل وإن ضرب غير رقبة (حَتَّى إِذَا أَثْبَحْتُمُوهُمْ) أكثرتم فيهم القتل (فَشُدُّوا الرِّقَابَ) فأسروهم والوثاق بالفتح والعسر اسم ما يوثق به والمعنى فشدوا وثاق الأسارى حتى لا يفلتوا منكم (فَأَمَّا مَنْ بَدَأُ) أى به

أَنْ تَأْسِرُوهُمْ (وَإِنَّمَا فِدَاؤُهُ) مَفَا وَفِدَاءٌ مَنْصُوبَانِ بِفِعْلِهِمَا مُضْمَرَيْنِ أَيْ فَمَا تَمْنُونُ مِنَّا أَوْ تَقْدُونَ فِدَاءً وَالْمَعْنَى التَّخْيِيرُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ بِمَدِّ الْأَسْرِيِّ أَنْ يَمْنُوا عَلَيْهِمْ فَيُطْلَقُوا وَيَعْنِ أَنْ يَفَادُوا وَحُكْمُ أَسَارَى الْمُشْرِكِينَ عِنْدَنَا الْقَتْلُ أَوْ الْأَسْتِرْقَاقُ، وَالْمَنْ وَالْفِدَاءُ الْمَذْكُورَانِ فِي الْآيَةِ مَفْسُوخٌ بِقَوْلِهِ أَقْتَلُوا الْمُشْرِكِينَ لِأَنَّ سُورَةَ بَرَاءَةِ مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ وَعَنْ مُجَاهِدٍ لَيْسَ الْيَوْمَ مِنْ وَلَا فِدَاءٍ إِنَّمَا هُوَ الْإِسْلَامُ أَوْ ضَرْبُ الْعَقْلِ أَوْ الْمَرَادُ بِالْمَنْ أَنْ يَمْنُ عَلَيْهِمْ بِتَرْكِ الْقَتْلِ وَيَسْتَرْقُوا أَوْ يَمْنُ عَلَيْهِمْ فَيُخَلَّوْا لِقَبُولِهِمْ الْجِزْيَةَ وَبِالْفِدَاءِ أَنْ يَفَادِيَ بِأَسَارِمِ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ<sup>(١)</sup> فَقَدْ رَوَاهُ الطَّلْحَاوِيُّ مَذْهَبًا عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ قَوْلُهُمَا وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ لَا يَرَى فِدَاءَهُمْ لِأَجْلِ الْأَنْبِيَاءِ لَثَلَا يَمُودُوا حَرْبًا عَلَيْهِمَا، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَمَالَى لِلْإِسْلَامِ أَنْ يَخْتَارَ أَحَدُ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةَ الْقَتْلُ وَالْأَسْتِرْقَاقُ وَالْفِدَاءُ بِأَسَارَى الْمُسْلِمِينَ وَالْمَنْ (حَتَّى تَضَعَ الْعَرْبُ أَوْزَارَهَا) اتِّخَاظُهَا وَآلَاتُهَا الَّتِي لَا تَقُومُ إِلَّا بِهَا كَالسَّلَاحِ وَالْكَرَاعِ وَقِيلَ أَوْزَارُهَا آثَامُهَا يَعْنِي حَتَّى يَتْرَكَ أَهْلُ الْحَرْبِ وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ شُرَكَهُمْ بِأَنْ يَسْلَمُوا وَحَتَّى لَا يَخْجُو مِنْ أَنْ يَتَمَلَّقَ بِالضَّرْبِ وَالشَّدِّ أَوْ بِالْمَنْ وَالْفِدَاءِ فَالْمَعْنَى عَلَى كَلَامِ الْمُتَمَلِّقِينَ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ عَلَى ذَلِكَ أَبَدًا إِلَى أَنْ لَا يَكُونَ حَرْبٌ مَعَ الْمُشْرِكِينَ وَذَلِكَ إِذَا لَمْ يَبْقَ لَهُمْ شَوْكَةٌ وَقِيلَ إِذَا نَزَلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا عَلِقَ بِالضَّرْبِ وَالشَّدِّ فَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ وَيُؤْسِرُونَ حَتَّى تَضَعَ جَنْسُ الْحَرْبِ الْأَوْزَارَ وَذَلِكَ حِينَ لَا يَبْقَى شَوْكَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ وَإِذَا عَلِقَ بِالْمَنْ وَالْفِدَاءِ فَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَمْنُ عَلَيْهِمْ وَيَفَادُونَ حَتَّى تَضَعَ حَرْبٌ بَدْرَ أَوْزَارِهَا إِلَّا أَنْ يَتَأَوَّلَ الْمَنْ وَالْفِدَاءُ بِمَا ذُكِرْنَا مِنَ التَّأْوِيلِ (ذَلِكَ) أَيْ الْأَمْرُ ذَلِكَ فَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ أَوْ أَفْعَالُ بِهِمْ ذَلِكَ فَهُوَ فِي عَمَلِ النَّصَبِ (وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ) لَا نَتَّقِمُ مِنْهُمْ بَقِيرَ قَتَالٍ يَمُضُّ سَبَابُ الْهَلَاكِ كَالنَّحْلِ أَوْ الرَّجْفَةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ (وَلَكِنْ) أَمَرَكُمُ بِالْقِتَالِ (لَيَبْلُغَنَّ بِمَعْنَاكُمْ يَمُضُّ) أَيْ الْمُؤْمِنِينَ بِالْكَافِرِينَ تَحْصِيصًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَتَحْقِيقًا لِلْكَافِرِينَ (وَالَّذِينَ قُتِلُوا) بِصَرِيٍّ وَحَفْصٍ. قَاتَلُوا غَيْرِهِمْ (فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَبِيلَهُمْ) إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى الصَّوَابِ فِي جَوَابِ مُبَكِّرٍ وَنَكِيرٍ (وَيُضْلِحُ بِأَلْفِهِمْ) يَرْضَى خَصْمَاءَهُمْ وَيُقْبِلُ أَعْمَالَهُمْ (وَيُدْخِلُهُمْ

(١) فِي نَسْخَةِ الْمُشْرِكِينَ وَعَلَيْهَا فَالْمُضْمَرُ فِي أَسَارِمِ الْمُسْلِمِينَ ١ هـ .

الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ) عن مجاهد عرفهم ، ما كنهم فيها حتى لا يحتاجون أن يسألوا أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصَرُوا اللَّهَ) أى دين الله ورسوله (يَنصَرُكُمْ) على عدوكم ويفتح لكم (وَيُبَيِّنَ أَفْئَادَكُمْ) فى مواطن الحرب أو على حجة الإسلام (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) فى موضع رفع بالابتداء والخبر (فَنَمَسْنَا لَهُمْ) وعطف قوله (وَأَسْلَلْنَا أَعْمَالَهُمْ) على العمل الذى نصب نسا لأن المعنى قال نسا لهم والنمس الثور وعن ابن عباس رضى الله عنهم ما يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردى فى النار (ذَلِكَ) أى التمس والضلال (يَا أَيُّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ) أى القرآن (فَأَخِطَ أَعْمَالَهُمْ أَفْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) يعنى كفار أمك (فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِم) أهلكتهم هلاك استئصال (وَالْكَافِرِينَ) مشرك فريش (أَمْثَلًا) أمثال تلك الهلكة لأن التدمير يدل عليها (ذَلِكَ) أى نصر المؤمنين وسوء هاقبة الكافرين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ولهم وناصرهم (وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلى لَهُمْ) أى لا ناصر لهم فإن الله مولى العباد جميعا من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ) يتفعول بفتح الجاء الدنيا أياما قلائل (وَيَاكُلُونَ) غافلين غير متفكرين فى العاقبة (كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْسَامُ) فى معالها ومسارحها غافلة عما هى بصدده من النحر والذبح (وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) منزل ومقام (وَكَايُنَ مِنْ قَرْيَةٍ) أى وكمن قرية للكثير وأراد بالقرية أهلها وقتلك قال أهلكتهم (هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَوْمِكَ الَّتِي أُخْرِجَتْكَ) أى وكمن قرية أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أى كانوا سبب خروجك (أَهْلَكْنَهُمْ) فلا ناصر لهم) أى ظم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم (أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ يَبِينَةٍ مِنْ رَبِّهِ) أى على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجرات يعنى رسول الله ﷺ (كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله وقال سوء منه (وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) للحمل على لفظ من ومنه (مَثَلُ الْجَنَّةِ) سفة الجنة المعجبة الشأن (الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ) عن الشرك (فِيهَا أَنْهَارٌ) داخل فى حكم الصلة كالتركيب لما

ألا ترى إلى صحة قولك التي فيها أنهار أو حال أى مستقرة فيها أنهار (مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) غير متغير اللون والريح والطعم يقال آسن الماء إذا تغير طعمه وريحه آسين مكي (وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) كاستفير ألبان الدنيا إلى الخوضه وغيرها (وَأَنْهَرُ مِنْ خَيْرٍ لَذَّةٍ) تأنيث لذ وهو اللذيذ (لَشَّرِيَيْنِ) أى ماهو إلا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداد ولا آفة من آفات الخمر (وَأَنْهَرُ مَنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَنْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) مثل مبتدأ خبره (كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا) حاراً في الهابة (قَطَطَعَ أَمْثَلَهُمْ) والتقدير أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار وهو كلام في سورة الإنبات ومعناه الذي لا نطوائه تحت حكم كلام مصدر يحرف الإنكار ودخوله في حيزه وهو قوله: أفنى كان على بيته من ربه كمن زين له سوء عمله. وقائدة حذف حرف الإنكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين التمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من ثبت التسوية بين الجنة التي تجرى فيها تلك الأنهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا الَّذِينَ أُولُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنِفًا) هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيسمعون كلامه ولا يعمونه ولا يلقون له بالأنهاونا منهم فإذا خرجوا قالوا لأولى العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جملة الاستهزاء (أَوْ لَتِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَانْتَبَهُوا أَهْوَاءَهُمْ وَالَّذِينَ افْتَضَتْهُمُ الْإِيمَانُ وَاسْتَمَعَ الْقُرْآنُ زَادَهُمْ) اللَّهُ (هُدًى) أى بصيرة وعلماً أو شرح صدورهم (وَعَاثَهُمْ نَفْسُهُمْ) آهاتهم عليها أو آتاهم جزاء قواهم أو بين لهم ما يبتغون (فَقُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ) أى ينتظرون (أَنْ تَأْتِيَهُمْ) أى إتيانها فهو بدل اشتغال من الساعة (بَفْتَةٍ) فجأة (قَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) علاماتها وهو مبين محمد ﷺ وإنشفاق القمر والدخان وقيل قطع الأرحام وقلة الكرام وكثرة اللثام (فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ) قال الأخفش التقدير فأنى لهم ذكرهم إذا جاءتهم (فَاعْلَمْ أَنَّهُ) أن الشأن (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) واستغفر لذيبيك وللمؤمنين. وَالْمُؤْمِنَاتِ) والمنى فاقبت على ما أنت عليه من العلم بوحداية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك وفي شرح التأويلات جاز أن يكون له ذنب



فأمره بالاستغفار له ولكننا لانلمه غير أن ذنب الأنبياء ترك الأفضل دون مباشرة التوبع  
وذنوبنا مباشرة القبايح من الصفات والكبائر وقيل الفآآت في هذه الآيات لطف جملة على  
جملة بينهما انصال (وَاللَّهُ يَسْلَمُ مُتَقَلِّبُكُمْ) في مفايشكم ومتاجركم (وَمَثَوْنَكُمْ) لم يعلم  
حيث تستقرون من منازلكم أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور أو متقلبكم في  
أعمالكم ومثواكم في الجنة والنار ومثله حقيق بأن يتقى ويخشى وأن يستغفر وسئل سفيان  
ابن عيينة عن فضل العلم قال ألم تسمع قوله فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل  
بعد العلم (وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ) فيها ذكر الجهاد (فَإِذَا أَنْزَلَتْ  
سُورَةٌ) في معنى الجهاد (مُحْكِمَةٌ) مبنية غير متشابهة لاتحتمل وجها إلا وجوب القتال  
ومن فتاحة كل سورة فيها ذكر القتال فعلى عكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال  
نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة (وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ)  
أى أمر فيها بالجهاد (رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) نفاق أى رأيت الناقين فيها بينهم  
يضعفون منها (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَفْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) أى شخص أبصارهم  
جينا وجزعا كما ينظر من أصابته النشبة عند الموت (فَأَوَلَى لَهُمْ) وعيد بمعنى فويل لهم  
وهو أفمل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ  
مَّمْرُوفٌ) كلام مستأنف أى طاعة وقول معروف خير لهم (فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) فإذا جد  
الأمر ولزمهم فرض القتال (فَلَوْ سَدَقُوا اللَّهَ) في الإيمان والطاعة (لَكَانَ) الصدق (خَيْرًا  
لَهُمْ) من كراهة الجهاد ثم التفت من النية إلى الخطاب بضرب من التوبيخ والإرهاب  
فقال (قَلِيلٌ عَسِيْبُهُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ) أى  
فلمسلم إن أمرضهم من دين رسول الله ﷺ وسنته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية  
من الإفساد في الأرض بالتناور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأتارب بعضا وواد  
البنات . وخبر عسى أن تفسدوا والشرط اعتراض بين الاسم والظير والتقدير فهل سيئتم أن  
تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم إن توليتم (أَوْ تَلِكِ) إشارة إلى الذكورين (الَّذِينَ  
لَمْ يَنْهَهُمُ اللَّهُ) أبدهم عن رحمة (فَأَصْمَهُمْ) عن استماع الوعظة (وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ) من  
إبصارهم طريق الهدى (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرُءَانَ) فيعروا ما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد

المصاة حتى لا يجسروا على المامى وأن في (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) بمعنى بل وهمزة التقدير  
للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر ونسكت القلوب لأن المراد على قلوب  
قاسية منهم أمرها في ذلك والمراد بمض القلوب وهى قلوب المناقنين وأضيفت الأقفال إلى  
القلوب لأن المراد الأقفال المختصة بها وهى أقفال الكفر التى استنقلت فلا تنفتح نحو الرين  
والظم والطبع (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ) أى  
المناقون رجعوا إلى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم (الشَّيْطَانُ سَوَّلَ) زين (لَهُمْ)  
جعة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لأن نحوان زيدا عمرو مرية (وَأَنبَأَىٰ لَهُمْ) ومدح لهم فى الآمال  
والآمانى وأنبأى أبو عمرو أى أمهلوا ومدحهم (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ  
اللَّهُ) أى المناقون قالوا لليهود (سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ) أى عداوة محمد والقعود  
من نصرته (وَاللَّهُ يَتْلُمُ إِسْرَارَهُمْ) على المصدر من أسر حمزة وعلى وحفص أسرارهم غير  
جمع سر (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ) أى فكيف يملون وماحيلتهم حيثئذ (يُسْرِئُونَ  
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) من ابن عباس رضى الله عنهما: لا يتوفى أحد على معصية إلا يضرب  
من الملائكة فى وجهه ودبره (ذَلِكَ) إشارة إلى التوفى الوسوف (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم  
(اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ) من مآونة الكافرين (وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) من نصرة المؤمنين  
(فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَمٌ أَنْ لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ)  
أحقادهم والمعنى أظن المناقون أن الله تعالى لا يبرز بنفسهم وعداوتهم للمؤمنين (وَلَوْ نَشَاءُ  
لَأَرْسَلْنَاكُمْ) لمرغناكم وذلناكم عليهم (فَلَمَرَقْتَهُمْ بِسْمَتِهِمْ) بعلامتهم وهو أن  
يسمى الله بلامه يملون بها • وعن أنس رضى الله عنه : ما خفى على رسول الله ﷺ بدهذه  
الآية أحد من المناقنين كان يعرفهم بسيماهم (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) فى نحوه وأسلوبه  
الحسن من غوى كلامهم لأنهم كانوا لا يقدرون على كتمان ما فى أنفسهم واللام فى ظمرتهم  
داخلة فى جواب لو كالتى فى لأريناكم كروت فى المطوف وأما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة  
مع النون فى جواب قسم محذوف (وَاللَّهُ يَسْلُمُ أَعْمَلَكُمْ) فيميز خيرها من شرها  
(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) بالقتال إعلاما لاستسلاما أو تمالككم معاملة المختبر ليكون المبلغ فى إظهار  
المدل (حَتَّىٰ تَسْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالسَّيْرِينَ) على الجهاد أى نعلم كائننا ماعلمناه

\* ه سَيَكُونُ (وَتَبْلُغُوا أَخْبَارَكُمْ) أَسْرَارَكُمْ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ حَقَّ يَوْمِ يَوْمِ الْبُرْجِ \* وَمَنْ  
 أَفْضَلُ أَنْ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا بِكِي وَقَالَ اللَّهُ لَا تَبْلُغُوا فَإِنَّكَ إِن بَلَغْتَا فَضَحْتَا وَهَكَذَا اسْتَأْذَنَّا  
 وَعَذَبْنَا (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ) وَعَادُوهُ يَمْنَى  
 الْمُطْمَئِنِينَ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ مَرَّ (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَى) مِنْ بَعْدِ مَا ظَهَرَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ  
 وَهَرَفُوا الرَّسُولَ (لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَلُهُمْ) إِلَى مَعْلُومَاتِهِمْ فِي مَشَاقَّةِ الرَّسُولِ  
 أَيْ سَيُطْلَبُ فَلَا يَصِلُونَ مِنْهَا إِلَى أَغْرَاضِهِمْ (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا  
 الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) بِالْفِتْنَةِ أَوْ بِالرَّيَاءِ (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ  
 سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ لَهُمْ) قِيلَ هُمْ أَصْحَابُ الْقَلْبِ وَالظَّاهِرِ  
 الْعَمُومِ (فَلَا يَهْتُمُّونَ) فَلَا تَضَعُوا وَلَا تَذَلُّوا لِلْعَدُوِّ (وَتَذَلُّوا إِلَى السَّلَامِ) وَالْكَسْرِ حِزْمَةٌ  
 وَأَبُو بَكْرٍ وَهِيَ السَّالَةُ أَيْ وَلَا تَدْعُوا الْكُفْرَ إِلَى الصِّلَحِ (وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ) أَيْ الْأَعْلَوْنَ  
 وَتَدْعُوا بِحُكْمِ النَّهْيِ (وَاللَّهُ مَعَكُمْ) بِالنَّصْرِ أَيْ نَاصِرَكُمْ (وَلَنْ يَزِيدَكُمْ  
 أَعْمَالَكُمْ) وَلَنْ يَنْقُصَكُمْ أَجْرُ أَعْمَالِكُمْ (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَبِيبٌ وَلَهُوَ) نَقْطَعُ فَيَسْرِعُ  
 مَدَّةَ (وَلَنْ تُوْمِنُوا) بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ (وَتَقْتُلُوا) الشَّرْكَ (يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ) ثَوَابَ أَعْمَالِكُمْ  
 وَتَقُولُكُمْ (وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ) أَيْ لَا يَسْأَلُكُمْ جَمِيعًا بَلْ رُبْعَ الْمَشْرِ وَالنَّاهِلِ  
 اللَّهُ أَوْ الرَّسُولُ \* وَقَالَ سَفِيَانُ بْنُ عَيْنَةَ فِيمَنْ مَنِ فَيَضُ (إِنْ يَسْأَلُكُمْ مَوْهَا فَيُخْفِكُمْ) أَيْ  
 يَجْهَدُكُمْ وَيَطْلُبُ كُلَّهُ وَالْإِحْفَاءُ الْمُبَالِغَةُ وَبُلُوغُ النَّيَاةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِقَالَ أَحْفَاءُ فِي الْمَسْئَلَةِ إِذَا لَمْ  
 يَتْرَكْ شَيْئًا مِنَ الْإِحْلَاحِ وَأَخَى شَارِبِهِ إِذَا اسْتَأْذَنَهُ (تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجُ) أَيْ اللَّهُ أَوْ الْبَخْلُ  
 (أَضْمَنْكُمْ) عِنْدَ الْاِمْتِنَاعِ أَوْ عِنْدَ سُؤَالِ الْجَمِيعِ لِأَنَّهُ عِنْدَ مَسْئَلَةِ الْمَالِ تَطْلُبُ الْمَدَاوَةَ وَالْحَفْدَ  
 (هَلَاكُمْ) هَالِكْتُمُوهُ (هُوَ لَاءٌ) مَوْصُولٌ بِمَعْنَى الْقَدِينِ سَلْتُهُ (تَدْعُونَ) أَيْ أَنْتُمْ الَّذِينَ  
 تَدْعُونَ (لِتَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) هِيَ النِّفْقَةُ فِي النَّزْوِ أَوْ الزَّكَاةِ كَأَنَّهُ قِيلَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ  
 لَوْ أَحْفَاكُمْ لَبَخَلْتُمْ وَكَرِهْتُمْ الْمَطَاءَ أَنْتُمْ تَدْعُونَ إِلَى آدَاءِ رُبْعِ الْمَشْرِ (فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ)  
 بِالرَّفْعِ لِأَنَّهُ مِنْ هَذِهِ لَيْسَتْ لِلشَّرْطِ أَيْ فَتَنْكُمْ نَاسٌ يَبْخُلُونَ بِهِ (وَمَنْ يَبْخُلُ) بِالْبَصْدَةِ  
 وَأَدَاءُ الْفَرِيضَةِ (فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ) أَيْ يَبْخُلُ عَنْ دَاخِلِ نَفْسِهِ لِأَنَّ دَاخِلَ دَهْ دَهْ وَقِيلَ  
 يَبْخُلُ عَلَى نَفْسِهِ بِقَالَ يَخْلُ عَلَيْهِ وَهِيَ (وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ) أَيْ أَنَّهُ لَا يَأْمُرُ بِذَلِكَ

ل حاجته إليه لأنه غنى عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم إلى الثواب ( وَإِنْ تَوَلَّوْا )  
 وإن تمردوا أيها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والإتفاق في سبيله وهو مطوف على وإن  
 تقوموا وتتقوا ( يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ) يخلق قوما خيرا منكم وأطوع وهم فارس \* وسئل  
 رسول الله ﷺ عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على خذه وقال هذا وقومه والذي  
 نفسى بيده لو كان الإيمان منوطا بالريا لثنا له رجال من فارس ( ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ )  
 أى ثم لا يكونوا فى الطاعة أمثالكم بل أطوع منكم .

### ﴿ سورة الفتح مدنية وهى تسع وعشرون آية ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ) الفتح الظفر باللام عنوة أو مسلحا مجرب أو بنير حرب لأنه معلن  
 ما لم يظفر به فإذا ظفر به فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله ﷺ  
 عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وسعى به على لفظ الماضى لأنها فى تحققها بمنزلة الكائنة  
 وفى ذلك من النعمامة والدلالة على علو شأن الخبر عنه وهو الفتح ما لا يخفى وقيل هو فتح الحديبية  
 ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة فرمى المسلمون المشركين حتى  
 أدخلهم ديارهم وسألوا الصلح فكان فتحا مبينا \* وقال الزجاج كان فى فتح الحديبية آية  
 للمسلمين عظيمة وذلك أنه ترح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتضمن رسول الله ﷺ ثم بعث فى البئر  
 فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وقيل هو فتح خيبر وقيل مناه قضينا لك قضاء بينا على  
 أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهى الحكومة  
 ( لِيُنْفِرَ لَكَ اللَّهُ ) قيل الفتح ليس بسبب للمغفرة والتقدير إنا فتحنا لك فتحا مبينا فاستغفر  
 لينفر لك الله ومثله إذا جاء نصر الله والفتح إلى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره ويجوز أن  
 يكون فتح مكة من حيث إنه جهاد للمدوسيا للفخران وقيل الفتح لم يكن لينفر له بل لإتمام  
 النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر المنزول ولكنه لما عدد عليه هذه النعم وصلها بما هو  
 أعظم النعم كأنه قيل يسترنا لك فتح مكة أو كذا لتجمع لك بين عز الدارين وأغراض المآجل  
 والآجل ( مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكُمْ وَما تَأَخَّرَ ) يريد جميع ما فرط منك أو ما تقدم من حديث

مارية وما تأخر من امرأة زيد (وَيُؤْتِي نَفَقَتَهُ عَلَيْكَ) بإعلاء دينك وفتح البلاد على يدك  
 (وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) ويثبتك على الدين الرضى (وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا)  
 غويا منيما لازل بعده أبدا (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَئِنْ دَاوُوا بِمَتَانًا  
 مَعَ إِيْمَانِهِمْ) السكينة للسكون كالهيئة للبهتان أى أنزل الله فى قلوبهم السكون والطمأنينة  
 بسبب الصلح ليزدادوا يقينا إلى يقينهم وقيل السكينة الصبر على ما أمر الله والتمتع بوعده الله  
 والتمظيم لأمر الله (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا لِيُدْخِلَ  
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا) وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ  
 سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا وَيُمْدَبُ الْمُتَنَفِّينَ وَالْمُتَنَفِّسَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ  
 وَالْمُشْرِكَاتِ) أى والله جنود السموات والأرض يسلط بمفها على بعض كما يقتضيه علمه  
 وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وإنما قضى  
 ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فتيبهم ويمدب الكافرين والنفاقين لما ظاهروا  
 من ذلك وكروهه (الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُلْمَ السَّوَاءِ) وقع السوء عبارة عن رداة الشيء وفساده  
 يقال فعل سوء أى مسخوط فاسد والمراد ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا  
 يرجعهم إلى مكة ظاهرين فاتهمها عنوة وقهرا (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوَاءِ) مكى وأبو مرواى  
 ما يظفونه ويتربسونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الملاك والدمار وغيرها  
 هائرة السوء بالفتح أى الدائرة التى ينعونها ويسخطونها السوء والسوء كالكره والكروه  
 والضعف والضعف إلا أن الفتوح غلب فى أن يضاف إليه ما يراد فسه من كل شيء وأما  
 السوء فجاء مجرى الشر الذى هو قبيض الخير (وَوَغِيبَ اللَّهُ عَنْهُمْ) وَلَمَنَّهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ  
 جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) جهنم (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فيدفع كيد من هادى  
 نبيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) غالبا فلا يرد بأسه (حَكِيمًا)  
 عما دبر (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا) تشهد على امتك يوم القيامة وهذه حال مقدرة (وَمُبَشِّرًا)  
 للمؤمنين بالجنة (وَنَذِيرًا) للكافرين من النار (لَتَقُومُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) والخطاب  
 لرسول الله ﷺ ولأمتة (وَنُزِّرُوهُ) وهووه بالتصريح (وَنُورِّقُوهُ) ونعظموه (وَنُسَبِّحُوهُ)

من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتمزيق الله تمزيق دينه ورسوله ومن  
فرق الضمائر فجعل الأولين للنبي ﷺ قدأيد ليؤمنوا مكي وأبو هريرة والضمير للناس وكذا  
الثلاثة الأخيرة بالياء عندهما (بُكْرَةً) صلاة الفجر (وَأَمْسِيلاً) الصلوات الأربع (إِنَّ  
الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) أى بيعة الرضوان ولما قال (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) أكدناه تأكيداً على  
طريقة التخصيل فقال (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) يريد أن يد رسول الله ﷺ التى تملأ أيدي  
المبايعين هى يد الله والله منزّه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد  
الميثاق مع الرسول كمقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد أطاع  
الله وإنا يابيون الله خبران (فَمَنْ نَكَثَ) خفى العهد ولم يوف بالبيعة (فَأَنَّمَا يَنكُثُ عَلَى  
نَفْسِهِ) فلا يمود ضرر نكثه إلا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله ﷺ تحت  
الشجرة على الموت وعلى أن لا نفرقنا نكث أحد منا البيعة إلا جدين قيس وكان مناقنا  
اختبأ تحت بطن بغيره ولم يسر مع القوم (وَمَنْ أَوْقَى بِمَا عَاهَدَ) يقال وفيت بالعهد وأوفيت  
به ومنه قوله أوفوا بالعقود - والوفون بهدم (عَلَيْهِ اللَّهُ) حفص (فَسَهْوُ نِيهِ) وبالنون  
حجازى وشامى (أَجْرًا عَظِيماً) الجنة (سَيَقُولُ لَكَ) إذا رجعت من الحديبية (الْمُخَلَّفُونَ  
مِنَ الْأَعْرَابِ) هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع  
والدئل وذلك أنه عليه السلام حين أراد السير إلى مكة عام الحديبية متمراً استنفر من حول  
المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذوا من قريش أن يرضوا له بحرب أو  
يصدوه عن البيت وأحرم هو ﷺ وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد حرباً فتناقل كثير من  
الأعراب وقالوا يذهب إلى قوم غزوة في مقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه  
يهتك فلا ينقلب إلى المدينة (سَفَلْتُمْ أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا) هى جمع أهل اعتلوا بالشغل بأهاليهم  
وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم (فَاسْتَغْفِرْ لَنَا) لينفرتنا الله تخلفنا هناك (يَقُولُونَ  
بِالْأَسِنَّةِ مِمَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) تكذيب لهم في اعتذارهم وأن الذى خلفهم ليس ما يقولون  
وإنما هو الشك في الله والتناقض فطلبهم الاستغفار أيضاً ليس بصادق من حقيقة (قُلْ فَمَنْ  
يَمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا)

ما يضركم من قتل أو هزيمة غُرا حزة وعلى (أَوْ أَرَادَ يَكُم نَقْمًا) من غنيمة وظفر (بَلَى) كَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا بَلَى ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ) زينه الشيطان (وَلظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوءِ) من علو الكفر وظهور الفساد (وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) جمع بائر كما نذر وعوز من بار الشيء هلك وقصد أى وكنت قوما فاسدين فى أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه (وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ) أى لهم فأقيم الظاهر مقام الضمير للإيذان بأن من لم يجمع بين الإيمان بالله والإيمان برسوله فهو كافر ونسكو (سَعِيرًا) لأنها نار مخصوصة كأنك نار اطلقي (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يدبره تدبير قادر حكيم (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) يغفر ويُعذب بمشيئته وحكمته وحكمته المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) سبقت رحمته غضبه (سَمِعُولُ الْمُخَلَّفُونَ) الذين تخلفوا عن الحديبية (إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَوَاقِمَ) إلى غنائم خير (لِتَأْخُذُوهَا ذُرُوعًا وَنَسِيحَةً يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ) كليم الله حزة وعلى أى يريدون أن يغيروا موعد الله لأهل الحديبية وذلك أنه وعدم أن يوسعهم من مقام مكة غنائم خير إذا قفلوا مواعيد لا يصيبون منهم شيئاً (قُلْ لَنْ تَسْبِقُونَا) إلى خير وهو إخبار من الله بعدم اتباعهم ولا يبدل القول فيه (كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ) من قبل انصرافهم إلى المدينة إن غنيمة خير لن شهد الحديبية دون غيرهم (فَسَيَقُولُونَ بَلَى تَحْسُدُونَنَا) أى لم يأمركم الله به بل تحسدوننا أن نشارككم فى الغنيمة (بَلَى كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ) من كلام الله (إِلَّا قَلِيلًا) إلا شيئاً قليلاً يعنى مجرد القول والفرق بين الأضرايين أن الأول رد أن يكون حكم الله أن لا يتعموم وإثبات الحمد والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحمد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قُلْ لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأْسٍ شَدِيدٍ) يعنى بنى حنيفة قوم مسلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر رضى الله عنه لأن مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يلة لهم إلا الإسلام أو السيف وقيل هم فارس وقد دعاهم رضى الله عنه (قُتِلُوا بِهِمْ) أو يُسْلِمُونَ) أى يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام ومعنى يسلمون على هذا التأويل

يقتادون لأن فارس مجوس قبلهم الجزية وفي الآية دلالة صفة خلافة الشيعة حيث وعدم  
 الثواب على طاعة الداعي عند دعوته بقوله (فَإِنْ يُطِيعُوا) من دعاكم إلى قتاله (يُؤَيِّنْكُمْ  
 اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا) فوجب أن يكون الداعي مفترض الطاعة (وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ  
 مِنْ قَبْلُ) أي من الحديبية (يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) في الآخرة (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى  
 حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمُرِيضِ حَرَجٌ) نفى المخرج من ذوى العاهات  
 في التخلف عن الزحف (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) في الجهاد وغير ذلك (يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ  
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَقُولُ) يمرض عن الطاعة (يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا) ندخله  
 ونعذبه مدني وشاعى (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) هي  
 بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقسمها أن النبي ﷺ حين نزل بالحديبية بث خراش بن أمية  
 الخزاعي رسولا إلى مكة فهموا به فتبعه الأحابيش فلما رجع دعا بعمر ليعتبه فقال إني أخافهم  
 على نفسي لما عرف من عداوتي إياهم فبث عثمان بن عفان خبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء  
 زائرا للبيت فوفروه واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله ﷺ لا نبرح حتى  
 تفاجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فبايروه على أن يناجزوا قريشا ولا يفرؤا تحت الشجرة  
 وكانت سمرة وكان عدد المبايعين ألفا وأربعمائة (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) من الإخلاص وسدق  
 الضمائر فبايأوا عليه (فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ) أي الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على  
 قلوبهم (وَأَكْبَهُمْ) وجازأهم (فَتَحَا قَرِيبًا) هو فتح خيبر غلب انصرافهم من مكة (وَمَنَانٍ  
 كَثِيرَةٍ بِأَخْذِهَا) هي منافع خيبر وكانت أرضا ذات حقار وأموال قسمها عليهم (وَكَانَ  
 اللَّهُ عَزِيزًا) منيما فلا يغال (حَكِيمًا) فبايحكم فلا يمرض (وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَنَانٍ  
 كَثِيرَةٍ تَأْخُذُهَا) هي ما أصابوه مع النبي ﷺ وبعدة إلى يوم القيامة (فَجَبَلَ لَكُمْ هَذِهِ)  
 المنام يعني منافع خيبر (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ) يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم  
 من أسد وغطفان حين جاءوا لنصرتهم فحذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا وقيل أيدي  
 أهل مكة بالصلح (وَلَيْتَكُونِ) هذه الكفة (آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) وعبرة يعرفون بها أنهم  
 من الله عز وجل بمكان وأنه ضامن نصرتهم والفتح عليهم فعل ذلك (وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا  
 مُسْتَقِيمًا) ويزيدكم بصيرة ويقينا وهدية بفضل الله (وَأُخْرَى) مطبوعة على هذه أي فمجل



لكم هذه المنافع ومنافع أخرى هي منافع هوازن في غزوة حنين (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) لما كان فيها من الجولة (قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) أي قدر عليها واستولى وأظهركم عليها وبجوز قد أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصحة لأخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا، وقد أحاط الله بها خبر للبتداء (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) قادرا (وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة ولم يصالحوا أو من خلفاء أهل خيبر (لَوَلَّوْا الْأَذْيَارَ) لنبهوا وانهزموا (ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يلى أمرهم (وَلَا نَصِيرًا) ينصرهم (سُنَّةَ اللَّهِ) في موضع المصدر المؤكد أي سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله لأغلبن أنا ورسلي (الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا) تغييرا (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ) أي أبدى أهل مكة (وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ) عن أهل مكة بمعنى قضى بينهم وبينكم الكافة والمجازة بصدما خولكم الظفر عليهم والنذبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رضى الله عنه على أن مكة فتحت عنوة لاسلحا وقيل كان في غزوة الحديبية لما روى أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمائة فبعت رسول الله ﷺ من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أظهر المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت (رَبِطْنِ مَكَّةَ) أي بمكة أو بالحديبية لأن بعضها منسوب إلى الحرم (مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَ كُمُ عَلَيْهِمْ) أي أقدركم وسلطكم (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) وبالبياء أبو عمرو (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْأَهْدَى) هو ما يهدى إلى السكة ونصبه عطفًا على كم في صدوكم أي وصدوا الهدى (مَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ) محبوسًا أن يبلغ، ومكوفًا حال. وكان عليه السلام ساقى سبعين بدنة (مَحِلَّةٌ) مكانه الذي يحل فيه نحره أي يجب وهذا دليل على أن المحصر محل هديه الحرم والمراد أهل اليهود وهو منى (وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ) بمكة (لَمْ تَكَلَّمُوهُمْ) صفة للرجال والنساء جميعا (أَنْ تَكَلَّمُوهُمْ) بدل اشتغال منهم أو من الضمير المنسوب في تعلموهم (فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَرَّةٌ) لهم وشدة وهي مفعة من عره بمعنى هراه

إذا دعاه ما يكرهه ويشق عليه وهو الكفارة إذا قتله خطأ وسوء **الكفار** المشركين أنهم  
 حملوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والإثم إذا قصر (يُغَيِّرُ عِلْمَهُ) متعلق بأن  
 تطغون بمعنى أن تطغونهم غير عالمين بهم والوطء عبارة عن الإيقاع والإباداة والمعنى أنه كان بمكة  
 قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم فقبل ولولا كراهة أن تهلكوا ناسا  
 مؤمنين بين ظهرائي المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم بإهلاكمهم مكروه ومشقة لما  
 كف أيديكم عنهم وقوله (لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ) تليد لما دلت عليه الآية  
 وسيفت له من كف الأيدي عن أهل مكة والنعم عن قتلهم سونا لمن بين أظهرهم من المؤمنين  
 كأنه قال: كان الكف ومنع التمييز ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة  
 مؤمنهم أو ليدخل في الإسلام من رغب فيه من مشركهم (لَوْ تَزَيَّلُوا) لو تفرقوا وتميز  
 المسلمون من الكافرين وجواب لولا محذوف أغنى عنه جواب لو ويجوز أن يكون لو تزيَّلوا  
 كالتكبر لولا رجال مؤمنون لرجعهما إلى معنى واحد ويكون (لَعَذَابُ الَّذِينَ كَفَرُوا)  
 هو الجواب تقديره ولولا أن تطغوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذابناهم  
 بالسيف (مِنْهُمْ) من أهل مكة (عَذَابًا أَلِيمًا) والمائل في (إِذْ جَمَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا)  
 أي قريش لعذابناهم في ذلك الوقت أو ذكر (فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةُ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ)  
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ (المراد بحمية الذين كفروا وهي  
 الأنفة وسكينة المؤمنين وهي الوفاء ما يروى أن رسول الله ﷺ لما نزل بالهدية بث  
 قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد المزي ومكرز بن حفص على أن يرضوا على النبي  
 ﷺ أن يرجع من طامه ذلك على أن نحمل له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك  
 وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال  
 سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه  
 رسول الله ﷺ أهل مكة. فقالوا لو نعم أنك رسول الله ما صدناك عن البيت ولا قائلناك  
 ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام: اكتب ما يريدون  
 غانا أشهد أنى رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون أن يأبوا ذلك ويشمروا منه

فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلوا (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) الجمهور على  
أسماء كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم والإضافة إلى التقوى باعتبار أنها سبب التقوى  
واسماها وقيل كلمة أهل التقوى (وَكَانُوا) أي المؤمنون (أَحَقُّ بِهَا) من غيرهم (وَأَهْلُهَا)  
يتأهل الله إياهم (وَكَانَ اللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا قَلِيلًا) فيجري الأمور على مصالحها (لَقَدْ سَدَقَ  
اللَّهُ رَسُولَهُ الرَّؤْيَا) أي صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب غذف الجار وأوصل  
الفعل كقوله: صدقوا ما عاهدوا الله عليه . روى أن رسول الله ﷺ رأى قبل خروجه إلى  
الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا  
وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم وقالوا : إن رؤيا رسول الله ﷺ حق فلما تأخر ذلك قال  
عبد الله بن أبي وغيره والله ما حلقتنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت (يَا أَيُّهَا  
مَنْعَلَى بِمُذَقِّ أَيِّ مَدَقِّهِ فَبَا رَأَى وَفِي كَوْنِهِ وَحَصُولِهِ مَدَقًا مَلْتَبَسًا بِلَحْقِ أَيِّ بِالْحِكْمَةِ الْبَاطِنَةِ  
وَذَلِكَ مَا فِيهِ مِنَ الْإِبْطَالِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ الْخَالِصِ وَبَيْنَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَبِجُوزِ أَنْ يَكُونَ  
بِالْحَقِّ قَسَمًا إِمَّا بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ قَبِيضُ الْبَاطِلِ أَوْ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ مِنْ أَسْمَائِهِ، وَجَوَابُهُ (لَقَدْ خَلَقْنَا  
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) وعلى الأول هو جواب قسم محذوف (إِنْ شَاءَ اللَّهُ) حكاية من الله تعالى  
ما قال رسوله لأصحابه وقص عليهم أو تلميح لعباده أن يقولوا في عملهم مثل ذلك متأدبين  
بأدب الله ومقتدين بسنته (ءَامِنِينَ) حال والشرط معترض (مُحَلِّقِينَ) حال من الضمير  
فِي آمِنِينَ (رُءُوسَكُمْ) أي جميع شعورها (وَمُقَصِّرِينَ) بمعنى شعورها (لَا تَخَافُونَ)  
حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ (فَقِيلَ مَا لَمْ تَمْلِكُوا) من الحكمة في تأخير فتح مكة إلى العام القابل (فَجَبَلْنَا  
مِنْ دُونِ ذَلِكَ) أي من دون فتح مكة (فَتَحْنَا قَرِيبًا) وهو فتح خيبر ليستروح إليه قلوب  
المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الوعود (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى) بالتحديد  
(وَدِينِ الْحَقِّ) أي الإسلام (لِيُظْهِرَهُ) ليعلمه (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) على جنس الدين  
يريد الأديان المختلفة من أديان المشركين وأهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فإنك لا ترى  
دينا قط إلا وللإسلام دونه العزة والنبله وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبق  
على وجه الأرض كافر وقيل هو إظهاره بالحجج والآيات (وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) على أن  
ما وعده كائن ، وعن الحسن شهد على نفسه أنه سيظهر دينه والتقدير وكفاه الله شهيدا .

وشميداعيزاوال (مُحَمَّدٌ) خبر مبتدأ أى هو محمد لتقدم قوله هو الذى أرسل رسوله أو مبتدأ  
 خبره (رَسُولُ اللَّهِ) وقف عليه نصير (وَالَّذِينَ مَعَهُ) أى أصحابه مبتدأ والخبر (أَشِدَّاهُ  
 عَلَى الْكَفَّارِ) أو محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على المبتدأ وأشداه  
 خبر عن الجميع ومعناه غلاظ (رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ) متعاطفون وهو خير ثان وهما جمعا شديد  
 ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وبلغ من تشددكم على الكفار أنهم كانوا  
 يتعززون من ثيابهم أن تلزق ثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من رحمتهم فيما  
 بينهم أنه كان لا يرى مؤمنا إلا صالحه وعافيه (تَرَاهُمْ رُكَّعًا) راكعين (سُجَّدًا)  
 ساجدين (يَبْتَغُونَ) حال كأن ركعا وسجدا كذلك (فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ)  
 علامتهم (فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ) أى من التأثير الذى يؤثره السجود وعن عطاء  
 استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لقوله عليه السلام: من كثرت صلاته بالليل حسن  
 وجهه بالنهار (ذَلِكَ) أى الذكور (مَثَلُهُمْ) مثفهم (فِي التَّوَرَاتِ) وعليه وقف (وَمَثَلُهُمْ  
 فِي الْإِنْجِيلِ) مبتدأ خبره (كَزَرْعٍ أُخْرِجَ شَطْهُ) فراخه يقال أشطأ الزرع إذا فرخ  
 (فَأَزْرَهُ) قواه، فأزره شامى (فَاسْتَنْظَفَ) فصار من الرقة إلى النظف (فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ  
 سُورِهِ) فاستقام على قمبه جمع ساق (يُمَجِّبُ الزَّرَّاعَ) يتمجبون من قوته وقيل مكتوب فى  
 الإنجيل سيخرج قوم يفتنون نبات الأزرع بأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر، وعن عكرمة  
 أخرج شطأه بأبى بكر فأزره بممر فاستنظف بعمان فاستوى على سوقه بطل رضوان الله عليهم  
 وهذا مثل ضربه الله تعالى لبده الإسلام وترقيه فى الزيادة إلى أن قوى واستحكم لأن النبى ﷺ  
 قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما قوى الطاقة الأولى من الأزرع ما يحثف بها عما  
 يثوله منها حتى يعجب الزراع (يُخَيِّطُ بِهِمُ الْكُفَّارَ) تمليل لما دل عليه تشبيههم بالأزرع  
 من ثنائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز أن يملل به (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم فى الآخرة مع  
 ما يميزهم به فى الدنيا غاظهم ذلك ومن فى منهم للبيان كما فى قوله: فاجتنبوا الرجس من الأوثان  
 يعنى فاجتنبوا الرجس الذى هو الأوثان، وقولك أنفق من الدراهم أى اجمل نفقتك هذا الجنس

وهذه الآية ترد قول الروافض أنهم كفروا بعد وفاة النبي ﷺ إذ الوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم إنما يكون أن لو ثبتوا على ما كانوا عليه في حياته .

### ( سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا) قدّمه وأقدمه متقولان بتقيل الحشو والمهمزة من قدمه إذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه وحذف المفعول ليتناول كل ما وقع في النفس مما يقدم من القول أو الفعل وجاز أن لا يقصد مفعول والنهي متوجه إلى نفس التقديم كقوله هو الذي يحى ويميت أو هو من قدّم بمعنى تقدم كوجه بمعنى توجه ومنه مقدمة الجيش وهي الجماعة للتقدمة منه ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدّموا بحذف إحدى تاءى تتقدموا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) حقيقة قولهم جلست بين يدي فلان أن تجلس بين الجهتين السامتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليمين مع القرب منهما نوسما كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوزه وفي هذه السبابة ضرب من الجواز الذي يسمى تمثيلا وفيه فائدة جليلة وهي تصوير المهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة ويموز أن يجري مجرى قولك سرى زيد وحسن حاله أى سرى حسن حال زيد فكذلك هنا الملقى بين يدي رسول الله ﷺ وفائدة هذا الأسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله ﷺ من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به هذا السلك وفي هذا تعهيد لما قم منهم من رفع أصواتهم فوق سوته عليه السلام لأن من فضله الله بهذه الأثرة واختصه هذا الاختصاص كان أدنى ما يجب له من التهيب والإجلال أن يخفّض بين يديه الصوت وعن الحسن أن إناسا ذبحوا يوم الأضحية قبل الصلاة فزرت وأمرهم رسول الله ﷺ أن يبيدوا ذبحا آخر وعن عائشة رضى الله عنها أنها نزلت في النهي عن سب يوم الشك (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فإنكم إن اتقيتموه حافظكم التقوى عن التقديم للنهي عنها (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لا تقولون (عَلِيمٌ) بما تعملون وحق مثله أن يتق (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتحريك

منهم ثلثا ينفلوا عن تأملهم (لَا تَرْقُمُوا أَسْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) أى إذا نطق ونطقتم فليكن أن لا تبنلوا بأصواتكم وراء الحد الذى يبلته بصوته وأن تنفضوا منها بحيث يكون كلامه غالبا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزينة عليكم لأمانة وساقته لديكم واضحة (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ يَاقُولُ كَجَهْرٍ بِمَنْعِكُمْ لِيَمِيزَ) أى إذا كلمتموه وهو صامت فلا تكلم والمدول مما نهيتهم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لا تبنلوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتممدوا في غاطبته القول اللين القرب من الحمس الذى يضاد الجهر أولا تقولوا: له يا محمد بأحد و غاطبوه بالنبوة والسكينة والتعظيم ولما زلت هذه الآية ما كلم النبي ﷺ أبو بكر وعمر إلا كأخى السرار وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها زلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنه وقر وكان جهورى الصوت وكان إذا كلم رفع سوته وربما كان يكلم النبي ﷺ فيأذى بصوته، وكاف التشبيه في عمل النصب أى لا تجهروا له جهرا مثل جهر بمضكم لبعض وفى هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالهاتفة وإعانها من جهز مخصوص أعنى الجهر النمود بمائلة ماقد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها (أَنْ تَحْبُطَ أَعْمَلُكُمْ) منصوب الموضع على أنه المفعول له متعلق بمعنى النهى والمعنى انتهوا مما نهيتهم عنه لحبوط أعمالكم أى غشية حبوطها على تقدير حذف المضاف (وَأَنْتُمْ لَا تَشْمُرُونَ إِنْ الَّذِينَ يَنْصُونَ أَسْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) تم اسم إن عند قوله رسول الله والمعنى ينفضون أصواتهم في مجلسه نظما له (أُولَئِكَ) مبتدأ خبره (الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) وهم صلة الذين عند قوله للتقوى وأولئك مع خبره خبر إن والمعنى أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وقتنه إذا أذابه فخلص أريزه من خبثه وقاه وحقيقته حاملها معاملة المختبر فوجدتها غلصة \* وعن عمر رضى الله عنه أذهب الشهوات عنها والامتنعان افتمال من عنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد (لَهُمْ مُغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) جملة أخرى قيل نزلت في الشيخين رضى الله عنهما لما كان منهما من فضع الصوت وهذه الآية- ينظمها الذى رتب عليه من إيقاع الفاضلين أصواتهم اسما لأن المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر

معرّفين مما والبتدأ اسم الإشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وإيراد  
الجزء منكرة مبهما أمره مدالة على غاية الامتداد والارتضاء بقول الخافضين أصواتهم وفيها  
تمريض لمظلم ما ارتكب الرافعون أصواتهم (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ)  
نزلت في وفد بني نعيم أتوا رسول الله ﷺ وقت الظهيرة وهو رافد وفيهم الأقرع بن حابس  
وعيينة بن حصن ونادوا النبي ﷺ من وراء حجراته وقالوا اخرج إلينا يا محمد فإن مدحنا زين  
وذفنا شين فاستيقظ وخرج وال وراء الجملة التي يواربها هناك الشخص بظله من خلف أو قدام  
ومن لا ابتداء النابة وأن المناذرة نشأت من ذلك المكان والحجرة الرقعة من الأرض المحجورة  
بمحاط يحوط عليها وهي قلة بمعنى مفعولة كالقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات  
بفتح الجيم وهي قراءة يزيد والمراد حجرات نساء رسول الله ﷺ وكانت لكل منهن حجرة  
ومناداتهم من ورائها لهم تفرقوا على الحجرات متطلعين له أو نادوه من وراء الحجرة التي  
كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت إجلالا لرسول الله ﷺ والفعل وإن كان مستندا إلى  
جميعهم فإنه يجوز أن يتولاها بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعا (أَكْثَرَهُمْ  
لَا يَفْقَهُونَ) يحتمل أن يكون فيهم من قصد استنثاؤه ومحتمل أن يكون المراد النفي العام  
إذ القلة تقع موقع النفي وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه مالا يخفى من إجلال  
محل رسول الله ﷺ منها التسجيل على الصائحين بهما سبقه والجمل ومنها إيقاع لفظ الحجرات  
كناية عن موضع خلوته ومقبلة مع بعض نسائه ومنها التمرير باللام دون الإضافة ولو تأمل  
متأمل من أول السورة إلى آخر هذه الآية لوجدما كذلك فتأمل كيف ابتدا بإيجاب أن  
تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير تقييد ثم أردف  
ذلك النفي مما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الأول بباطل للثاني ثم أفنى  
على الناشئين أصواتهم ليدل على عظيم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو أطم وهجنته آثم من الصياح  
برسول الله ﷺ في حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لبنيه على فطاعة  
ما جسروا عليه لأن من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر  
الذي بلغ في التفاحش مبلغا (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا) أي ولو ثبت صبرهم وعمل آثم صبروا  
الرمع على الفاعلية والصبر حس النفس عن أن تنازع إلى هواها قال الله تعالى: واصر نفسك

مع الذين يدهون بهم. وقولهم صبرهم كذا عذوف منه القول وهو النفس وقيل الصبر مر  
لا يتجرعه إلا حره وقوله (حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ) يفيد أنه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم  
ولأجلهم لزمهم أن يصبروا إلى أن يملوا أن خروجه إليهم (لَكَانَ) الصبر (خَيْرًا لَهُمْ)  
في دينهم (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) بليغ النفران والرحمة واسمها فلن يضيق غفرانه ورحمته  
من هؤلاء إن تابوا وأتوا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ يَنْفِيكُمْ) أجمعوا  
أنها زلت في الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله ﷺ مصداقاً إلى بني المصطلق وكانت بينه  
وبينهم إحنة في الجاهلية فلما شاف ديارهم ركبوا مستقبلين إليه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال  
رسول الله ﷺ قد ارتدوا ومنموا الزكاة فبث خالد بن الوليد فرجدهم يصلون فسلوا إليه  
الصدقات فرجع وفي تكسير الفاسق والنبأ شياع في الفساق والأبناء كأنه قال أى فاسق  
جاءكم بأى نبأ (فَتَبَيَّنُوا) فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشف الحقيقة ولا تمتدوا  
قول الفاسق لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذى هو نوع منه وفي  
الآية دلالة قبول خبر الواحد العدل لأننا لو توقفنا في خبره لسوينا بينه وبين الفاسق وظللا  
التخصيص به عن الفائدة، والفسوق الخروج من الشيء يقال فسقت الربطة عن قشرها ومن  
مقلوبه فقت البيضة إذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا فقت الشيء إذا  
أخرجته من يد مالكه مفتصباً له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد بركوب الكبار  
حزرة وعلى فقتوا والتفت والتبين متقاربان وما طلب الثبات والبيان والتعرف (أَن تُصَيِّرُوا  
قَوْمًا) ثلاث تصييروا (بِجَهْلِكُمْ) حال يعنى جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصة (فَتَصَيِّرُوا)  
فقصروا (عَلَى مَا قُلْتُمْ تَدْمِينُ) الندم ضرب من التم وهو أن تنتم على ما وقع منك تسمى  
أنه لم يقع وهو غم يصحب الإنسان محبة لها دوام (وَاعْلَمُوا أَن فَيْكُم رَسُولُ اللَّهِ) فلا  
تكذبوا فإن الله يخبره فيهنك ستر الكاذب أو فارجدوا إليه واطلبوا رأيه ثم قال مستأنفا  
(لَوْ يَطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ) لو تعتم في الجهد والهلاك وهذا يدل على أن  
بعض المؤمنين زينوا لرسول الله ﷺ الإيقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وأن بعضهم  
كانوا يتصوتون ويزعمهم جدم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استنابهم بقوله  
(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَىٰ مَنْ شَاءَ) وقيل هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ولما كانت



صفة الذين حجب الله إليهم الإيمان غابت سفة التقدم ذكرهم وقت لكن في حق موقعها من الاستدراك وهو مخالفة ما بهما لما قبلها نفيًا وإثباتًا (وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَتْ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ) وهو تعطية نعم الله وغمطها بالجحود (وَالْقُسُوفُ) وهو الخروج عن عبعة الإيمان بركوب الكبر (وَالْعِصْيَانُ) وهو ترك الشهاد بما أمر به الشارع (أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) أى أولئك المستنون هم الراشدون يعنى أسابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة ، والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة (فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً) الفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام والانتصاب على المفعول له أى حجب وكره للفضل والنعمة (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حَكِيمٌ) حين يفعل وينعم بالتوفيق على الأفاضل (وَإِن طَلَّ ثُمُتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَظَاهِرُوا يَنبَهُمَا) وقف رسول الله ﷺ على مجلس بعض الأنصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك ابن أبى بانه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا الله فقال عبد الله بن رواحة والله إن بول حماره لأطيب من مسكك ومضى رسول الله ﷺ وطال الخوض بينهما حتى استبيا وجمادا وجاء قوما هما وهما الأوس والخزرج فتجادلوا بالمعى وقيل بالأيدى والفعال والسعف فرجع إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم ونزل وجمع اقتتلوا حملا على المعنى لأن الطائفتين فى معنى القوم والناس وثنى فى فأصلحوا بينهما نظرا إلى اللفظ (فَإِن يَبْتَئِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى) البنى الاستعالة والظلم وإياء الصلح (فَقَاتِلُوا آلَ ابْنِ مَرْثَدَةَ حَتَّى تَفِئَءَ) أى ترجع والنفى الرجوع وقد سمي به الظل والنعمة لأن الظل يرجع بعد نسيخ الشمس والنعمة ما يرجع من أموال الكفار إلى المسلمين وحكم الفتنة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت فإذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت (إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) المذكور فى كتابه من الصلح وزوال الشعاء (فَإِن فَاءَتْ) من البنى إلى أمر الله (فَأَظَاهِرُوا يَنبَهُمَا بِالْمَدْلِ) بالإنصاف (وَأَقْسَطُوا) واعدلوا وهو أمر باستعمال القسط على طريق الموم بعد ما أمر به فى إصلاح ذات البين (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) المادلين والقسط: الجور ، والقسط: العدل ، والقيل منه أقسط وهمزته للسلب أى أزال القسط وهو الجور (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) هذا تقرير لما أومه من تولى الإصلاح

بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاسق ما إن لم يفضل الإخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت المادة على أنه إذا نسب مثل ذلك بين الأخوين ولاداً لزم السائر أن يتناهنوا في رنمه وإزاحته بالصلح بينهما بالإخوة في الدين أحق بذلك، إخوانكم بمقوب (وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أي واتقوا الله فلتنفقوا تمسككم على التواصل والائتلاف وكان عند فمكم ذلك وصول رحمة الله إليكم مرجوا والآية تدل على أن البني لا يزيل اسم الإيمان لأنه سماهم مؤمنين مع وجود البني (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّنْ قَوْمٍ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ) القوم: الرجال خاصة لأنهم التوام بأموال النساء قال الله تعالى: الرجال قوامون على النساء وهو في الأصل جمع قائم كسوم وزور في جمع قائم وذاكر واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية إذ لو كانت النساء داخلة في قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير في قوله :

وما أدرى ولست إخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء

وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والإناث فليس لفظ القوم بمتساو للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث لأنهن تابع لرجالهن وتسكرير القوم والنساء بحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وأن يقصد إفادة الشياخ وإن يصير كل جماعة منهم منبهة عن السخرية وإنما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد إعلاماً بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نساءهم على السخرية واستغفارا للشأن الذي كانوا عليه، وقوله: عسى أن يكونوا خيراً منهم، كلام مستأنف ورد مورد جواب المستخبر عن ملة النعمي وإلا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بإفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل واحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيراً من الساخر إذ لا اطلاع للناس إلا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر والذي يزن عند الله خلوص الضائر فينبغي أن لا يجترى أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذا رآه رث الحال أو ذاعاثة في بدنه أو غير لبيب في عاداته فلعله أخلص ضميراً وأتق قلباً ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى، وعن ابن مسعود رضى الله عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب غلشت أن

أحول كلباً (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) ولا تلعنوا أهل دينكم واللمز: الطعن والضرب  
باللسان ولا تلمزوا يعقوب وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فإذا طاب المؤمن المؤمن فكأنما  
طاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لأن من فعل ما استحق به اللعنة فقد لزم نفسه  
حقيقة (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) التنايز بالألقاب التداوى بها والتبازع بالسوء والتلقب  
المنع منه هو ما يتدخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذمالة فأما ما يجبه فلا بأس به  
وروى أن قوما من بني نعيم استهزؤا بيلال وخباب وعمار وصهيب فنزلت. ومن عائشة رضى  
الله عنها أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة وكانت قصيرة، وعن أنس رضى الله عنه  
هبرت لساء النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وروى أنها نزلت في ثابت بن قيس وكان  
به وقر فكانوا يوسمون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو  
يقول تفسحوا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تضح فلم يفعل فقال  
من هذا قال الرجل أنا فلان قال بل أنت ابن فلانة يريد أما كان يميز بها في الجاهلية فنجل  
الرجل فنزلت فقال ثابت لا أغر على أحد في الحسب بعدها أبدا (يُشَسَّ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ  
بِمَدِّ الْأَيْمَنِ) الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو بالزوم  
وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب  
ارتكاب هذه الجرائم أن يذكروا بالفسق وقوله بمد الإيمان استقباح للجمع بين الإيمان  
وبين الفسق الذي يحظره الإيمان كما تقول بئس الشأن بمد للكبرة الصبوة وقيل كان في  
شتائمهم لمن أسلم من اليهود يهودى يافسق فهو عنه وقيل لم بئس الذكر أن تذكروا  
الرجل بالفسق واليهودية بمد لإيمانه (وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ) مما نهى عنه (فَأُولَئِكَ هُمُ  
الظَّالِمُونَ) وحد وجمع لفظ من ومعناه (يُتَابِهَاتُ الَّذِينَ كَانُوا اجْتَنَبُوا كَثِيرًا مِّنَ  
الظَّنِّ) يقال جنبه الشر إذا أبعد عنه وحقيقته جعله في جانب فيمدى إلى مفعولين قال الله  
تعالى: واجتنبى وبني أن تبد الأسماء. ومطأوه اجتنب الشر فنقص مفعولا والأمر بإجتنابه  
بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى إلى قوله (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) قال  
الزجاج هو ظنك بأهل الخير شوا فأما أهل الفسق فلنا أن نظن فيهم مثل الذى ظهر منهم أو  
معناه اجتنابا كثيرا أو احترازا ومن الكثير ليقع التعرّض عن البعض، والإثم: الذنب الذى يستحق

صاحبه العقاب ومنه قيل لمقوته الأثام فمال منه كالنكال والمذاب (وَلَا تَجَسَّسُوا) أي لا تتبعوا  
 هورات المسلمين ومعايهم يقال تجسس الأمر إذا تطلبه وبجسسه تفعل من الجس وعن مجاهد  
 حذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وقال سهل: لا تيسقوا عن طلب ما يب ماستره الله على عباده (وَلَا  
 يَمْتَنِبْ بِمَنْعِكُمْ بَعْضًا) النبية الذكرا بالميب في ظهر الغيب وهي من الاغتيا ب كالنيلة من  
 الاغتيا وفي الحديث هو أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فهو غيبة وإلا فهو بهتان وعن ابن عباس  
 النبية إدام كلاب الناس (أَيُّهُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا) ميتا مدنى وهذا  
 تمثيل وتصور لما يناله الفتا ب من عرض الفتا ب على أخفى وجه وفيه مبالغات منها الاستفهام  
 الذى منناه التقرير ومنها جعل ما هو فى الناية من الكراهة موصولا بلعبة ومنها إسناد الفعل  
 إلى أحدكم والإشعار بأن أحدا من الأحدث لا يحب ذلك ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتيا ب  
 بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أبا ومنها أن لم يقتصر على لحم الأخ حتى جعل ميتا  
 وعن قتادة كما تكره إن وجدت حيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فأكره لحم أخيك وهو  
 حى، واتص ب ميتا على الحال من اللحم أو من أخيه ولما قرر ب بأن أحدا منهم لا يحب أكل  
 حيفة أخيه عقب ذلك بقوله (فَكَرِهْتُمُوهُ) أى فتحقق ت كراهتكم له باستقامة العقل  
 فليتحقق أن تكرهوا ما هو نظيره من النبية باستقامة الدين (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ  
 رَحِيمٌ) التواب: البليغ فى قبول التوبة، والمنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والنسب  
 على ما وجد منكم منه فإنكم إن أهيتم قبل الله توبتكم وأنتم عليكم بثواب المتقين التائبين  
 وروى أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فقام عن شأنه يوما  
 فبشاه إلى رسول الله ﷺ يبنى لها إداما وكان أسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فقال: ما عندى شىء فأخبرهما سلمان فقالا: لو بشناه إلى بئر سميحة لنا ماؤها فلما جاء إلى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما . فقالا: ماتنا ولنا  
 لحا، قال: إنكما قد اغتبا ب ومن اغتاب مسلما فقد أكل لحمه. ثم قرأ الآية، وقيل غيبة الخلق  
 إنما تكون من النبية عن الحق (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) من آدم  
 وجواء أو كل واحد منكم من أب وأم فسا منكم من أحد إلا وهو يدل بمثل ما يدلى به

الآخر سواء بسواء فلا معنى للتفاخر والتفاضل في النسب ( وَجَمَلْتُمْكُمْ شُؤْبًا وَقَبَائِلَ )  
الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والمهارة والبطن  
والفخذ والقصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع المائر والمهارة تجمع البطون والبطن  
تجمع الأغاذا والفخذ يجمع الفصائل ، خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن  
وهائم فخذ والعباس قصيلة وسميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها ( لَتَعَارَفُوا ) أى إنما  
وتبتكم على شعوب وقبائل ليعرف بمضكم نسب بعض فلا يمتزى إلى غير آياته لأن تتفاخروا  
بالآباء والأجداد وتدعوا التفاضل في الأنساب ثم بين الخصلة التي يفضل بها الإنسان غيره  
ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال ( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ ) في الحديث:  
من مره أن يكون أكرم الناس فليتق الله. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: كرم الدنيا النقي  
وكرم الآخرة التقوى. وروى أنه صلى الله عليه وسلم طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه  
ثم قال: الحمد لله الذى أذهب عنكم عبية الجاهلية وتسكبرها بإيها الناس إنما الناس رجلان  
مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله. ثم قرأ الآية، وعن يزيد بن شجرة مر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشتراى فلى شرط أن  
لا يئتمنى من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشترأ بعضهم فرض  
ضماده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفى فحضر دفنه فقالوا في ذلك شيئا فنزلت ( إِنَّ اللَّهَ  
عَلِيمٌ ) كرم القلوب وهواها ( خَبِيرٌ ) بهم النفوس في هواها ( قَالَتِ الْأَعْرَابُ ) أى بعض  
الأعراب لأن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر وهم أعراب بنى أسد قدموا المدينة في  
سفة جديبة فأظهروا الشهادة يريدون الصدقة ويمنون عليه ( ءَامِنًا ) أى ظاهرا وباطنا ( قُلْ )  
لهم يا محمد ( لَمْ تُوَمِّتُوا ) لم تمعدوا بقلوبكم ( وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ) فلا إيمان هو التصديق  
والإسلام الدخول في السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين بإظهار الشهادتين ألا ترى  
إلى قوله ( وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ ) فاعلم أن ما يكون من الإقرار باللسان من  
غير مواطاة القلب فهو إسلام وما واطأ فيه القلب للسان فهو إيمان وهذا من حيث اللغة  
وأما في الشرع فالإيمان والإسلام واحد لما عرف، وفي لما معنى التوقيع وهو دال على أن بعض

هؤلاء قد آمنوا فيما بعد والآية تنقض على الكرامية مذهبهم أن الإيمان لا يكون بالقلب  
ونكن باللسان، فإن قلت مقتضى نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا  
أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم قلت أفاد هذا النظم تكذيب دعوائهم أولا فقبل قل لم تؤمنوا  
مع أدب حسن فلم يقل كذبت تصريحاً ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفى مادعوا لإثباته موضعه  
«استغنى بقوله لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه  
انتهى عن القول بالإيمان ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجاً مخرجاً عنهم والدعوى كما كان  
قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير مستد به  
وليس قوله ولما يدخل الإيمان في قلوبكم تكريراً لمعنى قوله لم تؤمنوا فإن فائدة قوله لم تؤمنوا  
تكذيب لدعوائهم وقوله ولما يدخل الإيمان في قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم  
ولكن قولوا أسلمنا حين لم تجت مواطأة قلوبكم لأستحكم لأنه كلام واقع موقع الحال من  
الضبط في قولوا (وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) في السريترك النفاق (لَا يَلْتَكُمُ) لا يأتكم  
بصرى (مَنْ أَعْمَلَكُمْ شَيْئًا) أى لا يفتقكم من ثواب حسناتكم شيئاً ألت يأت والأت  
يلت ولات يليت بمعنى وهو النقص (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) بستر الذنوب (رَحِيمٌ) يهديهم  
فتوبة عن السيئ ثم وصف المؤمنين المخلصين فقال (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ  
وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة والمعنى أنهم  
آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لما صدقوه ولما كان الإيقان وزوال  
الريب ملك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيها على مكانه وعطف على الإيمان بكلمة  
الترخي إشعاراً باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة فعنا جديداً (وَجَعَلُوا يَأْمُرُ بِالْعَمْرِ  
وَالنَّهْيِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) يجوز أن يكون المجاهد منوهاً وهو العدو المحارب أو الشيطان أو  
الهدى وأن يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس النزو وأن يتناول  
المبادئ بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو منيع عثمان في جيش العسرة وأن يتناول الزكاة وكل  
ما يتعلق بالمال من أعمال البر وخبر المبتدأ الذي هو المؤمنون (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) أى  
الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد أو هم الذين إيمانهم إيمان  
صديق وحق وقوله الذين آمنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الآية جاءوا وحلفوا أنهم غلصون



«وضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكافر العظيم  
وهذا إشارة إلى الرجوع وإذا منصوب بمضمر معناه أحيان غوت ونيل ترجع. رمتنا نافع وعلى  
وحجرة وحفص (ذَلِكَ رَجَعُ بَعِيدٌ) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد أى بعيد من  
الهم والمادة ويجوز أن يكون الرجوع بمعنى الرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى  
استبعاداً للإنكار ما أنذروا به من البعث والوقف على ترابا على هذا حسن وناسب الظرف  
إذا كان الرجوع بمعنى الرجوع مادل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ  
الْأَرْضُ مِنْهُمْ) رد لاستبعاد الرجوع لأن من لطف علمه حتى علم ما تنقص الأرض من  
أحساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادراً على رجيمهم أحياء كما كانوا (وَعِنْدَنَا  
كِتَابٌ حَفِيفٌ) محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه  
وكتب فيه (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ) إضراب أتبع الإضراب الأول للدلالة على  
أنهم جاءوا بما هو أظفر من تمجيهم وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة الثابتة بالمعجزات  
فى أول وهلة من غير تفكير ولا تدبر (فَهُمْ فِي أَمْرٍ مُّبِينٍ) مضطرب يقال مرج الخاتم  
فى الإصبع إذا اضطرب من سمته فيقولون تارة شاعر وطورا ساحر ومرة كاهن لا يشترون  
على شئ واحد وقيل الحق القرآن وقيل الإخبار بالبعث ثم دلهم على قدرته على البعث فقال  
(فَلَمْ يَنْظُرُوا) حين كفروا بالبعث (إِلَى السَّمَاءِ فَوَاقَهُمُ) إلى آثار قدرة الله تعالى فى  
خلق العالم (كَيْفَ بَنَيْنَاهَا) رفناها بغير عمد (وَوَزَّيْنَاهَا) بالنيرات (وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ)  
من فتوق وشقوق أى أنها سليمة من العيوب لا فتى فيها ولا صدع ولا خلل (وَالْأَرْضَ  
مَدَدْنَاهَا) دحناها (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالاً ثوابت لولا هى لالت (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ  
كُلِّ زَوْجٍ) صنف (يُهِيجُ) يتهيج به لحسنه (تَبْصِرَةٌ وَتُكْرِى) لتبصر به وتذكر  
(لِكُلِّ عَبْدٍ مُّشِيرٌ) راجع إلى ربه مفكر فى بدائع خلقه (وَوَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
مُّبَارَكًا) كثير النافع (فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ) أى وحب الزرع الذى من  
شأنه أن يمحصد كالخطة والشعير وغيرها (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) طوالا فى السماء (لَهَا طَلْعٌ)  
هو كل ما يطلع من غير النخيل (نَضِيدٌ) منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع وتراكبه أو  
لثقله ما فيه من الثمر (رِزْقًا لِّلْمَيَادِ) أى أنبتناها رزقاً للبلاد لأن الإنبات فى معنى الرزق



فَيَكُونُ رِزْقًا مُصَدَّرًا مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ أَوْ هُوَ مَفْعُولٌ لَهُ أَيْ أَتَيْنَاهَا لِرِزْقِهِمْ (وَأَحْيَيْنَا بِهِ) بِذَلِكَ  
 لِقَاءَهُ (بِلَذَّةٍ مَيِّتًا) قَدْ جُفِغَ نَبَاتُهَا (كَذَلِكَ الْخُرُوجُ) أَيْ كَمَا حَيَّتْ هَذِهِ الْبِلَادُ الْمَيِّتَةَ كَذَلِكَ  
 تَخْرُجُونَ أَحْيَاءَ بَعْدَ مَوْتِكُمْ لِأَنَّ إِحْيَاءَ الْمَوَاتِ كإِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ وَالْكَافِ فِي عَمَلِ الرَّفْعِ عَلَى  
 الْإِبْتِدَاءِ (كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ) قَبْلَ قُرَيْشٍ (قَوْمُ نُوحٍ وَأَمْحَبُّ الرِّسْمِ) هُوَ بَرٌّ لَمْ تَطْعَمْ  
 وَمَقُومٌ بِالْحِمَامَةِ وَقِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ (وَتَمُودُ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ) أَرَادَ بِفِرْعَوْنَ قَوْمَهُ كَقَوْلِهِ  
 مِنْ فِرْعَوْنَ وَمِنْهُمْ لِأَنَّ الْمَعْلُوفَ عَلَيْهِ قَوْمُ نُوحٍ وَالْمَعْلُوفَاتُ جَمَاعَاتُ (وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ  
 الْأَيْكَةِ) سَامٌ إِخْوَانُهُ لِأَنَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ نَسَبًا قَرِيبًا (وَقَوْمُ يُسُفٍ) هُوَ مَلِكٌ بِالْمِثْنِ أَسْلَمَ  
 وَدَعَا قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَكَذَّبُوهُ وَسَمَّى بِهِ لِكثْرَةِ تَبِعِهِ (كُلُّ) أَيْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ (كَذَبَ  
 الرُّسُلَ) لِأَنَّ مِنْ كَذِبِ رَسُولٍ وَاحِدًا قَدْ كَذَبَ جَمِيعَهُمْ (فَحَقَّ وَعِيدُ) فُوجِبَ وَحَلَّ  
 وَعَبْدِي فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَهْدِيدٌ لَهُمْ (أَقْمِينَا) عَيَّ بِالْأَمْرِ إِذَا لَمْ يَهْتَدِ لَوْحُهُ  
 مَعَهُ وَالْمُزْمَرَةُ لِلْإِنْكَارِ (بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) أَيْ أَنَا لَمْ نَعْمَرْ عَنْ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ فَكَيْفَ نَعْمَرْ  
 مِنْ الثَّانِي وَالاعْتِرَافُ بِذَلِكَ اعْتِرَافٌ بِالْإِعَادَةِ (بَلْ هُمْ فِي كَيْبٍ) فِي خَلْطٍ وَشِبْهَةٍ قَدْ لَبَسَ  
 عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ وَحَبَّرَهُمْ وَذَلِكَ تَسْوِيطُهُ إِلَيْهِمْ أَنَّ إِحْيَاءَ الْمَوْتِ أَمْرٌ خَارِجٌ عَنِ الْمَادَّةِ فَتَرَكُوا  
 قَدْرَهُ الْإِسْتِدْلَالَ الصَّحِيحَ وَهُوَ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْإِنْشَاءِ كَانَ عَلَى الْإِعَادَةِ أَقْدَرُ (مَنْ خَلَقَ  
 جَدِيدَ) بَعْدَ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا نَكَّرَ الْخَلْقَ الْجَدِيدَ لِيُذِلَّ عَلَى عَظَمَةِ شَأْنِهِ وَأَنَّ حَقَّ مَنْ سَمِعَ بِهِ أَنَّ  
 يُخَافُ وَيَهْتَمُّ بِهِ (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُمْ مَا تَوْسَوْسُ بِهِ نَفْسُهُ) الْوَسْوَسَةُ الصَّوْتُ  
 الْخَفِيُّ وَوَسْوَسَةُ النَّفْسِ مَا يَخْطُرُ بِيَالِ الْإِنْسَانِ وَيَهْجِسُ فِي ضَمِيرِهِ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَالْبَاهِ  
 مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ صَوْتٌ كَذَا (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ) الْمُرَادُ قَرَبُ عِلْمِهِ مِنْهُ (مِنْ حَيْثُ الزُّرْيَدِ)  
 هُوَ مِثْلُ فِي فِرَاطِ الْقَرَبِ وَالزُّرْيَدِ عَرَقٌ فِي بَاطِنِ الْمَتْنِ وَالْحَبْلُ الرِّقُّ وَالْإِضَافَةُ لِلْبَيَانِ كَقَوْلِهِمْ  
 بِمِيسَانِيَةِ (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَعَلِّقَانِ) يَعْنِي الْمَلَكَيْنِ الْحَافِظَيْنِ (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَبِيدٌ)  
 التَّلَقَّى التَّلَقُّنُ بِالْحِفْظِ وَالْكِتَابَةِ وَالْقَبِيدُ الْقَاعِدُ كَالْجَلِيسِ بِمَعْنَى الْمَجَالِسِ وَتَقْدِيرُهُ عَنِ الْيَمِينِ قَبِيدٌ  
 وَمِنْ الشَّمَالِ قَبِيدٌ مِنَ الْمُتَلَقِّينَ فَتَرَكْ أَحَدَهَا لِدَلَالَةِ الثَّانِي عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى بريثا ومن أجل الطوى رمانى

أى رمانى بأمر كنت منه بريثا وكان والدى منه بريثا وإذ منصوب بأقرب لافيه من معنى يقرب والمعنى إنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس ولا شيء أخفى منه وهو أقرب من الإنسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به إبنانا بأن استحفاظ المسكين أمر هو غنى عنه وكيف لا يستغنى عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وإنما ذلك لحكمة وهو ما فى كسبة المسكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم القيامة من زيادة لطف له فى الانتهاء عن السيئات والرغبة فى الحسنات ( مَا بَلِّغْهُ مِنْ قَوْلٍ ) ما يتكلم به وما يرى به من فيه ( إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ ) حافظ ( عَتِيدٌ ) حاضر ثم قيل يكتبان كل شئ حتى أنبئه فى مرضه وقيل لا يكتبان إلا ما فيه أجر أو وزر وقيل إن المسكين لا يجتنبه إلا عند الفائط والجماع. لما ذكر إنكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه أعلمهم أن ما أنكروهم لا قوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضى وهو قوله ( وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ) أى شدته الداهية بالمقل ملتبسة ( بِالْحَقِّ ) أى بحقيقة الأمر أو بالحكمة ( ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ ) الإشارة إلى الموت والخطاب للإنسان فى قوله ولقد خلقنا الإنسان على طريق الالتفات ( تَجِيدُ ) تنفر ونهرب ( وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ) معنى نفخة البعث ( ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ) أى وقت ذلك يوم الوعيد على حذف المضاف والإشارة إلى مصدر نفخ ( وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ) أى مسكان أحدهما يسوقه إلى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله وعمل معها سائق النصب على الحال من كل لترفه بالإضافة إلى ما هو فى حكم المعرفة ( لَقَدْ كُنْتَ ) أى يقال لما قد كنت ( فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ) النازل بك اليوم ( فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ ) أى فأزلنا غفلتك بما تشاهده ( فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ) جعلت النفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه النفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الإبصار لغفلته حديثا لتيقظه ( وَقَالَ قَرِينُهُ ) الجمهور على أنه الملك الكاتب الشهيد عليه ( هَذَا ) أى ديوان عمله، مجاهد: شيطانه الذى قبض له فى قوله تقيض له شيطانا فهو له قرين. هذا أى الذى وكلت به ( مَا لَدَىَّ

هَيِّدُ) هذا مبتدأ وما نسكرة بمعنى شيء والظرف بعده وصف له وكذلك هتيد وما وصفها خبر هذا والتقدير هذا شيء ثابت لدى هتيد ثم يقول الله تعالى (أَلْقِيَا) والخطاب للساكن والشهيد أولئك وكان الأصل انى أنى فتاب ألقيا من انى أنى لأن للفاعل كالجزء من الفعل فكانت تثنية الفاعل نائمة عن تكرار الفعل وقيل أصله ألقين والألف بدل من النون إجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن ألقين (فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ) بالنم والنعم (هَيِّدُ) معاند بجانب للحق معاد لأهله (مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ) كثير المنع للمال عن حقوقه أو مناع لجنس الخير أن يصل إلى أهله (مُتَتَدٍ) ظالم متخطط للحق (مُرِيدٍ) شاك في الله وفي دينه (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره (فَالْقِيَاءُ فِي الْمَذَابِ الشَّدِيدِ) أو بدل من كل كفار وقاليقاء تكرير للتوكيد ولا يجوز أن يكون صفة لكفار لأن النكرة لا توصف بالوصول (قَالَ قَرِينُهُ) أى شيطانه الذى قرن به وهو شاهد لمجاهد وإنما أخليت هذه الجملة عن الواو دون الأولى لأن الأولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أى مجيء كل نفس مع المسلمين وقول قرينه ما قال له وأما هذه فهي مستأنفة كاستأنف الجمل الواقعة في حكاية التناقل كما في مقابلة موسى وفرعون فكان الكافر قال رب هو أظننى فقال قرينه (رَبَّنَا مَا أَطْنَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) أى ما أوقته في الطنيان ولكنه طنى واختار الضلالة على الهدى (قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا) هو استئناف مثل قسوه تعالى قال قرينه كأن قائلا قال فإذا قال الله قليل قال لا تختصموا (لَدَىٰ) وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ) أى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصاصكم ولا طائل نتمته وقد أوعدكم بنيران على الطنيان في كتيبى وعلى السنة رسل فما زكت لكم حجة على والباء في الوعيد مزيدة كما في قوله ولا تلقوا بأيديكم أو معدية على أن قدم مطاوع بمعنى قدم (مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ) أى لا تطعموا أن أبدل قول ووعيدى يادخل الكفار في النار (وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْحَيِّدِ) فلا أظلم عبدا بنير ذنب وقال بظلام على لفظ المبانة لأنه من قولك هو ظالم لمبده وظلام لمبيده (يَوْمَ) نصب بظلام أو بمضمر هو اذكر وأند (قَوْلُ) نافع وأبو بكر أى يقول الله (لِيَجْهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ قَوْلُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ) وهو مصدر كالجيد أى أنها تقول بمد امتلاؤها هل من مزيد أى هل

بقي في موضع لم يحتل: يعني قد امتلأت أو أنها تستزيد وفيها موضع المزيد وهذا على تحقيق القول من جهته وهو غير مستنكر كإنطاق الجوارح والسؤال لتوبيخ الكفرة لعلهم تعالى بأنها امتلأت أم لا (وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّعِينَ غَيْرَ يَمِينٍ) غير نصب على الظرف أى مكانا غير بعيد أو على الحال وتذكيره لأنه على زنة المصدر كالسليل والصادر يستوى في الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف أى شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل (هَذَا) مبتدأ وهو إشارة إلى الثواب أو إلى مصدر أزلفت (مَا تَوْعَدُونَ) سفته وبإيلاء مكي (لِكُلِّ أَوَابٍ) رجاء إلى ذكر الله خبره (حَفِظَ) حافظ لحدوده جاء في الحديث من حافظ على أربع ركعات في أول النهار كان أوابا حفيظا (مَنْ) مجرور المحل بدل من أواب أو رفع بالابتداء وخبره ادخلوها على تقدير يقال لهم ادخلوها بسلام لأن من في معنى الجمع (خَشِيَ الرَّحْمَنَ) الخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة وقرن بالخشية اسمه للدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كإثني عليه بأنه غاش مع أن الخشي منه غالب (بِالنَّيِّبِ) حال من المفعول أى خشيه وهو غالب أوصفة لمصدر خشى أى خشيه خشية ملتبسة بالنيب حيث خشى عقابه وهو غالب الحسن: إذا أغلق الباب وأرخى الستر (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) راجع إلى الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ) أى سالمين من زوال النعم وحلول النقم (ذَلِكَ يَوْمُ الْخُُودِ) أى يوم تقدير المخلود كقوله فادخلوها خالدين أى مقدرين المخلود (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) على ما يشتهون والجمهور على أنه رؤية الله تعالى بلا كيف (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ) قبل قومك (مَنْ قَرْنٍ) من القرون الذين كذبوا رسلكم (هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ) من قومك (بَطْشًا) قوة وسطوة (فَنَقَّبُوا) نفروا (فِي الْبَلَدِ) وطافوا والتفتيح التنقيب عن الأمر والبحث والطلب ودخلت الفاء للتسبب عن قوله هم أشد منهم بطشا أى شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محبسا حتى يؤملوا مثله لأنفسهم ويدل عليه قراءة من قرأ فنقبوا على الأمر (هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ) مهرب من الله أو من الموت (إِنْ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَذِكْرٌ لَّيْ) تذكرة وموعظة (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) واع لأن من لا يمي قلبه فسكانه

لا قلب له (أَوْ أَقْبَى السَّمْعِ) أَسْنَى إِلَى الْوَاعِظِ (وَهُوَ شَهِيدٌ) حَاضِرٌ بِفَطْنَتِهِ لِأَنَّهُ لَا يَحْضُرُ ذَهْنُهُ فَكُنْهُ غَائِبٌ (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّا مِنْ ثُلُوبٍ) إِيَّاهُ، قِيلَ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ - لَعْنَتُ - تَكْذِيبُ قَوْلِهِمْ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ أَوَّلَهَا الْأَحَدُ وَآخِرُهَا الْجُمُعَةُ وَاسْتَرَجَ يَوْمَ السَّبْتِ وَاسْتَلْقَى عَلَى الرَّعْشِ وَقَالُوا إِنَّ الْقِيَامَةَ وَقَعَ مِنَ التَّشْبِيهِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِنَّمَا وَقَعَ مِنَ الْيَهُودِ وَمِنْهُمْ أَخَذَ وَأَنْكَرَ الْيَهُودَ الْقُرْبِيحَ فِي الْجُلُوسِ وَزَعَمُوا أَنَّهُ جَلَسَ تِلْكَ الْجُلُوسَةَ يَوْمَ السَّبْتِ (فَأَمْسِيرُ قَلْبِي مَا يَقُولُونَ) أَيْ عَلَى مَا يَقُولُ الْيَهُودَ وَيَأْتُونَ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّشْبِيهِ أَوْ عَلَى مَا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ فِي أَمْرِ الْبَعْثِ فَإِنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِ الْعَالَمِ قَدَرَ عَلَى بَعْثِهِمُ وَالْإِنْتِقَامِ مِنْهُ (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) حَامِدًا رَيْكَ وَالتَّسْبِيحُ مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ أَوْ عَلَى الصَّلَاةِ فَالصَّلَاةُ (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) الْفَجْرِ (وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) الظُّهْرِ وَالْمَصْرِ (وَمِنَ اللَّيْلِ قَسْبَعَهُ) الْمَشَاءُ أَوِ التَّهَجُّدُ (وَأَذْبَرَ الشُّجُودَ) التَّسْبِيحَ فِي آثَارِ الصَّلَوَاتِ وَالسُّجُودِ وَالرُّكُوعِ بِعَبْرٍ بِيهَا مِنَ الصَّلَاةِ وَقِيلَ النَّوَافِلُ بِمَدَالِ الْكِتَابَاتِ أَوْ الْوُتْرِ بَعْدَ الْمَشَاءِ وَالْأَذْيَارِ جَمْعُ دَبْرٍ، وَإِدْبَارُ حِجَازِي وَهَجْزَةٌ وَخَلْفٌ مِنْ أَدْبَرَتِ الصَّلَاةُ إِذَا انْهَضْتَ وَتَمَّتْ وَمِنَاذَرَتْ أَهْلَ الصَّلَاةِ السُّجُودَ كَقَوْلِهِمْ آتِيكَ خَفُوقَ النِّجَمِ (وَأَسْتَمِعْ) لِمَا أَخْبَرَكَ بِهِ مِنْ حَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَفِي ذَلِكَ تَهْوِيلٌ وَتَعْظِيمٌ لِشَأْنِ الْخَبَرِ بِهِ وَقَدْ وَقَفَ يَقُوبُ عَلَيْهِ وَاتَّصَبَ (يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادُ) بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ أَيْ يَوْمَ يَنَادِي النَّادِي بِمُخْرَجِينَ مِنَ الْقُبُورِ وَقِيلَ تَقْدِيرُهُ وَاسْتَمَعَ حَدِيثَ يَوْمَ يَنَادِي النَّادِي. النَّادِي بِالْيَأَى فِي الْحَالَيْنِ مَكِّي وَسَهْلٌ وَيَقُوبُ رَفِي الْوَصْلِ مَدَنِي وَأَبُو عَمْرٍو، وَغَيْرُهُمْ يَنْبِرُ بَاءً فِيهِمَا وَالنَّادِي إِسْرَافِيلُ يَنْفِخُ فِي الصُّورِ وَيَنَادِي أَتَيْتُهَا الْعِظَامَ الْبَالِيَةَ وَالْأَوْسَالَ الْمُتَقَطِّعَةَ وَالْعُيُومَ الْمُتَمَرِّقَةَ وَالشُّعُورَ الْمُتَفَرِّقَةَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ يَجْتَمِعَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ وَقِيلَ إِسْرَافِيلُ يَنْفِخُ وَجَبْرِيلُ يَنَادِي بِالْحَشْرِ (مِنْ مَسْكَنِ قَرِيبٍ) مِنْ مَسْجِدِ بَيْتِ الْقُدْسِ وَهِيَ أَقْرَبُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ بِأَثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا وَهِيَ وَسْطُ الْأَرْضِ (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ) بِدَلٍّ مِنْ يَوْمٍ يَنَادِي. الصَّيْحَةُ النِّفْخَةُ الثَّانِيَةُ (بِالْحَقِّ) مُتَعَلِّقَةٌ بِالصَّيْحَةِ وَالْمُرَادُ بِهِ الْبَعْثُ وَالْحَشْرُ لِلْجِزَاءِ (ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) مِنَ الْقُبُورِ (إِنَّا نَخْرُجُ نَحْيَ) الْخَلْقِ (وَنُيْمَتُ) أَيْ نَعِيمَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا (وَالْإِنَّا الْمَصِيرُ) أَيْ مَصِيرُهُمْ (يَوْمَ تَشْفَقُ) خَافِيفٌ كَوْنِي وَأَبُو عَمْرٍو وَغَيْرُهُمْ بِالتَّشْدِيدِ (الْأَرْضُ عَنْهُمْ) أَيْ تَصْدَعُ الْأَرْضُ فَتُخْرِجُ

«لَوْ أَنَّ مِنْ صَدُوعِهَا (سِرَاحًا) حَالٌ مِنَ الْمَجْرُورِ أَيْ مَسْرُوعِينَ (ذَلِكَ حَفَرٌ عَلَيْكَ يَسِيرٌ) هِينٌ وَتَقْدِيمُ الْغَرْفِ يَدُلُّ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ أَيْ لَا يَتَسَرَّعُ مِثْلُ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ إِلَّا عَلَى الْقَادِرِ الَّذِي لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) فَيْكُ وَفِينَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ وَتَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) كَقَوْلِهِ بِمَسْطَرٍ أَيْ مَا أَنْتَ بِمَسْلُطٍ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا أَنْتَ دَاعٍ وَبَاعِثٌ وَقِيلَ هُوَ مِنْ جَبَرَهُ عَلَى الْأَمْرِ بِمَعْنَى أَجْبَرَهُ أَيْ مَا أَنْتَ بِوَالٍ عَلَيْهِمْ تَجْبِرُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ إِنَّ مِنْ يَخَافُ وَعِيدِ) كَقَوْلِهِ: إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِنْ مَخْشَاهَا. لِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

### ﴿سورة الناريات مكية وهي ستون آية﴾

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَالَّذِي رَيْبُ مِنَ الرِّيحِ لَأَنهَا تَنْفُو التُّرَابَ وَغَيْرَهُ وَبَادِغَامِ النَّاءِ فِي النَّالِ حِمَزةً وَأَبُو هُرَيْرٍ (ذَرَوْا) مصدر والمامل فيه اسم الفاعل (فَالْحَمَلِيتِ) السحاب لأنها تحمل المطر (وَفَرًّا) مفعول الحاملات (فَالْجَبَرِيتِ) الفلك (يُسْرًا) جريًا إذا يسر أي ذاهبًا سهولة (فَالْمَقْسَمِيتِ) أُمْرًا (الْمَلَائِكَةُ) لأنها تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك أو تتولى تقسيم أمر العباد فجبريل للنفلة وميكائيل للرحمة وملاك الموت لقبض الأرواح وإسرافيل للنفخ ويجوز أن يراد الرياح لا غير لأنها تنفث السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجوّ جريًا سهلًا وتقسم الأمطار بتصرف السحاب ومعنى الفاء على الأول أنه أقسم بالرياح فبالسحاب التي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الأرزاق ياذن الله من الأمطار وتجارات البحر ومنافعها وعلى الثاني أنها تبتدىء في المهبوب فتندرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجوّ بأسطة له فتقسم المطر (إِنَّمَا نُوَدُّوْنَ) جواب القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث (لَصَادِقٌ) وعد صادق كمشقة راضية أي ذات رضا (وَإِنَّ الدِّينَ) الجزاء على الأعمال (لَوْاقِعٌ) لساكن (وَالسَّمَاءُ) هذا قسم آخر (ذَاتِ الْحُبُكِ) الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الرياح وكذلك حبك الشمر آثار تنبيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق ويقال إن خلقه السماء

كذلك وعن الحسن حبكها نجومها جمع جاك ( إِنْكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ) أى قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفى القرآن ساحر وشمر وأساطير الأولين ( يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ) الضمير للقرآن أو الرسول أى يصرف عنه من صرف، الصرف الذى لا صرف أشد منه وأعظم أو يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله أى علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرمى ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين، أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم فى قول مختلف فى وقوعه ففهم شك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو مأفوك ( قُتِلَ ) لمن وأسله الدماء بالقتل والملاكة ثم جرى مجرى لمن ( الْفَرَّسُونَ ) الكذابون المقذرون ما لا يصح وهم أصحاب القول المختلف واللام إشارة إليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراسون ( الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ ) فى جهل يضرهم ( سَاهُونَ ) غافلون مما أمروا به ( يَسْتَكْبِرُونَ ) فيقولون ( أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ) أى متى يوم الجزاء وتقديره أيان وقوع يوم الدين لأنه إنما تقع الأحيان ظروفا للعدنان واتصّب اليوم الواقع فى الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال أى يقع ( يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ) ويجوز أن يكون مفتوحا لإضافته إلى غير متمكن وهو الجحيم وعمله نصب بالضمير الذى هو وقع أو رفع على هو يوم هم على النار يفتنون يحرقون ويمذبون ( ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ) أى تقول لهم خوفة النار ذوقوا عذابكم وإحراقكم بالنار ( هَذَا ) مبتدأ خبره ( الَّذِي ) أى هذا العذاب هو الذى ( كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ) فى الدنيا بقولكم فأتينا بما تمدنا ثم ذكر حال المؤمنين فقال ( إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ) أى وتكون العيون وهى الأنهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لا أنهم فيها ( اخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُنَّ ) قائلن لكل ما أعلم من الثواب راضين به وآخذين حال من الضمير فى الظرف وهو خبر إيان ( إِنَّهُمْ ) كانوا قبلا ( ذَلِكَ ) قبل دخول الجنة فى الدنيا ( عُمَحَّرِينَ ) قد أحسنوا أعمالهم وتفسير إحسانهم ما بهمه ( كَانُوا أَقْلِيَالًا مِّنَ اللَّيْلِ ) ينامون وما مزيدة للتوكيد ويهجمون خبر كان والمعنى كانوا يهجمون فى طائفة قليلة من الليل أو مصدرية والتقدير كانوا قليلا من الليل هجوعهم فيرتفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو فى كانوا لا قليلا لأنه سار موسوفا بقوله من الليل

خرج من شبه القمل وعمله باعتبار المشابهة أى كان مجموعهم قليلا من الليل ولا يجوز أن تكون ما نافية على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما غريت (وَيَا لَشَحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) وصفهم بأنهم يحبون الليل متبعدين فإذا أسعروا أخذوا في الاستغفار كأنهم أسلفوا في ليهم الجرائم، والسحر السدس الأخير من الليل (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ) لمن يسأل لحاجته (وَالْمَحْرُومِ) أى الذى يتعرض ولا يسأل حياء (وَفِي الْأَرْضِ رِزْقًا) تدل على الصانع وقدرته وحكمته ونديده حيث هى مدحوة كالسباط لما فوقها وفيها المسالك والنفاج للمتقلين فيها وهى مجزأة فمن سهل ومن جبل وصلبة ورخوة وعذاة وسبخة وفيها عيون متفجرة ومادن مفننة ودواب منبثة مختلفة الصور والأشكال متباينة الهيئات والأفعال (لِّلْمُؤْمِنِينَ) للموحدين الذين سلكوا الطريق السوى البرهاني الموصول إلى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا إيقانا على إيقانهم (وَفِي أَنْفُسِكُمْ) فى حال ابتدائها ونقلها من حال إلى حال وفى بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتعجب فيه الأذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من المقول والألسن والنطق ومخارج الحروف وما فى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبيئات القاطمة على حكمة مدبرها وصانها دع الأسماح والأبصار والأطراف وسائر الجوارح وتأيتها لما خلقت له وما سوى فى الأعضاء من التفاصيل للانمطاف والتفتى فإنه إذا جسا منها شيء جاء العجز وإذا استرخى أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين وما قيل إن التقدير أفلا تبصرون فى أنفسكم ضعيف لأنه يفضى إلى تقديم ما فى حيز الاستفهام على حرف الاستفهام (أَفَلَا تَبْصِرُونَ) تنظرون نظر من يمتد (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ) أى المطر لأنه سبب الأقوات ، وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بمخطاياكم (وَمَا تَوْعَدُونَ) الجنة فهى على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ما ترزقونه فى الدنيا وما توعدونه فى المقبي كله مقدور مكتوب فى السماء (فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ) الضمير يعود إلى الرزق أو إلى ما توعدون (مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ) بالرفع كوفى غير حفص صفة



فحق أى حق مثل نطقكم، وغيرم بالنصب أى انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لإضافته إلى غير متمكن وما مزيدة وعن الأسمى أنه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابى على قوم فقال : من الرجل؟ قلت : من بنى أصم قال من أين أقبلت؟ قلت : من موضع يتلى فيه كلام الله ، قال : اتلو علىّ فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد وطفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بى بصوت رقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابى قد نحل واصفر فسلم علىّ واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فوروب السماء والأرض إنه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى حلف قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه ( هلْ أَتَيْتُكَ ) فخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله ﷺ وإنما عرفه بالوحى وانتظامها بما قبلها باعتبار أنه قال وفى الأرض آيات وقال فى آخر هذه القصة وتركنا فيها آية ( حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ) الضيف للواحد والجماعة كالصوم والزور لأنه فى الأصل مصدر ضافه وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عشرم جبريل وجملهم ضيفا لأنهم كانوا فى سورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم أو لأنهم كانوا فى حساباه كذلك ( الْمُكْرِمِينَ ) عند الله لقوله بل عباد مكرمون وقيل لأنه خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى ( إِذْ دَخَلُوا عَلَيْ ) نصب بالمكرمين إذا فسر يا كرام إبراهيم لهم وإلا فيضاد ذكر ( فَقَالُوا سَلَامًا ) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما ( قَالَ سَلَامٌ ) أى عليكم سلام فهو مرفوع على الابتداء وخبره مخذوف والمندول إلى الرفع للدلالة على إتيان السلام كأنه قصد أن يحبيهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله وهذا أيضا من إكرامه لهم. حمزة وعلى : سلم والسلام السلام ( قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ ) أى أنتم قوم منكرون فمرفوفى من أنتم ( فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ ) فذهب إليهم فى خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفى أمره وأن يبادر بالقرى من غير أن يشمر به الضيف خذرا من أن يكفه وكان عامة مال إبراهيم عليه السلام البقر ( فَجَاءَ بِمِجْلٍ سَبِينٍ قَرَبَهُ لِيُؤْتِيَهُمْ ) لِيَأْكُلُوا

معه فلم يأكلوا ( قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ) أنكر عليهم ترك الأكل أو حثهم عليه ( فَأَوْجَسَ )  
 خاضع ( مِنْهُمْ خِيفَةً ) خوفا لأن من لم يأكل طعامك لم يحفظ ذمامك من ابن عباس رضى  
 الله عنهما وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للذئاب ( قَالُوا لَا تَخَفْ ) إنا رسل الله وقيل  
 مسح جبريل المجل مقام ولحق بأمه ( وَبَشَّرُوهُ بِفَلَمٍ عَلَيْهِم ) أى يبلغ ويعلم والمبشر به  
 إسحق عند الجمهور ( فَأَقْبَلَتْ أُمُّهُ فِي صَرَّةٍ ) في صيحة من صرا القلم والباب، قال الزجاج:  
 الصرة شدة الصباح وهنا ومحل النصب على الحال أى فجاءت صارة وقيل فأخذت في صباح  
 وصرتها قولها يا ويلتا ( فَمَسَكَتْ وَجْهَهَا ) فلطمت ييسط يديها وقيل فضربت بأطراف  
 أصابعها جبهتها فللتمتعج ( وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ) أى أنا عجوز فكيف ألد كما قال  
 في موضع آخر ألفوا ناعجوز وهذا بل شيخا ( قَالُوا كَذَّابٌ لَيْسَ ) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا  
 به ( قَالَ رَبُّكَ ) أى إنما نخبرك عن الله تعالى والله قادر على ما تستبدين ( إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ )  
 فى فعله ( الْعَلِيمُ ) فلا يخفى عليه شيء وروى أن جبريل قال لها حين استبذنت انظرى إلى  
 سقف بيتك فظفرت فإذا جذوعه موروقة مثمرة ولما علم أنهم ملائكة وأنهم لا يزلون إلا  
 بأمر الله رسلا فى بعض الأمور ( قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ ) أى ما شأنكم وما طلبتكم وفيه  
 أرسلتم ( أُنَبِّئُ الْمُرْسَلِينَ ) أرسلتم بالبشارة خاصة أو لأمر آخر أولهما ( قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا  
 إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ) أى قوم لوط ( لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّن طِينٍ ) أريد السجيل  
 وهو طين طبع كما يطبخ الآجر حتى صار فى صلابة الحجارة ( مُسَوَّمَةً ) معلقة من السومة  
 وهى العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به ( عِنْدَ رَبِّكَ ) فى ملكه وسلطانه  
 ( لِلْمُزْنَرِينَ ) سمام مسرفين كما سمام عادين لإسرافهم وعدوانهم فى عملهم حيث لم يقتنعوا  
 بما أيسح لهم ( فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا ) فى القرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة ( مِّنَ  
 الْمُؤْمِنِينَ ) يعنى لوطا ومن آمن به ( فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَشَرٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ) أى غير أهل  
 بيت وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد لأن الملائكة عموم مؤمنين ومسلمين هنا  
 ( وَتَرَكْنَا فِيهَا ) فى قوام ( عَايَةَ الَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ) علامة يمتثل بها  
 الخائفون دون القاسية قلوبهم قبل هى ماء أسود متدن ( وَفِي مَوْئِدٍ ) مطوف على وفى

الأرض آيات أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله \* علفتها تينا وماء باردا \* (إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) بحجة ظاهرة وهي اليد والمعصا (فَتَوَكَّلْ) فأعرض عن الإيمان (يُرْكَبُ) بما كان يتقوى به من جنوده وملوكه والركن ما يركن إليه الإنسان من مال وجند (وَقَالَ سَاحِرٌ أَيْ هُوَ سَاحِرٌ) أَوْ يَجْنُونَ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ) آت بما يلام عليه من كفره وعناده وإنما وصف يونس عليه السلام به في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم لأن موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة والذلة كذلك والجملة مع الراو حال من الضمير في فأخذناه (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) هي التي لاخير فيها من إنشاء مطر أو إلقاء شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها والأظهر أنها الدبور لقوله عليه السلام: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيْمِ) هو كل ما دم أى بلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك والمضى ما ترك من شيء هبت عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم إلا أهلكته (وَفِي ثَمُودَ) آية أيضا (إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ) تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فَمَتَّعُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) فاستكبروا عن امثالها (فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّاعِقَةَ) العذاب وكل عذاب مهلك ضاعقة. الصعقة على وهي المرة من مصدر صبقتهم الصاعقة (وَهُمْ يَنْظُرُونَ) لأنها كانت نهارا يماينونها (فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ) أى هرب أو هو من قولهم ما يقوم به إذا عجز عن دفعه (وَمَا كَانُوا مُتَعِمِّرِينَ) ممتنعين من العذاب أو لم يمكنهم مقابلتنا بالعذاب لأن معنى الانتصار المقابلة (وَقَوْمَ نُوحٍ) أى وأهلكنا قوم نوح لأن مقابله يدل عليه أو واذكر قوم نوح . وبالجر أبو عمرو وعلى وحجة أى وفي قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبد الله وفي قوم نوح (مَنْ قَبْلُ) من قبل هؤلاء المذكورين (لَهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) كافرين (وَالسَّمَاءَ) نصب بفعل يفسره (بَيَّنَّهَا بِأَيْدِيهِ) بقوة والأيد القوة وَإِنَّا لَمَوَسِعُونَ) لتأدرون من الوسع وهي الطاقة والموسع التقوى على الإنفاق أو لوسعون ما بين السماء والأرض (وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا) بسطناها ومهدناها وهي منصوبة بفعل مضمر

أى فرشنا الأرض فرشناها (فَنَمَّ الْمَهُدُونَ) نحن (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ) من الحيوانات (خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) ذكرا وأنثى وعن الحسن السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقيل كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لَمَلَّكُمْ تَذَكُّرُونَ) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج لتتذكروا فتمروا الخالق وتميدوه (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) أى من الشرك إلى الإيمان بالله أو من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن أو مما سواه إليه (إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ وَلَا تَجْمَعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) والتكرير للتوكيد والإطالة في الوعيد أجمع (كَذَلِكَ) الأمر مثل ذلك وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا أو مجنونا ثم فر ما أجل بقوله (مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من قبل قومك (مَنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا) هو (سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ) دهمهم بالسحر أو الجنون لجهلهم (أَتَوَاصُوا بِهِ) الضمير للقول أى أنوامى الألوان والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) أى لم يواصوا به لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم الملة الواحدة وهى الطغيان والظنيان هو الحامل عليه (فَقَوْلَ عَنْهُمْ) فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عنادا (فَمَا أَنْتَ بِمَكْلُومٍ) فلا لوم عليك فى إعراضك بعدما بلغت الرسالة وبذلك جهودك فى البلاغ والدعوة (وَذَكَّرْ) وعظ بالقرآن (فَإِنَّ اللَّهَ كَرِّى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) بأن يزيد فى علمهم<sup>(١)</sup> (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) العبادة إن حملت على حقيقتها فلا تكون الآية عامة بل المراد بها المؤمنون من الفريقين دليله السياق أعنى وذكر فإن الله كرى تنفع المؤمنين وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين وهذا لأنه لا يجوز أن يخفق الذين علم منهم أنهم لا يؤمنون للعبادة لأنه إذا خلقتهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلا بد أن توجد منهم فإذا لم يؤمنوا علم أنه خلقتهم لجهنم كآقال: ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس. وقيل إلا لأمرهم بالعبادة وهو منقول عن على رضى الله عنه وقيل إلا ليكفروا عبادا لى والوجه أن تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس

وضى الله عنهما كل عبادة في القرآن فهي توحيد والكل يوحده في الآخرة لما عرف  
أن الكفار كلهم مؤمنون موحدون في الآخرة دليلاً قوله: ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله  
ديننا ما كنا مشركين . نعم قد أشرك البعض في الدنيا لكن مدة الدنيا بالإضافة إلى الأبد  
أقل من يوم ومن اشترى غلاماً وقال ما اشترته إلا للكتابة كان صادقاً في قوله ما اشترته  
إلا للكتابة وإن استعمله في يوم من عمره لعمل آخر (مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ) ما خلقتهم  
ليرزقوا أنفسهم أو واحداً من عبادي (وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ) قال ثعلب أن يطعموا  
عبادي وهي إضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبراً عن الله تعالى: من أكرم مؤمناً فقد  
أكرمى ومن آذى مؤمناً فقد آذنى (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) الشديد  
القوة والمتين بالرفع صفة لله وقرأ الأعمش بالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار (فَإِنَّ لِلَّذِينَ  
ظَلَمُوا) رسول الله بالتكذيب من أهل مكة (ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ) نصيباً من  
عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظراتهم من القرون المهلكة \* قال الزجاج الذنوب في اللغة  
النصيب (فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ) زول العذاب وهذا جواب النضر وأصحابه حين استعجلوا  
العذاب (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) أى من يوم القيامة وقبل  
من يوم بدر. ليعبدوني، أن يعلموني. فلا يستعجلوني بالباع في الحالين يقوب واقفه سهل في الوصل.  
الباقون بفرياء والله أعلم .

### ( سورة الطور مكية وهي تسع وأربعون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وَالطُّورِ ) هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين ( وَكَتَبَ تَنْطُورِ ) هو  
القرآن ونكر لأنه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب أو اللوح المحفوظ أو التوراة  
( فِي رَقٍّ ) هو الصحيفة أو الجلد الذي يكتب فيه ( تَنْشُورِ ) مفتوح لا ختم عليه أو لأن  
( وَالتَّبَيَّتِ الْأَمَمُورِ ) أى الضراح وهو بيت في السماء حبال الكسمة وعمرانه بكثرة زواره  
من الملائكة روى أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يخرجون ثم لا يعودون إليه أبداً

وقيل الكعبة لكونها معمورة بالججاج والماء (وَالسَّمَاءِ الْمَرْفُوعِ) أى السماء أو العرش (وَالْأَشْجَارِ الْمَسْجُورِ) المأوى أو الموقد والراو الأول للقسمة والبواقي للمطف وجواب القسم (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ) أى الذى أوعد الكفار به (لَوَاقِعٌ) لنازل قال جبير بن مطعم أنبت رسول الله ﷺ أكله فى الأسارى فلقبته فى صلاة الفجر بقراً سورة الطور فلما بلغ باب عذاب ربك لواقع أسلمت خوفاً من أن ينزل العذاب (مَاءَهُ مِنْ دَاخِرٍ) لا يعممه مانع والحملة صفة لواقع أى واقع غير مدفوع والمائل فى يوم لواقع أى يقع فى ذلك اليوم أو اذكر (يَوْمَ تَمُورُ) تدور كالرحى مضطربة (السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْأَجْبَالُ سَيْرًا) فى المسواء كالسحاب لأنها تصير هباءً منثوراً (فَوَيْلٌ لِلْيَمِينِ لِلْمُسْكِنِ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ) غلب الخوض فى الاندفاع فى الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين ويبدل (يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً) من يوم تمور والدع الدفع العنيف وذلك أن خزنة النار ينادون أيديهم إلى أمتانهم ويجمعون نواصبهم إلى أقدامهم ويدفعونهم إلى النار دفعا على وجوههم وزخا فى أنفبتهم فيقال لهم (هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) فى الدنيا (أَفَصِحِرُ هَذَا) هذا مبتدأ وسحر خبره يعنى كنتم تقولون للوحي هذا سحر أفسحر هذا يريد أهدأ المصدق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى (أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ) كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا يعنى أم أنتم ممي عن الخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا توبيخ وتهكم (امْنُوهَا فَأَصْبِرُوا وَأَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ) خبر سؤالا محذوف أى سواء عليكم الأمران الصبر وعدمه وقيل على العكس وعلل استواء الصبر وعدمه بقوله (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَمْكُونُ) لأن الصبر إنما يكون له مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخبير فأما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ) فى أية جنات (وَنَعِيمٍ) أى وأى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة أوفى جنات ونعيم مخصوصة بالتقنين خلقت لهم خاصة (فَلْيَكْبِهِينَ) حال من الضمير فى الظرف والظرف خبر أى متلذذين (بِمَكَائِهِمْ رَبُّهُمْ) وعطف قوله (وَوَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ) على فى جنات أى إن التقين استقروا فى جنات ... ووقاهم ربهم أو على آتاهم ربهم على أن يحصل

ما مصدرية والمقي فاكهين يأتيتهم بهم ووقايتهم (عَذَابُ الْبَاحِثِينَ) أو الراد للحال وقد  
بدها مضمرة يقال لهم (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَمَكُّنُونَ) اكلا وشربا هنيئاً  
أو طاماً وشرباً هنيئاً وهو الذي لا تنفيس فيه (مُتَسَكِّينَ) حال من الضمير في كلوا واشربوا  
(عَلَى سُرُرٍ) جمع سرير (مَصْفُوفَةً) موصول بمضاهيهم (وَزَوْجُهُمْ) وقرانهم (يَجُورُونَ)  
جمع خوراء (عَيْنٍ) عظام الأعين حسنها (وَالَّذِينَ آمَنُوا) مبتدأ والحقنا بهم خبره  
(وَأَتَيْنَهُمْ) وأتيناهم أبو عمرو (ذُرِّيَّتُهُمْ) أولادهم (يَلْعَنُونَ) حال من الفاعل (الْحَقْنَا)  
(يَوْمَ ذُرِّيَّتَهُمْ) أي نلحق الأولاد بإيمانهم وأعمالهم درجات الآباء وإن قصرت أعمال النرية  
من أعمال الآباء وقيل إن النزية وإن لم يملنوا مبلغان يكون منهم الإيمان استدلالاً وإنما تلقوا  
منهم تقليداً فهم يلحقون بالآباء . فريتهم ذرياتهم مدنى ذرياتهم ذرياتهم أبو عمرو ذرياتهم  
ذرياتهم شامى (وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ شَيْءٍ) وما حصنهم من ثواب عملهم من شيء  
التيانم مكي ألت ألت يأتى لنتان من الأولى متعلقة بالتيانم والثانية زائدة (كُلُّ أَمْرٍ  
بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ) أي مرهون بنفس المؤمن مرهونة بماله وتجازى به (وَأَمْدَدْتُهُمْ)  
وزدناهم في وقت بعد وقت (بِفِكَرَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ) وإن لم يقرحوا (بَبَزْخُونِ)  
فيها كَأْسًا) خرا أي يتماطلون ويتماورون ثم وجلساؤهم من أقربائهم يتناول هذا الكأس  
من يد هذا وهذا من يد هذا (لَا تَنُوتُ فِيهَا) في شربها (وَلَا تَأْتِيهِمْ) أي لا يجري بينهم  
ما يلغى يعنى لا يجري بينهم باطل ولا ما فيه إثم لو فله فاعل في دار التكليف من الكذب  
والشتم ومحوها كشاري غير الدنيا لأن عقولهم فاجئة فيتكلمون بالحكم والكلام الحسن  
لأنووتها ولا تأتيم مكي وبصرى (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُلُفًا لَّهُمْ) عملكون لهم محسوسون  
بهم (كَأَنَّهُمْ) من يياضهم وصفائهم (لَوْ لَوْ مَكْنُونٌ) في الصدف لأنه رطباً أحسن  
وأصنى أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الثالى القيمة في الحديث: إن أدنى أهل الجنة منزلة من  
ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف يابه لبيك لبيك (وَأُتْبِلَ بِمَضْمُومٍ عَلَى بَعْضِ  
يَسَّكَأُونَ) يسأل بعضهم بعضاً عن أحوالهم وأعمالهم وما استحق به نيل ما عند الله (قَالُوا)  
إِنَّا كُنَّا قَبْلَ) أي في الدنيا (فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ) أرقاء القلوب من حشية الله أو خائفين

من نزع الإيمان وفوت الأمان أو من رد الحسنات والأخذ بالسيئات (فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا) بالنفرة والرحمة (وَوَقَفْنَا عَذَابَ السَّمُومِ) هي الرح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لأنها بهذه الصفة (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ) من قبل لقاء الله تعالى والمصير إليه يمتنون في الدنيا (نَدْعُوهُ) نعبده ولا نميد غيره ونسأله الوقاية (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ) الحسن (الرَّحِيمُ) العظيم الرحمة الذي إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب . أنه بالفتح مدنى وعلى أى بأنه أو لأنه (فَذَكِّرْ) فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم (فَمَا أَنْتَ بِمُعْظِمْ رَبِّكَ) رحمة ربك وإنما عليك بالنبوة ورجاحة العقل (يَكَاهِنُ وَلَا تَحْنُونُ) كازعموا وهو في موضع الحال والتقدير لست كاهنا ولا مجنوننا ملتبسا بنعمة ربك (أَمْ يَقُولُونَ) هو (شَايِرُ نَسْرَئِيلَ) رَبِّ الْمَثُورِينَ حوادث الدهر أى ننتظر نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة . وأم فى أوائل هذه الآى منقطعة بمعنى بل والهمزة (قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنْ الْمُنَاصِرِينَ) أربص هلاككم كما تدربصون هلاكى (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُهُمْ) عقوهم (يَهْدِ آ) التناقض فى القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنبى (أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَافُونَ) مجاوزون الحد فى المناد مع ظهور الحق لهم وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز (أَمْ يَقُولُونَ قَوْلَهُ) اختلقه محمد من تلقاء نفسه (بَلْ) رد عليهم أى ليس الأمر كازعموا (لَا يُؤْمِنُونَ) فلسكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وأنه ليس بمقتول لمجز الرب عنه وما محمد إلا واحد من العرب (قَلِيلٌ أَمْ يَحْدِيثُ) مخلق (مَثَلُهُ) مثل القرآن (إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) فى أن محمدا نقوله من تلقاء نفسه لأنه بلسانهم وهم فصحاء (أَمْ خُلِقُوا) أم أحدثوا وقدروا التقدير الذى عليه فطرتهم (مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ) من غير مقد (أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) أم هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يبدون الخالق وقبل أخلقوا من أجل لا شىء من جزاء ولا حساب أم هم الخالقون فلا يأتعون (أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) فلا يبدون خالقهما (بَلْ لَا يُوقِنُونَ) أى لا يشدرون فى الآيات فيملأوا خالقهم وخالق السموات والأرض (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ) من النبوة والرزق وغيرها فيخصوا من شاءوا بما شاءوا (أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ) الأرباب



الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على مشيئتهم. وبالمين مكي وشاى (أَمْ لَهُمْ  
سُلْمٌ) منصوب يرتقون به إلى السماء (يَسْتَمِعُونَ فِيهِ) كلام اللائكة وما يوحى إليهم  
من علم النيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه  
كما يزعمون قال الزجاج يستمعون فيه أى عليه (فَلَيَأْتِيَنَّ مُسْتَقِيمُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) بحجة  
واضحة تصدق استماع مستقيمهم (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ) ثم سفه أحلامهم حيث  
اختاروا الله ما يكرهون وهم حكماء عند أنفسهم (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا) على التبليغ والإنذار  
(فَهُمْ مِنْ مَّزْمَرٍ مُثْقَلُونَ) المزم أن يلزم الإنسان ما ليس عليه أى لزمهم مفرم قهيل فذهبهم  
فذهبهم ذلك فى اتباعك (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ) أى اللوح المحفوظ (فَهُمْ يَكْتُمُونَ) ما به  
حتى يقولوا لا نبئت وإن بشنا لم نعلمب (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا) وهو كيدهم فى دار الندوة  
برسول الله وبالمؤمنين (فَالَّذِينَ كَفَرُوا) إشارة إليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله  
تعالى (هُمْ الْمُسْكِدُونَ) هم الذين يمود عليهم وبال كيدهم وبحيق بهم مكرهم وذلك أسهم  
قتلوا يوم بدر أو الغابويون فى الكيد من كايده فكذته (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ) بمنهم من  
عذاب الله (سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا  
سَحَابٌ) والكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد  
أنهم لشدة ملتيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب (مَّرْكُومٌ) قهركم أى جمع  
بعضه على بعض يعطونا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للمذاب (فَذَرَهُمْ حَتَّى يَذُوقُوا يَوْمَهُمُ  
الَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ) يضم الياء حاصم وشاى الياقوت يفتح الياء يقال سمعه فصعق وذلك  
عند النفخة الأولى نفخة الصعق (يَوْمَ لَا يُنْفِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ  
وَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا) وإن لهؤلاء الظلة (عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) دون يوم القيامة وهو القتل  
يدبر والخط سبب سنين وعذاب القبر (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك ثم أمره  
بالصبر إلى أن يقع بهم العذاب قال (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) بإمالمهم وبما يلحقك فيه من  
الشقة (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) أى بحيث تراك ونكلاؤك وجمع المين لأن الضمير بلفظ الجماعة إلا

عَرَى إِلَى قَوْلِهِ وَلْتَمَنَعْ عَلَى مَعْنَى (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) للصلاة وهو ما يقال بعد التكبير سبحانه اللهم وبمحمدك أو من أى مكان قت أو من منامك (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ) وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل وإدبار زيد أى فى أعقاب النجوم وآثارها إذا غربت والمراد الأمر بقول سبحانه الله وبمحمد فى هذه الأوقات وقبل التسبيح الصلاة إذا قام من نومه ومن الليل صلاة المشائين وإدبار النجوم صلاة الفجر وبالله التوفيق .

### ( سورة النجم إثنان وستون آية مكية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وَالنَّجْمِ ) أقسم بالثريا أو مجنس النجوم ( إِذَا هَوَىٰ ) إذا غرب أو انتشر يوم القيامة وجواب القسم ( مَا سَلَ ) من قصد الحق ( سَاحِبِكُمْ ) أى محمد ﷺ والمطلب لقرين ( وَمَا هَوَىٰ ) فى اتباع الباطل وقيل الضلال قبض الهدى والنهى قبض الرشاد أى هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسجكم إياه إلى الضلال والنهى ( وَمَا يَنْطَلِقُ مِنَ الْهَوَىٰ ) إِنْ هُوَ إِلَّا وَخْيٌ يُوحَىٰ ) وما أناكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواء ورأيه إنما هو وحى من عند الله يوحى إليه . ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد الأنبياء عليهم السلام ويحاج بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد وقرهم عليه كان كالوحي لا نطقا من الهوى ( عَلَّمَهُ ) علم محمداً عليه السلام ( شَدِيدُ الْقُوَىٰ ) ملك شديد قواه والإضافة غير حقيقية لأنها إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه ورفنها إلى السماء ثم قلبها وصاح صبيحة يعمود فأسبحوا جاثمين ( ذُو مِرَّةٍ ) ذو منظر حسن عن ابن عباس ( فَاسْتَوَىٰ ) فاستقام على منورة نفسه الحقيقية دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل فى صورة حجة وذلك أن رسول الله ﷺ أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها فاستوى له فى الأفق الأعلى وهو أفق الشمس فلا الأفق وقيل ما رآه أحد من الأنبياء عليهم السلام فى صورته

الحقيقة سوى محمد ﷺ مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء (وَهُوَ) أي جبريل عليه السلام (بِالْأَفْنَى الْأَعْلَى) مطلع الشمس (ثُمَّ دَنَا) جبريل من رسول الله ﷺ (فَتَدَلَّى) فزاد في القرب، والتدلى هو النزول بقرب الشيء (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ) مقدار قوسين عربيتين وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والنوع والبيع ومنه: لاسلاة إلى أن ترتفع الشمس مقدار رعين ، وفي الحديث: لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قدمه خير من الدنيا وما فيها. والقدر السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين خذفت هذه المضافات (أَوْ أَدْنَى) أي على تقدير كم كقوله أو يزيدون وهذا لأنهم خاطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رعين أو أنقص وقيل بل أدنى (فَأَوْحَى) جبريل عليه السلام (إِلَى عَبْدِهِ) إلى عبد الله وإن لم يمر لاسمه ذكر لأنه لا يلتبس كقوله ما ترك على ظهرها (مَاءً أَوْحَى) تفخيم للوحي الذي أوحى إليه قيل أوحى إليه إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمثك (مَا كَذَّبَ الْقُودُودُ) قُودُودٌ محمد (مَا رَأَى) ما رآه يصيره من سورة جبريل عليه السلام أي ما قال قُودُودُ لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه بمعنى أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في أن ملاه حق وقيل الرئي هو التشبيعانه، رآه بعين رأسه وقيل بقلبه (أَفْتَسَّرُوهُ) افتجاده لونه من المراء وهو المجادة واشتقاقه من موى الناقة كأن كل واحد من التجادلين يمرى ما عند صاحبه ، أفتسروه حزة وعلى وخلف ويقوب أفتنلبونه في المراء من ماريته فريته ولما فيه من معنى النقلة قال (عَلَى مَا يَرَى) فعدى بعل كما تقول غلبته على كذا وقيل أتمرونه أفتجسدونه يقال مريته حقه إذا جسده وتعديته بعل لا نصح إلا على مذهب التضمين (وَلَقَدْ رَآهُ) رأى محمد جبريل عليهما السلام (نَزَلَ أُخْرَى) مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها أي نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى في سورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المراج (عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) الجمهور على أنها شجرة نبق في السماء السابعة عن عيين العرش والمتنهي بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وآخرها ، وقيل لم يجاوزها أحد وإليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل

تَنْصَحِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الشَّهَدَاءِ (عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) أَي الْجَنَّةُ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا النُّفُوسُ وَقِيلَ  
تَأْوِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الشَّهَدَاءِ (إِذْ يَنْفُثُ السُّدْرَةَ مَا يَنْفُثُ) أَي رَأَى إِذْ يَنْفُثُ السُّدْرَةَ مَا يَنْفُثُ  
وَهُوَ تَنْظِيمٌ وَتَكْثِيرٌ لَمْ يَنْشَأْهَا فَقَدْ عَلِمَ بِهَذِهِ الْمُبَارَاةِ أَنَّ مَا يَنْشَأُهَا مِنَ الْخَلَائِقِ الدَّالَّةِ عَلَى  
عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَجَلَالِهِ أَشْيَاءٌ لَا يَحِيطُ بِهَا الْوَصْفُ وَقَدْ قِيلَ يَنْشَأُهَا الْجَمُّ الْغَفِيرُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ  
يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَهَا وَقِيلَ يَنْشَأُهَا فَرَّاشٌ مِنْ ذَهَبٍ (مَا زَاغَ الْبَصَرُ) بِصَرِّ رَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ مَا عُدِلَ عَنْ رُؤْيَا الْمَجَائِبِ الَّتِي أَمَرَ بِرُؤْيَيْهَا وَمَكَّنَ مِنْهَا (وَمَا طَفَنِي) وَمَا جَاوَزَ مَا أَمَرَ  
بِرُؤْيَيْهَا (لَقَدْ رَأَيْتُ) وَاللَّهُ لَقَدْ رَأَى (مِنْ آيَاتِ رَبِّي الْكُبْرَى) الْآيَاتِ الَّتِي هِيَ كِبَرُهَا  
وَعَظَمَتُهَا يَعْنِي حِينَ رَقَّ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَأَرَى عَجَائِبَ الْمَلَكُوتِ (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْمُرْزِقَ  
وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةِ) أَي أَخْبَرُونَا عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ  
لَهَا مِنَ الْقُدْرَةِ وَالْعَظَمَةِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا رَبُّ الْعِزَّةِ الْثَلَاثِ وَالْمُرْزِقِ وَمَنَاةَ أَصْنَامَهُمْ هِيَ مُؤَثَّنَاتٌ.  
فَالثَّلَاثُ كَانَتْ لِقَيْفٍ بِالطَّائِفِ وَقِيلَ كَانَتْ بِخَلْعَةٍ تَعْبُدُهَا قَرِيبَى وَهِيَ فَعَلَةٌ مِنْ لَوَى لِأَنَّهُمْ كَانُوا  
يَلْبُوسُونَ عَلَيْهَا وَيَعْبُقُونَ لِلْعِبَادَةِ وَالْمُرْزِقُ كَانَتْ لِنُطْفَانٍ وَهِيَ ثَمَرَةٌ وَأَسْلَمُوا تَأْنِيثُ الْأَمْرِ وَقَطْعُهَا  
خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَمَنَاةُ سَخْرَةٌ كَانَتْ لِهَذِيلٍ وَخَزَاعَةَ وَقِيلَ لِقَيْفٍ وَكَأَنَّهَا سَمِيَتْ مَنَاةً لِأَنَّ دِمَاءَ  
النِّسَاءِ كَانَتْ تَمُتُّ عِنْدَهَا أَي تَرَأَى وَمَنَاةٌ مَكِّيَّةٌ مَفْعَلَةٌ مِنَ الْعَوْدِ كَأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَمْطِرُونَ عِنْدَهَا  
الْأَنْوَاءَ تَبَرَّكَ بِهَا (الْأُخْرَى) هِيَ سَفَةٌ خَمٌ إِلَى التَّأَخُّرِ الْوَضِيعَةُ الْقُدَارُ، كَقَوْلِهِ وَقَالَتْ: أَخْرَامُ  
لِأَوَّلَامِ أَي وَشْمَاؤُمُ لِرُؤْسَانِهِمْ وَأَشْرَافِهِمْ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْأَوَّلِيَّةُ وَالْتَقَدُّمُ عِنْدَهُمُ لَلثَّلَاثِ  
وَالْمُرْزِقِ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ وَهَذِهِ الْأَصْنَامُ بَنَاتُ اللَّهِ وَكَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ  
شَفَعَاؤُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَعَ وَأَدَمَ الْبَنَاتِ وَكَرَاهَتُهُمْ لَهَا قَلِيلٌ لَمْ (أَلَكُمُ الدَّكْرُ وَلَهُ الْإُنْثَى)  
نَلَّكَ إِذَا قِسْمَتُهُ ضَيْرَى) أَي جَعَلَ لَكُمْ اللَّهُ الْبَنَاتَ وَلَكُمْ الْبَنِينَ قِسْمَةً ضَمِيرُ أَي جَائِزَةٌ  
مِنْ شَازِهِ بِضَيْرِهِ إِذَا ضَامَهُ وَضَيْرَى فَعِلٌ إِذَا فَعِلَ فِي النَّمُوتِ فَكَسَرَتْ الضَّادُ لِيَاءَ كَمَا قِيلَ  
يَبِضُّ وَهُوَ يَبُوضُ مِثْلُ حُرُوسٍ وَضَيْرَى بِالْهَمْزِ مَكِّيٌّ مِنْ شَازِهِ مِثْلُ شَازِهِ (إِنْ هِيَ) مَا لِلْأَصْنَامِ  
(إِلَّا أَسْمَاءُ) لَيْسَ تَحْتَهَا فِي الْحَقِيقَةِ مَسْمِيَاتٌ لِأَنَّهُمْ تَدْعُونَ إِلَهِيَّةً لَهَا هُوَ أَبَدٌ شَيْءٌ مِنْهَا  
وَأَشَدُّ مَنَافَاةً لَهَا (سَمِيَّتُمُوهَا) أَي سَمِيَّتُمْ بِهَا بِقَالَ سَمِيَّتُهُ زَيْدًا وَسَمِيَّتُهُ يَزِيدُ (أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ

مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) حجة (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) إلا نؤمن أن ما هم عليه حق (وَمَا يَهْوَى الْأُنْفُسُ) وما تشتهي أنفسهم (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ الْهُدَى) الرسول والكتاب فتركوه ولم يعملوا به (أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى) هي أم النقطعة ومعنى المحزنة فيها الإنكار أى ليس للإنسان معنى الكافر ما تمنى من شفاعاة الأصنام أو من قوله: ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى. وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون هو النبي (فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى) أى هو مالكها وله الحكم فيها يعطى النبوة والشفاعة من شاء وارتضى لامن تمنى (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) معنى أن أمر الشفاعاة ضيق فإن الملائكة مع قربهم وكثرتهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تكن شفاعتهم شيئا قط ولا تنفع إلا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعاة لمن يشاء الشفاعاة له ويرضاه ويراها أهلا لأن يشفع له فكيف تنفع الأصنام إليه لعبادتهم (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوعُونَ أَكْثَرًا) أى كل واحد منهم (تَسْمِيعَ الْأَنْفُسِ) لأنهم إذا قالوا للملائكة بنات الله قد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الأنفى (وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ) أى بما يقولون وقرى بها أى بالملائكة أو التسمية (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) هو تقليد الآباء (وَأِنْ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْعَقْبِ شَيْئًا) أى إنما يعرف الحق الذى هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم (فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ قَوْلَى عَنْ ذِكْرِنَا) فأعرض ممن رأته معرضا عن ذكر الله أى القرآن (وَلَمْ يُوْذِ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ) أى اختيارهم الدنيا والرضا بها (مَبْلَغُهُمْ مِنْ النَّارِ) متعنى عليهم (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى) أى هو أعلم بالضال والمهتدى ومجازيها (وَفِيهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيََ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا قَمَلُوا) بقباب ما عملوا من السوء أو بسبب ما عملوا من السوء (وَيَجْزِيََ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) بالثبوة الحسنى وهى الجنة أو بسبب الأعمال الحسنى والمعنى أن الله عز وجل إنما خلق العالم وسوى هذه اللكوت ليجزى الحسن من الكافرين والسي منهم إذ الملك أهل لنصر الأولياء وقهر الأعداء (الَّذِينَ) بدل أو فى موضع رفع

على المدح أى هم الذين (يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ) أى الكبائر من الإثم لأن الإثم جنس  
يشتمل على كبار وصغار والكبائر الذنوب التى يكبر عقابها، كبير حزمة وعلى أى النوع الكبير  
منه (وَأَفْوَاحٍ) ماغضى من الكبائر كأنه قال والفواحي منها خاصة قبل الكبائر ما أوعده  
الله عليه النار والفواحي ما شرع فيها الحد (إِلَّا اللَّيْمَ) أى الصنائير والاستثناء منقطع  
لأنه ليس من الكبائر والفواحي وهو كالنظرة والقبلة واللمسة والغمزة (إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ  
الْمَغْفِرَةِ) فيغفر ما يشاء من الذنوب من غير توبة (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ) أى أباكم  
(مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ) جمع جنين (فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ)  
فلا تنسبوا إلى زكاه العمل وزيادة الخير والطاعات أو إلى الزكاة والطهارة من الماصى ولا  
شئوا عليها واهضموها فقد علم الله الأركى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من  
صلب آدم عليه السلام وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم، وقيل كان ناس يعملون أعمالا  
حسنة ثم يقولون صلاتنا وسيامنا وحجنا فزلت، وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء،  
لا على سبيل الاعتراف بالنعمة فإنه جائز لأن الممرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (هُوَ أَعْلَمُ  
بِمَنْ أَتَى) فاكفوا بملء عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى)  
أعرض عن الإيمان (وَأَعطى قَلِيلًا وَأَكْدَى) قطع عطيته وأمسك، وأصله إكداء الحافر  
وهو أن تلقاه كدية وهى سلاية كالصخرة فيمسك عن الحفر \* عن ابن عباس رضى الله  
عنهما فيمن كفر بعد الإيمان وقيل فى الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله ﷺ فغيره  
بعض الكافرين وقال له تركت دين الأشياخ وزعمت أنهم فى النار قال إني خشيت عذاب  
الله فضمن له إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله ففعل  
وأعطى الذى عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل به وعنه (أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوَّ يَرَى)  
فهو يعلم أن ما ضمنه من عذاب الله حق (أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ) يخبر (بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَى)  
أى التوراة (وَإِزْهَامٍ) أى وفى صحف إبراهيم (الَّذِي وَفَّى) أى وفر وأتم كقوله فأتممن  
وإطلائه ليتناول كل وفاء وتوفية وقرىء خففا والتشديد مبالغة فى الوفاء \* وعن الحسن  
ما أمره الله بشيء إلا وفى به، وعن عطاء بن السائب عهد أن لا يسأل مخلوقا فلما قبض

في النار قال له جبريل : ألك حاجة ؟ فقال أما إليك فلا \* وعن النبي ﷺ : وفي عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى ، وروى ألا أخبركم لم سمى الله خليله القدي وفي ؟ كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى فسبحان الله حين تمسون إلى حين تظهرون وقيل وفي سهام الإسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة الثابتون وعشرة في الأحزاب إن المسلمين وعشرة في المؤمنين قد أفلح المؤمنون ثم أعلم بما في صحف موسى وإبراهيم فقال ( أَلَا تَزُرُ وَازِرَةً وِزْرَ أُخْرَى ) تزر من وزر يزدر إذا اكتسب وزرا وهو الإثم وأن عطفة من التوبة والمضى أنه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل أن وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلا قال وما في صحف موسى وإبراهيم قليل ألا تزر وازرة وزر أخرى أى لا تحمل نفس ذنب نفس ( وَأَنْ لِّئْسَ لِلإِنْسَنِ إِلَّا مَأْسَى ) إلامه وهذا أيضا مما في صحف إبراهيم وموسى وأما ما صرح في الأخبار من الصدقة عن البيت والحق عنه فقد قيل إن سعى غيره لما لم ينفسه إلا مبنيا على سعى نفسه وهو أن يكون مؤمنا كان سعى غيره كأنه سعى نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه ولأن سعى غيره لا ينفسه إذا عمله لنفسه ولكن إذا اتوا به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه ( وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى ) أى يرى هو سعيه يوم القيامة في ميزانه ( ثُمَّ يُجْزَاهُ ) ثم يجزى المبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وإلصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله ( الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ) أو أبله عنه ( وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ) هذا كله في الصحف الأولى والتمهي مصدر بمعنى الانتهاء أى ينتهى إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله: وإلى الله المصير ( وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ) خلق الضحك والبكاء وقيل خلق الفرح والحزن وقيل أضحك المؤمنين في المقبي بالوهاب وأبكاهم في الدنيا بالنوائب ( وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ) قيل أمات الآباء وأحيا الأبناء وأمات بالكفر وأحيا بالإيمان وأمات هنا وأحيا نعمة ( وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ) إذا تدفق في الرحم يقال مئى وأمئى ( وَأَنْ عَلَيْهِ النُّشْأَةُ الْآخِرَى ) الإحياء بعد الموت ( وَأَنَّهُ هُوَ أَعْتَى وَأَقْنَى ) أو أعطى القنفة وهي الدال الذى تثلته وعمره لا لا يحرقه من بك ( وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّمْسِ )

هو كوكب يطالع بمد الجوزاء في شدة الحر وكانت خزاعة تعيدها فأعلم الله أنه رب معبودهم هذا (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى) هم قوم هود وعاد الأخرى لادم. عاد الأولى مدني وبصري غير سهل بادغام التنوين في اللام وطرح همزة اولى ونقل ضميتها إلى لام التعريف (وَتَمُودًا قَمًا أُبَيًّا) همزة وعاصم الباقون وتمودا وهو معطوف على عادا ولا ينصب بها أبقي لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبله لا تقول زيدا فضريت وكذا ما بعد النفي لا يعمل فيما قبله واللمنى وأهلك تمود فما أبقام (وَقَوْمَ نُوحٍ) أى أهلك قوم نوح (مَنْ قَبْلُ) من قبل عاد وتمود (إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ أَظْلَمُ وَأَطْفَى) من عاد وتمود لأنهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسموا منه (وَالْمُؤْتَفِكَةَ) والقرى التى اشفتك بأهلها أى انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكك فأتفك (أَهْوَى) أى رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهواها إلى الأرض أى أسقطها والمؤتفكة منصوب بأهوى (فَنَشَّاهَا) ألبسها (مَا غَشَى) تهويل وتضليل لما صب عليها من المذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود (نَبَأَى آلَاءَ رَبِّكَ) أيها المخاطب (تَتَمَارَى) تتشكك بما أولاك من النعم أو بما كفاك من النعم أو بأى نعم ربك الدالة على وحدانيته وربوبيته تشكك (هَذَا نَذِيرٌ) أى محمد منذر (مَنْ النَّذِيرُ الْأُولَى) من المنذرين الأولين وقال الأولى على تأويل الجماعة أو هذا القرآن نذير من النذر الأولى أى إنذار من جنس الإنذارات الأولى التى أنذرها من قبلكم (أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ) قربت الموصوفة بالقرب في قوله: اقتربت الساعة (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ) أى ليس لها نفس كاشفة أى مبينة متى تقوم كقوله: لا يجليها لوقتها إلا هو. أو ليس لها نفس كاشفة أى قادرة على كشفها إذا وقت إلا الله تعالى غير أنه لا يكشفها (أَقْبَرِنَ هَذَا الْحَدِيثِ) أى القرآن (تَجَبُّونَ) إنكارا (وَنَضْحَكُونَ) استهزاء (وَلَا تَبْكُونَ) خشوعا (وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) غافلون أو لاهون لاهيون وكانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالثناء ليشغلوا الناس عن استماعه (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا) أى فاسجدوا لله وابدوه ولا تعبدوا الآلهة والله أعلم.



## ﴿سورة القمر خمس وخمسون آية مكية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اَفْتَرَيْتَ السَّاعَةَ) قربت القيامة (وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ) نصفين وقرئ وقد انشق أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبيل الأمير وقد جاء البشر بقدمه \* قال ابن مسعود رضى الله عنه رأيت حراء بين فلقى القمر وقيل ممناه بنشق يوم القيامة والجمهور على الأول وهو المروى فى الصحيحين ولا يقال لو انشق لما خفى على أهل الأنظار ولو ظهر عندم لنتقلوه متواترا لأن الطباع جبلت على نشر المعجائب لأنه يجوز أن يحجبه الله عنهم بنسيم (وَإِنْ يَرَوْا) يعنى أهل مكة (آيَةً) تدل على صدق محمد ﷺ (يُمِرُّنَا) عن الإيمان به (وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَعِيرٌ) عكس قوى من المرة القوة أو دائم مطرد أو ما زاهب يزول ولا يبق (وَكَذَّبُوا) الذى ﷺ (وَأَنبَهُوْا أَمْوَاعَهُمْ) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بمد ظهوره (وَكُلُّ أَمْرٍ) وعدمه الله (مُسْتَعِيرٌ) كائن فى وقته وقيل كل ما قدر واقع وقيل كل أمر من أمرهم واقع مستقر أى سيثبت ويستقر عند ظهور العقاب والثواب (وَقَدْ جَاءَهُمْ) أهل مكة (مِّنَ الْأَنْبَاءِ) من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) ازدججوا عن الكفر تقول زجرته وازدجرت أى منعته وأسله ازيجر ولكن التاء إذا وقعت بمد زأى ساكنة أبدلت دالا لأن التاء حرف مهموس والزأى حرف مجهور فأبدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبوا وهذا فى آخر كتاب سيبويه (حِكْمَةٌ) بدل من ما أو على هوحكمة (بَلَاغَةٌ) نهاية الصواب أو بالغة من الله إليهم (فَمَا تَنْفَرِ النَّذْرُ) ما نفى والنذر جمع نذير وهم الرسل أو النذر به أو النذر مصدر بمعنى الإنذار (فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ) لعلك أن الإنذار لا يفتى فيهم. نصب (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِرُ) يخرجون أو ياضمار اذكر. الداعى، إلى الداعى سهل ويعقوب ومكى فيهما وافق مدنى وأبو عمرو فى الرسل ومن أسقط الباء اكتفى بالكسرة عنها وحذف الواو من يدعو فى الكتابة لتأمة اللفظ والداعى إسماعيل عليه السلام (إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ) منكرفظليح تنكره النفوس لأنها لم تهمل بمثله وهو هول يوم القيامة نكرو

بالتخفيف مكي (خُشْمًا أَبْصَرُهُمْ) خاشما عراق غير عاصم وهو حال من الخارجين وهو فعل  
الأبصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم غيرهم خشما على يخشمن أبصارهم وهي لغة من  
يقول أكلوني البراغيث ويجوز أن يكون في خشما ضميرهم وقمع أبصارهم بدلا عنه وخشوع  
الأبصار كناية عن الثقة لأن ذلة الدليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما (يَخْرُجُونَ مِنَ  
الْأَجْدَاثِ) من القبور (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ) في كثيرهم وتفرقهم في كل جهة والجراد  
مثل في الكثرة والنموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاءوا كالجراد (مُهْطِئِينَ  
إِلَى الدَّاعِرِ) مسرعين لمادى أعناقهم إليه (يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) سعب  
شديد (كَذَبْتَ قَبْلَهُمْ) قبل أهل مكة (قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا) نوحا عليه السلام  
ومضى تكرر التكذيب أنهم كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلامي منهم قرن مكذب  
تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أي لما كانوا مكذبين بالرسل  
جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لأنه من جملة الرسل (وَقَالُوا مَجْنُونٌ) أي هو مجنون  
(وَازْدُجِرَ) زجر من أداء الرسالة بالشتم وهدد بالشتم وهدد بالقتل أو هو من جملة قبلهم  
أي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخطبته وذهبت بلبه (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي) أي  
بأنى (مَثْلُوبٌ) غلبى قومي فلم يسموا منى واستحكم اليأس من إجابتهم لي (فَأَنْتَصِرُ)  
فاتقم لي منهم بمناب تبعته عليهم (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ) ففتحنا شامى ويزيد وسهل  
ويعتوب (يَمَاءً مُنْهَمِرًا) منصب في كثرة وتتابع لم يقطع أربعين يوما (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ  
عَيْنُونًا) وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تنفجر وهو أبلغ من قولك وفجّرنا عيون الأرض  
(فَأَلْقَيْنَا الْمَاءَ) أي مياه السماء والأرض وقرئ الماء أي النوهان من الماء السماوى  
والأرضى (عَلَى أَمْرٍ قَدِيرٍ) على حال قدرها الله كيف شاء أو على أمر قد قدر في اللوح  
المحفوظ أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسُرًا)  
أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنبو متابها وتؤدى مؤداها  
بحيث لا يفضل بينها وبينها ونحوه ولكن قيصى مسرودة من حديد أراد ولكن قيصى  
درع ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يضح وهذا من فصيح الكلام

وبديهة والدمر جمع دمار وهو المسار فعال من دمره إذا دفعه لأنه يدمر به منفذ (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا أو بحفظنا أو بأعيننا حال من الضمير في تجري أى عفوطة بنا (جَزَاءً) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أى فعلنا ذلك جزاء (لَنْ كَانَ كُفْرًا) وهو نوح عليه السلام وجملة مكفورا لأن النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . فكان نوح نعمة مكفورة (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا) أى السفينة أو الفعلة أى جعلناها (آيَةً) يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودي دهرًا طويلًا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة (فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ) متمظ يتمظ ويعتبر وأمله مذتكر بالذال والياء ولكن التاء أبدلت منها الدال والذال من موضع فأدغمت الذال في الدال (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي) جمع نذير وهو الإنذار ونذوى به قوب فيهما وافقه سهل في الوصل . غيرهما بنفرياء وعلى هذا الاختلاف ما بعده إلى آخر السورة (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) سهلناه للذكر والالتماظ بأن شعبناه بالوافظ الشافية وصرفنا فيه من الهمد والوعيد (فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ) متمظ يتمظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعدنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليمان عليه . ويروي أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل والزبور لا يتلوها أهلها إلا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي) أى وإنذاراتي لهم بالمذاب قبل نزوله أو وإنذاراتي في تمذيبهم لمن بعدهم (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) باردة أو شديدة الصوت (فِي يَوْمٍ نَخَسٍ) شؤم (مُشْتَمِرٍ) دائم الشر فقد استمر عليهم حتى أهلكهم وكان في أربعماء في آخر الشهر (تَنْزِعُ النَّاسَ) تعلمهم عن أماكنهم وكانوا يمسفون آخذ بعضهم بأيدي بعض ويتداخلون في الشباب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتزعهم وتكبههم وتدق رقابهم (كَأَنَّهُمْ) حال (أَعْبَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) أصول نخل منقطع عن منارسه وشبهوا بأعجاز النخل لأن الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس فيمتساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث طوال كأنهم أعجاز نخل وهى أصولها بلا فروع وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث كقَالَ كأنهم أعجاز نخل خاوية (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ

لِذِّكَرٍ قَهْلٍ مِنْ مَّدْكِرٍ كَذَبَتْ نَمُودُ بِالنَّذْرِ فَقَالُوا أَبَشِّرًا مَنَا وَحِدًا) انتصب بشرا  
بضم بغيره (نَتَيْمُهُ) تقديره أتبيع بشرا منا واحدا (إِنَّا إِذَا لَقِيَ ضَلَّلٌ وَسَمُرٌ) كان  
يقول إن لم تتبعوني كنتم في ضلال من الحق وسمر ويران جمع سمر فكمسوا عليه فقالوا  
إن اتبعتنا كنا إذا كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسمر الجنون وقولهم  
أبشرا إنكار لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكون من الملائكة وقالوا منا لأنه إذا  
كان منهم كانت المائلة أقوى وقالوا واحدا إنكارا لأن تتبع الأمة رجلا واحدا أو أرادوا  
واحدا من أفتائهم ليس من أشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قوله (أَلَقَيْتِ الذِّكْرُ عَلَيْنِي مِنْ  
بَيْنَيْنَا) أى أنزل عليه الوحي من بيننا وبيننا من هو أحق منه بالاختيار للنبوّة (بَلْ هُوَ  
كَذَّابٌ أَشِيرٌ) بطرمتكبر حله بطره وطلبه التمثيل علينا على ادعاء ذلك (سَيَعْلَمُونَ عَذَابًا)  
عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (مَنْ الْكَذَّابُ الْأَشِيرُ) أسألهم أمن كذبه. ستمعون  
شامى وحجة على حكاية ما قال لهم صالح عجبا لهم أو هو كلام الله على سبيل الانتفات (إِنَّا  
مُرْسِلَاوُ النَّاقَةِ) باهتوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فِنَّةٌ لَهُمْ) امتحانا لهم وابتلاء  
وهو مفعول له أو حال (فَارْتَبَهُمْ) فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون (وَاصْطَبِرْ) على  
أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمرى (وَبَيَّنَّهُمْ أَنْ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ) مقسوم بينهم لها  
شرب يوم ولهم شرب يوم وقال بينهم تفلينا للعقلاء (كُلُّ شَرِبٍ مُخْتَصَرٌ) مختص  
بمخضر القوم الشرب يوما ومخضر الناقة يوما (فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ) قدار بن سالف أحيمر  
نمود (فَتَمَاطَى) فاجترأ على تماطى الأمر العظيم غير مكترث له (فَمَقَرَّ) الناقة أو فتماطى  
الناقة فقمرها أو فتماطى السيف وإنما قال فقمرها الناقة في آية أخرى لرضاهم به وأولاً أنه مقر  
بمقرتهم (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرِي إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ) في اليوم الرابع من مقرها  
(صَيْحَةً وَاحِدَةً) صاح بهم جبريل عليه السلام (فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) والهشيم  
الشجر اليابس التهمش للتكسر والمختظر الذى يعمل الحظيرة وما يختظر به ييس بطول الزمان  
وتتوطؤه البهائم فيتعطم ويتهمش وقرأ الحسن بفتح الفاء وهو موضع الاحتظار أى الحظيرة  
(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ قَهْلٍ مِنْ مَّدْكِرٍ كَذَبَتْ قَوْمٌ لَوْمٌ بِالنَّذْرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا

فَلَيْسَ بِهِمْ) يعنى على قوم لوط (حَاصِبًا) ربما تحصيهم بالحجارة أى ترميهم (إِلَّا عَالُ لُوطٍ) ابنته ومن آمن معه (نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) من الأسحار ولذا صرفه وقال لقبيته بسحر إذا لقبيته في سحر يومه وقيل ما سحران فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه (نُعمَةً) مفعول له أى إنعاما (مَنْ عِنْدَنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ) نعمة الله بإيمانه وطاعته (وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ) لوط عليه السلام (بَطُشْنَنَا) أخذتنا بالذاب (فَقَمَارُوا بِالنَّذْرِ) فكذبوا بالنذر متشاكين (وَلَقَدْ رَاَوْدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ) طلبوا الفاحشة من أضيافه (فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) أعميائهم وقيل مسحناها وجلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روى أنهم لما عاجلوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فصعقهم جبريل عليه السلام بمناحه صفقة فتركهم يترددون ولا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط (فَذُوقُوا) قلت لهم ذوقوا على السنة الملائكة (عَذَابِي وَنَذِيرِي وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً) أول النهار (عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ) ثابت قد استقر عليهم إلى أن يفضى بهم إلى عذاب الآخرة وفائدة تكرير (فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِي وَلَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْآنُ) لِلذِّكْرِ قَوْلٌ مِنْ مُدَّكِرٍ (أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين اذكرا واتعابا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وهذا حكم التكرير في قوله نبأى آلاء ربكم فكذبان عند كل نعمة عدمه وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردناها وكذلك تكرير الأنبياء والقصص في أنفسها لتكون تلك المبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية في كل أوان (وَلَقَدْ جَاءَ عَالِ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ) موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء أو هو جمع نذير وهو الإنذار (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا) بِالْآيَاتِ التَّسْعِ (فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ) لا يغال (مُقْتَدِرٍ) لا يعجزه شيء (أَكْفَارُكُمْ) يا أهل مكة (خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَكُمْ) الكفار المدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أى أم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعنى أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم (أَمْ لَكُمْ يَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ) أم أنزلت عليكم يا أهل مكة براءة في الكتب التقدمة أن من كفر معكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأنتم بتلك البراءة (أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ)

جماعة أمرنا مجتمع (مُنْتَصِرٌ) ممتنع لا ترام ولا نضام (سَيُزَمُّ الْجَمْعُ) جمع أهل مكة (وَيُزَلُّونَ الدُّيْرَ) أى الأدبار كما قال \* كلوا فى بعض بطنكم تمقوا \* أى ينصرفون حنزمين يعنى يوم بدر وهذه من علامات النبوة (بَلِّ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ) موعد عذابهم بد بدر (وَالسَّاعَةُ أَذْهَى) أشد من موقف بدر والداهية الأمر الفكر الذى لا يهتدى لدوائه (وَأَمْرٌ) مذاقا من عذاب الدنيا أو أشد من المرة (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ) عن الحق فى الدنيا (وَسُعْرٌ) ونيران فى الآخرة أوفى هلاك ونيران (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ) يمحرون فيها (عَلَى وُجُوهِهِمْ) ويقال لهم (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) كقولك وجد مس الحى وذاق طعم الحسب لأن النار إذا أصابتهم يحرقها فكأنها تمسهم مسا بذلك وسقر غير منصرف للتأنيث والتعريف لأنها علم لجهنم من سقرته النار إذا لوحته (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ بالرفع شاذا والنصب أولى لأنه لورفع لأمكن أن يكون خلقناه فى موضع الجر وصفا لشيء ويكون الخبر بقدر وتقديره إنا كل شيء مخلوق لنا كائن بقدر ويحتمل أن يكون خلقناه هو الخبر وتقديره إنا كل شيء مخلوق لنا بقدر فلما تردد الأمر فى الرفع عدل إلى النصب وتقديره إنا خلقنا كل شيء بقدر فيكون الخلق عاما لكل شيء وهو المراد بالآية ولا يجوز فى النصب أن يكون خلقناه صفة لشيء لأنه تفسير الناصب والصفة لا تعمل فى الموصوف. والقدر والقدر التقدير أى بتقدير سابق أو خلقنا كل شيء مقدرا حكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا فى اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه قال أبو هريرة جاء مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاضعون فى القدر فنزلت الآية وكان عمر يخلف أنها نزلت فى القدورية (وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ) إلا كلمة واحدة أى وما أمرنا لشيء نريد تكوينه إلا أن نقول له كن فيكون (كَلِمَاتٍ بِالْبَصَرِ) على قدر ما يلمح أحدهم يبصره وقيل المراد بأمرنا القيامة كقوله وما أمر الساعة إلا كلمح البصر (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ) أشباهكم فى الكفر من الأمم (فَقُلْ مِنْ مَدَّ كَيْفٍ) منظم (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ) أى أولئك الكفار أى وكل شيء مفعول لهم ثابت (فِي الزُّبُرِ) فى دواوين الحفظة ففعلوه فى موضع جر نمت لشيء وفى الزبر خبر لـ لكل (وَكُلُّ شَيْءٍ سَمِيرٌ وَكَبِيرٌ)

من الأعمال ومن كل ما هو كائن (مُسْتَطَرَّ) مسطور في اللوح (إِنَّ الْأُمْتِقِينَ فِي جَنَّتِ  
وَنَهَرٍ) وأنهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السمة والضياء ومنه النهار (فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ)  
في مكان مرضى (عِنْدَ مَلِكٍ) عندية منزلة وكرامة لامسافة ومماسة (مُقْتَدِرٍ) قادر وقائدة  
التنكير فيهما أن يعلم أن لا شيء إلا هو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شيء قدير .

### ﴿سورة الرحمن جل وعلا مكية وهي ست وسبعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ) أى الجنس أو آدم أو محمدا عليها السلام  
(عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) عدد الله عز وجل آلاؤه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قديما من  
ضروب آلائه وصنوف نعمائه وهي نمرة الدين قدّم من نمرة الدين ما هو سنام في أعلى مراتبها  
وأقصى مراقبها وهو إنسامه بالقرآن وتنزيهه وتعليمه لأنه أعظم وحى الله رتبة وأعلاه منزلة  
وأحسنه في أبواب الدين آثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والبيان عليها وآخر ذكر  
خلق الإنسان من ذكره ثم أتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علما بوجهه وكتبه  
وقدّم ما خلق الإنسان من أجله عليه ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو  
المنطق الفصيح العرب هما في الضمير والرحمن مبتدا وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة  
وإخلاؤها من الماعطف لجيئها على نمط التمديد كما تقول زيد أغناك بمد فخر أعزك بمد فذل  
كثرك بمد فقله فل بك مالم يفعل أحد بأحد فانتسك من إحسانه (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ)  
بحساب معلوم وتقدير سوى يجران في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس منها علم  
السنين والحساب (وَالنَّجْمُ) النبات الذى يتجمع من الأرض لاساق له كالبقول (وَالشَّجَرُ)  
الذى له ساق وقيل النجم نجوم السماء (يَسْجُدَانِ) يتقادان لله تعالى فيخلق له تشبيها بالساجد  
من السكفنين في اشياده واتصلت هاتان الجملتان بالرحمن بالوصل المعنوى لما علم أن الحسبان  
حسابانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسابانه والشجر يسجدان له  
ولم يذكر الماعطف في الجمل الأولى ثم جىء به بمد لأن الأولى وردت على سبيل التمديد بتبكيه

لن أنكر آلاءه كما يكت منكراً أياى النعم عليه من الناس بتعديدها عليه فى المثال المذكور  
 ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت فى وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالمطف  
 وبين التناسب أن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فينبى القليلين تناسب من  
 حيث التقابل . وإن السماء والأرض لا تزالان تذكران قريبتين وإن جرى الشمس والقمر  
 بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر ( وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا )  
 حينها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منفصلاً أحكامه ومصدر قضاياء ومسكن ملائكته الذين  
 يهبطون بالوحى على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكوته وسلطانه ( وَوَضَعَ الْمِيزَانَ )  
 أى كل ما توزن به الأشياء ونعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أى خلقه  
 موسرعاً على الأرض حيث علق به أحكام عبادته من التسوية والتعديل فى أخذهم وإعطائهم  
 ( لَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ) ثلاثون أو هى أن القسرة ( وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ )  
 وفروا وزنكم بالعدل ( وَلَا تَخْسِرُوا الْمِيزَانَ ) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن  
 الغشيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف وقصان وكرر لفظ الميزان  
 تشبيهاً للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه ( وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا ) خفضها مدحوة  
 على الماء ( لِلْأَنْهَارِ ) للخلق وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة وعن الحسن الإنسان والجن  
 فعلى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها ( فِيهَا فَكَيْهَةٌ ) ضروب مما يتفكه به ( وَالنَّخْلُ ذَاتُ  
 الْأُكَامِ ) هى أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف أو كل ما يك أى ينطى من ليفه وسعفه  
 وكفرأه وكله منتفع به كما ينتفع بالسكوم من ثمره وجذعه ( وَالصَّبَّاءُ ذُو الْأَعْنَافِ )  
 هو ورق الزرع أو التبن ( وَالرِّيحَانُ ) الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه  
 والجامع بين التلذذ والتعذى هو ثمر النخل وما ينفذى به وهو الحب . والريحان بالجر حمزة وعلى  
 أى الحب ذو المصنف الذى هو علف الأنعام والريحان الذى هو مطعم الأنعام والرقع على  
 وذو الريحان تخفف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذى يشم . والحب  
 ذا المصنف والريحان شامى أى وخلق الحب والريحان أو وأخص الحب والريحان ( فَبِأَيِّ  
 ءَالَاءِ ) أى النعم مجامع من أول السورة جمع أى وإلى ( رَبِّكُمْ تُكَذَّبَانِ ) الخطاب للثقلين



بإزالة الأنام عليهما (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ) طين إيس له صلصلة (كَافَقَارٍ) أي الطين المطبوخ بالنار وهو الخذف ولا اختلاف في هذا وفي قوله من حمأ مسنون من طين لازب من تراب لاتفاقها معنى لأنه يفيد أنه خلقه من تراب ثم جمعه طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصلا (وَخَلَقَ الْجَانَّ) أبا الجن قيل هو إبليس (مِنْ نَّارٍ) هو اللهب الصافي الذي لادخان فيه وقبل المختلط بسواد النار من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط (مِنْ نَّارٍ) هو بيان لمارج كأنه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار خصوصية كقوله فأنذر تسكم نارا تلقى (فَبَأَىءَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ رَبُّ الْمُنْرِيتَيْنِ) أراد مشرق الشمس في الصيف والشتاء ومغربيهما (فَبَأَىءَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) أي أرسل البحر الملح والبحر المذب متجاورين متلاقين لافصل بين الماءين في مرأى العين (يَبْتَغِيهَا بَرْزَخٌ) حاجز من قدرة الله تعالى (لَّا يَنْفِيَانِ) لا يتجاوزان حديهما ولا ينفى أحدهما على الآخر بالملازمة (فَبَأَىءَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ الْيَمْرَجُ مَدْيَنُ وَبَصْرَى) (مِنْهُمَا الْوَلْوُؤُ) بلا همز أبو بكر ويزيد وهو كبار الدر (وَالْمَرْجَانُ) صفاره وإنما قال منهما وهما يخرجان من الملح لأنهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه ويقول خرجت من البلد وإنما خرجت من علة من محاله وقيل لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والمذب (فَبَأَىءَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَلَهُ) (الْجَوَارِ) السفن جمع جارية قال الزجاج الوقف عليها بالياء والاختيار وصلها وإن وقف عليها واقف بنير ياء فذا جائز على بعد ولكن يوم السكسر في الراء ليبدل على حذف الياء (الْمُنْفَسَاتُ) الرفوعات الشرع المنشآت بكسر الشين حمزة وبحي الوافعات الشرع أو اللاتي ينشأن الأمواج يجرهن (فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ) جمع علم وهو الجبل الطويل (فَبَأَىءَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا) على الأرض (فَإِنْ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ) ذاته (ذُو الْجَلَالِ) ذو المظلة والسلطان وهو صفة الوجه (وَالْأَكْرَامِ) بالتجاوز والإحسان وهذه الصفة من عظيم صفات الله

وفي الحديث انظروا ياذا الجلال والإكرام وروى أنه عليه السلام مر برجل وهو يصلى ويقول  
ياذا الجلال والإكرام فقال قد استجيب لك (يَقْبَأُئِنَّةَ لَأَرْ دَبْنُكُمَا تُكْذِبَانِ) والنعمة  
في الفناء باعتبار أن المؤمنين به يصلون إلى النعيم السرمدي وقال يحيى بن معاذ حينما الموت فهو  
الذى يقرب الحبيب إلى الحبيب (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وقف عليها نافع كل  
من أهل السموات والأرض مفتقرون إليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم وأهل  
الأرض ما يتعلق بدينهم ودنياهم ويتصب (كُلُّ يَوْمٍ) ظرفا بمادله (هُوَ فِي شَأْنِ)  
أي كل وقت وحين يحدث أمورا ويحدث أحوالا كما روى أنه عليه السلام تلاها قبيل له وما  
ذلك الشأن فقال من شأنه أن يفرغ ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين ومن  
ابن مينة الدهر عند الله يومان أحدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهي  
والإحياء والإماتة والإعطاء والنزع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت  
في اليهود حين قالوا إن الله لا يقضى يوم السبت شأننا وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية  
فأسنمه إلى الله وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يا مولاي أخبرني ما أسألك  
فهل الله يسهل لك على يدى فأخبره فقال أنا أفسرها للملك فأعلمه فقال : أيها الملك شأن الله  
أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي  
ويشقي سقيا ويسقم سليما ويبتلى معافى ويصافي مبتلى ويمز ذليلا وينذل عزيزا ويفقر غنيا ويفني  
قديرا فقال الأمير أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من  
شأن الله وقيل سوق القادير إلى الواقيت وقيل إن عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل  
وقال له أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي فوله فأصبح من النادمين وقد سح  
أن الندم توبة وقوله كل يوم هو في شأن وقد سح أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة  
وقوله وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فأبال الأنصاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون  
الندم توبة في تلك الأمة وقيل إن ندم قاتل لم يكن على قتل هائل ولكن على حله وكذا قيل  
وأن ليس للإنسان إلا ما سعى بخصوص بقوم إبراهيم وموسى عليهما السلام وأما قوله كل  
يوم هو في شأن فإنها شئون بيديهما لاشئون يتدبها فقام عبدا لله وقبل رأسه وسوخ خراج

(فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ سَتَفَرْغُ لَكُمْ) مستمد من قول الرجل لمن يهدمه  
سافرغ لك يريد سأبجد ولا يقع بك من كل ما يشغلني عنه والراد التوفر على النكاح فيه والانتقام  
منه ويجوز أن يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شئون الخلق التي أرادها  
بقوله كل يوم هو في شأن فلا يبقى إلى شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على  
طريق المثل. سافرغ حمزة وعلى أي الله تعالى (أَيُّهُ الثَّقَلَانِ) الإنس والجن سميا بذلك لأهما  
ثقل الأرض (فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَمْشُرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ) هو كالترجمة لقوله  
أيها الثقلان (إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا) أي إن  
قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هربا من قضائي فخرجوا ثم قال  
(لَا تَنْفُذُونَ) لا تقدرن على النفوذ (إِلَّا بِسُلْطَنِ) بقوة وقهر وغلبة وإني لكم ذلك  
وقبل دلم على المجر من قوتهم للحساب غدا بالمجر من نفوذ الأقطار اليوم وقيل يقال لهم  
هذا يوم القيامة حين تحقد بهم الملائكة فإذا وآم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجهها إلا  
وجدوا الملائكة احتاطت به (فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاِطٌ  
مِّنْ نَّارٍ) وبكسر الشين مكي وكلاهما اللهب الخالص (وَنُحَاسٌ) أي دخان ونحاس مكي  
وابو عمرو قال رفع عطف على شواط والجهر على نار والمكي إذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكم  
لهب خالص من النار ودخان يموقكم إلى المشر (فَلَا تَنْتَصِرَانِ) فلا تفتنمان منهما  
(فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ) انفك بعضها من بعض لقيام الساعة  
(فَكَانَتْ وَرْدَةً) فصارت كلون الورد الأحمر وقيل أصل لون السماء الحمرة ولكن من  
بعد ما ترى زرقاء (كَأَنَّهُمَا) كدهن الزيت كالألوان وهو ددي الزيت وهو جمع دهن  
وقيل النعان الأديم الأحمر (فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَيَوْمَئِذٍ) أي فيوم تنشق  
السماء (لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ) أي ولا جن فوضع الجان الذي هو أبو الجن  
موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولهم والتقدير لا يسأل إنس ولا جان عن ذنبه والتوفيق  
بين هذه الآية وبين قوله فوريك لنستلهم أجمعين وقوله وقومهم أنهم مسئولون أن ذلك يوم  
طويل وفيه مواطن فيستلون في موطن ولا يستلون في آخر وقال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم

على أنفواء القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يستل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يستل للتوبيخ (فَبَإِىءَآءِ آلِهِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبُونَ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) بسواد وجوههم ووزرة هيولهم (فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأُقْدَامِ) أى يؤخذ قارة بالنواصي وقارة بالأقدام (فَبَإِىءَآءِ آلِهِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبُونَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَلْعَنُونَ يَلْعَنُوا وَيَنْهَوْنَ عَنْهَا وَيَنْهَوْنَ عَنْهَا) ماء حار قد انتهى حره أى يقاب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم (فَبَإِىءَآءِ آلِهِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبُونَ) والنعمة في هذا نجاة الناجي منه بفضله ورحمته وما في الإنذار به من التنبيه (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة فترك للماصى أو فادى الفرائض وقيل هو مقعهم كقوله ونفيت عنه مقام الذنب أى نصبت عنه الذنب (جَنَّاتٍ) جنة الإبرس وجنة الجن لأن الخطاب للجنين وكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الإنسى وجنة للخائف الجنى (فَبَإِىءَآءِ آلِهِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبُونَ ذَوَاتَا أَفْتَانٍ) أعصاب جمع فن وخمس الأفنان لأنها هى التى تترك وتترك فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار أو ألوان جمع فن أى له فيها ما تشتهى النفس وتظن الأميين قال :

ومن كل أفنان اللذافة والسبا لموت به والعيش أخضر فاضر

(فَبَإِىءَآءِ آلِهِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبُونَ فِيهِمَا) فى الجنتين (عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ) حيث شاءوا فى الأعلى والأسفل وعن الحسن تجرىان بالماء الزلال إحداهما التسليم والأخرى السلبيل (فَبَإِىءَآءِ آلِهِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبُونَ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ) صفتان صنف معروف وصنف غريب (فَبَإِىءَآءِ آلِهِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبُونَ مُتَكَبِّرِينَ) نصب على اللجج للخائفين أو حال منهم لأن من خاف فى معنى الجمع (هَلَىٰ فُرُشٌ) جمع فراش (بَطَلَتْهُنَّ) جمع بطانة (مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) ديباج مخمين وهو مرب قبل ظواهرها من سندس وقيل لا يملها إلا الله (وَجَنَّتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ ذَانِ) وعمرها قريب بناله التام والقاعد والمكس. (فَبَإِىءَآءِ آلِهِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبُونَ فِيهِمَا) فى الجنتين لاشتغالها على أما كن وقصور وعجالت أو فى هذه الآلاء الممدودة من الجنتين والمبينين والفكاكة والفرش والجنى (قَصِيرَاتُ الْغُرْفِ) نساء قصرن

أبصارهم على أزواجهن لا ينظرون إلى غيرهم (لَمْ يَطْمِئِنُّوا) بكسر اللام الدورية وعلى بضم اللام واللمت الجماع بالانتمية (إِنْ سُبِّحَتْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) وهذا دليل على أن الجن يطمئنون كما طمئت الإنس (قَبَائِيءُ آلَاءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ) سقاء (وَالْمَرْجَانُ) يابضا فهو أبيض من اللؤلؤ (قَبَائِيءُ آلَاءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ) في العمل (إِلَّا الْإِحْسَنُ) في الثواب وقيل ما جزاء من قال لا إله إلا الله إلا الجنة ومن إبراهيم الخواص فيه هل جزاء الإسلام إلا دار السلام (قَبَائِيءُ آلَاءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ وَبَيْنَ ذُوَيْنِهِمَا) ومن دون تلك الجنتين الموعودتين للمقرنين (جَنَّاتٍ) لمن دونهم من أصحاب اليمين (قَبَائِيءُ آلَاءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ مُدْهَمَّتَانِ) سوداوان من شدة الغمرة قال الخليل الدهمة السوداء (قَبَائِيءُ آلَاءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ) غوارتان بللاء لا تنقطعان (قَبَائِيءُ آلَاءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ) ألوان الفواكه (وَنَضْرُجُ زُرْقَانِ) والزرمان والزر ليسا من الفواكه عند أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه للمطف ولأن الزمر فاكهة وغذاء والزمان فاكهة ودواء فلم يخلعا لنفسكه وهما قالا إنما عطفا على الفاكهة لفضلهما كأنهما جنسان آخران لالهما من الزينة كقوله وجبريل وميكال (قَبَائِيءُ آلَاءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) أى خيرات خففت وقرى خيرات على الأصل والمعنى غائلات الأخلاق حسان الخلق (قَبَائِيءُ آلَاءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْبُيُوتِ) أى عذرات يقال امرأة قصيرة ومقصورة أى عذرة قيل الخيام من الدار الجوف (قَبَائِيءُ آلَاءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِئِنُّوا) قبل أصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين (وَلَا جَانٌّ قَبَائِيءُ آلَاءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ مُتَكَبِّرِينَ) نسب على الاختصاص (عَلَى رُفْرَفٍ) هو كل ثوب مريض وقيل الوسائد (خُفَيْرٍ وَهَبْرَةٍ حِسَانٍ) دياج أوطانس (قَبَائِيءُ آلَاءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ) وإنما قصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل ومن دونهما لأن مدحهما دون ذواتا أفتان ونضاختان دون تجربان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والتكافؤ (تَبَرُّكُ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ) ذى العظمة . ذو الجلال شأى صفة للاسم (وَالْإِكْرَامِ) لأوليائه بالإتمام روى جابر أن

للنبي ﷺ فرأى سورة الرحمن فقال: ما لي أراكم سكوتاً الجن كانوا أحسن منكم ردماً أنيت على قول الله فبأي الآدميك تكذبان إلا قالوا: ولا شيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر. وكررت هذه الآية في هذه السورة إحدى وثلاثين مرة ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعدد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدايدها على عدد أبواب جهنم وبمد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين وأهلها على عدد أبواب الجنة وثمانية أخرى بعدها للجننتين اللتين دونهما فن اعتقد الثمانية الأولى وهمل بموجبها فتحت له أبواب الجنة وأغلقت عنه أبواب جهنم نمود بالله منها والله أعلم .

### ( سورة الواقعة سبع وتسعون آية مدنية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ) قامت القيامة وقيل وصفت بالوقوع لأنها تقع لانحالة فكاؤه قيل إذا وقعت الواقعة التي لا بد من وقوعها ووقوع الأمر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقسه أي نزل ما كنت أترب نزوله وانتصاب إذا بإضمار اذكر ( لَيْسَ لَوَقَعَتِهَا كَذِابَةٌ ) نفس كاذبة أي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب النيب لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام مثلها في قوله تعالى: ياليتني قدمت لحياتي ( خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ) أي هي خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين ( إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ) حركت تحريكاً شديداً حتى ينهد كل شيء فوقها من جبل وبناء وهوبدل من إذا وقعت ويجوز أن ينصب بخافضة رافعة أي تخفض وترفع وقت رج الأرض ويس الجبال ( وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ) وفتت حتى تمود كالسويق أو سقت من بس النهم إذاساقها كقوله: وسيرت الجبال ( فَكَانَتْ هَبَاً ) غباراً ( مُتَفَرِّقًا ) متفرقا ( وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ) أصنافاً يقال للأصناف التي بعضها من بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج ( مُكْتَنَّةً ) صنفان في الجنة وصف في النار ثم فسر الأزواج فقال ( فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ) مبتدأ وم الذين يؤتون سمعائهم بأيمانهم ( مِمَّا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ) مبتدأ وخبر وما خبر المبتدأ الأول

وهو تعجيب من حالهم في السادة وتعليق لشأنهم كأنه قال: ما من وأى شيء؟ (وَأَسْحَبُ  
الْشَّيْطَانِ) أى الذين يؤتون مصائبهم بشياطينهم أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية  
الخشيسة من قولك فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال إذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعف  
وذلك تليينهم باليأس وتشاؤمهم بالشكائل وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار  
ذات الشمال (مَا أَسْحَبُ الشَّيْطَانِ) أى أى شيء هو وهو تعجيب من حالهم بالشقاء  
(وَالسَّيْقُونِ) مبتدأ (السَّيْقُونِ) خبره يهدى السائقون إلى الخيرات السابقون إلى الجنات  
وقيل الثانى تأ كيد للأول والخبر (أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) والأول أوجه (فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ)  
أى هم في جنات النعيم (عُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ) أى هم علة وثلة الأمة  
من الناس الكثيرة والمعنى أن السابقين كثير من الأولين وهم الأمم من لدن آدم إلى نبيها  
محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين وهم أمة محمد ﷺ وقيل من الأولين من متقدمي هذه  
الأمة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبي ﷺ الثلثان جميعا من أمي (عَلَى سُرُرٍ) جمع  
سرير ككتيب وكتب (مُؤْثَوْنَةً) مرمولة ومنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت  
(مُتَكَبِّرِينَ) حال من التمتع في علي وهو العامل فيها أى استقروا عليها متكبين (عَلَيْهَا  
مُتَقَبِّلِينَ) ينظر بعضهم في وجوه بعض ولا ينظر بعضهم في أقباء بعض وصفوا بحسن المشرة  
وتهذيب الأخلاق وصفاء الودعة ومتقابلين حال أيضا (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ) يخدمهم (وَلَدَانِ)  
علمان جمع وليد (مُخَلَّدُونَ) مبقون أبدا على شكل الولدان لا يتحولون عنه وقيل مقرطون  
والخلدة القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابروا عليها ولا سيئات فيعاقبوا  
عليها وفي الحديث: أولاد الكفار خدام أهل الجنة (يَا كُؤَابِ) جمع كؤوب وهي آنية  
لا عروة لها ولا خرطوم (وَأَبَارِقِ) جمع أبريق وهو ماله خرطوم وعروة (وَكَأْسِ)  
وقدح فيه شراب وإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس (مِّن مَّيْنٍ) من خمر تجري من  
العين (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا) أى بسببها وحقيقته لا يصدر سدا عنهم فيها أولا يفرقون عنها  
(وَلَا يُزْفُونَ) ولا يسكرون زف الرجل ذهب عقله بالسكر ولا ينفقون بكسر الزاى  
كوفي أى لا ينفد شراهم يقال أنزف القوم إذا فنى شراهم (وَفَكِهَةٌ مِّمَّا يَتَخَبَّرُونَ)

يأخذون خيره وأفضله (وَلَعْمَ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَبُونَ) يشتمون (وَحُورٌ) جمع حوراء (عَيْنٌ) جمع عينا أو وفيها حور عين أو ولم حور عين ويجوز أن يكون عطفا على ولدان وحور يزيد حمزة وعلى عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور (كَامُثَلِ الثُّلُوثِ) في الصفاء والنقاء (الْمَكْتُونِ) المصون وقال الزجاج كأنما مثل الدر حين يخرج من سدنه لم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال (جَزَاءٌ عِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) جزاء مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله لجزاء أعمالهم أو مصدر أى يجزون جزاء (لَا يَسْمَعُونَ رَفِيقًا) في الجنة (لَنُؤَا) باطلا (وَلَا تَأْنِيماً) هذيانا (إِلَّا رَقِيلاً سَلَمًا سَلَمًا) إلا قولا ذا سلامة والاستثناء منقطع وسلاما بدل من قبل أو مفعول به قبل أى لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَكَأُصْحَابِ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ) السدر شجر البقي والمخضود الذى لا شوك له كأنما خضد شوكة (وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ) الطلح شجر الموز والمنضود الذى تضد بالجل من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق بارزة (وَطَلْحٍ مَّمْدُودٍ) ممد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وَمَكَأُ مَسْكُوبٍ) جار بلاحد ولاخذ أى يجرى على الأرض في غير أخدود (وَفَكِيهَةٍ كَثِيرَةٍ) أى كثيرة الأجناس (لَا مَقْطُوعَةٍ) لا تنقطع فى بعض الأوقات كفوا كه الدنيا بل هى دائمة (وَلَا مَمْنُوعَةٍ) لا تمنع عن متناولها بوجه وقيل لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان (وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ) رفعة القدر أو تضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الأسرة وقيل هى النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك قال الله تعالى: هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون . ويدل عليه قوله (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً) ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة فإما أن يراد اللاتى أبدى أنشأوهن أو اللاتى أهيء أنشأوهن وعنى غير هذا التأويل أنهن لم يأن لأن ذكر الفرش وهى المضاجع دل عليهن (فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا) عنارى كلما أنهن أزواجهن وجدوهن أبكارا (عُرْبًا) عرباً حمزة وخلف ويحيى وحاد جمع عرب وهى التحبية إلى زوجها الحسنة النبيل (أَنْزَابًا) مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن كذلك واللام فى



(لَأَصْحَابُ الْيَمِينِ) من صلة أنشأنا (ثَلَاثَةً) أى أصحاب اليمين ثلة (مَنْ الْأُولَىٰ وَثَلَاثَةٌ مِنْ الْأَخِيرِينَ) فإن قلت كيف قال قبل هنا وقليل من الآخرين ثم قال هنا وثلة من الآخرين قلت ذاك فى السابقين وهذا فى أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعا وعن الحسن سابقوا الأمم أكثر من سابقى امتنا وتابوا الأمم مثل تابى هذه الأمة (وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ) الشمال والمشاة واحدة (فِي سَوْمٍ) فى حر فار ينفذ فى المسام (وَحَمِيمٍ) وماء حار متناهى الحرارة (وَوَيْلٌ مِّنْ يَّخْمُومٍ) من دخان أسود (لَّا يَأْرِيدُ وَلَا كَرِيمٍ) نفى لصفتى الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال معناه ظلام نفى عنه برد الظل وروحه ونفقه من يأوى إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما فى مدلول الظل من الاسترواح إليه والمعنى أنه ظل حار ضار (لَهُمْ كَأَنُورًا قَبْلَ ذَلِكَ) أى فى الدنيا (مُتَرَفِينَ) منعمين فمنهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار (وَكَأَنُورًا يُبْصِرُونَ) يداومون (عَلَى الْحَيْثِ الْمُنْتَظَرِ) أى على الذنب العظيم أو على الشرك لأنه نقض عهد الميثاق والحنث نقض العهد المؤكد باليمين أو الكفر باليمين بدليل قوله وأقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت (وَكَأَنُورًا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ) تقديره أبعثت إذا متنا وهو العامل فى الظرف وجاز حذفه إذ مبعوثون يدل عليه ولا يعمل فيه مبعوثون لأن إن والاستفهام يمتنان أن يعمل ما بهما فيما قبلهما (أَوْ أَجَاؤُنَا الْأُولُونَ) دخلت حمزة الاستفهام على حرف العطف وحسن العطف على الضمير فى لمبعوثون من غير تأكيد بنحن للفاسل التى هو الهمة كما حسن فى قوله ما أشر كنا ولا آباؤنا لنفسل لا المؤكدة للنفى . أو آباؤنا مدنى وشامى (قُلْ إِنَّ الْأُولَىٰ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَتِ يَوْمٍ تَنَاسَوْنَ) إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة بمعنى من كخاتم فضة والليقات ما وقت به الشيء أى حد ومته مواقيت الإحرام وهى الحدود التى لا يجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرما (فَمِنْ أَيْنَكُم أيتها المنائون) عن الهدى (الْمُكَذَّبُونَ) بالبعث وهم أهل مكة ومن فى مثل حالهم (لَا يَكُونُ مِن شَجَرٍ) من لابتداء الثاية (مَنْ زَقُومٍ) من لبان الشجر (فَمَا لِيُونَ مِنْهَا أَلْهَوْنَ فَنُشْرِبُونَ عِلْمَهُ مِنْ الْحَمِيمِ) أنت ضمير الشجر على المعنى

وذكره على اللفظ في منها وغلبه ( فَتَشْرَبُونَ شُرْبًا ) بضم الشين مدنى وعاصم وحمة وسهل  
 وفتح الشين غيرهم وهما مصدران ( اليبس ) هو إبل عطاش لا تروى جمع أميم وهيام والمعى  
 أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرم إلى أكل الرقوم الذى هو كاهل فإذا ملئوا منه البطون  
 سلط عليهم من العطش ما يضطرم إلى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيفربونه شرب الحميم وإعاصم  
 مطف الشارين على الشارين وهما أدوات متفقة وسفنان متفقتان لأن كونهم شاربين للحميم  
 على ما هو عليه من تناهى الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الحميم  
 الماء أمر عجيب أيضا فكانتا سفتين مختلفتين ( هَذَا نَزْلُهُمْ ) هو الرزق الذى يمد للناس  
 نكرومة له ( يَوْمَ الدِّينِ ) يوم الجزاء ( نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا ) فهلا ( تُمَدُّقُونَ ) تحضيض  
 على التصديق إما بالخلق لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه  
 التصديق فكانهم مكذبون به ولما بالبحث لأن من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا  
 ( أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ) ما تمونونه أى تهدفونه فى الأرحام من النطف ( أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ )  
 تخلقونه وتصورونه وتعملونه بشرا سويا ( أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ) نَحْنُ قَدَرْنَا يَنْشِئُكَ الْمَوْتَ  
 قدرا اقسماه عليكم قسمة الأرزاق على اختلاف وقاوت كاختصاصهم شيئا فاختلقت أماركم من  
 قصير وطويل ومتوسط قدرا بالتخفيف مكي سبقتة بالشئ إذا أجزته عنه وغلبته عليه فمكى  
 قوله ( وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ قَلِيلًا أَنْ نَبْدَلَ أَمْثَلَكُمْ ) إنا قادرون على ذلك لا تنقلبونا عليه  
 وأمثالكم جمع مثل أى على أن تبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق ( وَنُنشِئُكُمْ فِي  
 مَا لَا تَحْسَبُونَ ) وعلى أن ننشئكم فى خلق لا تعلمونها وما عهدتم بثلاثها يسى أنا قدر على  
 الأمرين جميعا على خلق ما يماثلكم ومالا يماثلكم فكيف نمجز من إعادتكم ويجوز أن  
 يكون أمثالكم جمع مثل أى على أن تبدل ونغير صفاتكم التى أنتم عليها فى خلقكم  
 وأخلاقكم وننشئكم فى صفات لا تعلمونها ( وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى ) النشأة مكي  
 وأبو عمرو ( فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ) أن من قدر على شئ مرة لم يمتنع عليه ثانيا وفيه دلائل  
 صحة القياس حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى ( أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ )  
 ما تحروثونه من الطعام أى تهبون الأرض وتلقون فيها البذر ( أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ) تبتونه

ونردونه نباتا (أَمْ نَخْنُ الزَّارِعُونَ) التبتون وفي الحديث : لا يقولن أحدكم زرعتم وليقل  
حرمت (لَوْ نَشَاءُ لَجَمَلْنَاهُ حُطَلًا) هشيمًا متكسرا قبل إدراكه (فَقَطَّمْ تَفَكَّهُونَ)  
تسحبون أو تدممون على تسكم فيه وإفناقكم عليه أو على ما اقترعتم من المعاصي التي أصبتم  
بذلك من أجلها (إِنَّا) أى تقولون إنا ، أننا أبو بكر (لَمَعْرُثُونَ) للمزومون غرامة ما أنفقنا  
أو مهلكون لهلاك رزقنا من الثرام وهو الهلاك (بَلْ نَخْنُ) قوم (مَعْرُوثُونَ) عارفون  
محدودون لا محدودون لاحظ لنا ولا بحث لنا ولو كنا محدودين لما جرى علينا هذا (أَفَرَأَيْتُمْ  
الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ) أى الماء العذب الصالح للشرب (أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ)  
السحاب الأبيض وهو أذهب ماء (أَمْ نَخْنُ الْمُنْزِلُونَ) بقدرتنا (لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا)  
ملحا أو مرا لا يقدر على شربه (فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) فهلا تشكرون ودخلت اللام على  
جواب لو في قوله لجعلناه حطاما وزعت منه هنا لأن لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة  
ثانيتها بالأولى تملق الجزاء بالشرط ولم تكن غلصة الشرط كإن ولا عاملة مثلها وإنما سرى  
فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث إقادتها في مضمونى جملتيها أن الثانى امتنع لامتناع الأول  
افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على  
ذلك ولما شبر موقعه لم يبال بإسقاطه عن اللفظ لعلم كل أحد به وتساوى حالى حذفه وإثباته  
على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مضم من ذكرها ثانية ولأن هذه اللام تفيد معنى التأكيد  
لإعادة فأدخلت في آية المطوم دون آية الشروب للدلالة على أن المطوم مقدم على أمر الشروب  
وأن الوعيد يفقده أشد وأسمب من قبل أن الشروب إنما يحتاج إليه بما للمطوم ولهذا  
قدمت آية المطوم على آية الشروب (أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) قدحونها وتسخرجونها  
من الزناد والعرب قدح بمودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الان على الزند والاسفل  
الزئدة شبهوها بالفحل والطروقة (أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا) التى منها الزناد (أَمْ نَخْنُ  
الْمُنْشِئُونَ) المثلثون لها ابتداء (نَخْنُ جَعَلْنَاهَا) أى النار (تَذْكِرَةٌ) تذكيرا نار جهنم  
حيث علقتها بها أسباب المعاش وعممنا بالحاجة إليها البلى لتسكون حاضرة للناس ينظرون  
إليها ويذكرون ما أوعدوا به (وَمَتَّعًا) ومنفعة (لِّلْمُتَّقِينَ) للمسافرين النازلين فى القواء

وهي القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزادهم من الطعام من قولهم أقوت الدار إذا خلت  
من ساكنيها بدأ يذكر خلق الإنسان فقال أفرايت ما نعتون لأن النعمة فيه سابقة على  
جميع النعم ثم بما فيه قوامه وهو الحب فقال أفرايت ما تحرثون ثم بما يسجن به ويشرب عليه  
وهو الماء ثم بما يخبز به وهو النار فحصل الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغنى عنه الجسد  
ما دام حيا (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) فزه وبك عما لا يليق به أيها المستمع المستدل أو أراد  
بالاسم الذكر أي فسبح بذكر ربك (الْمُطَهِّر) صفة للمضاف أو للمضاف إليه وقيل قل  
سبحان ربّي العظيم وجاء مرفوعا أنه لما نزلت هذه الآية قال أجعلوها في ركوعكم (فَلَا أَقْسِمُ)  
أي فأقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله فلا يسلم أهل الكتاب وقرىء فلا أقسم ومعناه  
غلانا أقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهي أنا أقسم ثم حذف  
المبتدأ ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لأن حقها أن تقرر بها النون المؤكدة (يَوْمَ تَجُوعُ  
النُّجُومُ) بمسقطها ومنازبها بموقع حمزة وعلى لعل لله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم  
إلى المغرب أفلا مخصصة عظيمة أولملائكة عبادات موصوفة أولا أنه وقت قيام التبهدين  
وتزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقفها واستعظم ذلك بقوله (وَأَنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَسِعِ  
السَّمَوَاتِ عَظِيمٌ) وهو اعتراض في اعتراض لأنه اعترض به بين القسم والقسم عليه وهو  
قوله (إِنَّهُ لَقَرَّءٌ كَرِيمٌ) حسن مرعى أو نفاع جمع النافع أو كريم على الله واعتراض  
بلو تعلمون بين الموصوف وصفته (فِي كِتَابٍ) أي اللوح المحفوظ (مَكْنُونٍ) مصون من  
أن يأتيه الباطل أو من غير القرين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم (لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا  
الْمُطَهَّرُونَ) من جميع الأنداس أنداس القنوب وغيرها إن جمعت اللمعة صفة لكتاب  
مكتون وهو اللوح وإن جعلتها صفة للقرآن فالمتى لا ينبغي أن يمسّه إلا من هو على الطهارة  
من الناس والمراد من المكتوب منه (تَنْزِيلٌ) صفة لإبادة للقرآن أي منزل (مِّن رَّبِّ  
الْعَالَمِينَ) أو وصف بالمصدر لأنه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكانه في نفسه تنزيل  
ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه قبل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل أو هو تنزيل على  
هدف السند (أَمِيزَ هَذَا الْحَدِيثِ) أي القرآن (أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ) منهاونون به كمن يدهن

في بعض الأمر أى بلين جانبه ولا يتصلب فيه نهاونا به (وَتَحْمَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ نَكْذِبُونَ) أى يحملون شكر رزقكم التكذيب أى وضعت التكذيب موضع الشكر وفى قراءة على رضى الله عنه وهى قراءة رسول الله ﷺ ونحملون شكركم أنكم تكذبون أى يحملون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل نزلت فى الأنواء ونسبهم السفيا إليها والرزق الطرأى ونحملون شكر ما يرزقكم الله من النيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النجوم (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ أَى الرُّوحُ عِنْدَ الْمَوْتِ (الْخَلْقُومَ) مِمَّا طَعَامَ وَالشَّرَابِ (وَأَنْتُمْ حِينَتِيذٍ تَنْظُرُونَ) الخطاب لمن حضر البيت تلك الساعة (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ) إلى المختصر (مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ) لا تعلمون ولا تملكون (فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) مريوين من دان السلطان الرعية إذا ساسهم (تَرْجَمُونَهَا) ردون النفس وهى الروح إلى الجسد بعد بلوغ الخلقوم (إِنْ كُنْتُمْ سَادِقِينَ) أنكم غير مريوين مقهورين فلولا فى الآيتين للتحضيض يستدعى فلا وفا قوله ترجمونها واكتفى بذكره مرة وترتيب الآية فلولا ترجمونها إذا بلغت الخلقوم إن كنتم غير مدنتين وفلولا الثانية مكررة للتأكيد ونحن أقرب إليه منكم بأهل البيت بقدرتنا وعلنا وبإعلامنا الموت والمعنى أنكم فى جهودكم آيت الله فى كل شيء ، إن أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم شعر واقترأ وإن أرسل إليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وإن رزقكم مطرا يحبسكم به قلتم صدق نوء حكذا على مذبح يؤدى إلى الإهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الخلقوم إن لم يكن نعمة قابض وكنتم صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالحي الميت البديء للميد (فَأَمَّا إِنْ كَانَ) للتوفى (مِنَ الْمُفَرِّقِينَ) من السابقين من الأزواج الثلاثة المذكورة فى أول السورة (فَرَوْحٌ) فله استراحة (وَرِيحَانٌ) ورزق (وَجَنَّتُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) أى فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين أى يسلمون عليك كقوله إلا قبيلا سلاما سلاما (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الْمُسَالِينَ) هم الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة وهم الذين قيل لهم فى هذه السورة ثم إنكم أيها الضالون المكذبون (فَزُلْ مِنْ حَيْبٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ) أى

إدخال فيها وفي هذه الآيات إشارة إلى أن الكفر كله ملة واحدة وأن أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين لأنهم غير مكذبين (إِنَّ هَذَا) الذى أنزل في هذه السورة (لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) أى الحق الثابت من اليقين (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) روى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على ابن مسعود رضى الله عنه في مرض موته فقال له ما تفتشكى فقال ذنوبى فقال ماتمتعى قال رحمة ربى قال أفلاتدعو الطبيب قال الطبيب أمرضى فقال ألا تأمر بمطائك قال لا حاجة لى فيه قال ندفعه إلى بناتك قال لا حاجة لمن فيه قد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة فأتى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تسبه فاقعة أبداً . وليس في هذه السور الثلاث ذكر الله : اقترت ، الرحمن ، الواقعة ، والله أعلم .

### ( سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( سَبِّحْ لِلَّهِ ) جاء في بعض الفوائد سبح بلفظ الماضي وفي بعضها بلفظ المضارع وفي بى اسرائيل بلفظ المصدر وفي الأئمة بلفظ الأمر استيمادا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهي أربع : المصدر والماضي والمضارع والأمر وهذا الفعل قد عدى باللام تارة وبنفسه أخرى في قوله وتسبحوه وأصله التمدى بنفسه لأن معنى سبحته بمدته من السوء منقول من سبح إذا ذهب وبعد فاللام إما أن تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له وإما أن يراد بسبح الله اكتسب التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصا ( مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) ما بشأن منه التسبيح ويصح ( وَهُوَ الْعَزِيزُ ) المنتقم من مكلف لم يسبح له عبادا ( الْحَكِيمُ ) في مجازاة من سبح له عبادا ( لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) لا لنبيه وموضع ( يُخْرِجُ ) دفع أى هو يخرج الموتى ( وَوُعِيَتْ ) الأحياء أو نصب أى له ملك السموات والأرض عبيدا ومميتا ( وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) هو القديم الذى كان قبل كل شئ ( وَالْآخِرُ ) الذى يبقى بمدهلاك كل شئ ( وَالْعَظِيمُ ) بالأدلة الدالة عليه ( وَالْبَاطِنُ ) لكونه غير مدرك بالحواس وإن كان مرئيا والواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولى والآخرة

والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعمل أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأولين ومجموع الصفتين الآخرين فهو مستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن وقيل الظاهر البالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه إذا علاه وغلبيه والباطن الذي بطن كل شيء أى علم باطنه (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من الحسن من أيام الدنيا ولو أراد أن يجعلها في طرفة عين لفعل ولكن جعل الستة أصلا ليسكون عليها الدار (ثُمَّ اسْتَوَى) استوى (عَلَى الْمَرْشِ يَتَكَلَّمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ) ما يدخل في الأرض من البندر والقطر والكنود والملو (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) من النبات وغيره (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) من الملائكة والأقطار (وَمَا يَرْجُ فِيهَا) من الأعمال والفعوات (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) بالعلم والقدره موموا وبالفضل والرحمة خصوصا (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم على حسب أعمالكم (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يُرْسِلُ الْيَلَّ فِي النَّهَارِ) يدخل الليل في النهار بأن ينقص من الليل ويزيد في النهار (وَيُرْسِلُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُذُوا) يحتمل الزكاة والإففاق في سبيل الله (مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ) يعنى أن الأموال التي في أيديكم إعساها أموال الله مخلقه وإنشائه لها وإنما مولكم إياها للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي بأموالكم في الحقيقة وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب فأنفقوا منها في حقوق الله تعالى ولين عليكم الإففاق منها كما يهون على الرجل الإففاق من مال غيره إذا أذن له فيه أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيا في أيديكم بتورثه إياكم وسبقه منكم إلى من بعدكم فاعتبروا بما لهم ولا تبخلوا به (فَالَّذِينَ ءَامَنُوا) بالله ورسله (مِنْكُمْ وَأَنْقُذُوا أَنْفُسَهُمْ أَجْرَهُ كَبِيرٌ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) هو حال من معنى الفصل في مالكم كما تقول مالك قائما بمعنى ما تصنع قائما أى ومالككم كافرين بالله والواو في (وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ) وأوالحال فيها حالان متداخلتان والمعنى وأى عندكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم (لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ) وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بقوله :

ألمست بربكم أو بما ركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر في الأدلة فإذا لم تبق لكم  
 حلة بعد أدلة العقول وتبينه الرسول فما لكم لا تؤمنون ( إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) لوجب ما  
 فإن هذا الموجب لا مزيد عليه أخذ ميثاقكم أبو عمرو ( هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَنْكَ عَبْدِهِ )  
 محمد ﷺ ( مَا يَتَّبِعْتِ ) يعنى القرآن ( لِيُخْرِجَكُم ) الله تعالى أو محمد بدعوته ( مَنْ  
 الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ) من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ( وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ ) بالبد  
 والهمزة حجازى وشامى وحفص ( رَحِيمٌ ) الرأفة أشد الرحمة ( وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا )  
 فى أن لا تنفقوا ( فى سَبِيلِ اللَّهِ وَفِي مِيرَاثِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يرث كل شئ فيهما  
 لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره يعنى وأى غرض لكم فى ترك الإنفاق فى سبيل الله  
 والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ البعث على الإنفاق فى  
 سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال ( لَا يَسْتَوِى مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ  
 الْفَتْحِ وَقَتْلَ ) أى فتح مكة قبل هز الإسلام وقوة أهله ودخول الناس فى دين الله أفواجا ومن  
 أنفق من بعد الفتح لحذف لأن قوله من الذين أنفقوا من بعد يدل عليه ( أُولَئِكَ ) الذين  
 أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم النبي ﷺ :  
 لو أنفق أحدكم مثل أحد ذبها ما بلغ مدا أحدهم ولا نصيفه. ( أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا  
 مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا ) أى كل واحد من الفريقين ( وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ) أى الثوبة  
 الحسنى وهى الجنة مع تفاوت الدرجات وكلا مفعول أول لوعده الحسنى بمفعول ثان وكل  
 شأى أى وكل وعده الله الحسنى زلت فى أبى بكر رضى الله عنه لأنه أول من أسلم وأول  
 من أنفق فى سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه ( وَإِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ) فيجازيكم  
 على قدر أعمالكم ( مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ) يطيب نفسه والمراد الإنفاق فى  
 سبيله واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء ( فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ) أى يعطيه أجره على إنفاقه  
 أضعافا مضاعفة من فضله ( وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ) أى وذلك الأجر المضموم إليه الأضاف كريم  
 فى نفسه فيضاعفه مكى فيضاعفه شامى فيضاعفه حاصم وسهل فيضاعفه غيرهم فالنصب على  
 جواب الاستفهام والرفع على فهو فيضاعفه أو عطف على يقرض ( يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ )



ظرف لقوله وله أجر كريم أو منصوب بإظهار ذكر تظلياً لتلك اليوم (يَسْمَى) بمعنى (نُورُهُمْ) نور التوحيد والطاعات وإعاقال (يَبِينُ أَيْدِيَهُمْ وَيَأْمِنُ بِهِمْ) لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شاطئهم ووراء ظهورهم فيجمل النور في الجهتين شماراً لهم وآية لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبسحقاتهم البيض أفلحوا فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسمون سمي بسميهم ذلك النور وتقول لهم الملائكة (بُشِّرْكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ) أى دخول جنات لأن البشارة تقع بالأحداث دون الجثث (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ) هو بدل من يوم ترى (الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقِينَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْظَرُونَا) أى انتظرونا لأنه يسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطفة. أنظرونا حصة من النظرة وهى الإعمال جمل اتقادهم فى الضى إلى أن يلحقوا بهم إنظاراً لهم (تَقْبَلِينَ مِنْ نُورِكُمْ) نسب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستقبروا به (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) طردكم وتهكم بهم أى تقول لهم الملائكة أو المؤمنون ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقبَس أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نوراً بتحصيل سببه وهو الإيمان (فَضُرِبَ بِيَنَهُمْ) بين المؤمنين والنافقين (يُسُورُ) بمخاطب حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الأعراف (لَهُ) فذلك السور (بَابُ) لأهل الجنة يدخلون منه (يَاطُنُ) باطن السور أو الباب وهو الشق الذى على الجنة (فِيهِ الرَّحْمَةُ) أى النور أو الجنة (وَوُظِّهَرُ) ما ظهر لأهل النار (مِنْ قَبْلِهِ) من عنده ومن جهته (الْمَذَابُ) أى الظلمة أو النار (يُنَادُونَهُمْ) أى بتادى النافقون المؤمنين (أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) يريدون مراقبتهم فى الظاهر (قَالُوا) أى المؤمنون (بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) محتموها بالفتاق وأهلكتموها (وَتَرَبَّسْتُمْ) بالمؤمنين الدوائر (وَارْتَبْتُمْ) وشككم فى التوحيد (وَعَرَّيْنَاهُ الْأُمَانِيَّ) طول الآمال والطمع فى امتداد الأعمار (حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) أى الموت (وَعَرَّيْنَاهُ بِاللَّهِ) أنفروا (وَعَرَّيْنَاهُ) وبأن الله عفو كريم لا يميز بينكم أو بأنه لا يثبت ولا حساب (قَالِيَوْمَ

لَا يُوْخَذُ) وبالناء شامى (مِنْكُمْ) أيها الناقون (فِدْيَةٌ) ما يفدى به (وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَسُكُمْ النَّارُ) مرجعكم (هِيَ مَوْلَاكُمْ) هي أولى بكم وحقيقة مولاكم همراكم أي مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مثنة للكرم أي مكان لقول القائل إنه لكمريم (وَيُنْسِ الْقَمِيرُ) النار (أَلَمْ يَأْنِ) من أنى الأمر يأتي إذا جاء إناءه أي وقته فيل كانوا مجدين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنمة فقرتوا عما كانوا عليه فترت ومن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين إسلامنا وبين أن موتنا بهذه الآية إلا أربع سنين ومن ابن أبي بكر رضى الله عنه إن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل الجامة فبكوا بكاء شديدا فظفر إليهم فقال هكذا كنا حتى نلت القلوب (لِلَّذِينَ ءَاتَيْنَا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) بالتخفيف نافع وحسن الباقون نزل وما معنى القى والمراد بالذكر وما نزل من الحق القرآن لأنه جامع للأمرين للذكر والموعظة وأنه حق نازل من السماء (وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ) القراءة بالياء عطف على تخشع وبالناء ورش على الالتفات ويجوز أن يكون نهيًا لهم عن مماثلة أهل الكتاب في فسوة القلوب ببدآن وبخوا وذلك أن بنى إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهوراتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خضعوا لله وركعت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والفسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التعريف وغيره (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ) الأجل أو الزمان (فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ) باتباع الشهوات (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين أى وقليل منهم مؤمنون (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْشُرُ الْأَرْضَ بِمَدِّ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَكُمْ تَقِيلُونَ) قيل هنا تمثيل لأثر الذكر في القلوب وأنه يحييها كما يحيى النبات الأرض (إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ) بتشديد الفال وحده مكى وأبو بكر وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله بمعنى المؤمنين. الباقون بتشديد الصاد والبال وهو اسم فاعل من تصدق فأدغمت التاء في الصاد وقرئ على الأصل (وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) هو عطف على معنى الفعل في المصدقين لأن اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو استدقوا كأنه قيل إن الذين استدقوا وأقرضوا والقرض الحسن أن يتصدق من

الطيب من طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة (يُضَاعَفْ لَهُمْ) يضاعف مكي وشامي  
(وَأَهُمُّ أَجْرُهُ كَرِيمٌ) أى الجنة (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِآلِهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ  
وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يريد أن المؤمنين بالله ورسوله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء  
والمؤمنين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله (لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) أى مثل  
أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ويجوز أن يكون والشهداء مبتدأ ولهم أجرهم خبره  
(وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا  
لُبْسٌ) كلب السبيان (وَلَهُمْ) كلهم الفتيان (وَزِينَةٌ) كزينة السموان (وَتَفَاخُرٌ يَنْسِكُمْ)  
كتفاخر الأقران (وَتَكَاثُرٌ) كتكاثر العفان (فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) أى مباهاة بهما  
والتكاثر ادعاء الاستكثار) كمثل غَيْثٍ أُعْجِبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ  
مُغْفِرًا) بعد خضرته (ثُمَّ يَكُونُ حُطْبًا) متفتتا شبه حال الدنيا وسرعة قضائها مع قلة  
حدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى وقوى وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيها  
رزقهم من الغيث والنبات فبث عليه الماهة فهاج واسفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم  
كما فعل بأصحاب الجنة وساحب الجنة وقيل الكفار الزراع (وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ  
شَدِيدٌ) للكفار (وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ) للمؤمنين يعنى أن الدنيا وما فيها ليست  
إلا من عقرات الأمور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وأما الآخرة فاهى إلا  
أمور عظام وهى العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد والكاف فى كمثل غيث فى  
عمل رضع على أنه خبر بعد خبر أى الحياة الدنيا مثل غيث (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعٌ  
الْفُرُوقِ) لمن ركن إليها واعتمد عليها قال ذو النون يا معشر الرديين لا تطلبوا الدنيا وإن  
طلبتموها فلا تمجوها فإن الزاد منها والقيل فى غيرها ولا تحقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر  
الآخرة بمث عباده على المسارعة إلى قيل ما وعد من ذلك وهى المغفرة النجاة من العذاب  
الشديد والفوز بدخول الجنة بقوله (سَارِقُونَ) أى بالأعمال الصالحة (إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنَ  
رَّبِّكُمْ) وقيل سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم فى المضمار (وَجَنَّاتٌ عَرَبَتْهَا كَرُشٌ  
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) قال السدى كمرض سبع السموات وسبع الأرضين وذكر المرصعة

حيون الطول لأن كل ماله عرض وطول فإن مرضه أقل من طوله فإذا وصف مرضه بالبسطة عرف أن  
 طوله أبسط أو أريد بالمرض البسطة وهذا ينفي قول من يقول إن الجنة في السماء الرابعة لأن  
 التي في إحدى السموات لا تكون في مرض السموات والأرض (أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا  
 بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) وهذا دليل على أنها مخلوقة (ذَلِكَ) للوهود من المنفرة والجنة (فَسَلِّ اللَّهُ  
 بِرُؤُسِهِمْ مَنْ يَشَاءُ) وهم المؤمنون وفيه دليل على أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بفضل الله (وَاللَّهُ  
 ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) ثم بين أن كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ  
 فِي الْأَرْضِ) من الجلب وآفات الزروع والثمار وقوله في الأرض في موضع الجر رأى ما أصاب  
 من مصيبة ثابتة في الأرض (وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ) من الأمراض والأوصاب وموت الأولاد  
 (إِلَّا فِي كِتَابٍ) في اللوح وهو في موضع الحال أى إلا مكتوبا في اللوح (مَنْ قَبْلَ أَنْ  
 نُنَزِّلَهُ أَهًا) من قبل أن نخلق الأنفس (إِنْ ذَلِكَ) إن تقدير ذلك وإثباته في كتاب (عَلَى اللَّهِ  
 يَسِيرٌ) وإن كان مسيرا على البعاد ثم ملل ذلك وبين الحكمة فيه بقوله (لِكَيْلَا تَأْسَوْا) نَحْزَنُوا  
 حَزْنَا يَطْلُبِكُمْ (عَلَى مَا فَاتَكُمُ) من الدنيا وسمنها أو من العافية وسعنها (وَلَا تَفْرَحُوا)  
 فرح المختال الفخور (بِمَا آتَاكُمُ) أعطاكم من الإتياء أبو عمرو أتاكم أى جاءكم من  
 الإنبيان أى أنكم إذا علمتم أن كل شئ مقدر مكتوب عند الله قل أساكم على الفاتى وفرحكم  
 على الآن لأن من علم أن ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاجم جزعه عند فقد له لأنه وطن نفسه  
 على ذلك وكذلك من علم أن بعض الخير واصل إليه وأن وصوله لا يفوته بحال لم يظم فرحه  
 عند نيله وليس أحد إلا وهو يفرح عند منفعة نصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به ولكن  
 ينبغي أن يكون الفرح شكرا والحزن سبرا وإعما ينم من الحزن الجزع التافى للصبر ومن  
 الفرح الأثر المطنى اللحن عن الشكر (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) لأن من  
 فرح بمحض من الدنيا وعظم في نفسه اختال واعتخر به وتكبر على الناس (الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ)  
 خبر مبتدأ محذوف أو بدل من كل مختال فخور كأنه قال لا يحب الذين يبتخلون يريد الذين  
 يفرحون الفرح المطنى إذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحجهم له وعزته عندهم يزوونه عن  
 حقوق الله ويستحلون به (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) ويحضون غيرهم على البخل ويرغبونهم

في الإمساك (وَمَنْ يَقُولْ) يعرض عن الإنفاق أو من أوامر الله ونواهيه ولم ينته مما نهي عنه من الأُمى على القانت والفرح بالآتي (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) عن جميع المخلوقات حكيم عنه (الْحَمِيدُ) في أفعاله. فإن الله التقى بترك هومدى وشامى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا) يعنى أرسلنا الملائكة إلى الأنبياء (بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج والمعجزات (وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ) أى الوحي وقبل الرسل الأنبياء والأول أولى لقوله معهم لأن الأنبياء ينزل عليهم الكتاب (وَالْمِيزَانَ) روى أن جبريل نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال مر قومك ينزوا به (لِيَقُومَ النَّاسُ) ليتأملوا بينهم إبقاء واستيفاء (بِالْقِسْطِ) بالعدل ولا يظلم أحد أحدا (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبان والميعة والمطرفة والإبرة وروى ومعه المر والسحاة وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه (فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) وهو القتال به (وَمَنْفِعٌ لِلنَّاسِ) في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فإمن صناعة الإل والحديد آلة فيها أوما يصل بالحديد (وَلِيَمْلِكَ اللَّهُ مَنِ بَصَرُهُ وَرُسُلُهُ) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين وقال الزجاج ليعلم الله من يقاتل مع رسوله في سبيله (بِالتَّمْيِيزِ) غائبا عنهم (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ) يدفع قوته بأس من يعرض عن ملته (عَزِيزٌ) يربط بزمته جأش من يعرض لنصرته والمناسبة بين هذه الأشياء الثلاثة أن الكتاب قانون الشريعة ودستور الأحكام الدينية يبين سبل المرشد والمهود ويضمن جوامع الأحكام والحدود ويأمر بالعدل والإحسان ويهوى عن البنى والطغيان واستعمال المسدل والاجتناب عن الظلم إنما يقع بآلة يقع بها التعامل ويحصل بها التساوى والتبادل وهى الميزان ومن المعلوم أن الكتاب الجامع للأوامر الإلهية والآلة الموسوعة للتعامل بالتسوية إنما نحض العامة على اتباعهما بالسيف الذى هو حجة الله على من جحد وعتد، ونزع عن صفعة الجماعة البد. وهو الحديد الذى وصف بالبأس الشديد (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ) خصا بالذكر لأنهما إبران للأنبياء عليهم السلام (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا) أولادهما (التَّوْبَةَ وَالْكِتَابَ) الوحي وعن ابن عباس رضى الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة (فَمِنْهُمْ) فمن القرية أو من الرسل إليهم وقد دل عليهم ذكر الإرسال والمرسلين (مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ

فَسَيُؤَنِّقُونَ) هذا تفصيل لحالهم أى فمنهم من اهتدى باتباع الرسل ومنهم من فسق أى خرج من الطاعة والغلبة للفساق (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ) أى نوح وإبراهيم ومن مضى من الأنبياء (يُرْسِلْنَا وَنَقِيصًا يَمِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً) مودة ولينا (وَرَحْمَةً) تملط على إخوانهم كما قال في صفة أصحاب النبي ﷺ رجاء بينهم (وَرَهْبَانِيَّةً) هى زهدهم في الجبال غارين من الفتنة في الدين غلصين أنفسهم للعبادة وهى الفعلة النسوية إلى الرهبان وهو الخائف فلان من زهد كخشيان من خشى واتصافها بفعل مضمهر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية (ابتدعوها) أى أخرجوها من عند أنفسهم ونذروها (مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ) لم نقرضها نحن عليهم (إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ) استثناء منقطع أى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) كما يجب على الناذر رعاية نذره لأنه عهد مع الله لا يحل نكثه (فَأَتَيْنَاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِمْ أَجْرَهُمْ) أى أهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام أو الذين آمنوا بحمد ﷺ (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُسِقُونَ) الكافرون (يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا) الخطاب لأهل الكتاب (اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرُسُولِهِ) محمد ﷺ (يُؤْتِكُمْ) الله (كِفْلَيْنِ) نصيبين (مِنْ رَحْمَتِهِ) لإيمانكم بحمد ﷺ وإيمانكم بمن قبله (وَيَجْعَلْ لَّكُمْ) يوم القيامة (نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) وهو النور المذكور في قوله يسمي نورم الآية (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ذنوبكم (وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ثَلَاثًا يَمَلِكُمْ) ليعلم (أَهْلُ الْكِتَابِ) الذين لم يسلموا ولا مزيدة (أَلَّا يَقْدِرُونَ) أن تخفف من العقوبة أصله أنه لا يقدر أن يفعل شيئاً لا يقدر أن الشأن لا يقدر أن يفعل شيئاً من فضل الله (أى لا يتألمون شيئاً مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والغفرة لأنهم لم يؤمنوا برسول الله ﷺ فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلاً قط (وَأَنَّ الْفَضْلَ) عطف على أن لا يقدر أن يفعل شيئاً (أى في ملكه وتصرفه (يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) من عباده (وَإِنَّ اللَّهَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) والله أعلم .

(سورة المجادلة مدنية وهي اثنتان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ) تحاورك وقرئ بها وهي خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أخت عبادة وأما وهي تسمى وكانت حسنة الجسم فلما سلت راودها فأبت فغضب فظاهر منها فأنت رسول الله ﷺ فقالت إن أوساً تزوجني وأنا شابة مرغوب في فلما خلا سني وثرت بطنى ساءى كثروا ولدت جملتى عليه كأمة وروى أنها قالت: إن لي صبية صفراء إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاءوا. قال ﷺ: ما عندي في أمرك شيء. وروى أنه قال لما حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقاً وإنما هو أبو ولدي وأحب الناس إليّ فقال حرمت عليه فقالت أشكو إلى الله فاقبى ووجدى كلما قال رسول الله ﷺ حرمت عليه هتفت وشكت فزلت (فِي زَوْجِمَا) في شأنه ومناه (وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ) تظهر ما بها من الكروه (وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ كَمَا) مراجعتكما الكلام من حار إذا رجع (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) يسمع شكوى المضطر (بَصِيرٌ) بحاله (الَّذِينَ يَظْهَرُونَ) صاهم يظهرون حجازي وبصري غيرهم يظهرون وفي (مِنْكُمْ) نويخ للعرب لأنه كان من إيمان أهل جاعليتهم خاصة دون سائر الأمم (مَنْ نَسَايَهُمْ) زوجاتهم (مَنْ هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ) أمهاتهم المفضل، الأول حجازي والثاني تميمي (إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ) يريد أن الأمهات على الحقيقة الرالعات والرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع وكذا أزواج رسول الله ﷺ زيادة حرصهن وأما الزوجات فأبعد شيء من الأمومة فلما قال (وَلَهُمْ لَيَقُولُنَّ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ) تنكره الحقيقة والأحكام الشرعية (وَزُورًا) وكذباً باطلاً منحرفاً عن الحق (وَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ غَفُورٌ) لما سلف منهم (وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ) بين في الآية الأولى أن ذلك من قائله منكر وزور وبين في الثانية حكم الظهار (ثُمَّ يَتُودُونَ لِمَا قَالُوا) المود الصيرورة ابتداء أو بناء فمن الأول قوله تعالى: حتى إذا كالمرجون القديم. ومن الثاني: وإن عدم عدنا. ويمد بنفسه كقولك عدته إذا أتيته وصرت إليه وبحرف الجر يالي وعلى واللام كقوله ولوردوا لمادوا لأنها عنه ومنه ثم يمدون لما قالوا أى يمدون لنقض

ما قالوا أو لئلا يركه على حذف الضاف وعن ثعلبة يمودون لتحليل ما حرموا على حذف الضاف أيضا غير أنه أراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة القول فيه كقوله وزمه ما يقول أراد القول فيه وهو المال والولد ثم اختلفوا أن النقص بماذا يحصل مندنا بالزعم على الوطء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وعند الشافعي بمجرد الإمساء وهو أن لا يطلقها عقيب الظهار (فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ) فلهي اعتاق رقبة مؤمنة أو كافرة ولم يجز الدبر وأم الولد والمكاتب التي أدى شيئا (مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَا) الضمير يرجع إلى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها والماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر إلى فرجها بشهوة (ذَلِكَ) الحكم (تَوْعظُونَ بِهِ) لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجنابة فيجب أن تتمظوا بهذا الحكم حتى لا تمودوا إلى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أبي وإذا وضع موضع أنت عضوا منها يعب به من الجملة أو مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر إليه من الأم كالبطن والفخذ أو مكان الأم ذات رحم محرم منه بنسب أو رضاع أو صهر أو جماع نحو أن يقول أنت علي كظهر أختي من الرضاع أو عمتي من النسب أو امرأة ابني أو أبي أو أم امرأتي أو ابنتها فهو مظاهر وإذا امتنع المظاهر من الكفارة للمرأة أن ترافقه وعن القاضي أن يجبره على أن يكفر وأن يحبس ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس إلا كفارة الظهار لأنه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فإن مس قبل أن يكفر استغفر الله ولا يمود حتى يكفر وإن اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبي حنيفة رضى الله عنه (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ) الرقبة (فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ) فلهي صيام شهرين (مُقْتَضَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ) الصيام (فَلِإِطْعَامِ) فلهي إطعام (سِتِّينَ مِسْكِينًا) لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره ويجب أن يقدمه على المسكين ولكن لا يستأنف إن جامع في خلال الإطعام (ذَلِكَ) البيان والتعليم للأحكام (لِيُؤْمِنُوا) لتصدقوا (يَا أَيُّهَا رَسُولُ اللَّهِ) في العمل بشرائعه التي شرعها من المظاهر وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم (وَرَبَّكَ) أي الأحكام التي وصفنا في المظاهر والكفارة



(خُدُودُ اللَّهِ) التي لا يجوز تمديدها (وَالْكَافِرِينَ) الذين لا يقيمونها (عَذَابُ أَلِيمٌ) مؤلم  
 (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) يمدون ويشاقون (كَيْتُورًا) اغزواواهلكوا (كَمَا  
 كَيْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من أهداء الرسل (وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ) تدل على صدق  
 الرسول وحجة ما جاء به (وَالْكَافِرِينَ) بهذه الآيات (عَذَابُ مُهِينٌ) يذهب بهزم وكبرم  
 (يَوْمَ يَبْسُطُ) منصوب بهمين أو ياضهر اذكر تعظيما لليوم (اللَّهُ جَمِيعًا) كلهم لا يترك  
 منهم احدا غير مبسوٓط أو مجتممين في حال واحدة (فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا) تخجلا لهم ونوبيضا  
 وتشهيرا بما لهم يمتنون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزي على ردوس الأشهاد  
 (أَخْصَهُ اللَّهُ) احاط به عددا لم يفته منه شيء (وَنَسُوهُ) لأنهم تهاونوا به حين ارتكبوه  
 وإنما تحفظ معظلات الأمور (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) لا ينيب عنه شيء (أَلَمْ تَرَ أَنَّ  
 اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ) من كان التامة أى ما يقع (مِنْ  
 نَجْوَى ثَلَاثَةٍ) النجوى التناجى وقد اضيفت إلى ثلاثة أى من نجوى ثلاثة نفر (إِلَّا هُوَ)  
 أى الله (رَأَيْتَهُمْ) وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى) ولا اقل (مِنْ ذَلِكَ وَلَا  
 أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ) يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه مام فيه وقد تعالى عن المكان  
 علوا كبيرا وتخصيص الثلاثة والخمسة لأنها نزلت في المناققين وكانوا يتعلقون بالتناجى مفاظلة  
 للمؤمنين على هذين المدينين وقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة ولا أدنى من عديدهم ولا  
 أكثر إلا والله معهم يسمع ما يقولون ولأن أهل التناجى في العادة طائفة من أهل الرأى  
 والتجارب وأول عديم الاثنان فصاعدا إلى خمسة إلى ستة إلى ما اقتضته الحال فذكر عزوعلا  
 الثلاثة والخمسة وقال ولا أدنى من ذلك فدل على الاثنين والأربعة وقال ولا أكثر فدل على  
 ما يقارب هذا العدد (أَيَّنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ) فيجازيهم عليه  
 (إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءَ عِلْمٍ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَمُودُونَ لِمَا نَهَوْا  
 عَنْهُ وَيَنْجَوْنَ بِأَلْسِنَتِهِمُ وَالْمُدَّانِ وَمَعْمِيتِ الرَّسُولِ) كانت اليهود والمنافقون يتناجون  
 غيا بينهم ويتنازعون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين ويريدون أن يظلموهم ويوهموهم في نجوهم  
 وتكلمهم أن غراتهم غلبوا وأن أغانبهم تكلموا فيها رسول الله ﷺ فسادوا مثل قلمهم وكان

تتأجبهن بما هو أئمه وعدوان للمؤمنين وتواص بمحبة الرسول ومخالفته، ويتحجون حجة وهو  
 بمعنى الأول (وَإِذَا جَاءَهُكَ حَيَّوْكَ يَمَّا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ) يعنى أنهم يقولون في تحيتك  
 السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى، وبأبيها  
 الرسول، وبأبيها النبي (وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ) أى يقولون فيما  
 بينهم لو كان نبيا لما قبلنا الله بما هو له فقال الله تعالى (حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ) عذابا (يَصَلُّونَهَا)  
 حل أى بدخلونها (فَيَبْسُ الْمَصِيرُ) المرجع جهنم (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) بالسنهم وهو  
 خطاب للمنافقين والظاهر أنه خطاب للمؤمنين (إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّجُوا بِأَلْسِنِهِمْ  
 وَالتَّدْوِينَ وَمَعَصِيَتِ الرَّسُولِ) أى إذا تناجيتم فلا تشبهوا باليهود والمنافقين في تناجيهم  
 بالشر (وَتَنَجَّجُوا بِالْبُيْرِ) بأداء الفرائض والطاعات (وَالْتَقَوُا) وترك المامسى (وَأَقْرُوا  
 اللَّهُ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من خير أو شر (إِنَّمَا  
 النَّجْوَى) بالائمه والدوان (مِنَ الشَّيْطَانِ) من تزيينه (لِيَحْزُنَ) أى الشيطان وبضم  
 الباء نافع (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَآلَيْسَ) الشيطان أو الحزن (بِصَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)  
 سلمه وقضائه وقدره (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) أى يكونون أمرهم إلى الله ويستعينون  
 به من الشيطان (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ) (في المجلس)  
 توسعوا فيه، في المجلس عاصم ونافع والمراد بجلس رسول الله ﷺ وكانوا يتضامون فيه تنافسا على  
 القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مرا كز النزاة  
 كقوله معاذ للقتال . مقاتل في صلاة الجمعة (فَأَفْسَحُوا) فوسعوا (يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ) مطلق  
 في كل ما يبتنى الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك (وَإِذَا  
 قِيلَ انشُرُوا) انهضوا للتوسعة على المتقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله ﷺ إذا أمرتم  
 بالنهوض عنه أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير (فَانشُرُوا) بالضم فيهما مدنى  
 وشامى وعاصم غير حماد (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ) بامتثال أوامره وأوامر رسوله  
 (وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) والعللين منهم خاصة (دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) وفى  
 الدرجات قولان أحدهما في الدنيا في المرتبة والشرف والآخر في الآخرة وعن ابن مسعود

رضى الله عنه أنه كان إذا قرأها قال : يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي ﷺ : فضل العلم على المابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وعنه ﷺ : عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة المابد أربعين سنة. وعنه ﷺ : يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء. فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله ﷺ وعن ابن عباس رضي الله عنهما : خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فأختار العلم فأعطى المال والملك ثم قال ﷺ : أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم. وعن بعض الحكماء ليت شعري أى شيء أدرك من فاته العلم وأى شيء فات من أدرك العلم. وعن الزبيرى العلم ذكر فلا يحبه إلا ذكورة الرجال والعلوم أنواع فأشرفها أشرفها معلوما ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ ) إذا أردتم مناجاته ( قَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمْ سَدَقَةً ) أى قبل نجواكم وهى استشارة ممن له يدان كقول عمر رضى الله عنه من أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمر به الكريم ويستنزل به اللثيم يريد قبل حاجته ( ذَلِكَ ) التقديم ( خَيْرٌ لَّكُمْ ) فى دينكم ( وَأَطْهَرُ ) لأن الصدقة طهرة ( فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا ) ما تتصدقون به. ( فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ) فى رخص المناجاة من غير صدقة قيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان إلا ساعة من نهار ثم نسخ وقال على رضى الله عنه هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان لى دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدقت ب درهم وسألت رسول الله ﷺ عشر مسائل فأجابنى عنها قلت يا رسول الله ما الوفاء، قال : التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله. قلت وما الفساد، قال : الكفر والشرك بالله. قلت وما الحق، قال : الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك. قلت وما الحيلة، قال : ترك الحيلة. قلت وما على، قال : طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف أَدْعُو الله تعالى قال بالصدق واليقين قلت وماذا أسأل الله قال المافية قلت وما أصنع لنجاة نفسى قال : كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال : الجنة قلت وما الراحة قال : لقاء الله. فلما فرغت منها نزل نسخها ( ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمْ سَدَقَاتٍ ) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الإنفاق الذى تكرهونه ( فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا ) ما أمرتم به وحق عليكم ( وَتَابَ اللَّهُ

عَلَيْكُمْ) أى خفف عنكم وأزال عنكم الواخذة بترك تقديم الصدقة على النجاة كما أزال  
 الواخذة بالذنب عن التائب عنه ( فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ )  
 أى فلا تفرطوا فى الصلاة والزكاة وصائر الطاعات ( وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) وهذا وعد  
 :نورعبد ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ) كان المنافقون يتولون اليهود  
 وهم الذين غضب الله عليهم فى قوله من لعنه الله وغضب عليه وينقلون إليهم أسرار المؤمنين  
 ( مَا هُمْ مِنْكُمْ ) يا مسلمون ( وَلَا مِنْهُمْ ) ولا من اليهود كقوله: مذبذبين بين ذلك لا إلى  
 هؤلاء ولا إلى هؤلاء ( وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ ) أى يقولون والله إنا مسلمون لا منافقون  
 ( وَهُمْ يَكْتُمُونَ ) أنهم كاذبون منافقون ( أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ) نورا من المذاب  
 متناقبا ( إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَكْمُلُونَ ) أى إنهم كانوا فى الزمان الماضى مصرين على سوء  
 العمل أو هى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة ( اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ ) الكاذبة ( جُنَّةً ) وقاية  
 دون أموالهم ودمائهم ( فَصَدَّوْا ) الناس فى خلال أمنهم وسلامتهم ( عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) عن  
 طاعته والإيمان به ( فَلَهُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ ) وعدم المذاب الخنزى لكفرهم وصدىم كقوله الذين  
 كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق المذاب ( لَنْ تُنْفِىَ عَنْهُمْ أُمُورُهُمْ وَلَا  
 أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ ) من عذاب الله ( شَيْئًا ) قليلا من الإغناء ( أُولَئِكَ أَمْحَجَ النَّارُ هُمْ  
 فِيهَا خَالِدُونَ يَوْمَ يَبْسُطُ اللَّهُ جَمِيمًا فَيَخْلِفُونَ لَهُ ) أى لله فى الآخرة أنهم كانوا مخلصين  
 فى الدنيا غير منافقين ( كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ ) فى الدنيا على ذلك ( وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ ) فى  
 الدنيا ( عَلَى شَيْءٍ ) من النفع أو يحسبون أنهم على شىء من النفع ثم بأيمانهم الكاذبة كما  
 اتفقوا ههنا ( أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ) حيث استوت حالهم فيه فى الدنيا والآخرة  
 ( اسْتَحْذَرُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ ) استولى عليهم ( فَأَنسَهُمُ ذِكْرَ اللَّهِ ) قال شاه الكرمانى  
 علامة استحواذ الشيطان على المبد أن يشغله بمارة ظاهره من المآكل والمشرب والملابس  
 ويشغل قلبه عن التفكير فى آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه  
 بالكذب والنية والبهتان ويشغل له من التفكير والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها ( أُولَئِكَ  
 رَحِبُ الشَّيْطَانِ ) جنده ( أَلَا إِنَّ رَحِبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَسِرُونَ ) إِنَّ الَّذِينَ يُصَادُونَ

اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ( في جملة من هو أذل خلق الله تعالى لا يرى أحدا أذل  
 منهم ) ( كَتَبَ اللَّهُ ) في الروح ( لَا غَلِيلَ ) أَنَا وَرُسُلِي بِالْحِجَةِ وَالسِّيفِ أَوْ بِأَحَدِهِمَا ( إِنَّ  
 اللَّهَ قَوِيٌّ ) لا يمتنع عليه ما يريد ( عَزِيزٌ ) غالب غير مغلوب ( لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ  
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ ) هو مفعول ثانٍ لتجد أو حال أو صفة لقوما وتجد بمعنى  
 تصادف على هذا ( مَنْ حَادَّ اللَّهَ ) خالفه وعاداه ( وَرَسُولَهُ ) أى من الممتنع أن تجحد قوما  
 مؤمنين يوالون المشركين والمراد أنه لا ينبغي أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال  
 مبالغة في الزجر من مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخاطبتهم ومساشرتهم وزاد  
 ذلك تأكيداً وتشديدا بقوله ( وَلَوْ كَانُوا آبَاءَكُمْ أَوْ أَبْنَاءَكُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ )  
 وبقوله ( أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ) أى أثبتهم فيها وبمقابلة قوله أولئك حزب  
 الشيطان بقوله أولئك حزب الله ( وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ) أى بكتاب أنزله فيه حياة لهم  
 ويجوز أن يكون الضمير للإيمان أى روح من الإيمان على أنه في نفسه روح لحياة القلوب  
 به وعن الثوري أنه قال كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد المرز بن  
 أبي رواد أنه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها وقال سهل من صحح إيمانه وأخلص  
 توحيده فإنه لا يأنس بمبتدع ولا يجالس ويظهر له من نفسه المداوة ومن داهن مبتدعا  
 سلبه الله حلاوة السنن ومن أجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا أوغناها أذه الله بذلك المز وأقره  
 بفلك النفي ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب  
 ( وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ) بتوحيدهم  
 الخالص وطاعتهم ( وَرَضُوا عَنْهُ ) بثوابه الجسيم في الآخرة أو بما قضى عليهم في الدنيا  
 ( أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ) أنصار حقه ودعاة خلقه ( أَلَّا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ )  
 الباقون في النعيم القيم الفائزون بكل محبوب الآمنون من كل مرهوب .

## ﴿سورة الحشر مدنية وهي أربع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) روى أن هذه السورة نزلت بأسرها في بني النضير وذلك أن النبي ﷺ حين قسم المدينة صالح بنو النضير رسول الله ﷺ على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا: هو النبي الذي نعمته في الثوراة فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكة خالف أباسفيان عند الكعبة فأمر ﷺ محمد بن مسلمة الأنصاري فقتل كعباً غيلة ثم خرج ﷺ مع الجبلي إليهم فاصرم إحدى وعشرين ليلة وأمر بقطع نخيلهم فلما قذف الله الرعب في قلوبهم طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة آيات على بعير ماشاءوا من متاعهم فجاءوا إلى الشام إلى أريحا وأذوعات (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) يعني يهود بني النضير (مِنْ دِيَارِهِمْ) بالمدينة واللام في (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) تتملق بأخرج وهي اللام في قوله تعالى ياليتني قدمت لحياي. وقولك جسته لوقت كذا. أى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم إلى الشام وكانوا من سبط لم يصعبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم إجماله عمر إياهم من خير إلى الشام أو آخر حشرهم حشر يوم القيامة قال ابن عباس رضى الله عنهما من شك أن الحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فهم الحشر الأول وسائر الناس الحشر الثاني وقال لهم رسول الله ﷺ لما خرجوا «امضوا فإنكم أول الحشر ونحن على الآخرة». فتادة: إذا كان آخر الزمان جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس إلى أرض الشام وبها تقوم عليهم القيامة. وقيل ممناه أخرجهم من ديارهم لأول ما حشر فقتلهم لأنه أول قتال قاتلهم رسول ﷺ (مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقه حصونهم وكثرة عددهم وعنتهم (وظَنُّوا أَنَّهُمْ مَّا نَعَمُّهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ) أى ظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذى جاء عليه

أن في تقديم الخبر على المبتدأ دليلا على فرط وثوقهم بمصانئها ومنمها لإيادهم وفي نصير ضميرهم  
اسما لأن وإستناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومهلة لا يزال بها  
بأحد يتعرض لهم أو يطعم في مفازلهم وليس ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم  
(فَأَتَمَّهُمُ اللَّهُ) أي أمر الله وعقابه وفي الشواذ فَأَتَامَ اللَّهُ أي فَأَتَامَ الملاك (مِنْ حَيْثُ لَمْ  
يَخْتَسِبُوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف مرة على  
يد أخيه رضا (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) الخوف (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ  
وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) يخربون أبومروم والتخريب والإخراب الإفساد بالنقض والهدم والتخرية  
للفساد وكانوا يخربون بواطنها والفسلون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأقتهم وأن  
لا تبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دحاهم إلى التخريب حاجتهم إلى الخشب والحجارة  
ليسدوا بها أفواه الأزقة وأن لا يتحصروا بعد جلائهم على بقائهم مساكن للمسلمين وأن  
يتقوا معهم ما كان في أبنيتهم من جيد الخشب والساج وأما المؤمنون فدعاهم إلى التخريب  
لإزالة متعصنهم وأن يتسع لهم مجال الحرب ومعنى تخريبهم لها بأيدي المؤمنين أنهم لما عرضوا  
بنكت السد فذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكفوم إياه (فَأَغْتَرَبُوا بِلَأْوِي  
الْأَبْصَرِ) أي فأناملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذي استعقوا به ذلك فاحذروا أن تفعلوا  
مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم وهذا دليل على جواز القياس (وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ  
مَلَكِهِمُ الْجَلَاءَ) الخروج من الوطن مع الأهل والولد (لَمَدَّيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا) بالقتل والسبي  
كما فعل بيني قريظة (وَلَهُمْ) سواء أجلوا أو قتلوا (فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ) الذي لا أشد  
منه (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ) أي إنما أصابهم ذلك بسبب أنهم (شَاقَرُوا اللَّهَ) خالفوه (وَرَسُولَهُ  
وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ) ورسوله (فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ مَا قَطَعْتُمْ مِّنْ لِّينَةٍ) هو بيان لما  
قطعتم وحل ما نصب بقطعتم كأنه قيل أي شيء قطعتم وأنت الضمير الراجع إلى ما في قوله  
(أَوْ تَرَكْتُمُوهَا) لأنه في معنى اللينة، واللينة: النخلة من الأنوار وبأشوا عن واد قلبت  
لكسرة ما قبلها وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين (فَأَتَمَّةٌ عَلَى أُسُولِهِمَا  
فَبِإِذْنِ اللَّهِ) قطعها وتركها بإذن الله (وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ) وليذل اليهود وينظلم أذن

على فعلهما (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ) جبهه فتيته خاصة (مِنْهُمْ) من بني النضير (فَمَا أَرْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) فلم يكن ذلك بإيجاف خيل أو ركاب منكم على ذلك والركاب الإبل والتمني فدا أوجفتم على تحصيته وتفتيمه خيلا ولا ركابا ولا نصبتم في القتال عليه وإنما مشيتم إليه على أرجلكم لأنه على ميلين من المدينة وكان ﷺ على حمار فحسب (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ شَاءَ) يعني أن ما حول الله رسوله من أموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والذلة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان يسلط رسوله على أعدائهم فالأمر فيه مفوض إليه يضمه حيث يشاء ولا يقسمه قسمة الفنائم التي قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا تقسمها بين المهاجرين ولهيبط الأنصار إلا ثلاثة منهم لفقرهم (وَأَفَاءَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلَهُ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) إنما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لأنها بيان للأولى فهي منها غير أجنبية عنها بين رسول الله ﷺ ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضمه حيث يضع الخمس من الفنائم مقسوما على الأقسام الخمسة وزيف هذا القول بمض المفسرين وقال الآية الأولى نزلت في أموال بني النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه الآية في غنائم كل قرية تؤخذ بقوة النزاة وفي الآية بيان مصرف خمسها فهي مبتدأة (كُنِيَ لَا يَكُونُ دُولَةً) تكون دولة يزيد على كان التامة والدولة والدولة ما يدور للإنسان أى يدور من الجدد ومعنى قوله كيلا يكون دولة (يَنْبَغِي الْأَغْنِيَاءَ مِنْكُمْ) كيلا يكون الثرى الذى حظه أن يعطى الفقراء ليسكون لهم بلغة يمشون بها جدا بين الأغنياء يتكاثرون به (وَمَا آتَاكُمْ مِنَ الرِّسُولِ) أى أعطاكم من قسمة غنيمة أو فية (فَخُذُوهَا) فاقبلوه (وَمَا هَتَّكُمُ عَنْهَا) من أخذها منها (فَاتَّهَوْا) عنه ولا تطلبوه (وَاتَّقُوا اللَّهَ) أن تخالفوه وتهاونوا بأوامره ونهواه (إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن خالف رسول الله ﷺ والأجود أن يكون عاما في كل ما أتى رسول الله ﷺ ونهى عنه وأمر الثرى داخل في عمومهم (لِلْفُقَرَاءِ) بدل من قوله وحاقى القربى والمطلوب عليه والذى منع الإبدال من لله والرسول وإن كان المعنى لرسول الله ﷺ لأن الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء في قوله وينضرون الله ورسوله وأنه يترفع برسول



الله عن التسمية بالفقير وأن الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل  
 (الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَنْوَالِهِمْ) بمكة وفيه دليل على أن الكفار  
 يملكون بالاستيلاء أموال المسلمين لأن الله تعالى ممي المهاجرين قراء مع أنه كانت لهم ديار  
 وأموال (يَبْتَغُونَ) حال (فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) أى يطلبون الجنة ورضوان الله  
 (وَيَنْصَرُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ) أى ينصرون دين الله ويسنون رسوله (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)  
 في إيمانهم وجهادهم (وَالَّذِينَ) معطوف على المهاجرين وهم الأنصار (تَبَوَّءُوا الدَّارَ) توطنوا  
 المدينة (وَالْإِيمَانَ) وأخلصوا الإيمان كقوله \* ملفتنا دنيا وماء بارد \* أو جعلوا الإيمان  
 مستقرا وه توطنوا لهم لتسكنهم واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك أو أراد دار الهجرة  
 ودار الإيمان فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف إليه وحذف المضاف من دار الإيمان  
 ووضع المضاف إليه مقامه (مِن قَبْلِهِمْ) من قبل المهاجرين لأنهم سبقوا في تبوء دار  
 الهجرة والإيمان وقيل من قبل هجرتهم (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَى اللَّهِ) حتى شاطروهم  
 أموالهم وأزلوهم منازلهم وزل من كانت له امرأتان عن إحداها حتى تزوج بها رجل من  
 المهاجرين (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا) ولا يملكون في أنفسهم طلب  
 محتاج إليه مما أوتى المهاجرون من الفء وغيره والمحتاج إليه يسمى حاجة يعنى أن نفوسهم  
 لم تنبع ما أعطوا ولم تطمح إلى شيء منه محتاج إليه وقيل حاجة حسدا مما أعطى المهاجرون  
 من الفء حيث خصهم النبي ﷺ به وقيل لا يجدون في صدورهم مس حاجة من قد ماوتوا  
 لحذف المضافان (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) فقرواصلها خصاص  
 البيت وهي فروجه والجللة في موضع الحال أى مفروضة خصاصتهم روى أنه نزل برجل منهم  
 ضيف فنوم العيبة وقرب الطعام وألفا المصباح ليشتع ضيفه ولا يأكل هو وعن أنس  
 أهدى لبعضهم رأس مشوى وهو مجهود فوجهه إلى جاره فتداولته تسعة أنفس حتى عاد إلى  
 الأول أبو زيد قال لى شباب من أهل بلخ ما أزهدهم عنكم قلت إذا وجدنا أكلنا وإذا قدنا  
 صبرنا قال هكذا عندنا كلاب بلخ بل إذا قدنا صبرنا وإذا وجدنا آرنا (وَمَنْ يُوقِ شَعْرًا

نَفْسِهِ قَالُوا لَيْسَ بِكَ هُمْ الْمُتَغْلِبُونَ ) الظافرون بما أرادوا والشح اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزرة حريصة على المنع وأما البخل فهو المنع نفسه وقيل الشح أكل مال أخيك ظلما والبخل منع مالك وعن كسرى الشح أخسر من الفقر لأن الفقير يقسع إذا وجد بخلاف الشحيح (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ) عطف أيضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التائبون بإحسان وقيل من بعدهم إلى يوم القيامة قال عمر رضى الله عنه دخل في هذا الآية كل من هو مولود إلى يوم القيامة في الإسلام فجعل الواو للمطف وفيها قرى للذين فيها (يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ) قيل هم المهاجرون والأنصار عائشة رضى الله عنها أمروا بأن يستغفروا لهم فسبواهم (وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا ) حفدا (لِلَّذِينَ آمَنُوا ) يعنى الصحابة (رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ) وقيل لسعيد بن المسيب ما تقول في عثمان وطلحة والزبير قال أقول ما قولهم الله وتلى هذه الآية ثم عجب نبيه بقوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ) أى ألم تريا محمد إلى عبد الله بن أبى وأشياعه (يَقُولُونَ لَإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ) يعنى بنى النضير والمراد إخوة الكفر (لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ ) من دياركم (لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ) روى أن ابن أبى وأصحابه دسوا إلى بنى النضير حين حاصرهم النبي ﷺ لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم (وَلَا نَطِيعُ فِئْكُمْ ) فى قتالكم (أَحَدًا أَبَدًا ) من رسول الله والمسلمين إن حملنا عليه أو فى خذلانكم وإخلاف ما وعدناكم من النصرة (وَأِنْ قَوْلُنَا لَنَنْصُرَنَّكُمْ ) وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ) فى موايدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لأنه إخبار باليقين (لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ) وَلَئِنْ قَاتَلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْتِيَنَّ الْأَذْدَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ) إنما قال ولئن نصرهم بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم على الفرض والتقدير كقوله لئن اشركت ليعطينن ملك وكأيلن ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزم المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك أى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزم اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً ) أى أشد رهوبة مصدق رهب النبي

للمفعول وقوله ( فِي سُودِهِمْ ) دلالة على نفاقهم بمعنى أنهم يظهرون لكم في الملاية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم ( مَنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ) لا يملكون الله وعظمته حتى يخشوه حتى خشيته ( لَا يُفْقِلُونَكُمْ ) لا يقدرون على مقاتلتكم ( جَمِيعًا ) مجتمعين بمعنى اليهود والنفاقين ( إِلَّا ) كائنين ( فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ ) بالخنادق والدروب ( أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ) جدار مكى وأبو عمرو ( بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ) يعنى أن البأس الشديد الذى يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لأن الشجاع يهين عند محاربة الله ورسوله ( تَحْسَبُهُمْ ) أى اليهود والنفاقين ( جَمِيعًا ) مجتمعين ذوى ألفة وأحادي ( وَقُلُوا لَهُمْ شَعْيٌ ) متفرقة لا ألفة بينها يعنى أن بينهم إحنا وعداوات فلا يشعزون حتى التمازج وهذا تحسير المؤمنين وتشجيع قلوبهم على قتالهم ( ذَلِكَ ) التفريق ( بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ) أن تشتت القلوب عما يوهن قواهم ويمين على أرواحهم ( كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) أى مثلهم كمثل أهل بدر وخندق البتداء ( قَرِيبًا ) أى استقروا من قبلهم زمانقريباً ( ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم رسول الله ﷺ من قولهم كلاً وبيل وخيم سوء العاقبة يعنى ذاقوا عذاب القتل فى الدنيا ( وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) أى ولهم مع ذلك فى الآخرة عذاب النار ( كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْمَلَكِينَ ) أى مثل النفاقين فى إغرائهم اليهود على القتال ووعدهم بإيهم النصر ثم متاركتهم لهم وإخلافهم كمثل الشيطان إذا استغوى الإنسان بكيمه ثم تبرأ منه فى العاقبة وقيل المراد استغواؤه فريشاً يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جاركم إلى قوله إنى برىء منكم ( فَكَانَ مَقْبَحَةً ) عاقبة الإنسان الكافر والشيطان ( أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ) عاقبتهما خبر كان مقدم وأن مع اسمها وخبرها أى فى النار فى موضع الرفع على الاسم وخالدين حال ( وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ بِنِجْمَاتِهِمُ ) عاقبتهم ( أَمْوَالَهُمْ ) فى أوامره فلا تحالفوها ( وَلَتَنْظُرُنَّ نَفْسٌ ) نكر النفس قليلاً لأنفس النواظر فيها قدمن للآخرة ( مَا قَدَّمَتْ لِنَفْسٍ ) يعنى يوم القيامة سماه باليوم الذى على يومهاه تحريها له أو عبر عن الآخرة بالنكد كان الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد وتكبيره لتعظيم أمره

إلى لفسد لا يعرف كنهه لمظلمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما علمنا بمحنة ما قدمنا خسرنا ما خلفنا (وَاتَّقُوا اللَّهَ) كثر الأمر بالتقوى تأكيداً أو اتقوا الله في أداء الواجبات لأنه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المأصي لأنه قرن بما يجري مجرى الوعيد وهو (إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وفيه تحريض على المراقبة لأن من علم وقت فعله أن الله مطلع على ما يرتكب من الذنوب يجتنب عنه (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ) تركوا ذكر الله عز وجل وما أمرهم به (فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ) فتركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق (أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) الخارجون عن طاعة الله (لَا يَسْتَوِي أَسْحَبُ السَّمَاءِ وَأَسْحَبُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ) هذا تنبيه للناس وإذنان بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة ونها السكهم على إشار الحاجة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار واليون العظيم بين أصحابها وأن الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والغباب الأليم مع أصحاب النار فن حقيهم أن يعلموا ذلك ويحبوا عليه كما تقول لمن نعت أباه هو أبوك فجملة بمنزلة من لا يعرفه فتنبه بذلك هل حق الأيومة الذي يقتضى البر والتعطف وقد استدلت الشافعية بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر وأن الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء وقد أجبنا عن مثل هذا في أصول الفقه والكافي (تَوَازَنَّا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَيْمًا مُتَّصِدَةً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) أى من شأن القرآن وعظمته أنه لو جبل في الجبل تميز وأنزل عليه القرآن لخشع أى لخصع وتطأطأ وتمسح أى تشقق من خشية الله وجاز أن يكون هذا تخيلاً كما في قوله إنا مرضنا الأمانة وبذل عليه قوله (وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) وهى إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله في مواضع من التنزيل والراد توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تحشمه عند تلاوة القرآن وتدبر قواعده وزواجره ثم رد على من أشرك وشبهه بمخلقه قال (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أى السر والعلانية أو الدنيا والآخرة أو المدموم والموجود (هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلَمْ يَكُنْ) الذى لا يزول ملكه (الْقُدُّوسُ) المنزه عن القبايح وفي تسييح اللاتكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح (السَّكَّمُ) الذى سلم الخلق من ظلمه عن الزجاج (الْمُؤْمِنُ) واهب

الأمن وعن الزجاج الذي آمن الخلق من ظلمه أو المؤمن من عذابه من أطاعه (الْمُتَّقِينَ)  
 الرقيب على كل شيء الحافظ له مفعل من الأمن إلا أن همزته قلبت هاء (الْمُتَّقِينَ) الثالب  
 غير المغلوب (الْمُتَّقِينَ) الثالب العظيم الذي ينزل له من دونه أو العظيم الشأن في القسوة  
 والسلطان أو القهار ذو الجبروت (الْمُتَّقِينَ) البليغ الكبرياء والمظنة (سُبْحَنَ اللَّهِ  
 عَمَّا يُشْرِكُونَ) زه ذاته عما يصفه به المشركون (هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ) القدر لما يوجده  
 (الْبَارِئُ) الموجد (الْمُصَوِّرُ) في الأرحام (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) الدالة على الصفات  
 الملا (يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ختم السورة بما بدأ  
 به عن أبي هريرة رضى الله عنه سألت جبريئيل رسول الله ﷺ عن الامم الأعظم قال: عليك  
 بآخر الحشر فأكثر قراءته. فأعدت عليه فأعاد على فأعدت عليه فأعاد على.

### ﴿ سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

روى أن مولاة لأبي عمرو بن سفيان بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله ﷺ بالمدينة  
 وهو بتبجيز للفتح فقال لها: أمسلمة جئت قالت: لا. قال: أفهاجرة جئت. قالت: لا.  
 قال: فإجاه بك. قالت: احتجت حاجة شديدة فأتيت بها بن عبدالمطلب فكسوما وحملوها  
 وزودوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاه عشرة دنانير وكساها بردا واستعملها كتابا  
 إلى أهل مكة نسخته من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة اعلموا أن رسول الله ﷺ يريدكم  
 تغذوا حذركم فخرجت سارة وتزل جبريل بالخبر فبث رسول الله ﷺ عليا وعمارا ومهرطلعة  
 والزبير والعتاد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظمينة  
 ممها كتاب من حاطب إلى أهل مكة تغذوه منها واخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها  
 فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبتا ولا كذب رسول الله ﷺ وسل  
 بسيفه وقال أخرجى الكتاب أو تضى رأسك فأخرجته من عنقها شرها وروى أن رسول  
 الله ﷺ آمن جميع الناس يوم الفتح إلا أربعة هي أحدهم فاستحضر رسول الله ﷺ حاطبا

وقال: ما حلك عليه؟ فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ قارتهم ولكني كنت امرا ملمصا في قريش ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهلهم واموالهم غيري نجشيت على اهل فأردت أن اتخذ عندهم بدا وقد علمت أن الله ينزل عليهم بأسه وأن كتابي لا ينفي عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضى الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال ﷺ: وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضى الله عنه فنزل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) عدى اتخذ إلى مفويله وما عدوى وأولياء والمذوق فعول من عدا كفوة من عدا ولكنه على زنة المصدر أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد وفيه دليل على أن الكبيرة لا تسلب اسم الإيمان (تُلْقُونَ) حال من الضمير في لا تتخذوا والتقدير لا تتخذوهم أولياء ملتين (إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ) أو مستأنف بعد وقف على التوبيخ والإلقاء عبارة عن إيصال المودة والإفضاء بها إليهم والباء في بالمودة زائدة مؤكدة للتعمد كقوله: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة. أو ثابتة على أن مفعول تلقون محذوف متناه تلقون إليهم إخبار رسول الله ﷺ بسبب المودة التي بينكم وبينهم (وَقَدْ كَفَرُوا) حال من لا تتخذوا أو من تلقون أى لا تتولم أو توادونهم وهذه حالهم (بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ) دين الإسلام والقرآن (يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِنَّا لَهُمْ) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوم أو حال من كفروا (أَن تَوَمَّنُوا) تمليل ليخرجون أى يخرجونكم من مكة لإيمانكم (بِإِلَهِ رَبِّكُمْ إِن كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ) متعلق بـ لا تتخذوا أى لا تتولوا أعدائى إن كنتم أوليائى وقول<sup>(١)</sup> النحويين فى مثله هو شرط جوازه محذوف لدلالة ما قبله عليه (جِهْدًا فِي سَبِيلِي) مصدر فى موضع الحال أى إن كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى (وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي) ومبتغين مرضاتى (تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ) أى تفضون إليهم بمودتكم سرا أو تسرون إليهم أسرار رسول الله ﷺ بسبب المودة وهو استئناف (وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ) والمعنى أى طائل لكم فى أسراركم وقد علمت أن

(١) القول بمعنى القول وهو مبتدأ خبره هو شرط الخ .

الإخفاء والإعلان بيان في علمي وأنا مطلع رسول على ماتسرون (وَمَنْ يَقْمَلْهُ) أى هذا الإسراء (مِنْكُمْ قَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) قد أخطأ طريق الحق والصواب (إِنْ يَقْتَفِرُكُمْ) إن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم (يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً) خالى العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم (وَيَسْتَبْطِئُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ) باقتل والشنم (وَوَدُّوا أَنْ تَكْفُرُوا) وغنوا لو تردون عن دينكم فإذا موادة أمثالهم خطأ عظيم منكم والماضى وإن كان يمرى في باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة كأنه قيل ودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم بمعنى أنهم يريدون أن يلعنوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل الأنفس وتمزيق الأهراس وردكم كفارا أسبق المضار عندهم وأولها لهم أن الدين أمر عليكم من أرواحكم لأنكم بذالون لها دونه والمدو أهم شيء عنده أن يقصد أهم شيء عند صاحبه (لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ قُرَابَاتُكُمْ) (وَلَا أَوْلَادُكُمْ) الذين توارون الكفار من أجلهم وتقربون إليهم بحماة عليهم ثم قال (يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُفَصِّلُ بَيْنَكُمْ) وبين أقاربكم وأولادكم يوم يفر المرء من أخيه الآية فالكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا. يُفَصِّلُ ماصم. يُفَصِّلُ حمة وعلى والفعل هو الله عز وجل يُفَصِّلُ ابن ذكوان غيرم يُفَصِّلُ (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم على أعمالكم (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ قَدْوةً في التبرى من الأهل (حَسَنَةٌ فِي بُرَاهِيمَ) أى في أقواله ولهذا استقى منها لإقوال إبراهيم (وَالَّذِينَ آمَنُوا) من المؤمنين وقيل كانوا أنبياء (إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَأَنْفُسُكُمْ) جمع برى كظريف وظرفاء (وَرِمَا تَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفْرًا يَكْفُرْنَا بِكُمْ وَبَدَا يَفْتَنُوا الْغَيْظَ تَرَكُوا عِدَاوتَكُمْ (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ) وذلك لوعده وعدما إياه أى اعتدوا به في أقواله ولا تأمنوا به في الاستغفار لأبيه الكافر (وَمَا أَمُكُ لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) أى من هداية ومغفرة وتوفيق وهذه الجملة لاتباع الاستثناء ألا ترى إلى قوله: قل فمن يملك لكم الله شيئا ولكن المراد استثناء جملة قوله لأبيه والقصد إلى موعد الاستغفار له وما بعده تابع له كأنه قال أستغفر لك وما في طائفتي إلا الاستغفار (رَبِّمَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا) متمثل بما قبل

الاستثناء وهو من جملة الأسوة الحسنة وقيل معناه قولوا ربنا فهو ابتداء أمر من الله المؤمنين بأن يقولوه (وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُ) أقبِلنا (وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) المرجع (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) أى لا تسلطهم علينا فيفتنونا بمذاب (وَإِغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ) أى الغالب الحاكم (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) ثم كرر الحث على الاتساع بإبراهيم عليه السلام وقومه هجرًا وقا كيدا عليهم ولما جاء به مصدرا بالقسم لأنه الناية في التأكيد وأبدل من قوله لكم قوله لمن كان يرجو الله أى ثوابه أى يخشى الله وعقبه بقوله (وَمَن يَقُولْ) يعرض عن أمرنا ويوال الكفار (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ النَّصِيرُ) عن الخلق (الْحَمِيدُ) المستحق للحمد فلم يترك نوعا من التأكيد لإجاء به ولما أنزلت هذه الآيات وتشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين أطمعهم في تحول الحال إلى خلافه فقال (عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَادْتُمْ مِّنْهُمْ) أى من أهل مكة من أقربائكم (مُودَّةً) بأن يوفقهم للإيمان فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم التعصب وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوارج عسى أولم فلان بقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك أو أريد به إطلاع المؤمنين (وَاللَّهُ قَدِيرٌ) على قلب القلوب وتحويل الأحوال وتسهيل أسباب المودة (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) لمن أسلم من المشركين (لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ) تكرموهم وتحسنوا إليهم قولا وفعلا وعمل أن تبروهم جر على البديل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتهال والتقدير عن بر الذين (وَقَسَّطُوا إِلَيْهِمْ) وقسطوا إليهم بالقسط ولا تظلموهم وإذا نعى عن الظلم في حق الشرك فكيف في حق المسلم (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ) هو بدل من الذين قاتلوكم والمضى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وإنما ينهاكم من تولى هؤلاء (وَمَن يَتَوَلَّهُمْ) منكم (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) حيث وضعوا التولى غير موضعه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ) سحاهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة أو لأنهن مشارفات لثبات إيمانهن



بِالْامْتِحَانِ (مُتَحَرِّرَاتٍ) نصب على الحال (فَأَمْتَحِنُوهُنَّ) فابتلوهن بالنظر في الأمارات  
 لينتلب على ظنونكن صدق إيمانهن وعن ابن عباس امتحانها أن تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن  
 محمد رسول الله (اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ) منكم فإنكم وإن رزتم أحوالهن لا تعلمون ذلك حقيقة  
 وعند الله حقيقة العلم به (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ) العلم القى تلبثه طاعتكم وهو الظن  
 الغالب بظهور الأمارات وتسمية الظن علما يؤخذ بأن الظن الغالب وما يقضى إليه القياس  
 جار مجرى العلم وصاحبه خير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم (فَلَا تَرَايَوهُنَّ  
 إِلَى الْكُفَّارِ) فلا تردوهن إلى أزواجهن المشركين (لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ  
 لَهَا) أى لا حل بين المؤمنة والمشرک لوقوع الفرقه بينهما بخروجها مسلمة (وَأَنزَلْنَا  
 أَنْفُقُوا) وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهور نزلت الآية بسد صلح الحديبية  
 وكان الصلح قد وقع على أن يرد على أهل مكة من جاء مؤمنا منهم فأُنزل الله هذه الآية بيانا  
 لأن ذلك في الرجال لا في النساء لأن المسلمة لا تحل للكافر وقيل نسخت هذه الآية الحكم  
 الأول (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات  
 (إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ) أى مهورهن لأن المهر اجر البضع وبه احتج أبو حنيفة رضى  
 الله عنه على أن لا عدة على المهاجرة (وَلَا تُنْكِحُوا) ولا تنكحوا بصرى (بِعَصْرِ الْكُوفَرِ)  
 المصمة ما يعتصم به من عقد وسبب والكوفار جمع كافرة وهى التى بقيت في دار الحرب أو  
 لحقت بدار الحرب مرتدة أى لا يكن بيسكم وبينهن عصمة ولا علقه زوجية. قال ابن عباس  
 رضى الله عنهما: من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يمتدّن بها من نساءه لأن اختلاف المداين  
 قطع عصمتها منه (وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ) من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار من أزواجهن  
 (وَلَيْسَ لَكُمُ أَنْفُقُوا) من مهور نساءهم المهاجرات من أزواجهن منا (ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ)  
 أى جميع ما ذكر في هذه الآية (يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) كلام مستأنف أو حال من حكم الله  
 على حذف الضمير أى يحكمه الله أو جعل الحكم حاكما على البالغة وهو منسوح فلم يبق  
 سؤال المهر لا منا ولا منهم (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) وَإِنْ قَاتَلْتُمُ شَيْءًا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى  
 الْكُفَّارِ) وإن انفلت أحد منهن إلى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود رضى الله عنه أحد

(فَمَا قَبَّيْنُمْ) فأصبتموهم في القتال بمقوبة حتى غنمتم من الرجال (فَاتَّوُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا) فأعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنيمة (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) وقيل هذا الحكم منسوخ أيضا (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ) حال (عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ) يريد وأد البنات (وَلَا يَأْتِينَ بِيَهُنَّ يُفْتَرِيْنَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَرْجُلَيْهِمْ) كانت المرأة تلتقط الولود فتقول لزوجها هو وليس منك كفى بالبهتان المفتري بين يسبها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبة لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تله به بين الرجلين (وَلَا يَمْسِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) طاعة الله ورسوله (فَبَايَعْنَهُ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ هُوَ اللَّهُ فَغُفِرَ) بجميع ما سلف (رَحِيمٌ) بتوفيق ما اتتفق وروى أن رسول الله ﷺ لما فرغ من فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد أسفل منه يبايعهن عنه بأمره ويلبهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقدمة متكررة خوفا من رسول الله ﷺ أن يفرها لما سمعت بحمزة فقال عليه السلام: أبا يمكن على أن لا تشركن بالله شيئا. فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيئا فقال عليه السلام: ولا يسرقن فقالت هند إن أبا سفيان رجل شحيح وإنني أصبت من ماله هنت قال أبو سفيان ما أصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها: إنك لهند. قالت نعم فأعف عما سلف يابني الله عفا الله عنك قال: ولا يزنين. فقالت أو تزني الحرة قال: ولا يقتلن أولادهن. قالت ريئناهم سفارا وقتلهم كبارا فأنتم وهم أعلم بكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله ﷺ فقال: ولا يأتين بهتان. فقالت والله إن البهتان لأمر قبيح ومات أمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق فقال ولا يمسينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نمسبك في شيء وهو يشير إلى أن طاعة الولا لا تجب في المنكر (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَكَّلُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) ختم السورة ببابها به قيل هم المشركون (قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ) من نوابها لأنهم يشكرون البعث (كَمَا يَسْأَلُونَ الْكُفَّارُ) أي كما يسألوا إلا



لاسق بفضه يعض وقيل أريد به استواء نياتهم في حرب عدوم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة  
 كالبنيان الذي رص يعضه إلى بعض وهو حال أيضا (وَإِذْ) منصوب بإذكر (قَالَ مُوسَى  
 لِقَوْمِهِ بِحُومِ لَمَّ تَوَدُّونَنِي) (بِحُومِ) بالفتح والياء والظن بما ليس في (وَقَدْ تَمَلُّونَ) في  
 موضع الحال أي لم تودوني طالعن علما يقينا (أَنْ رَّسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) وقضية عليكم بذلك  
 نوقري وتنظي لا أن تودوني (فَلَمَّا زَاغُوا) مالوا عن الحق (أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) من  
 الهداية أو لما تركوا أوامره نزع نور الإيمان من قلوبهم أو فلما اختاروا الزرع أزاغ الله قلوبهم  
 أي خذلهم وحرهم توفيق اتباع الحق (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) أي لا يهدي  
 من سبق في علمه أنه فاسق (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعُوا إِلَّاءَ اللَّهِ) ولم يقل يا قوم  
 كما قال موسى لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا  
 بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَبَشِيرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) أي أرسلت إليكم  
 في حال تصديقي ما تقدم من التوراة وفي حال تبشيري برسول يأتي من بعدى يعني أن دعي  
 التصديق: التصديق بكتب الله وأنيائه جيما من تقدم وتأخر بعدى حجازي وأبو عمرو  
 وأبو بكر وهو اختيار الخليل وسيبويه واتصبا مصدقا ومبشرا بما في الرسول من معنى الإرسال  
 (فَلَمَّا جَاءَهُمْ) عيسى أو محمد عليهما السلام (بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ  
 مُبِينٌ) ساحر حزة وحلي (وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى  
 الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) وأي الناس أشد ظلما ممن يدعوه وبه على لسان  
 نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة النارين فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله  
 بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر والسحر كذب وتحمويه (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا  
 نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ) هذا تهكم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن هذا سحر  
 مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس فيه ليطفئه والمقول محذوف واللام للتعليل والتقدير  
 يريدون الكذب ليطفئوا نور الله بأفواههم أي بكلامهم (وَاللَّهُ مَعِ نُورِهِ) مكي وحزرة على  
 وحفص مع نوره قيرم أي مع الحق ومبلغه غايته (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ  
 رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ) أي الله الخنيفة (لِيُظْهِرَهُ) ليمليه (عَلَى الدِّينِ)

كُلُّهُ) على جميع الأديان الخالفة له ولعمري لقد فعل قايق دين من الأديان إلا وهو منسوب  
 مقبور بدين الإسلام وعن مجاهد إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض إلا دين الإسلام (وَتَوَرَّ  
 كَرَهُ النَّاسُ كَوْنُ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدْلَكُمُ عَلَىٰ نَجْوَةٍ تُفْجِيكُم مِّنْ عَذَابِ أُولَئِكَ)  
 تنجيكم شأى (تَوَافُونَ) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل؟ فقال توفنون وهو بمعنى آمنوا  
 عند سيبويه ولهذا أجيب بقوله ينفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله  
 وجاهدوا وإنما جىء به على لفظ الخبر للإيدان بوجوب الامتثال وكأنه امثل فهو يخبر من  
 إيمان وجهاد موجودين (يَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ  
 ذَٰلِكُمْ) أى ما ذكر من الإيمان والجهاد (خَيْرٌ لَّكُمْ) من أموالكم وأنفسكم (إِنْ كُنْتُمْ  
 تَعْلَمُونَ) أنه خير لكم كان خيرا لكم حيثئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم  
 الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أموالكم وأنفسكم فتفعلون وتخلصون (يَنْفِرَ لَكُمْ  
 دُونُكُمْ) وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ  
 عَدْنٍ) أى إقامة وخلود يقال عدن بالمكان إذا أقام به كذا قيل (ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ  
 وَآخِرَىٰ تُحِبُّونَهَا) ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة  
 أخرى عاجلة محبوبة إليكم ثم فسرها بقوله (نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) أى عاجل وهو  
 فتح مكة والنصر على قريش أو فتح فارس والروم وفى تحبونها شيء من التوبيخ على محبة  
 العاجل وقال صاحب الكشف<sup>(١)</sup> معناه هل أدلكم على تجارة تنجيكم وعلى تجارة أخرى  
 تحبونها ثم قال نصر أى هى نصر (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) عطف على توفنون لأنه فى معنى الأمر  
 كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله للمؤمنين بذلك وقيل هو  
 عطف على قل مراداً قبل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا  
 أَنْصَارَ اللَّهِ) أى أنصار دينه أنصاراً لله حجازى وأبو عمرو (كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ  
 لِلْحَوَارِيِّينَ مَنَ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) ظاهره تشبيه كونهم أنصاراً بقول عيسى من أنصارى  
 إلى الله ولكنه محمول على المعنى أى كونوا أنصاراً لله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين

(١) فى بعض النسخ الكشف ومراجعتها لم توجد فيه هذه العبارة.

قال لهم من أنصاري إلى الله ومعناه من جندى متوجها إلى نصرة الله لطابق جواب الحوارين وهو قوله ( قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ) أى نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصاري من الأنصار الذين يختصمون بى ويكونون معى فى نصرة الله والحواريون أصفاءه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا وحوارى الرجل صفيه وخالصة من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أى يبيضونها ( فَأَمَتَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ) بعبسى ( وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ) به ( فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ ) قويتنا مؤمنهم على كفارهم ( فَأَسْبَحُوا تَحْمِيْلًا ) فغلبوا عليهم والله ولى المؤمنين والله أعلم .

### ﴿ سورة الجمعة مدنية وهى إحدى عشرة آية ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يَسْبِغُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الثَّمِينِ الْعَكِيمِ ) التسييح إما أن يكون تسييح خلقه يعنى إذا نظرت إلى كل شىء دلتك خلقته على وحدانية الله تعالى وتزيمه عن الأشباه أو تسييح معرفة بأن يجعل الله بلطفه فى كل شىء ما يعرف به الله تعالى ويتره ألا ترى إلى قوله وأن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسييحهم أو تسييح ضرورة بأن يجرى الله التسييح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك ( هُوَ الَّذِي بَعَثَ ) أرسل ( فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ) أى بعث رجلا أميا فى قوم أميين وقيل منهم كتوله من أنفسهم يعلمون نسبه وأحواله والأمى منسوب إلى أمة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرءون من بين الأمم وقيل بدئت الكتابة بالطائف وهم أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الأنبار ( يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِ الْقُرْآنِ وَزُكُرُكُمْ ) ويظهرهم من الشرك وخبائن الجاهلية ( وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ الْكَتِبَ ) القرآن ( وَالْحِكْمَةَ ) السنة أو الفقه فى الدين ( وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ ) من قبل عهد ﷺ ( لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ) كفر وجهالة وإن غففة من الثقيلة واللام دليل عليها أى كانوا فى ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه ( وَءَاخِرِينَ مِنْهُمْ )

مهرور معطوف على الأمين بمعنى أنه بعثه في الأمين الذين على عهد وفي آخرين من الأمين (لَمَّا يَلْحَقُوا يَوْمَهُمْ) أى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضى الله عنهم أو هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم الدين وقيل هم الحجم أو منصوب معطوف على المنصوب في وبعلمهم أى يعلمهم ويعلم آخرين لأن التلميم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستقدا إلى أوله فكانه هو الذى تولى كل ما وجد منه (وَهُوَ الْأَمِيرُ الْعَلِيمُ) في تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم وتأيينه عليه واختياره إياه من بين كافة البعير (ذَلِكَ) الفضل الذى أعطاه عمدا وهوان يكون نبى أبناء عصره ونبي أبناء المصور النواير هو (فَعَزَّ اللَّهُ نُورِيَّهِ مِنْ يَشَارِهِ) اعطاه وتمننيه حكته (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا الثَّورَةَ (أى كلفوا عليها والعمل بما فيها (ثُمَّ لَمْ يَعْمَلُوهَا) ثم لم يعملوا بها فكانهم لم يعملوها (كَمَثَلِ الْجِمَارِ بَخْمِلٍ أَسْفَارًا) جمع سفر وهو الكتاب الكبير ويعمل في عمل النسب على الحال أو الجر على الوصف لأن الجار كالشيء في قوله .

\* ولقد أمر على اللئيم يسبى \* شبه اليهود في أنهم حلة التوراة وقرأوها وحفاظ ما فيها ثم لم يعملوا بها ولم يتغنوا بآياتها وذلك أن فيها تمت رسول الله ﷺ والبشارة به فلم يؤمنوا به بالجرح ككتابا كبيرا من كتب العلم فهو يعيش بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنته ويظهر من السكند والصب وكل من علم ولم يعمل بملء فيه فثامته (يَسْأَلُ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ) أى يسأل مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله أو يسأل مثل القوم المكذبين مثلهم وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله العظمة على صحة نبوة محمد ﷺ (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) أى وقت اختيارهم الظلم أو لا يهدي من سبق في مله أنه يكون ظالما (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا) هاد يهود إذا تهود (إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أى إن كان قولكم حقا وكتم على قمة فتمنوا على الله أن يمتكم ويميتكم سريما إلى دار كرامته التى أعدّها لأولياؤه ثم قال (وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ) أى بسبب ما قدمتموهما من الكفر ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحدة منهما نقي للمستقبل إلا أن في لن تأكيد وتشديدا ليس

في لافأني مرة بلفظ التأكيد ولن يمتنوه ومرة بنير لفظه ولا يمتنونه (وَأَفْهٌ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) وعيد لهم (قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ) ولا تجسرون أن تمتنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم (كَفَانَهُ مُلْكَيْكُمْ) لاجالة والجملة خبر إن ودخلت الفاء لتضمن الذي معنى الشرط (ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ النَّبِيِّ وَالشَّهَدَةِ فَيَنْبِتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَمْلِكُونَ) فيجازيكم بما أنتم آله من العقاب (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) النداء الأذان ومن بيان لإذا وتفسير له ويوم الجمعة سيد الأيام وفي الحديث : من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر (فَأَسْمُوا) فامضوا وقرئ بها وقال الفراء: السمي والمضي والذهاب واحد وليس المراد به السرعة في المشي (إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) أى إلى الخطبة عند الجمهور وبه استدلل أبو حنيفة رضى الله عنه على أن الخطيب إذا اقتصر على الحمد لله جل (وَذَرُوا الْبَيْعَ) أراد الأمر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وإنما خص البيع من بينها لأن يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال فقبل لهم بادروا بتجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسموا إلى ذكر الله الذى لا شيء أنفع منه وأريح وذروا البيع الذى نفعه يسير (ذَلِكُمْ) أى السعى إلى ذكر الله (خَيْرٌ لَّكُمْ) من البيع والشراء (إِنْ كُنْتُمْ تَمْلِكُونَ) فَإِذَا قُضِيََتِ الصَّلَاةُ) أى أدبت (فَاتَّقِشُوا فِي الْأَرْضِ) أمر بإباحة (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) الرزق أو طلب العلم أو عيادة المريض أو زيارة أخ في الله (وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) واشكروه على ما وفقكم لأداء فرضه (لَسَّكُمْ تَفْلِحُونَ) وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا) تفرقوا عنك إليها وتهديره وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها أولهوا، انفضوا إليه تخفف أحدهما لدلالة المذكور عليه وإعنا خص التجارة لأنها كانت أهم عندكم روى أن أهل المدينة أسابهم جوع وغلاء تقدم حبة بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه فابقى معه ثلاثمائة أو اثنا عشر فقال ﷺ: والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لأضرم عليهم الوادى نارا وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطيب والتصفيق فهو المراد باللهو (وَتَرَكُوكَ) على المنبر (فَكَاثِمًا) يخطب وفيه دليل على أن الخطيب ينبغي أن يخطب قائما (قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب (خَيْرٌ مِّنَ الْلَهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ) وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أى لا يغتوهم رزق الله بترك البيع فهو خير الرازقين والله أعلم .



( سورة المنافقين احدى عشرة آية مدنية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إِذَا جَاءَكَ الْمُتَّقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ) أرادوا شهادة واطأت فيها قلوبهم السننهم ( وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ) أى والله يعلم أن الأمر كما يدل عليه قولهم إنك لرسول الله ( وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَفَقِّينَ لَكَاذِبُونَ ) فى ادعاء المواطأة أو إنهم لكاذبون فيه لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسميته شهادة أو إنهم لكاذبون عند أنفسهم لأنهم كانوا يستعدون أن قولهم إنك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال الخبر عنه ( اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ) وقاية من السبى والقتل وفيه دليل على أن أشهد بيمين ( فَمَعْدُودٌ ) الناس ( عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) عن الإسلام بالتنفير <sup>(١)</sup> وإلقاء الشبه ( إِنْهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ ) من نفاقهم وصدوم الناس عن سبيل الله وفى ساء معنى التمجيب الذى هو تعظيم أمرهم عند السامعين ( ذَلِكَ ) إشارة إلى قوله ساء ما كانوا يعمدون أى ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ) أو إلى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستعجان بالإيمان أى ذلك كله بسبب أنهم آمنوا أى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الإسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم إن كان مايقوله محمد حقا فنحن حير ونحو ذلك أو نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام كقوله: وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا. الآية ( فَطَيْعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ) نغم عليها حتى لا يدخلها الإيمان جزاء على نفاقهم ( فَمَنْ لَا يَقْعُوهُ ) لا يدبرون أو لا يعرفون حجة الإيمان والخطاب فى ( وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَمَیَّزُوا كَتِبَ الْكُفْرَ عَلَىٰ أَسْنَانِهِمْ ) لرسول الله أو لكل من يخاطب ( وَإِنْ يَحْمِلُوا أَسْمَاءَهُمْ ) كان ابن أبى رجلا جسيبا صبيحا فعصيحا وقوم من المنافقين فى مثل صفته فكانوا يحضرون

(١) فى بعض النسخ بالتنفير بالعين المجعة أى بالصياح .

جلس النبي ﷺ فيستندون فيه ولم جهارة الناظر وقصاحة الأسن فكان النبي ﷺ ومن  
حضر يمجبون بهيا كلهم ويسمعون إلى كلامهم وموضع ( كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ ) رفع على م  
كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف لا محل له ( مُسْنَدَةٌ ) إلى الحائط شبهوا في استنادهم  
سوامهم إلا أجرام خالية من الإيمان والخير - بالخشب المسندة إلى الحائط لأن الخشب إذا انتفع  
به كان في سقف أو جدار أو غيرها من مظان الانتفاع وما دام متروكا غير منتفع به أسند إلى  
الحائط فشبها به في عدم الانتفاع أو لأنهم أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام، خشب أبو  
مرو غير عباس وعلى جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثرة وثر ( يَخْشَبُونَ كُلٌّ صَبَاحٌ  
عَلَيْهِمْ ) كل سبيحة مفعول أول والمفعول الثاني عليهم وتم الكلام أى يحبسون كل سبيحة  
واقفة عليهم وضارة لهم تخفيفهم ورعبهم يعنى إذا نادى مناد في السكر أو انفلتت دابة أو  
أنشدت ضالة ظنوه إيقاعا بهم ثم قال ( هُمْ الْمَدُّوْ ) أى م الكاملون في المداوة لأن أمدى  
الأعداء المدو الداجى الذى يكاشرك وتحت ضامعه الماء الدوى ( فَاحْذَرُهُمْ ) ولا تغتر  
بظاهرم ( قَتَلَهُمُ اللَّهُ ) مداه عليهم أو تعلم للمؤمنين أن يدهوا عليهم بذلك ( أَلَيْسَ يُوَفِّكُونَ )  
كيف يمدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالهم ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَدَارَوْا يَسْتَفِيزُوا لَكُمْ  
رَسُولُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ رُءُوسَهُمْ ) عطفوها واملوها إمراسا عن ذلك واستكبارا لو و بالتخفيف  
نافع ( وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ ) يرضون ( وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ) عن الاعتذار والاستغفار  
روى أن رسول الله ﷺ حين نزل على المصطلق على الريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتلهم  
أزحم على الماء جهجاه بن سيد أجير لمر وستان الجهنى حليف لابن أبى واقتلا فصرخ  
جهجاه يا للمهاجرين وستان يا للأنصار فأمن جهجاها جبال من قراء المهاجرين ولم  
منانا قال عبد الله لجمال وأنت هناك وقال ما حببنا محمدا إلا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم إلا  
كأن قال بمن كليك يا كلك أما والله لئن رجعا إلى المدينة ليخرجن الأعرض منها الأذل عنى بالأعرض  
نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ ثم قال لقومه والله لو أسكنتم من جبال وذويه فضل الطعام  
لمركبوا رفا بكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفقوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو  
حدث فقال أنت والله القليل القليل المينض في قومك وعمد على رأسه تاج المراج في عز من

الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله أسكت فإنما كنت أئيب فأخبر زيد رسول الله ﷺ  
 فقال مررني الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال إذن ترعد أنت  
 كثيرة يئرب . قال : فإن كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصاريا . قال : فكيف إذا  
 تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله : أنت صاحب الكلام  
 الذي بلنني . قال : والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وإن زيدا لكاذب  
 فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة فقال المخاضرون يا رسول الله شيعتنا وكبيرنا لا تصدق عليه  
 كلام غلام عسى أن يكون قدوم فلما نزل قال رسول الله ﷺ لزيد : يا غلام إن الله قد صدقت  
 وكذب المنافقين . فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آي شدة فاذهب إلى رسول  
 الله ﷺ يستغفر لك فلوى رأسه فقال أمرتوني أن أومن فأمنت وأمرتوني أن أركب مائي  
 فركبت وما بقي لي إلا أن أسجد لمحمد ، فنزل وإذا قيل لهم تمالوا يستغفر لكم رسول الله وإم  
 يلبث إلا أياما حتى اشتكى ومات ( سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ  
 لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ) أي ما داموا على النفاق والمي سواء عليهم الاستغفار وعدمه لأنهم  
 لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لأن الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف  
 حرف الاستفهام لأن أم العادة تدل عليه ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ هُمُ الَّذِينَ  
 يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَعُوا ) ينفقوا ( وَاللَّهُ خَزَائِنُ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) أي وله الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها وإن أبي أهل المدينة أن ينفقوا  
 عليهم ( وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ) ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك  
 فيهدون بما يزين لهم الشيطان ( يَقُولُونَ كَثِيرٌ رَّجَعْنَاكَ ) من غزوة بني المصطلق ( إِلَى  
 الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلَهُ الْغِيظُ وَالْقُوَّةُ ) ( وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ )  
 ولن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصاء بذلك كأن المنة والهوان للشيطان  
 وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رمة أنت على الإسلام  
 وهو المز الذي لا ذل معه والنفى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلا  
 قال له : إن الناس يزعمون أن فيك تبها . قال : ليس بيه ولكنه عزوتلا هذه الآية ( وَلَكِنَّ

الْمُتَّقِينَ لَا يَمْلِكُونَ بَيِّئَاتِ الدِّينِ ؕ آمَنُوا لَا تُنْفِكُوا (أَمْوَالَكُمْ) والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها بالإناء وطلب التناج (وَلَا أُولَدُكُمْ) وسروركم بهم وشغفتكم عليهم والقيام بمؤمنهم (عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) أى عن الصلوات الخمس أو عن القرآن (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) يريد الشغل بالدنيا من الدين وقيل من يشتغل بتدبير أمواله عن تدبير أحواله وبمخاضة أولاده عن إصلاح معاده (فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) في تجارتهم حيث باعوا الباقي بالفاني (وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاهُمْ) من للتبذير والبراد بالانفاق الواجب (مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) أى من قبل أن يرى دلائل الموت ويميّن ما يئس منه من الإهمال ويتمرد عليه الإنفاق (فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي) هلا أخرت موتي (إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ) إلى زمان قليل (فَأَسَدِّقْ) فأصدق وهو جواب لولا (وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) من المؤمنين والآية في المؤمنين وقيل في الناطقين وأكون أبو عمرو بالنصب مطعفا على اللفظ والجزم على موضع فأصدق كأنه قيل إن أخرتني أصدق وأكن (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا) من الموت (إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا) المكتوب في اللوح المحفوظ (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يعملون هادويحي ، والمعنى أنكم إذا علمتم أن تأخير الموت من وقته مما لا سبيل إليه وأنه حاجم لاعماله وأن الله عليم بأعمالكم فجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق إلا المسارعة إلى الخروج من مهلة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى والله أعلم بالصواب .

### ( سورة التغابن ثمانى عشرة آية مختلف فيها )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) قدم الظرفان ليدل بتقديم على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شئ ، والقائم به وكذا الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واستعلاء وحده غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده ( هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِمَّكُمْ مُؤْمِنٌ ) أى فنكمم آت بالكفر وفاعل له

ومنكم أت بالإيمان وفاعل له ويدل عليه (وَاللَّهُ يَمَّا تَمْكُونُ بِمَعِيرٍ) أى عالم وبمير بكفركم وإيمانكم اللذين هما من علمكم والمعنى هو الذى تفضل عليكم بأسل النعم الذى هو الخلق والإيجاد من الدم وكان يجب أن تكونوا بأجمعكم شاكرين فما بالكُم تفرقُم أما فنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم وهو رد لقول من يقول بالنزلة بين المنزلتين وقيل هو الذى خلقكم فنكم كافر بالخلق وهم الصورية ومنكم مؤمن به (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) بالحكمة الباقية وهو أن جعلها مقام للكافرين ليعملوا فيجازيهم (وَسَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمُ) أى جعلكم أحسن الحيوان كله وأبهاء بدليل أن الإنسان لا يمتنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته أنه خلق منتصباً غير منكسب ومن كان دعماً مشوه الصورة سمح الحلقة فلا حاجة ثم ، ولكن الحسن على طبقات فلا تحطاطها عما فوقها لا تستطع ولكنها غير خارجة عن حد الحسن وقالت الحكاء . شيثان لا غاية لها ، الجلال والبيان (وَالْيَوْمَ الْمَعِيرُ) فأحسنوا سرائركم كما أحسن صوركم (يَمْلِكُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَمْلِكُ مَا تُصِيرُونَ وَمَا تُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) فيه يعلم ما فى السموات والأرض ثم يعلم بما يسره العباد ويعلمونه ثم يعلم بذات الصدور أن شيثان من الكليات والجزئيات غير خاف عليه حقه أن يتقى ويحذر ولا يجرأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره يمد قوله فنكم كافر ومنكم مؤمن فى معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته (أَلَمْ يَأْتِكُمْ) الخطاب لكفار مكة (نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) بى قوم نوح وهود وصالح ولوط (فَذَاقُوا وَبَالَ أُنُورِهِمْ) أى ذاقوا وبال كفرهم فى الدنيا (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى المعنى (ذَلِكَ) إشارة إلى ما ذكر من الويل الذى ذاقوه فى الدنيا وما أهد لهم من العذاب فى الآخرة (يَأْتُهُ) بأن الشأن والحديث (كَأَنَّهُمْ تَأْتِيَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات (فَقَالُوا أَأُشْرِكُ بِهِدُونَنَا) انكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجبر (فَكُفِّرُوا) بالرسول (وَتَوَلَّوْا) عن الإيمان (وَاسْتَفْتَى اللَّهُ) أطلق ليتناول كل شيء ومن جعلته إلهائهم وطاعته (وَاللَّهُ غَفِيرٌ) عن حقه (حَمِيدٌ) على صنمه

(ذَمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى أهل مكة، واُثِرَ اِدعاءُهم ويضدُّهم تسمى العلم (أَنْ لَّنْ يُمْشُوا) أن مع ما فى حيزه قائم مقام المقولين وتقديره أنهم لن يمشوا (قُلْ بَلَى) هو إثبات لما بعدلن وهو البعث (وَرَبِّ لَتُنَبِّئُنَّ) اكد الإخبار بالبين \* فإن قلت ما معنى البين على شيء أنكروه \* قلت هو جائز لأن التهديد به أعظم موقفاً فى القلب فكأنه قيل لهم ما تنكرونه كأنى لأعماله (ثُمَّ لَتُنَبِّئُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ) البعث (عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) حين (فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) محمد ﷺ (وَالنُّورِ الَّذِى أُنْزِلَنَا) يمدى القرآن لأنه يبين حقيقة كل شيء فهمدى به كالنور (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) فراقبوا أموركم (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ) انتصب الظرف بقوله لتنبؤن أو ياضمار اذكر (لِيَوْمِ الْجَمْعِ) ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون (ذَلِكَ يَوْمُ التَّفَايُنِ) وهو مستعار من تفانين القوم فى التجارة وهو أن يثنى بعضهم بعضاً لنزول السعداء منازل الأشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الأشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء كما ورد فى الحديث ومعنى ذلك يوم التفانين وقد يتفان الناس فى غير ذلك اليوم استعظام له وأن تنابته هو التفانين فى الحقيقة لا التفانين فى أمور الدنيا (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا) صفة للمصدر أى عملاً صالحاً (يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ) وبالنون فهما مدنى وشاى (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشِ الْأَمْصِيرُ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ شدة ومرض وموت أهل أو شيء يقتضى هذا (إِلَّا لِأَذْنِ اللَّهِ) بملءه وتقديره وشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) للاسترجاع عند اللصيبة حتى يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون أو يشرحه للزيادة من الطاعة والخير أو يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد إن اجلى سبر وإن أعلى شكر وإن ظم ففر (وَاللَّهُ يَكْفُرُ عَنْهُمْ عَثَرَهمْ) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ طاعة الله وطاعة رسوله (فَأَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْبَيِّنُ) أى فليبه التبليغ وقد فعل (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) بعث لرسول الله ﷺ على التوكل عليه حتى ينصره على



## ﴿ سورة الطلاق مدنية وهي اثنتا عشرة آية ﴾

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ) خص النبي ﷺ بالنداء وهم بالخطاب لأن النبي إمام أمته وقودتهم كما يقال لرئيس القوم يا فلان افعلوا كذا إظهارا لتقدمه واعتبارا لرؤسـه وأنه قدوة قومه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادًا مسد جميعهم وقيل التقدير يا أيها النبي والمؤمنون ومعنى إذا طلقتم النساء إذا أردتم تطليقهن وهن من به على تنزيل القبل على الأمر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام «من قتل قتيلًا فله سلبه» ومنه: كان الماشي إلى الصلاة والمتنظر لها في حكم المصل . ( فَطَلَّقُوهُنَّ لِمَدَّتِهِنَّ ) فطلقوهن مستقبلات لمدينهن وفي قراءة رسول الله ﷺ في قبل عشرين وإذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلية لمدتها والمراد أن تطلق المدخول بهن من المعتدات بالحيض في طهر لم يحامسهن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عشرين وهذا أحسن الطلاق ( وَأَحْصُوا الْمِدَّةَ ) واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقرء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن وخوطب الأزواج لفغلة النساء ( وَأَقْرَأُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ ) حتى تنقضي عشرين ( مِنْ بَيُوتِهِنَّ ) من مساكنهن التي يسكنها قبل المدة وهي بيوت الأزواج وأضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وفيه دليل على أن السكنى واجبة وأن الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيها إذا حلف لا يدخل داره ومعنى الإخراج أن لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لساكنتهن أو لحاجة لهم إلى المساكن وأن لا يأذنوا لهن في الخروج إذا طلبن ذلك إيدانا بأن إذهبن لا أثر له في دفع الخطر ( وَلَا يَخْرُجْنَ ) بأنفسهن إنا أردن ذلك ( إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغَحْشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ) قيل هي الزنا أى إلا أن يزينا فيخرجن لإقامة الحد عليهن وقيل خروجها قبل انقضاء المدة فاحشة في نفسه ( وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ) أى الأحكام المذكورة ( وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي ) أيها المخاطب ( لَكَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أُمُورًا ) بأن يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ومن مزعة الطلاق إلى الندم عليه فيراجعها، والمعنى فطلقوهن لمدينهن وأحصوا المدة ولا تخرجوهن



من يوتهن لعلكم تتدعون قراجمون ( فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ ) قاربن آخر المدة ( فَأَمْسِكُوهُنَّ بِعَمْرُوفٍ أَوْ قَارِئُوهُنَّ بِعَمْرُوفٍ ) أى فأنتم بالخيار إن شئتم فالرجعة والإسالة بالمروف والإحسان وإن شئتم فترك الرجعة والفارقة واتقاء الضرر وهو أن يراجعا في آخر عتتها ثم يطلعا تطويلا للمدة عليها وتمذبا لها ( وَأَشْهَدُوا ) يعنى عند الرجعة والفرة جئما وهذا الإشهاد مندوب إليه لثلايق بينهما التعاجد ( ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ ) من المسلمين ( وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ) لوجهه خالصا وذلك أن يقيموها لالمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لنرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الضرر ( ذَلِكَمُ ) الحث على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالتوسط ( يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ) أى إنما ينفع به هؤلاء ( وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ) هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلق السنة ولم يضار المتعة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد يحمل الله له مخرجا مما فى شأن الأزواج من النجوم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ويسطه الخلاص ( وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ) من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز أن يجهل بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله: ذلكم يوعظ به. أى ومن يتق الله يحمل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبي ﷺ أنه قرأها فقال : مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شذائد يوم القيامة. وقال ﷺ : إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفهم ومن يتق الله. فإزال بقروها ويسدها، وروى أن عوف بن مالك أسر المشركون ابنا له فأتى رسول الله ﷺ فقال : أسر ابني وشكا إليه الفاقة فقال: ما أمسى عند آل محمد إلا مدّة فائق الله واسبر وأكتر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله الملى العظيم. فعاد إلى بيته وقال لامرأته إن رسول الله أمرني وإليك أن تستكثري من قول لا حول ولا قوة إلا بالله الملى العظيم ، قالت : نعم ما أمرنا به فجعل يقولان ذلك فبينما هو فى بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تنقل عنها المدو فاستانها فنزلت هذه الآية ( وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ) بكل أمره إليه عن طمع غيره وتديير نفسه ( فَهَوَّ حَسْبُهُ ) كافيته فى الدارين ( إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ ) حفص أى منفذ أمره، غيره بالغ أمره أى

يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب (قَدْ جَمَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) تهديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل (وَاللَّيْسُ بِمُؤَسِّسٍ مِنَ الْمَحْضِيِّ مِنْ قَسَائِكُمْ) روى أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الإقراء فما عدة اللائق لم يحضن فزلت (إِنْ ارْتَبْتُمْ) أى أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يستدعن (فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ) أى فهذا حكمهن وقيل إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وخمسين أهودم حيض أو استعاضة فعدتهن ثلاثة أشهر وإذا كانت عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (وَاللَّيْسُ بِمُؤَسِّسٍ مِنَ الصَّفَاثِرِ وَتَهْدِيرِهِ وَاللَّائِقُ لَمْ يَحْضِنْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ لَخَذَفَتْ الْجَمَلَةُ لِدَلَالَةِ الْمَذْكُورِ عَلَيْهَا) (وَأَوَّلَتْ الْأَخْمَالُ أَجَلَهُنَّ) عدتهن (أَنْ يَسْمَنَّ حَمْلُهُنَّ) والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهم أزواجهن وعن علي وابن عباس رضى الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) يسره من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى (ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ) أى ما علم من حكم هؤلاء المتدات (أَنْزَلَهُ إِلَيْنَكُمْ) من اللوح المحفوظ (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ) فى العمل بما أنزله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه (يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا) ثم بين التقوى فى قوله ومن يتق الله كأنه قبل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المتدات قليل (أَسْكِنُوهُنَّ) وكذا وكذا (مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ) هى من التبعيضية ببعضها عنذوف أى أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أى بمض مكان سكناكم (مَنْ وَجَدَكُمْ) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسيره كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تعليقونه والوجد : الوسع والطاقة. وقرئ بالحركات الثلاث والمشهور الضم والنقطة والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعى لافقة للمبتوتة لحديث فاطمة <sup>(١)</sup> بنت قيس أن زوجها أبت مطلقا فقال رسول الله ﷺ لا سكنى لك ولا

(١) قوله لحديث فاطمة الخ هنا لا يناسب ما قبله فلعل هنا سقطا يدل عليه عبارة الكشف وهم وعند مالك والثامى ليس للمبتوتة إلا السكنى ولا نفقة لها ومن الحسن وساد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة الخ .

نفقة وعن مردى الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لملها نسبت أو شبه  
لها سمعت النبي ﷺ يقول لها السكى والنفقة (وَلَا تُعْصِرُوهُنَّ) ولا استعملوا مهن الضراء  
(لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) في السكن يعض الأسباب من إزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن  
أو غير ذلك حتى تضطروهن إلى الخروج (وَأِنْ كُنَّ) أى المطلقات (أُولَئِكَ حَتْلٌ) ذوات  
أحوال (فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) وفائدة اشتراط الحمل أن مدة الحمل ربما تطول  
فيظن ظان النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحامل فتفي ذلك الوهم (فَإِنْ أَرْضَمْنَكُمْ)   
يعنى هؤلاء المطلقات إن أرضمن لكم ولها من ظنهن أو منهن بمد انقطاع عصمة الزوجية  
(فَتَأْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ) فحكمن في ذلك حكم الأظكار ولا يجوز الاستتجار إذا كان الولد  
مهن مالم يبين خلافا للشافى رحمه الله (وَأَنْتَبِرُوا بَيْنَكُمْ) أى تشاوروا على التراضى في  
الأجرة أوليأمر بعضكم بمضاو الخطاب للآباء والأمهات (يَتِمَّرُوفٍ) بما يليق بالسنة ويحسن  
في المروءة فلا يما كس الأب ولا تمارس الأم لأنه ولهما وهما شر يكان فيه وفي وجوب  
الإشفاق عليه (وَأِنْ تَعَاثَرْتُمْ) تضايقت فلم ترض الأم بما ترضع به الأجنبية ولم يزد الأب  
على ذلك (فَسَرِّضِي لَهُ أُخْرَى) فستوجد ولا تموز مرضعة غير الأم رضعه وفيه طرف  
من معاتبة الأم على المعاصرة وقوله له أى للأب أى سيجد الأب غير معاصرة رضع له ولله  
إن عاصرت أمه (يُلَيِّنِقُ ذُو سَمَعٍ مِّنْ سَمْعِهِ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ رِمَاءً إِنَّهُ  
اللهُ) أى لينفق كل واحد من الوسر والمسر ما بلفه وسمه يريد ما أمر به من الإنفاق على  
المطلقات والرضعات ومعنى قدر عليه رزقه ضيق أى رزقه الله على قدر قوته (لَا يُكَلِّفُ  
اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَمْتَهَا) أعطاها من الرزق (سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ حُسْرٍ يُسْرًا) بمد ضيق  
في الميشة سعة وهنا وعد لذي السر باليسر (وَكَايُنْ مِّنْ قَرْيَةٍ) من أهل قرية (عَتَتْ)  
أى عصت (عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ) أمرضت عنه على وجه التثؤ والمناد (فَحَاسَبُنَهَا حِسَابًا  
شَدِيدًا) بالاستعصاء والناقصة (وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا) نُكْرًا مدنى وأبو بكر منكروا  
عظيا (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا) أى خسارًا وهلاكًا والراد حساب  
الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضى

لأن المنتظر من وعد الله ووعديه ملق في الحقيقة وما هو كائن فكان قد (أعد الله لهم هذا شديداً) تكرر للوعد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب (فأتوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا) فليكن لكم ذلك يا أولي الألباب من المؤمنين لطفاً في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد إحصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا وإثباتها في صحائف الحفظلة وما أصيبوا به من العذاب في العاجل وأن يكون عنت وما عطف عليه سعة للقرية وأعد الله لهم جواباً لكأن (قد أنزل الله إليكم ذكراً) أى القرآن واتصّب (رسولاً) بفعل مضمّر تقديره أرسل رسولا أو بديل من ذكر كانه في نفسه ذكره وعلى تقدير حذف المضاف أى قد أنزل الله إليكم ذا ذكر رسولا أو أريد بالذكر الشرف كقوله وإنه لذكر لك ولقومك أى ذا شرف ومجد عند الله وبالرسول جبريل أو محمد عليهما السلام (يتلوا) أى الرسول أو الله عز وجل (عليكم آيات الله مبينات ليخرج) الله (الذين آمنوا وقبلوا الصلوات) أى ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح أو ليخرج الذين هم أنهم يؤمنون (من الظلمات إلى النور) من ظلمات الكفر أو الجهل إلى نور الإيمان أو العلم (ومن يؤمن بالله ويممل صليحاً يدخله) وبالنون مدى وشأى (جنت تجري من تحتها الأنهر خلد فيها أبداً) وحده جمع محلا على لفظ من وممناء (قد أحسن الله له رزقاً) فيه معنى التعجب والتعظيم للارزق المؤمنين من الثواب (الله الذي خلق) مبتدأ وخبر (سبع سموات) أجمع المفسرون على أن السموات سبع (ومن الأرض مثلهن) بالنصب عطفاً على سبع سموات قيل مافى القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية وبين كل سماء من مسيرة خمسمائة عام وغلط كل سماء كذلك والأرضون مثل السموات وقيل الأرض واحدة إلا أن الأقاليم سبعة (يقتل الأمر بينهن) أى يجرى أمر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير) اللام يتعلق بخلق (وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) هو تمييز أو مصدر من غير لفظ الأول أى قد علم كل شيء علماً وهو علام النيوب .

( سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ) روى أن رسول الله ﷺ خلا بمارية في يوم عائشة رضى الله عنها وعلت بذلك حفصة فقال لها : اكنمى على وقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بمدى أمرأتى فأخبرت به عائشة وكانتا مصادقتين وقيل خلاها في يوم حفصة فأرضاهما بذلك واستكنهما فلم تكتم فطلقها واعتزل نساء ومكث تسما وعشرين ليلة في بيت مارية فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فإنها سائمة قوامة وإنها لمن نسائك في الجنة وروى أنه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة وقالتا له إنا نشم منك ريح المنافير وكان يكره رسول الله ﷺ النفل فحرم المسل فسماء لم تحرم ما أحل الله لك من ملك البمين أو من المسل ( تَبَتَّيْ مَرَضَاتِ أَزْوَاجِكَ ) تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله ( وَاللَّهُ غَفُورٌ ) قد غفر لك ما زلت فيه ( رَحِيمٌ ) قد رحمك فلم يؤاخذك به ( قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ) قد قدر الله لكم ما تحلّون به أيمانكم وهي الكفارة أو قد شرع لكم تحليلها بالكفارة أو شرع الله لكم الاستفتاء في أيمانكم من قولك حل فلان في يمينه إذا استثنى فيها وذلك أن يقول إن شاء الله عفيها حتى لا يحنث وتحريم الحلال يمين عندنا وعن مقاتل أن رسول الله ﷺ أعتق رقبة في تحريم مارية وعن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مففورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين ( وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ) سيدكم ومتولى أموركم وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيبته أنفع لكم من نصائبكم أنفسكم ( وَهُوَ الْغَلِيمُ ) بما يصلحكم فيشرعه لكم ( الْحَكِيمُ ) فيما أحل وحرم ( وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ ) يعنى حفصة ( حَدِيثًا ) حديث مارية وإمامة الشيخين ( فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ ) أفشته إلى عائشة رضى الله عنها ( وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا ) وأطلع النبي ﷺ على إفشائها الحديث على لسان جبريل عليه السلام ( عَرَفَ بَعْضُهُ )

أعاهم ببعض الحديث (وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) فلم يخبر به نكرما قال سفيان ما زال التناقل من فم الكرام عرف بالتخفيف على أى جازى عليه من قولك المسمى لأعرفن لك ذلك وقبل المروف حديث الإمامة والمرض عنه حديث مارية وروى أنه قال لها ألم أقل لك اكنسى على قالت : والذي بشك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها أباه (فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ) نبأ النبي حفصة بما أفشت من السر إلى عائشة (قَالَتْ) حفصة للنبي ﷺ (مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نِسَاءُنِي الْعَلِيمُ) بالسرائر (الْخَبِيرُ) بالضاير (إِنْ تَقُوبَا إِلَى اللَّهِ) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في مراتبهما وجواب الشرط محذوف والتقدير إِنْ تَقُوبَا إِلَى اللَّهِ فهو الواجب ودل على المحذوف (قَدْ صَنَعْتَ) مالت (تَلُوبُكُمَا) عن الواجب في مخالصة رسول الله ﷺ من حب ما يحبه وكرامة ما يكرهه (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ) بالتخفيف كوفي وَإِنْ تَمَاوْنَا عَلَيْهِ بما يسوءه من الإفراط في النيرة وإنشاء سره (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ) وليه وناصره وزيادة هو إيمان بأنه يتولى ذلك بذاته (وَجِبْرِيلُ) أيضا وليه (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) ومن صلح من المؤمنين أى كل من آمن وعمل صالحا وقيل من برىء من النفاق وقيل الصعابة وقيل واحد أريد به الجمع كقولك لا تفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس وقيل أصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ (وَالْمَلَائِكَةُ) على تكرار عدم (بَعْدَ ذَلِكَ) بمدنصرة الله وجبريل وصالحو المؤمنين (ظُهُيرٌ) فوج مظاهر له فإيبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ولما كانت مظاهره للملائكة من جملة نصرة الله قال بعد ذلك تعظيما لنصرتهم ومظاهرهم (عَسَى رَبُّهُ إِنْ مَلَكَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَهُ) يبدله مدنى وأبو عمر والتشديد للكثرة (أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ) فإن قلت كيف تكون البدلات خيرا منهم ولم يكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين قلت إذا طلقن رسول الله ﷺ لإيذاهن إياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الوصوفات بهذه الأوصاف خيرا منهن (مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ) مقرات غلصات (قَتِيلَاتٍ) عطيمات فالتنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله (تَسْبِغَاتٍ) من الذنوب فهو واجبات إلى الله وإلى أمر رسوله (عَبْدَاتٍ) لله (سَخِيحَاتٍ) مهاجرات أو ساجحات وقيل

لصائم سائح لأن السائح لازادحه فلا يزال ممسكا إلى أن يجد ما يطعمه فشبّه به الصائم في إمساكه إلى أن يمضي وقت إفطاره (عَيْبَتِ وَأَبْكَارًا) إنما وسط العاطف بين الثنيات والأبكار دون سائر الصفات لأنهما صفتان متناقضتان بخلاف سائر الصفات (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آفُسُكُمْ) بترك المعاصي وفعل الطاعات (وَأَهْلِيكُمْ) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم (نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) نوعا من النار لا تتقد إلا بالناس والحجارة كما يتقد غيرهما من النيران الحطب (عَلَيْهَا) أي أمرها وتعذيب أهلها (مَلَكُوتٌ) بمعنى الزبانية التسعة عشر وأهلانهم (غِلَاطٌ شِدَادٌ) في أجرامهم غلظة وشدة أو غلاظ الأقوال شداد الأقوال (لَا يَتَسَوَّى اللَّهُ) في موضع الرفع على النسب (مَا أَمَرَهُمْ) في عمل النسب على البذل أي لا يصون ما أمر الله أي أمره كقولهم أفضيت أمري أو لا يصونه فيها أمرهم (وَيَقْمَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) وليست الجملتان في معنى واحد إضماري الأولى أنهم يتقبلون أوله به ويلتزمونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتقاولون عنه ولا يتوالون فيه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّا تَجْعَزُونَ مَا كُنْتُمْ تَقْمَلُونَ) في الدنيا أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتدوا لأنه لا هنر لكم أو لأنه لا ينفكم الاعتذار (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا) سادقة من الأخفى رحمه الله وقيل خالصة يقال غسل ناصح إذا خلص من الشمع وقيل نصحوا من نصحاة الثوب أي توبة ترفو خروقتك في دينك وترم خلك ويهوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستمالة الجدد والمزمنة في العمل على مقتضياتها، وبضم النون حمادويحي وهو مصدر أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا وجاء مرفوعا «إن التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب إلى أن يعود إلى الله في الضرع» وعن حذيفة: بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي الاستغفار باللسان والندم بالجنان والإقلاع بالإركان (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) هذا على ما جرت به عادة الملوك من الإجابة بسخي ولعل وقوع ذلك منهم موقع القطع والبت (وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) ونصب (يَوْمَ) يبدل خلكم (لَا يَخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ) فيه تعريض بمن أخزام الله من أهل الكفر

﴿ نُرْهِمُ ﴾ مبتدأ ﴿ يَسْمَى ﴾ بين أيديهم ﴿ وَيَأْمَنُهُم ﴾ في موضع الخبر ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنَّمَا لَنَا نُورٌ ﴾ يقولون ذلك إذا انطفأ نور المنافقين ﴿ وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يَأْمَأُهَا النَّسِيُّ جَهْدُ الْكُفَّارِ بالسيف ﴿ وَالْمُتَّقِينَ ﴾ بالقول الغليظ والوعد البليغ وقيل بإقامة الحدود عليهم ﴿ وَاعْلَظْ عَلَيْهِم ﴾ على الفريقين فيما يجاهداهما به من القتال والحاجة باللسان ﴿ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ وَنَسَّ الْمَصِيرُ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُفْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿ مثل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يمانون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا عناية ولا يتفهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من النسب والصاهرة وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نيبا بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما ناقتا وخاتا الرسولين بإفشاء أسراهما فلم ينف الرسلان عنهما أى عن المراتين بحق ما بينهما وبينهما من الزواج اغتاء ما من عذاب الله وقيل لها عند موتها أو يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء أو مع داخلها من إخوانها من قوم نوح وقوم لوط ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ ﴾ هى آسية بنت مزاحم آمنت بموسى فمضت فرعون بالأوتاد الأربعة ﴿ إِذْ قَالَتْ ﴾ وهى تمذب ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ فكلها أرادت الدرجة العالية لأنه تعالى منزله عن السكان ضربت عنها بقولها عندك ﴿ وَنَجَّيْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ﴾ أى من مل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم ﴿ وَنَجَّيْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ من القبط كلهم وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والاتجاء إليه مسئلة الخلاص منه عند الهن والنوازل من سير الصالحين ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَانَا فَرْجَاهَا ﴾ من الرجال ﴿ فَفَتَحْنَا ﴾ فنفخ جبريل بأمرنا ﴿ فِيهِ ﴾ فى الفرج ﴿ مِنْ رُوحِنَا ﴾ المخلوقة لنا ﴿ وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا ﴾ أى بصحفه التى أنزلها على إدرى وغيره ﴿ وَكُنْتِ مِنْ بَصَرَى وَحَفْصَ ﴾ يعنى الكتب الأربعة ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَلِيلِينَ ﴾ لا كان القنوت صفة تشمل من فتت من القليلين غلب ذكره على إناؤه ومن للتبويض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية



على أنها ولدت من القاتنين لأنها من أحقاب هرون أخى موسى عليهما السلام. ومثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئاً من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله ومريم ابنة عمران وما أُوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاسطفاء على نساء المالين مع أن قومها كانوا كفاراً . وفي طى هذين التمثيلين ترميز بأى المؤمنين المذكورين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله ﷺ بما كرهه وتحذير لها على أغلظ وجه وإشارة إلى أن من حقهما أن يكونا في الإخلاص كعائنين المؤمنين وأن لا يشكلا على أنهما زوجا رسول الله ﷺ .

### ( سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية وتسمى الواقعة والمنجية )

لأنها تقي قارئها من عذاب القبر وجاء مرفوعاً من قراءها في ليلة قنطأ كثر وأطيب ﴿

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( تَبَرَّكَ ) تعالى وتماظم عن صفات المخلوقين ( الَّذِي يَبْدِئُ الْمَلِكُ ) أى بتصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود وهو مالك الملك يؤتبه من يشاء وينزعه ممن يشاء ( وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) من المقدورات أو من الإنعام والانتقام ( قَدِيرٌ ) قادر على الكمال ( الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ ) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الذى قبله ( وَالْحَيَاةَ ) أى ما يصح بوجوده الإحساس والموت شدة ومعنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون ( لِيَبْلُوَكُمْ ) ليمتحنكم بأمره ونهيه فيما بين الموت الذى يم الأمير والأسير والحياة التى لا تقي بطليل ولا طيبيب فيظهر منكم ما علم أنه يكون منكم فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم ( أَيْتَكُمْ ) مبتدأ وخبره ( أَحْسَنُ عَمَلًا ) أى أخلصه وأصوبه فخلص أن يكون لوجه الله والصواب أن يكون على السنة والراد أنه أعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على التقييح لما وراه إلا البعث والجزاء الذى لا بد منه . وقدم الموت على الحياة لأن أقوى الناس

داعيا إلى العمل من نصب موته بين عينيه تقدم لأنه فيها يرجع إلى السوق له الآية أم ولما  
 قدم الموت الذي هو أثر سفة القهر على الحياة التي هي أثر اللطف قدم سفة القهر على سفة  
 اللطف بقوله ( وَهُوَ الْبَرُّ ) أى الناب الذي لا يمجزه من أساء العمل ( الْقَوُّ ) ( الْقَوُّ ) ( الْقَوُّ )  
 الذي لا يأس منه أهل الإساءة والزل ( الَّذِي خَلَقَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ) مطابقة بعضها  
 فوق بعض من طباق النمل إذا خضعها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر أو على ذات طباق  
 أو على طبقت طباقا وقيل جمع طبق بكمل وجمال والخطاب في ( مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ )  
 الرسول أو لكل مخاطب ( مِنْ تَقَوُّتِ ) نفوت حمزة وعلى ومعنى البنادين واحد كالتماهد  
 والتهد أى من اختلاف واضطراب . وعن السدى من عيب حقيقة التفاوت عدم التناسب  
 كأن بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه وهذه الجملة سفة لطباقا وأصلها ما ترى فيهن من  
 تفاوت فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تمظيا للخلقين وتنبها على سبب سلامتهن من التفاوت  
 وهو أنه خلق الرحمن وأنه يباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق التناسب ( فَأَرْجِعْ  
 الْبَصَرَ ) رده إلى السماء حتى يسمع عنده ما أخبرت به بالمائة فلا تبق معك شبهة فيه ( هَلْ  
 تَرَىٰ مِنْ فُتُورٍ ) سدود وشقوق جمع فطر وهو الشق ( ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ )  
 كرر للنظر مرتين أى كرتين مع الأولى وقيل سوى الأولى فتكون ثلاث مرات وقيل لم يرد  
 الاختصار على مرتين بل أراد به التكرير بكثرة أى كرر نظرك ودققه هل ترى خلا أو هيا  
 وجواب الأمر ( يَنْقَلِبُ ) يرجع ( إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا ) ذليلا أو بعيدا مما يريد وهو حال  
 من البصر ( وَهُوَ حَسِيرٌ ) كليل ملى ولم يرفها خلا ( وَقَدْ زِينَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا ) القربى  
 أى السماء الدنيا منكم ( بِكَوَاكِبٍ مُّضِيئَةٍ ) بكواكب مضيئة كإضاءة السبع، وللصاييح السرج  
 فسميت بها الكواكب والناس يزنون مساجدهم ودورهم بإيقاد الصاييح قليل وقد زينا  
 سقف النار التي اجتمعت فيها بمصاييح أى بأى مصاييح لا توازيها مصاييحكم إضاءة  
 ( وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ) أى لأعدائكم الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات،  
 قال قتادة : خلق الله النجوم ثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها، فن  
 تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمى به ما يرمم

به ومعنى كونها رجوما للشياطين أن يفصل عنها شهاب قوس يؤخذ من نار فيقتل الجنى أو يجبله لأن الكواكب لا تزول عن أماكنها لأنها قارة في الفلك على حاملها (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ) للشياطين (عَذَابَ السَّعِيرِ) في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا (وَالَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ) ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عَذَابُ جَهَنَّمَ) ليس الشياطين المرجومون مخصوصون بذلك (وَبَشِّرِ الصَّاعِقِينَ) الرجوع جهنم (إِذْ أَتَوْا فِيهَا) طرحوا في جهنم كما بطرح الحطب في النار العظيمة (سَمِعُوا لَهَا) لجهنم (شَهيقاً) صوتاً منكراً كصوت الحجير فيه حسيبها للسكر الفظيع بالتهيق (وَهِيَ تَفُورُ) تغلي بهم غليان الرجل بما فيه (تَكَادُ تَمَيَّزُ) أى تتميز بمعنى تتقطع وتتفرق (مِنَ النَّيِّطِ) على الكفار فجعلت كالمتناظرة عليهم استمارة لشدة غليانها بهم (كُلَّمَا أَلْقُوا فِيهَا فَوْجٌ) جماعة من الكفار (سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهُمْ) مالك وأعوانه من الزبانية نوبيخا لهم (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) رسول يخوفكم من هذا المذاب (قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ) اعتراف منهم بعبد الله وإقراره بأنه تعالى أراح عنهم يمت الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه (فَكَذَّبْنَا) أى فكذبناهم (وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ) مما يقولون من وعد ووعد وغير ذلك (إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ) أى قال الكفار للمتذنبين ما أنتم إلا في خطأ عظيم فالنذر بمعنى الإنذار ثم وصف به منذروهم لتلومهم في الإنذار كأنهم ليسوا إلا إنذاراً وجاز أن يكون هذا كلام الخزنة للكفار على إرادة القول ومرادهم بالضللال الهلاك أو سموا جزاء الضلال باسمه كما سمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة واعتداء ويسمى المشاكلة في علم البيان أو كلام الرسل لهم حكوه للخرقة أى قالوا لنا هذا فلم نقبله (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ) الإنذار صياح طالب الحق (أَوْ نَعْقِلُ) أى نعقله عقل متأمل (مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) في جملة أهل النار وفيه دليل على أن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل وأنها حجتان ملزمان (فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ) بكفرهم في تكذيبهم الرسل (فَسَخَفْنَا لَأَصْحَابِ السَّعِيرِ) وبضم الحاء يزيد وعلى، فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته اعترفوا أو جحدوا فإن ذلك لا يتفهم واتصافه على أنه مصدر وقع موقع الدعاء (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ) قبل معاناة المذاب (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) للذنوب (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) أى

الجنة (وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْعَرُوا بِهِ) ظاهره الأمر بأحد الأمرين الإصرار والإجهار  
ومعناه ليستوعدكم إصرارك وإجهارك في علم الله بهما روى أن مشركي مكة كانوا ينادون من  
رسول الله ﷺ فيخبره جبريل بما قاله فيه وقالوه منه فقالوا فيما بينهم أسروا قولكم فلا  
يسمع له محمد فنزلت ثم علمه بقوله (إِنَّهُ قَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أى بضائرهما قبل أن  
تترجم الألسنة عنها فكيف لا يعلم ما تسلم به (أَلَا يَتْلُمَنَّ مَنْ خَلَقَ) من في موضع رفع  
بأنه فاعل يعلم (وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) أنكر أن لا يحيط علما بالضرر والسر والمهر من  
خلقها وصفته أنه اللطيف أى العالم بدقائق الأشياء الخبير العالم بمقائيق الأشياء وفيه إثبات  
خلق الأقوال فيكون دليلا على خلق أفعال العباد وقال أبو بكر بن الأصب وجعفر بن حرب  
من مفعول والفاعل مضر وهو الله تعالى فلحقا لا يهنا لنفى خلق الأفعال (هُوَ الَّذِي جَعَلَ  
لَكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولًا) لينة سهلة منزلة لا عنع الشئ فيها (فَأَمْشُوا فِي مَنَازِكِهَا) جوانبها  
استدللا واستزادة أو جبالها أو طرقها (وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) أى من رزق الله فيها (وَالْيَوْمِ  
التَّشْؤُرُ) أى وإليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي  
السَّمَاءِ) أى من ملكوته في السماء لأنها مسكن ملائكته ومنها نزل قضاياه وكتبه وأوامره  
ونواحيه فكانه قال أمنت من خلق السماء وملكه أو لأنهم كانوا يستقدون التشبيه وأنه في  
السماء وأن الرحمة والذاب ينزلان منه قليل لهم على حسب اعتقادهم أمنت من زعمون أنه في  
السماء وهو متمال عن المكان (أَنْ يَخْصِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ) كما خسف بقارون (فَإِذَا هِيَ  
تَمُورُ) تضطرب وتتحرك (أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) حجارة  
أن يرسل بدل من يدل الاشتغال وكذا أن يخسف (فَسَتَمْلَكُونُ كَيْفَ تَذِيرُ) أى إذا رأيتهم  
للغدر به علمت كيف إنذارى حين لا يفهمكم العلم (وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من  
قبل قومك (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) أى إنكارى عليهم إذ أهلكتهم ثم نبه على قدرته على  
التسلف وإرسال الحاسب بقوله (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ) جميع طائر (فَوَقَّعَتْ) في الهواء  
(سَفْقَتَيْنِ) باسطات أجنحتين في الجو عند طيرانهن (وَيَقْبِضْنَ) ويضممنها إذا ضربن بها  
جنوبهن ويقبضن معطوف على اسم الفاعل حملا على المني أى يصفغن ويقبضن أو سافات

وقابضات واختيار هذا التركيب باعتبار أن أصل الطيران هو صف الأجسعة لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والهواء للطائر كالماء للساج والأصل في السباحة من الألفاظ وبسطها وأما القبض فطاري على البسط للاستظهار به على التحرك فجاء بما هو طاريء بلفظ الفصل على معنى أنهم صافات ويكون منهم القبض قارة بعد تارة كما يكون من الساج (مَا يُمْسِكُهُنَّ) عن الوقوع عند القبض والبسط (إِلَّا الرَّحْمَنُ) بقدرته وإلا فالتفيل يتسفل طبعاً ولا يعلو وكذا لو أمسك حفظه وتديره من العالم لتهاخت الأفلاك وما يمسكن مستأنف وإن جعل حالا من الضمير في يقبضن يجوز (إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءَ بَعِيرٍ) يعلم كيف يخلق وكيف يدير المعجائب (أَمِنْ) مبتدأ خبره (هَذَا) ويبدل من هذا (الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ) وعمل (يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ) رفع نعت لجند محمول على اللفظ والمعنى من الماشار إليه بالنصر غير الله تعالى (إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ) أى مام إلا في غرور (أَمِنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ) أم من يشار إليه ويقال هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق فلما لم يتعظوا أضرب عنهم فقال (بَلْ لَّجُّوا) تنادوا (فِي غُتُورٍ) استكبار من الحق (وَنُفُورٍ) وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه ثم ضرب مثلاً للكافرين والمؤمنين فقال (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ) أى ساقطاً على وجهه يعثر كل ساعة ويمشى متمسكاً وخبر من (أَهْدَى) أرشد . وأكب مطاوع كبه يقال كبته فأكب (أَمِنْ يَمْشِي سَوِيًّا) مستويا متصبيا سالماً من الطور والغرور (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) على طريق مستو وخبر من محذوف دلالة أهدي عليه ومن الكسبي عنى بالكسب أبو جهل وبالموى النبي عليه السلام (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ) خلقكم ابتداء (وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) خصها لأنها آلات العلم (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) هذه النعم لأنكم تشركون بالله ولا تخلصون له العبادة والمعنى تشكرون شكراً قليلاً وما زائدة وقيل القلة عبارة عن الندم (قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ) خلقكم (فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) للحساب والجزاء (وَيَقُولُونَ) أى الكافرون

للمؤمنين استهزاء (مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) الذى تعدوننا به يعنى المذاب (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)  
 فى كونه فاعلمونا زمانه (قُلْ إِنَّمَا أَلِمْ) أى علم وقت المذاب (عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ)  
 غوف (ثُبِينِ) أيقن لكم الشرائع (فَلَمَّا رَأَوْهُ) أى الوعد يعنى المذاب الوعود (زُلْفَةً)  
 قريباً منهم واتصابها على الحال (سَيَذَرُكُمْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى ساءت رؤية الوعد  
 وجوههم بأن ملتها السكابة والسادة وغشيتها القفرة والسواد (وَقِيلَ هَذَا الَّذِي)  
 القائلون (كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ) تفتلمون من الدعاء أى تسألون تعجبه وتهولون اتنا بما  
 تعدنا أوهو من الدعوى أى كنتم بسببه تدعون أنكم لا تبشئون وقرأ يعقوب تدعون (قُلْ  
 أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ) أى أمتنى الله كقوله إن امرؤ هلك (وَمَنْ مَعِيَ) من أصحابى  
 (أَوْ رَحِمْنَا) أو آخر فى آجالنا (فَمَنْ يُبَيِّرُ) ينبجى (الْكُفْرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ)  
 مؤلم كان كفار مكة يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم  
 نحن مؤمنون متربصون لإحدى الحسينين إما أن نهلك كما تتمنون فتقلب إلى الجنة أو نرحم  
 بالنصرة عليكم كازجو فأنتم ما تصنعون من مجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم  
 منه (قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ) أى الذى أدهوكم إليه الرحمن (ءَامِنًا بِهِ) صدقنا به ولم نكفر به  
 كما كفرتم (وَعَلَيْكُمْ تَوَكَّلْنَا) فوضنا إليه أمورنا (فَسَتَمْلَكُونَ) إذا نزل بكم المذاب  
 وبالباء على (مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) نحن أم أنتم (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ  
 مَأْوُكُمْ غَوْرًا) غائراً ذاهباً فى الأرض لا تقاله الدلاء وهو وصف بالصدر كمدل بمعنى  
 مادل (فَمَنْ يَأْتِكُمْ بِمَاءٍ مَهِينٍ) جار يعزل إليه من أراده وتليت عند ملعد فقال يأتى  
 بالمول والمهن فذهب ماء مهين فى تلك الليلة وعفى وقيل إنه محمد بن زكريا المتطلب زادنا الله  
 بصيرة .

## ﴿سورة ن مكية وهى اثنتان وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن) الظاهر أن المراد به هذا الحرف من حروف المعجم وأما قول الحسن إنه العواة وقول ابن عباس إنه الحوت الذى عليه الأرض واسمهم موت فشكل لأنه لا بد له من الإعراب سواء كان اسم جنس أو اسم علم فالمكون دليل على أنه من حروف المعجم (وَأَقْلَمَ) أى ما كتب به اللوح أو قلّم الملائكة أو الذى يكتب به الناس أقسم به لما فيه من النافع والفوائد التى لا يحيط بها الوصف (وَمَا يَسْطُرُونَ) أى ما يسطره الحفظة أو ما يكتب به من الخير من كتب وما موسولة أو مصدرية وجواب القسم (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ) أى بإنعامه عليك بالنبوة وغيرها فأنت اسم ما وخبرها (يَجْتَنُونَ) وبنيمة ربك اعتراض بين الاسم والخبر والباء فى بنيمة ربك تعلق بمحذوف ومحله التمسب على الحال والماثل فيها مجنون وتقديره ما أنت مجنون منما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيها قبله لأنها زائدة لتأكيد النفي وهو جواب قولهم وقالوا يأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون (وَأِنْ لَّكَ) على احتمال ذلك والصبر عليه (لَأَجْرًا) ثوابا (فَيَرْتَمُونَ) غير مقطوع أو غير محنون عليك به (وَأِنَّكَ لَمَكِيٌّ خُلِقَ عَظِيمٌ) قيل هو ما أمره الله تعالى به فى قوله: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين. وقالت عائشة رضى الله عنها: كان خلقه القرآن أى ما فيه من سكارم الأخلاق وإنما استعظم خلقه لأنه جاد بالكونين وتوكل على خلقهما (فَسَبِّحْهُ وَبُحِّرْهُ) أى من قريب ترى ويرون وهذا وعد له ووعد لهم (يَأْيُسْكُمُ الْمُفْتُونُ) المجنون لأنه فتن أى عن الجنون والبلاء مزينة أو المفتون مصدر كالمقول أى بآيكم المجنون وقال الزجاج الباء بمعنى فى تقول كنت يله كذا أى فى يله كذا وتقديره فى آيكم المفتون أى فى أى الفريقين منكم المجنون فريق الإسلام وفريق الكفر (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) أى هو أعلم بالجاهلين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) أى هو أعلم بالمعتدين (فَلَا تَطْغَرَ أَلْأَكْذِبِينَ) تهيج للتصميم على معاصيهم وقد

أرادوه على أن يعبد الله مدة وآلتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (وَدُّوا أَنْ تُذْهِبَهُمْ) لو تلبس لهم  
 (فَيَذْهَبُونَ) فيلبثون لك ولم ينصب بإضمار أن وهو جواب انتهى لأنه عدل به إلى طريق  
 آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ عذوف أى فهم يذهبون أى فهم الآن يذهبون لطعمهم فى  
 أوهانك (وَلَا تُطِيعُ كُلَّ خَلَافٍ) كثير الخلف فى الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد  
 الخلف (مُهَيِّنٍ) حقير فى رأى والتميز من المهانة وهى القلة والحقارة أو كذاب لأنه خبير  
 عند الناس (هَمَازٍ) عياب طعان مقتاب (مُشَاهِدٍ يَفِيهِمْ) يقال للحديث من قوم إلى قوم  
 على وجه السماية والإفساديينهم، والنميمة والنميمة: السماية (مُنَاعٍ لِلْخَيْرِ) بخيل، والخير: المال  
 أو مناع أهله من الخير وهو الإسلام والمراد الوليد بن المغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه  
 القشرة من أسلم منكم منفعة رفدى (مُتَعَدٍّ) مجاوز فى الظم حده (أُثِيمٍ) كثير الآثام  
 (عُتْلٍ) غليظ جاف (بِمَدِّ ذَلِكَ) بعد ما عد له من المثالب (زَنِيمٍ) دعى وكان الوليد  
 دعيا فى قريش ليس من سنخهم ادماه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده وقيل بفت أمه ولم  
 يعرف حتى نزلت هذه الآية والنطفة إذا خبثت خبث الناشئ منها روى أنه دخل على أمه  
 وقال إن محمدا وصفنى بشمر صفات وجدت تسعا فى فأما الزنيم فلا علم لى به فإن أخبرتنى  
 بحقيقته وإلا ضربت عنقك فقالت : إن أباك عنين وخفت أن يموت فيفصل ماله إلى غير ولده  
 مدعوت راعيا إلى نفسى فأنت من ذلك الراعى (أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ) متعلق بقوله ولا تطع  
 أى ولا تطعمه مع هذه المثالب لأن كان ذا مال أى ليساره وحظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق  
 بها بعده أى لأن كان ذا مال (وَبَيْنَ) كذب بآياتنا بدل عليه (إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ ءَابِدُنَا)   
 أى القرآن (قَالَ أَطْلِعُوا الْأَوَّلِينَ) ولا يعمل فيه قال لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيها قبله  
 لأن حزمة أبو بكر أى الآن كان ذا مال كذب؟ أن شامى ويزيد ويقوب وسهل قالوا لما طب  
 الوليد النبي ﷺ كاذبا باسم واحد وهو المجنون سماه الله تعالى بشرة أسماء صادقا فإن كان من  
 عد له أن يجزى المسمى إلى رسول الله ﷺ بشرة كان من فضله أن من صلى عليه واحدة  
 صلى الله عليه بها عشرا (سَنَسِيهُمُ) سنكويه (عَلَى الْخُرُطُومِ) على أنفه مهانة له ولهذا  
 يعرف به وتخصيص الأنف بالذكر لأن الوسم عليه أبشع وقيل خطم بالسيف يوم بدر فبقيت



جمعة على خرطومه (إِنَّا بَلَوْنَهُمْ) امتحننا أهل مكة بالتحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرم  
 بدعاء النبي ﷺ حيث قال : اللهم اشدّد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسفى يوسف.  
 (كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) هم قوم من أهل الصلات كانت لأبيهم هذه الجنة بقرية يقال  
 لها غروان وكانت على فرسخين من صنعاء وكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي على  
 الفقراء فلما مات قال بنوه : إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو مال  
 خلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خيفة من الساكين ولم يستثنوا في يمينهم فأحرق الله  
 جنتهم وقال الحسن كانوا كفارا والجمهور على الأول (إِذْ أَقْسَمُوا) حلفوا (لَيَصْرِمُنَّهَا)  
 ليقعلن عمرها (مُصْبِحِينَ) داخلين في الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل ليصرمنها  
 (وَلَا يَسْتَنُّونَ) ولا يقولون إن شاء الله وسمى استثناء وإن كان شرطاً صورة لأنه يؤدى  
 مؤدى الاستثناء من حيث إن معنى قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله  
 واحد (فَطَأَتْ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ) نزل عليها بلاء قيل أنزل الله تعالى عليها ناراً  
 فأحرقها (وَهُمْ نَايِمُونَ) أى في حال نومهم (فَأَسْبَحَتْ) فصارت الجنة (كَالْصَّرِيرِ)  
 كالليل الظلم أى احترقت فاسودت أو كالصبح أى صارت أرضاً بيضاء بلا شجر وقيل كالصرمة  
 أى كأنها صرمت لهلاك عمرها (فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ) نادى بعضهم بعضاً عند الصباح (أَنِ  
 اغْدُوا) يا كروا (عَلَىٰ حَرِّكُمْ) ولم يقل إلى حرثكم لأن الندو إليه ليصرموه كان غداً  
 عليه أو ضمن الندو معنى الإقبال أى فأقبلوا على حرثكم يا كربين (إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ)  
 مريدين صرامه (فَانْطَلَقُوا) ذهبوا (وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ) يتسارون فيما بينهم ثلاثا يسموا  
 الساكين (أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا) أى الجنة وإن مفسرة وقرئ بطرحها بإظهار القول أى يتخافتون  
 يقولون لا يدخلها (الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مُسْكِينٌ) والنمى عن دخول الساكين نعى من  
 التمسكين أى لا تمكوه من الدخول (وَعَدُوا عَلَىٰ حَرٍِّ) على جد في النع (قَدِيرِينَ)  
 عند أنفسكم على المنع كذا من فطويه أو الحرد القصد والصرمة أى وعدوا قاسدين إلى جنتهم  
 بصرمة قادين عند أنفسهم على صرامها وزى منفعتها عن منفعتها من الساكين أو هو علم  
 للجنة أى غدوا على تلك الجنة قادين على صرامها عند أنفسهم (فَلَمَّا رَأَوْهَا) أى جنتهم محترقة

(قَالُوا) في بديهة وسولهم (إِنَّا لَنَسْأَلُونَ) أى ضلنا جنتنا وماهى بها لا رأوا من هلاكها  
لها تأملوا وعرفوا أنها هى قالوا (بَلْ نَحْنُ عَزُومُونَ) حرمانا خيرها لجنايتنا على أنفسنا  
(قَالَ أَوْسَطُهُمْ) أعلم وخيرم (أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) هلا تستنثون إذ  
الاستثناء التسييح لانتقامهما في معنى التعظيم لله لأن الاستثناء تفويض إليه والتسييح تنزيه له  
وكل واحد من التفويض والتعزیه تعظيم أو لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبت نيتكم  
كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه  
العزيمة الخبيثة فمضوه فميرم ولهذا (قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) فكلما بعد  
خراب البصرة بما كان يدهوم إلى التكلم به أولا وأقروا على أنفسهم بالظلم في منع المعروف  
وترك الاستثناء ونزوه من أن يكون ظالما (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْنَ) يلوم  
بعضهم بعضا بما فعلوا من الحرب من الساكنين ويحمل كل واحد منهم اللاتمة على الآخر ثم  
اعترفوا جميعا بأنهم تجاوزوا الحد بقوله (قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) يمنع حق الفقراء  
وترك الاستثناء (هَئِذَا رَبُّنَا أَن يُهْدِلَنَا) وبالتشديد مدنى وأبو هريرة (خَيْرًا مِّنْهَا) من  
من هذه الجنة (إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ) طالبون منه الخير راجون لعفوه عن مجاهد تابوا  
فأقبلوا خيرا منها وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى أنهم أخلصوا فأقبلهم بها جنة تسمى  
الحويان فيها عنب يحمل البفل منه عصفورا (كَذَلِكَ الْمَذَابُ) أى مثل ذلك المذاب الذى  
ذكرناه من عذاب الدنيا لى سلك سبيلهم (وَالْمَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ) أعظم منه (لَوْ كَانُوا  
يَتَذَكَّرُونَ) لما فعلوا ما يغضى إلى هذا المذاب ثم ذكر ما عنده المؤمنين قتال (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ)  
عن الشرك (عِندَ رَبِّهِمْ) أى في الآخرة (جَنَّاتٍ النَّعِيمِ) جنات ليس فيها إلا التمتع  
الخالص بخلاف جنات الدنيا (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ) استفهام إنكار على قولهم  
لو كان ما يقول محمد حقا فنحن نعطى في الآخرة خيرا مما يعطى هو ومن معه كما في الدنيا فقل  
لهم أنصف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مَا لَكُمْ  
كَتَبَ نَحْكُمُونَ) هذا الحكم الأحوج وهو التسوية بين الطيب والماسى كأن أمر الجزاء  
مفوض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ) من السماء (فِيهِ تَدْرُسُونَ)

تهرمون في ذلك الكتاب (إِنَّكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخْبِرُونَ) أي إن ما تختارونه وتشتبهونه  
 لكم والأصل تدرسون أن لكم ما تخبرون بفتح أن لأنه مدروس لوقوع الدرس عليه وإنما  
 كسرت لحيء اللام ويموز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله: وتركنا عليه في الآخرين  
 سلام على نوح. وتخبر الشيء واختاره أخذ خيره (أَمْ لَكُمْ أَيْمُنٌ عَلَيْنَا) عهود مؤكدة  
 بالآيمان (بَلِّغْنَا) نمت آيمان ويطلق (إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ) يبالغة أي أنها تبلغ ذلك اليوم  
 وتنتهي إليه وإفرة لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل القسم عليه من التحكيم أو بالتسدر في  
 الظرف أي هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لانخرج عن عهدنا إلا يومئذ إذا حكمنا كم  
 وأعطيناكم ما تحكون (إِنَّكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ) به لأنفسكم وهو جواب القسم لأن  
 معنى أم لكم آيمان علينا أم أقسمنا لكم بآيمان مغلظة متناهية في التوكيد (سَلِّمُوا) أي  
 الشركين (أَيُّهُمْ يَذَّكُّ) الحكم (ذَمِيمٌ) كفيل بأنه يكون ذلك (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ)  
 أي ناس يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم فيه (فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا  
 صَادِقِينَ) في دعوام يعني أن أحدا لا يسلم لهم هنا ولا يساعدهم عليه كأنه لا كتاب لهم  
 ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يضمن لهم من الله بهذا (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ  
 سَاقٍ) ناسب الظرف فلْيَأْتُوا أو اذكر مضمرنا والجمهور على أن الكشف عن الساق عبارة  
 عن شدة الأمر وصعوبة الخطب فمعنى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الأمر ويصعب ولا كشف  
 نعمة ولا ساق ولكن كفى به عن الشدة لأنهم إذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق وهذا كما  
 تقول للأقطع الشحيح يده متلولة ولا يد نعمة ولا غل وإنما هو كناية عن البخل وأما من  
 شبه فلضيق عطشه وقلة نظره في علم البيان ولو كان الأمر كما زعم الشبه لكان من حق الساق  
 أن يعرف لأنها ساق معروفة عنده (وَيَذَّهَبُونَ) أي الكفار نعمة (إِلَى الشُّجُودِ) لا تكليفا  
 ولكن توييخا على تركهم السجود في الدنيا (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ) ذلك لأن ظهورهم تصير كسبابي  
 البقر لا تثني عند الخفض والرفع (خَشِمَةً) ذليلة حال من الضمير في يذعنون (أَبْصُرْهُمْ)  
 أي يذعنون في حال خشوع أبصارهم (تَرَاهُمْ ذُلًّا) ينشام صفار (وَقَدْ كَانُوا يَذَّهَبُونَ)  
 على السن الرسل (إِلَى الشُّجُودِ) في الدنيا (وَهُمْ سَلِيمُونَ) أي وهم أسماء فلا يسجدون

فذلك منموا عن السجود ثم (فَدَرَرْنِي) يقال ذرى وإياه أى كله إلى فإني أكفيكم (وَمَنْ  
يَكْذِبُ) معطوف على المفعول أو مفعول معه (يَهَذَا الْحَدِيثِ) بالقرآن والمراد كل أمره  
إلى وخل بينى وبينه فإني عالم بما ينبغي أن يفعل به مطبق له فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل  
على في الانتقام منه تسليمه لرسول الله ﷺ وتهديد للمكذبين (سَتَسْقَدُ رُجُومُ) سقندنيهم من  
الغضب درجة درجة يقال استدرجه إلى كذا أى استنزله إليه درجة درجة حتى يورطه فيه  
واستدراج الله تعالى النصاة أن يرزقهم الصعلة والنعمة فيجملون رزق الله ذرية إلى ازدياد المعاصي  
(مَنْ حَيْثُ لَا يَمْلِكُونَ) من الجملة التي لا يشمرون أنه استدراج قيل كلا جددوا معصية  
جندنا لهم نعمة وأسنانهم شكرها قال عليه السلام «إذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم  
على معصيته فاعلم أنه مستدرج» وتلا الآية (وَأَمْلَى لَهُمْ) وأملهم (إِنْ كَيْدِي مَعِينٌ)  
قوى شديد فسمى إحسانه وتمكينه كيما كما سهل استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث  
كان سببا للهلاك. والأصل أن معنى الكيد والسكر والاستدراج هو الأخذ من جهة الأمن  
ولا يجوز أن يسمى الله كائنا وما كرا ومستدرجا (أَمْ تَسْتَكْبِرُونَ) على تبليغ الرسالة (أَجْرًا  
فَهُمْ مِنْ مُتْرَمِينَ) غرامة (مُتَقَلُونَ) فلا يؤمنون استفهام بمعنى النفي أى لست تطلب أجرا  
على تبليغ الوحي فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ) أى اللوح المحفوظ  
عند الجمهور (فَهُمْ يَكْتُمُونَ) منه ما يحكمون به (فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) وهو إمامهم  
وتأخير نصرته عليهم لأنهم وإن أمهلوا لم يمهلوا (وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) كيونس  
عليه السلام في العجلة والنصب على القوم حتى لا يتبلى يلائمه. والوقف على الحوت لأن إذ  
ليس بظرف لما تقدمه إذ النداء طاعة فلا ينهى عنه بل مفعول محذوف أى ذكر (إِذْ نَادَى)  
دعاه به في بطن الحوت بلا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (وَهُوَ مَكْظُومٌ)  
مملوء غيظا من كظم السقاء إذا ملاه (لَوْلَا أَنْ نَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ) رحمة (مِنْ رَبِّي) أى  
لولا أن الله أنعم عليه بإجابة دعائه وقبول عذره (لَتَبَدَّى) من بطن الحوت (بِالنَّارِ آه)  
بالنضاض (وَهُوَ مَذْمُومٌ) معاتب بركته لكنه رحم فنبذ غير مغموم (فَأَجْتَبَاهُ رَبُّهُ)  
استطافه لنطائه وعذره (فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له

وقيل من الأنبياء وقيل من الرسلين والوجه هو الأول لأنه كان مرسلا ونيا فيه قوله تعالى: وإن يونس لن الرسلين إذا بقى إلى الفلك المشحون. الآيات ( وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ ) وبتفتح الياء مدنى إن غففة من الثقبلة واللام عليها زقة وأزقه أزاله من مكانه أى قارب الكفار من شدة نظرم إليك شزرا بميون المداوة أن يزيلوك بأبصارهم من مكانك أو يهلكوك لشدة حنقهم عليك . وكانت المين فى بنى أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم أراك اليوم مثله إلا هلك فأريد بمضى المينتين على أن يقول فرسول الله مثل ذلك فقال لم أراك اليوم مثله رجلا فمضيه الله من ذلك وفى الحديث: المين حق وإن المين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر. وعن الحسن رقية المين هذه الآية ( لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ) القرآن ( وَيَقُولُونَ ) حسدا على ما أوتيت من النبوة ( إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ) إن محمدا مجنون حيرة فى أمره وتغيرا عنه ( وَمَا هُوَ ) أى القرآن ( إِلَّا ذِكْرٌ ) وعظ ( لِلْعَالَمِينَ ) للجن والإنس يعنى أنهم جنونه لأجل القرآن وما القرآن إلا موعظة للعالمين فكيف يجن من جاء بمثله وقيل لما سموا الله ذكر أى ذكره عليه السلام وما هو أى محمد عليه السلام إلا ذكر شرف للعالمين فكيف ينسب إليه الجنون والله أعلم .

### ( سورة الحاقة إحدى وخمسون آية مكية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( الْحَاقَّةُ ) الساعه الواجبة الوقوع الناجية الميئ التى هى آتية لا ريب فيها من حق يحق بالكسر أى وجب ( مَا الْحَاقَّةُ ) مبتدأ وخبر وهما خبر الحاقة والأسل الحاقة ما هى أى أى شيء هى تفصيلا لشأنها وتعظيما لهولها أى حقها أن يستفهم عنها لعظمها فوضع الظاهر موضع الضمير فزيادة التهويل ( وَمَا أَدْرَاكَ ) وأى شيء أعلمك ( مَا الْحَاقَّةُ ) يعنى أنك لا علم لك بكنها ومدى عظمها لأنه من العظم والشدة بحيث لا تبينه دراية الخلقين. وموافق بالاجتهاد وأدراك الخبر والجملة بضمه فى موضع نصب لأنها مفعول ثان لأدري ( كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِوَاعَدٍ بِالْفَارِغَةِ ) أى بالحاقة فوضعت الفارغة موضعها لأنها من أماء القيامة وسميت بها

لأنها تفرع الناس بالأفراع والأحوال ولما ذكرها ونظمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها  
وما حل بهم بسبب التكذيب فذكر لآهل مكة ونحوها لهم من عاقبة تكذيبهم ( فَأَمَّا  
ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّائِفَةِ ) بالواقعة المأوزة للعبد في الشدة. واختلف فيها قيل الرحمة وقيل  
الصبيحة وقيل الطافية مصدر كالطافية أى بطغيانهم ولكن هذا لا يطابق قوله ( وَأَمَّا عَادُ  
فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ ) أى بالدبور قوله سورة هود : نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور. ( صَرَصِر )  
شديدة الصوت من الصرة الصبيحة أو باردة من الصر كأنها التى كثر فيها البرد وكثر فعى  
تمرق بشدة بردها ( عَارِيَّة ) شديد المصف أو عنت على خزانها فلم يضبطوها بإذن الله  
غضبا على أعداء الله ( سَخَرَهَا ) سلطها ( عَلَيْهِمْ سَمِعَ لَيْلًا وَنَمْنِيَّةً يَأْمُرُ ) وكان ابتداء  
العذاب يوم الأربعاء آخر الشهر إلى الأربعاء الأخرى ( حُسُومًا ) أى متتابعة لا تنقطع جمع  
حاسم كشهود تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكى على الماء كره بعد أخرى حتى  
ينضمم وراز أن يكون مصدرا أى تضم حسوما بمعنى تستأسل استقصالا ( قَرَى ) أيها  
المخاطب ( الْقَوْمَ فِيهَا ) في مهاها أوفى الليالى والأيام ( صَرَقَى ) حال جمع صريع ( كَانَهُمْ )  
حال أخرى ( أَعْجَازُ ) أصول ( نَخْلٍ ) جمع نخلة ( خَاوِيَةً ) ساقطة أو بالية ( قَعْلُ تَرَى )  
لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ ) من نفس باقية أو من بقاء كالطافية بمعنى الطغيان ( وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ  
قَبْلَهُ ) ومن تقدمه من الأمم. ومن قبله بصرى وعلى أى ومن عنده من أتباعه ( وَالْمُؤْتَفِكَةُ )  
فرى قوم لوط فعى انتفكت أى اهلبت بهم ( بِالْخَاطِئَةِ ) بالخطأ أو بالقلعة أو بالأفعال  
ذات الخطأ العظيم ( فَمَمَّوْا ) أى قوم لوط ( رَسُولٌ رَّبِّهِمْ ) لوطا ( فَأَخَذَهُمُ أَخْذَةً رَّابِيَةً )  
شديدة زائدة في الشدة كازادت قبائحهم في القبح ( إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ ) ارتفع وقت الطوفان  
على أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر فرسا ( حَمَلْنَكُمْ ) أى آباءكم ( فِي الْبَارِيَةِ ) في  
سفينة نوح عليه السلام ( لِنَجِّنَاهَا ) أى القلعة وهى أنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين ( لَكُمْ  
تَذَكُّرَةٌ ) عبرة وعظة ( وَتَمِيمًا ) وتحفظها ( أُوذُنٌ ) بضم النال غير نافع ( وَاعِيَةٌ ) حافظة  
لما سمع قال تادة وهى أذن عقلت عن الله وانتفت بما سمعت ( فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ  
نُفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ) هى النفخة الأولى ويموت عندها الناس والثانية يمشون عندها ( وَحُمِلَتِ

الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ) رفعتا عن موضعهما (فَدَكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) دكنا وكسرتا أى ضرب  
بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيبا وهباء منبثا (فَيَوْمَئِذٍ) غيثفد (وَقَسَتْ  
الْوَاقِعَةُ) نزلت النازلة وهى القيامة وجواب إذا وقت ويومئذ بدل من إذا (وَانشَقَّتِ  
السَّمَاءُ) فَتَحَتْ أَبْوَابًا (فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) مسترخية ساقطة القوة بمد ما كانت محكمة  
(وَالْمَلَكُ) للجنس بمعنى الجمع وهو أهم من الملائكة (عَلَى أَرْجَائِهَا) جوانبها واحدها  
رجا مقصور لأنها إذا انشقت وهى مسكن الملائكة فيلجئون إلى أطرافها (وَيَغِيْلُ عَرْشُ  
رَبِّكَ فَوْقَهُمْ) فوق الملك الذين على أرجائها (يَوْمَئِذٍ تَمْنِيَةٌ) منهم واليوم عمله أربعة  
وزيدت أربعة أخرى يوم القيامة وعن الضحاك ثمانية صفوف وقيل ثمانية أسنان (يَوْمَئِذٍ  
تُعْرَضُونَ) للحساب والمؤال شبه ذلك برض السلطان السكر لتعرف أحواله (لَا تَخْفَى  
مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا وبالباء كوفى غير حاصم وفى الحديث يرض  
الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان جمدال ومماذير وأما الثالثة فنحنها تطير  
الصحف فيأخذ الفائز كتابه ويمينه والمالك كتابه بشماله (فَأَمَّا) تفصيل العرض (مَنْ أَوْقَى  
كِتَابَهُ يَبْسِيهِ فَيَقُولُ) سرورا به لما يرى فيه من الخيرات خطابه لجملته (هَؤُلَاءِ) اسم  
للفعل أى خذوا (اقْرَأُوا كِتَابِيهِ) تهديره هؤم كتابى اقرؤا كتابيه غفنى الأول للالة  
الثانى عليه والمامل فى كتابيه اقرءوا عند البصريين لأنهم يملكون الأقرب والماء فى كتابيه  
وحسايه وماليه وسلطانيه للسكر وحققا أن تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل وقد استحبه  
إشارة الوقف إشارا لتبائها ثبوتها فى الصحف (إِنِّي ظَنَنْتُ) علمت وإنما أجرى الظن مجرى  
العلم لأن الظن الغالب يقوم مقام العلم فى المادات والأحكام ولأن ما يدرك بالأجتهاد قلما يخلو  
عن الوسواس والخواطر وهى تفضى إلى الظنون فجاز إطلاق لفظ الظن عليها لا لا يخلو عنه  
(أَنَّى مُلْكٍ حِسَابِيَّةٍ) معانٍ حسابى (فَهَوَ فِي عَيْشَةٍ رَّاسِيَةً) ذات رضا يرضى بها  
صاحبها كلابن (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) رقيقة المكاتب أو رقيقة الدرجات أو رقيقة الباني  
والقصور وهو خير بعد خير (فَطُوفُهَا دَائِيَةٌ) ثمارها قرية من مريدها ينالها القائم والقاعد  
والتسكى يقال لهم (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا) أكلا وشربا هنيئا لا مكروه فيها ولا أذى

أو عنكم شيئاً على الصدر (بِمَا أَسَلَقْتُمْ) بما قدمنم من الأعمال الصالحة (فِي الْآيَاتِ-  
الْفَخَائِلِ) اللامنية من أيام الدنيا وعن ابن عباس هي في السائمين أى كلوا واشربوا بقل  
ما أمسكنم من الأكل والشرب لوجه الله (وَأَمَّا مَنْ أَوَّيَّ كَعْبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْقَى  
لَمْ أَوَّيَّ كَعْبِيَّةً) لما يرى فيها من الفساح (وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةً) أى يلقى لم أعلم  
ما حسابي (يَلْقَى مَتَا) بالمت الموتة التي منها (كَانَتْ الْقَاسِيَّةُ) أى القاطعة لأمرى فلم أبست  
بهدها ولم ألق ما ألقى (مَتَا أَفْنَى عَنِّي مَا لِي) أى لم ينفعنى ما جمعت في الدنيا فأنفى والمفعول  
محذوف أى شيئاً (هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةً) ملكى وتسلى على الناس وبقيت فقيراً ذليلاً وعن  
ابن عباس رضى الله عنهما ضلت عنى حتى أى بطلت حتى التى كنت أحتج بها في الدنيا  
فيقول الله تعالى لخزنة جهنم (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ) أى اجمعوا يديه إلى عنقه (ثُمَّ الْجَحِيمَ  
سَلُّوهُ) أى أدخلوه بمنى ثم لا تسالوه إلا الجحيم وهى النار العظمى أو نسب الجحيم بقل  
يفسده صاوه (ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا) طولها (سَبْعُونَ ذِرَاعًا) بذراع الملك عن ابن جريج  
وقيل لا يعرف قدرها إلا الله (فَأَسْكُرُوهُ) فأدخلوه والمعنى في تقديم السلسلة على السلك  
مثله في تقديم الجحيم على التصلية (إِنَّهُ) لتليل كأنه قيل ماله يذهب هذا المذاب الشديد  
فأجيب بأنه (كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَخُضُّ عَلَىٰ عِلَمِ الْكَافِرِينَ) على بقل  
طعام المسكين وفيه إشارة إلى أنه كان لا يؤمن بالبعث لأن الناس لا يطلبون من المساكين  
الجزاء فيما يعلمونهم وإنما يعلمونهم لوجه الله ورجاء الثواب في الآخرة فإذا لم يؤمن بالبعث  
لم يكن له ما يحمله على إطعامهم أى أنه مع كفره لا يحرص غيره على إطعام المحتاجين وفيه  
دليل قوى على عظم جرم حرمان المسكين لأنه عطفه على الكفر وجعله دليلاً عليه وقربته له  
ولأنه ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض إذا كان بهذه التزلة تشارك الفعل أحياناً  
وعن أبى الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير الرق لأجل المساكين ويقول خلعتنا نصف  
السلسلة بالإيمان فلنخلع نصفها بهذا وهذه الآيات ناطقة على أن المؤمنين يرحمون جميعاً والكافرين  
لا يرحمون لأنه قسم الخلق نصفين فجعل صنفاً منهم أهل الإيمان ووصفهم بالإيمان فحسب بقوله  
إنى ظننت أنى ملاقى حسايه وصنفاً منهم أهل الشمال ووصفهم بالكفر بقوله إنه كان لا يؤمن



بالله العظيم وجز أن الذي يقاب من المؤمنين إنما يقاب قبل أن يؤق كتابه يمينه ( فَلْيَسِّرْ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَيِّمٌ ) قريب يرفع عنه ويمتق له قلبه ( وَلَا طَمَاحٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ ) غسالة أهل النار فعلى من النفس والنون زائدة وأريد به هنا ما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم ( لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِثُونَ ) الكافرون أصحاب الخطايا وخطي الرجل إذا تمعد الذنوب ( فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ) من الأجسام والأرض والسماء ( وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ) من الملائكة والأرواح فالخاصل أنه أقسم بجميع الأشياء ( إِنَّهُ ) أى إن القرآن ( لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ) أى محمد ﷺ أوجبريل عليه السلام أى بقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله ( وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ ) كما تدعون ( قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا يَقُولُ كَأَمِنْ ) كما تقولون ( قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ) وبالباية فهما مكى وشامى ويقوب وسهل. ويتخفيف الدال كوف. فير أبى بكر والقلة فمعنى المدم يقال هذه أرض قلما تنبت أى لا تنبت أصلاً والمعنى لا تؤمنون ولا تذكرون البتة ( تَنْزِيلٌ ) هو تنزيل بياناً لأنه قول رسول نزل عليه ( مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ) ولو ادعى علينا شيئاً لم قلّه ( لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ) قتلناه سبوا كما يفعل الملوك بمن يشكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بسورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخصى اليمين لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره وإذا أراد أن يوقمه في جيبه وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصور نظره إلى السيف أخذ يمينه ومعنى لأخذنا منه باليمين لأخذنا يمينه وكذا ( ثُمَّ قَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ) قطعنا وتينه وهو نياط القلب إذا قطع مات صاحبه ( فَمَا مِنْكُمْ ) الخطاب للناس أول المسلمين ( مَنْ أَحَدٍ ) من زائدة ( عَنْهُ ) من قتل محمد وجمع ( حَزِينٍ ) وإن كان وصف أحد لأنه في معنى الجماعة ومنه قوله تعالى لا تفرق بين أحد من رسله ( وَإِنَّهُ ) وإن القرآن ( لَقَدْ كَرِهَ ) لمطلة ( لِلْمُتَّقِينَ ) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ وَإِنَّهُ ) وإن القرآن ( لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ) به الكاذبين له إذا رأوا ثواب الصديقين به ( وَإِنَّهُ ) وإن القرآن ( لَحَقُّ الْيَقِينِ ) لمن اليقين ومحض اليقين ( فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ) فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحانه الله .

## ( سورة المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( سَأَلَ سَائِلٌ ) هو النضر بن الحرث قال إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم أو هو النبي ﷺ دعا بزلزل العذاب عليهم ولا ضمن سأل معنى دعا عدى تمديته كأنه قيل دعا داع ( بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ) من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى: يدعون فيها بكل فاكهة. وسال بغير همز مدنى وشاى وهو من السؤال أيضا إلا أنه خفف بالتلين وسائل مهموز إجماعا ( لِلْكَافِرِينَ ) صفة لعذاب أى بعذاب واقع كائن للكافرين ( لَيْسَ لَهُ ) لذلك العذاب ( دَافِعٌ ) راد ( مِّنَ اللَّهِ ) متصل بواقع أى واقع من عنده أو يدافع أى ليس له دافع من جهته تعالى إذا جاء وقته ( ذِي الْمَعَارِجِ ) أى مساعد السماء للملائكة جمع مرج وهو موضع المروج ثم وصف المساعد وبعد مداها فى العلو والارتفاع فقال ( تَمْرُجُ ) تصمد وبالياء على ( الْمَلَكَةِ وَالرُّوحِ ) أى جبريل عليه السلام خصه بالذكر بعد الموموم لفضله وشرفه أو خلقه ثم حفظه على الملائكة كما أن الملائكة حفظه علينا أو أرواح المؤمنين عند الموت ( إِلَيْهِ ) إلى عرشه ومهبط أمره ( فِي يَوْمٍ ) من سنة تخرج ( كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ) من سنى الدنيا لو سعد فيه غير الملك أو من سنة واقع أى يقع فى يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة فيما أن يكون استطالة له لشدة على الكفار أو لأنه على الحقيقة كذلك فقد قيل فيه خمسون موطنًا كل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والمصر ( فَاصْبِرْ ) متعلق بسأل سائل لأن استمجال النضر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله ﷺ والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله ﷺ فأمر بالصبر عليه ( صَبْرًا جَمِيلًا ) بلا جزع ولا شكوى ( إِنَّهُمْ ) إن الكفار ( يَرَوْنَهُ ) أى العذاب أو يوم القيامة ( بَيْدًا ) مستحيلًا ( وَزَرْنَهُ قَرِيْبًا ) كائنًا لا محالة فالراد بالبعيد البعيد من الإمكان هو القريب القريب منه نصب ( يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ ) بقربا أى يمكن فى ذلك اليوم أو هو

بدل من في يوم فيمن علقه بواقع ( كَالْمُهْلَرِ ) كدردى الزيت أو كالفضة المذابة في ثوبية  
 ( وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ) كالصوف المصبوغ ألواناً لأن الجبال جدد بيض وحم  
 مختلف ألوانها وغرايب سود فإذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن للنفوش إذا طيرته  
 الريح ( وَلَا يَسْتَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ) لا يسأل قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه وعن البرى  
 والبرجمي بضم الباء أى ولا يسأل قريب عن قريب أى لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه  
 ( يُبَصِّرُونَهُمْ ) صفة أى يحيا مبصرين مرفين أيام أو مستأنف كأنه لما قال ولا يستل حميم  
 حميا قيل لعله لا يبصره قليل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم والواو  
 ضمير الجيم الأول وهم ضمير الجيم الثانى أى يبصر الأحياء الأحياء فلا يخفون عليهم وإنا جمع  
 الضميران وهما للحميمين لأن فعلا يقع موقع الجمع ( يَوَدُّ الْمُجْرِمُ ) يمتنى الشريك وهو  
 مستأنف أو حال من الضمير المرفوع أو المنصوب من يبصرونهم ( لَوْ يَفْقَدِي مِنَ عَذَابِ  
 يَوْمٍ مِثْلَ ) وبالفتح مدنى وعلى على البناء للإضافة إلى غير متمكن ( بَيْنِيَّ وَصَلِيَّتِي ) وزوجته  
 ( وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ ) وعشيرته الأذنين ( الَّتِي تُؤْوِيهِ ) تضمه أثناء إليها وبغير همز يزيد  
 ( وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ) من الناس ( ثُمَّ يُجِيعُهُ ) الافتداء عطف على يفقدى ( كَلَّا )  
 ردع للمجرم عن الودادة وتنبية على أنه لا ينفعه الانتداء ولا يجنيه من العذاب ( إِنَّمَا ) إن  
 النار ودل ذكر العذاب عليها أو هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة ( أَنْظِرْ )  
 علم للنار ( نَزَاعَةً ) حفص والمفضل على الحال المؤكدة أو على الاختصاص للتهويل. وغيرهما  
 بالرفع خبر بعد خبر لأن أو على هى نزاعة ( لِلشَّوْكِ ) لأطراف الإنسان كاليدن والرجلين.  
 أو جمع شواة وهى جلالة الرأس نزعها نزعا خفرفها ثم تمود إلى ما كانت ( تَدْعُوا )  
 بأسمائهم يا كافر يا منافق إلى إلى أو تهلك من قولهم دعاك الله أى أهلكك أو لما كان  
 مصيره إليها جعلت كأنها دعتة ( مَنْ أَذْبَرَ ) عن الحق ( وَتَوَلَّى ) عن الطاعة ( وَجَمَعَ )  
 المال ( فَأَوْعَى ) فجمله فى وعاء ولم يؤد حق الله منه ( إِنَّ الْإِنْسَانَ ) أريد به الجنس ليمح  
 استثناء المصلين منه ( خَلَقَ هَلْوَاعاً ) عن ابن عباس رضى الله عنهما تفسيره ما بعده ( إِذَا  
 مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ) والمطلع: سرعة الجزع عند مس السكره وسرعة

الثلث عند من الخير. وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الملع فقال قد فسرهُ الله تعالى  
 «ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذى إذا ناله شر أظهر شدة الجزع وإذا ناله خير  
 يجل به ومنه الناس وهذا طبيعه وهو أمور بمخالفة طبيعه وموافقة شرعه والشر: الضر والفقر.  
 والخير: السمة والنقى أو الرض والصحة (إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ أَيْ صَلَوَاتِهِمْ  
 الْحُسْنَى دَائِمُونَ) أى يحافظون عليها في مواقيتها وعن ابن مسعود رضى الله عنه (وَالَّذِينَ  
 فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمْلُومٌ) يعنى الزكاة لأنها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه  
 يؤدبها في أوقات معلومة (لِلسَّائِلِ) الذى يسأل (وَالَّذِينَ هُمْ) الذى يتعفف عن السؤال  
 فيحسب غنيا غيرهم (وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْمَ الدِّينِ) أى يوم الجزاء والحساب وهو  
 يوم القيامة (وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) خائفون وأعرض بقوله (إِنَّ عَذَابَ  
 رَبِّهِمْ غَيْرُ تَأْمُونٍ) بالهمز سوى أبى عمرو أى لا يبنى لأحد وإن بالغ في الاجتهاد والطاعة  
 أئى يأمنه وينبى أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ  
 إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ) نسائهم (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أى إمائهم (فَالَّذِينَ غَيْرَ مُؤْمِنِينَ)  
 على ترك الحفظ (فَمَنْ ابْتَدَىٰ) طلب منكها (وَرَأَىٰ ذَلِكَ) أى غير الزوجات والمملوكات  
 (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفَادُونَ) التجاوزون من الحلال إلى الحرام. وهذه الآية تدل على حرمة التمتع  
 ووطء الذكور والنساء والاستمتاع بالكف (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ) لأمائهم مكى وهم  
 تناول أمانات الشرع وأمانات العباد (وَعَهْدِهِمْ) أى عهودهم ويدخل فيها عهود الخلق  
 والذود والأيمان (رَاعُونَ) حافظون غير خائفين ولا ناقضين. وقيل الأمانات ما تدل عليه المقول  
 والعهد ما أتى به الرسول (وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ) بشهادتهم سهل وبالألف حفص ويعقوب  
 (فَأَتَمُّونَ) يقيمونها عند الأحكام بلا ميل إلى قريب وشرى وترجيح للقوى على الضعيف  
 إظهارا للصلاية في الدين ورغبة في إحياء حقوق المسلمين (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ  
 يُحَافِظُونَ) كبر ذكر الصلاة لبيان أنها أهم أولان إحداها للفرائض والأخرى للتوابع  
 وقيل الدوام عليها الاستكثار منها والمحافظة عليها أن لا تضيع عن مواقيتها أو الدوام عليها  
 إلغاؤها في أوقاتها والمحافظة عليها حفظ أركانها وواجباتها وسننها وآدابها (أُولَٰئِكَ) أصحاب

هذه الصفات ( فِي جَنَّتٍ مُّكْرَمُونَ ) هما خيران ( فَمَالٍ ) كتب مفصّلا اتباعا لمصنف  
هتمان رضى الله عنه ( الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ ) نحوك معمول ( مُّطِيعِينَ ) مسرعين حال من  
الذين كفروا ( عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ ) عن يمين النبي ﷺ وعن شماله ( عَزِينَ ) حال  
أى فرقا شتى جمع عزة واسلها عزوة كأن كل فرقة تمتاز إلى غير من تمتاز إليه الأخرى فهم  
مفترقون كان المشركون يحتفون حول النبي ﷺ حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويسمّون  
بكلأه ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم فنزلت ( أَيْطَسُ كُلُّ  
أَمْرٍءٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ ) بضم الباء وفتح الخاء سوى الفضل ( جَنَّةٍ نَّيْمٍ ) كالزمنين  
( كَلَّا ) ردع لهم عن طمعهم فى دخول الجنة ( إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَمْلِكُونَ ) أى من النطفة  
المذرة لذلك أبهم إشمارا بأنه منصب يستصيا من ذكره فن أبن يشرفون ويدعون  
التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم أو معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم  
ومن حكمنا أن لا يدخل أحد الجنة إلا بالإيمان فلم يطمع أن يدخلها من لا إيمان له ( فَلَا  
أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ ) مطالع الشمس ( وَالْمَغْرِبِ ) ومنازلها ( إِنَّا لَقَدِيرُونَ عَلَى أَنْ  
نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ ) على أن نهلكهم ونأتى بخلق أمثل منهم وأطوع لله ( وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوحِينَ )  
بما جازين ( فَذَرْنَهُمْ ) فدع السكدين ( يَخْرُضُوا ) فى باطلهم ( وَيَتَلَبَّسُوا ) فى دنياهم ( حَتَّى  
يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ ) فيه المذاب ( يَوْمَ ) بدل من يومهم ( يَخْرُجُونَ ) بفتح  
الباء وضم الراء سوى الأعشى ( مِنَ الْأَجْدَاثِ ) القبور ( مِرَآعًا ) جمع سريع حال أى  
إلى الدامى ( كَأَنَّهُمْ ) حال ( إِلَى نُصْبٍ ) شامى وحفص وسهل. نصّب الفضل. نصّب غيرهم  
وهو كل ما نصب وعبد من دون الله ( يُوفِّضُونَ ) يسهرون ( خَشِمَةً ) حال من ضمير  
يخرجون أى ذليلة ( أَبْصَرُهُمْ ) يعنى لا يرفعونها لذلك ( تَرَاهُمْ ذُلًّا ) ينشام هولاء  
( ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ ) فى الدنيا وهم يكذبون به .

## ﴿ سورة نوح عليه السلام مكية وهي ثمان وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا) قيل معناه بالسريانية الساكن (إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ) خوف  
 أصله بأن أنذر غذف الجار وأوصل الفعل وعمله عند الخليل جرو عند غيره نصب أو أن مفسرة  
 بمعنى أى لأن في الإرسال معنى القول (قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) عذاب  
 الآخرة أو الطوفان (قَالَ يَوْمَئِذٍ) أضافهم إلى نفسه إظهارا للشفقة (إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ)  
 خوف (مُبِينٌ) أيين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه وأن هذه نهمو  
 أن أنذر في الوجهين (وَأَتَّقُوا) واحذروا عصيانه (وَأَطِيعُوا) فإيا آمركم به وأنها كم عنه  
 وإنما أضافه إلى نفسه لأن الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة (يَغْفِرْ لَكُمْ)  
 جواب الأمر (مَنْ ذُنُوبَكُمْ) للبيان كقوله: فاجتنبوا الرجس من الأوثان. أو للتبويض  
 لأن ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الإسلام كالقصاص وغيره كذا في شرح التأويلات  
 (وَيُؤَخِّرْكُمْ) إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) وهو وقت موتكم (إِنْ أَجَلَ اللَّهُ) أى الموت (إِذَا  
 جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أى لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء  
 أجلكم لأنتم قيل إن الله تعالى قضى مثلا أن قوم نوح إن آمنوا عرهم ألف سنة وإن لم  
 يؤمنوا أهلكهم على رأس تسعمائة ففيل لهم آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى أى تبلغوا ألف  
 سنة ثم أخبر أن الأجل إذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت وقيل إنهم كانوا يخافون على  
 أنفسهم الإهلاك من قومهم يلعنهم وإجابتهم لنوح عليه السلام فكانه عليه السلام أتهم  
 من ذلك ووعدهم أنهم يلعنهم يقولون إلى الأجل الذي ضرب لهم لو لم يؤمنوا أى أنكم  
 إن أسلمتم بقيتم إلى أجل مسمى آمنين من عدوكم (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لِكَيْلَا وَهَبَارًا)  
 دأبيا بلا فطور (قُلْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا) من طاعتك ونسب ذلك إلى دعائه لحصوله  
 عنده وإن لم يكن الدعاء سببا للفرار في الحقيقة وهو كقوله: وأما الذين في قلوبهم مرض  
 فزادتهم رجسا إلى رجسهم. والقرآن لا يكون سببا لزيادة الرجس وكان الرجل يذهب بابنه

إلى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فلا يفرك فإن أبي قد وصاني به (وَأَنِّي كَلِمًا  
دَعَوْتُهُمْ) إلى الإيمان بك (لَتَنفِرَ لَهُمْ) أى ليؤمنوا فتغفر لهم فأكتفى بذكر السبب  
(جَمَعُوا أَصْيَحْمَهُمْ فِي عَازَانِهِمْ) سدوا مسامعهم ثلاثين كلاماً (وَأَسْتَفْشَوْا ثِيَابَهُمْ)  
وتغطوا بثيابهم ثلاثاً يصرون في كراهة للنظر إلى وجه من ينصعهم في دين الله (وَأَمَرُوا)  
وَأَقَامُوا على كفرهم (وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً) وتمظفوا عن إجابتي وذكر المصدر دليل على  
فوط استكبارهم (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَاراً) مصدر في موضع الحال أى مجاهراً أو مصدر  
دعوتهم كقصد القرفصاء لأن الجهار أحد نوعي الدعاء يعنى أظهرت لهم الدعوة في المأفل (ثُمَّ  
إِنِّي أَغْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً) أى خلطت دعاءهم بالملانية بدعاء السر فالخامس أنه  
دعاهم ليلا ونهاراً في السر ثم دعاهم جهاراً ثم دعاهم في السر والعلن وهكذا يفعل الأمر بالمعروف  
يبتدئ بالأهون ثم بالأشد فالأشد فافتتح بالنصحة في السر فلما لم يقبلوا تبنى بالجهر فلما لم  
تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان وثم ندل على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من  
الإسرار والجمع بين الأمرين أغلظ من أفراد أحدهما (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) من الشرك  
لأن الاستغفار طلب المغفرة فإن كان المستغفر كافراً فهو من الكفر وإن كان عاصياً مؤمناً  
فهو من الذنوب (إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً) لم يزل غفاراً للذنوب من يتوب إليه (يُرْسِلِ السَّمَاءَ  
الطَّرَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً) كثيرة الدور ومفعال يستوى فيه الذكر والمؤنث (وَيُمْدِدْكُمْ  
بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) يزدكم أموالاً وبنين (وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ) وبساتين (وَيَجْعَلْ لَكُمْ  
أَنْهَاراً) جارية لمزارعكم وبساتينكم وكانوا يحبون الأموال والأولاد فحرموا بها على الإيمان  
وقيل لما كذبوه بمد طول تكثير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأقم أرحام نسائهم أربعين  
سنة أو سبعين فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب ورفع عنهم ما كانوا فيه. وعن جرير رضي الله  
عنه أنه خرج يستسقى فآزاد على الاستغفار فقبل له بارأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديع  
السماء التي يستنزل بها المطر. شبه عمر الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تخطيء وقرأ الآيات  
وعن الحسن أن رجلاً شكاً إليه الجنب قال استغفر الله وشكاً إليه آخر الفقر وآخر قلة  
النسل وآخر قلة ربح أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن مسيح أنك رجل

يشكون أبواباً فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآيات (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) لا تخافون الله عظيمة . عن الأخفش قال : والرجاء هنا الخوف لأن مع الرجاء طرفاً من الخوف ومن اليأس والوقار العظيمة . ولا تأملون له توقيراً أى تعظيلاً . والمعنى ما لكم لا تسكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) في موضع الحال أى ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهى حال موجبة للإيمان به لأنه خلقكم أطواراً أى تارات وكررات خلقكم أولاً نطفاً ثم خلقكم علقاً ثم خلقكم مضناً ثم خلقكم عظاماً ولما نبههم أولاً على النظر في أنفسهم لأنها أقرب ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من المعجائب الدالة على الصانع بقوله (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا) بعضاً على بعض (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) أى في السموات وهو في السماء الدنيا لأن بين السموات ملابساً من حيث إنها طباق فجاء أن يقال فهين كذا وإن لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم أن الشمس والقمر وجوههما مما يلي السموات وظهورهما مما يلي الأرض فيكون نور القمر عيطاً بجميع السموات لأنها لطيفة لا تحجب نوره (وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا) مصباحاً يبرر أهل الدنيا في ضوءها كما يبرر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبطاره وضوء الشمس أقوى من نور القمر وأجمعوا على أن الشمس في السماء الرابعة (وَاللَّهُ أُنَبِّئُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ أَنْشَأَ كَمْ اسْتَعِيرَ الْإِنْبَاتَ لِلْإِنْشَاءِ (نَبَاتًا) فنبتم نباتاً (ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا) بعد الموت (وَيُبْرِئُكُمْ) يوم القيامة (إِخْرَاجًا) اكده بالمصدر أى أى إخراج (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ سَبَاطًا) مبسوطة (تَلَسَّكُوا مِنْهَا) لتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على سباطه (سَبَاطًا) طرقات (فَجَاجَا) واسعة أو مختلفة (قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي) فيها أمرهم به من الإيمان والاستغفار (وَاتَّبَعُوا) أى السفلة والفقراء (مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ) أى الرؤساء وأصحاب الأموال والأولاد . ووُلدته مكى وعراق غير عاصم وهو جمع ولد كأسد وأسد (إِلَّا خَسَارًا) في الآخرة (وَمَسَكُوا) معطوف على لم يزد وجمع الضمير وهو راجع إلى من لأنه في معنى الجمع ولما كرون هم الرؤساء ومكرم احتياهم في الدين وكيدهم للوج



ونحريش الناس على أذاه وصدم من الليل إليه (مَكْرًا كِبَارًا) عظيما وهو أكبر من الكبائر  
وقرى به وهو أكبر من الكبير (وَقَالُوا) أى الرؤساء لسفلتهم (لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ)  
على العموم أى عبادتها (وَلَا تَذَرُنَّ وُدًّا) بفتح الواو وضمها وهو قراءة نافع لثتان: ضم  
على صورة رجل (وَلَا سَوَاءًا) هو على صورة امرأة (وَلَا يَبُوتُ) هو على صورة أسد  
﴿وَيَمُوتُ﴾ هو على صورة فرس وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل إن كانا عربيين  
وللتعريف والمجبة إن كانا أعجميين (وَنَسْرًا) هو على صورة نسر أى هذه الأصنام الخمسة  
على الخصوص وكأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها ببد العموم وقد اختلفت  
هذه الأصنام من قوم نوح إلى العرب فكان ود لكب وسواع لهمدان ويثوث لندجج  
ويثوق لمراد ونسر لحير وقيل هى أسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح  
فلما ماتوا سوروم ليكون ذلك أدهى لهم إلى العبادة فلما طال الزمان قال لهم إيليس إنهم كانوا  
يمبدونهم فببدوم (وَقَدْ أَضَلُّوا) أى الأصنام كقوله إنهن أضللن (كثيرون) من الناس  
أو الرؤساء (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ) عطف على رب إنهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه  
السلام بعد قال وبعد الراو النابتة عنه ومعناه قال رب إنهم عصوني وقال لا تزد الظالمين أى  
قال هذين القولين وهما فى عمل النصب لأتهما مفعولا قال (إِلَّا ضَلَالًا) هلاكا كقوله ولا  
تزد الظالمين إلا تبارا (مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ) خطاياهم أبو عمرو أى ذنوبهم (أَغْرَقُوا) بالطوفان  
﴿فَأَذْخَلُوا نَارًا﴾ عظيمة وتقديم مما خطيئاتهم لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان وإدخالهم  
فى النيران إلا من أجل خطيئتهم وأكد هذا المعنى بزيادة ما وكفى بها مزجرة لمرسكب  
الخطايا فإن كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئتهم وإن كانت كبراهن والفاء فى فأدخلوا  
للإيدان بأنهم هذبوا بالإحراق عقيب الإغراق فيكون دليلا على إثبات عذاب القبر (فَلَمْ  
يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا) ينصرونهم ويمنونهم من عذاب الله (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ  
لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا) أى أحدا يدور فى الأرض وهو فيمال  
من الدور وهو من الأسماء المستعلة فى اللفى العام (إِنَّكَ إِنْ تَذَرْنَهُمْ) ولا تهلكهم (يُضِلُّوا  
عِبَادَكَ) يدعوم إلى الضلال (وَلَا يَلْدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا) إلا من إذا بلغ جبر وكفر

وإنما قال ذلك لأن الله تعالى أخبره بقوله: لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (رَبُّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ) وكانا مسلمين واسم أبيه لك واسم أمه شمعاء وقيل هما آدم وحواء وقرى ولولدى يريد ساما وحاماً (وَلَمَنْ دَخَلَ بُيُوتَهُمْ فَسَلَامٌ عَلَيْهِمْ أَوْ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ أَوْ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ) لأنه علم أن من دخل بيته مؤمناً لا يهود إلى الكفر (وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) إلى يوم القيامة خص أولاً من يتصل به لأنهم أولى وأحق بدعائه ثم هم المؤمنين والمؤمنات (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ) أي الكافرين (إِلَّا تَبَارًا) هلاكاً فأهلكوا قال ابن عباس رضى الله عنهما دعا نوح عليه السلام بدعوتين إحداهما للمؤمنين بالغفرة وأخرى على الكافرين بالتبار وقد أجيبت دعوته في حق الكفار بالتبار فاستحال أن لا تستجاب دعوته في حق المؤمنين واختلف في صبيانهم حين أغرقوا فقيل أعظم الله أرحام نسائهم قبل الطوفان بأربعين سنة فلم يكن معهم سبي حين أغرقوا وقيل علم الله براءتهم فأهلكوا بغير عذاب والله أعلم .

### ﴿سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قُلْ) يا محمد لأمتك (أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ) أن الأمر والشأن أجمعوا على فتح أنه لأنه فاعل أوحى وأن لو استقاموا وأن الساجد للمعطف على أنه استمع فأن مخففة من الثقلة وأن فد أبلغوا لتمدى يعلم إليها وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء وبعد القول نحو فإن له نار جهنم وقالوا إنا سمعنا لأنه مبتدأ محكى بعد القول، واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من أنه تعالى جد ربنا إلى وأنا منا المسلمون ففتحها شامى وكوفى غير أبى بكر عطفاً على أنه استمع أو على عمل الجار والمجرور في آسنا به تقديره صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيفنا إلى آخرها وكسرها غيرهم عطفاً على إنا سمعنا وهم يقفون على آخر الآيات (اسْتَمَعَ نَفَرٌ) جماعة من الثلاثة إلى المشرة (مَنْ أَلْجَنُ) جن نصيبين (فَقَالُوا) لقومهم حين رجعوا إليهم من استماع قراءة النبي ﷺ في صلاة الفجر (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) عجبياً بديماً مبيناً لسائر الكتب في حسن نظمهم وجمه مانيه والمعجب ما يكون خارجاً عن المادة وهو مصدر

وضع موضع العجيب (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) يدعو إلى الصواب أو إلى التوحيد والإيمان  
(فَكُلَّمَا نَبَّاهُ) بالقرآن ولما كان الإيمان به إيماناً بالله ويوحدايته وبراءة من الشرك قالوا  
(وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) من خلقه وجاز أن يكون الضمير في به لله تعالى لأن قوله ربنا  
يفسره (وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا) عظمته يقال جد فلان في معنى أى عظم ومنه قول عمر  
أوانس كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أى عظم في ميوننا (مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً)  
زوجة (وَلَا وَلَدًا) كما يقول كفار الجن والإنس (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا) جاهلنا  
أو إبليس إذ ليس فوقه سفيه (عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) كفرا بعمده عن الصواب من شطت النار  
أى بعدت أو قولاً يجوز فيه عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد إليه والشطط تجاوزة الحد  
في الظلم وغيره (وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) قولاً كذباً أو  
مكذوباً فيه أو نصب على المصدر إذ الكذب نوع من القول أى كان في ظننا أن أحداً لن  
يكذب على الله بنسبة الصاحبة والولد إليه فكنا نصدقهم فيما أضافوا إليه حتى تبين لنا  
بالقرآن كذبهم كان الرجل من العرب إذا نزل يخوف من الأرض قال أهوذ بسيد هذا الوادى من  
سفهاء قومه يريد كبير الجن فقال (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَكُودُونَ رِجَالٍ مِّنَ  
الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ) أى زاد الإنس الجن باستعاضتهم بهم (رَهَقًا) طغياناً وسفهاً وكبراً بأن  
قالوا سدنا الجن الإنس أو فزاد الجن الإنس رهقاً ثم استعاضتهم بهم وأصل الرهق غشيان  
المحطور (وَأَنَّهُمْ) وأن الجن (ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ) يا أهل مكة (أَن لَّنْ يَبَيِّنَ اللَّهُ أَهْدًا)  
بعد الموت أى أن الجن كانوا ينكرون البعث كإنكاركم ثم بساح القرآن اهدتوا وأقروا  
بالبعث فعلاً أقرتم كما أقروا (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ) طلبنا بلوغ السماء واستأج أهلها، والمس:  
المس فاستعير للطلب لأن الماس طالب متعرف (فَوَجَدْنَا نَهَا مُلْقَتَ حَرَمًا شَدِيدًا) جماعاً أقوياء  
من الملائكة يحرسون، جمع حارس ونصب على التمييز وقيل الحرس اسم مفرد في معنى الحراس  
كالخدم في معنى الخدام وقد اوصف بشديد ولو نظر إلى معناه قليل شديداً (وَشُهَبًا) جمع شهاب أى  
كواكب مضيئة (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا) من السماء قبل هذا (مَقْعِدَ السَّمْعِ) لاستماع أخبار  
السماء يعنى كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل البعث (فَمَنْ يَسْتَمِعِ)

يُؤَدُّ الاسْتِمَاعَ (الآن) بعد البعث (يَجِدُهُ) لنفسه (شَهَابًا رَسَدًا) صفة لشهابا بمعنى الزاسد أى يجد شهابا راسدا له ولأجله أوهو اسم جمع للراسد على معنى ذوى شهاب راسدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجونهم بالشهب ويعتصمونهم من الاستماع والجمهور على أن ذلك لم يكن قبل مبعث محمد ﷺ وقيل كان الرجم في الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الأوقات فتمنوا من الاستراق أصلا بمبعث النبي ﷺ (وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ) عذاب (أُرِيدُ بِعَنِّ فِي الْأَرْضِ) بدم استراق السمع (أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) خيرا ورحة (وَأَنَا مِنَّا الْمُلْحِقُونَ) الأبرار المتقون (وَمِنَّا) قوم (دُونَ ذَلِكَ) لحذف الوصف وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه أو أرادوا غير الصالحين (كُنَّا طَرَائِقُ قِدَدًا) بيان للقسم المذكورة أى كنا ذوى مذاهب متفرقة أو أديان مختلفة والتقدم جمع قدة وهي القطعة من قدحت السير أى قطعت (وَأَنَا ظَنَنَّا) أبقنا (أَنْ لَّنْ تُنْجِيَهُ اللَّهُ) لن نوقته (فِي الْأَرْضِ) حال أى لن ننجزه كالتين في الأرض أينما كنا فيها (وَلَنْ تُنْجِيَهُ هَرَبًا) مصدر في موضع الحال أى ولن ننجزه هارين منها إلى السماء وهذه صفة الجن ومأم عليه من أحوالهم وعقائدهم (وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى) القرآن (ءَامَنَّا بِهِ) بالقرآن أو بالله (فَمَنْ يُؤْمِنِ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ) فهو لا يخاف مبتدأ وخبر (بِخَسَا) نقصا من ثوابه (وَلَا رَهَقًا) أى ولا ترهقه فله من قوله: وترهقهم ذلة. وقوله: ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة. وفيه دليل على أن العمل ليس من الإيمان (وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ) المؤمنون (وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) الكافرون الجاثرون عن طريق الحق، قسط: جار وأقسط عدل (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) طلبوا هدى والتحرى طلب الأخرى أى الأولى (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا) في علم الله (لِيَجْزِيَهمَ حَطَبًا) وقودا وفيه دليل على أن الجنى الكافر يعذب في النار ويتوقف في كيفية ثوابهم (وَأَنْ) غففة من الثقيلة يعنى وأنه وهى من جملة الروحى أى أوحى إلى أن الشأن (لَوْ اسْتَقْتَمَوْا) أى القاسطون (عَلَى الطَّرِيقَةِ) طريقة الإسلام (لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا) كثيرا والمعنى لو سقنا عليهم الرزق وذكر الماء المثلق لأنه سبب سمة الرزق (لِنَقْتَنِيَهُمْ فِيهِ) لَنُخْتَبِرَهُمْ فِيهِ كَيْفَ يَشْكُرُونَ ما خولوا منه (وَمَنْ يُنْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ) القرآن أو التوحيد

أو العبادة (يَسْلُكُهُ) بإيلاء عراق غير أبي بكر يدخله (عَدَابًا صَدًّا) شاقا مصدرا مصدرا  
يقال صمد صمدا وصمودا فوصف به العذاب لأنه يتصمد المنب أى يماوه وينقلبه فلا يطغى  
ومنه قول امرؤ القيس : ما تصمدنى شيء ما تصمدنى خطبة النكاح. أى ما شق على  
(وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) من جملة الوحي أى أوحى إلى أن المساجد أى البيوت المبنية للصلاة  
فيها لله وقيل معناه ولأن المساجد لله فلا تدعوا على أن اللام متعلقة بلاتدعوا أى (فَلَا تَدْعُوا)  
مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) فى المساجد لأنها خالصة لله ولعبادته وقيل المساجد أعضاء السجود وهى  
الجهة واليدان والركبتان والقدمان (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ) محمد عليه السلام إلى الصلاة وتقديره  
وأوحى إلى أنه لما قام عبد الله (يَدْعُوهُ) يعبده ويقرا القرآن ولم يقل نبي الله أو رسول الله  
لأنه من أحب الأسماء إلى النبي ﷺ ولأنه لما كان واقفا فى كلامه ﷺ عن نفسه سمى به  
على ما يقتضيه التواضع أو لأن عبادة عبد الله ﷺ ليست بمستبعدة حتى يكونوا عليه لبداء (كَادُوا)  
كاد الجنب (يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) جماعات جمع لبدة تمجبا بما رأوا من عبادته واقتداء  
أصحابه به وإعجابا بما تلاه من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا مثله (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي)  
وحده. قال غير عاصم وحزة (وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا) فى العبادة فلم تتعجبون وتزدحمون على  
(قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا) مضرة (وَلَا رَشَدًا) نفعا أو أراد بالضرر الذى بدليل  
قراءة أبى غيا ولا رشدا يعنى لا أستطيع أن أضركم وأن أنفكم لأن الضار والنافع هو الله  
(قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ) لن يدفع عني عذابه أحد إن عصيته كقول صالح عليه  
السلام: فمن ينصرني من الله إن عصيته. (وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) ملتجأ (إِلَّا بَلَاءًا  
مِّنَ اللَّهِ) استثناء من لا أملك أى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا إلا بلاغا من الله وقل إنى  
لن يحيرنى اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه وقيل بلاغا بفعل من ملتحده  
أى لن أجِد من دونه منجى إلا أن أبلغ عنه ما أرسلنى به يعنى لا ينجىنى إلا أن أبلغ من  
الله ما أرسلت به فإن ذلك ينجىنى وقال الفراء هذا شرط وجزاء وليس باستثناء وإن منقصة  
من لا وتقديره أن لا أبلغ بلاغا أى إن لم أبلغ لم أجِد من دونه ملتجأ ولا مخرج إلى كقولك  
لن لا قياما فعمودا والبلاغ فى هذه الوجوه بمعنى التبليغ (وَرَسُولٌ) مطف على بلاغا كأنه

قبل لا أملاك لكم إلا التبليغ والرسالات أى إلا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسب  
 قوله إليه وأن أبلغ رسالته التى أرسلنى بها بلا زيادة وقصان ومن ليست بمصلحة للتبليغ لأنه  
 يقال بُلغ عنه إنما هى بمنزلة من فى براءة من الله أى بلافا كائنا من الله (وَمَنْ يَمْسِرِ اللَّهَ  
 وَرَسُولَهُ) فى ترك القبول لما أنزل على الرسول لأنه ذكر على أن تبليغ الرسالة (فَإِنَّ لَهُ نَارَ  
 جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) وحده فى قوله له وجمع فى خالدين للفظ من وممناه (حَقَّى) يشلق  
 بعحدون ذلك عليه الحال كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى (إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ)  
 من العذاب (فَسَيَمْلَكُونَ) عند حلول العذاب بهم (مَنْ أَضْمَفَ نَاصِرًا وَأَقْلَّ عَدَدًا) أم  
 أم المؤمنون؟ أى الكفار لا ناصر له يومئذ والمؤمن ينصره الله وملائكته وأنبيأؤه (قُلْ إِنْ  
 لَأُخْرِىَ) ما أدرى (أَقْرَبَ) مَا تُوعَدُونَ من العذاب (أَمْ يَجْمَلُ لَهُ رَبِّي) ويفتح الياء  
 حجازى وأبو عمرو (أَمَدًا) غاية بمبعة يعنى أنكم تعذبون قطعاً ولكن لا أدرى أهو حال  
 أم مؤجل (عَلِيمُ الْغَيْبِ) هو خير مبتداً أى هو عالم الغيب (فَلَا يُظْهِرُ) فلا يطلع (عَلَى  
 قَوْمِهِ أَحَدًا) من خلقه (إِلَّا مَنْ ارْتَفَى مِنْ رَسُولٍ) إلا رسولا قد ارتضاه لهم بمض  
 الغيب ليكون إخباره عن الغيب معجزة له فإنه يطلعه على غيبه ماشاء ومن رسول بيان لمن  
 ارتفى والولى إذا أخبر بشئ فظهر فهو غير جازم عليه ولكنه أخبر بقاء على رؤياه أو  
 بالفراسة على أن كل كرامة للولى فعلى معجزة الرسول وذكر فى التأويلات قال بعضهم فى  
 هذه الآية بدلالة تكذيب المنجمة وليس كذلك فإن فيهم من يصدق خبره وكذلك المتطبية  
 يعرفون طبائع النبات وذا لا يعرف بالتأمل فلم بأنهم وقفوا على علمه من جهة رسول  
 انقطع أثره وبقي علمه فى الخلق (فَإِنَّهُ يَسْمُكُ) يدخل (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) يدي رسول (وَمِنْ  
 خَلْفِهِ رَسَدًا) حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ويعصونه من وساوسهم  
 وتحاليلهم حتى يبلغ الوحي (لِيَمْلَكَهُ) الله (أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا) أى الرسل (رِسَالَتِ رَبِّهِمْ)  
 كلمة بلا زيادة ولا نقصان إلى الرسل إليهم أى يعلم الله ذلك موجوداً حال وجوده كما كان  
 يعلم ذلك قبل وجوده أنه يوجد وحده الضمير فى من بين يديه للفظ من وجمع فى أبْلَغُوا المعناه  
 (وَأَحَاطَ) الله (بِمَا لَدَيْهِمْ) بما عند الرسل من العلم (وَأَحَاطَ كُلُّ شَيْءٍ عَدَدًا) من

القطر والرمل وورق الأشجار وزيد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحية وكلامه وعددا حال أى وعلم كل شيء ممدودا عصورا أو مصدر في معنى إحصاء والله أعلم .

## ﴿ سورة المزمل صلى الله عليه وسلم مكية وهي تسع عشرة آية بصري ﴾

وتمان عشرة شأى ﴿

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ) أى المزمل وهو الذى تَرمَل فى ثيابه أى تلفف بها بدغام التاء فى الرأى كان النبي ﷺ نائما بالليل متملا فى ثيابه فأمر بالقيام للصلاة بقوله ( قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نُّصَفُهُ ) بدل من الليل وإلا قليلا استثناء من قوله نصفه تقديره قم نصف الليل إلا قليلا من نصف الليل ( أَوْ انْقُصْ مِنْهُ ) من النصف. بضم الواو غير عاصم وحزة ( قَلِيلًا ) إلى الثلث ( أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ) على النصف إلى الثلثين والمراد التخير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وإن جمعت نصفه بدلا من قليلا كان غيرا بين ثلاثة أشياء بين قيام نصف الليل تاما وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وإعناوصف النصف بالقلة بالنسبة إلى السكل وإلا فإطلاق لفظ القليل ينطلق على ما دون النصف ولهذا قلنا إذا أقر أن لفلان عليه ألف درهم إلا قليلا أنه يلزمه أكثر من نصف الألف ( وَرَتَّلْ الْقُرْآنَ ) بين وفصل من الشعر الرتل أى الفلج الأسنان وكلام رتل بالتحريك أى رتل وقتر رتل أيضا إذا كان مستوى النبيان أو أقرأ على تودة بتيين الحروف وحفظ الوقوف وإشباع الحركات ( تَوَتَّلًا ) هو تأكيد فى إيجاب الأمر به وأنه لابد منه للقارى ( إِنَّا سَنُلْقِيْكَ عَلَيْكَ ) سنزل عليك ( قَوْلًا تَقِيلَ ) أى القرآن لما فيه من الأوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين أو قتيلا على المناققين أو كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف الخفيف ( إِنَّا نَاشِئَةُ الْآلِ ) بالهمزة سوى ورش: قيام الليل. من ابن مسعود رضى الله عنه فهو مصدر من نشأ إذا قام ونهض على فاعلة كالماية أو العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث أو ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة

نصاعة وكان زين العابدين رضى الله عنه يصلى بين المشايخ ويقول هذه ناشئة الليل (هـ)  
 أَشَدُّ وَطْأً) وطأ وطأ شامى وأبو عمرو أى يوطئ فيها قلب القائم لسانه وعن الحسن أشد  
 موافقة بين السر والملاينة لاقطاع رؤية الخلائق . غيرهما وطأ أى أثقل على المصلى من صلاة  
 النهار لطرد النوم في وقته من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللهم اشد وطأتك على مضر . (وَأَقْرَمُ قِيلًا) وأشد  
 حننًا وأجبت خرامة لهدو الأصوات واقطاع الحركات (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا)  
 تنصرفا وتقلبًا في مهماتك وشواغلك ففرغ نفسك في الليل لعبادة ربك أو فراغا طويلا  
 لنومك وراحتك (وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ) ودم على ذكره في الليل والنهار وذكر الله يتناول  
 التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم (وَتَبْتَغِ إِلَيْهِ) انقطع  
 إلى عبادته من كل شيء . والتبتل : الاقطاع إلى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره . وقيل  
 بعض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله (تَبْتَغِيَلًا) في اختلاف المصدر زيادة تأكيد أى  
 بتلك الله فتبتل بتبتيلا أو جىء به مراعاة لحق الفواصل (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) بالرفع  
 أى هو رب أو مبتدأ خبره (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) وبالجر شامى وكوفى غير حفص بدل من  
 ربك وعن ابن عباس رضى الله عنهما على القسم بإضمار حرف القسم نحو الله لأفعلن وجوابه  
 لا إله إلا هو كقولك والله لأفعلن فى الدار إلا زيد (فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) وليا وكفيلًا بما وعدك  
 من النصر أو إذا علمت أنه ملك المشرق والمغرب وأن لا إله إلا هو فاتخذنه كافيًا لأمورك  
 ودئنة الفاء أن لا تلبث بمد أن عرفت في تفويض الأمور إلى الواحد القهار إذ لا عذر لك  
 فى الانتظار بمد الإقراء (وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) فى من الصابرة والولد وفيك من  
 الساحر والشاعر (وَاهْبِجْهُمْ هَبْجًا جَمِيلًا) جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المحافظة وترك  
 المكافأة وقيل هو منسوخ بآية القتال (وَذَرْنِي) أى كلهم إلى قانأ كافهم (وَأَلْكَدَّ بَيْنَ)  
 رؤساء قريش مفعول منه أو عطف على ذرى أى دعى وإياهم (أُولَى النَّعْمَةِ) التمتع والكسر  
 الإنعام وبالضم المرة (وَمَمْلُكُهُمْ) إمهالا (قَلِيلًا) إلى يوم بدر أو إلى يوم القيامة (إِنَّ  
 لَدَيْنَا) للكافرين فى الآخرة (أَنْكَالًا) قيودا ثقلا جمع رَسْكَل (وَجَحِيًّا) نارا محرقة  
 (وَعَذَابًا ذَا غُصَّةٍ) أى الذى ينشب فى الحلق فلا ينساخ يعنى الضريع والرقوم (وَعَذَابًا



أَلَيْسَ) يخلص وجهه إلى القلب وروى أنه ~~قال~~ قرأ هذه الآية فسمق وعن الحسن أنه أسمى  
سائماً فأنى بطعام فمرضت له هذه الآية فقال ارفمه ووضع عنده الليلة الثانية فمرضته فقال  
ارفمه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت البناني وغيره فجاءوا فلم يزالوا به حتى شرب شربة  
من سويق (يَوْمَ) منصوب بما في لدينا من معنى الفعل أى استقر للكفار لدينا كذا وكذا  
يوم (تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ) أى تتحرك حركة شديدة (وَكَاَنَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا)  
دملاً مجتمعا من كذب الشيء إذا جمعه كأنه فيل بمعنى مفعول (مُهَيَّلًا) سائلاً بعد اجتماعه  
(إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ) يا أهل مكة (رَسُولًا) يعنى محمداً عليه السلام (شَهِدًا عَلَيْكُمْ)  
يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا)  
يعنى موسى عليه السلام (فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ) أى ذلك الرسول إذ النكرة إذا  
أعيدت معرفة كان الثانى عين الأول (فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيًّا) شديداً غليظاً وإنما خص  
موسى وفرعون لأن خبرهما كان منتشرأ بين أهل مكة لأنهم كانوا جيران اليهود (فَكَيْفَ  
تَقُولُونَ إِن كُفَرْتُمْ يَوْمًا) هو مفعول تقولون أى كيف تقولون عذاب يوم كذا  
إن كفرتم أو ظرف أى فكيف لكم التقوى فى يوم القيامة إن كفرتم فى  
الدنيا أو منصوب بكفرتم على تأويل جحدتم أى كيف تقولون الله وتحشونه إن جحدتم  
يوم القيامة والجزاء لأن تقوى الله خوف عقابه (يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ) صفة ليوما والمائد محذوف  
أى فيه (شِدْبًا) من هوله وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابست بشت النار من  
خزيتك وهو جمع أشيب وقيل هو على التمثيل للتهويل يقال لليوم الشديد يوم يشيب نواصي  
الأطفال (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) وصف لليوم فالشدة أيضاً أى السماء على عظمها وإحكامها  
تنفطر به أى تنشق فاظنك بنيرها من الخلائق والتذكير على تأويل السماء بالسقف أو السماء  
شيء منفطر وقوله به أى بيوم القيامة يعنى أنها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء  
بما يفطر به (كَانَ وَعْدُهُ) المصدر مضاف إلى المفعول وهو اليوم أو إلى الفاعل وهو الله عز وجل  
(مَقْمُولًا) كأننا (إِنْ هَذِهِ) الآيات الناطقة بالوعيد (تَذَكُّرَةً) موعظة (فَمَنْ شَاءَ)

اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا) أى فمن شاء اتَّعَظَ بِهَا واتَّخَذَ سَبِيلًا إِلَى اللَّهِ بِالْقُوَى وَالْحَشِيَّةِ (إِنَّ رَبَّكَ يَمْلِكُ أَنْتَكَ تَقَوْمُ أَذَى) أقل فاستمير الأدنى وهو الأقرب للأقل لأن المسافة بين الشَّيْئَيْنِ إِذَا دَنَتْ قُلُوبُ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَحْيَازِ وَإِذَا بَعُدَتْ كَثُرَ ذَلِكَ (مِنْ ثَلَاثِي الْأَيْلِ) بضم اللام سوى هشام (وَلَيْسَتْهُ وَكُلُّهُ) منصوبان عطف على أدنى مكى وكوفى ومن جرهما عطف على ثلثى (وَلَطَائِفُهُ) عطف على الضمير فى قوم وجاز بلا توكيد لوجود الفاصل (مَنْ الَّذِينَ مَمَّاكَ) أى ويقوم ذلك المقدار جماعة من أصحابك (وَاللَّهُ يُقَدِّرُ الْأَيْلَ وَالنَّهَارَ) أى ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما إلا الله وحده وتهديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنياً عليه يقدر هو الحال على أنه مختص بالتقدير ثم إنهم قاموا حتى انتفعت أقدامهم فنزل (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُخْصَوْهُ) لن تطبقوا قيامه على هذه التقادير إلا بشدة ومشقة وفى ذلك حرج (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) فخفض عليكم واسقط عنكم فرض قيام الليل (فَأَقْرَهُوا) فى الصلاة والأمر للوجوب أو فى غيرها والأمر للندب (مَا تيسَّرَ) عليكم (مِنَ الْقُرْآنِ) روى أبو حنيفة عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال من قرأ مائة آية فى ليلة لم يكتب من النافلين ومن قرأ مائتى آية كتب من القانتين وقيل أراد بالقرآن الصلاة لأنه بعض أركانها أى فصلوا ما تيسر عليكم ولم يمتد من صلاة الليل وهذا ناسخ للأول ثم نسخ هذا بالصلاة الخمس ثم بين الحكمة فى النسخ وهى تمدر القيام على الرضى والسافرين والمجاهدين قال (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ) أى أنه مخففة من الثقلية والسين بدل من تخفيفها وحذف اسمها (مَرَضَى) فيشق عليهم قيام الليل (وَأَخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ) يسافرون (يَقْتَنُونَ) حال من ضمير يضربون (مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) رزقه بالتجارة أو طلب العلم (وَأَخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) سوى بين المجاهد والمكسب لأن كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود رضى الله عنه أيا رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسم يومه كان عند الله من الشهداء وقال ابن عمر رضى الله عنهما ما خلق الله مائة أموات بعد القتل فى سبيل الله أحب إلى من أن أموت بين شمتى رجل أضرب فى الأرض أبنتى من فضل الله (فَأَقْرَهُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ) كسر الأمر بالتيسير لشدة احتياطهم (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) المفروضة (وَأَتُوا الزَّكَاةَ) الواجبة (وَأَقْرَضُوا اللَّهَ) (

إلناؤفل . والفرض لثمة : القطع فالقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه إلى غيره وكذا التصديق .  
 يقطع ذلك القدر من ماله فيجمله لله تعالى وإنما أضافه إلى نفسه ثلاثين على الفقير فيما تصدق  
 به عليه وهذا لأن الفقير مآون له في تلك القرية فلا يكون له عليه مئة بل المنة للفقير عليه  
 ﴿ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ من الحلال بالاخلاص ﴿ وَمَا مَقَّدُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ ﴾ أي  
 ثوابه وهو جزاء الشرط (عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ) مما خلفتم وتركتم فالقول الثاني لتجدوه  
 خيراً وهو فصل . وجاز وإن لم يقع بين معرفتين لأن أفمل من أشبه المعرفة لامتناعه من حرف  
 التعريف (وَأَعْظَمَ أَجْرًا) وأجزل ثواباً (وَأَسْتَفْرُوا اللَّهَ) من السيئات والتقصير في  
 الحسنات (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) يستر على أهل الذنب والتقصير (رَحِيمٌ) يخفف عن أهل الجهد  
 والتوفير وهو على ما يشاء قدير والله أعلم .

### ﴿ سورة المدثر صلى الله عليه وسلم مكية وهي ست وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

روى جابر أن النبي ﷺ قال كنت على جبل حراء : فنوديت يا محمد انك رسول الله  
 فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئاً فنظرت إلى فوق فإذا هو قاعد على عرش بين السماء  
 والأرض - بمعنى الملك الذي ناداه - فرهبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني دثروني . فدثرته  
 خديجة فجاء جبريل وقرأ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ أي التلغف بشيابه من الدثار وهو كل ما كان  
 من الثياب فوق الشمار . والشمار : الثوب الذي على الجسد وأسله المدثر فأدغم ﴿ قُمْ ﴾ من  
 مضجعتك أو قم قيام عزم وتصميم ﴿ فَأَنْذِرْ ﴾ فخذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا أو فاعمل  
 الإنذار من غير تخصيص له بأحد وقيل سمع من قريش ما كرهه فاقتم فتخطى بثوبه مفكراً  
 كما يفعل الغنوم فقيل له يا أيها الصارف أذى الكفار عن نفسك بالذثار قم فاشتغل بالإنذار  
 وإن آذاك الفجار ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ واختص ربك بالتكبير وهو التظيم أي لا يكبر في  
 عينك غيره وقل عند ما يعروك من غير الله أكبر وروى أنه لما نزل قال رسول الله ﷺ  
 ﴿ الله أكبر ﴾ فكبرت خديجة وفرحت وأجنت أنه الوحي وقد يعمل على تكبير الصلاة ودخلت

الفاء بمعنى الشرط كأنه قيل وما كان فلا تدع تكبيره ( وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ) باللام  
من النجاسة لأن الصلاة لا تصح إلا بها وهي الأولى في غير الصلاة أو قصر مخالفة للعرب  
في تطويلهم الثياب وجزم التذيول إذ لا يؤمن معه إصابة النجاسة أو طهر نفسك مما يستغفر  
من الأفعال يقال فلان طاهر الثياب إذا وصفوه بالنقاء من المايب وفلان دنس الثياب للفادر  
ولأن من طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهرا ( وَالرُّجْزَ ) بضم الراء يعقوب وسهل وحفص وغيرهم  
بالكسر المذاب والمراد ما يؤدي إليه ( فَأَهْجُرْ ) أى اثبت على هجره لأنه كان بريئا منه  
( وَلَا تَمْنُنْ تَسْكَرُ ) بالرفع وهو منصوب المحل على الحال أى لا تمنط مستكثرا رائيا  
لما تمنطه كثيرا أو طالبا أكثر مما أعطيت فإنك مأمور بأجل الأخلاق وأشرف الآداب  
وهو من من عليه إذا أنعم عليه. وقرأ الحسن تستكثر بالسكون جوابا للنهي ( وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ )  
ولوجه الله فاستعمل الصبر على أوامره ونواهيه وكل مصبور عليه ومصبور عنه ( فَإِذَا نُفِرَ  
فِي النَّاقُورِ ) نفخ في الصور وهي النفخة الأولى وقيل الثانية ( فَذَلِكَ ) إشارة إلى وقت  
النفر وهو مبتدأ ( يَوْمَئِذٍ ) مرفوع المحل بدل من ذلك ( يَوْمَ حَسِيرٍ ) خبر كأنه قيل فيوم  
النفر يوم حسير والفاء في فإذا للتسبب وفي فذلك للجزاء كأنه قيل اصبر على أذام فبين أيديهم  
يوم حسير يلقون فيه عاقبة أذام وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في فإذا ما دل عليه الجزاء  
أى فإذا نقر في الناقور عسر الأمر ( عَلَى الْكَافِرِينَ قَعِيرٌ يَسِيرٌ ) وأكد بقوله غير يسير  
ليؤذن بأنه يسير على المؤمنين أو حسير لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسير المسير من  
أمر الدنيا ( ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ ) أى كله إلى يعنى الوليد بن النيرة وكان يلقب في قومه  
بالوحيد ومن خلقت معطوف أو مفعول معه ( وَحِيدًا ) حال من الياء في ذرى أى ذرى  
وحدى منه فإنى أكفيك أمره أو من التاء في خلقت أى خلقتة وحدى لم يشركنى في خلقه  
أحد أو من الهاء المحذوفة أو من من أى خلقتة منفردا بلا أهل ولا مال ثم أنمت عليه  
( وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ) مبسوطا كثيرا أو ممدودا بالنماء وكان له الزرع والضرع  
والتجارة وعن مجاهد كان له مائة ألف دينار وعنه أن له أرضا بالطائف لا ينقطع ثمرها  
( زَوَيْنِي شُهُودًا ) حضورا معه بمكة لتفانم عن السفر وكانوا عشرة أسلم منهم خالد وهشام  
ومعارة ( وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ) وبسطت له الجاه والرياسة فأتممت عليه نعمتى الجاه والمال

واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا ( ثُمَّ يَطْلَعُ أَنْ أَزِيدَ ) استبعاد واستنكار لطعمه وحرصه فيرجو أن أزيد من ماله وولده من غير شكر . وقال الحسن أن أزيد أن أدخله الجنة فأؤتيه مالا وولداً كما قال لأوتين مالا وولداً ( كَلَّا ) ردع له وقطع رجائه أى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم فلم يزل بعد نزول الآية في قعسان من المال والجاه حتى هلك ( إِنَّهُ كَانَ لَا يَتَنَبَّأُ ) للقرآن ( عَنِيْدًا ) معانداً جاحداً وهو تليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائله قال لم لا يزد قليل إنه جحد آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ( سَأَرْهِقُهُ ) سأغشيه ( سَمُودًا ) عقبة شاقة الصمد وفي الحديث الصمود جبل من نار تصمد فيه سبعين خريفاً ثم يهوى فيه كذلك أبداً ( إِنَّهُ فَكَّرَ ) تليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر والتل بعد النفي والمز لمناده ويماقبه في الآخرة بأشد المذاب لبوغه بالمناد غايته وتسميته القرآن سحراً يعنى أنه فكر ماذا يقول في القرآن ( وَقَدَّرَ ) في نفسه مايقوله وهياً ( فَقَتَلَ ) لمن ( كَيْفَ قَدَّرَ ) تمجيب من تقديره ( ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ) كرر للتأكيد وثم يشمر بأن الدعاء الثاني أبلغ من الأول ( ثُمَّ نَظَرَ ) في وجوه الناس أو فيها قدر ( ثُمَّ عَبَسَ ) قطب وجهه ( وَبَسَرَ ) زاد في التقبض والكلوح ( ثُمَّ أَذْبَرَ ) عن الحق ( وَاسْتَكْبَرَ ) عنه أو عن مقامه وفي مقاله . وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما وإيراد ثم في المطبوعات لبيان أن بين الأفعال المطبوعة تراخياً ( فَقَالَ ) ( إِنَّ هَذَا ) ما هذا ( إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ) يروى عن السحرة . روى أن الوليد قال لبنى غزوم والله لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمندق وإنه يعمل وما يعمل فقالت قريش سباً والله الوليد فقال أبو جهل وهو ابن أخيه أنا أكفيكموه فقدم إليه حزينا وكله بما أحياه فقام الوليد فأنام فقال تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخفق وتهولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتماطى شعراً قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما التى يقوله إلا سحر يؤثر من مسيلة وأهل بابل فأرجح النادي فرحاً وتفرقوا متمجبين منه . وذكر الفاء دليل على أن

هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبث (إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) ولم يذكر  
اللفظ بين هاتين الجملتين لأن الثانية جرت مجرى التوكيد للأولى (سَأُصْلِيهِ) سأدخله بدل من  
سأهرقه صموذا (سَقَرٌ) علم لجهنم ولم ينصرف للتعريف والتأنيث (وَمَا أَذْرَبُكَ مَأْسَرًا)  
تهويل لشأنها (لَا تُنَبِّئِي) أى هي لا تنبئ لحما (وَلَا تَذَرُ) عظما أو لا تبقى شيئا يبق فيها  
إلا أهلكته ولا تذر هالكا بل يعود كما كان (لَوَاحَةٌ) خبر مبتدأ محذوف أى هي لواح  
(لِلْبَشَرِ) جمع بشرة وهي ظاهر الجلد أى مسوذة للجلود وعرفرة لها (عَلَيْهَا) على سقر  
(تِسْعَةٌ عَشَرَ) أى على أمرها تسعة عشر ملكا عند الجمهور وقيل صنفا من الملائكة وقيل  
صفا وقيل تقييا (وَمَا جَعَلْنَا أَسْجَبَ النَّارِ) أى خزنها (إِلَّا مَلَائِكَةً) لأنهم خلان  
حنس المذنبين فلا تأخذهم الرأفة والركة لأنهم أشد الخلق بأسا فلو واحد منهم قوة الثقلي  
(وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ) تسعة عشر (إِلَّا فِتْنَةً) أى ابتلاء واختبار (لِلَّذِينَ كَفَرُوا)  
حتى قال أبو جهل لما نزلت عليها تسعة عشر ما يستطيع كل عشرة مفككم أن يأخذوا واحدا  
منهم وأنتم الدم فقال أبو الأشد وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فأكفوني أنتم  
اثنين فنزلت وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة أى وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاؤون  
وقالوا فى تخصيص الخزنة بهذا العدد مع أنه لا يطلب فى الأعداد الملل أن ستة منهم يقودون  
الكفرة إلى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والآخرون خازن جهنم وهو  
مالك وهو الأكبر وقيل فى سقر تسعة عشر دركا وقد سلط على كل درك ملك وقيل يمتد  
فيها بتسعة عشر لونا من المذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل إن جهنم تحفظ بما تحفظ به  
الأرض من الجبال وهى تسعة عشر وإن كان أصلها مائة وتسمين إلا أن غيرها يشعب عنها  
(لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) لأن عدتهم تسعة عشر فى الكتابين فإذا سموا بمثلها  
فى القرآن أيقنوا أنه منزل من الله (وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا) بمحمد وهو عطف على يستيقن  
(إِيمَانًا) لتصدقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل أو زدادوا إيمانا بموافقة كتابهم كتاب  
أولئك (وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ) هذا عطف أيضا وفيه توكيد  
للاستيقان وزيادة الإيمان إذ الاستيقان وازدياد الإيمان دالان على انتفاء الارتياب ثم عطف

هل يسميتان أيضا (وَلْيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) نفاق (وَالْكَافِرُونَ) الشركون  
 فإن قلت النفاق ظهر في المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول النافقون الذين يظهرون في  
 المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بك (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا) وهذا إخبار  
 بما سيكون كسائر الإخبارات بالنيوب وذا لا يخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض  
 الشك والارتياب لأن أهل مكة كانوا كثرهم شاكين ومثلا يميز لهذا أو حال منه كقوله:  
 ههنا ناقة الله لكم آية. ولما كان ذكر العدد في غاية الغرابة وأن مثله حقيق بأن يسر به الركبان  
 سيرها بالأمثال سمي مثالا والمعنى أى شيء أراد الله بهذا العدد العجيب أى معنى أراد فى أن  
 جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم إنكاره أصلا وأنه ليس من عند الله وأنه لو  
 كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص (كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ) الكاف نصب  
 وذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى أى مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى  
 يعنى إضلال النافقين والشركين حتى قالوا ما قالوا وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة  
 فى ذلك بض الله من يشاء من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال (وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)  
 وهو الذى علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل خلق الأفعال ووصف الله بالهداية والإضلال.  
 لما قال أبو جهل لعنه الله أما رب عمدا أعوان إلا تسعة عشر نزل (وَمَا يَسْلُمُ جُنُودَ رَبِّكَ)  
 ففرط كثرتها (إِلَّا هُوَ) فلا يميز عليه تميم الخزنة عشرين ولكن له فى هذا العدد الخاص  
 حكمة لا تعلمونها (وَمَا هِيَ) متمم بوصف سقر وهى ضميرها أى وما سقر وصفها (إِلَّا  
 ذِكْرُ سَيِّئَاتِنَا) أى تذكرة للبشر أو ضمير الآيات التى ذكرت فيها (كَلَّا) إنكار بعد  
 أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون (وَالْقَمَرِ) أقسم به لعظم منافاه  
 (وَاللَّيْلِ إِذَا دُبِرَ) نافع وحفص وحزمة ويقوب وخلف. وقيرم إذا دبر ودبر بمعنى أدير  
 ومنها ولى وذهب وقيل أدير ولى ومضى ودبر جاء بعد النهار (وَالصُّبْحِ إِذَا أَصْفَرَ)  
 أضاء وجواب القسم (إِنِّهَا) إن سقر (لَا يَحْدَى الْكَبِيرُ) هى جمع الكبرى أى لإحدى  
 البلايا أو الدواهي الكبرى ومعنى كونها إحداها أنها من بينهن واحدة فى العظم لا نظيرة  
 لها كما تقول هو أحد الرجال وهى إحدى النساء (نَذِيرًا) تميز من إحدى أى أنها لإحدى  
 الدواهي إنذارا كقولك هى إحدى النساء عفافا وأبدل من (لِّلْبَشَرِ لِيَنْ شَاءَ مِنْكُمْ)

بإعادة الجار (أَنْ يَتَقَدَّمَ) إلى الخير (أَوْ يَتَأَخَّرَ) عنه وعن الزاج إلى ما أمر وما نهى  
 (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) هي ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب  
 رهين لتأنيث النفس لأنه لو قصدت الصفة قليل رهين لأن فيلًا بمعنى مفعول يستوى فيه  
 المذكر والمؤنث وإغماهى اسم بمعنى الرهن كالشقيقة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت  
 رهن والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) أى  
 أطفال المسلمين لأنهم لا أعمال لهم يرهنون بها أو إلا المسلمين فإنهم فكوا رقابهم بالطاعة  
 كما ينخلص الرامن رهنه بأداء الحق (فِي جَنَّتٍ) أى م في جنات لا يكتنه وصفها  
 (بَنَسَاءُ لَوْ عَنِ الْمُجْرِمِينَ) يسأل بعضهم بعضا عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم  
 (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ) أدخلكم فيها ولا يقال لا يطابق قوله ما سلككم وهو  
 سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وإنما يطابق ذلك لو قيل  
 يتساءلون المجرمين ما سلككم لأن ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم  
 وإنما هو حكاية قول المسئولين عنهم لأن المسئولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين  
 المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المسلمين إلا أنه اختصر  
 كما هو نهج القرآن وقيل من زائدة (قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) أى لم نعتد فرضيها  
 (وَلَمْ نَكُ نَطُعمُ الْمَسْكِينِ) كما يعلم السالمون (وَكُنَّا نَخْوضُ مَعَ الْفَاحِشِينَ)  
 الخوض: الشروع في الباطل. أى نقول الباطل والزور في آيات الله (وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ  
 الدِّينِ) الحساب والجزاء (حَتَّىٰ آتَيْنَا الْيَقِينَ) الموت (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفْعَةُ الشَّفِيعِينَ) من  
 الملائكة والنبين والصالحين لأنها للمؤمنين دون الكافرين. وفيه دليل ثبوت الشفاعة  
 للمؤمنين في الحديث: إن من أمي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر (فَمَا لَهُمْ  
 عَنِ التَّذْكِيرِ) عن التذكير وهو العظة أى القرآن (مُعْرِضِينَ) مولين حال من الضمير  
 نحو مالك قائما (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ) أى هو الوحش حال من الضمير في معرضين (مُتَنَفِّرَةٌ)  
 شديدة التفار كأنها تطلب التفار من نفوسها. وفتح الفاء مدنى وشاى أى استنفرها غيرها  
 (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) حال وقد معها مقدرة والقصور: الرماة أو الأسد فولة من القسر وهو  
 القهر والغلبة شبهوا في إعراسهم عن القرآن واستباح الذكر بحمر جدت في تفارها (بَلْ



عَرِيدُ كُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى سُحُفًا مُنَشَّرَةً) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا  
 لرسول الله ﷺ لن تبصرك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب  
 العالمين إلى فلان بن فلان تؤمر فيها باتباعك . ونحوه قوله لن تؤمن لرقيب حتى تنزل علينا  
 كتاباً نقرؤه وقيل قالوا إن كان محمد صادقاً فليصبع عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها برأته  
 وأمنه من النار (كَلَّا) ردع لهم من تلك الإرادة وزجر عن اقتراح الآيات ثم قال (يَلْ  
 لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ) فلذلك أمرضوا عن التذكرة للامتناع إتياء الصحف (كَلَّا إِنَّهُ  
 تَذَكَّرْتُ) ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة وقال إن القرآن تذكرة بليغة كافية (فَمَنْ  
 شَاءَ ذَكَّرْهُ) أى فمن شاء أن يذكره ولا ينساه فعل فإن نفع ذلك عائد إليه  
 (وَمَا يَذْكُرُونَ) وبالتاء نافع ويعقوب (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) إلا وقت مشيئة الله والإبشيمة  
 الله (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمُنْفَرَةِ) في الحديث : هو أهل أن يتقى وأهل أن ينفر لن  
 اتقاء والله أعلم .

### ( سورة القيامة مكية وهى أربعون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( لَا أُنْسِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) أى أقسم عن ابن عباس ولا سلة كقوله لئلا يعلم وقوله :

• فى بئر لا حور سرى وما شعر •

وكقوله :

تذكرت ليلي فاعترنني صباية وكاد ضمير القلب لا يتقطع

وعليه الجمهور وعن الفراء لا رد لإنكار المشركين البعث كأنه قيل ليس الأمر كما تزعمون  
 ثم قيل أقسم بيوم القيامة وقيل أصله لأقسم كقراءة ابن كثير على أن اللام للابتداء وأقسم  
 حبر مبتدأ محذوف أى لأنا أقسم ويقويه أنه فى الإمام بغير الألف ثم أشبع فظهر من  
 الإشباع ألف وهذا اللام يصحبه نون التأكيد فى الأغلب وقد يفارقه ( وَلَا أُنْسِمُ  
 بِالنَّفْسِ الْوَارِثَةِ ) الجمهور على أنه قسم آخر وعن الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس  
 الوارثة فهى صفة ذم وعلى القسم صفة مدح أى النفس المتقية التى تلوم على التقصير والتقوى

وقيل هي نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة. وجواب القسم محذوف  
 أى لتبائن دليله (أَيْحَسَبُ الْإِنْسَنُ) أى الكافر المنكر للبعث (أَنَّ يَجْمَعَ عَظَامَهُ) بمد  
 تفرقها ورجوعها رفاتاً مختلطاً بالتراب (بَلَى) أوجبت ما بعد النفي أى بلى نجمها  
 (قَدِيرِينَ) حال من الضمير في نجم أى نجمها قادرين على جمعها وإعادتها كما كانت (عَلَى  
 أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) أصابعه كما كانت في الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صغرها فكيف بكبار  
 النظام (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَنُ) عطف على أيجسب فيجوز أن يكون مثله استفهاماً (لَيَفْجُرَ  
 أَمَامَهُ) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يَسْأَلُ أَيَّانَ) متى (يَوْمُ الْقِيَمَةِ) سؤال  
 متمنت مستبعد لقيام الساعة (فَلِذَا يَرَوْهُ الْبَصَرُ) تحير فزعا ويفتح الرأى مدنى شخص  
 (وَحَسَفَ الْقَمَرُ) وذهب ضوؤه أو غاب من قوله تخسفاً به وقرأ أبو حيوة بضم الحاء  
 (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) أى جمع بينهما في الطلوع من الغرب أو جمعا في ذهاب الضوء  
 ويجمعان فيقتفان في البحر فيكون نار الله الكبرى (يَقُولُ الْكَافِرُ) الكافر (يَوْمَئِذٍ  
 أَيْنَ الْمَغَرُّ) هو مصدر أى الفرار من النار أو المؤمن أيضاً من الهول وقرأ الحسن بكسر الفاء  
 وهو يحتمل السكان والمصدر (كَلَّا) ردع عن طلب الفرار (لَا وَزَرَ) لاملجأ (إِلَى رَبِّكَ)  
 خاصة (يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) مستقر العباد أو موضع قرارهم من جنة أو نار مفوض ذلك لشئته  
 من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار (يُنَبِّئُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ) يخبر (بِمَا قَدَّمَ) من  
 عمل عمله (وَأَخَّرَ) ما لم يعمل (بَلِ الْإِنْسَنُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) شاهد وإلهام للمبالغة  
 ككلامه أو أنه لأنه أراد به جوارحه إذ جوارحه تشهد عليه وهو حجة على نفسه والبصيرة الحجة  
 قال الله تعالى : فداء كم بصائر من ربيكم وتقول لغيرك أنت حجة على نفسك وبصيرة رغب بالابتداء  
 وخبره على نفسه تقدم عليه والجنة خبر الإنسان كقولك زيد على رأسه عمامة والبصيرة على  
 هذا يجوز أن يكون الملك الموكل عليه (وَلَوْ أَتَى مَمَازِيرُهُ) أرخى ستوره والممازير الستر  
 وقيل ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه فمليه من يكذب عنده والممازير ليس بجمع ممذرة  
 لأن جمها مماذر بل هي اسم جمع لها ونحوه الناكير في المنكر (لَا تَحْرُكْ بِهِ) بالقرآن  
 (لِسَانَكَ لِتَمْجِلَ بِهِ) بالقرآن وكان ﷺ يأخذ في القراءة قبل فراغ حبريل كراهة أن

يُتَفَلَّتْ مِنْهُ فَقِيلَ لَهُ: لَا تَحْرُكْ لِسَانَكَ بِقِرَاءَةِ الْوَحْيِ مَا دَامَ جَبْرِيلُ يقرأُ لَتَأْخُذَهُ عَلَى عَجَلَةٍ وَثَلَا  
يُتَفَلَّتْ مِنْكَ ثُمَّ عَلَّ النَّعْيَ عَنِ الْمَجْلَةِ بِقَوْلِهِ (إِنَّ عَلَيْنَا جِثْمَهُ) فِي صَدْرِكَ (وَقُرْءَانُهُ) (وَإِبْرَائِيلَ قَرَأَهُ فِي لِسَانِكَ وَالْقُرْآنَ الْقِرَاءَةَ وَنَحْوَهُ وَلَا تَجْعَلِ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْضَى إِلَيْكَ  
وَحْيَهُ) (فَإِذَا قَرَأَهُ) (أَيُّ قِرَاءَةٍ عَلَيْكَ جَبْرِيلُ فَجَعَلَ قِرَاءَةَ جَبْرِيلُ قِرَاءَتَهُ) (فَأَنْبِئْ قُرْءَانُهُ) (أَيُّ قِرَاءَتِهِ عَلَيْكَ) (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا كَيْبَانَهُ) (إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ مَآئِبِهِ) (كَلَّا) (رَدَعٌ  
عَنِ الْإِنْكَارِ الْبَيْتِ أَوْ رَدَعٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمَجْلَةِ وَإِنْكَارُهَا عَلَيْهِ وَأَكْثَرُهُ بِقَوْلِهِ  
(بَلْ تُجِئُونَ الْمَآجِلَةَ) كَأَنَّهُ قِيلَ بَلْ أَنْتُمْ يَا بَنِي آدَمَ لِأَنْكُمْ خَلَقْتُمْ مِنْ عَجَلٍ وَطَبِئَتْ عَلَيْهِ  
تَمَجُّلُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَمَنْ ثُمَّ تُحِبُّونَ الْمَآجِلَةَ الدُّنْيَا وَشَهْوَاهَا (وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ) الْآخِرَةُ  
الْآخِرَةُ وَنَيْمُهَا فَلَا تَعْمَلُونَ لَهَا وَالْقِرَاءَةُ فِيهَا بِالنَّاءِ مَدْفُوكُوفٍ (وُجُوهٌ) هِيَ وَجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ  
(يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ) حَسَنَةٌ نَاصِمَةٌ (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) بِهَا كَيْفِيَّةٌ وَلَا جِهَةٌ وَلَا ثَبُوتٌ مَسَافَةٌ  
وَحَمَلُ النَّظَرِ عَلَى الْإِنْتِظَارِ لِأَمْرِ رَبِّهَا أَوْ لثَوَابِهِ لَا يَصِحُّ لِأَنَّهُ يُقَالُ نَظَرْتُ فِيهِ أَيُّ تَفَسَّكَرْتُ  
وَنَظَرْتُهُ أَنْتَظَرْتُهُ وَلَا يَمْدَى إِلَى إِلَّا بِمَعْنَى الرُّؤْيَا مَعَ أَنَّهُ لَا يَلِيْقُ الْإِنْتِظَارُ فِي دَارِ الْقَرَارِ  
(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِكَبِيرَةٍ) كَالْحَلَّةِ شَدِيدَةِ الْعَبُوسَةِ وَهِيَ وَجُوهُ الْكُفَّارِ (نَظُنُّ) نَتَوَقَّعُ  
(أَنْ يُفْعَلَ بِهَا) فَعَلٌ هُوَ فِي شِدَّتِهِ (فَاقِرَةٌ) دَاهِيَةٌ تَقْصِمُ قِفَارَ الظَّهِيرِ (كَلَّا) رَدَعٌ عَنْ  
إِشَارَةِ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ كَأَنَّهُ قِيلَ أَوْ تَدْعُوا عَنْ ذَلِكَ وَتَنْهَوُا عَلَى مَا يَبِينُ أَيْدِيَكُمْ مِنَ الْمَوْتِ  
الَّذِي عَنْهُ تَنْقَطِعُ الْمَآجِلَةُ عَنْكُمْ وَتَنْتَقِلُونَ إِلَى الْآجَلَةِ الَّتِي تَبْقُونَ فِيهَا عُلْدَتَيْنِ (إِذَا بَلَغَتِ)  
أَيُّ الرُّوحِ وَجَازَ وَإِنْ لَمْ يَجْرُ لَهَا ذِكْرُ لَأَنَّ الْآيَةَ تَدُلُّ عَلَيْهَا (الْتَرَاقِي) الْمَطَامِ الْمَكْتَنَفَةُ لِشَفَرَةِ  
النَّحْرِ مِنْ بَيْنِ وَشَمَالِ جَمْعِ رُقُوعٍ (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) يَقِفُ حَفْصٌ عَلَى مَنْ وَقِيفَةٌ أَيُّ قَالَ  
حَاضِرٌ وَالْمُخْتَصَرُ بِمَضْمُونِهِ بَعْضُ أَيْكُمْ يَرْقِيهِ مَعَهُ مِنَ الرُّقْبَةِ مِنْ حَدِّ ضَرْبٍ أَوْ هُوَ مِنْ كَلَامِ  
لِللَّائِكَةِ أَبْكُم يَرْقِي بِرُوحِهِ أَمْلَأَتُكَ الرَّحْمَةَ أَمْ مَلَأَتُكَ الْمَذَابِ مِنَ الرِّقِّ مِنْ حَدِّهِمْ (وَلَنْ) (وَلَنْ)  
أَيُّ الْمُنْضَرِّ (أَنَّهُ الْفِرَاقُ) أَنَّ هَذَا الَّذِي تَزَلُّ بِهِ هُوَ فِرَاقُ الدُّنْيَا الْحَبُوبَةِ (وَالْتَقَتِ السَّاقُ  
بِالسَّاقِ) التَّوْتُ سَاقَاهُ عِنْدَ مَوْتِهِ وَعَنْ سَمِيدِ بْنِ السَّيْبِ هُمَا سَاقَاهُ حِينَ تَلْقَانِ فِي أَكْفَانِهِ وَقِيلَ  
شَدَّةُ فِرَاقِ الدُّنْيَا بِشَدَّةِ إِقْبَالِ الْآخِرَةِ عَلَى أَنَّ السَّاقَ مِثْلُ فِي الشَّدَّةِ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

هنا هتان مع الأهل والولد ومع القوم على الواحد السعد (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) هو مصدر ساقه أى مساق المباد إلى حيث أمر الله إما إلى الجنة أو إلى النار (فَلَا صِدْقَ) بالرسول والقرآن (وَلَا صِلَى) الإنسان في قوله: يحسب الإنسان أن لن نجعل عقابه (وَلَكِنْ كَذَبَ) بالقرآن (وَتَوَلَّى) عن الإيمان أو فلا صدق ماله يبنى فلا زكاه (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) يتبختر وأصله يتمطط أى يتمدد لأن التبختر بعد خطاه فأبدلت الطاء باء لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة (أَوَّلَى لَكَ) بمعنى ويل لك وهودعاء عليه بأن يليه ما يكره (فَأَوَّلَى ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى) كرر للتأكيد كأنه قال ويل لك فويل لك ثم ويل لك فويل لك وقيل ويل لك يوم الموت وويل لك في القبر وويل لك حين البعث وويل لك في النار (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) يحسب الكافر أن يترك مهملًا لا يؤمر ولا ينهى ولا يمت ولا يجازى (أَلَمْ يَكْ نُفُطِّعْهُ مِنْ سَيِّئٍ يَعْتَنِي) بالياء ابن طاهر وحفص أى يراق المني في الرحم وبالنساء يموذ إلى النطفة (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَتُهُ) أى صار المني قطعة دم جامد بعد أربعين يوما (فَخَلَقْنَا نَسُوا) خلق الله منه بشرا سويا (فَجَعَلْ مِنْهُ) من الإنسان (الرَّؤُوفِينَ) اللدَّ كَرَّ وَالْأُنثَى) أى من المني الصنفين (الْبَنَى ذَلِكَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) ليس الأفعال له من الأشياء بقادر على الإعادة وكان عَلَيْهِ السَّلَام إذا قرأها يقول: سبحانك على والله أعلم.

### ( سورة الإنسان مكية وهى إحدى وثلاثون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( هَلْ أَتَى ) قد مضى ( عَلَى الْإِنْسَانِ ) آدم عليه السلام ( حِينَ مِنَ الدَّهْرِ ) أربعون سنة مصورا قبل نفخ الروح فيه ( لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ) لم يذكر اسمه ولم يدور ما يراه به لأنه كان طينا يمر به الزمان ولو غير موجود لم يوصف بأنه قد أتى عليه حين من الدهر وعمل لم يكن شيئا مذكورا النصب على الحال من الإنسان أى أتى عليه حين من الدهر غير مذكور ( إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ) أى ولد آدم وقيل الأول ولد آدم أيضا وحين من الدهر على هذا معة

لبته في بطن أمه إلى أن صار شيئاً مذكوراً بين الناس ( مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ) نبت أو بدل منها  
 أى من نطفة قد امتزج فيها المائتان ومشجعه ومزجه بمعنى ونطفة امشاج كبرمة. أمشاج فهو  
 لفظ مفرد غير جمع ولذا وقع صفة للمفرد ( نَبْتَلِيهِ ) حال أى خلقناه مبتلين أى مربدين  
 ابتلاءه بالأمر والنهي له ( فَجَعَلْنَاهُ سَمِيمًا بَصِيرًا ) ذا سمع وبصر ( إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ )  
 بينا له طريق الهدى بأدلة العقل والسمع ( إِنَّا شَاكِرًا ) مؤمناً ( وَإِنَّا كَافِرًا ) كافراً  
 حالان من الماء في هديناه أى إن شكر وكفر فقد هديناه السبيل في الحالين أو من السبيل  
 أى هرفناه السبيل إما سبيلاً شاكراً وأما سبيلاً كافراً ووصف السبيل بالشكر والكفر  
 مجاز ولما ذكر الفريقين أتبعهما ما أعد لها فقال ( إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا ) جمع  
 سلسلة بشير تنوين حفص ومكي وأبو عمرو وهزة وبه ليناسب أغللاً وسميراً إذ يجوز صرف  
 غير المنصرف للتناسب غيرهم ( وَأَغْلَلَّا ) جمع غُلٍّ ( وَسَيَّرَّا ) نارا موقدة وقال ( إِنَّ  
 الْأَبْرَارَ ) جمع بر أو بار كبر وأرباب وشاهد وأشهد وهم الصادقون في الإيمان أو  
 الذين لا يؤذون الله ولا يضررون الشر ( يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ ) خمر ففص الحمر تسمى  
 كأساً وقيل الكأس الزجاجية إذا كان فيها خمر ( كَأَن مِّزَاجُهَا ) مائع مزج به ( كَافُورًا )  
 ماء كافور وهو اسم عين في الجنة مأوَّها في يياض الكافور ورائحته وبرده ( عَيْنًا ) بدل منه  
 ( يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ) أى منها أو الباء زائدة أو هو محمول على المعنى أى يلتذ بها أو يروى  
 بها وإنما قال أولاً بحرف من وثانياً بحرف الباء لأن الكأس مبتدأ شربهم وأول غاية وأما  
 الذين فيها يمزجون شرابهم فكانه قيل يشرب عباد الله بها الخمر ( يُفَجِّرُونَهَا ) يجرونها  
 حيث شادوا من منازلهم ( تَفْجِيرًا ) سهلاً لا يمتنع عليهم ( يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ) بما أوجبوا  
 على أنفسهم وهو جواب من عسى أن يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم  
 بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه  
 أوفى ( وَيَتَخَفَتُونَ يَوْمًا كَأَن شَرُّهُ ) شدائده ( مُسْتَطِيرًا ) منتشرًا من استطار الفجر  
 ( وَيُظْهِرُونَ الطَّامِعَ عَلَى حُبِّهِ ) أى حب الطامع من الإشتهاء والحاجة إليه أو على حب الله  
 ( مُنْكَرِينَ ) فقيراً طعزاً عن الاكتساب ( وَيُنْفِخُونَ صُفِيرًا ) صغيراً لا أب له ( وَاسِيرًا ) مأسوراً

مملوكاً أو غيره ثم عللوا إيلامهم فقالوا ( إِنَّمَا نَطْمِنُكُمْ لِيُوجِبَ اللَّهُ ) أى لطلب ثوابه أو هو  
 بيان من الله عز وجل عما فى ضمائرهم لأن الله تعالى علمه منهم فأثنى عليهم وإن لم يقولوا شيئاً  
 ( لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً ) هدية على ذلك ( وَلَا نُكُورُ ) تناء وهو مصدر كالشكر  
 ( إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا ) أى إنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة  
 بالصدقة أو إنا نخاف من ربنا فتصدق لوجهه حتى تأمن من ذلك الخوف ( يَوْمًا عَسَى  
 أَنْ يَمْطُرَ ) وصف اليوم بصفة أهله من الأشقياء نحو نهارك صائم والقمطرير الشديد البوص  
 الذى يجمع ما بين عينيه ( فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شُرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ) صائهم من شدائده ( وَلَقَّاهُمْ )  
 أعطاهم بدل عبوس الفجار ( نَضْرَةً ) حسناً فى الوجوه ( وَسُرُورًا ) فرحاً فى القلوب  
 ( وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا ) بصبرهم على الإيثار. نزلت فى على وفاطمة وفصة جارية لها لما مرض  
 الحسن والحسين رضى الله عنهما نذروا صوم ثلاثة أيام فاستقرض على رضى الله عنه من  
 يهودى ثلاثة أسوع من الشير فاطمعت فاطمة رضى الله عنها كل يوم صاعاً وخبزت فأكثروا  
 بذلك ثلاث عشايا على أنفسهم مسكينا وبقيا وأسيرا ولم يذوقوا إلا الماء فى وقت الإفطار  
 ( جَنَّةً ) يستأننا فيه مأكل هنى ( وَحَرِيرًا ) ملبسا بهيا ( مُتَكَبِّرِينَ ) حال من فى جزام  
 ( فِيهَا ) فى الجنة ( عَلَى الْأَرْآئِكِ ) الأسرة جمع الأريكة ( لَا يَرَوْنَ ) حال من الضمير  
 الرفع فى متكئين غير راثين ( فِيهَا ) فى الجنة ( شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ) لأنه لا شمس فيها  
 ولا زمهرير فظلها دائم وهوؤها معتدل لآخر شمس يحمى ولا شدة برد تؤذى وفى الحديث:  
 هو الجنة سحسج لآخر ولا قر. فالزمهرير البرد الشديد وقبل القمر أى الجنة مضيئة لا يمتحاج  
 فيها إلى شمس وقر ( وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا ) قرية منهم ظلال أشجارها عطف على جنة  
 أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها كأنهم وعدوا بمجتنبين لأنهم وصفوا بالخوف بقوله: إنا  
 نخاف من ربنا. ولمن خاف مقام ربه جنتان. ( وَذُكِّلَتْ ) سخرت للقائم والقاعد والمتكبر وهو  
 حال من دانية أى تدنو ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها عليهم أو مطوفا عليها أى  
 ودانية عليهم ظلالها ومذلة ( قُطُوفُهَا ) ثمارها جمع قطف ( تَذِيلًا وَبَطَافًا عَلَيْهِمْ يَثَارِينِ  
 مِنْ فِئَةٍ ) أى يدبر عليهم خنفسهم كنثوس الشراب والآنية جمع إناء وهو وطاء آلاء

( وَأَكْوَابِ ) أى من فضة جمع كوب وهو إبريق لاهرودة له ( كَانَتْ قَوَارِيرًا ) كانت عامة أى كوفت فكانت قوارير بشكون الله نصب على الحال ( قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ ) أى غارقة من فضة فعى جامدة لبياض الفضة وحسنها وصفاء القوارير وشغفها حيث يرى ما فيها من الشراب من خارجها قال ابن عباس رضى الله عنهما: قوارير كل أرض من تربتها وأرض الجنة فضة. قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية أبى بكر بالتثنية فيهما . وحزة وابن طمر وأبو عمرو وحفص بنير تثنية فيهما. وابن كثير بقنوين الأول والتثنية في الأول لتناسب الآى المتقدمة والمتأخرة وفى الثانى لإتباعه الأول والوقف على الأول قد قيل ولا يوثق به لأن الثانى بدل من الأول ( قَدَّرُوها تَقْدِيرًا ) سفة لقوارير من فضة أى أهل الجنة قدروها على أشكال مخصوصة فجاءت كما قدروها تسكرمة لهم أوالسقاء جعلوها على قدر روى شاربها فهي أله لهم وأخف عليهم. وعن مجاهد لا تفيض ولا تنبض ( وَيُسَقَوْنَ ) أى الأبرار ( فيها ) فى الجنة ( كَأْسًا ) خمرًا ( كَانَتْ مِزَاجًا زَنْجَبِيلًا عَيْنًا ) بدل من زنجبيل ( فيها ) فى الجنة ( تُسَمَّى ) تلك العين ( سَلْسَبِيلًا ) سميت العين زنجبيلًا لطم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيعه وسلسبيل سلاسة انحدارها وسهولة مساقها. قال أبو عبيدة ماء سلسبيل أى عذب طيب ( وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ ) غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدما لأهل الجنة ( مُخَلَّدُونَ ) لا يموتون ( إِذَا رَأَوْهُمْ حَسِبَتْهُمْ ) لحسنهم وصفاء ألوانهم وانبئائهم فى مجالسهم ( لَوْ لَوْا مُفْتَوَرًا ) ونخصيص الثبور لأنه أذن فى النظر من المنظوم ( وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ ) ظرف أى فى الجنة وليس رأيت مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع فى كل مرئى تقديره وإذا اكتسبت الرؤية فى الجنة ( رَأَيْتَ نَبِيًّا ) كثيرا ( وَمُلْكًا كَبِيرًا ) واسما يروى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أنصاء كما يرى أدناه وقيل ملك لا يعقبه ملك أو لهم بها ما يشاءون أو تعلم عليهم الملائكة ويستأذنون فى الدخول عليهم ( عَلَيْهِمْ ) بالنصب على أنه حال من الضمير فى يطوف عليهم أى يطوف عليهم ولدان عاليا ليطوف عليهم ثياب. وبالسكون مدنى وحزة على أنه مستدأ حبره ( ثِيَابٌ مُتَدَنَسٌ ) أى مايعلمون عن ملابسهم ثياب متدنس رفيع الديباج

(خُفْرٌ) جمع أخضر (وَإِسْتَبْرَقٌ) غليظ يرفعهما حلا على الثياب نافع وحفص ويبرحها حزة وعلى حلا على سندس ويرفع الأول وجر الثاني أو عكسه غيرم (وَحُلُوءٌ) عطف على ويطوف (أَسَاوِرٌ مِّن فِضَّةٍ) وفي سورة الملائكة: يحملون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا. قال ابن السيب لا أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة واحدة من فضة وأخرى من ذهب وأخرى من لؤلؤ (وَسَمْعُهُمْ رَبَّهُمْ) أضيف إليه تعالى للتحشيف والتخصيص وقيل إن الملائكة يمرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ويقولون لقد طال أخذنا من الوسائط فإذا هم بكاسات تلاقى أفواههم بغير أكف من غيب إلى عبد (شَرَابًا طَهُورًا) ليس برجس كخمر الدنيا لأن كونها رجسا بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم أول أنه لم يصبر فتمسه الأيدي الوضرة وتدوسه الأقدام الدنسة يقال لأهل الجنة (إِنَّ هَذَا) النعيم (كَانَ لَكُمْ جَزَاءً) لأعمالكم (وَكَانَ سَمْعُكُمْ مَّشْكُورًا) محمودا مقبولا مرضيا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والأسير لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا) تكرير الضمير بمد إيقاعه اسما لأن تأكيد على تأكيد لمضى اختصاص الله بالتزويل ليستقر في نفس النبي ﷺ أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفرقا إلا حكمة وسوابا ومن الحكمة الأمر بالمصابرة (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) عليك بقبليح الرسالة واحتمال الأذية وتأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ) من الكفرة للضعف من تأخير الظفر (عَائِمًا) راكبا لاهوى إثم داعيا لك إليه (أَوْ كَفُورًا) فاعلا لاهو كفر داعيا لك إليه لأنهم لما أن يدهوه إلى مساعدتهم على فعل ما هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر فهي أن يساعدهم على الأولين دون الثالث وقيل الآثم عتبه لأنه كان راكبا للآثم والفسوق. والكفور: الوليد لأنه كان غالبا في الكفر والجحود والظاهر أن المراد كل آثم وكافر أنه لا تطع أحدهما وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا يمتنع قد نهى عن طاعتها مما ومتفرقا ولو كان بالواو لجاز أن يطيع أحدهما لأن الواو للجمع فيكون مبيها عن طاعتها مما لا عن طاعة أحدهما وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا يمتنع كان عن طاعتها جميعا أنهى وقيل أو يمتنع ولا يمتنع ولا تطع آثما ولا كفورا (وَأَذْكُرُكُمْ أَنَّمْ رَبُّكُم) سلّه (بُكْرَةً) صلاة التبكير



(وَأَسْبَلًا) صلاة الظهر والمصر (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ) وبمض الليل فصل صلاة الشاء فيه (وَسَبَّحُهُ كَيْلًا طَوِيلًا) أى تهجد له هزيمًا طويلًا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (إِنَّ هَؤُلَاءِ) الكفرة (يُجِبُّونَ الْمَاجِلَةَ) يؤثرونها على الآخرة (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ) فدامهم أو خلف ظهرهم (يَوْمًا قَبِيلًا) شديدًا لا يثبتون به وهو القيامة لأن شدائده تنقل على الكفار (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا) أحكمتنا (أَسْرَهُمْ) خلقهم من ابن عباس رضى الله عنهما والفراء (وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا) أى إذا شئنا إهلاكهم أهلكناهم وبدلنا أمثالهم فى الخلقة من يطبع (إِنَّ هَؤُلَاءِ) السورة (تَذَكُّرَةٌ) عظة (فَمَنْ شَاءَ انْخَضْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) بالتقرب إليه بالطاعة له واتباع رسوله (وَمَنْ تَشَاقَوْنَ) اتخذ السبيل إلى الله. وبالياء مكى وشامى وأبو عمرو. وعمل (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) النصب على الظرف أى إلا وقت مشيئة الله وإنما يشاء الله ذلك من علم منه اختياره ذلك وقيل هو لمعوم المشيئة فى الطاعة والمعصيان والكفر والإيمان فيكون حجة لنا على المنزلة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ قَلِيلًا) بما يكون منهم من الأحوال (حَكِيمًا) مصيبًا فى الأقوال والأعمال (يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ) وهم المؤمنون (فِي رَحْمَتِهِ) جنته لأنها برحمته تنال وهو حجة على المنزلة لأنهم يقولون قد شاء أن يدخل كلا فى رحمته لأنه شاء إيمان الكل والله تعالى أخبر أنه يدخل من يشاء فى رحمته وهو الذى علم منه أنه يختار الهدى (وَالظَّالِمِينَ) الكافرين لأنهم وضعوا العبادة فى غير موضعها ونصب فعل مضمر يفسره (أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) نحو أوعد وكافًا.

### ( سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية )

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَأَلْمِصَّتْ عَصْفًا وَالتَّشِيرَاتِ تَشِيرًا فَأَلْفَرَقَتْ فَرَقًا فَأَلْمِصَّتِ ذِكْرًا عُدْرًا أَوْ نُدْرًا) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فمصنن

في مضيقين وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن في الجو عند انعطافهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الأرض أو نشرن النفوس اللوق بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فالتقين ذكراً إلى الأنبياء عليهم السلام هنذا للمحقين أو هنذا للمبطلين أو أقسم بريح عذاب أرسلهن فمصفن وبريح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا فالتقين ذكراً إما هنذا للذين يمتدنون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في النيث ويشكرونها وإما هنذا للذين لا يشكرون وينسبون ذلك إلى الأنواء وجملي مليات للذكر باعتبار السببية عرفا حال أى متتابعة كبرف القرس يتلو بعضه بعضا أو مفعول له أى أرسلن للاحسان والمروء وعصفا ونشرا مصدران أو نذرنا أبو عمرو وكوفي غير أبي بكر وحاد والمنذر والنذر مصدران من هنذر إذا عا الإساءة ومن أنذر إذا خوف على فعل كالكفر والشكر واتصاهما على البذل من ذكرنا أو على المفعول له ( إِنَّمَا تُوْعَدُونَ ) إن الذي توعدونه من عجز يوم القيامة ( تَوَارِعَ ) لكائن نازل لأرب فيه وهو جواب القسم ولا وقف إلى هنا لوصل الجواب بالقسم ( فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ) عجت أو ذهب بنورها وجواب فإذا محذوف والمائل فيها جوابها وهو وقوع الفصل ونحوه والنجوم قائل فعل يفسره طمست ( وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ) فحقت فكانت أبوابا ( وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ) قلعت من أما كنها ( وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ ) أى ونحت كقراءة أبي عمرو أبدلت الهمزة من الواو ومعنى توقيت الرسل تبين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أعمهم ( لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ) أخرت وأمهلت وفيه تنظيم لليوم وتسجيل من هو له والتأجيل من الأجل كالتوقيت من الوقت ( لِيَوْمِ الْفَصْلِ ) بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق ( وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ) تعجب آخر وتنظيم لأمره ( وَيَلْ ) مبتدأ وإن كان نسكرة لأنه في أصله مصدر منصوب ساد مسد قبله ولكنه عمل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الملاك ودوامه للمدموع عليه ونحوه سلام عليكم ( يَوْمَئِذٍ ) ظرفه ( لِّلْمُكَذِّبِينَ ) بذلك اليوم خبره ( أَلَمْ تُهْلِكِ الْآرِبِينَ ) الأمم الخالية المكذبة ( ثُمَّ تُنْفِثُهُمُ الْآخِرِينَ ) مستأنف بعد وقف وهو وعيد لأهل مكة أى ثم فعل بأمتالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالآولين لأنهم كذبوا مثل

تَكْذِبِهِمْ (كَذَلِكَ) مثل ذلك الفعل الشنيع (تَقُولُ بِالْمَجْرَمِينَ) بكل من أجرم (وَيُلَى  
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بما أوعدنا (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَيِّينٍ) حقيق وهو النطفة  
(فَجَعَلْنَاهُ) أى الماء (فِي قَرَارٍ مُسَكِّنٍ) مقر يتمكن فيه وهو الرحم وعمل (إِلَى قَدَرٍ  
مَعْلُومٍ) الحال أى مؤخر إلى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة أشهر أو ما فوقها  
أوما دونها (فَقَدَرْنَا) فقدرنا ذلك تقديرا (فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) فنعم المقدرون له نحن أو مقدرنا  
على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والأول أحق لقراءة نافع وعلى بالتشديد وقوله من نطفة  
خلقه فقدره (وَيُلَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بنعمة الفطرة (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا) هو  
كفت الشيء إذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام لما يضم وبه انتصب (أَحْيَاءَ  
وَأَمْوَاتًا) كأنه قيل كافة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه كفاتا وهو تكفت أى  
تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها والتذكير فيهما للتفخيم أى تكفت أحياء  
لا يمدون وأمواتا لا يحصرون (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت (شَمِيعَاتٍ) عاليات  
(وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا) عذبا (وَيُلَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بهذه النعمة (انظُرُوا إِلَى  
مَا كُفْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) أى يقال للكافرين يوم القيامة سيروا إلى النار التى كنتم بها تكذبون  
(انظُرُوا) تكرير للتوكيد (إِلَى ظُلَّةٍ) دخان جهنم (ذِي ظُلَّةٍ شَعِيرٍ) يشعب لعظمه  
ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم يتفرق ثلاث فرق (لَا ظَلِيلٍ) نمت ظل أى لا مظل  
من حر ذلك اليوم وحر النار (وَلَا يُنْفِى) فى عمل الجر أى وغير معنى لهم (مِنَ اللَّهَبِ)  
من حر اللهب شيئا (إِنَّمَا) أى النار (تَوْرِي بِشَرِّ) هو ما تاطر من النار (كَالْقَصْرِ)  
فى العظم وقيل هو الفيلطن الشجر الواحدة قصرة (كَأَنَّهُ جُمُلَتُ) كوفى غير أبى بكر جمع جمل  
جبالا غير مجمع الجمع (مُفْرَقٌ) جمع أسفر أى سود تضرب إلى الصفرة وشبه الشرر بالقصر لعظمه  
وارتفاعه وبالجمال للعظم والطول واللون (وَيُلَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بأن هذه صفتها (عَذَابًا  
يَوْمًا لَا يُنْفِقُونَ) وقرئ بتعب اليوم أى هذا الذى تص عليكم واقع يومئذ يستل ابن عباس رضى  
الله عنهما عن هذه الآية وعن قوله نعم أنكم يوم القيامة عندكم تختصمون فقال فى ذلك اليوم هو اتصف  
فى بعضها يختصمون وفى بعضها لا ينطقون أو لا ينطقون بما ينتمى لهم فجل نطقهم كلا نطق

(وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ) في الاعتذار (فَيَمْتَدُّونَ) عطف على يؤذَن منخرط في سلك النفي أى لا يكون لهم إذن واعتذار (وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) بهذا اليوم (هَذَا يَوْمَ الْقُصْلِ) بين الحق والباطل والمحسن والسوء بالجزاء (جَمَعْتُمْكُمْ) يامكذبى محمد (وَالْأَوَّلِينَ) والكاذبين قبلكم (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ) حيلة في دفع العذاب (فَكِيدُونِ) فاجتالوا على تخليص أنفسكم من العذاب. والكيد متعمد تقول كدت فلانا إذا احتلت عليه (وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) بالبست (إِنَّ الْمُتَّقِينَ) من عذاب الله (فِي ظِلِّهِ) جمع ظل (وَقُيُومُونَ) جارية في الجنة (وَقَوْكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ) أى لذيذة مشتهاة (كُلُوا وَاشْرَبُوا) في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال أى هم مستقرون في ظلال. مقولا لهم ذلك (هَٰذَا يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) في الدنيا (إِنَّا كَذَّٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) فأحسنوا بمزوا بهذا (وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) بالجنة (كُلُوا وَتَمَتَّعُوا) كلام مستأنف خطاب للمكذبين في الدنيا على وجه التهديد كقوله : اعملوا ما شئتم (قَلِيلًا) لأن متاع الدنيا قليل (إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ) كافرون أى إن كل عجم يأكل ويتمتع أياما قلائل ثم يبقى في الهلاك الدائم (وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) بالنعم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اذْكُوا) اخضعوا لله وتواضعوا إليه بقبول وحيه واتباع دينه ودعوا هذا الاستكبار (لَا يَرْكَبُونَ) لا يخضعون ولا يقبلون ذلك ويعصرون على استكبارهم أو إذا قيل لهم سادوا لا يصلون (وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) بالأمر والنهي (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ) بعد القرآن (يُؤْمِنُونَ) أى إن لم يؤمنوا بالقرآن مع أنه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية فبأي كتاب بعده يؤمنون. والله أعلم.

### (سورة النبأ مكية وهي أربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عَمَّ) أصله عن ما قرئ به بها ثم أذغمت النون في الميم فصار مما قرئ به بها ثم حذفته الألف تخفيفاً لكثرة الاستعمال في الاستفهام وغلبه الاستعمال الكثير وهذا استفهام تفخيم

المستفهم عنه لأنه تعالى لا تخفى عليه خافية (يَسْأَلُونَ) يسأل بعضهم بعضا أو يسألون غيرهم من المؤمنين والضمير لأهل مكة كانوا يسألون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء (عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ) أى البعث وهو بيان للشأن الفخم وتقديره عم يسألون يسألون عن النبي العظيم (الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) ففهم من يقطع بإنكاره ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين وكانوا جميعا يسألون عنه قال سلم يسأل ليزداد خشية والكافر يسأل استهزاء (كَلَّا) ردع عن الاختلاف أو التساؤل هزوا (سَيَعْلَمُونَ) وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون عيانا أن ما يسألون عنه حق (ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) كرر الردع للتشديد وثم بضمير بأن الثانى أبلغ من الأول وأشد (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ) لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من أضيق إليه البعث هذه الخلائق المعجبة فلم تنكروا قدرته على البعث وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات أو قيل لهم لم فعل هذه الأشياء والحكيم لا يفعل عبثا وإنكار البعث يؤدى إلى أنه ثابت فى كل ما فعل (مَعْدًا) فراشا فرشناها لكم حتى سكنتموها (وَالْجِبَالِ أَوْ تَأَادَى) للأرض ثلاثا تمسك بكم (وَوَخَّلْنَاكُمْ أَزْوَاجًا) ذكرنا أو أنثى (وَجَعَلْنَا نِسَاءَكُمْ سُبَاتًا) قطعاً لأعمالكم وراحة لأبدانكم والسبت القطع (وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لَبَاسًا) سترًا يستتركم عن الميون إذا أردتم إخفاء ما لا تحبون الإطلاع عليه (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) وقت مماش تنقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا) سبع سموات (شِدَادًا) جمع شديدة أى عكمة قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان أو غلاظا غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام (وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا) منيئًا وقادًا أى جامعا للنور والحرارة والمراد الشمس (وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) أى السحاب إذا أعصرت أى شارفت أن تمصرها الرياح فتطر منه أعصرت الجارية إذا دنت أن تميض أو الرياح لأنها تنثى السحاب وتدر أحلافه فيصبح أن يجعل مبدأ للإززال وقد جاء أن الله تعالى يمسح الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب (مَاءً تَجَّاجًا) متصبا بكثرة (لِنُخْرِجَ بِهِ) بالاء (حَبًّا) كالبر والشعير (وَنَبَاتًا) وكلاً (وَحَشْبًا) بساتين (أَلْنَفَا) ملتفة الأشجار واحدها لف كجدع واحد أو لفيف كشرى وأشرف أو لا واحد كالأزراع أو هى جمع الجمم

فعى جمع لف واللف جمع لقاء وهى شجرة مجتمعة ولاوقف من ألم نجمل إلى الغاغا والوقف  
الضرورى على أوتادا ومماشا (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) بين الحسن والسوء والحق والمبطل  
(كَانَ يَمِيقًا) وقتا محدودا ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء أو ميمادا للثواب والعقاب (يَوْمَ  
يُنْفَخُ) بدل من يوم الفصل أو عطف بيان (فِي الصُّورِ) فى القرن (فَتَأْتُونَ أَقْوَاجًا)  
حال أى جماعات مختلفة أو امما كل أمة مع رسولها (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ) خفيف كوفى أى  
شقت بنزول الملائكة (فَكَانَتْ أَبْوَابًا) فصارت ذات أبواب وطرق وفروج ومالها اليوم  
من فروج (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ) من وجه الأرض (فَكَانَتْ مَرَايَا) أى هباء تخيل الشمس  
انه ماء (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا) طريقا عليه يمر الخلق فالؤمن يمر عليها والكافر يدخلها  
وقبل الرصاد الحد الذى يكون فيه الرصد أى هى حد الطاغين الذين يرصدون فيه للمذاب وهى  
مآبهم أو هى مرصاد لأهل الجنة ترصد الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازم عليها  
(لِلطَّائِفِينَ مَسَابًا) للكافرين مرجما (لِلْمُتَمِيزِينَ) ما كثيرين حال مقدرة من الضمير فى الطائفين.  
حزة لابئين واللبث أقوى إذ اللابث من وجد منه اللبث وإن قل واللبث من شأنه اللبث والقام  
فى السكان (غِيهَا) فى جهنم (أَحْقَابًا) ظرف جمع حقب وهو الدهر ولم يرد به عدد محصور  
بل الأبد كلامضى حقب تيمه آخر إلى غير نهاية ولا يستعمل الحقب والحقة إلا إذا أريد تتابع  
الأزمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة وسئل بمضى المماد عن هذه الآية فأجاب (١) بعد  
عشرين سنة لابئين فيها أحقابا (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا) أى غير ذاتين حال  
من ضمير لابئين فإذا انقضت هذه الأحقاب التى عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا  
بأحقاب آخر فيها عذاب آخر وهى أحقاب بعد أحقاب لا انقطاع لها وقيل هو من حقب  
عامنا إذا قل مطره وخيره وحقب فلان إذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب  
حالا عنهم أى لابئين فيها حقبين جهدين ولا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له وقوله  
(إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا) استثناء منقطع أى لا يذوقون فى جهنم أو فى الأحقاب بردا رزقا

---

(١) قوله فأجاب الخ جدير.

ينفس عنهم حر النار أو نوما ومنه منع البرد البرد ولا شرايا يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميا ماء حارا يحرق ما ياتي عليه وغساق ماء يسيل من سديدم، وبالتشديد كوفي غير أبي بكر (جَزَاءً) جوزوا جزاء (وَفَاقًا) مواقفا لأعمالهم مصدر بمعنى الصفة أو ذا وفاق ثم استأنف مملا فقال (إِنَّهُمْ كَانُوا إِلَّا يَرْجُونَ حِسَابًا) لا يخافون محاسبة الله إلام أولم يؤمنوا بالبعث فارجوا حسابا (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا) تكذبا وقال في باب قتل كاهن فاش (وَكُلُّ شَيْءٍ) نسب بمضمر يفسر (أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا) مكتوبا في اللوح حال أو مصدر في موضع إحصاء أو أحصينا في معنى كتبنا لأن الإحصاء يكون بالكتابة غالبا وهذه الآية اعتراض لأن قوله (فَذُوقُوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات أى فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد على شدة الغضب (فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا) في الحديث «هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار» (إِنَّ الْمُنْتَفِعِينَ مَفَازًا) مغفل من النور يصلح مصدرا أى نجاته من كل مكروه وظفرا بكل محبوب ويصلح للمكان وهو الجنة ثم أبدل منه بدل البعض من الكل فقال (حَدَّثَاتٍ) بسايتين فيها أنواع الشجر الثمر جمع حديقة (وَأُغْنِيَا) كروما عطف على حدائق (وَكِرَامٍ) نواهد (أَنْزَابًا) لغات مستويات فى السن (وَكُأْسًا وَهَاقًا) مملوءة (لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا) فى الجنة حال من ضمير خبران (لَنُؤَا) باطلا (وَلَا كِذَابًا) الكسافى خفيف بمعنى مكاذبة أى لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكاذبه (جَزَاءً) مصدر أى جزاء جزاء (مَنْ رَبَّكَ عَطَا) مصدر أو بدل من جزاء (حِسَابًا) صفة أى كافيا أو على حسب أعمالهم (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ) يجرها ابن عامر وعاصم بدلا من ربك ومن رفقهما قرب خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره الرحمن أو الرحمن صفة ولا يملكون خبر أو ما خبران والضمير فى (لَّا يَمْلِكُونَ) لأهل السموات والأرض وفى (مِنْهُ خِطَابًا) لله تعالى أى لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى إلا بإذنه أولا يقدر أحد أن يخاطبه تعالى خوفا (يَوْمَ يَقُومُ) إن جعلته ظرفا لا يملكون لا تقف على خطابه وإن جعلته ظرفا للإسكلمون تقف (الرُّوحُ) حبريل عند الجمهور وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد المارش خلقا أعظم منه (وَالْمَلَائِكَةُ صَفًا) حال أى

مصطفين ( لَا يَتَكَلَّمُونَ ) أى الخلائق ثم خوفا من ( إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ) فى الكلام أو الشفاعة ( وَقَالَ سَوَابًا ) حقا بأن قال الشفوع له لا إله إلا الله فى الدنيا أو لا يؤذن إلا لمن يتكلم بالصواب فى أمر الشفاعة ( ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ ) الثابت وقوعه ( فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ) مرجعا بالعمل الصالح ( إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ ) أيها الكفار ( عَذَابًا قَرِيبًا ) فى الآخرة لأن ما هو آت قريب ( يَوْمَ يُنْظَرُ أَلْمَرَّةُ ) الكافر لقوله: إنا أنفشناكم عذابا قريبا. ( مَا قَدَّمَتْ يَدَا ) من الشر لقوله: وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم. وتخصيص الأيدي لأن أكثر الأعمال تقع بها وإن احتمل أن لا يكون للأيدى مدخل فيما ارتكب من الآثام ( وَيَقُولُ الْكَافِرُ ) وضع الظاهر موضع الضمير لزيادة القم أو المرء هام وخص منه الكافر وما قدمت يداه ما عمل من خير وشر أو هو المؤمن قد ذكر الكافر بعده وما قدم من خير وما استفهامية منصوبة بقدمت أى ينظر أى شئ قدمت يداه أو موصولة منصوبة وينظر يقال نظرته بمعنى نظرت إليه والراجع من الصلة محذوف أى ما قدمته ( يَلَيْتَنِى كُنْتُ تُرَابًا ) فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أوليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم أبت وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتصر للعجاء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر إبليس يتمنى أن يكون كآدم مخلوقا من التراب ليثاب ثواب أولاده المؤمنين والله أعلم .

### ﴿ سورة النازعات ست وأربعون آية مكية ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وَالنَّازِعَاتِ غُرَقًا ) وَالنَّاسِطَاتِ نَسْطًا ) وَالسَّيِّحَاتِ سَبْعًا ) قَالَ السَّبِّحَتِ سَبْعًا ) قَالَهُنَّ بُرَاتٍ أُمَرًا ) لا وقف إلى هنا ولزم هنا لأنه لو وصل لصار يوم ظرف المديرات وقد انقضى تدبير الملائكة فى ذلك اليوم . أقسم سبعانه بطوائف الملائكة التى تفرع الأرواح من الأجساد غرقا أى إغراقا فى النزاع أى تنزعها من أقاصى الأجساد من أناملها ومواضع أغفادها وبالطوائف التى تنشطها أى تخرجها من نسط الدلو من البئر إذا



أخرجها بأول طوائف التي تسبح في مضيق أي تسرع قسبح إلى ما أمروا به فتدبر أمرا من  
أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم أو بخيل الفزاة التي تنزع في أعنتها  
نزعا تفرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب والتي تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب  
من قولك نور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد والتي تسبح في جربها قسبح إلى الغاية فتدبر  
أمرا الغلبة والظفر وإسناد التدبير إليها لأنها من أسبابه أو بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى  
المغرب وإغراقها في النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى الغرب والتي تخرج من  
برج إلى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة قسبح فتدبر أمرا من علم الحساب وجواب  
القسم محذوف وهو لتبعين دلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة (يَوْمَ تَرْجُفُ) تتحرك  
حركة شديدة والرجف شدة الحركة (الرَّاجِفَةُ) النفخة الأولى وصفت بما يحدث بمحذوفها  
لأنها تضطرب بها الأرض حتى يموت كل من عليها (تَتَّبِعُهَا) حال عن الراجفة (الرَّادِفَةُ)  
النفخة الثانية لأنها تردف الأولى وبينهما أربعون سنة والأولى تيمت الخلق والثانية تمهيهم  
(قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ) قلوب منكرو البعث (وَاجِفَةٌ) مضطربة من الوجيف وهو الوجيب  
واتصاب يوم ترجف بمادل عليه قلوب يومئذ واجفة أي يوم ترجف وجفت القلوب وارتفاع  
قلوب بالابتداء وواجهت صفها (أَبْصَرُهَا) أي أبصار أصحابها (خَشِمَةٌ) ذليلة لهول ما ترى  
خيرها (يَقُولُونَ) أي منكرو البعث في الدنيا استهزاء وإنكارا للبعث (أَعْنَا لَمَرَدُودُونَ  
فِي الْحَافِرَةِ) استفهام بمعنى الإنكار أي أنرد بعد موتنا إلى أول الأمر فنعود أحياء كما كنا  
والحافرة الحالة الأولى يقال لمن كان في أمر نخرج منه ثم عاد إليه رجع إلى حافرة أي  
إلى حالته الأولى ويقال النقد عند الحافرة أي عند الحالة الأولى وهي الصفة أنكروا البعث  
ثم زادوا استبعادا فقالوا (أَفْذَا كُنَّا عَظَمًا نَخِرَةً) بالية نخرة كوفي غير حفص وفعل أبلغ  
من فاعل يقال نخر العظم فهو نخر وناخر والمنى أنرد إلى الحياة بعد أن صرنا عظاما بالية وإذا  
منسوب بمحذوف وهو نيمت (قَالُوا) أي منكرو البعث (تَنَكُّ) رجعتنا (إِذَا كَرَّةٌ  
خَامِرَةٌ) رجمة ذات خسران أو خسر أصحابها والمنى أنها إن صحت وبشتنا فنحن إذا خاسرون  
تحتكينا بها وهذا استهزاء منهم (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) متعلق بمحذوف أي لا تحسبوا

تلك الكرة سببة على الله عز وجل فإنها سهلة هينة في قدرته فما هي إلا صبيحة واحدة يريد النفثة الثانية من قولهم زجر البعير إذا صاح عليه ( فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ) فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتا في جوفها وقيل الساهرة أرض يمينها بالشأم إلى جنب بيت المقدس وأرض مكة أو جهنم ( هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ) استفهام يتضمن التنبية على أن هذا مما يجب أن يشيع والتشريف للمخاطب به ( إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ ) حين ناداه ( يَا لَوِادِ الْمَقْدَسِ ) المبارك المطهر ( مُوسَى ) اسمه ( أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ ) على إرادة القول ( إِنَّهُ طَمَنَ ) تجاوز الحد في الكفر والفساد ( قُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ) هل لك ميل إلى أن تتطهر من الشرك والمعصيان بالطاعة والإيمان. ويتشديد الزاى حجازى ( وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ ) وأرشدك إلى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه ( فَتَخْشَى ) لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة قال الله تعالى : إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُلَاءُ أى العلماء به ومن بعض الحكماء اعرف الله فمن عرف الله لم يقدر أن يعصيه طرفة عين فالخشية ملاك الأمور من خشى الله أتى منه كل خير ومن آمن اجترأ على كل شر ومنه الحديث «من خاف أدبج ومن أدبج بلغ المنزل» بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى يمناه المرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللفظ في القول ويستنزله بالدراة عن عتوه كما أمر بذلك في قوله تعالى: قَوْلَا لَهُ قَوْلَا لَنَا ( فَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكُتُبَ ) أى فذهب فأرى موسى فرعون المصا أو المصا واليد البيضاء لأتهما في حكم آية واحدة ( فَكَذَّبَ ) فرعون بموسى والآية الكبرى وسماها ساحرا وسعرا ( وَعَصَى ) الله تعالى ( ثُمَّ أَذْبَرَ ) تولى عن موسى ( يَسْمَى ) يجتهد في مكابذته أو لما رأى الثيبان أدبر مرعوبا يسرع في مشيته وكان طيأشا خفيفا ( فَحَشَرَ ) فجبع السحرة وجنده ( فَتَدَاى ) في المقام الذى اجتمعوا فيه منه ( فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ) لا رب فوق وكانت لهم أصنام يمدونها ( فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ ) عاقبه الله عقوبة الآخرة والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم ونصبه على المصدر لأن أخذ بمعنى نكل كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة أى الإحراق ( وَالْأُولَى ) أى الإغراق أو نكال كتيه الآخرة وهي أنا ربكم الأعلى والأولى وهي ما علمت لكم من إله غيرى وبينهما أربعون سنة

أو ثلثون أو عشرون (إِنْ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَآيَزَةَ لَمَنْ يَتَشَى) الله (أَنْتُمْ) يا منكري  
 البعث (أَشَدُّ خَلْقًا) أصعب خلقا وإنشاء (أَمِ السَّمَاءُ) مبتدأ محذوف الخبر أى أم السماء  
 أشد خلقا ثم بين كيف خلقها فقال (بَنَاهَا) أى الله ثم بين البناء فقال (رَفَعَ سَمَكَهَا)  
 أعلى سقفها وقيل جعل مقدار ذهابها فى سمات الملو رفعا مسيرة خمسمائة عام (فَسَوَّاهَا)  
 فعدلها مستوية بلا شقوق ولا فطور (وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا) أظلمه (وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا) أبرز  
 ضوء شمسها وأضيف الليل والشمس إلى السماء لأن الليل ظلمتها والشمس سراجها  
 (وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت من مكة بعد  
 خلق السماء بألف عام ثم فسر البسط فقال (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا) بتفجير الينون (وَمَرْعَاهَا)  
 كلاًها ولذا لم يدخل الماطف على أخرج أو أخرج حال ياضار قد (وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا) أقمها  
 واتصبا الأرض والجبال ياضار دحا وأرسى على شريطة التفسير (مَقَامًا لَكُمْ) وَلَا تَنْسِيَكُمْ  
 فعل ذلك تذكيرا لكم ولأنماكم (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى) الداهية العظمى التى تعلّم  
 على الدواهي أى تلو وتقلب وهى النفخة الثانية أو الساعة التى يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة  
 وأهل النار إلى النار (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ) بدل من إذا جاءت أى إذا رأى أعماله  
 مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسها (مَا سَعَى) مصدرة أى سعيه أو موسوعة  
 (وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ) وأظهرت (لِمَنْ يَرَى) لكل راء لظهورها ظهورا بينا (فَأَمَّا)  
 جواب فإذا أى إذا جاءت الطامة فإن الأمر كذلك (مَنْ طَعَى) جاوز الحد فكفر (وَأَمَّا)  
 الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا على الآخرة باتباع الشهوات (فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ النَّارُ) الرجوع أى ماواه  
 والآلئ واللام بدل من الإضافة وهذا عند الكوفيين وعند سيويه وعند البصريين هى  
 الداهية (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) أى علم أن له مقاما يوم القيامة لحساب ربه (وَنَعَى)  
 النفس) الأمانة بالسوء (عَنِ الْهَوَى) المؤذى أى زجرها عن اتباع الشهوات وقيل هو  
 الرجل يهيم بالمصيبة فيذكر مقامه الحساب فيتركها والهوى ميل النفس إلى شهواتها (فَإِنَّ)  
 الْجَنَّةَ هِيَ النَّارُ) أى الرجوع (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) متى إرسالها  
 أى إقامتها يعنى متى يقيمها الله تعالى ويثبتها (فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا) فى شئ أنت من

أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به أى ما أنت من ذكرها لهم وتبين وقتها فى شيء كقولك ليس فلان من العلم فى شيء وكان رسول الله ﷺ لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا نمج من كثرة ذكره لها أى أنهم يسألونك عنها فلحرسك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسال عنها (إِلَى رَبِّكَ مُنْهَمَاتٌ) انتهى علما متى تكون لا يعلمها غيره أو فيم إنكار لسؤالهم عنها أى فيم هذا السؤال ثم قال أنت من ذكرها أى لإرسالك وأنت آخر الأنبياء علامة من علاماتها فلامعنى لسؤالهم عنها ولا يبعد أن يوقف على هذا على فيم وقيل فيم أنت من ذكرها متصل بالسؤال أى يسألونك عن الساعة أبان مرساها ويقولون أين أنت من ذكرها ثم استأنف فقال إلى ربك منهاها (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَى) أى لم تبث لتعلمهم بوقت الساعة وإعابثت لتنذر من أهوالها من يخاف شدائدها . منذر منون يزيد وعباس (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا) أى الساعة (لَمْ يَلْبُثُوا) فى الدنيا (إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى) أى ضحى المشية استقلوا مدة لبثهم فى الدنيا لما بانوا من الهول كقوله: لم يلبثوا إلا ساعة من نهار. وقوله: قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم. وإنما صحت إضافة الضحى إلى المشية للملازمة بينهما لاجتماعهما فى نهار واحد والراد أن مدة لبثهم لم تبلغ يوما كاملا ولكن أحد طرفى النهار عشيته أو ضحاها والله أعلم .

### ( سورة عبس مكية وهى اثنتان وأربعون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( عَبَسَ ) كالج أى النبى ﷺ ( وَتَوَلَّى ) أعرض ( أَنْ جَاءَهُ ) لأن جاءه وعمله نصب لأنه مفعل له والفاعل فيه عبس أو تولى على اختلاف المذهبين ( الْأَعْمَى ) عبد الله بن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه وأبوه شريح بن مالك أتى النبى ﷺ وهويدهو أشرف قريش إلى الإسلام فقال يا رسول الله علمنى عما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله ﷺ يكرمه بعدها ويقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه على المدينة مرتين ( وَمَا يُذْرِيكَ ) وأى

شيء يملك داريا بحال هذا الأحمى (كَلَهُ يَزْكِي) لعل الأحمى يظهر بما يسمع منك من  
 دنس الجهل وأصله يتركى فأدغمت التاء في الزاى وكذا (أَوْ يَذْكُرُ) يمتط (فَتَنْقَهُ)  
 نصبه حاصم غير الأعشى جوابا للعل وغيره رضم عطفا على يذكرك (الذَّكْرَى) ذكراك أى  
 موعظتك أى أنك لا تدرى ما هو مترقب منه من ترك أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك  
 منك (أَمَّا مَنْ اسْتَفْنَى) أى من كان غنيا بالمال (فَأَنزَلَهُ نَصْدَى) تتمرص بالإقبال عليه  
 حرصا على إيمانه . تصدى بإدغام التاء في الصاد حجازى (وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي) وليس  
 عليك بأس فى أن لا يتركى بالإسلام إن عليك إلا البلاغ (وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى) يسرع  
 فى طلب الخير (وَهُوَ يَكْفَى) الله أو الكفار أى إذا هم فى إتيانك أو الكهنة كمادة  
 للميمان (فَأَنزَلَهُ تَلْهَى) تتشاغل وأصله تلهى وروى أنه ما عيس بعدها فى وجه فقير  
 فقير ولا تصدى لفقير وروى أن الفقراء فى مجلس الشورى كانوا أمراء (كَلَّا) ردع أى  
 لا تمد إلى مثله (إِنهَا) إن السكرة أو الآيات (تَذْكِرَةٌ) موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل  
 بموجبها (فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ) فمن شاء أن يذكركه ذكره وذكر الضمير لأن التذكيرة فى معنى  
 الذكر والوعظ والمعنى فمن شاء الذكرك الله تعالى إياه (فِي صُحُفٍ) صفة لتذكيرة أى  
 أنها مثبتة فى صحف منسوخة من اللوح أو خبر مبتدأ محذوف أى هى فى صحف (مُكْرَمَةٍ)  
 عند الله (مَرْفُوعَةٍ) فى السماء أو مرفوعة القدر والمنزلة (مُطَهَّرَةٍ) من مس غير الملائكة  
 أو عما ليس من كلام الله تعالى (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) كتبة جمع سافر أى الملائكة يتسخرون  
 الكتب من اللوح (كَرَامٍ) على الله أو من المعاصى (بَرَّةٍ) أهياء جمع بار (فُتِلَ)  
 الإنسان) لعل الكافر أو هو أمية أو عتبة (مَأْ كَفَرَهُ) استفهام توبيخ أى أى شيء  
 حمله على الكفر أو هو تعجب أى ما أشد كفره (مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ) من أى خفي خلقه  
 وهو استفهام ومعناه التقرير ثم بين ذلك الشيء فقال (مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ) على ما يشاء  
 من خلقه (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) نصب السبيل بإضمار يسر أى ثم سهل له سبيل الخروج من  
 بطن أمه أو بين له سبيل الخير والشر (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ) جمعه دافىر يوارى فيه  
 لا كالبهائم كرامة له قبر الميت دفنه وأقبره الميت أمره بأن يقبره ومكته منه (ثُمَّ إِذَا شَكَهَ

أُثِّرَهُ) أحياء بعد موته (كَلَّا) ردع للإنسان من الكفر (لَمَّا يَفْضُرْ مَا أَمَرُهُ) لم  
يُضِلْ هذا الكافر ما أمره الله به من الإيمان ولما عدد النعم في نفسه من ابتداء حدوثه إلى  
آن انتهائه أتبعه ذكر النعم فيها محتاج إليه فقال (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) الذي يأكله  
وعيا به كيف دبرنا أمره (أَنَا) بالفتح كوفي على أنه يدل اشتغال من الطعام وبالكسر على  
الاستغناء فيرم (سَبَبِنَا الْمَاءَ سَبًّا) يرمى الطير من السحاب (ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا)  
بالفتحة (فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا) كالبر والشعير وغيرها مما يفتدى به (وَعَيْنًا) ثمرة الكرم  
أى الطعام والفاكهة (وَقَضْيَا) رطبة سمي بمصدر قضبه أى قطعه لأنه يقضب مرة بعد مرة  
(وَزَبُونًا) وَيَنْخَلًا وَحَدَائِقَ) بسايتين (عُلْبًا) غلاظ الأشجار جمع غلباء (وَفَكِيمَةً)  
لكم (وَأَبًا) مرعى لدوابكم (مَتَمًّا) مصدر أى مفعمة (لَكُمْ) وَلَأَتَسْكُنَ فإِذَا جَاءَتْ  
الصَّاعَةُ) سبعة القيامة لأنها تصخ الآذان أى تسمها وجوابه عنذوف الظهوره (يَوْمَ يَفِرُّ  
الْكُفْرُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ) لتباعد بينه وبينهم أولا شغل نفسه (وَصَحْبَتِهِ) وزوجته  
(وَنَبِيهِ) بدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أحب. قيل أول  
من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه إبراهيم ومن صاحبه نوح ولوط ومن ابنه نوح (لِكُلِّ  
أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ) فى نفسه (يُفْلِيهِ) يكفيه فى الاهتمام به ويشغله عن غيره  
(وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ) مضية من قيام الليل أو من آثار الوضوء (صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ)  
أى أصحاب هذه الوجوه وهم المؤمنون ضاحكون مسرورون (وَوُجُودٌ يَوْمَئِذٍ عَظِيمٌ)  
خبار (تَرَاهُمْ قَائِمِينَ) يملو النبرة سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع النبرة  
والسواد فى الوجه (أُولَئِكَ) أهل هذه الحالة (هُمْ الْكَافِرُ) فى حقوق الله  
(أَنْفَجَرَةُ) فى حقوق البعاد ولما جموا المعجور إلى الكفر جمع إلى سواد وجوههم النبرة  
والله أعلم .

## ( سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ) ذهب بضوئها من كورت المهمة إذا لفتها أى يلف ضوءها لظلمة فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق . وارتفاع الشمس بالفاعلية ورافعها فعل مضارع يفسره كورت لأن إذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط ( وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ) تساقطت ( وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ) عن وجه الأرض وأبست أو سيرت في الجو تسير السحاب ( وَإِذَا الْعِشَارُ ) جمع عشراء وهى النافقة التى آتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة ( غُطِّلَتْ ) أهملت عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم وكانوا يحبسونها إذا يلفت هذه الحالة لمرتها عندهم ويمطلون ما دونها . عطلت بالتخفيف عن اليزيدى ( وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ) جمعت من كل ناحية . قال قتادة: يحشر كل شيء حتى الباب للقصاص فإذا قضى بينها ردت أترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه مرور لبقى آدم كالطاوس ونحوه . وعن ابن عباس رضى الله عنهما: حشرها موتها يقال إذا أجهفت السنة بالناس وأموالهم حشروهم السنة ( وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ) سجدت مكي وبصرى من سجر التنور إذا ملأه بالخطب أى ملئت وجهر بعضا إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا لتمذيب أهل النار ( وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ) قرونت كل نفس بشكلها الصالح مع الصالح في الجنة والطالح مع الطالح في النار وأقرنت الأرواح بالأجساد أو بكتبها وأعمالها أو نفوس المؤمنين بالحوار المعين ونفوس الكافرين بالشياطين ( وَإِذَا الْآلُوهُودَةُ ) المدفونة حية وكانت العرب تكد البنات خشية الإملاق وخوف الاسترقاق ( سُئِلَتْ ) سؤال تلتف لتقول بلا ذنب قتلت أو لتلد على قاتلها أو هو توييح قاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله: أنت قلت . للناس الآية ( بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ) وبالتشديد يزيد وفيه دليل على أن أطفال المشركين لا يمدبون وعلى أن التمديب لا يكون بلا ذنب ( وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ) فتحت . وبالتخفيف مدنى وشامى وطامم وسهل . ويقوب . والمراد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تفتش إذا حوسب ويجوز





شيئا مما أوحى إليه أو يزيد فيه من الظنة وهي التهمة (وَمَا هُوَ) وما القرآن (يَقُولُ شَيْطَانُ رَجِيمٍ) طريد هو كقوله: ومانزلت به الشياطين. أى ليس هو يقول بعض المسترقة فليسمع وبوحهم إلى أوليائهم من الكهنة (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) استنلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا في بنيات الطريق أين تذهب. مثلت حالم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل وقال الزجاج معناه فأى طريق تسلكون أين من هذه الطريقة التي بينت لكم وقال الجنيد فأين تذهبون عنا وإن من شيء إلا عندنا (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْمَلَكِينَ) ما القرآن إلا اعطلة للخلق (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ) بدل من المالكين (أَنْ يَسْتَقِيمَ) أى القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة يعنى أن الذين شاءوا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر. فساكنه لم يوعظ به غيرهم وإن كانوا موعوظين جميعا (وَمَا تَشَاءُونَ) الاستقامة (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْمَلَكِينَ) مالك الخلق أجمعين .

### ( سورة الاقطار مكية وهي تسع عشرة آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ) انشقت ( وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْفَجَرَتْ ) تساقطت ( وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ) فتح بعضها إلى بعض وصارت البحار مجرا واحدا ( وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ) بحث وأخرج موتاهها وجواب إذا ( عَلِمَتْ نَفْسٌ ) أى كل نفس برة وفاجرة ( مَا قَدَّمَتْ ) مما حملت من طاعة ( وَأَخَّرَتْ ) وتركت فلم تعمل أو ما قدمت من الصدقات وما أخزت من الميراث ( يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ) قيل الخطاب المنكسر البعث ( مَا فَرَّكَ يَدَّكَ الْكَرِيمَ ) الَّذِي خَلَقَكَ ( أَى شَيْءٍ خَدَعَكَ ) حتى ضيعت ماوجب عليك مع كرم ربك حيث أنتم عليك بالخلق والتسوية والتعديل . وعنه عليه السلام حين تلاها غره جهله . وعن هر رضى الله عنه: غره حقه . وعن الحسن : غره شيطانه . وعن الفضيل : لوخطبت أقول غرتنى ستورك الرخاة . وعن يحيى ابن ميماذ أقول: غرتى برك بى سالفاً وآنفاً ( فَسَوِّكَ ) فجعلك مستوى الخلق سالم الأعضاء

(فَمَدَّلَكَ) فصيرك معتدلا متناسبا الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود أو جعلك معتدلا الخلق تمشى قائما لا كالبهائم. وبالتخفيف كوفي وهو بمعنى الشدد أى عدل بعض أعضائك يمشى حتى اعتدلت فكننت معتدلا الخلق متناسبا (فِي أَيِّ سُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ) ما مزيد للتوكيد أى ركبك فى أى صورة اقتضتها مشيئته من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والعلو والقصر ، ولم تعطف هذه الجملة كما عطفت ما قبلها لأنها بيان لذلك والجاء يملق بركبك على معنى وضمك فى بعض الصور ومكنك فيها أو يمحذوف أى ركبك حاصلا فى بعض الصور (كَلَّا) ردع عن الفظة عن الله تعالى (بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ) أصلا وهو الجزاء أو دين الإسلام فلا تصدقون ثوبا ولا عقابا (وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ) أمالكهم وأقوالكم من الملائكة (كَرَّامًا كَتِيبِينَ) يعنى أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أمالكهم لتجاوزا بها (يَمْلِكُونَ مَا تَلْفَعُونَ) لا يخفى عليهم شئ من أمالكهم وفى تنظيم الكتبة بالثناء عليهم تنظيم لأمر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الأمور وفيه إنذار وتهويل للمجرمين ولطف للمؤمنين وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال: ما أشدها من آية على الناقلين (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) إن المؤمنين لفي نعيم الجنة (وَأِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) وإن الكفار لفي النار (يَمْلِكُونَ يَوْمَ الدِّينِ) يدخلونها يوم الجزاء (وَمَّا هُمْ عَنْهَا يُفَارِقُونَ) أى لا يخرجون منها كقوله تعالى: ومم بخارجين منها. ثم عظم شأن يوم القيامة فقال (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (فَكَرَّرْنَا كَيْدَ الْهَوِيلِ وَبَيْنَهُ قُوَاهُ) يَوْمَ لَا تَنْفِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا) أى لا تستطيع دفا عنها ولا نفاها بوجه وإنما عكس الشفاعة بالإذن. يوم بالرفع مكى وبصرى أى هو يوم أو بدل من يوم الدين ومن نسب فإخباره اذكر أو بإخباره يدانون لأن الدين يدل عليه (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) أى لا أمر إلا لله تعالى وحده فهو القاضى فيه دون غيره .

( سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلاثون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وَيْلٌ ) مبتدأ خبره ( لِلْمُطَفِّفِينَ ) الذين يخسون حقوق الناس في الكيل والوزن  
 ( الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ) أى إذا أخذوا بالكيل من الناس يأخذون  
 حقوقهم وافية تامة ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبطل  
 على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق على يستوفون ويقدم المفعول على الفعل لإفادة  
 الاختصاص أى يستوفون على الناس خاصة. وقال الفراء: من على يستبان في هذا الوضع لأنه  
 حق عليه فإذا قال اكتلت عليك فساؤه قال أخذت ما عليك وإذا قال اكتلت منك فساؤه  
 قال استوفيت منك. والضمير المنسوب في ( وَإِذَا كَالُواهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ ) راجع إلى الناس  
 أى كالوا لهم أو وزنوا لهم خذف الجار وأوصل الفعل وإنما لم يقل أو اتزنوا كما قيل أو وزنوم  
 اكتفاء ويحتمل أن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالكيل لتمكثهم بالاكتيال  
 من الاستيفاء والسرقة لأنهم يدعون ويحتالون في الملاء وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكثهم  
 من البخس في النوعين ( يُخْسِرُونَ ) ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره ( أَلَا يَظُنُّ  
 أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ) يعنى يوم القيامة أدخل حمزة الاستفهام على لا النافية  
 توبيخا وليس الأذهة للتنبية وفيه إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجترار على التطفيف  
 كأنهم لا يخطر ببالهم ولا يمحنون تخميننا أنهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار القرة ولوطنوا  
 أنهم يمشون ما قصوا في الكيل والوزن. وعن عبد الملك بن مروان أن أعرابيا قال له قد سمعت  
 ما قال الله في المطففين أراد بذلك أن التطف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به فا  
 ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ونضب ( يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ  
 لِرَبِّهِمُ الْكَلِمِينَ ) لأمره وجزائه وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قرأ هذه السورة  
 خلفا بلغ هنا بكى نحيا وامتنع من قراءة ما بعده ( كَلَّا ) ردع وتنبية أى ردعهم عما كانوا  
 عليه من التطفيف والتغلة عن البعث والحساب ونههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه وينعم  
 عليه ثم أتيه وعبد النجار على العموم فقال ( إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ ) محائف أعمالهم ( لَيَرَى

(سَجِينٍ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَجِينٌ كَتَبَ مَرْقُومٌ) فإن قلت قد أخبر الله تعالى من كتاب  
 الفجر بأنه في سجين وفسر سجيناً بكتاب مرقوم فكأنه قيل إن كتابهم في كتاب مرقوم  
 فما مناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة  
 من الجن والإنس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير  
 فيه من رقم الثياب علامتها والمعنى أن ما كتب من أعمال الفجر مثبت في ذلك الديوان وسمى  
 سجيناً قيلاً من السجين وهو الحبس والتضييق لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم أو لأنه  
 مطروح تحت الأرض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن إبليس وذريته وهو اسم علم  
 منقول من وصف كعاهم منصرف لوجود سبب واحد وهو العافية فحسب (وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ)  
 يوم يخرج المكتوب (لِّلْمُكْذِبِينَ الَّذِينَ يُكْذِبُونَ بِبُيُوتِ الدِّينِ) الجزاء والحساب  
 (وَمَا يُكْذِبُ بِهِ) بذلك اليوم (إِلَّا كُلُّ مُنْتَدٍ) مجاوز للعد (أَيْهِمْ) مكتسب للأثم  
 (إِذَا تَقَالَى عَلَيْهِ هَاتِنَا) أي القرآن (قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أي أحاديث المتقدمين. وقال  
 الزجاج: أساطير باطيل واحد أسطورة مثل أحداثثة وأحاديث (كَلَّا) ردع للمنتدى الأثم  
 من هذا القول (بَلْ) نفى لما قالوا وقف حفص على بل وقيفة (رَأَى عَنَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا  
 يَكْسِبُونَ) عطاها كسبهم أي غلب على قلوبهم حتى غمرها ما كانوا يكسبون من الماضي.  
 وعن الحسن: الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب. وعن الضحاك الرين موت القلب وعن أبي  
 سليمان الرين والقسوة زماماً النفلة ودواؤها إيمان الصوم فإن وجد بعد ذلك قسوة فليترك  
 الإدام (كَلَّا) ردع عن الكسب الرائن على القلب (لَهُمْ مِّنْ رَّيْحٍ) من رؤية ربهم  
 (يَوْمَئِذٍ لَّمْ يَنْجُوْا) لمنوعون والحجب: المنع قال الزجاج في الآية دليل على أن المؤمنين  
 يرون ربهم وإلا لا يكون التخصيص مفيداً وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا من  
 توحيده حجبهم في المقبي من رؤيته وقال مالك بن أنس رحمه الله لما حجب أعماده فلم يروه  
 تجلى لأولياته حتى رآه وقيل عن كرامة ربهم لأنهم في الدنيا لم يشكروا نعمه فيشكروا في  
 الآخرة من كرامته مجازاة والأول أصح لأن الرؤية أقوى الكرامات فالحجب عنها دليل  
 الحجب عن غيرها (ثُمَّ لَّهُمْ لَمَّا كَانُوا الصَّحِيرِ) ثم بعد كونهم معجوبين عن ربهم لما خلون

النار ( ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ) أى هذا المذاب هو الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا وتسكرون وقومه ( كَلَّا ) ردع عن التكذيب ( إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ ) ما كتب من أعمالهم والأبرار الطيعون الذين لا يطففون ويؤمنون بالبت لأنه ذكر فى مقابلة الفجار وبين الفجار بأنهم المكذبون يوم الدين وعن الحسن البرائى لا يؤذى الذر ( لَقَدْ عَلِمْتُمْ ) هو علم لديوان الخير الذى دوت فيه كل ما عملته الملائكة وصلاحه الثقلين منقول من جمع على فمیل من العار سمى به لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات فى الجنة أو لأنه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكرما له ( وَمَا أَدْرَاكَ ) ما الذى أعلمك يا عمدة ( مَا عَلَيْهِمْ ) أى شئ هو ( كِتَابٌ مَرْقُومٌ ) يشهده المَقْرَبُونَ ) تحضره الملائكة قيل يشهد عمل الأبرار مقربو كل سماء إذا رفع ( إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ) نعم فى الجنات ( عَلَى الْأَرْشَادِ ) الأسرة فى الحجال ( يَنْظُرُونَ ) إلى كرامة الله ونعمه وإلى أعدائهم كيف يعذبون ( تَعْرِفُ ) فى وجوههم نَصْرَةَ النَّعِيمِ ) بهجة النعم وطراوته ( يُسْقَوْنَ ) من رَحِيقٍ ) شراب خالص لا غش فيه ( مَخْتُومٌ خِتْمُهُ مِسْكٌ ) تختم أوانيه بمسك بدل الطين الذى يختم به الشراب فى الدنيا . أمر الله تعالى بالختم عليه إكراما لأصحابه أو ختامه مسك مقطعه رائحة مسك أى توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه . خاتمه على ( وَفِي ذَلِكَ ) الرحيق أو النعيم ( فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ) فليغرب الراغبون وذالما يكون بالسارعة إلى الخيرات والانتهاء عن السيئات ( وَبِزَاجِهِ ) وبمزاج الرحيق ( مِنْ تَنْبِيهِ ) هو علم لمن يبينها سميت بالتنميم الذى هو مصدر سئم إذ رقه لأنها أرفع شراب فى الجنة أولها تأنيب من فوق وتنصب فى أوانيهم ( حَقِيقًا ) حال أو نصب على الدخ ( يَشْرَبُ بِهَا ) أى منها ( الْمَقْرَبُونَ ) عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم يشربها القربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين ( إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا ) كفروا ( كَانُوا مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يَصْحَكُونَ ) فى الدنيا استهزاء بهم ( وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَخَامَتُونَ ) يشير بعضهم إلى بعض بالعين ملنا فيهم وهيا لم قيل جاء على رضى الله عنه فى نفر من المسلمين فسخر منهم المناقون وضحكوا وتنازروا وقالوا أترون هذا الأسلم فنزل قبل أن يصل على إلى رسول الله ﷺ ( وَإِذَا

اتَّقِبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ) أى إذا رجع إلى الكفار منازلهم (اتَّقِبُوا فَسَيُؤْتِيهِمْ) متلذذين بذكرهم  
والسخرية منهم. وقرأ غير حفص فأكبرين أى فرحين (وَإِذَا رَأَوْهُمْ) وإذا رأى الكافرون  
المؤمنين (قَالُوا إِنَّا هُمْ لَنَسَآئُونَ) أى خدع محمد هؤلاء فضلوا وتركوا اللذات لما  
يرجونه فى الآخرة من الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال (وَمَا  
أُزِيلُوا) وما أرسل الكفار (عَلَيْهِمْ) على المؤمنين (حَفِظِينَ) يحفظون عليهم أحوالهم  
ويرقبون أعمالهم بل أمروا بإصلاح أنفسهم فاشتغلوا بذلك أولى بهم من تتبع غيرهم وتسفيه  
أحلامهم (فَالْيَوْمَ) أى يوم القيامة (الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَصْحَكُونَ) ثم كما  
ضحكوا منهم هنا مجازاة (عَلَىٰ الْأَرْضِ الْكَافِرُونَ) ينظرون حال أى يصحكون منهم ناظرين  
إليهم وإلى مآلهم فيه من الموان والصغار بعد المزة والاستكبار وهم على الأرائك آمنون وقيل  
يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم هلوا إلى الجنة فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم فيضحك  
المؤمنون منهم (هَلْ ثَوَّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) هل جوزوا بسخرتهم بالمؤمنين فى  
الدنيا إذا قل بهم ما ذكر والله أعلم .

### ﴿ سورة الانشقاق مكية وهى خمس وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ) تصدعت وتشققت (وَأَذِنتْ لِرَبِّهَا) سمعت وأطاعت وأجابت  
ربها إلى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع (وَحُشِّنَتْ) وحق لها أن تسمع وتطيع لأمر الله إذ هى  
مصنوعة مريوبة لله تعالى (وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ) بسطت وسويت باندكك جبالها وكل أمت  
فيها (وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا) ورمت ما فى جوفها من الكنوز والوقى (وَتَخَلَّتْ) وخلت غاية الخلو  
حتى لم يبق شيء فى باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها فى الخلو يقال تكرم الكريم إذا  
بلغ جهده فى الكرم وتكلف فوق ما فى طبعه (وَأَذِنتْ لِرَبِّهَا) فى إلقاء ما فى بطنها وتخليها  
(وَحُشِّنَتْ) وهى حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع وحذف جواب إذا ليذهب القدر كل مذهب أو  
اكتفاء بما علم بمثلها من سورتي التكويد والانقطار أو جوابه ما دل عليه فلا فيه أى إذا

السما انشقت لاقى الإنسان كدحه (بَيَّأَهَا الْإِنْسَانُ) خطاب للجنس (إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا) جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال المثلة باللقاء (فَمُتْلِصِيهِ) الضمير للكدح وهو جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها والمراد جزاء الكدح إن خيرا نفي وإن شرا فشر وقيل لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك الكدح يدل عليه قوله (فَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ بِمِيمِهِ) أى كتاب عمله (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) سهلا هينا وهو أن يجازى على الحسنات ويتجاوز عن السيئات . وفي الحديث «من يحاسب يذب» فقيل فأين قوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم المرض من توقع في الحساب عذب (وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ) إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين أو إلى فريق المؤمنين أو إلى أهله في الجنة من المحور المين (مَسْرُورًا) فرحا (وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ وَرَأَاهُ ظَهْرُهُ) قيل تمل بمناء إلى عقه وتجمل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشمله من وراء ظهره (فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا) يقول ياثيورا والثبور الهلاك (وَيَسْأَلُ) هراق غير على (سَمِيرًا) أى ويدخل جهنم (إِنَّهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا فِي أَهْلِهِ) معهم (مَسْرُورًا) بالسكفر يضعه عن آمن بالبعث قيل كان لنفسه متابعا وفي مراتع هواه راتما (إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَعُودَ) لن يرجع إلى ربه تكذيبا بالبعث قال ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت تفسيره حتى سمعت أعرابية تقول لبنتها حورى أى ارجسى (بَلَىٰ) لإيجاب لما بعد النفي في لن يعود أى على ليعودن (إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ) وبأعماله (بَصِيرًا) لا يخفى عليه فلا بد أن يرجسه ويحاذيه عليها (فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ) فأقسم بالبياض بعد الحمرة أو الحمرة (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) جمع وضم والمراد ما جمه من الظلة والنجم أو ما حمل فيه من التهجد وغيره (وَالْقَهْرِ إِذَا اتَقَى) اجتمع وتم بدرا اقتل من الوسق (لَتَرْكِبُنَّ) أيها الإنسان على إرادة الجنس (طَبَقًا مِّنْ طَبَقٍ) حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها في الشدة والحسول والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لنا أى لا يطابقه ومنه قيل لنعطاء الطباق ويجوز أن يكون جمع طبقة وهى المرتبة من قولهم هو على طبقات أى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها وعمل من

طبق نسب على أنه صفة لطبقا أى طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير فى تركبى أى  
 لتركبى طبقا مجاوزين طبق وقال مكحول فى كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه  
 ريفتح الباء مكى وعلى وحزة والخطاب له عليه السلام أى طبقا من طباق السماء بعد طبق أى  
 فى المراج (فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) فالهم فى أن لا يؤمنوا (وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ  
 لَا يَسْجُدُونَ) لا يخضعون (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ) بالبعث والقرآن (وَاللَّهُ  
 أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ) بما يجمعون فى صدورهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبي ﷺ أو  
 بما يجمعون فى صنفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب (فَبَشِّرْهُمْ  
 بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) أخبرهم خيرا يظهر أثره على بشرتهم (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)  
 استثناء منقطع (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) غير مقطوع أو غير منقوص والله أعلم .

### ( سورة البروج مكية وهى اثنتان وعشرون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ) هى البروج الاثنا عشر وقيل النجوم أو عظام الكواكب  
 (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) يوم القيامة (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) أى وشاهد فى ذلك اليوم ومشهود  
 فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود فيه ما فى ذلك اليوم من عجايبه  
 وطريق تنكيرها إما ما ذكرته فى قوله علت نفس ما أحضرت كأنه قيل ما أفرطت كثرت  
 من شاهد ومشهود وإما للإبهام فى الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد  
 كثرت أقاويل المفسرين فيها فقيل محمد ﷺ ويوم القيامة أو عيسى وأمه لقوله : وكنت  
 عليهم شهيدا ما دمت فيهم. أو أمة محمد وسائر الأمم أو الحجر الأسود والحجيج أو الأبيام  
 واليالى وبنو آدم للحدث : ما من يوم إلا وينادى أنا يوم جديد وعلى ما يفعل فى شهيد  
 فاغتنى فلو غابت شمسى لم تدركنى إلى يوم القيامة. أو الحفظة وبنو آدم أو الله تعالى والمخلق  
 لقوله تعالى : وكفى بالله شهيدا، أو الأنبياء ومحمد عليهم السلام وجواب القسم محذوف يدل عليه  
 (قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) أى لمن كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء إنهم ملعونون يعنى كفار



فريش كما لمن أسعطب الأخنود وهو خد أي شق عظيم في الأرض. روى عن النبي ﷺ أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضموا إليه غلاما يعلمه السحر وكان في طريق التلام راهب فسمع منه غراى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ يجروا فقال «اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها» فقتلها فكان التلام بمد ذلك يرى. الأكمة والأبرص وعمرى جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فساه من رد عليك بصرك قال : ربي. فغضب فمذبه فدل على التلام فمذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمشارة وأبى التلام فذهب به إلى جبل لي طرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به إلى قرقور فلججوا به ليعرقوه فدعا فأنكفأت بهم السفينة ففرقوا ونجا فقال للملك: لست بقاتلى حتى تجمع الناس في صيد وتسلبى على جذع وتأخذ سهما من كثنائى وتقول باسم الله رب التلام ثم ترمينى به فرماه فوق في صدغه فوضع يده عليه فات فقال الناس آمنا برب التلام فقتل للملك زل بك ما كنت تحذر فقد أخذوا وملأها نارا فن لم يرجع عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فقاعست أن تقع فيها فقال الصبي يا أماه اسبرى فإنك على الحق فألقى الصبي وأمه فيها (النار) بدل اشتال من الأخنود (ذات الوقود) وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لها من الحطب الكثير وأبدان الناس (إذ) ظرف لقتل أى لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها (مُ عَلَيْهِمَا) أى الكفار على ما يدنو منها من حافات الأخنود (قُودٌ) جلوس على الكراسى (وَهُمْ) أى الكفار (عَلَى مَا يَقْتُلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ) من الإحراق (شُهُودٌ) يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض إليه من التذيب وفيه حث للمؤمنين على الصبر وتحمل أذى أهل مكة (وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمُوا) وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان كفوه:

• ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم •

وقوله :

ما تقموا من بنى أمية إلا لا أنهم يحملون إن غضبوا

وقرىء: تقموا بالكسر والفصيح هو الفتح (يَا أَيُّهَا الْمَرْيُوتُ الْحَمِيدُ) ذكر الأوسان

التي يستحق بها أن يؤمن به وهو كونه عزيزا قادرا يخشى عقابه به حميدا منعمًا يجب  
 له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فكل من فيها تخق  
 عليه عبادته والخشوع له قريبا لأن ما هموا منهم هو الحق الذي لا يقيمه إلا مبطل وأن  
 الناقين أهل لا انتقام الله منهم بمذاب عظيم (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) وعيد لم يمس  
 أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) يجوز أن  
 يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الأخدود ومعنى فتنوم  
 هذبوم بالنار وأحرقوم (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا) لم يرجعوا عن كفرهم (فَلَهُمْ) في الآخرة  
 (عَذَابٌ جَهَنَّمُ) بكفرهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَشَدُّ) في الدنيا لما روى أن النار اقلبت  
 عليهم فأحرقهم ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أى بلوم بالأذى على العموم والمؤمنين  
 المفتونين وأن الفتنتين عذابين في الآخرة لكفرهم وفتنتهم (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَزَاءٌ تَجَرُّوْنَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ) أى الذين صبروا  
 على تمذيب الأخدود أو هو عام (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) البطش: الأخذ بالمنف فلما  
 وسف بالشدّة قد تضاعف وتفاقم والراد أخذه الظلمة والجباية بالمذاب والانتقام (إِنَّهُ هُوَ  
 يُبْدِيهِ وَيُعِيدُهُ) أى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد أن سيرهم نرايا دل باقتداره على الابداء  
 والإعادة على شدة بطشه أو أوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبداهم ليطش بهم إذ لم يشكروا  
 نعمة الابداء وكذبوا بالإعادة (وَهُوَ الْغَفُورُ) الساتر للسيوب العاف عن الذنوب (الْوَدُودُ)  
 المحب لأوليائه وقيل الفاعل لأهل الطاعة ما يفضله الودود من إعطائهم ما أرادوا (ذُوالْقُرْشِ)  
 خالقه ومالكه (الْحَكِيمُ) وبالجر حزمة وعلى أنه صفة للمرش وعبد الله عظمته وعبد العرش  
 عظمه (فَمَّا لَمْ) خبر مبتدأ محذوف (لَمَّا يُرِيدُ) تكويته فيكون فيه دلالة  
 خلق أفعال المباد (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ) أى قد أتاك خبر الجوع الطاغية في الأمم  
 الخالية (فِرْعَوْنُ وَنَمُودُ) بدل من الجنود وأراد فرعون إياه وآله والنفى قد عرفت تكذيب  
 تلك الجنود للرسول وما زلهم لتكذيبهم (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا) من قومك (فِي تَكْذِيبِ)  
 واستيجاب للمذاب ولا يعتبرون بالجنود لا لحفاء حال الجنود عليهم لكن يكذبونك عنادا

(وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ) أى عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يمجزونهم والإحاطة بهم من ورائهم مثل لأنهم لا يفوتونه كالأ فوت الشيء المحيط به (بَلْ هُوَ) بل هذا الذى كذبوا به (قُرْءَانٌ مُّجِيدٌ) شريف عالى الطبقة فى الكتب وفى نظمه وإعجازه ليس كما يزعمون أنه مفترى وأنه أساطير الأولين (فِي لَوْحٍ مَّخْفُوطٍ) من وصول الشياطين - محفوظ نافع صفة للقرآن أى من التفسير والتبديل واللوح عند الحسن شىء يلوح للملائكة فيقرءونه وعند ابن عباس رضى الله عنهما هو من درة يضاء طولها ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين الشرق والغرب قلبه نور وكل شىء فيه مسطور . مقاتل هو على يمين المرش وقيل أعلاه مقود بالمرش وأسفله فى حجر ملك كريم والله أعلم .

### ﴿ سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ) عظم قدر السماء فى أعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكتها فيها خلق الجنة فأقسم بها وبالطارق والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التى يرحم بها لعظم منفعتها ثم فسره بالنجم الثاقب أى المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل كما يقال للآتى ليلا طارق أولآه يطرق الجوى أى يصكه وجواب القسم (إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) لأن لما إن كانت مشددة بمعنى إلا كقراءة عاصم وحزمة وابن عامر فتكون إن نافية أى ما كل نفس إلا عليها حافظ وإن كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون إن مخففة من التثنية أى إن كل نفس لملها حافظ يحفظها من الآفات أو يحفظ عملها ورزقها وأجلها فإذا استوفى ذلك مات وقيل هو كاتب الأعمار فما زائدة واللام فارقة بين التثنية والخفيفة وحافظ مبتدأ وعليها الظير والجملة خبر كل وأنها كانت فعلى مما يتلقى به القسم (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ يَوْمَ خُلِقَ) لما ذكر أن كل نفس حافظا أمره بالنظر فى أول أمره ليعلم أن من أنشأه قادر على إحادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء ولا يمل على حافظه إلا مايسره فى عاقبته ومم خلق استفهام

أى من أى شيء خلق جوابه ( خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ) والفق: سب فيه دفع والدفق فى الحقيقة لصاحبه والإسناد إلى الماء مجاز وعن بعض أهل اللغة دقت الماء دفقا: سببته ودفق الماء بنفسه أى انصب ولم يقل من ماءين لامتزاجهما فى الرحم واتحادهما حين ابتداء فى خلقه ( يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْعَصْبِ وَالْثَرِّ آيِبٍ ) من سلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة وقيل العظم والعصب من الرجل والعصم والدم من المرأة ( إِنَّهُ ) إن الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه إن الذى خلق الإنسان ابتداء من نقطة ( عَلَى رَجْعِهِ ) على إعادته خصوصا ( لِقَادِرٌ ) لبيان القدرة لا يمجز عنه كقوله: إني لفقير أى لبيان الفقر . ونصب ( يَوْمَ تُبْلَى ) أى تكشف برجه أو يحضر دل عليه قوله رحمه أى يبعثه يوم تبلى ( السَّرَّ آيَرُ ) ما سرت فى القلوب من المقائد والنيات وما أخفى من الأعمال ( فَمَالَهُ ) فالإنسان ( مِنْ قُوَّةٍ ) فى نفسه على دفع ما حل به ( وَلَا فَاصِرٍ ) يبعثه ويدفع عنه ( وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ ) أى المطر وسعى به لعوده كل حين ( وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ ) هو ما تصدع عنه الأرض من النبات ( إِنَّهُ ) إن القرآن ( لَقَوْلٌ فَصْلٌ ) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فُرْقَانٌ ( وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ) بالالب والباطل يعنى أنه جد كله ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبا فى المدور معظما فى القلوب يرتفع به قارنه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح ( إِنَّهُمْ ) يعنى مشركى مكة ( يَكِيدُونَ كَيْدًا ) يعملون السكايد فى إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق ( وَأَكِيدُ كَيْدًا ) وأجازيهم جزاء كيدهم باستدراجي لهم من حيث لا يلمون فسمى جزاء الكيد كيدا كما سمى جزاء الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة وإن لم يكن اعتداء وسيئة ولا يجوز إطلاق هذا الوصف على الله تعالى لإلا على وجه الجزاء كقوله: نسوا الله فأنسىهم - يخادعون الله وهو خادعهم - الله يستهزئ بهم ( فَهَمَلِ الْكَافِرِينَ ) أى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به ( أُوْهِلَهُمْ ) انظرم فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التذكير والتعبير ( رَوَيْدًا ) مهلا يسيرا ولا يتكلم بها إلا مصفرة وهى من رادت الريح ترود دوحا فحركت حركة ضئيفة .

## ( سورة الأعلى مكية وهي تسع عشرة آية )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ) تَرَهُ ذَاتَهُ حَالاً يَلِيقُ بِهِ وَالْإِسْمُ مَعَهُ وَذَلِكَ بِأَنْ يُفسَّرَ الْأَعْلَى بِمَعْنَى الْمَلَأُ الَّذِي هُوَ الْقَهْرُ وَالْإِقْدَارُ لَا بِمَعْنَى الْمَلَأُ فِي الْمَكَانِ وَقِيلَ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَفِي الْحَدِيثِ لَمْ أَنْزَلْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَجْمَلُوهَا فِي سَجُودِكُمْ ( الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ) أَيْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَسَوَّى خَلْقَهُ تَسْوِيَةً وَلَمْ يَأْتْ بِهِ مُتَّفَاعَةً غَيْرَ مُلْتَمَسَةٍ وَلَكِنْ عَلَى إِحْكَامٍ وَائِسَاقٍ ، دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ سَادِرٌ مِنْ مَالِكٍ حَكِيمٍ أَوْ سَوَاءٌ عَلَى مَا فِيهِ مِنْغَمَةٌ وَمُصْلِحَةٌ ( وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ) أَيْ قَدَّرَ لِكُلِّ حَيَوَانَ مَا يَصْلُحُهُ فَهَدَاهُ إِلَيْهِ وَهَرَفَهُ وَجِهَ الْإِتِّفَاعَ بِهِ أَوْ فَهَدَى وَأَضَلَّ وَلَكِنْ حَذَفَ وَأَضَلَّ اكْتِفَاءً كَقَوْلِهِ: يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ. قَدَّرَ عَلَى ( وَالَّذِي أَخْرَجَ الْغَرَّيَّ ) أَنْتَبِيتِ مَا تَرَاهُ الدُّوَابَّ ( فَجَعَلَهُ غُثًّا ) يَابَسًا هَشِيًّا ( أَمْحَى ) أَسْوَدَ فَأَحْوَى سَفَاةَ الْغَنَاءِ ( سَتَقَرُّكَ ) فَلَا تَنْسَى ) سَتَمْلِكُ الْقُرْآنَ حَتَّى تَنْسَاهُ ( إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ) إِنْ يَنْسَخْهُ وَهَذَا بَشَارَةٌ مِنَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ حَتَّى لَا يَنْفَلِتَ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَنْسَخْهُ فَيَذْهَبَ بِهِ عَنْ حِفْظِهِ بِرَفْعِ حِكْمِهِ وَتِلَاوَتِهِ. وَسَأَلَ ابْنُ كَيْسَانَ النَّحْوِيُّ جَنِيْدًا عَنْهُ قَالَ فَلَا تَنْسَى الْمَمْلُوكَ بِهِ فَقَالَ مَثَلُكَ يُصَدَّرُ وَقِيلَ قَوْلُهُ فَلَا تَنْسَى عَلَى النَّحْوِيِّ وَالْأَلْفَ مِنْ زِيَادَةِ الْقَاسَةِ كَقَوْلِهِ: السَّبِيلَا أَيْ فَلَا تَنْفَلِ قِرَاءَتُهُ وَتَكْرِيرُهُ فَتَنْسَاهُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَنْسِيكَ بِرَفْعِ تِلَاوَتِهِ ( إِنَّهُ يَتْلُمُ السَّجْدَ وَمَا يَتَّقِي ) أَيْ إِنَّكَ تَجْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ مَعَ قِرَاءَةِ جَبْرِيلَ خَافَةَ التَّغْلُفَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ جَهْرَكَ مَعَهُ وَمَا فِي نَفْسِكَ مِمَّا يَدْعُوكَ إِلَى الْجَهْرِ أَوْ مَا تَرَاهُ فِي نَفْسِكَ خَافَةَ النِّسْيَانِ أَوْ يَعْلَمُ مَا أَسْرَرْتَهُ وَمَا أَعْلَنْتَهُ مِنْ أَقْوَالِكَ وَأَفْعَالِكَ وَمَا ظَهَرَ وَمَا بَطَنَ مِنْ أَحْوَالِكَ ( وَيُنَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ) مَطْوُوفٌ عَلَى سَتَقَرُّكَ وَقَوْلُهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى اعْتِرَاضٌ وَمَعْنَاهُ وَنُوقَتْكَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي هِيَ أَيْسَرُ وَأَسْهَلُ يَعْنِي حِفْظَ الْوَحْيِ وَقِيلَ لِلشَّرِيسَةِ السَّمْعَةُ الَّتِي هِيَ أَيْسَرُ الشَّرَائِعِ أَوْ نُوقَتْكَ لِمَمْلِ الْجَنَةِ ( فَذَكَّرْ ) عَظَّ بِالْقُرْآنِ ( إِنْ نَفَسْتَ الذُّكْرَى ) جَوَابُ إِنْ مَدْلُولُ قَوْلِهِ هَذَا كَقِيلَ ظَاهِرُهُ شَرْطٌ وَمَعْنَاهُ اسْتِمْدَادُ لَتَأْثِيرِ الذِّكْرِ فِيهِمْ وَقِيلَ هُوَ أَمْرٌ بِالتَّذَكُّرِ عَلَى

الإطلاق كقوله : فذكر إنما أنت مذكر . غير مشروط بالنفع ( سَيِّدٌ كَرُّ ) سيحتمل وقبل  
التذكرة ( مَنْ يَخْشَى ) الله وسوء العاقبة ( وَيَتَجَنَّبُهَا ) ويتباعد عن الله كرى فلا قبلها  
( الْأَشَقَى ) الكافر أو الذي هو أشقى الكفرة لتوغل في عبادة رسول الله ﷺ قبل نزلت  
في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة ( الَّذِي يَصْنَعُ الْفَارَ الْكُبْرَى ) يدخل نار جهنم والصغرى  
نار الدنيا ( ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا ) فيستريح من العذاب ( وَلَا يَخْشَى ) حياة يتلقاها وقيل  
ثم لأن الترجيح بين الحياة والموت أفلح من الصلى فهو متراح عنه في مراتب الشدة ( قَدْ  
أَفْلَحَ ) نال الفوز ( مَنْ تَزَكَّى ) تطهر من الشرك أو تطهر للصلاة أو أدى الزكاة ففعل  
من الزكاة كتصدق من الصدقة ( وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ ) وكبر للافتتاح ( فَصَلَّى ) الخس وبه  
يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لأن الصلاة عطلت عليها  
وهو يقتضى النافرة وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه مزوجل وعن ابن عباس  
رضي الله عنهما ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فعلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه  
في طريق المصلى فصل صلاة العيد ( بَلْ تَوَارَوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ) على الآخرة فلا تفعلون  
ما به تغفلون والمخاطب به الكافرون دليله قراءة أبي عمرو يؤثرون بالياء ( وَالْآخِرَةُ  
خَيْرٌ وَأَبْقَى ) أفضل في نفسها وأدوم ( إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ) هذا إشارة  
إلى قوله قد أفلح إلى أبقى أى أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف أو إلى ما في السورة  
كلها وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة لأنه جملة مذكورة في تلك  
الصحف مع أنه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللفظة ( صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ) بدل من  
الصحف الأولى وفي الآر وفي صحف إبراهيم يبنى للعاقل أن يكون حافظا لسانه طارفا  
بزمانه مقبلا على شأنه .

## (سورة الفاشية مكية وهي ست وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هَلْ) بمعنى قد (أَتَمَكَ حَدِيثُ النَّفْثَةِ) الداهية التي نفثى الناس بشدائدها وتلبسهم  
أهلها يعني القيامة وقيل النار من قوله: ونفثى وجوههم النار (وَجُودٌ) أى وجوه الكفار  
وأما خص الوجه لأن الحزن والسرور إذا استحكما في الرء أثرأ في وجهه (يَوْمَئِذٍ) يوم  
إذ غشيت (خَشِمَةً) ذليلة لا اعترى أصحابها من الخزي والهوان (عَامِلَةً نَّاسِبَةً) تعمل  
في النار مملا تنصب فيه وهو جرها السلاسل والأغلال وخوضها في النار كما نخوض الإبل  
في الوحل وارتقاؤها دائبة في سمود من نار وهبوطها في حذور منها وقيل عملت في الدنيا  
أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل هم أصحاب الصوامع  
ومعناه أنها خضعت لله وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم والدائب والتجهد الواجب (تَصَلَّى)  
نَازِلًا حَامِيَةً) تدخل نارا قد أحييت مددا طويلة فلا حر يبدل حرها. تُصَلَّى أبو عمرو وأبو بكر  
(تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَرْنِيَّةٍ) من عين ماء قد انتهى حرها والتأنيث في هذه الصفات والأفعال  
راجعة إلى الوجوه والمراد أصحابها بدليل قوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ) وهو  
نبت يقال له الشَّبْرَقُ فإذا يبس فهو ضريع وهو سم قاتل والمذاب ألوان والمذبذبون طبقات  
فمنهم أكلة الرقوم ومنهم أكلة النسلين ومنهم أكلة الضريع فلا تناقض بين هذه الآية  
وبين قوله ولا طعام إلا من غسلين (لَا يُسْمِنُ) بمرور المحل لأنه وصف ضريع (وَلَا يُفْنِي  
مِنْ جُوعٍ) أى منفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما إمالة الجوع وإفادة السنن في البدن  
(وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ) ثم وصف وجوه المؤمنين ولم يقل وجوه لأن الكلام الأول قد طال  
وانقطع (نَّاعِمَةً) متنعة في لين العيش (لَسْمِيهَا رَاحِيَةً) رضيت بملها وطاعتها لما  
رأت ما أدام إليه من الكرامة والثواب (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) من علو المكان أو القدار  
(لَا تَسْمَعُ) يا مخاطب أو الوجوه (فِيهَا لَنُفِةٌ) أى لنوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلتو  
لا ينكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من التميم الدائم. لا يسمع بها لافية

مكي وأبو عمرو . لا تُسَمَّعُ فيها لآغية نافع ( فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ) أي هيون كثيرة كقوله :  
 هلت نفس ( فِيهَا مُرْدٌ ) جمع سرير ( مَرْفُوعَةٌ ) من رقعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن  
 يجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم ( وَأَكْوَابٌ ) جمع كوب وهو التندح وقيل  
 آنية لا عروة لها ( مَوْضُوعَةٌ ) بين أيديهم ليتلذذوا بها بالنظر إليها أو موضوعة على حافات  
 الهيون معدة للشرب ( وَنَمَارِقُ ) وسائد ( مَصْفُوفَةٌ ) بعضها إلى جنب بعض مساند ومطارج  
 أنبا أراد أن يجلس جلس على مسودة واستند إلى الأخرى ( وَزَرَائِي ) وبسط عراض فاخرة  
 جمع ذرية ( مَبْثُوثَةٌ ) مبسولة أو مفرقة في المجالس ولما أنزل الله تعالى هذه الآيات في صفة  
 الجنة وفسر النبي عليه السلام بأن ارتفاع السرير يكون مائة فرسخ والأكواب الموضوعة  
 لا تدخل في حساب الخلق لكثرتها وطول النمارق كذا وعرض الزرابي كذا أنكر الكفار  
 وقالوا كيف يصعد على هذا السرير وكيف تكثر الأكواب هذه الكثرة وتطول النمارق هذا  
 الطول ، وبسط الزرابي هذا لا ينسأط ولم نشاهد ذلك في الدنيا فقال الله تعالى ( أَفَلَا يَنْظُرُونَ  
 إِلَى الْإِبْرِيلِ كَيْفَ خَلَقْتَ ) طويلة ثم تبرك حتى تركب أو يحمل عليها ثم تقوم فكذا السرير  
 يطاق للؤمن كما يطاق للإبل ( وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ) رفعا بعيد المدى بلا إسالك ومهد  
 ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل في حساب الخلق فكذا الأكواب ( وَإِلَى الْجِبَالِ  
 كَيْفَ نُصِبَتْ ) نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل مع طولها فكذا النمارق ( وَإِلَى الْأَرْضِ  
 كَيْفَ سُطِحَتْ ) سطحا بتمهيد وتوطئة فهي كلها بساط واحد تنبسط من الأفق إلى الأفق  
 فكذا الزرابي ويجوز أن يكون المني أفلا ينظرون إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة  
 الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا إنذار الرسول ويؤمنوا به ويستعملوا  
 لقائه وتخصيص هذه الأربعة باعتبار أن هذا خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال والره  
 إنما يستدل بما تكثر مشاهدته له والعرب تكون في البوادي ونظرم فيها إلى السماء والأرض  
 والجبال والإبل فهي أعز أموالهم وهم لها أكثر استملا منهم لسائر الحيوانات ولأنها تجمع  
 جميع الكارب المطلوبة من الحيوان وهي النسل والدر والحمل والركوب والأكل بخلاف غيرها  
 ولأن خلقها أعجب من غيرها فإنه سخرها مقادة لكل من اقتادها بأزمها لا تماز ضعيفا



ولا تمنع سفيرا وبرأها طوال الأعناق لتتوه بالأوقار وجعلها بحيث تبرك حتى تحمل من  
 غرب ويسر ثم نهض بما حملت وتجرها إلى البلاد الشاحطة وصبرها على احتمال المطش حتى  
 إن ظمأها ليرتفع إلى المشر فصاعدا وجعلها ترمي كل نابت في البرارى مما لا يرماه سائر  
 البهائم (فَذَكَّرْ) فذكركم بالأدلة ليتفكروا فيها (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ) ليس عليك إلا  
 التبليغ (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ) بمسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار، بمصير مدنى  
 وبصرى وعلى وعاصم (إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيَمْدَنَّهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ) الاستثناء  
 منقطع أى لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم وكفر بالله فإن لله الولاية عليه والقهر  
 فهو يعذبه المذاب الأكبر وهو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر أى فذكر  
 إلا من انقطع طمك من إيمانه وتولى فاستحق المذاب الأكبر وما بينهما افتراض (إِنْ  
 لَكُنَّا إِلَّا بِهِمْ) رجوعهم، وفائدة تقديم الظرف التشديد في الوعيد وأن إياهم ليس إلا إلى الجبار  
 المقدر على الانتقام (لَنْ نَكُنَّ عَلَيْهِمْ حِسَابَهُمْ) فنحاسهم على أعمالهم ونجازهم بها جزاء  
 سنألمهم وعلى لنا كيد الوعيد لا للوجوب إذ لا يجب على الله شيء .

### ﴿ سورة الفجر مكية وهى تسع وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالْفَجْرِ) أقسم بالفجر وهو الصبح كقوله: والصبح إذا أسفر، أو بصلاة الفجر (وَالْيَالِ  
 فَجْرٍ) عشر ذى الحجة أو المشر الأول من الحرم أو الآخر من رمضان وإنما نسكت لزيادة  
 فضيلتها (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) شفع كل الأشياء ووترها أو شفع هذه الليالى ووترها أو شفع  
 الصلاة ووترها أو يوم النحر لأنه اليوم المأثر ويوم عرفة لأنه اليوم التاسع أو الخلق والخلق  
 والور حزمة وعلى وبتفتح الواو غيرها وهما لنتان فالفتح حجازى والكسر تميمى ويبد ما أقسم  
 بالليالى المخصوصة أقسم بالليل على الموم وقال (وَالْأَيْلِ) وقيل أريد به ليلة القدر (إِذَا يَسِرُّ  
 إِذَا يَهْضَى وَيَأْ) يسر تخفف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وأما في الوقت فتعذف مع الكسرة  
 وسأل واحدا لأخفى عن سقوط الياء فقال: لا، حتى تخفى سنة فسأله بعد سنة فقال: الليل  
 (٢٣ - نسق - رابع)

فلا يسرى وإنما يسرى فيه فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة وقيل معنى يسرى: يسرى  
 فيه كما يقال ليل نائم أى ينام فيه (هل فى ذلك) أى فيها أقسمت به من هذه الأشياء (قسم)  
 أى قسم به (لئذى حجر) عقل سمى به لأنه يحجر عن التفات فيها لا يبنى كما سمى عقلا  
 ونهية لأنه يعقل وينهى يريد هل تحقق عنده أن تعظم هذه الأشياء بالإقسام بها أو هل فى  
 إقسامها إقسام لئى حجر أى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله القسم عليه أو هل فى القسم  
 بهذه الأشياء قسم مفتح لئى عقل ولب والقسم عليه محذوف وهو قوله ليمدبن يدل عليه قوله  
 ألم تر إلى قوله: فصب عليهم ربك صوت عذاب. ثم ذكر تمذيب الأمم التى كذبت الرسل  
 فقال (ألم تر كيف قتل ربك يماذ إرم ذات اليماد) أى ألم تعلم يا محمد علما يوازى  
 الميان فى الإيقان وهو استفهام تقرير قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عاد  
 كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للأولين منهم: عاد الأولى، والإرم تسمية لهم باسم جدهم ومن  
 بعدهم عاد الأخيرة فإرم عطف بيان لعاد وإيدان بأنهم عاد الأولى القديمة وقيل إرم بلاتهم  
 وأرضهم التى كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بماذ إرم على الإضافة وتهديره بماذ أهل  
 إرم كقوله وأسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضا للتعريف والتأنيث وذات الماد إذا  
 كانت صفة للقبيلة فاللعن أنهم كانوا بدويين أهز عمداو طوال الأجسام على تشبيه قديوم  
 بالأممدة وإن كانت صفة للبلدة فاللعن أنها ذات أساطين وروى أنه كان لعاد ابنان شداد وعديد  
 فهلكا وقبرا ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فلك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذلك  
 الجنة فقال أبى مثلها فبى إرم فى بعض صحارى عدن فى ثلاثئة سنة وكان عمره تسعائة سنة  
 وهى مدبنة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها  
 أصناف الأشجار والأنهار ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة  
 يوم وليلة بمث الله عليهم سيعة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب  
 إبل له فوقع عليها حمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث  
 إلى كعب فسأله فقال: هى إرم ذات الماد وتسيدها رجل من المسلمين فى زمانك أحر أشقر  
 قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب إبل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال:

هذا والله ذلك الرجل (الْبَيْتِ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْيَلْدِ) أى مثل عاد في قوتهم وطول قاتمهم  
كان طول الرجل منهم أربعائة ذراع أو لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا (وَتُمُودَ  
الَّذِينَ جَابُوا السَّخَّرَ) قطعوا سخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا قيل أول من نحت الجبال  
والصخور ثمود وبنوا ألفا وسبعائة مدينة كلها من الحجارة (بِالْوَادِ) بوادي القرى  
(وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ) أى ذى الجنود الكثيرة وكانت لهم مضارب كثيرة يضر بيونها  
إذا زلوا وقيل كان له أوتاد يمدب الناس بها كما فعل بآسية (الَّذِينَ) فى محل النصب على  
النم أو الرفع على هم الذين أو الجر على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون (طَفَوْا فِي  
الْيَلْدِ) تجاوزوا الحد (فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ) بالكفر والقتل والظلم (فَصَبَّ عَلَيْهِمُ  
رَبُّكَ سَوَاطِعَ عَذَابٍ) مجاز عن إيقاع المذاب بهم على أبلغ الوجوه إذا صب يشمر بالذوام  
والسوط زيادة الإيلاص أى عذبوا عذابا مؤلما دائما (إِنَّ رَبَّكَ لَبِاْرَصَادٍ) وهو السكان  
الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لإرصاده العباد وأنهم لا يفوتونه وأنه  
عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه إن خيرا نخير وإن شرا فنشر (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا  
مَاءً بَقَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ  
رِزْقَهُ) أى ضيق عليه وجهه بمقدار بقلته ، فقدّر شأى ويزيد (فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) أى  
الراجب لمن ربه بالرصاد أن يسمى للعاقبة ولاتهمه العاجلة وهو قد عكس فإنه إذا امتنحه  
وبه بالنعمة والسمة لي شكره ، قال: ربى أكرمى أى فضلى بما أعطانى فيرى الإكرام فى كثرة  
الحظ من الدنيا وإذا امتنحه بالفقر فقدّر عليه رزقه ليصبر ، قال ربى أهاننى فيرى الهوان فى  
قلة الحظ من الدنيا لأنه لاتهمه إلا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فرد عليه زعمه بقوله (كَلَّا)  
أى ليس الإكرام والإهانة فى كثرة المال وقلته بل الإكرام فى توفيق الطاعة والإهانة فى  
الخذلان وقوله تعالى : فيقول ، خبر المبتدأ الذى هو الإنسان ودخول الفاء لا فى أما من معنى  
الشرط والظرف التوسط بين المبتدأ والخبر فى تهدير التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فقال  
ربى أكرم من وقت الابتلاء وكذا فيقول الثانى خبر مبتدأ تهديره وأما هو إذا ما ابتلاه ربه  
وسمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتهديره ابتلاء لأن كل واحد منهما اختبار للعبد فإذا بسط

له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيسبر أم يجزع ونحوه  
 قوله تعالى: ونبلوكم بالشر والخير فتنة. وإنما أنكر قوله رب أكرم من مع أنه أثبت به قوله فأكرمه  
 لأنه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبت به وهو قصد إن الله أعطاه ما أعطاه إكراما  
 له لا تحقاقه كقوله إنما أوتيته على علم عندي وإنما أعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق  
 منه (بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ) أي بل هناك شر  
 من هذا القول وهو أن الله بكرمهم بالنفي فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم  
 بالبرة وحض أهله على طعام المسكين (وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ) أي الميراث (أَكْلًا لَّمًّا)  
 ظالم وهو الجمع بين الحلال والحرام وكانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع  
 تراثهم (وَنَحْبِرُونَ الْأَمْالَ) يقال حبه وأحبه بمعنى (حُبًّا جَمًّا) كثيرا شديدا مع الحرص  
 بمنع الحقوق، ربّي حجازي وأبو عمرو يكرمون ولا يحضون ويأكلون ويحبون بصري  
 (كَلًّا) ردد لهم من ذلك وإنكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا  
 فيه حين لا تنفع الحسرة فقال (إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ) إذا زلزلت (دَكًّا دَكًّا) دكا بد  
 فك أي كثر عليها ذلك حتى عادت هباء منبثا (وَجَاءَ رَبُّكَ) تمثيل لظهور آيات اقتداره  
 وتبيين آثار قهره وسلطانه فإن واحدا من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بمحضوره من آثار  
 الهيبة مالا يظهر بمحضوره عما كره وخوأمه، وعن ابن عباس أمره وقضاؤه (وَالْمَلَكُ صَفًّا  
 صَفًّا) أي ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا يمدصف محققين بالجن والإنس (وَرَجَاءَ  
 يَوْمَئِذٍ يَجِئْتُمْ) قيل إنها برزت لأهلها كقوله: وبرزت للجحيم للناوين. وقيل هو مجرى  
 على حقيقته ففي الحديث يؤتى بهم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف  
 ملك يجيئونها (يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ) أي يتمط (وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى) ومن أين له  
 منفعة الذكرى (يَقُولُ يَلَيْسَ لِي بِأَمْرٍ إِذْ أَتَيْتُ بِحَيَاتِي) هذه وهي حياة الآخرة أي باليقين  
 فتمت الأعمال الصالحة في الحياة الثانية لحياى الباقية (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا)  
 أي لا يتولى عذاب الله أحد لأن الأمر لله وحده في ذلك اليوم (وَلَا يُؤْتِقُ) بالسلاسل  
 والأغلال (وَتَأْقَاهُ أَحَدٌ) قال صاحب الكشاف: لا يمتد أحد أحد كعذاب الله ولا يؤتق

أحداً كوثاق الله. لا يمتدح ولا يوثق على وهى قراءة رسول الله ﷺ ورجع إليها أبو عمرو  
 فى آخر عمره والضمير يرجع إلى الإنسان الوصوف وهو الكافر وقيل هو أبى بن خلف  
 أى لا يمتدح أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهى فى كفره وعفاده ثم يقول  
 الله تعالى للمؤمن (يَأْتِيَهَا النَّفْسُ) إكراماً له كما كلم موسى عليه السلام أو يكون على لسان ملك  
 (الْمُطَمِّنَةُ) الأمانة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وهى النفس المؤمنة أو الطمينة إلى  
 الحق التى سكنها طمع اليقين فلا يخالجهما شك ويشهد لتفسير الأول قراءة أبى يا أيها النفس  
 الأمانة الطمينة وإنما يقال لها عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنة (ارْجِئِي إِلَى)  
 موعد (رَبِّكِ) أدنواب ربك (رَاضِيَةً) من الله بما أوتيت (مَرْضِيَّةً) عند الله بما عملت  
 (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) فى جملة عبادى الصالحين فانتظمى فى سلكهم (وَادْخُلِي جَنَّتِي)  
 معهم وقال أبو عبيدة أى مع عبادى أو بين عبادى أى خواصى كما قال: وأدخلنى برحمتك فى  
 جوارك الصالحين. وقيل النفس الروح ومنه فادخل فى أجساد عبادى كقراءة عبد الله بن  
 مسعود فى جسد عبيد ولما مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم يزل على خلقته فدخل فى نسه  
 فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدر من تلاها. قيل نزلت فى حزة بن عبد المطلب  
 وقيل فى خبيب بن عدى الذى سلبه أهل مكة وجعلوه إلى المدينة قال: اللهم إن كان لى  
 عندك خير فحول وجهى نحو قبلك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد أن يحمله وقيل  
 هى عامة فى المؤمنين إذ العبارة لموم المفظ لا لخصوص المبيب .

### ( سورة البلد مكية وهى عشرون آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) أقسم سبعاً بالبلد الحرام وبما بدمه على أن الإنسان خلق  
 منمورا فى مكابدة الشاق واعترض بين القسم والقسم عليه بقوله (وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ)  
 أى ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد يعنى مكة كما يستحل العبد  
 فى غير الحرم عن شرحبيل يجرمون أن يقتلوا بها سيذا ويستحلون إخراجك وتقتل وفه

كُتِبَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِئْسَ عَلَى أَحْيَالٍ مَا كَانَ يَكَابِدُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَتَعْجِيبُ مِنْ حَالِهِمْ فِي  
 هِدَاوَتِهِ أَوْ ضَلَى رَسُولُ اللَّهِ بِالْقَمَرِ يَلْجِدُ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَخْلُو مِنْ مَقَاسَةِ الشَّدَائِدِ وَاعْتَرَضَ  
 يَأْنِ وَعَدَهُ فَتَحَ مَكَّةَ تَمَتُّعًا لِلتَّنْفِيسِ عَنْهُ قَالُوا : وَأَنْتَ حَلَّ بِهَذَا الْبِلَادِ أَيْ وَأَنْتَ حَلَّ  
 بِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ تَصْنَعُ فِيهِ مَا تَرِيدُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَمْرِ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَتَحَ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَأَحْلَاهَا  
 لَهُ وَمَا فَتَحَتْ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا أَحَلَّتْ لَهُ فَاحُلٌ مَا شَاءَ وَحَرَّمَ مَا شَاءَ قَتَلَ ابْنَ خُطَلٍ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ  
 بِأَسْتَارِ السَّكْبَةِ وَمَقِيسُ بْنُ صِبَايَةَ وَغَيْرُهُمَا وَحَرَّمَ دَارَ أَبِي سَفْيَانَ وَنَظِيرَ قَوْلِهِ وَأَنْتَ حَلَّ فِي  
 الْإِسْتِقْبَالَ قَوْلُهُ : إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ . وَكَفَاكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ لِلْإِسْتِقْبَالِ أَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ  
 بِالْإِتِّفَاقِ وَأَيُّنَ الْحَجْرَةَ مِنْ وَقْتِ تَزْوُلِهَا فَابَالِ الْفَتْحِ ( وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ) هَا أَدَمَ وَوَلَدَهُ أَوْ  
 كُلَّ وَالِدٍ وَوَلَدَهُ أَوْ إِبْرَاهِيمَ وَوَلَدَهُ وَمَا بِمَعْنَى مِنْ أَوْ بِمَعْنَى الَّذِي ( لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ) جَوَابُ  
 الْقَسَمِ ( فِي كَيْبِدٍ ) مُشَقَّةٌ يَكَابِدُ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَشَدَائِدَ الْآخِرَةِ وَهِيَ ذِي النُّونِ لَمْ يَزَلْ  
 صَرِيحًا بِجَهْلِ الْقَضَاءِ مَدَّوهُ إِلَى الْإِتِّهَارِ وَالْإِنْتِهَاءِ وَالضَّمِيرُ فِي ( أَيْخَسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ )  
 أَحَدٌ ( لِبَعْضِ صَفَادِيدِ قُرَيْشٍ الَّذِينَ كَانُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَكَابِدُ مِنْهُمْ مَا يَكَابِدُ ثُمَّ قِيلَ هُوَ أَبُو الْأَشَدِّ  
 وَقِيلَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُنِيرَةِ وَالْمَعْنَى أَيْظُنُّ هَذَا الصَّنْدِيدَ الْقَوِيَّ فِي قَوْمِهِ التَّضَنُّعُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَنْ  
 تَهْوِمَ قِيَامَهُ وَلَنْ يَقْدَرَ عَلَى الْإِتِّقَامِ مِنْهُ ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَقُولُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَنَّهُ ( يَقُولُ أَهْلَاكَتُ  
 مَا لَا لُبْدًا ) أَيْ كَثِيرًا جَمَعَ لِبَعْدَهُ وَهُوَ مَا تَلْبُدُ أَيْ كَثُرَ وَاجْتَمَعَ يَرِيدُ كَثْرَةً مَا أَنْفَقَهُ فِيمَا كَانَ  
 أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَسْمُونَهَا مَكَارِمَ وَمَعَالِي ( أَيْخَسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ) حِينَ كَانَ يَنْفَقُ مَا يَنْفَقُ  
 رِيَاءً وَافْتِخَارًا بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ يَرَاهُ وَكَانَ عَلَيْهِ رَقِيًّا ثُمَّ ذَكَرَ نَمِّهِ عَلَيْهِ قَالُوا ( أَلَمْ  
 نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ) يَعْبُرُ بِهِمَا الرِّثَايَاتِ ( وَلِسَانًا ) يَعْبُرُ بِمَا فِي ضَمِيرِهِ ( وَشَفَتَيْنِ ) يَسْتُرُ  
 بِهِمَا ثَوْبَهُ وَيَسْتَعِينُ بِهِمَا عَلَى النُّطْقِ وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالنَّفْعِ ( وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ )  
 طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ الْغَضِيضَيْنِ إِلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَقِيلَ الثَّدْيَيْنِ ( فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ  
 مَا الْعَقَبَةُ فَكَ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَرْيََةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا  
 مَرْيََةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ) بِمَعْنَى فَلَمْ يَشْكُرْ نِعْمَتَ الْآيَادِي وَالنِّعَمَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ  
 مِنْ فَكِّ الرِّقَابِ أَوْ إِطْعَامِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ثُمَّ بِالْإِيمَانِ إِلَى هُوَ أَسْلَ كُلِّ طَاعَةٍ وَأَسَاسُ

كل خير بل غمط النعم وكفر بالنعم والمضى أن الإنفاق على هذا الوجه مرضى نافع عند الله لا أن يهلك ماله لبدا في الرياء والفضغار وقلم تستعمل لا مع الماضي إلا مكررة وإنما لم تكرر في الكلام الأفسح لأنه لما فسر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كأنه أعاد ثلاث مرات وتهديره فلا فك رغبة ولا أطمع مسكيناً ولا آمن. والاقتحام الفحول والمجاورة بشدة ومشقة والقحمة الشدة فجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحامها لما في ذلك من مائة المشقة ومحاذاة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وعواء وعدوه الشيطان. والراد بقوله ما العقبة ما اقتحامها ومعناه أنك لم تدركه صوبها على النفس وكنه ثوابها عند الله ونفك الرقبة تحليلها من الرق والإعانة في مال الكتابة . فك رغبة أو أطمع مكي وأبو عمرو وعلى على الإبدال من اقتحم العقبة وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض . غيرم فك رغبة أو إطماع على : اقتحامها فك رغبة أو إطماع والمحببة المجاعة والمقربة القرابة والمقربة الفقر مفعلات من سبب إذا جامع وقرب في النسب يقال فلان فوقرابي وذو مقربى . وترب إذا افتقر ومعناه التصق بالتراب فيسكون مأواه المزابيل . ووصف اليوم بذى مستبقة كقولهم هم ناسب أى ذو نسب ومعنى ثم كان من الذين آمنوا أى دأوم على الإيمان وقيل ثم بمعنى الواو وقيل إنما جاء بهم لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن المتق والسعدة لا في الوقت إذ الإيمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به ( وَتَوَسَّوْا بِالصَّبْرِ ) عن المعاصي وعلى الطاعات والحن التى يتلى بها المؤمن ( وَتَوَّاسَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ) بالترامح فيها بينهم ( أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ) أى الموصوفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ) بالهرآن أو بدلائلنا ( هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ) أصحاب الشمال والميمنة والشأمة اليمين والشمال أو اليسن والشؤم أى اليامين على أنفسهم والمشائيم عليهم ( عَلَيْهِمْ نَارُ مُوسَى ) وبالمعز أبو عمرو وحزة وحض أى مطيقة من أوسدت الباب وأسدت إذا طبقت وأغلقت والله أعلم.

( سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ) وضوئها إذا أشرقت وقام سلطانها ( وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ) تبناها  
 الضياء والنور وذلك في النصف الأول من الشهر يخلف القمر الشمس في النور ( وَالنَّهَارُ إِذَا  
 جَلَّهَا ) جلى الشمس وأظهرها للرأين وذلك عند ارتفاع النهار وانسياطه لأن الشمس تنجلي  
 في ذلك الوقت تمام الانجلاء . وقيل الضمير لظلمة أو لدنيا أو للأرض وإن لم يجر لها ذكر  
 كقوله : ما ترك على ظهرها من دابة . ( وَاللَّيْلُ إِذَا يَنفَشَهَا ) يستر الشمس فتظلم الآفاق والواو  
 الأولى في نحو هذا القسم بالافتراق وكذا الثانية عند البعض وعند الخليل الثانية للمطف لأن  
 إدخال القسم على القسم قبل تمام الأول لا يجوز ألا ترى أنك لو جعلت موضعها كلمة الفاء  
 أو ثم لكان المعنى على حاله وما حرفا عطف فكنا الواو ومن قال إنها للقسم احتج بأنها  
 لو كانت للمطف لكان عطفا على ما قبلين<sup>(١)</sup> لأن قوله والليل مثلا مجرور . بواو القسم وإذا  
 ينشئ منصوب بالفعل المقدر الذي هو أقسم فلو جعلت الواو في والنهار إذا تجلى للمطف لكان  
 النهار معطوفا على الليل جرا وإذا تجلى معطوفا على إذا ينشئ نمبا فصار كقولك إن في  
 النار زيدا أو في الحجرة محرا وأجيب بأن واو القسم تنزل منزلة الباء والفعل حتى لم يجر  
 إبراز الفعل معها فصارت كأنها العامة نمبا وجرا وصارت كاملا واحدا له عملان وكل  
 عامل له عملان يجوز أن يطف على معموليه بمائط واحد بالاتفاق نحو ضرب زيد محرا  
 وبكر خالدا فترفع بالواو وتصب قيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما فكنا هنا وما  
 مصدرية في ( وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضَ وَمَا طَعْنَهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ) أي وبنائها وطعموها  
 أي بسطها وتسوية خلقها في أحسن سورة عند البعض وليس بالوجه قوله فألمها لما فيه من  
 فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وإنما أوتيت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه  
 قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وإنما

(١) قوله على ما قبلين فيه حذف أي على معمول ما قبلين عطفين .



نكرت النفس لأنه أراد نفساً خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس أو أراد كل نفس، والتكثير للتكثير كما في علمت نفس (فَأَلَمَهُمَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) فأعلمها طاعتها ومصيباتها أفهما أن أحدهما حسن والآخر قبيح (قَدْ أَفْلَحَ) جواب القسم والتقدير لقد أفلح يقال الزجاج: صار طول الكلام هوضاً من اللام وقيل الجواب محذوف وهو الأظهر تقديره ليضمنن الله عليهم أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله ﷺ كما قدم على نعود لأنهم كذبوا صالحاً وأما قد أفلح فكلام تابع لقوله فأعلمها فجورها وطوعها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء (مَنْ زَكَّاهَا) طهرها الله وأصلحها وجعلها زاكية (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) أغواها الله، قال عكرمة: أغلعت نفس زكاتها الله وخابت نفس أغواها الله ويجوز أن تكون التديسة والتطهير فعل العبد، والتديسة: النفس والإخفاء بالفجور وأصل دس دسس والياء بدل من السين المكررة (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَفْوَيْتَهَا) بطفويتها إذا لحامل لهم على التكذيب طغيانهم (إِذْ أَنْبَأَتْ) حين قام بقر الناقة (أَشَقَّهَا) أشقى ثمود قدار بن سالف وكان أشقر أزرق قصيراً وإذا منصوب بكذبت أو بالطنوى (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ) صالح عليه السلام (نَاقَةَ اللَّهِ) نصب على التحذير أي احذروا عقربها (وَسُقْيَاهَا) كفولك الأسد الأسد (فَكَذَّبُوهُ) فيها حذرهم منه من زول العذاب إن فعلوا (فَصَقَرُوهَا) أي الناقة أسند الفعل إليهم وإن كان الناقرة واحداً قوله: فنادوا أصحابهم فتصاطى فقر. لرضام به (فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ) أهلكهم هلاك استئصال (يَذَرِيهِمْ) بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرم الناقة (فَقَوَّيْنَاهَا) فسوى العممة عليهم لم يفلت منها صغير ولا كبير (وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا) ولا يخاف الله عاقبة هذه القملة أي فعل ذلك غير خائف أن تلحقه تبعة من أحد كما يخاف من يعاقب من الملوك لأنه فعل في ملكه وملكه لا يستل عما يفعل وهم يسألون، فلا يخاف مدني وشامي.

## ﴿ عذرة الليل إحدى وعشرون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) النشأ أما الشمس من قوله والليل إذا يشأها أو النهار من قوله ينشأ الليل النهار أو كل شيء يواريه بظلامه من قوله إذا غب (وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى) ظهر بزوال ظلمة الليل (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد وجواب القسم (إِنْ سَمِعْتُمْ لَفْظًا) إن علمتم لمختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على آثره (قَائِمًا مِنْ أَفْطَى) حقوق ماله (وَأَخَى) دبه فاجتنب عارمه (وَسَدَقَ بِالْعَصَى) بالله الحسى وهى مكة الإسلام أو بالثوبة الحسى وهى الجنة أو بالكلمة الحسى وهى لا إله إلا الله (فَسَيَسْرُهُ لَيْسَرَى) فسهيته لفخلة اليسرى وهى العمل بما يرضاه دبه (وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ) بماله (وَاسْتَفْتَى) عن دبه فلم يقه أو استفتى بشهوات الدنيا عن نعيم المعق (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى) بالإسلام أو الجنة (فَسَيَسْرُهُ لَيْسَرَى) لفخلة المؤدية إلى النار تشكون الطاعة أسر شيء عليه وأشد أو سمى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر وطريقة الشر باليسرى لأن عاقبتها السسر أو أراد بهما طريقى الجنة والنار (وَمَا يُفْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى) ولم ينفعه ماله إذا هلك، وتردى تقتل من الردى وهو الملاك أو تردى فى القبر أو فى قعر جهنم أى سقط (إِنْ قَلَيْتَا لَأَمْدَى) إن علينا الإرشاد إلى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وَإِنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى) فلا يضرنا ضلال من قبل ولا ينفعنا اعتداء من اهتدى أو أنهما لنا فن طلبهما من غيرنا قد أخطأ الطريق (فَأَنْذَرْتُكُمْ) خوفكم (فَارَا تَلَطَّيْ) تطلب (لَا يَصْلَحَا) لا يدخلها الصلوة فيها (إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى) إلا الكافر الذى كذب الرسل وأعرض عن الإيمان (وَسَيَجْزِيَنَّهُمَا) وسيجزيهما منها (الْأَخَى) المؤمن (الَّذِى يُؤْتِي مَالَهُ) للفقراء (بَتَرَكَى) من الزكاة أى يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة ويتزكى إن جعلته بدلا من يؤتى فلا عمل له لأنه داخل فى حكم الصلة، والصلوات لا عمل لها

وإن جعلته حالا من الضمير في يؤتى فعله النصب قال أبو عبيدة : الأشقى بمعنى الشقى وهو الكافر والأتقى بمعنى التقى وهو المؤمن لأنه لا يختص بالصلى أشقى الأتقى ولا بالنجاة اتقى الأتقى وإن زعمت أنه نكر النار فأراد نارا مخصوصة بالأشقى فاتصنع بقوله : وسيجزيها الأتقى، لأن التقى يجب تلك النار المخصوصة للأتقى منهم خاصة، وقيل الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبلغ في صفاتها قليل الأشقى وجمل مختصا بالصلى كأن النار لم تخلق إلا له وقيل الأتقى وجمل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق إلا له، وقيل هما أبو جهل وأبو بكر. وفيه بطلان زعم الرجعة لأنهم يقولون لا يدخل النار إلا كافر (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ) أى ومالا أحد عند الله نعمة يجازيه بها إلا أن يفعل فعلا يبتغى به وجه ربه فيجازه عليه (الْأَعْلَى) هو للرفع بسلطانه النبيع في شأنه وبرهانه ولم يرد به الملو من حيث المكان فذا آية الحدثنان (وَلَسَوْفَ يَرْضَى) موعده بالثواب الذى يرضيه ويقرّ عينه وهو كقوله تعالى لنبيه عليه السلام : ولسوف يمطيك ربك فترضى .

### ( سورة والضحى مكية وهى إحدى عشرة آية )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وَالضُّحَى ) المراد وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وإنما خص وقت الضحى بالتمسك لأنها الساعة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا أو النهار كله لمقابله بالليل في قوله ( وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ) سكن، والمراد سكون الناس والأصوات فيه وجواب القسم ( مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ) ما تركك منذ اختارك وما أبضك منذ أحبك والتوديع مبالغة في الودع لأن من ودعك مفارقا قد بالغ في تركك، روى أن الوحي تأخر عن رسول الله ﷺ أياما فقال المشركون : إن محمدا ودعه ربه وقلاه، فترك وحذف الضمير من قلى كحذفه من القارات في قوله : والقار كرين الله كثيرا والقار كرات، يريد والقار كراته ونحوه : فأوى، فهدى، فأغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف ( وَكَأَيُّ زَكَاةٍ يُرِيكَ مِنْ

الْأُولَى) أى ما أعد الله لك فى الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود والخير الموعود خير مما أعجبك فى الدنيا، وقيل وجه اتصاله بما قبله أنه لما كان فى ضمن نفي التوديع والقتلى أن الله مواسل بك بالوحي إليك وأنت حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك أخبره أن حاله فى الآخرة أعظم من ذلك لتقدمه على الأنبياء وشهادة أمته على الأمم وغير ذلك (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ) فى الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك (قَرَضَى) ولما نزلت قال ﷺ «إِذَا لَا أَرْضٍ قَطُّ وَوَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ» واللام الداخلة على سوف لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والابتداء محذوف تقديره ولأن سوف يعطيك ونحوه لأقسم فيمن قرأ كذلك لأن المعنى لأننا أقسم وهذا لأنها إن كانت لام قسم فلازم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد فتعين أن تكون لام الابتداء ولازم لا تدخل إلا على المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر كما ذكرنا كذا ذكره صاحب الكشاف، وذكر صاحب الكشف هي لام القسم واستغنى عن نون التوكيد لأن الثنون إنما تدخل ليؤذن أن اللام لام القسم لا لام الابتداء وقد علم أنه ليس للابتداء لدخولها على سوف لأن لام الابتداء لا تدخل على سوف وذكر أن الجمع بين حرفي التأكيد والتأخير يؤذن بأن المعطاء كائن لا محالة وإن تأخر ثم عدد عليه نفسه من أول حاله ليقس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع إلا الحسنى وزيادة الخير ولا يضيئ صدره ولا يقل سعيره فقال (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا) وهو من الوجود الذى بمعنى العلم والمنصوبان مفعولاه والمعنى ألم تكن يتيمًا حين مات أبوك (فَأَوَّيْتُ) أى فأتاوك إلى عمك أبى طالب وضمتك إليه حتى كفلك ورباك (وَوَجَدَكَ ضَالًّا) أى غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة ومطريقه السمع (فَهَدَيْتُ) فرفك الشرائع والقرآن وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به أبو طالب فرده إلى القافلة ولا يجوز أن يجهم به عدول عن حق ووقوع فى غي قد كان عليه الصلاة والسلام من أول حاله إلى نزول الوحي عليه مغموما من عبادة الأوثان وقاذورات أهل الفسق والمصيان (وَوَجَدَكَ عَائِلًا) فقيرًا (فَأَغْنَيْتُ) فأغناك بمال خديجة أو بمال أفاة عليك من الننائم (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْملْ) فلا تلتبه على ماله وحقه لمنصفه (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) فلا تزجره فابذل قليلا أورد جميل

وعن السدى المراد طالب العلم إذا جاءك فلانهم (وَأَمَّا يَنْفَعُ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) أى حدث بالنبوة التى آتاك الله وهى أجل النعم والصحيح أنها تم جميع نعم الله عليه ويدخل تحته تعليم القرآن والشرائع والله أعلم

### ( سورة ألم نشرح مكية وهى ثمان آيات )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ) استفهم من انتفاء الشرح على رجة الإنكار فأفاد إيجاب الشرح فكأنه قيل : شرحنا لك صدرك ولقد عطف عليه وضنا اعتبارا للمعنى أى فسحنا بما أودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين وأزلنا عنه الضيق والخرج الذى يكون مع العمى والجمل ، وعن الحسن على حكمة وعلم ( وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ) وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها ، وقيل هو زلة لا تعرف بيمينها وهى ترك الأفضل مع إتيان الفاضل ، والأنبياء يمتابون بمثلهما وضمه عنه أن غفر له ، والوزر : الحمل الثقيل ( الَّذِي أَقْنَصَ ظَهْرَكَ ) أقنعه حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتفاض ( وَوَضَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ) ورفع ذكره أن قرن بذكر الله فى كلمة الشهادة والأذان والإقامة والخطب والشهد وفى غير موضع من القرآن : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول . ومن يطع الله ورسوله . والله ورسوله أحق أن يرضوه . وفى تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره فى كتب الأولين وفائدة لك ما عرف فى طريقة الإيهام والإيضاح لأنه يفهم بقوله : ألم نشرح لك أن تم مشروحاتم أوضح بقوله صدرك ما هم بهما وكذلك لك ذكرك ، وعنتك وزرك ( فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ) أى إن مع الشدة التى أنت فيها من مقاساة بلاد الشركين يسرا يظهاري إليك عليهم حتى تغلبهم وقبل كل الشركون يميرون رسول الله والمؤمنين بالفقر حتى سبق إلى وهم أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله فذكره ما أنتم به عليه من جلال النعم ثم قال إن مع العسر يسرا كأنه قال : خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فإن مع العسر الذى أنتم فيه يسرا ، وجيء بهفظ مع لناية مقاربة اليسر العسر زيادة فى التسلية ولتقوية القلوب ، وإنما قال عليه السلام

حدد زولما «لن يثلب سر يسرين» لأن السر أعيد مرفا فكان واحدا لأن المرفة إذا أعيدت  
 مرفرة كانت الثانية عين الأولى واليسر أعيد نكرة والنكرة إذا أعيدت نكرة كانت الثانية  
 خبر الأولى فصار المعنى إن مع السر يسرين قال أبو معاذ: يقال إن مع الأمير غلاما إن مع  
 الأمير غلاما فالأمير واحد ومعه غلامان وإذا قال: إن مع أمير غلاما وإن مع الأمير الغلام  
 فالأمير واحد والغلام واحد وإذا قيل إن مع أمير غلاما وإن مع أمير غلاما فهما أميران  
 وغلامان كذا في شرح التأويلات ( فَلَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ) أى فإذا فرغت من دعوة الخلق  
 فاحثد في عبادة الرب ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد في  
 الدعاء، واختلف أنه قبل السلام أو بعده ووجه الاتصال بما قبله أنه لا عدد عليه نعمه السائفة  
 وموايدمة الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها  
 وبعض ولا يخلى وقتا من أوقاته منها فإذا فرغ من عبادة ذنبا بأخرى ( وَإِلَىٰ رَبِّكَ  
 فَارْغَبْ ) واجمل رغبتك إليه خصوصا ولا تسأل إلا فضله متوكلا عليه وعلى الله  
 فليتوكل المؤمنون .

### ﴿ سورة والتين مكية وهي ثمان آيات ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ ) أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين الأشجار الثمرة ، روى أنه  
 أهدى لرسول الله ﷺ حلق من تين فأكل منه وقال لأصحابه : « كلوا فلو قلت إن فاكهة  
 نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع  
 من التنقرس » وقال : « نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال :  
 هي سواك وسواك الأنبياء قبل » وعن ابن عباس رضى الله عنهما : هو تينسكم هذا وذيتونكم  
 هذا ، وقيل هما جبلان بالشام منتاهما ( وَطُورِ سِينِينَ ) أضيف الطور وهو الجبل إلى سينين  
 وهي البقعة ونحو سينون يبرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك  
 اللنون بحركات الإعراب ( وَهَذَا الْبَلَدِ ) يعنى مكة ( الْأَمِينِ ) من أمن الرجل أمانة فهو

أمين وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ومعنى التسم بهذه الأشياء الإيابة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والأولياء. فثبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه والطور : المكان الذى نودى منه موسى، ومكة مكان البيت الذى هو هدى للمالين ومولد نبينا ومبشه صلوات الله عليهم أجمعين أو الأولان قسم بمهبط الروح على عيسى والثالث على موسى والرابع على محمد عليهم السلام. وجواب القسم (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) وهو جنس (فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) فى أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) أى ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القوومة السوية أن رددناه أسفل من سفلى خلقا وتركيبا معنى أقبح من قبح سورة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفلى من أهل الدرجات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحصين أسفل من سفلى فى حسن الصورة والشكل حيث نكسناه و خلقه قروس ظهره بعد اعتداله وبيض شره بعد سواده وتشن جلده وكل سمه وبصره وتغير كل شيء منه فشيء دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشنامته خرف (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) ودخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين اللتين والاستثناء على الأول متصل وعلى الثانى منقطع أى ولكن الذين كانوا صالحين من المرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والمهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالمباداة والخطاب فى (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ) للإنسان على طريقة الالتفات أى فاسب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع والبرهان الساطع بالجزاء والمعنى أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريبه فى مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوى ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر على خلق الإنسان وعلى هذا كله لم يعجز عن إعادته فاسب تكذيبك بالجزاء أو لرسول الله ﷺ أى فمن ينسبك إلى الكذب بعد هذا الدليل فاجمع من (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ) وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله وهو من الحكم والقضاء والله أعلم

## ( سورة الملق مكية وهى تسع عشرة آية )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

من ابن عباس ومجاهد هى أول سورة نزلت والجمهور على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم ( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ) عمل باسم ربك النصب على الحال أى اقْرَأْ مفتتحاً باسم ربك كأنه قيل: قل باسم الله ثم اقْرَأْ الذى خلق ولم يذكر الخلق مفصولاً لأن المعنى الذى حصل منه الخلق واستأنم به لا خالق سواه أو تقديره خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لأنه مطلق فليس بمضى المخلوقات بتقديره أولى من بعض وقوله ( خَلَقَ الْإِنْسَانَ ) تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناول الخلق لشرفه ولأن التنزيل إليه ويجوز أن يراد الذى خلق الإنسان إلا أنه ذكر مبهماً ثم مفسراً تخفياً لخلق ودلالة على عجيب فطرته ( مِنْ عَلَقٍ ) وإنما جمع ولم يقل من علقه لأن الإنسان فى معنى الجمع ( اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ) الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كريم يعلم على عباده النعم ويعلم عنهم فلا يحاجلهم بالمقوبة مع كفرهم وجسودهم لنعمه وكأنه ليس وراء التكريم بإفادة الفوائد العلمية تكريم حيث قال ( الَّذِى عَلَّمَ ) الكتابة ( بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ) فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا وتعلمهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع المنظمة وما دونت العلوم ولا قيبت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ولا كتب الله المنزل إلا بالكتابة ولولا هى لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به ( كَلَّا ) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم يذكر دلالة الكلام عليه ( إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفَّارٍ ) نزلت فى أبى جهل إلى آخر السورة ( أَنْ رَأَاهُ ) أن رأى نفسه يقال فى أعمال القلوب رأيته وعلمته ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين ( اسْتَفْتَى ) هو الفصول الثاق ( إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعَى ) تهديد للإنسان من عاقبة الطغيان على طريق الانتفات والرجعى مصدر بمعنى الرجوع أى إن رجوعك إلى ربك فيجازيك على طغيانك ( أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ) أى أرايت أباً جهل ينهى عبداً عن الصلاة ( أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ



الْهُدَى) أى إن كان ذلك النامى على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله (أَوْ أَمْرًا  
بِالتَّقْوَى) أو كان أمراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد (أَرَأَيْتَ  
إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ذَلِكَ النامى مكذباً بالحق متولياً عنه كما تقول نحن (أَلَمْ  
يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) ويطلع على أحواله من ههنا وضلاله فيجازيه على حسب حاله وهذا وعيد  
وقوله الذى ينهى مع الجملة الشرطية مفعولاً أَرَأَيْتَ وجواب الشرط محذوف تقديره إِنْ كَانَ  
على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وإنما حذف دلالة ذكره في جواب الشرط  
الثانى وهذا كقولك إِنْ أَكْرَمْتُكَ أَتُكْرِمُنِي وَأَرَأَيْتَ الثَّانِيَةَ مَكْرَمَةً زَائِدَةً لِلتَّوَكُّدِ  
(كَلَّا) ردع لأب جهل من نفيه عن عبادة الله وأمره بعبادة الأصنام ثم قال (لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ  
عَمَّا هُوَ فِىهِ لَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ) لَنَأْخُذَنَّ بِنَاصِيَتِهِ وَلَنَسْجِئَنَّهُ إِلَى النَّارِ وَالسَّعْفُ: الْقَبْضُ عَلَى الشَّيْءِ  
وَجَذْبُهُ بِشِدَّةٍ وَكَتَبَهَا فِي الْمَصْحَفِ بِالْأَلْفِ عَلَى حَكْمِ الْوَقْفِ وَاكْتَفَى بِإِلَامِ الْمَهْدِ مِنَ الْإِضَافَةِ  
لِلْعَمِّ بِأَنَّهَا نَاصِيَةُ الْمَذْكُورِ (نَاصِيَةٍ) بَدَلَ مِنَ النَّاصِيَةِ لِأَنَّهَا وَصِفَتْ بِالْكَذْبِ وَالْخَطَا فَقَوْلُهُ  
(كَذِّبَتْ خَاطِئَةً) عَنِ الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ وَهِيَ لِصَاحِبِهَا حَقِيقَةٌ وَفِيهِ مِنَ الْحَسَنِ وَالْجَزَالَةِ مَا لَيْسَ  
فِي قَوْلِكَ نَاصِيَةُ كَاذِبٍ خَاطِئَةٍ (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) النَّادِي الْمَجْلِسُ الَّذِي يَجْتَمِعُ  
فِيهِ الْقَوْمُ وَالْمَرَادُ أَهْلُ النَّادِي رَوَى أَنَّ أَبَا جَهْلٍ صَرَّحَ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَ :  
أَلَمْ أَتَيْكَ فَأَغْلَظْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : أَتَهْدِنِي وَأَنَا أَكْثَرُ أَهْلِ الْوَادِي نَادِيًا فَتَزِلُ  
وَالزَّبَانِيَةُ لَفْظُ الشَّرْطِ الْوَاحِدِ زَيْفَةٌ مِنَ الزَّيْنِ وَهُوَ الدَّفْعُ وَالْمَرَادُ مَلَائِكَةُ الْمَذَابِ وَعَنْهُ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذْتَهُ الزَّبَانِيَةَ عِيَانًا (كَلَّا) ردع لأبى جهل (لَا تَطْمِئُ) أَيْ أَتَيْتَ  
عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ عَصِيَانَةٍ كَقَوْلِهِ فَلَا تَطْعَمُ الْمَكْذِبِينَ (وَأَسْجُدْ) وَدَمَ عَلَى سَجُودِكَ فَرِيدَ  
لِلصَّلَاةِ (وَاقْتَرَبْ) وَتَقَرَّبَ إِلَى رَبِّكَ بِالسَّجُودِ فَإِنْ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْمَبْدُ إِلَى رَبِّهِ إِذَا سَجَدَ  
كَذَا الْحَدِيثُ وَاللَّهُ أَهْلُهُ .

## ﴿ سورة القدر مكية وقيل مدنية وهي خمس آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) عظم القرآن حيث أسند إنزاله إليه دون غيره وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذي أنزله فيه روى أنه أنزل جملة في ليلة القدر من الروح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم كان ينزله جبريل على رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة ومعنى ليلة القدر ليلة تدبير الأمور وقضائها والقدر بمعنى التقدير أو سميت بذلك لشرفها على سائر الليالي وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان كذا روى أبو حنيفة رحمه الله عن عاصم عن ذرّان أبيّ بن كعب كان يحلف على ليلة القدر أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان وعليه الجمهور ولعل القامح إلى إخفائها أن يحجب من يريد بها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها وهذا كإخفاء الصلاة الوسطى واسمها الأعظم وساعة الإجابة في الجملة ورضاء في الطاعات وغضبه في المعاصي وفي الحديث: من أدركها يقول اللهم إنك عفوّ تحب المغفّات فمضى (وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) أى لم تبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك بقوله (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) ليس فيها ليلة القدر وسبب لارتفاع فضلها إلى هذه الناية ما يوجد فيها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر في تخصيص هذه الليلة أن النبي عليه الصلاة والسلام ذكر رجلا من بني إسرائيل ليس السلاح في حصيل الله ألف شهر فنجب المؤمنون من ذلك وتفاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك البازي (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ) إلى السماء الدنيا وإلى الأرض (وَالرُّوحُ) جبريل أو خلق من الملائكة لا ترام الملائكة إلا تلك الليلة أو الرحمة (غِيَا يَأْذَنُ لِلْبُحْرِ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) أى تنزل من أجل كل أمر قضاء الله لتلك السنة إلى قابل وعليه وقف (سَلَّمَ هِيَ) ماهي إلا سلامة خير ومبتدأ أى لا يقدر الله فيها إلا السلامة والخير ويقضى في غيرها بلاء وسلامة أو ماهي إلا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين قبل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه في تلك الليلة (حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ) أى إلى وقت طلوع الفجر . بكسر اللام على وخلق، وقد حرم من السلام الذين كفروا والله أعلم .

## ( سورة البينة مختلف فيها وهي ثمان آيات )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ) أى اليهود والنصارى وأهل الرجل أخص الناس به وأهل الإسلام من يدين به ( وَالْمُشْرِكِينَ ) عبدة الأصنام ( مُنْفَكِّينَ ) منفصلين عن الكفر وحذف لأن صلة الذين تدل عليه ( حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ) الحججة الواضحة والمراد محمد ﷺ يقول لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد ﷺ فلما بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بمض ( رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ ) أى محمد عليه السلام وهو يدل من البينة ( يَتْلُوا ) يقرأ عليهم ( صُحُفًا ) قراطيس ( مُطَهَّرَةً ) من الباطل ( فِيهَا ) في الصحف ( كُتِبَ ) مكتوبات ( قِيَمَةٌ ) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل ( وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ) ففهم من أنكر نبوته بقيا وحسدا ومنهم من آمن وإلما أفرد أهل الكتاب بمد ما جمع أولا بينهم وبين المشركين لأنهم كانوا على علم به بوجوده في كتبهم فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف ( وَمَا أَمِرُوا ) يعنى في التوراة والإنجيل ( إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ) من غير شرك ولا فناء ( حُفَّاءَ ) مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الأديان الباطلة ( وَيُؤِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ) وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ( أى دين الملة القيمة ) ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ) ( الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ) ونافع يهزمها والقراء على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل ( جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ) إقامة ( تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ( يَقْبُولُ أَعْمَالَهُمْ ) ( وَرَضُوا عَنْهُ ) بثوابها ( ذَلِكَ ) أى الرضا ( لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ) وقوله خير البرية يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لأن البرية الخلق واشتقاقها من برأ الله الخلق وقيل اشتقاقها من البرى وهو التراب ولو كان كذلك لما قرءوا البرية بالهمز كذا قاله الزجاج والله أعلم .

## ﴿ سورة الزلزلة مختلف فيها وهي ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) أى إذا حركت زلزالها الشديد الذى ليس بعدهم زلزال . وقرئ  
 بفتح الزاء قال السكسور مصدر والمفتوح اسم (وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) أى كفوزها  
 وموتها جمع ثقل وهو متاع البيت جعل مافى جوفها من الثقاتن أثقالا لها (وَقَالَ الْإِنْسَانُ  
 مَا لَهَا) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولغظت مافى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تنزل  
 وتلقظ موتها أحياء فيقولون ذلك لا يبههم من الأمر الفظيع كما يقولون من بثنا من مرقدنا  
 وقيل هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن  
 وسدق الرسولون (يَوْمَئِذٍ) بدل من إذا وناسبها (تُحَدَّثُ) أى تحدث الخلق (أَخْبَارَهَا)  
 غنفت أول المفعولين لأن القبول ذكر تحديثها الإخبار لا ذكر الخلق قبل ينطقها الله وتخبّر  
 بما عمل عليها من خير وشر وفى الحديث: تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها (يَا أَيُّهَا رَبِّكَ  
 أَوْحَىٰ لَهَا) أى تحدث أخبارها بسبب إيماء ربك لها أى إليها وأمره إياها بالتحدث  
 (يَوْمَئِذٍ يَعْبُدُ الْغَاسُ) يصدرون من خارجهم من القبور إلى الموقف (أَشْتَاتًا) يبيض  
 الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين أو يصدرون من الموقف أشتاتًا يتفرق بهم طريقا الجنة  
 والنار (لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) أى جزاء أعمالهم (فَمَنْ يَمَسُّ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا) نعمة صغيرة (خَيْرًا)  
 تميز (بِرَّه) أى بجزائه (وَمَنْ يَمَسُّ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) قيل هذا فى الكفار  
 والأول فى المؤمنين ويروى أن أمرايا آخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال :

خذا بطن هرشى أو قضاها فإنه كلا جانبي هرشى لمن طريق

وروى أن جد الفرزدق أتاه عليه السلام ليستقره فقرأ عليه هذه الآية فقال : حسبي

حسبي وهى أحكم آية وحسب الجامعة والله أعلم .

محاديث مختلف فيها وهي إحدى عشرة آية ﴿

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالْعَلِيَّتِ صَبِيحًا) أقسم بخيل الفزاة تمدو قصبج، والقصبج: صوت أنفاسها إذا عدون وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه حكاه قال أح أح وانتصاب صبيحا على يصبحن صبيحا (فَالْمُورِيَّتِ) توري نار الحباحب وهي ما يندح من حوافرها (قَدَحًا) قادحات ما كات بحوافرها الحجارة، والقدح: الصك، والإيراد: إخراج النار، قول قدح فأوري وقده فأسله واتصب قدحا بما انتصب به صبيحا (فَالْمُفِيرَتِ) تغير على العدو (صَبِيحًا) في وقت المصبج (فَأُتْرِنَ بِهِ قَعْمًا) فهيجن بذلك الوقت خبارا (فَوَسَطُنَ بِهِ) بذلك الوقت (جَبْمًا) من جموع الأعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لكان النارة أو للعدو الذي دل عليه والمحاديث وعطف فأترن على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لأن المعنى واللاتي عدون فأورين فأترن فأترن وجواب القسم (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) لسكرورأى إنه لنعمة به خصوصا لتشديد الكفران (وَلَّانَهُ) وإن الإنسان (عَلَى ذَلِكَ) على كنوده (لَشَهِيدٌ) يشهد على نفسه أو وإن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (وَلَّانَهُ لِحَبِّ الْغَيْرِ لَشَدِيدٌ) وإنه لأجل حب المال لبخيل محسك أو إنه لحب المال أقوى وهو لحب عبادة الله ضيف (أَفَلَا يَتْلُمُ) الإنسان (إِذَا بُعْثِرَ) بمت (مَا فِي الْقُبُورِ) من الموت وما بمعنى من (وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ) ميز ما فيها من الخير والشر (إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ) لعالم فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر وخص يومئذ بالله كره وهو عالم بهم في جميع الأزمان لأن الجزاء يقع يومئذ والله أعلم .

﴿ سورة القارعة مكية وهي ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الْقَارِعَةُ) مبتدأ (مَا) مبتدأ ثان (الْقَارِعَةُ) خبره والجملة خبر المبتدأ الأول، وكان حقه ما هي

وإنما كره تنغيها لشأنها (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ) أى أى شيء أهلك ما هي ومن أين علمت ذلك (يَوْمَ) نصب بمضمر دلت عليه القارعة أى تخرج يوم (يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ) شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والقلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كإبطار الفراش إلى النار وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ) وشبه الجبال بالمهن وهو الصوف المصبغ ألوانا لأنها ألوان ومن الجبال جدد يضيء وحر مختلف ألوانها وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها (فَأَمَّا مَنْ قَبَّلَ مَوْزِنُهُ) باتباعهم الحق وهي جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وقلمها رجحانها (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) ذات رضا أو مرضية (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوْزِنُهُ) باتباعهم الباطل (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) فسكنه وماواه النار وقيل للمأوى أم على التشبيه لأن الأم مأوى الولد ومفرغه (وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ) الضمير يعود إلى هاهوية والهاء للسكت ثم فسرها فقال (نَارٌ حَامِيَةٌ) بلغت النهاية في الحرارة والله أعلم .

### ( سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات )

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ) شغلكم التبارى في الكثرة والتباهى بها في الأموال والأولاد من طاعة الله (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) حتى أدرككم الموت على تلك الحال أو حتى زدم المقابر وعددتهم من في المقابر من موتاكم (كَلَّا) ردع وتنبه على أنه لا ينبغي للناس لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه (سَوْفَ تَعْلَمُونَ) عند الزرع سوء عاقبة ما كنتم عليه (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) في القبور (كَلَّا) تكرير الردع للإنذار والتخويف (تَوَعَّلَمُونَ) جواب لو محذوف أى لو تعلمون ما بين أيديكم (عِلْمَ الْيَقِينِ) علم الأمرين أى كعلمكم ما تستيقنون من الأمور لما ألهاكم التكاثر أو لتعلمتم مالا يوصف ولكنكم ضلال جملة (لَرَوْنُ الْجَحِيمِ) هو جواب قسم محذوف والتسم لتوكيد الوعيد لترون، بضم اللام شامى وعلى (ثُمَّ لَرَوْنَهَا) كرده معطوفا بتم تليظا في التهديد وزيادة في التهويل أو

الأول بالقلب والثاني بالعين (عَيْنَ الْيَقِينِ) أى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته (ثُمَّ لَتَسْتَأْنِفَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) من الأمن والصحة فىم أنفقتموها عن ابن مسعود رضى الله عنه وقيل عن النعم الذى شغلكم الالتذاذ به من الدين وتكاليفه وعن الحسن: ماسوى كن يؤويه وثوب يواريه وكسرة تقويه وقد روى مرفوعا والله أعلم .

### ( سورة والمصر يختلف فيها وهى ثلاث آيات )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

(وَالْمَصْرِ) أقسم بصلاة المصر لفضلها بدليل قوله تعالى: والصلاة الوسطى صلاة المصر فى مصحف حفصة ولأن التكليف فى أدائها أشق لهافت الناس فى تجارتهم ومكاشبهم آخر النهار واشتغالهم بما يشبههم أو أقسم بالشئ كما أقسم بالنعى لما فيها من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما فى مروره من أسناف المجائب وجواب القسم (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ) أى جنس الإنسان لى خسران من تجارتهم (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فلهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) بالأمر الثابت الذى لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) من العاصى وعلى الطاعات وعلى ما يلبى به الله عباده، وتواصوا فى اللومعين فمل ماض معطوف على ماض قبله والله أعلم .

### ( سورة الحمزة مكية وهى تسع آيات )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

(وَبِئْسَ) مبتدأ خبره (لَكُلُّ هُمْزَةٍ) أى التى يعيب الناس من خلفهم (لَمْزَةٍ) أى من يعيبهم مواجهة وبناء فملة يدل على أن ذلك عادة منه قيل نزلت فى الأخنس بن شريق وكانت عادته النبوة والوقمة وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد ويموز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك التوبيخ (الَّذِى) يدل من كل أو نصب على النعم

(جَمَعَ مَالًا) جمع شامى وهجرة وعلى مبالغة جمع وهو مطابق لقوله (وَعَدَدَهُ) أى جملة عدة لحوادث الدهر (يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ) أى تركه خالفا فى الدنيا لا يموت أو هو تريض بالعمل الصالح وأنه هو الذى أخلد صاحبه فى النعيم فأما المال فما أخلد أحدا فيه (كَلَّا) روع له عن حساباته (كَيْنَبَدَنَّ) أى الذى جمع (فِي الْخُطْمَةِ) فى النار التى شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ) تعجيب وتمظيم (نَارُ اللَّهِ) خبر مبتدأ محذوف أى هى نار الله (الْمَوْقَدَةُ) نمطا (الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ) يعنى أنها تدخل فى أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أقدسهم وهى أوساط القلوب ولا شئ فى بدن الإنسان ألطف من الفؤاد ولا أشد تألما منه بأذى يؤذى جسمه فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ، وقيل خص الأفندة لأنها مواطن الكفر والمعائد الفاسدة ومعنى اطلاع النار عليها أنها تشتعل عليها (إِنَّهَا عَلَيْهِمْ) أى النار أو الخطمة (مُؤَسَدَةٌ) مطبقة (فِي مَمَدٍ) بضمين كوفى غير حفص ، الباقون فى ممد وهما اللتان فى جمع حماد كإهاب وأهب وحمار وحر (مُمَدَّدَةٌ) أى تؤسد عليهم الأبواب وتعد على الأبواب الممد استيقاتا فى استيقات فى الحديث: المؤمن كيس فطن وقاف مثبت لا يجعل عالم وروع والنافق همزة لزمة حطمة<sup>(١)</sup> كحاطب الليل لا يزال من أين اكتسب وفيم أنفق والله أعلم .

### ( سورة الفيل مكية وهى خمس آيات )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( اَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَتَلْنَا رَبَّكَ ) كيف فى موضع نصب بفعل لا بألم تر لما فى كيف من معنى الاستفهام والجملة سدت مسد مفعولى تر وفى ألم تر تعجيب أى عجب الله نبيه من كفر العرب وقد شاهدت هذه المظنة من آيات الله والمضى إنك رأيت آثار صنع الله بالحبيشة وسمعت الأخبار به متواترا فقامت لك مقام المشاهدة ( يَاصْحَبِ الْفِيلِ ) روى أن أبرهة ابن الصباح ملك اليمن من قبل أحمسة النجاشى بنى كنيسة بصنماء وسمها القليس وأراد

(١) قوله حطمة أى كثير الأكل، كما فى الخطر .



أن يصرف إليها الحاج يخرج رجل من كثافة قعد فيها ليلا فأغضبه ذلك وقيل أوجبت رضة من العرب نارا فعملتها الرمح فأحرقها خلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واتنا عشر فيل غيره فلما بلغ المنصور خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلاث أموال تهامة ليرجع غابى وهي جيشه وقدم الفيل وكان كبا وجهوه إلى الحرم يرك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن هروى وأرسل الله طيرا مع كل طائر حجر في متقاره وحجران في رجله أكبر من المدسة وأصغر من الحصة فكان الحجر وقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وعلكوا، وما مات أبرهة حتى انصدع صدره عن قلبه وانتقلت وزيره أبو بكسوم وطائر يخلق فوقه حتى بلغ النجاشي قصص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وروى أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليه فيها فمظم في عينه وكان رجلا جسيما وسبا وقيل هذا سيد قريش وصاحب هير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فلما ذكر حاجته قال : سقطت من عيني جثث لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وشرفكم في قديم الدهر فألهاك عنه ذود أخذلك فقال : أنا رب الإبل والبيت رب سيمنمه (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ) في تضليلهم وإبطال يقال ضلل كيده إذا جعله ضالا ضائما وقيل لأمريء القيس : الملك الضليل لأنه ضلل ملك أبيه أي ضيمه يعني أنهم كادوا البيت أو لا يبناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج إليه فضل كيدهم بإيقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بإرادة هدمه فضل كيدهم بإرسال الطير عليهم (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ) حزائق الواحدة إبالة قال الحاج : جاءت من ههنا وجاءت من ههنا (تَرْمِيهِمْ) وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه ربهم أي الله أو الطير لأنه اسم جمع مذكر وإنما يؤث على المني (يَجْجَارَءُ مِنْ سِجِّيلٍ) هو مربب من سنكسل وعليه الجهور أي الآجر (فَجَمَعَهُمْ كَمَصْفٍ مَأْكُولٍ) ذرع أكله اليهود .

## ( سورة قريش مكية وهي أربع آيات )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إِيْلَافٍ قُرَيْشٍ ) متعلق بقوله فليمدوا أمرهم أن يمدوه لأجل إيلافهم الرحلتين ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط أى إن نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يمدوه لسائر نعمه فليمدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة أو عاقبة أى فجعلهم كمصف ما كقول إيلاف قريش معنى أن ذلك الإيلاف لهذا الإيلاف وهذا كالتضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذى قبله تملقا لا يصح إلا به وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل ويرى عن الكسائي ترك التسمية بينهما والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوم ليطاسم الناس بذلك فيحترموم فعنل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم فلا يجترى أحد عليهم وقيل المعنى اعجبوا إيلاف قريش ، إيلاف قريش شامى أى لؤالفة قريش وقيل يقال ألفتة ألفا وإلافا وقريش ولد النضر بن كنانة سموه بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تبيت بالسفن ولا تطاق إلا بالنار والتصغير للمعظم فسموه بذلك لشدهم ومنعهم تشبها بها وقيل من القرش وهو الجمع والكسب لأنهم كانوا كسايين بتجاراتهم وضربهم في البلاد ( إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ) أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفضيلاً لأمور الإيلاف وتذكيراً لمعظم النعمة فيه ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولاً به وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد لأمن الإبلان وكانت قريش رحلتان رحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيمتارون ويحجرون وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله فلا يمرض لهم وغيرهم يمار عليهم ( فَلْيَمْدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ) والتذكير في جوع وخوف لشدهما معنى أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب القيل أو خوف التخطف في بلادهم ومسارهم وقيل كانوا قد أسابهم شدة حتى أكلوا الجيف والمظالم المحرقة وآمنهم من خوف الحناب فلا يصيبهم يلهم وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم عليه السلام .

( سورة الماعون مختلف فيها وهي سبع آيات )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ) أى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء من هو إن لم تعرفه ( فَذَلِكَ الَّذِي ) يكذب بالجزاء هو الذى ( يَدْعُ الْيَتِيمَ ) أى يدفعه دفعا عنيفا يمجفوه وأذى ويرده وما قبيحا بزر وخشونة ( وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ) ولا يعث أهله على بذل طعام المسكين جبل علم التكذيب بالجزاء منع المروف والإقدام على إنياء الضيف أى لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشى الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه دل أنه مكذب بالجزاء ثم وصل به قوله ( قَوْلُ الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرْآوْنَ وَيَتَمَتَّوْنَ الْمَاعُونَ ) يعنى بهذا المنافقين لا يصلونها سرا لأنهم لا يمتقدون وجوبها ويصلونها علانية رياء وقيل فويل للمنافقين الذين يدخلون أنفسهم فى جملة المسلمين سورة وهم غافلون عن صلاتهم وأنهم لا يريدون بها قربا إلى ربهم ولا تأدية للفرض فهم ينخفصون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون ويظهرون للناس أنهم يؤدون الفرائض ويمتنعون الزكاة وما فيه منفعة وعن أنس والحسن قالا : الحمد لله الذى قال : عن صلاتهم ولم يقل فى صلاتهم لأن معنى عن أنهم ساهون عنها سهوا ترك لها وقلة التفات إليها ذلك فعل المنافقين ومعنى فى أن السهو يمتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يغلو عنه معلم وكان رسول الله ﷺ يقع له السهو فى صلاته فضلا عن غيره والمرأة مفاعلة من الإراة لأن الرائ يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به ولا يكون الرجل مهائيا بإظهار الفرائض فمن حقا الإملات بها قوله ﷺ : ولاغمة فى فرائض الله والإخفاء فى التطوع أولى فإن أظهره قاصداً للاقتداء به كان جميلا، والماعون : الزكاة وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما يتماور فى المادة من الفأس والقدر والحلو والقدحة ونحوها، وعن عائشة رضى الله عنها : الماء والنار واللح والله أعلم.

## ﴿ سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ) هو فاعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة وقيل: هو نهر في الجنة أحلى من العسل وأشد يابسا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافته الزبرجد وأوانيه من فضة، وعن ابن عباس رضى الله عنهما: هو الخير الكثير قليل له إن ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير ( فَصَلَ رَبُّكَ ) فاعبد ربك الذي أمرتك بإعطائه وشرفك وصانك من من الخلق مرافعا لقومك الذين يمدون غير الله ( وَانْحَرْ ) لوجهه وباسمه إذا انحرت غالغا لميدة الأوتان في النحر لها ( إِنَّ شَأْنَكَ ) أى من أمرك من قومك بمخالفتك لهم ( هُوَ الْأَبْتَرُ ) النقطع عن كل خير لا أنت لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على النار وعلى لسان كل عالم وذاكرك إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الآخرة مالا يدخل تحت الوصف فنك لا يقال له أبتر إنما الأبتر هو شاتئك النسي في الدنيا والآخرة قبل نزولك في الناس بين وائل حماء الأبتر، والأبتر الذى لا عقب له وهو خبر إن وهو فصل .

## ﴿ سورة الكافرين ست آيات مكية ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ) المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله أنهم لا يؤمنون روى أن رجلا من قريش قالوا يا محمد علم فاتبع ديننا وتبع دينك تبعنا سنة ونسبنا إليك سنة، فقال: معاذ الله أن أشرك بالله غيره، قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونمبد إليك فنزلت فندا إلى المسجد الحرام وفيه اللأ من قريش قراها عليهم فأيسوا ( لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ) أى لست في حال هذه عابدا ما تعبدون ( وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ ) الساعة ( مَا أَعْبُدُ ) يعنى الله ( وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ) ولا أعبد فيما استقبل من الزمان ما عبديتم ( وَلَا أَنْتُمْ ) فيما تستقبلون ( عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ) وذكر بلفظ ما لأن الراد به الصفة أى لا أعبد الباطل

ولا تبدون الحق أو ذكر بلفظ ما ليتقابل اللفظان ولم يضع في الأول من وصح في الثاني ما يعنى النى ( لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ) لكم شرككم ولي توحيدى، ويعنى الباء نافع وحسن، وروى أن ابن مسعود رضى الله عنه دخل المسجد والنبي ﷺ جالس فقال له : نابذ يا ابن مسعود قرا قل يا أيها الكافرون ثم قال له في الركعة الثانية : اخلص . قرا قل هو الله أحد فلما سلم ، قال : يا ابن مسعود سل تحب والله أعلم .

### ( صورة النصر مدنية وهى ثلاث آيات )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إِذَا ) منصوب بسبح وهو لا يستقبل والإعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة وروى أنها نزلت في أيام التشريق على في حجة الوداع ( جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ) النصر الإغاثة والإظهار على العدو والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله ﷺ على العرب أو على قريش وفتح مكة أو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم ( وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ ) هو حال من الناس على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت أو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت ( فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ) هو حال من فاعل يدخلون وجواب إذا فصبح أى إذا جاء نصر الله إياك على من تآواك وفتح البلاد ورأيت أهل اليمن يدخلون في مكة الإسلام جماعات كثيرة بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين ( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ) قل : سبحان الله حمدا له أو فصل له ( تَوَاصُّوا ) تواسوا وعضا للنفس أو دم على الاستغفار ( إِنَّهُ كَانَ ) ولم يزل ( تَوَّابًا ) التواب الكثير القبول للتوبة وفى صفة العباد الكثير الفضل للتوبة ويروى أن عمر رضى الله عنه لما سمعها بكى وقال : الكمال دليل الزوال وعاش رسول الله ﷺ بسبعا وستين واقه أعلم .

## ( سورة أنبياء مكية وهي خمس آيات )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ) التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة أم تابة أى حالكة من الحرمان والمعنى هلكت يده لانه فيها يروى أخذ حجرا ليرى به رسول الله ﷺ ( وَتَبَّ ) وهلك كله أو جملة يده هالكين والمراد هلاك جملة كقوله بما قدمت بذاك ومعنى وتب وكانت ذلك وحصل كقوله :

جزاى جزاء الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد نمل  
وقد دل على قراءة ابن مسعود رضى الله عنه : وقد تبَّ ، وروى أنه لما نزل وأنذر هشيرتك  
الأقرين رقى الصفا وقال : يا صباحاه فاستجمع إليه الناس من كل أوب . فقال عليه الصلاة  
والسلام : يا بني عبدالمطلب يا بني فهر إن أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكرم مصدق .  
قالوا : نعم . قال . فإنى نذير لكم بين يدي الساعة فقال أبو لهب : تبا لك ألهذا دعوتنا  
نزلت وإنما كناه والتكنية تكريمة لاشتهاره بهادون الاسم أولكرامة اسمه فاسمه عبدالمزى  
أو لأن ماله إلى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته ، أبى لهب مكي ( مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ )  
ما للنبي ( وَمَا كَسَبَ ) مرفوع وما موصولة أو مصدرية أى ومكسوبه أو وكسبه أى لم ينفعه  
ماله الذى ورثه من أبيه أو الذى كسبه بنفسه أو ماله التاله والطارف، وعن ابن عباس رضى  
الله عنهما ما كسب ولده . وروى أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخى حقا فانا أفندى منه  
نفسى بمالى وولدى ( سَيَصْلَىٰ نَارًا ) سيدخل سيصل البرجمى عن أبى بكر والسين للوعيد  
أى هو كائن لا عمالة وإن تراخى وقته ( ذَاتَ لَهَبٍ ) توقد ( وَأَمْرَأَتُهُ ) هى أم جميل بنت  
حرب أخت أبى سفيان ( حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ) كانت تحمل حمزة من الشوك والحسك فتشترها  
بالليل فى طريق رسول الله ﷺ وقيل كانت تمشى بالنخلة فتشعل نار المداوة بين الناس  
ونصب عاصم حمالة الحطب على الشتم وأنا أحب هذه القراءة وقد توسل إلى رسول الله ﷺ  
بجميل من أحب شتم أم جميل . وعلى هذا يسوغ الوقف على امرأته لأنها عطفت على الضمير  
فى سبيل أى سيصل هو وامراته والتقدير أعنى حمالة الحطب، وغيره رفع حمالة الحطب على

أنها خبر وامرأته أو هي حالة (في جديدها حبيلٌ من مسد) حال أو خبر آخر والسد الذي قتل من الجبال قتلا شديدا من ليف كان أو جله أو غيرها والمعنى في جديدها جبل مما حسد من الجبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جديدها كما يفعل الحطابون تحفيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات لتجزع من ذلك ويجزع بطلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة والله أعلم .

### (سورة الإخلاص أربع آيات مكية عند الجمهور وقيل مدنية عند أهل البصرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) هو ضمير الشأن والله أحد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثاني له ومحل هو الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة ولا يحتاج إلى الراجع لأنه في حكم المفرد في قولك زيد غلامك في أنه هو البتة في المعنى وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذي عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فإن زيدا أو الجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يوصل بينهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما: قالت قرينة: يا محمد صف لنا ربك الذي تدعوننا إليه فنزلت يميني الذي سألتونني وصفه هو الله تعالى وعلى هذا أحد خبر مبتدأ محذوف أى هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله واحد فقلت الراو همزة لوقوعها طرفا والدليل على أنه واحد من جهة العقل أن الواحد إما أن يكون في تدبير العالم وتخليقه كافيا أولا فإن كان كافيا كان الآخر زائدا غير محتاج إليه وذلك قصص والناقص لا يكون إلها وإن لم يكن كافيا فهو ناقص ولأن العقل يقتضى احتياج المفعول إلى فاعل والفاعل الواحد كاف وما وراء الواحد فليس عدد أولى من عدد فيفنى ذلك إلى وجود أعداد لا نهاية لها وذا حال فاقول بوجود الإثنين محال ولأن أحدهما إما أن يقدر على أن يستر شيئا من أفعاله عن الآخر أولا يقدر فإن قدر لم يكن الستور عنه جاهلا وإن لم يقدر لم يكن كونه حائرا ولأننا لو فرضنا مبدوما يمكن الوجود فإن لم يقدر واحد منهما على إيجاد كل واحد منهما حاجزا والماجز لا يكون إلها وإن قدر أحدهما دون الآخر فلا يكون إلها وإن

فدرا جميعا فيما أن يوجداه بالتماون فيكون كل واحد منهما محتاجا إلى إعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وإن قدر كل واحد منهما على إيجاد الاستقلال فإذا أوجده أحدهما فيما أن يبق الثاني قادرا عليه وهو محال لأن إيجاد الوجود محال وإن لم يبق فحينئذ يكون الأول مزيلا بقدره الثاني فيكون عاجزا ومقهورا تحت تصرفه فلا يكون إلما فإن قلت الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم أن يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزا وأما للشريك فأنفذت قدرته بل زالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك تمجيزا ( الله الصمد ) هو فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده وهو السيد المصمود إليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي ترفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم وهو واحد لا شريك له وهو الذي يسمد إليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الفنى عنهم ( لَمْ يَلِدْ ) لأنه لا يمانس حتى تسكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله: أتى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ( وَلَمْ يُولَدْ ) لأن كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده إذ لو لم يكن قديما لكان حادثا لمدم الواسطة بينهما ولو كان حادثا لافترق إلى محدث وكذا الثاني والثالث فيؤدي إلى التسلسل وهو باطل وليس بجسم لأنه اسم للمتركب ولا يخلو حينئذ من أن يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء إلما فيفسد القول به كما فسد يالمين أو غير متمصف بها بل بأضدادها من سمات الحدوث وهو محال ( وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ) ولم يكافئه أحد أى لم يماثله، سألوه أن يصفه لهم فأوحى إليه ما يحتوى على صفاته تعالى ، بقوله: هو الله إشارة إلى أنه خالق الأشياء وفاطرها، وفي طى ذلك وصفه بأنه قادر عالم لأن الخلق يستدعى القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية لإحكام واتساق وانتظام ، وفي ذلك وصفه بأنه حي لأن المتصف بالقدرة والعلم لا بد وأن يكون حيا، وفي ذلك وصفه بأنه سميع بصير مرید متكلم إلى غير ذلك من صفات الكمال إذ لو لم يكن موصوفا بها لكان موصوفا بأضدادها وهى نقائص وذا من أمارات الحدوث فيستحيل اتصاف القديم بها، وقوله: أحد مصنف بالوحدانية ونفى الشريك وبأنه المتفرد بإيجاد المدومات والتوحد بعلم الخفيات ،



وقوله: الصمد وصف بأنه ليس بالإعتاج إليه وإذا لم يكن الإعتاج إليه فهو غنى لا يحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كل أحد ، وقوله لم يدنقى للشبه والمجانسة ، وقوله ولم يولد نقي للعدوت ووصف بالقدم والأولية ، وقوله ولم يكن له كفوا أحد نقي أن يماثله شيء ومن زعم أن نقي الكفر وهو المثل في الماضي لا يدل على نفيه للعال والكفار يدعونه في الحال فقد تاه في غيه لأنه إذا لم يكن فيما معنى لم يكن في الحال ضرورة إذ الحادث لا يكون كفوا للقديم ، وحاصل كلام الكفرة يشول إلى الإصرار والتشبيه والتعطيل والسورة تدفع الكل كإقرارنا واستحسن سيبويه تقديم الظرف إذا كان مستقرا أى خبرا لأنه لما كان عمتاجا إليه قدم ليلى من أول الأمر أنه خبر لا فضلة وتأخيرها إذا كان لقوا أى فضلة لأن التأخير مستحق للفضلات وإثنا قدم في الكلام الأفصح لأن الكلام سبق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان الأم تقديمه وكان أبو عمرو يستحب التوسيع من أحد ولا يستحب الوصل ، قال عبد الوارث على هذا أدركنا القراء وإذا وصل نون وكسر أو حذف التنوين كقراءة عزيز ابن الله ، كفوا بسكون الفاء والمهمزة حمزة وخلف كخواً مثقفة غير مهموزة حفص . الباقر مثقفة مهموزة . وفي الحديث : من قرأ سورة الإخلاص نهد قرأ ثلث القرآن لأن القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الأوامر والنواهي . هل القصص والمواعظ وهذه الصورة قد تجردت للتوحيد والصفات فقد تضمنت تلك الله . آن وفيه دليل شرف سم التوحيد وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف للمعوم . ويضع بضعته ومعوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فاعلم أنك بشرف منزلته وجلالة عمله اللهم احشرونا في زمرة المالمين بك المالمين لك الرايين ثوابك المخلصين من عقابك المكرمين بلقائك ، وسمع رسول الله ﷺ رجلا يقرأ قل هو الله أحد تهليل : وجبت . قيل : يا رسول الله ما وجبت ؟ قال : وجبت له الجنة .

( سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( عُلِّمَ أُعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ) أى المصبح أو الخلق أو هو وادنى جهنم أوجب فيها ( ين شرَّ ما خلق ) أى النار أو الشيطان وما موصولة والمائد محذوف أو مصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق وقرا أبو حنيفة رضى الله عنه من شر بالتثنية وما على هنا مع الفعل بتأويل المصدر فى موضع الجر بدل من شر أى شر خلقه أى من خلق شر أو زائلة ( وَمِنْ شَرِّ فَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ) الفاسق: الليل إذا اعتكر ظلامه، ووقبه دخول ظلامه فى كل شيء، ومن عائشة رضى الله عنها أخذ رسول الله ﷺ يندى فأشار إلى القبر فقال : تمودى بالله من شر هذا فإنه الفاسق إذا وقب ووقبه دخوله فى الكسوف واسوداده ( وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ) النفثات: النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يمتدن عقدا فى خيوط وينفقن عليها ويرقن، والنفث: النفث مع ريق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة فى إنكار تحقق السحر وظهور أثره ( وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ) أى إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه لأنه إذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتهامه بسرور غيره وهو الأسف على الخير عند الخير والاستعاذة من شر هذه الأشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق إشاراً بأن شر هؤلاء أشد وختم بالحسد ليعلم أنه شرها وهو أول ذنب عصى الله به فى الدنيا من إبليس وفى الأرض من قاييل وإنما عرف بعض المستأذنه ونكر بعنه لأن كل عقيدة شريفة فلها عرف النفثات ونكر فاسق لأن كل فاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون فى بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد يكون محموداً كالحسد فى الخيرات وانه أهل .

## ( سورة التام مختلف فيها وهي ست آيات )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( قُلْ أَعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ) أى مربيهم ومصلحهم ( مَلِكِ النَّاسِ ) مالكهم ومدير أمورهم ( إِلَهِ النَّاسِ ) محبوبهم ولم يكنف بإظهار المصاف إليه مرة واحدة لأن قوله : ملك الناس إله الناس عطف بيان رب الناس لأنه يقال لنبه رب الناس وملك الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه وعطف البيان للبيان فكأنه مظنة للإظهار دون الإخبار وإنما أضيف الرب إلى الناس خاصة وإن كان رب كل مخلوق تشريفا لهم ولأن الاستمادة وقعت من شر الوسوس فى صدور الناس فكأنه قيل أهوذ من شر الوسوس إلى الناس بربهم الذى يملك عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم وقيل أراد بالأول الأطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثانى الشان ولفظ الملك النبىء عن السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الإله النبىء عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحين إذ الشيطان مولع بإغوائهم وبالخامس المفسدين لعطفه على المود منه ( مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ ) هو اسم بمعنى الوسوسة كالزوال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كالزوال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة فى نفسه لأنها شفه الذى هو عا كف عليه أو أريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى ( الْخَنَّاسِ ) الذى عادته أن يخنس منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالدواج والبنات لما روى عن سميد بن جبير إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى وإذا غفل رجع ووسوس إليه ( الَّذِي يُوسْوِسُ بَيْنِي وَبَيْنَ صُدُورِ النَّاسِ ) فى عمل الجبر على الصفة أو الرفع أو النصب على الشتم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس ( مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ) بيان لذى يوسوس على أن الشيطان ضربان جنى وإنسى كآقال شياطين الإنس والجن وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال لرجل هل تموتذ بالله من شيطان الإنس روى أنه عليه السلام سحر فرض فجاءه ملكان وهو نائم فقال أحدهما لصاحبه : ما باله . فقال : طيب . قال : ومن طيبه ؟ قال : لبيد بن أعصم اليهودى . قال : وبم طيبه ؟ قال : بمشط ومشاطة فى جف طلمة تحت راعوفة فى بئر ذى أدوان فاقبه  فبث زيرا وعليا وممارا رضى الله عنهم

فخرجوا من البئر وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه وإذا فيه وتر مسطه فيه إحدى عشرة عقدة مفروزة بالإبر فتزل هاتان السورتان فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة حتى قام عليه السلام عند انحلال العقدة الأخيرة كأنما نشط من عقال وجعل جبريل يقول: باسم الله أرقبك والله يشفيك من كل داء يؤذيك . ولهذا جواز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان بالسريانية والعبرانية والمندية فإنه لا يحمل اعتقاده والاعتقاد عليه ونموذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وأقوالنا ومن شر ما عملنا وما لم نعمل ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه أرسله بالمهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأنام وأصحابه مغنايح دار السلام صلاة دائمة ما دامت الليالي والأيام .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين

وعلى آله هداة الأنام وأصحابه نجوم الإسلام (وبعد) فقد تم طبع

هذا التفسير الجليل المسمى بمبارك التنزيل وحقائق

التأويل لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود

السنفي رحمه الله وجعل الجنة

مقبله ومثواه











Bibliotheca Alexandrina



0581351